حاشية العلامة الصاوي

على

تفسير الجلالين

جلال الدين المحلّي
(ت: ٨٦٤هـ)

جلال الدين السُّيوطي
(ت: ٩١١هـ)

تأليف

العالم العلّامة العارف بالله تعالى

الشيخ أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي
(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

حُقِّقت على نسخ خطية نفيسة

ومطبوعة قديمة سالمة من التحريف والتبديل

شرف بخدمتها

مرعي حسن الرشيد

راجعها وقدم لها

الدكتور عبد القادر الحسين

الجزء الثاني

سورة النساء - سورة الأعراف

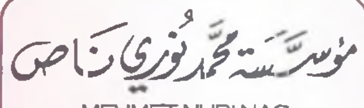
دار تحقيق الكتاب

للطباعة والنشر والتوزيع

دار تحقيق الكتاب

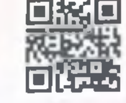
Title: Ḥāshiyat al-Ṣāwī ʻala Tafsīr al-Jalālayn
Autor: Aḥmad Ṣāwī, Ǧalāl-ad-Dīn Maḥallī, Ǧalāl-ad-Dīn Suyūṭī,
Editor: Marʻī al-Rashīd
Publisher: Dar Tahkik Al Kitab
Pages: 655 (vol.2)
Year: 2024
Printed in: Lebanon
Edition: 1

الكتاب: حاشية الصَّاوي على تفسير الجلالين.
المؤلف: أحمد الصاوي، جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي.
تحقيق: مرعي الرشيد
الناشر: دار تحقيق الكتاب
عدد الصفحات: 655 (المجلد الثاني)
سنة الطباعة: 2024
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى (لونان، ورق شاموا)



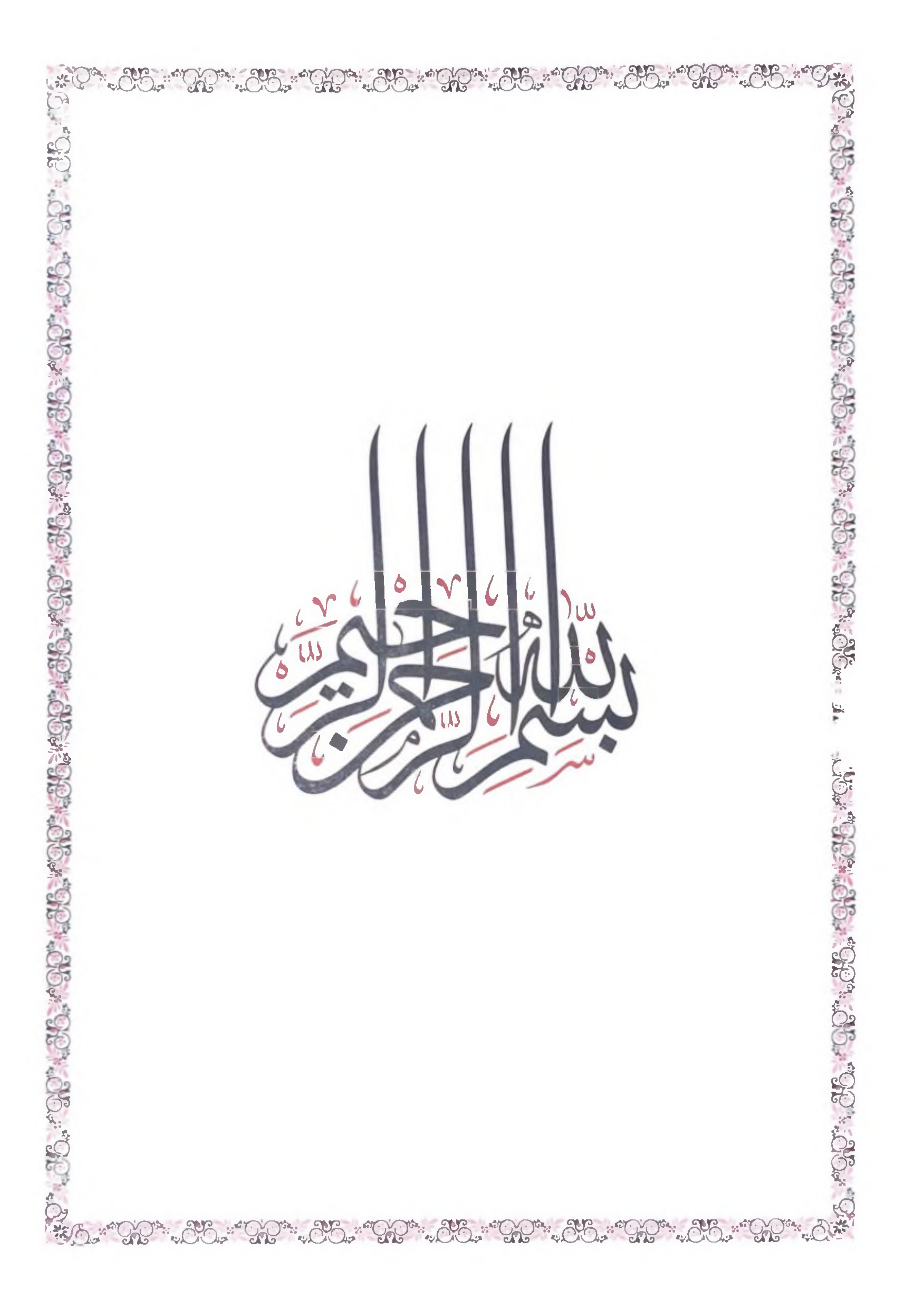


DAR TAHKIK AL KITAB
Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümni İş Merkezi
No:16/B D:8 Vezneciler/Fatih/İstanbul/Turkey : +9 (0212)5190979
Merkez :1.Cadde No:66 MİDYAT/MARDİN : +9 (0482)4622775
www. tahkikalkitab.com : info@tahkikalkitab.com



Dar Tahkik Al Kitab, Nursabah Yayıncılık Matbaacılık Ltd.Şti'nin Tescilli Markasıdır
دار تحقيق الكتاب هي دار تابعة لمؤسسة دار نور الصباح


حاشية العلامة الصاوي
على
تفسير الجلالين
٢


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ....



مَدنيَّة، مائةٌ وخمسٌ ـ أو ستٌّ أو سبعٌ ـ وسبعونَ آيةً.

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مكَّة ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي: عِقابَه بِأن تُطِيعُوه، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: آدمَ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ النِّسَاءِ

(مدنيَّةٌ) أي: كلُّها وإن خُوطبَ بمَطلعها أهلُ مكةَ؛ لأنَّ القاعدةَ أنه متى قيلَ في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.. كان خطاباً لأهل مكّة، ومتى قيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.. كان خطاباً لأهل المدينة.

قوله: (وخمس أو ست) (أو): لِتَنويع الخلاف، فهي مئةٌ وسبعون جزماً، والخلافُ فيما زاد.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾) الخطابُ للمكلَّفين عموماً، ذكوراً أو إناثاً، إنْساً أو جنًّا؛ لأنَّ لهم ما لَنا وعليهم ما علينا، وليس مخصوصاً بمَنْ كان موجوداً وَقتَ النزول؛ لأنَّ العبرةَ بِعُموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

قوله: (﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾) أي: امتَثلوا أوامرَهُ واجتَنِبوا نواهيَهُ، وذلك يحصلُ بالإسلام، فإنَّ المسلمَ العاصيَ قد اتَّقى الشرك وهو أعظَمُ المنهيّات بالإيمان وهو أعظمُ المأمورات، لكن يُقال لها: تقوى عامَّة، وتقوى الخواصِّ هي: اجتنابُ المنهيَّات جَميعِهَا، وامتثالُ المأمُورات على حَسبِ الطاقة، وتقوى خواصِّ الخواصِّ هي: الانهماكُ في طاعة الله، وعَدمُ الشغل بغيره ولو مباحاً، والآيةُ صادقةٌ بهذه المراتب كلِّها.

قوله: (﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾) تأكيدٌ للأمر المتقدِّم، فالمعنى: اتقوا الله؛ لأنه مالِكُكُمْ ومُربِّيكم، ومن أوصافه أنه خلقَكم وأنشأكم من نَفس واحدة، فمَنْ كان بهذه الصفاتِ.. فهو أحقُّ بأن يُتقى؛ لأنه لا استِغناءَ عنه، بل كلُّ مَنْ خلقه مُفتقرٌ إليه في كلِّ لمحة وطرفة ولحظة، وفي ذلك إشارةٌ إلى أن التقوى تكون في حقِّ بَعضِنا بعضاً؛ لأن أصلَنا واحدٌ، فالواجبُ علينا اتقاءُ ربِّنا؛ لأنه الخالقُ لنا، واتقاءُ بَعضِنا بعضاً؛ لأننا كلَّنا من أصل واحد.

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ....

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حَوَّاءَ بِالمَدِّ، مِن ضِلَعٍ مِن أضلاعه اليُسرَى، ﴿وَبَثَّ﴾: فَرَّقَ ونَشَرَ ﴿مِنْهُمَا﴾ مِن آدم وحَوَّاءَ ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ كَثيرةً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾) أي: من تلك النفس الواحدة.

قوله: (﴿زَوْجَهَا﴾) يُقال في الأنثى: زوجٌ وزَوجة، والأفصحُ: الأول.

قوله: (حواء) بالمدِّ، سُمِّيت بذلك لأنها خُلقت من حَيٍّ.

قوله: (من ضِلَع من أضلاعه) أي: بعد أن أخذَهُ النومُ، ولم يشعُرْ بذلك ولم يتألَّمْ، فلمَّا استيقظَ من النوم وجدَها، فمالَ إليها، فأرادَ أن يمدَّ يدَهُ إليها فقالت له الملائكة: مَهْ يا آدمُ؛ حتى تُؤَدِّي مهرَها، قال: فما مهرُها؟ قالوا: حتى تصلِّي على النبيِّ ﷺ في رواية: ثلاثَ صلوات، وفي رواية: سبعةَ عشرَ[1]، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنه عليه الصلاةُ والسلام الواسطةُ لكلِّ مَوجود حتى أبيه آدمَ.

إن قلتَ: حيث كانت حواءُ مخلوقةً من ضِلَعِ آدمَ فهي أختٌ لأولادِه، فمُقتضاه أنه يحلُّ لمن لم يُخلَقْ معها التزوُّجُ بها في شَرعه!

أجيبَ: بأن تفرُّعَ حواءَ من آدم ليس كتفرُّعِ الولد من الوالِد، بل نباتُها من الضِّلَع كما تنبتُ النخلةُ من النَّواة، فلا يحكمُ عليها بأنها بنتُ آدم ويُقال لها: أختُ أولاده، بل هي أُمُّهُم لا غير.

واختُلفَ هل كان خَلْقُ حوَّاءَ خارجَ الجنة؟ وبه قال جماعة، وقال ابن عباس وجماعة: إنه كان داخلَ الجنة، ولا مانعَ مِن كونه أخذَهُ النومُ فيها؛ لأنَّ الممنوعَ النومُ بعد دخولها يومَ القيامة[2].

قوله: (﴿وَنِسَآءً﴾ كثيرة) أشارَ بذلك إلى أن في الآية اكتفاءً.

وردَ: أن حواءَ حمَلت من آدم عشرين بطناً، أو أربعين بطناً، في كلِّ بطن ذكر وأنثى، وكان يُزوِّجُ ذكرَ هذه البطن لأنثى البَطن الأخرى، فنُزِّلَ اختلافُ البُطون منزلةَ اختلاف الآباء والأُمَّهات، وما مات حتى اجتمعَ من ذُريته مباشرةً وبواسطة فوق المئة ألف، يَشتغلون بأنواع الصنائع والتجارات.

---

(١) حكى الخبر ابنُ الجوزي في «بستان الواعظين» (ص٣٠٧).

(٢) انظر الخلاف عند الرازي في «تفسيره» (٣/ ٤٥١).

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ ....

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ﴾ ـ فِيه إدغامُ التَّاء في الأصل في السِّين، وفي قِراءة بِالتَّخفِيف بِحذفِها ـ أي: تَتساءلُون ﴿بِهِۦ﴾ فِيما بينكم، حيثُ يَقُولُ بَعضُكم لِبَعضٍ: أسأَلُك بِالله، وأنشُدُك بِالله، ﴿وَ﴾ اتَّقُوا ﴿ٱلْأَرْحَامَ﴾ أن تَقطعُوها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾) معطوف على قوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾.

قوله: (﴿ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾) أي: يُقسِمُ بعضُكم على بعضٍ به؛ لأنه عظيمٌ جليل؛ فحيث كان كذلك.. فهو أحقُّ بأن يُتَّقى.

قوله: (فيه إدغامُ التاء... إلخ) أي: فأصله: تَتساءلون، قُلبت التاءُ سيناً ثم أُدغمت في السين، وإنما قُلبت التاءُ سيناً؛ لِقُرب مخرجَيهما.

قوله: (بحذفها) أي: التاء الثانية، وحُذفت تخفيفاً، قال ابن مالك: [الرجز]

وَمَا بِتَاءَيْنِ ابْتُدِي قَدْ يُقْتَصَرْ فِيهِ عَلَى تَا كَـ(تَبَيَّنُ الْعِبَرْ)[1]

قوله: (حيث يقول بعضكم... إلخ) أي: فيَدخلُ الحمى ولا يتعرَّضُ له، وكان ذلك في الجاهلية، والمعنى: اتقوا الله؛ لأنه ربُّكم وخلقكم من نفس واحدة، ولأنه عظيمٌ يُقسمُ به، وتُقضى الحوائجُ باسمِهِ.

قوله: (﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾) هكذا بالنصب معطوف على لفظ الجلالة، والعاملُ فيه (اتقوا)؛ ولذا قدَّره المفسِّرُ، وقوله: (أن تقطعوها) إشارةٌ إلى أن الكلامَ على حذف مضاف، تقديرُهُ: واتقوا قطعَ الأرحام؛ لما في الحديث: «**الرحمُ معلَّقةٌ بالعرش، تقولُ: مَنْ وَصلني وصلَهُ الله، ومن قَطعني قطعَهُ الله**»[2].

ومُواصلةُ الأرحام تختلف باختلاف الناس؛ فمِنهم الغنيُّ والفقير، فالواجبُ على الغني المواصلةُ بالهدايا والتُّحَف والكلام الليِّن، وعلى الفقير اللينُ والسعيُ لهم ومُعاشرتُهم بالمعروف، ولا فرقَ بين الأحياءِ والأموات.

(١) «الخلاصة»: (باب الإدغام)، وقرأ الكوفيون بتخفيف السين، والباقون بتشديدها. انظر «الدر المصون» (٣/ ٥٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٥) عن عائشة رضي الله عنها بهذا اللفظ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾

ـ وفي قِراءة بِالجرّ عَطفاً على الضَّمِير في ﴿بِهِۦ﴾ ـ وكانُوا يَتناشدُونَ بِالرَّحم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾: حافِظاً لِأعمالِكم فيُجازِيكم بِها،

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة بالجر) أي: مع تخفيف ﴿تَسَآءَلُونَ﴾، وهي لحمزة، وأما قراءةُ النصب فبالتَّشديد والتخفيف، فالقراءاتُ ثلاثٌ وكلُّها سبعيَّة[1].

قوله: (عطفاً على الضمير في «به») أي: من غير عَود الخافض، وهي وإن كانت لغةً فصيحة إلا أنها خلافُ الكثير، وقد أشارَ لذلك ابنُ مالك بقوله: [الرجز]

وَعَوْدُ خافِضٍ لَدَى عَطْفٍ عَلَى ضَمِيرِ خَفْضٍ لازِماً قَدْ جُعِلَا
وَلَيْسَ عِنْدِي لازِماً إِذْ قَدْ أَتَى فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتَا[2]

فأشارَ بالنثر الصحيح إلى الآيةِ، وبالنَّظم إلى قول الشاعر: [البسيط]

[فَالْيَوْمَ] قَدْ بِتَّ تَهْجُونا وَتَشْتُمُنا فَاذْهَبْ فَما بِكَ وَالأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ

بجرِّ الأيام[3].

قوله: (وكانوا يتناشدون بالرحم) هذا مرتَّبٌ على القراءة الثانية؛ أي: فالمعنى اتقوا اللهَ؛ لأنكم تتناشدون به، واتقوا الأرحامَ؛ لأنكم تتناشدون بها، ومِن التناشد بها: قولُ هارون لأخيه موسى صلوات الله وسلامه عليهما: ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓ﴾ [طه: ٩٤].

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾) هذا تعليلٌ لقوله: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾، والرقيبُ لغةً: مَن يَنظرُ في الأصول ويتأمَّلُ فيها، واصطلاحاً: الحفيظُ الذي لا يَغيبُ عن حفظِهِ شيءٌ، وهذا المعنى هو المرادُ في حقِّ الله تعالى.

قوله: (حافظاً لأعمالكم) أي: جميعِها، خيرِها وشرِّها، سِرِّها وجهرِها، قال تعالى: ﴿سَوَآءٞ

---

(١) وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف السين، والباقون بتشديدها. انظر «السراج المنير» (١/ ٢٧٨).

(٢) «الخلاصة»: (باب عطف النسق).

(٣) من الأبيات المجهولة النسبة كما في «خزانة الأدب» (٥/ ١٢٩)، وهو من أبيات سيبويه، وفي المصادر: (قرَّبت) بدل (قد بتَّ)، وقرَّبت بمعنى أخذت، فهو من أفعال الشروع، وجعله المبرد في «الكامل» (٣/ ٣٠) من ضرائر الشعر، وقال عن القراءة: إنها كالضرورة، قال: (والقرآن إنما يُحمل على أشرف المذاهب).

وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ ....

أي: لَم يَزَلْ مُتَّصفاً بِذلك.

(٢) ونَزَلَ في يَتِيمٍ طَلَبَ مِن وَلِيِّه مالَه فمَنعَه: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾ الصِّغارَ الذينَ لا أبَ لَهُم ....

حاشية الصاوي

مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

قوله: (أي: لم يزل متصفاً بذلك) جوابٌ عن سُؤال مقدَّر، تقديرُهُ: إن لفظَ (كان) يفيدُ الانقطاع، فيُفيدُ أن الله اتَّصف بالحفظ فيما مضى وانقَطع! فأجابَ: بأن (كان) هنا لِلاستمرار؛ أي: هو متَّصف بذلك أزلاً وأبداً.

قوله: (ونزل في يتيم) أي: بحسَبِ ما كان، وإلا.. فوقتَ طلبه كان رشيداً.

قوله: (طلب من وليّه) أي: وكان عمًّا لِذلك اليتيم.

قوله: (فمنعه) أي: فلمَّا منعَهُ شكا لِرسول الله ﷺ، فنزلت الآية، فلمَّا سمعَها الوليُّ قال: أطعتُ اللهَ وَأَطعتُ رسولَهُ، ونعوذُ بالله من الحَوب الكبير[١].

قوله: (﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾) شروعٌ في ذكر مَواطِن التقوى، وقدَّمَ مالَ اليتيم؛ لأن فيه وعيداً عظيماً وتحذيراً شديداً.

واليتامى: جمعُ يَتِيم، ويجمعُ أيضاً على: أيتام، من اليُتْم وهو لغةً: الانفرادُ، ومنه: الدُّرَّةُ اليَتيمة؛ بمعنى: عديمة المثيل، ومنه: يُتْمُ سيِّد الكائنات عليه أفضلُ الصلاة والسلام، قال العارف: [الكامل]

أَخَـذَ الإِلَـهُ أَبَـا الـنَّـبِـيِّ وَلَـمْ يَـزَلْ ... بِـرَسُـولِـهِ الـفَـرْدِ الـكَـرِيـمِ رَحِـيـمَـا
نَـفْـسِـي الـفِـداءُ لِـمُـفْـرَدٍ فِـي يُـتْـمِـهِ ... وَالـدُّرُّ أَحْـسَـنُ مَـا يَـكُـونُ يَـتِـيـمَـا[٢]

واصطلاحاً: أَشارَ له المفسِّرُ بقوله: (الأُلَى لا أبَ لهم) أي: ولو كانت أُمُّهم موجودةً، فاليتيمُ في الآدمي: من كان معدومَ الأب وهو صَغير، وفي غيره: من كان معدومَ الأمِّ، فإن مات الأبوان قيل للصغير: لَطِيم، فإن ماتت أمُّه فقط قيل له: العَجِيُّ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٧٢٨) عن سعيد بن جُبير.

(٢) أوردهما الحافظ الشامي في سِيرته «سبل الهدى والرشاد» (باب وفاة عبد الله بن عبد المطلب).

أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ . . . . . .

﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ إذَا بَلَغُوا، ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾: الحَرامَ ﴿بِٱلطَّيِّبِ﴾: الحلالِ، أي: تَأْخُذُوه بَدلَه كما تَفعلُون مِن أخذِ الجَيِّد مِن مالِ اليَتِيم وجَعلِ الرَّدِيء مِن مالِكم مَكانَه، ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ مَضمُومةً ﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ﴾ أي: أكلَها ﴿كَانَ حُوبًا﴾: ذَنباً ﴿كَبِيرًا﴾: عَظِيماً. ولَمَّا نَزَلَت . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (الأُلَى) بضمِّ الهمزة وفتح اللام، اسمٌ موصول جمعٌ لـ(الذي) كـ: الذين.

قوله: (إذا بلغوا) أي: وكانوا راشدِين؛ بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا . . .﴾ [النساء: ٦] الآية.

قوله: (﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾) هذا نهيٌ آخرُ، وكان وليُّ اليتيمِ في الجاهلية يأخذُ مالَ اليتيم الجيد ويَدفعُ له بدلَهُ الرديء، كشاةٍ هَزيلة يدفعُها ويأخذُ شاةً سمينة، ودرهمٍ زيف يتركُهُ لليتيم، ويأخذُ بدلَهُ الجيدَ، ويقول: شاةٌ بِشاة، ودرهمٌ بدرهم.

قوله: (الحرام) أي: وإن كان جيداً، وقوله: (الحلال) أي: وإن كان رديئاً.

قوله: (أي: تأخذوه بدله) أشارَ بذلك إلى أن الباءَ داخِلة على المتروك.

قوله: (مضمومة) أي: بأن تجمعُوا مالَهُ على أموالكم وتَصرفوا من الجميع، وقصدُهُ بذلك أكلُ الجميع، وهذا نهيٌ ثالث؛ لأنَّ الأمرَ الأول تضمَّنَ نهياً؛ أي: لا تمنعوا اليتامى من أموالهم إذا رشدُوا، ولا تتبدلوا الخبيثَ بالطيب، ولا تأكلُوا أموالهم إلى أموالكم.

إن قلتَ: مقتضى الآية: أن أكلَ مال اليتيم مُنفرداً ليس بذنب عظيم!

أُجيبَ: بأنه نصَّ على أقبح الأحوال زيادةً في التشنيع على مَنْ يأكلُه مع استغناء، وإلا . . فأكلُهُ مُنفرداً كأكله مضموماً لِماله في ارتكاب الإثم الكبير.

قوله: (﴿حُوبًا﴾) بضم الحاء باتفاق السبعة، وقُرِئَ شذوذاً بفتح الحاء وسكون الواو، وقلبها ألفاً، والمعنى واحد[1].

قوله: (ولما نزلت) أي: آياتُ اليتيم التي وردَ النهيُ فيها.

(١) فالقراءات ثلاث؛ الجمهور: (حُوْباً)، والحسن (حَوْباً)، وبعضهم: (حاباً)، وهي لغات في المصدر. انظر «الدر المصون» (٣/ ٥٥٧).

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ....

تَحَرَّجُوا مِن وِلايةِ اليَتامَى، وكان فِيهم مَن تَحتَه العَشر أو الثَّمان مِن الأزواجِ، فلا يَعدِلُ بينَهنَّ، فنَزَل:

﴿٣﴾ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَ﴾نْ ﴿لَّا تُقْسِطُوا﴾: تَعدِلُوا ﴿فِي الْيَتَامَىٰ﴾ فتَحَرَّجتُم مِن أمرِهِم، فخافُوا

حاشية الصاوي

قوله: (تحرَّجوا) أي: شَقَّ عليهم وطلبوا الخروجَ من الحرج الذي هو الإثم.

قوله: (من الأزواج) أي: اليتامى، فكان الواحدُ منهم إذا وجدَ يتيمةً ذات مال وجمال رغبَ فيها لأجل مالها، فلما نزلت آيةُ النهي عن أكل مال اليتيم.. شَقَّ عليهم ذلك، فنزلت: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾، فالنهيُ في الأولى عامٌّ في اليتامى مطلقاً أزواجاً أو لا، والثاني خاصٌّ بالأزواجِ اليتامَى.

قوله: (﴿أَلَّا تُقْسِطُوا﴾) من: أقسطَ بمعنى: عدَل، وأما القاسِطُ فمعناه: الجائر، وقُرِئَ: (تَقْسطوا) بفتح التاء[1]، وتحمل على أن (لا) زائدة، أو لغةٌ في (أقسَط) بمعنى: عدَل، فتكون مُستعملةً في الشيء وضدِّه.

قوله: (﴿فِي الْيَتَامَىٰ﴾) أي: في نِكاحهم.

قوله: (فتحرَّجتم) أي: طلبتُم الخروجَ من الحرج الذي هو الإثم، وقوله: (فخافوا) جوابُ الشرط.

قالت عائشةُ: (هذه الآيةُ في اليتيمة تكون في حجر وليِّها فيَرغبُ في جمالها ومالها ويريدُ أن ينتقصَ صداقها، فنهوا عن نكاحهِنَّ إلا أن يُقسطوا في إكمال الصداق، وأُمِروا بالنكاح من غيرهنَّ، قالت عائشة: فاستفتى الناسُ رسولَ الله ﷺ بعد ذلك، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾، فبيَّن الله لهم في هذه الآية أن اليتيمةَ إذا كانت ذاتَ جمال ومالٍ رغبوا في نكاحها ولم يُلحقوها بأمثالها في إكمال الصداق، وبيَّنَ في تلك الآية أن اليتيمةَ إذا كانت مرغوباً عنها لقلَّةِ المال والجمال.. تركُوها والتمسوا غيرَها من النساء، قال ـ أي: الله ـ: فكما يتركونها حين يَرغبون عنها فليس لهم أن يَنكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يُقسطوا لها أو يُعطوها حقَّها الأوفى من الصداق)[2].

---

(١) وهي قراءة إبراهيم النخعي ويحيى بن وثاب، واستعمال الثلاثي بمعنى الرباعي حكاه الزجاج. انظر «الدر المصون» (٣/ ٥٦٠).

(٢) رواه البخاري (٢٤٩٤)، ومسلم (٣٠١٨).

فَانكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ....

أيضاً أن لا تَعدِلُوا بَين النِّساءِ إذا نَكَحتُمُوهُنَّ، ﴿فَانكِحُوا﴾: تَزوَّجُوا ﴿مَا﴾ بِمعنَى (مَن) ﴿طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ أي: اثنتَينِ اثنتَينِ، وثلاثاً ثلاثاً، وأربَعاً أربعاً، ولا تَزِيدُوا على ذلك، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَ﴾نْ ﴿لَّا تَعْدِلُوا﴾ فِيهِنَّ بِالنَّفقةِ والقَسمِ ﴿فَوَٰحِدَةً﴾

حاشية الصاوي

وقال الحسن: كان الرجلُ من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحلُّ له نكاحُها، فيَتزوجُها لأجل مالها وهي لا تعجبُهُ، وإنما يتزوجُها كراهيةَ أن يدخلَ غريبٌ فيشاركَهُ في مالها، ثم يُسيء صُحْبتَها ويتربَّصُ إلى أن تموتَ فيَرثها، فعابَ اللهُ عليهم ذلك وأنزلَ هذه الآية[1].

قوله: (بين النساء) أي: اليَتامى.

قوله: (بمعنى «مَنْ») أي: الواقعةِ على العاقل، وهو جوابٌ عن سؤال مقدَّر، تقديرُهُ: أن (ما) لغير العاقل، ولا شكَّ أن النساءَ عُقَلاء! فأجابَ: بأن (ما) بمعنى (مَنْ)، وعبَّرَ عنهن بـ(ما)؛ لِنَقص عقلهنَّ عن الرجال، وأجيبَ أيضاً: بأن (ما) واقعةٌ على الأوصاف، والمعنى: وانكحوا الوصفَ الذي يعجبُكم من النساء كالحسَب والنسب والجمال، وفي الحديث: «**تخيَّروا لِنُطفكم؛ فإن العرْقَ دَسَّاس**»[2].

قوله: (﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾) أي: الغير اليتامى، وقد تضمَّنت هذه الآيةُ النهيَ عن نكاحِ اليتامى من أجل أموالهن، والزيادةِ على أربع.

قوله: (﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾) بدلٌ من ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾.

قوله: (أي: اثنين اثنين) المعنى: أباحَ لَكم في الاختيار اثنين أو ثلاثاً أو أربعاً، قالوا: وليسَت للعطف، وإلا.. لزمَ أن يُباحَ جمعُ تسع، وبه قالت الظاهريةُ، و(لا) بمعنى (أو)، وإلا.. لزمَ أن من اختارَ اثنَين لا يجوزُ له أن ينتقلَ إلى ثلاث أو أربَع.

قوله: (ولا تزيدوا على ذلك) هذا هو مَحَطُّ السياق.

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٥٦٣).

(٢) رواه ابن ماجه (١٩٦٨) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ: «تخيَّروا لِنُطفكم، وأنكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم»، وروى أبو الشيخ في «الأمثال» (١٦٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٤٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «الناسُ معادنُ والعرقُ دسَّاس...».

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ ....

انكِحُوها، ﴿أَوْ﴾ اقتَصِرُوا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ مِن الإماء؛ إذ ليسَ لَهُنَّ مِن الحُقُوق ما لِلزَّوجاتِ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نِكاحُ الأربعِ فقَط أو الواحِدةِ أو التَّسَرِّي ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقرَبُ إلى ﴿أَلَّا تَعُولُوا۟﴾: تَجُورُوا.

﴿٤﴾ ﴿وَءَاتُوا۟﴾: أعطُوا ﴿ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ جمع صَدَقةٍ: مُهُورَهنَّ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات) أي: فلا يجبُ العدل بينَهنَّ؛ لا في القَسْم، ولا في النفقة، ولا في الكسوة.

قوله: (﴿أَدْنَىٰٓ﴾) يتعدَّى بـ(إلى) واللام، تقول: دنَوتُ إليه ولَه[1].

قوله: (﴿أَلَّا تَعُولُوا۟﴾) العَولُ في الأصل معناه: الميلُ؛ من قولهم: عالَ الميزانُ عولاً: إذا مالَ، وعالَ في الحكم: إذا جارَ.

قوله: (تجوروا) أي: تظلموا، وفي الحديث: «**مَنْ لمْ يَعدِلْ بين نسائِهِ جاءَ يومَ القيامة وشقُّهُ ساقط**»[2].

قوله: (﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾) أتى بهذه الآيةِ استطراداً بينَ أحكام اليتامى لمناسبة ذكر النساء. و(آتى) بالمد مصدرُهُ: الإيتاءُ بمعنى: الإعطاء؛ فلِذا فسَّرَهُ به، وأما بالقصر فمصدرُهُ: الإتيانُ بمعنى: المجيء.

قوله: (جمع صدقة) إما بضمِّ الدال أو فتحها أو سكونها، ويُقال أيضاً: صَداق بفتح الصاد وكسرها، ومعنى الجميع: المَهرُ الذي يُجعلُ للمرأة في نظير البُضْع، وأقلُّهُ عند المالكية: ربعُ دينار شَرعي، أو ثلاثة دراهم شرعية، أو مُقوَّم بأحدهما، وعند الشافعي: يكفي أيُّ شيء مُتَموَّل ولو خاتماً من حديد، وعند الحنفية: عشرةُ دراهم شرعية، وأكثرُهُ لا حدَّ له، بل بحسَبِ ما تراضَوا عليه، والأمرُ للأزواج، فالمعنى: لا تنكحوا النساءَ إلا بمهر، وخصَّصت السنةُ نكاحَ التفويض، وهو العقدُ من غير تسمية مَهر، فهو صحيحٌ، لكن يَلزمُهُ بعدَ الدخول صداقُ المثل.

---

(١) وأدنى هنا اسم بمعنى أقرب، ولكن أفعل التفضيل إذا كان فعله يتعدى بحرف جرٍّ تعدَّى هو به، كذا في «الفتوحات» (١/ ٣٥٥) نقلاً عن العلامة الأجهوري، ويتعدَّى أيضاً بـ(مِن).

(٢) بنحوه رواه الترمذي (١١٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

﴿نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ ....

﴿نِحْلَةً﴾ ـ مَصدَر ـ: عَطِيَّةً عن طِيبِ نَفسٍ، ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ ـ تَمييزٌ مُحوَّل عَن الفاعِل ـ أي: طابَت أنفُسُهُنَّ لَكم عن شيءٍ مِن الصَّداقِ فوَهَبْنَه لَكم ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا﴾: طَيِّباً ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾: مَحمودَ العاقِبة لا ضَرَرَ فِيه علَيكم في الآخِرة. نَزَلَت رَدًّا على مَن كَرِهَ ذلك.

٥ ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟﴾ أيُّها الأولِياءُ ﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾: المُبَذِّرِين مِن الرِّجال والنِّساءِ والصِّبيانَ

حاشية الصاوي

قوله: (مصدر) أي: مؤكِّد لقوله: (آتوا) مِن معناه؛ كـ(جلَست قعوداً)، ويُسمَّى ذلك المصدرُ معنويًّا.

قوله: (عن طيب نفس) أي: خالصاً لا مِنَّةَ للزوج به عليها.

قوله: (﴿فَإِن طِبْنَ﴾) أي: النِّسوةُ، وقوله: (﴿مِّنْهُ﴾) الضميرُ عائدٌ على الصداق المعلومِ من قوله: (صدُقات)، ومِنْ: يُحتمل أن تكونَ للتبعيض، أو البيان، فيَحلُّ للمرأة الرشيدة بعدَ الدخول أن تعطيَ زوجَها المهرَ كلَّه أو بعضَهُ عند جَميع الأئمة إلا الليث، فعنده لا يحلُّ لها أن تُعطِيَهُ جميعَهُ، فـ(مِنْ) على ذلك يتعيَّنُ أن تكون للتبعيض لا للبيان.

قوله: (أي: طابت أنفسهن) هذا بيانٌ لكون ﴿نَفْسًا﴾ في الأصل فاعلاً.

قوله: (فوهبنه لكم) أي: اختياراً لا قهراً، وإلا.. فلا يحلُّ أخذُهُ، ويشترطُ أيضاً: أن تكونَ المرأةُ رشيدة بالِغة، وإلا.. فلا يحلُّ أخذه.

قوله: (﴿فَكُلُوهُ﴾) أي: انتفعُوا به، فأطلقَ الأكلَ وأرادَ مطلقَ الانتفاع.

قوله: (﴿مَّرِيٓـًٔا﴾) أي: ممروءاً لا غُصَّةَ فيه ولا عقبة؛ من قولهم: جرى الطعام في المريءِ؛ أي: العرق الأحمر الكائن تحت الحلقوم المسمَّى بالبلعوم، وهنيئاً مريئاً: حالان من مفعول (كُلُوه)، والمعنى: كُلوه حالَ كونِه هنيئاً حلالاً مريئاً سائغاً لا نكدَ فيه.

قوله: (في الآخرة) أي: ولا في الدنيا، فليس لِوَرثتها طلبُهُ.

قوله: (على من كره ذلك) أي: استنكافاً عنه، وجعله كالرجوع في الهبة.

قوله: (﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾) هذا رجوعٌ لتتميم أحكام اليتامى، وأصل (تُؤتوا): تُؤْتِيوا، استُثقلت الضمةُ على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان الياء والواو، حذفت الياءُ لالتقائهما.

قوله: (والصبيان) معطوف على (المُبَذِّرين).

أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ....

﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ أي: أموالَهم الَّتي في أيدِيكُم، ﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ مَصدَرُ (قامَ) أي: تَقُوم بِمَعاشِكم وصَلاحِ أولادِكُم، فيَضَعُوها في غَيرِ وَجهِها، ـ وفي قِراءة: (قِيَماً) جَمع قِيمَة: ما تُقَوَّمُ بِه الأمتِعةُ ـ ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: أطعِمُوهم مِنها، ﴿وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: عِدُوهُم عِدَةً جَمِيلة بِإعطائِهم أموالَهم إذَا رَشدُوا.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أموالهم) أي: وإنَّما نسبَها للأولياء؛ لأنهم هم المتصرِّفون فيها، فالإضافةُ ليست للمِلْك، وإنما هي لأدنى مُلابسة.

قوله: (﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾) ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: صيَّر، ولفظُ الجلالة: فاعله، و﴿قِيَٰمًا﴾: مفعولٌ ثانٍ، والمفعولُ الأول محذوف تقديرُهُ: جعلها، والضميرُ عائدٌ على الأموال، ويحتملُ أن ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى (خلق)، فـ﴿قِيَٰمًا﴾ حال، والمعنى: لا تُعطوا المبذِّرين والصبيان أموالَهم التي جعلَها الله مُقوِّمةً لمعاشهم وصلاحهم.

قوله: (أودكم) الأَوَدُ بفتحتين، أو بفتح فسكون معناه: العوجُ.

قوله: (وفي قراءة: «قِيَماً») أي: وهي سبعيةٌ أيضاً، وقُرِئَ شذوذاً: (قَواماً) بفتح القاف وكسرها، و(قِوَماً) كـ: عنباً[1]، وعمومُ الآية يشملُ مَنْ أعطى مالَ اليتيم لِسَفيهٍ مبذِّر يتَّجرُ له فيه وهو مشهورٌ بالسَّفهِ والتبذير؛ فإنَّ الوليَّ منهيٌّ عن ذلك ويَضمنُه؛ لِفَهمه بالأولى.

قوله: (﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾) حكمةُ التعبير بـ(في): أنه يَنبغي للوليِّ أن يعطيَ مالَ اليتيم لرجل أمين يتَّجرُ فيه، ويكون مَصرفُهُ من الربح لا من أصل المال، وفي الحديث: «**اتَّجروا في أموال اليتامى لا تأكلُها الزكاة**»[2] فالتجارةُ في أموال اليتامى مَطلوبةٌ عند جميع الأئمة.

قوله: (عِدُوهم عِدَةً جميلة) أي: كأنْ يقولَ له: مالُكَ عندي وأنا أمينٌ عليه، فإذا بلغتَ ورشَدت أعطيتُك مالكَ، وهكذا تطييباً لخاطرهم وجِدِّهم في أسباب الرشد.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر: (قيماً)، وباقي السبعة: (قياماً)، وابن عمر: (قواماً) بكسر القاف، والحسن وعيسى بن عمر: (قَواماً) بفتحها ويروى عن أبي عمرو، وقُرئ: (قِوَماً). انظر «الدر المصون» (٣/ ٥٨١).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤١٥٢) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً، ورواه مالك في «الموطأ» (١/ ٢٥١) من كلام عمر رضي الله عنه.

وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ ....

(٦) ﴿وَٱبْتَلُوا۟﴾: اختبِرُوا ﴿ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قبلَ البُلُوغ في دِينِهم وتَصرُّفِهم في أموالِهم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ أي: صارُوا أهلاً له بالاحتِلام أو السِّنِّ، وهو استِكمالُ خَمسَ عَشرة سَنةً عِندَ الشَّافعيِّ، ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾: أبصَرْتُم ﴿مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾: صَلاحاً في دِينِهم ومالِهم، ﴿فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾ أيُّها الأولياءُ ﴿إِسْرَافًا﴾ بِغيرِ حَقٍّ، ـ حالٌ ـ ﴿وَبِدَارًا﴾ أي: مُبادِرِين إلى إنفاقِها مَخافةَ ﴿أَن يَكْبَرُوا۟﴾ رُشَداءَ فيَلزمُكم تَسليمُها إليهِم، ﴿وَمَن كَانَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾) أي: ولا تتركوهم هَمَلاً، بل عَلِّموهم الصنائع وأمورَ الدين والدنيا، ولا تفرِّطوا في ذلك حتى يَبلغوا.

قوله: (بالاحتلام) أي: نزول المني.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟﴾) ﴿حَتَّىٰٓ﴾: ابتدائية، و﴿إِذَا﴾: شَرطية، وفعلُ الشرط قولُهُ: ﴿بَلَغُوا۟﴾، وجوابُها قولُهُ: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم... إلخ﴾، فشرطُ إعطاء الوليِّ المالَ لليتيم: بلوغُ النكاح، وعِلمُ الرشد.

قوله: (عند الشافعي) أي: وعند مالك وأبي حنيفة: ثمانيةَ عشرَ، ومِن علامة البلوغ: الحيضُ وكبرُ الثدي للإناث، ونباتُ العانة ونَتْنُ الإبْطِ وفرقُ الأرنبة وغِلَظُ الحَنْجَرة، فإذا وُجدت تلك العلاماتُ حُكمَ ببلوغه عند مالك، وأما عند الشافعي فلا يحكمُ بالبلوغ إلا بالاحتلام أو الحيض، أو بلوغِ خمس عشرة سنة[1]، وما عدا ذلك علامةٌ في البلوغ، ولا يُحكمُ عليه به.

قوله: (أبصرتم) المناسبُ أن يقولَ: عَلمتم؛ لأن الرشدَ يُعلمُ ولا يشاهدُ بالبصر.

قوله: (صلاحاً في دينهم ومالهم) هذا مذهبُ الشافعي، ويكفي عند مالك في الرشد: إصلاحُ المال فقط.

قوله: (﴿فَٱدْفَعُوٓا۟﴾) جوابُ الشرط الثاني.

قوله: (حال) أي: من الواو في (تأْكُلوا)، مُؤوَّلاً بـ(مُسْرفينَ).

قوله: (مخافة ﴿أَن يَكْبَرُوا۟﴾) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿أَن يَكْبَرُوا۟﴾ مفعولٌ لأجله، ومفعول

(١) في النسخ: (خمسةَ عشرَ سنة).

غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ . . .

مِن الأولياءِ ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي: يَعِفَّ عن مال اليَتيم، ويَمتَنِع مِن أكلِه، ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ مِنهُ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِقَدرِ أُجرةِ عَمَلِه، ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إلى اليَتامَى ﴿أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أنَّهُم تَسَلَّمُوها وبَرِئتُم؛ لِئَلَّا يَقَعَ اختِلافٌ فتَرجِعُوا إلى البيِّنَة، . . . .

حاشية الصاوي

﴿وَبِدَارًا﴾ محذوفٌ، تقديرُهُ: ولا تأكلوها حالَ كونكم مسرفين فيها مُبادرِين لأكلها مخافةَ طروِّ كبرهم عليكم فيأخذوها منكم.

قوله: (﴿أَن يَكْبَرُوا﴾) مضارع (كَبِرَ) بوزن: عَلِمَ، ومصدره: كِبَراً كـ: عِنَباً.

قوله: (من الأولياء) أي: أولياءِ الأيتام.

قوله: (أي: يعفَّ عن مال اليتيم) أي: يَتباعد عنه؛ لما فيه من الوعيد العظيم الآتي في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، فالواجبُ على الوليِّ إن كان غنيًّا التباعدُ عن مال اليَتيم بالمرَّة، بل ينبغي له ألا يخلطَ مالَهُ بماله، بل يُعطيه لغيره ليتَّجرَ له فيه، ويكونُ هو ناظراً عليه.

قوله: (ويمتنع من أكله) أي: فإذا أكلَهُ أو أطعمَهُ لغيره ولو لمن يصنعُ سبحاً أو جمعاً لوالد اليتيم.. ضمنَهُ إذا لم يُوصِ الميِّتُ بذلك[1]، وأما إن لم يكنْ لِليتامى وليٌّ وليس فيهم كبيرٌ رشيدٌ.. حَرُمَ الأكلُ من مالهم، وكلُّ من أكلَ شيئاً لزمَهُ عوضُه.

قوله: (بقدر أجرة عمله) أي: ما لم تزدْ على كفايتِه، وإلا.. فلَه كفايتُهُ فقط، وهذا مذهبُ الشافعية، وعند مالك: له أُجرةُ مثله مطلقاً، زادَتْ عن كِفايتِه أو لا.

قوله: (﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ﴾) مُرتَّبٌ على قوله: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾، والمعنى: فإذا أردتُم الدفع فأشهدُوا.

قوله: (لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البينة) هذا هو المشهورُ في المذاهب: أن الوليَّ لا يصدَّقُ في الدفع إلا ببيِّنةٍ تَشهدُ أنه دفعَهُ لهم بعد رُشدهم، وإن لم تكن بَيِّنةٌ غرِمَهُ، وهناك قولٌ ضعيف عند مالك وهو أنه يصدَّقُ في الدفع بيَمين، فعلَّةُ الإشهاد على هذا القول: لئلا يحلفَ الوليُّ.

---

(١) السبح والجمع: المجالسُ التي تعقد ليكون ثوابها للميت كما هو ظاهر، والله أعلم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ﴾

وهذا أمرُ إرشادٍ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ ـ الباءُ زائِدة ـ ﴿حَسِيبًا﴾: حافِظاً لِأعمالِ خَلْقِه ومُحاسِبَهم.

﴿٧﴾ ونَزَلَ ردًّا لِما كان علَيه الجاهلِيَّةُ مِن عَدَم تَورِيثِ النِّساء والصِّغار: ﴿لِّلرِّجَالِ﴾ الأولادِ والأقرباءِ ﴿نَصِيبٌ﴾: حَظٌّ ﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ المُتَوَفَّونَ، ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ﴾ ....

حاشية الصاوي

والفرقُ بين الأَمين والوصيِّ: أن الوصيَّ لمَّا كان له التصرُّف في مال اليتيم كان ضامناً له إلا ببيِّنة تشهدُ بالدفع، والأمينُ لا تصرُّفَ له في الأمانة، فصُدِّقَ بيمينٍ في الدفع؛ ولِذا إذا تصرَّفَ فيها كانت متعلِّقَةً بذِمَّته، فلا يُصدَّقُ في دفعها إلا ببَيِّنة كالدَّيْن.

قوله: (وهذا أمر إرشاد) أي: تعليمٌ لمصالح الدنيا، فهو أمر نَدب.

قوله: (الباء زائدة) أي: في فاعل (كفى)، فلفظ الجلالة: فاعلٌ مرفوع بضمة مقدَّرة على آخره منعَ من ظُهورها اشتغالُ المحلِّ بحركة حرف الجرِّ الزائد، وفي قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ وعدٌ حسنٌ لمن كان سليماً ولم يَلتمِسْ من مال اليتيم شيئاً وقد اتهمَهُ اليتيمُ بأكلِه ظلماً وعُدواناً[1]، ووعيدٌ لمن أكلَهُ وظلَمَهُ وإن لم يَثبتْ عليه ذلك.

قوله: (﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾) سببُ نزولها: أن أوسَ بن ثابت تُوفِّي وتركَ امرأتَهُ واسمُها أم كُحَّة وثلاثَ بنات[2]، وأقامَ وَصِيَّيْنِ واسمُهما سويدٌ وعرفجةُ ولدَا عمِّه، فأخذا المالَ جميعَهُ، فجاءت المرأةُ للنبيِّ ﷺ وقالت: مات أوسُ بنُ ثابت وترك ثلاثَ بنات وأنا امرأتُهُ، ولم يكن عندي ما أُنفقُهُ عليهنَّ وتركَ مالاً حسناً، فأخذَهُ سويدٌ وعرفجةُ ولم يُعطياني ولا بناتي شيئاً، فدَعاهما النبيُّ، فقالا: أولادها لا يركبنَ فرساً ولا يحملن كلاًّ ولا ينكينَ عدوًّا، فنزلت هذه الآيةُ، وبيَّنَ أن الإرثَ غيرُ مختصٍّ بالرجال البالغِين، وأوقف النبيُّ التركةَ حتى نزلت: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ...﴾ الآية، فأعطى الزوجة الثمنَ، والبنات الثلثَين، وابنا عَمِّه ما بقيَ[3].

قوله: (للأولاد) أخذَه من قوله: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ﴾، وقوله: (والأقرباء) أخذَه من قوله: ﴿وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾.

---

(١) في (ط١): (ولو اتهمه) بدل (وقد اتهمه).

(٢) كُحَّة: بضم الكاف وتشديد الحاء كما في «السراج المنير» (١/ ٢٨٣)، وعَرفجة الآتي ورد في بعض الروايات: عُرْفُطة، وقيل: اسم أم كُحَّة: ثعلبةُ، وهذه كُنيتها، وفي «الإصابة» (٨/ ٤٥٦): (كُجَّة) بالجيم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٩٨)، وانظر «تفسير البغوي» (١/ ٥٧١).

﴿وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ۝٧ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝٨ وَلۡيَخۡشَ﴾ ....

﴿وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ﴾ أي: المالِ ﴿أَوۡ كَثُرَۚ﴾، جعَلَهُ الله ﴿نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾: مَقطوعاً بتسليمِه إليهم.

﴿٨﴾ ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ﴾ لِلميراثِ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: ذَوُو القَرابة مِمَّن لا يرِثُ، ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ﴾ شَيئاً قَبل القِسمةِ، ﴿وَقُولُواْ﴾ أيُّها الأولِياءُ ﴿لَهُمۡ﴾ إذا كان الوَرثةُ صِغاراً ﴿قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾: جَميلاً، بِأن تَعتَذِرُوا إليهِم أنَّكم لا تَملِكُونَه وأنَّهُ لِصِغارٍ، وهذا قِيل: إنَّهُ مَنسُوخٌ، وقِيل: لا، ولَكِن تَهاوَنَ النَّاس في تَركِه، وعليه فهو نَدبٌ، وعن ابنِ عبَّاس: واجِبٌ.

﴿٩﴾ ﴿وَلۡيَخۡشَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ﴾) بدلٌ من قوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾.

قوله: (﴿نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾) مفعولٌ ثانٍ لفعل محذوف قدَّره بقوله: (جعله الله).

قوله: (﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾) معنى ذلك: إذا مات الميتُ وترك من يرثُ ومن لا يرث وحَضر جميعُهم قسمةَ الميراث.. طلبَ الشارعُ إعطاءَ مَنْ لا يَرِثُ وكذا المساكينُ واليتامى شيئاً قبلَ القسمة؛ جبراً لِخاطرهم، باجتهاد مَنْ يقسمُ التركةَ بحَسبِ قلَّةِ المال وكَثرته، واختُلفَ هل هذا منسوخٌ؟ وهو الحقُّ، وقيل: ليس بمَنسوخ، واختلفَ هل هذا على الأمر للوجوب، أو النَّدب؟ وهو المعتمَدُ على هذا القول.

قوله: (إذا كانت الورثة صغاراً) أي: والتركةُ قليلة.

قوله: (﴿وَلۡيَخۡشَ﴾) قرأ السبعةُ بسكون اللام، وغيرُهم بكسرها، وعلى كلٍّ: اللام للأمر[١].

وسببُ نزولها: أنه كان في الجاهلية إذا حضرَ أحدَهم الموتُ وقد حضرَهُ جماعةٌ.. حمَلوه على تفرقة مالِه للفقراء وللمساكين، ويحرمون أولادَهُ منه، فيترتَّبُ على ذلك كونُهم بعد مَوته عالةً على الناس ويَضيعون، فنزلت الآيةُ تحذيراً لمن يحملُ الميتَ على ذلك من وصيٍّ أو غيره،

---

(١) «الدر المصون» (٣/٥٩٠).

﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ ....

أي: لِيَخفْ على اليَتامَى ﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟﴾ أي: قارَبُوا أن يَترُكُوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: بعدَ مَوتِهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا﴾: أولاداً صِغاراً ﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ الضَّياعَ، ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أمر اليَتامَى ولْيَأتوا إليهم ما يُحِبُّونَ أن يُفعَلَ بِذُرِّيَّتِهم مِن بَعدِهم، ﴿وَلْيَقُولُوا۟﴾ لِلميِّتِ ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾: صَواباً، بِأن يَأمُرُوهُ أن يَتصدَّق بِدُونِ ثُلُثِه، ويَدَعَ الباقِيَ لِوَرثَتِه ولا يَترُكَهُم عالَةً.

حاشية الصاوي

فإنه كما يَدينُ الفتى يُدان، فكما يتقي اللهَ في يَتامى غيره.. فجزاؤُهُ أن يُقيِّضَ اللهُ له مَن يتقي الله في أولادِه[١].

قوله: (أي: ليخف على اليتامى) المعنى: ليخف اللهَ على اليتامى.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟﴾) ﴿لَوْ﴾: شرطية بمعنى (إنْ)، فنَقلت الماضي للاستقبال، كما قال ابن مالك وجماعة، فـ﴿تَرَكُوا۟﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿خَافُوا۟﴾ جوابُهُ، وقوله: ﴿فَلْيَتَّقُوا۟﴾ مرتَّبٌ عليه.

قوله: (﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ الضياع) إن قُلتَ: ما ذنبُ اليتيم حتى يُعاقَب بالضياع؟

أجيبَ بأن ذلك تعذيبٌ لأبيه؛ لأنَّ ما يُؤذي الحيَّ يؤذي الميتَ، وليس تعذيباً لهم، بل قد يكون رِفعةً لهم إن اتقوا الله.

قوله: (وليأتوا إليهم ما يحبون... إلخ) أي: يَفعلوا بهم ما يحبُّون أن يُفعلَ بذريَّتهم بعد مَوتهم.

قوله: (للميت) ويحتملُ أن يكونَ للميتامى؛ بأن يَقُولوا لهم: لا تخافوا ولا تَحزنوا، فنحن مثلُ آبائكم.

قوله: (ولا يتركهم عالة) أي: فقراءَ يَتكفَّفون وجوهَ الناس.

---

(١) وهذا المعنى روي عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وغيرهم، ورُوي ضدُّه عن مقسم وسليمان التيمي، بأنه نهي لحاضري الموصي أن يمنعوه من الوَصية لأقاربه. انظر «زاد المسير» (١/ ٣٧٦).

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ....

﴿١٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ﴾ أي: مِلأَها ﴿نَارٗا﴾؛ لِأَنَّه يَؤُولُ إليها، ﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ﴾ ـ بالبناءِ لِلفاعلِ والمَفعولِ ـ: يَدخُلونَ ﴿سَعِيرٗا﴾: ناراً شَدِيدةً يَحترِقُون فيها.

﴿١١﴾ ﴿يُوصِيكُمُ﴾: يَأمُرُكُم ﴿ٱللَّهُ فِيٓ﴾ شَأن ﴿أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ بِما يُذكَرُ: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ﴾) نزَلت في حقِّ رجل من غَطفان، مات أخوه وترك ولداً يتيماً، فأكل عمُّهُ مالَهُ[1]، والمعنى: يُتلفون أموالَهم، فالتعبيرُ بالأكل عن الإتلاف مجازٌ.

قوله: (﴿ظُلۡمًا﴾) يحتمل أنْ يكونَ مفعولاً لأجله؛ أي: لأجل الظلم، ويحتملُ أن يكون حالاً من ﴿يَأۡكُلُونَ﴾، أي: حالَ كون الأكل ظلماً.

قوله: (﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ﴾) هذه الجملةُ خبرُ ﴿إِنَّ﴾ الأُولى، والتعبيرُ بالأكل مجازٌ باعتبار ما يَؤولُ إليه، أو المعنى: يأكلون سببَ النار.

قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (ناراً شديدة) أشارَ بذلك إلى أنه ليس المرادُ خصوصَ الطبقة المسمَّاة بذلك؛ لأنها لعبَّاد الوثن خاصَّة، وربَّما كان أكلُ مال اليتيم مُسلماً، والحاصلُ: أنه تارةً تطلقُ تلك الأسماء على ما يعمُّ جميعَ الطبقات، وتارة تُطلقُ على مُسمَّياتها خاصَّة.

قوله: (يحترقون فيها) أي: إن لم يَتوبوا، رُوي أن آكلَ مال اليتيم يبعثُ يومَ القيامة والدخانُ يخرجُ من قبره ومِن فَمه وأنفه وأُذنيه وعينيه، فيعرفُ الناسُ أنه كان يأكلُ مالَ اليتيم في الدنيا[3].

قوله: (﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾) هذا شروعٌ في تفصيل ما أُجملَ أَوَّلاً في قوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ... إلخ﴾.

قوله: (يأمركم) أي: على سبيل الوجوب.

---

(١) وهو مرثد بن زيد، روي هذا عن مقاتل بن حيان. انظر «تفسير البغوي» (١/٥٧٣).

(٢) قرأ ابن عامر وأبو بكر بالبناء للمفعول، والباقون بالبناء للفاعل. انظر «الدر المصون» (٣/٥٩٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٨٨٢) عن السدي.

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ ....

﴿لِلذَّكَرِ﴾ مِنهُم ﴿مِثْلُ حَظِّ﴾: نَصِيبِ ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ إذا اجتَمَعَتا معَه، فلَهُ نِصفُ المالِ ولَهُما النِّصفُ، فإن كان معَه واحِدةٌ فلَها الثُّلُثُ ولَه الثُّلُثانِ، وإنِ انفَرد حازَ المالَ، ﴿فَإِن كُنَّ﴾ أي: الأولادُ ﴿نِسَآءً﴾ فقَط ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ المَيِّتُ، وكذَا الِاثنَتانِ لِأنَّهُ لِلأُختَينِ بِقَولِه: ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾، فهُما أولَى، ولِأنَّ البِنتَ تَستَحِقُّ الثُّلُثَ مع الذَّكَرِ فمع الأُنثَى أولَى، و﴿فَوْقَ﴾ قِيل: صِلةٌ، وقِيل: لِدَفعِ تَوَهُّمِ زِيادةِ النَّصِيبِ بِزِيادةِ العَدَدِ لَمَّا فُهِمَ استِحقاقُ البِنتَينِ الثُّلُثَينِ مِن جَعلِ الثُّلُثِ لِلواحِدةِ مع الذَّكَرِ، ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ المَولُودةُ ﴿وَٰحِدَةً﴾ ـ وفي قِراءة بِالرَّفعِ، فـ(كانَ) تامَّةٌ ـ ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي: المَيِّتِ ويُبدَل

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾) هذا كلامٌ مُستأنفٌ واقعٌ في جواب سؤال مقدَّر.

قوله: (فله نصفُ المال... إلخ) أي: إن لم يكن مَعهم صاحبُ فرض، وإلا.. فيأخذُ فرضَهُ، ثم الباقي يُقسم للذكر مثلُ حظِّ الأُنثيَين.

قوله: (﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾) (إن): حرفُ شرط، و﴿كُنَّ﴾: فِعل الشرط، و﴿نِسَآءً﴾: خبرُ ﴿كُنَّ﴾، واسمُها: النون، و﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾: صفةٌ لـ﴿نِسَآءً﴾، وقولُه: ﴿فَلَهُنَّ﴾ جوابُ الشرط.

قوله: (أي: الأولاد) أي: بَعضهم، ففي الكلام استخدامٌ، فذكرَ الأولاد بمعنًى، وأعاد الضميرَ عليه بمعنًى آخرَ، نَظير قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ بعد قولِه: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قوله: (لأنه للأختين) أي: الفرضَ المذكور، وهَذان وجهان، أحدُهما: القياسُ على الأختَين، والثاني: القياسُ على البِنت الواحدة، وهما على كون (فوق) ليست صِلة.

قوله: (وقيل: لدفع توهم زيادة النصيب) هذا القيلُ محتملٌ لأن تكونَ أصليةً أو زائدة، فالمعنى: إن ما فوق البِنتَين حكمُهما حكمُ البنتَين.

قوله: (وفي قراءة بالرفع) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

(١) قرأ نافع بالرفع على أن (كان) تامة، والباقون بالنصب. انظر «الدر المصون» (٣/ ٥٩٩).

لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ ....

مِنهُما ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذَكَر أو أُنثى، ونُكتةُ البَدَل إفادةُ أنَّهما لا يَشتَرِكانِ فيهِ، وأُلحِق بِالوَلَدِ ولَدُ الابن، وبِالأبِ الجَدُّ، ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ فقَط أو مع زَوجٍ ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ ـ بِضَمِّ الهَمزة وكَسرِها فِراراً مِن الانتِقال مِن ضَمَّةٍ إلى كَسرة لِثِقَلِه في المَوضِعَينِ ـ ﴿ٱلثُّلُثُۚ﴾ أي: ثُلُثُ المالِ أو ما يَبقَى بعد الزَّوجِ والباقِي لِلأبِ، ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ أي: اثنانِ فصاعِداً ....

حاشية الصاوي

قوله: (ذكر أو أنثى) أي فإن كان الولدُ ذكراً أخذَ ما فضلَ عن سُدسيهما، وإن كانت أنثى أخذت النصفَ فرضها، والأمُّ سدسَها، والأبُ الباقيَ فرضاً وتعصيباً.

قوله: (وأُلحقَ بالولد ولدُ الابن... إلخ) أي: بالقياس المساوي.

قوله: (بضم الهمزة وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (فراراً) راجعٌ للكسر، وقوله: (في الموضعين) أي: في قوله: ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾، وقوله: ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾.

قوله: (أو ما بقي بعد الزوج) أي: أو الزوجة، وهما الغرَّاوان، وقد أشارَ لهما صاحب «الرحبيَّة» بقوله: [الرجز]

وَإِنْ يَكُنْ زَوْجٌ وَأُمٌّ وَأَبْ ... فَثُلُثُ البَاقِي لَهَا مُرَتَّبُ
وَهَكَذا مَعْ زَوْجَةٍ فَصَاعِدَا ... فَلا تَكُنْ عَنِ العُلُومِ قَاعِدَا[2]

وثلثُ الباقي في الحقيقة إما ربعٌ أو سُدسٌ، وقد انعقدَ الإجماعُ على ذلك.

قوله: (﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾) تقدَّمَ أن الأُمَّ يفرضُ لها ثلثُ جميع المال، أو ثلثُ الباقي إن لم يكن للميت فرعٌ وارث، وأفادَ هنا: أنه مع وجود الإخوة يفرضُ لها السدس، فيفهمُ منه أنه عند عدمَ الإخوةِ أيضاً يكون لها الثلث، فتَحصَّلَ أن لها الثلثَ بشرطين عدميَّين وهما: عدمُ الإخوة، وعدمُ الفرع الوارث.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي في الوصل بكسر الهمزة؛ فراراً من ضمة إلى كسرة لِثِقله في الموضعين، والباقون بضمها. انظر «السراج المنير» (١/ ٢٨٦)، وأيضاً «الدر المصون» (٣/ ٦٠١).

(٢) «الرحبيَّة»: (باب الثلث).

﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ ....

ذُكُورٌ أو إناثٌ ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ والباقِي لِلأبِ، ولا شَيءَ لِلإخوةِ، وإرث مَن ذُكِرَ ما ذُكِرَ ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ تَنفِيذِ ﴿وَصِيَّةٖ يُوصِي﴾ - بِالبناءِ لِلفاعِلِ والمَفعُولِ - ﴿بِهَآ أَوۡ﴾ قَضاءِ ﴿دَيۡنٍ﴾ علَيه، وتَقدِيمُ الوَصِيَّة على الدَّين وإن كانَت مُؤخَّرةً عنهُ في الوَفاء ....

حاشية الصاوي

قوله: (ذكوراً وإناث) أي: أشقاءَ أو لأبٍ أو لأم.

قوله: (ولا شيء للإخوة) أي: مطلقاً؛ لكونهم محجوبِين بالأب، ولذلك قال في «التلمسانيَّة»: [الرجز]

وَفِيهِمُ فِي الحَجْبِ أَمْرٌ عَجَبُ   لِكَوْنِهِمْ قَدْ حُجِبُوا وَحَجَبُوا[1]

فلو كان بدلَ الأَبِ جدٌّ.. لَكان مثلَهُ عند أبي حنيفة، وعند الأئمة الثلاثة: يَشترك مع الإخوة على تفصيل في ذلك مذكورٍ في الفروع.

قوله: (﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ﴾) متعلِّقٌ بمحذوف قدَّره المفسرُ بقوله: (وإرثُ مَنْ ذُكِرَ... إلخ)، وهو قيدٌ في جميع ما تقدَّم.

قوله: (تنفيذ وَصية) أي: وتخرجُ من رأس المال إن حملَها الثلثُ.

قوله: (وشرطها: ألاَّ تكون في مَعصية) فلو وصَّى بمال يُصرفُ على الكنيسة أو على من يَشربُ الخمرَ أو غير ذلك.. فلا تَنفذُ.

قوله: (بالبناء للمفعول والفاعل) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان؛ فعلى الأُولى: نائبُ الفاعل الجارُّ والمجرور، قال ابن مالك: [الرجز]

وَقَابِلٌ مِنْ ظَرْفٍ اَوْ مِنْ مَصْدَرِ   أَوْ حَرْفِ جَرٍّ بِنِيَابَةٍ حَرِي[2]

وعلى الثانية: الفاعلُ ضميرٌ يعودُ على الميت[3].

قوله: (وتقديم الوصية) أي: في اللَّفظ، وإلا.. فـ(أوْ) لأحدِ الشيئين، لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، والمعنى: وإرْثُ ما ذُكرَ يَحصلُ من بعد وصيةٍ إن كانت، أو دَينٍ إن كان، فإن اجتمعت الوصيةُ والدَّين قُدِّمَ الدَّينُ.

---

(١) «التلمسانية في الفرائض» لأبي إسحاق التلمساني (ت ٦٩٩هـ).

(٢) «الخلاصة»: (باب النائب عن الفاعل).

(٣) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالبناء للمفعول، والباقون بالبناء للفاعل، انظر «الدر المصون» (٣/ ٦٠٣).

ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ....

لِلاهتِمامِ بِها. ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ مُبتَدأٌ خَبرُه: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ﴾ في الدُّنيا والآخِرة، فظانٌّ أنَّ ابنَه أنفعُ لَه فيُعطِيه المِيراثَ فيَكُون الأب أنفَعَ، وبِالعَكسِ، وإنَّما العالِم بِذلك اللهُ، ففَرَضَ لَكم المِيراثَ ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِخَلقِه ﴿حَكِيمًا﴾ فِيما دَبَّرَهُ لَهُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (للاهتمام بها) أي: وشأنُ الورثة الشُّحُّ بها ومنازعةُ المُوْصى له، بخلاف الدَّين.

قوله: (﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾) هذه الجملةُ معترضةٌ بين قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾، وقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾.

قوله: (﴿أَيُّهُمْ﴾) اسمُ الاستفهام: مبتدأ، و﴿أَقْرَبُ﴾: خبره، و﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور مُتعلق بـ﴿أَقْرَبُ﴾، و﴿نَفْعًاۚ﴾: تمييز، والجملةُ في محلِّ نصبٍ سدَّتْ مَسدَّ مفعولي ﴿تَدْرُونَ﴾، والمعنى: لا تَدرون أقربيَّةَ نفعهم لكم، ويحتملُ أنها اسم موصول مفعول أول لـ﴿تَدْرُونَ﴾، والمفعول الثاني محذوف، والمعنى: لا تَدرون الذي هو أقربُ لكم نفعاً؛ الآباء أو الأبناء؟

قوله: (في الدنيا) أي: كحُسنِ القيام بالمصالح، والإحسان إليه بعد مَوته، وقوله: (أو الآخرة) أي: كالشفاعة، أو في الدنيا والآخِرة؛ لما ورَدَ: أن أحدَ الوالدَين أو الولدين إذا كان أرفعَ درجةً من الآخر في الجنة.. سألَ أن يرفع إليه، فيُرفعُ الآخرُ بشَفاعته[1].

قوله: (فظانّ) إما بالرفع صفةٌ لموصوف محذوف مبتدأ؛ أي: ففريق ظانٌّ، أو بالجرِّ مجرور بـ(رُبَّ)، وقوله: (فيكون الأب أنفعَ) أي: في الواقع ونفسِ الأمر.

قوله: (وبالعكس) أي: وفريق ظان أنَّ أباه أنفعُ، فيُعطِيه الميراث، فيكون الابنُ أنفعَ.

قوله: (﴿فَرِيضَةً﴾) مفعولٌ لفعل محذوف قدَّرَهُ بقوله: (ففرض لكم الميراث)، وهو راجعٌ لِقوله: ﴿يُوصِيكُمُ﴾، فيحتمل أنه مصدرٌ مؤكِّدٌ لعامل من لَفظه، ودرجَ على ذلك المفسِّر، أو من معناه، تقديرُهُ: يُوصيكم فريضةً؛ لأنَّ الإيصاءَ معناه: الأمرُ.

---

(١) روى الطبراني في «الكبير» (١٢٢٤٨)، وابن مردويه في «تفسيره» عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك، فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به».

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ....

أي: لَم يَزَل مُتَّصِفاً بِذلك.

(١٢) ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ مِنكُم أو مِن غَيرِكم، ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾، وأُلحِق بِالوَلَدِ في ذلك ولَدُ الابن بِالإجماع، ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: الزَّوجاتِ تَعَدَّدنَ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لم يزل متَّصفاً بذلك) دفعَ به ما قد يُتوهَّمُ مِنْ (كانَ) الاتصافُ بذلك في الزمن الماضي وانقطع، فأفاد: أن صفاتِ الله لا تتقيَّدُ بزمان، فهي للاستمرار، وبعضُهم يجعلُها في صفات الله زائدةً[١].

قوله: (﴿وَلَكُمْ نِصْفُ﴾) هذا أيضاً من جُملة التفصيل لما أُجملَ في قوله أوّلاً: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾.

قوله: (﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ﴾) أي: للزوجات، والمراد الجنس، وقوله: (﴿وَلَدٌ﴾) أي: واحدٌ أو متعدِّدٌ، ذكراً أو أنثى، فالزوجُ يأخذُ النصفَ بشرطٍ عدميٍّ.

قوله: (أو من غيركم) أي: ولو من زناً؛ فإنَّ ولدَ الزنا ينسب لأمِّه.

قوله: (﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾) هذا مفهومُ قوله: ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾، صرَّحَ به لإفادة الحكم فيه.

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾) تقدَّمَ أنه متعلِّقٌ بمحذوف، تقديرُهُ: وهذا الاستحقاقُ يكون بعد تَنفيذ وصية.

قوله: (ولد الابن) أي: ذكراً كان ذلك الولد أو أنثى؛ فإن بنتَ الابن كابن الابن، وأما أولادُ البنت ذكوراً أو إناثاً.. فلا يُحجبُ الزوجُ بهم عن نِصفِه؛ ولِذلك قال الجعبري: [الطويل]

بَنُونا بَنُو أَبْنائِنا وَبَناتُنا ... بَنُوهُنَّ أَبْناءُ الرِّجالِ الأَباعِدِ[٢]

---

(١) أي: إذا دخلت (كان) على صفات الحق تعالى فهي زائدة، وانظر «الفتوحات» (١/ ٣٦٣).

(٢) كذا في النسخ نسبة البيت للجعبري، وفي «خزانة الأدب» (الشاهد الثالث والسبعون) أنه لا يُعرف قائله على شُهرته، ونقل أنه للفرزدق عن بعضهم.

ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ ....

أو لا ﴿ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٌ﴾ مِنهُنَّ أو مِن غيرِهنَّ، ﴿فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ﴾، ووَلَدُ الِابن في ذلك كالوَلَدِ إجماعاً، ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾ ـ صِفةٌ والخبرُ: ـ ﴿كَلَٰلَةً﴾ أي: لا والِدَ لَه ولا ولَدَ، ﴿أَوِ ٱمۡرَأَةٞ﴾ تُورَث كَلالةً ﴿وَلَهُۥٓ﴾ أي: لِلمَورُوثِ كَلالةً ﴿أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾

حاشية الصاوي

وكلامُ المفسِّر في غاية الحسن، حيث قال: (وولد الابن) ولم يقُل كالخازن: (وولد الولد)؛ لأنه يشملُ أولادَ البنات، وهو غيرُ صحيح[1].

قوله: (﴿إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٌۚ﴾) أي: ذكر أو أنثى، واحدٌ أو متعدد.

قوله: (منهن أو من غيرهن) المناسبُ تقديمُهُ عند قوله: ﴿إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٌۚ﴾؛ ليكونَ على منوال ما تقدَّمَ له في نَظيره، وقوله: (أو من غيرهن) أي: نَسيب، فإنْ كان من زناً.. فلا يحجبُ الزوجة من الربع إلى الثُّمن؛ لأنه لا يَلحقُ بأبيه ولا يرثُ منه، ومن لا يرثُ لا يحجبُ وارثاً.

قوله: (وولد الابن كالولد) أي: وأما أولادُ البنات.. فليسوا مثلهم؛ لأنهم من ذَوي الأرحام.

قوله: (﴿يُورَثُ﴾ صفة) أي: ويصحُّ أن يكون خبراً، وقوله: (﴿كَلَٰلَةً﴾) حال من الضمير في ﴿يُورَثُ﴾.

قوله: (والخبر ﴿كَلَٰلَةً﴾) أي: واسمُها: ﴿رَجُلٌ﴾، وهذا على أنها ناقِصة، وأما على أنها تامة فـ﴿رَجُلٌ﴾: فاعل، و﴿يُورَثُ﴾: صفته، و﴿كَلَٰلَةً﴾: حال.

قوله: (أي: لا والد له ولا ولد) هذا هو راجحُ الأقوال في تفسير الكلالة، والحاصل: أنه اختلفَ الناسُ في معنى الكلالة، فقال جمهورُ اللغويين: إنه الميتُ الذي لا ولدَ له ولا والد، وقيل: الذي لا والدَ له فقط، وقيل: الذي لا ولدَ له فقط، وقيل: هو الذي لا يرثُهُ أبٌ ولا أمٌّ، وعلى هذه

(١) كذا نقله العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٣٦٣) عن العلامة الأجهوري، وعبارة العلامة الخازن في «تفسيره» (١/ ٣٥١): (واسم الولد يطلق على الذكر والأنثى، ولا فرق بين الولد وولد الولد وولد البنت في ذلك)، فتأمل.

﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢﴾

أي: مِن أُمٍّ، وقرأ به ابن مَسعود وغيرُه، ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ﴾ مِمَّا ترك، ﴿فَإِن كَانُوٓاْ﴾ أي: الإخوةُ والأخواتُ مِن الأُمِّ ﴿أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي: مِن واحدٍ ﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾، يَستوي فِيه ذَكَرُهم وأُنثاهم، ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ ـ حال مِن ضَمِير ﴿يُوصِى﴾ ـ أي: غيرَ مُدخلِ الضَّررَ على الوَرثةِ، بِأن يُوصِي بِأكثر مِن الثُّلُث، ﴿وَصِيَّةٗ﴾ مَصدر مُؤكِّد لـ﴿يُوصِيكُمُ﴾ ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما دبَّره لِخَلقِه مِن الفَرائِض، ﴿حَلِيمٞ﴾ بِتأخِيرِ العُقوبة عمَّن خالَفَه. وخَصَّت السُّنَّةُ تَوريث مَن ذُكِرَ بِمَن ليس فِيه مانِعٌ ....

حاشية الصاوي

الأقوال كلِّها: فالكلالةُ واقعةٌ على الميت، وقيل: الكلالة: الورثةُ ما عدَا الأبوين والولد، وسُمُّوا بذلك؛ لأنَّ الميتَ بذهاب طرفيه تكلَّلَهُ الورثةُ؛ أي: أحاطوا به من جميع نَواحيه[(١)]، ويُؤيِّدُ الذي مشى عليه المفسرُ: أن الآية نزلت في جابر رضي الله عنه ولم يكن له يومَ نزلت أبٌ ولا ابن[(٢)].

قوله: (وقرأ به ابن مسعود وغيره) أي: قراءةٌ شاذة، وإنما استدلَّ بهذه القراءةِ؛ لأنها بمنزلة رواية الآحادِ، وروايةُ الآحاد يُستدلُّ بها؛ لأنها منقولةٌ عن النبيِّ ﷺ[(٣)].

قوله: (أي: من واحد) أي: لأن (أو) في الآية لأحد الشيئَين، فإذا اجتمع ذكرٌ وأنثى من ولد الأم.. كان لهما الثلثُ، وكذا إن زادُوا عن ذلك، ويسقطُ الأخوةُ للأم بستةٍ: الابن، وابن الابن، والبنت، وبنت الابن، والأب، والجد.

قوله: (من ضمير ﴿يُوصِى﴾) أي: وهو عائدٌ على الميت.

قوله: (أي: غير مدخل الضرر) أشارَ بذلك إلى أن ﴿مُضَآرّٖۚ﴾ اسمُ فاعل.

قوله: (بأن يوصيَ بأكثرَ من الثلث) هذا تصويرٌ لإدخال الضرر، ويبطلُ ما زادَ على الثلث إن لم يُجِزْهُ الورثةُ.

---

(١) «المصباح المنير»: (ك ل ل)، و«الفتوحات الإلهية» (١/ ٣٦٣).

(٢) رواه البخاري (٥٦٧٦)، ومسلم (١٦١٦).

(٣) نسب العلامة الحلبي في «الدر المصون» (٣/ ٦١١) هذه القراءة لأبي وسعد بن أبي وقاص.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ ....

مِن قَتلٍ، أو اختِلافِ دِين، أو رِقٍّ.

﴿١٣﴾ ﴿تِلْكَ﴾ الأحكامُ المَذكورةُ مِن أمر اليَتامَى وما بعدَه ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ شَرائِعُه التي حَدَّها لِعِبادِه لِيَعمَلُوا بِها ولا يَتعدَّوها، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فِيما حَكَمَ بِه، ﴿يُدْخِلْهُ﴾ ـ بالياءِ، والنُّونِ التِفاتاً ـ ﴿جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿١٤﴾ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ ـ بالوَجهَينِ ـ ﴿نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ﴾ فِيها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذُو إهانة، ورُوعِيَ في الضَّمائِرِ في الآيَتَينِ ......

حاشية الصاوي

قوله: (من قتل) أي: فلا يرثُ القاتلُ من تركة المقتول شيئاً كما في الحديث[1].

قوله: (أو اختلاف دين) أي: بالإسلام والكفر، فلا يرثُ المسلمُ الكافرَ، ولا العكس.

قوله: (أو رقٍّ) أي: فلا يرثُ الرقيقُ من تركة الحرِّ شيئاً، ولا العكس.

قوله: (وما بعده) أي: من المواريث والوَصايا.

قوله: (التي حدَّها لعباده) أي: بيَّنَها وفصَّلَها.

قوله: (بالياء والنون) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2]، وقوله: (التفاتاً) راجعٌ للنون، وهو التفاتٌ من الغيبة للتكلُّم.

قوله: (﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾) أي: من تحت قُصُورها.

قوله: (بالوجهين) أي: الياء والنون.

قوله: (﴿خَـٰلِدًا فِيهَا﴾) المرادُ بالخلود: طولُ المكث إن مات مسلماً، وعلى حقيقته: إن مات كافراً، وحكمةُ الإفراد في جانب العذاب: أنه كما يعذَّبُ بالنار يعذَّبُ بالغربة، وحكمةُ الجمع في جانب النَّعيم: أنه كما ينعَّمُ بالجنة ينعَّمُ باجتماعه مع أحبابِه فيها، ويَزورُهم ويزورونه.

---

(١) رواه الترمذي (٢١٠٩) عن أبي هريرة مرفوعاً: «القاتل لا يرث».

(٢) قرأ أهل المدينة وابن عامر بالنون، والباقون بالياء، وكذا في الموضع الآتي. «تفسير البغوي» (٢/ ١٨١).

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ ....

لَفظُ (مَن)، وفي ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مَعناها.

١٥ ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾: الزِّنى ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡ﴾ أي: مِن رِجالِكُم المُسلِمين، ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ عليهِنَّ بِها ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾: احبِسُوهُنَّ ﴿فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾، وامنَعُوهُنَّ مِن مُخالَطةِ النَّاس، ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: مَلائكتُه، ﴿أَوۡ﴾ إلى أنْ ﴿يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾: طَريقاً إلى الخُرُوج مِنها، أُمِرُوا بِذلك أوَّلَ الإسلام،

حاشية الصاوي

قوله: (لفظ «مَنْ») أي: فأفردَ في قوله: ﴿يُدۡخِلۡهُ﴾ في الموضعين، وفي قوله: ﴿وَلَهُۥ﴾.

قوله: (وفي ﴿خَٰلِدِينَ﴾ معناها) أي: فجمع.

قوله: (﴿وَٱلَّٰتِي﴾ ... إلخ) جمعُ (التي)[1]، وهو اسمٌ موصول مبتدأ، وقوله: ﴿يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ صِلته، وقوله: ﴿فَٱسۡتَشۡهِدُواْ﴾ خبرُه، وقُرِنَ بالفاء؛ لأن المبتدأ أشبهَ الشرطَ في العموم؛ لأن المبتدأ إذا وقعَ اسماً موصولاً ووُصلَ بجملة فِعلية.. أشبهَ الشرط، فيُقرنُ خبره بالفاء، خصوصاً إذا أخبرَ عنه بجملة طلبيَّة.

قوله: (﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾) بَيان لـ(اللاتي).

قوله: (﴿أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡ﴾) أي: عدولاً، والعدْلُ: هو الذكرُ الحرُّ المكلَّفُ الذي لم يرتكب كبيرةً ولا صغيرة خسةً، ولا ما يخلُّ بالمروءة، وهذه الشهادةُ على رؤية الزنا، وأما الإقرارُ فيَكفي اثنان عليه، والخطاب في قوله: ﴿فَٱسۡتَشۡهِدُواْ﴾، لولاة الأمور كالقضاة والحكَّام.

قوله: (من رجال المسلمين) أي: الأحرارِ، وأما النساء والأرقَّاء والصبيانُ فلا تُقبلُ شَهادتهم، ويشترطُ في الشهادة أن تكونَ متَّحدةً وقتاً ورؤيةً ومكاناً، فلو اختلفَ شيءٌ من ذلك.. حُدَّ الشهود.

قوله: (وامنعوهن من مخالطة الناس) أي: الرجال، وهو عطفُ علَّة على معلول.

قوله: (أي: ملائكته) دفعَ بذلك ما يُقالُ: إن التوفِّيَ هو الموتُ، ففيه إسنادُ الشيء لنفسه!

قوله: (﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ﴾) ﴿أَوۡ﴾: حرفُ عطف، و﴿يَجۡعَلَ﴾: معطوفٌ على (يتوفى)، فهو داخلٌ

(١) ولكن ليس هذا الجمع جمعاً حقيقةً، بل اسم جمع على التحقيق. انظر «شرح الأشموني على الألفية» (١/ ١٣١).

﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا ....

ثُمَّ جَعَلَ لَهُنَّ سَبِيلاً بِجَلدِ البِكر مِائةً وتَغرِيبِها عاماً، ورَجم المُحصَنة، وفي الحَدِيث لَمَّا بَيَّنَ الحَدَّ قال: «**خُذُوا عنِّي خُذُوا عنِّي، قد جَعَلَ الله لَهُنَّ سَبِيلاً**». رَواه مُسلِم.

﴿١٦﴾ ﴿وَٱلَّذَانِ﴾ ـ بِتَخفيف النونِ وتَشديدِها ـ ﴿يَأْتِيَـٰنِهَا﴾ أي: الفاحِشةَ؛ الزِّنى أو اللِّواطَ ﴿مِنكُمْ﴾ أي: الرِّجالِ، ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ بِالسَّبِّ والضَّرب بِالنِّعالِ، ﴿فَإِن تَابَا﴾ مِنها ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العَمَلَ، ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾ ولا تُؤذُوهُما، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾

حاشية الصاوي

في الغاية، وأشارَ المفسِّرُ لذلك بقوله: (إلى أن يجعل)، ويصحُّ أن تكونَ (أو) بمعنى (إلا) كما في قوله: لألزمنَّكَ أو تَقضيَني حقِّي، فهو مخرج من قوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾، فالمعنى: إلا أن يجعلَ اللهُ لهن سبيلاً فلا تمسكوهنَّ في البُيوت حتى يتوفَّاهن الموت.

قوله: (ثم جعل الله لهنَّ سبيلاً) أي: بنزول آية (النور)، واختُلفَ في هذه الآية، قيل: منسوخةٌ بآية (النور)، وقيل: مجملةٌ وآيةُ (النور) مُفصِّلةٌ لها، وهو الحقُّ، وقد مشى عليه المفسِّرُ.

قوله: (بجلد البكر مئة وتغريبها عاماً) هذا مذهبُ الإمام الشافعي، وعند مالك: التغريبُ خاصٌّ بالذكر، وأما الأنثى فلا تُغرَّب.

قوله: (رواه مسلم) وتمامه: «**الثَّيِّبُ ترجمُ، والبكرُ تُجلد**»[1].

قوله: (بتخفيف النون وتشديدها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (أو اللواط) (أو): لِتنويع الخلاف في تفسير الفاحشة هنا، وسيرجِّحُ الثاني بقوله: (وإرادة اللواط أظهر... إلخ)، ويصحُّ أن يُرادَ بالفاحشة: الزنا واللواط معاً الواقِعان من الرجال، وأمَّا الزنا من النساء فقد تقدَّمَ حكمه.

قوله: (﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾) أي: ما لم يَتوبا.

---

(١) رواه مسلم (١٦٩٠) عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: «خُذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مئة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مئة والرجم».

(٢) قرأ ابن كثير بتشديد النون، والجمهور على تخفيفها. انظر «الدر المصون» (٣/ ٦٢١).

رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ....

على مَن تابَ ﴿رَحِيمًا﴾ به، وهذا مَنسُوخ بِالحدِّ إن أُرِيد بها الزِّنى، وكذَا إن أُرِيدَ بِها اللِّواط عِند الشَّافِعِيِّ، لَكِنَّ المَفعُول بِهِ لا يُرجَم عِندَه وإن كانَ مُحصَناً، بل يُجلَد ويُغرَّب، وإرادةُ اللِّواط أظهَرُ بِدَلِيلِ تَثنِيَة الضَّمِير، والأوَّل قال: أراد الزَّانِيَ والزَّانِيَة، ويَرُدُّهُ تَبيِينهما بـ(مِن) المُتَّصِلَة بِضَمِيرِ الرِّجال، واشتِراكُهُما في الأذَى والتَّوبَةِ والإعراضِ، وهو مَخصُوصٌ بِالرجال؛ لِما تَقدَّم في النِّساء مِن الحَبس.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: التي كَتَبَ على نَفسه قَبُولها بِفَضلِه ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾: المَعصِيَةَ ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ ـ حالٌ ـ أي: جاهِلِينَ إذا عَصَوا رَبَّهم ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهذا منسوخ بالحدّ) أي: فالبكرُ يُجلدُ مئةً ويُغرَّبُ عاماً، والمحصَن يرجمُ إلى أن يموت.

قوله: (عند الشافعي) أي: وعند مالك يرجمُ اللائطُ مُطلقاً، فاعلاً أو مفعولاً، أحصَنا أو لم يُحصِنا؛ حيث كانا بالِغَين مختارين، وعند أبي حنيفة: حَدُّهُ رميهُ من شاهق، أو رميُ حائطٍ عليه.

قوله: (لكن المفعول به... إلخ) أي: وأما الفاعل عنده فكالزاني؛ إن كان محصَناً رُجِمَ، وإن كان غيرَ محصن جُلِدَ مئة وغُرِّبَ عاماً.

قوله: (بل يجلد ويضرب) أي: إن كان بالغاً مختاراً.

قوله: (بدليل تثنية الضمير) أي: في قوله: ﴿وَٱلَّذَانِ﴾، وقد يُقال: إن فيه تغليبَ الذكر على الأنثى.

قوله: (وهو مخصوص) أي: ما ذُكرَ من الأذى والتوبةِ والإعراض.

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾) هذا حسنُ ترتيب؛ حيث ذكرَ الذنبَ ثم أردفَهُ بذكر التوبة، وقوله: (﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾) أي: التزمَها تفضُّلاً منه وإحساناً؛ لأنَّ وعدَ الكريم لا يتخلَّفُ؛ على حدِّ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

قوله: (المعصية) أي: ولو كانت كفراً.

قوله: (أي: جاهلين) إنما قرنَ العصيان بالجهل؛ لأنَّ العصيانَ لا يتأتَّى مع العِلم، بل حين وقوع المعصية يُسلبُ العلم؛ لأنَّ أشدَّ الناس خشيةً العلماءُ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ ....

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾ زَمَن ﴿قَرِيبٍ﴾ قبلَ أن يُغرغِروا، ﴿فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: يَقبَلُ تَوبَتَهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِخَلقِه، ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعِه بِهم.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الذُّنُوبَ ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وأَخَذَ في النَّزعِ، ﴿قَالَ﴾ عِندَ مُشاهَدةِ ما هو فِيه: ﴿إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾، فلا يَنفَعُه ذلك ولا يُقبَلُ مِنه، ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابُوا في الآخِرةِ عِندَ مُعايَنةِ العَذاب لا تُقبَلُ مِنهم، ﴿أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا﴾: أعدَدْنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِماً.

حاشية الصاوي

قوله: (قبل أن يغرغروا) أي: قبلَ أن تبلغَ الروحُ الحُلقومَ[1]، وإنما كان الزمنُ الذي بينَ وقوع المعصية والغرغرة قريباً؛ لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ، والعمر وإن طال قليلٌ، وفيه إشارةٌ إلى أنه ينبغي للإنسان أن يجدِّدَ التوبةَ في كلِّ لحظة؛ لأنَّ الموتَ مُتوقَّعٌ في كلِّ لمحة؛ ولِذا قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (ما خرجَ منِّي نَفَسٌ وانتظرتُ عودَهُ)، ووَرَدَ: أنه ما من نَفَسٍ يخرجُ من ابن آدم إلا بإذنٍ من الله في العَود ثانياً وعمرٍ جديد.

قوله: (﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾) أي: قَبولُها.

قوله: (وأخذ في النزع) أي: بلغت الروحُ الحلقومَ وغرغرَ الميت؛ لأنَّ الإنسان عند الغرغرة يرى مقعدَهُ في الجنة أو النار، فيظهرُ عليه علامةُ البُشرى أو الحزن، فلا ينفعُهُ الندمُ إذ ذاك.

قوله: (﴿وَلَا الَّذِينَ﴾) معطوفٌ على قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، المعنى: ليست التوبة للذين يعملون السيئات... إلخ، وليست التوبة للذين يَموتون وهم كفَّارٌ، فهو في محلِّ جر.

قوله: (﴿أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا﴾) أصله: أعدَدنا، قُلبت الدالُ الأولى تاءً، وقد أشارَ لذلك المفسِّرُ بقوله: أعددنا، والمعنى: أحضَرنا وهيَّأنا.

---

(١) هذا على إطلاقه في الكافر، وأما المؤمن فالماتريدية أن توبة اليأس مقبولة منه، قال الحصكفي ـ كما في «حاشية ابن عابدين» (٢/ ١٩٠) ـ: (واختُلف في قبول توبة اليأس، والمختار: قَبول توبته لا إيمانه)، وعند الأشاعرة: هما سواء في عدم القبول.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ....

(١٩) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي: ذاتَهنَّ ﴿كَرْهًا﴾ ـ بالفتح والضَّمِّ لُغتانِ ـ أي: مُكرِهِيهِنَّ على ذلك، كانُوا في الجاهِليَّة يَرِثُونَ نِساءَ أقرِبائِهم؛ فإن شاؤُوا تَزوَّجُوها بِلا صَداقٍ، أو زوَّجُوها وأخَذُوا صَداقَها، أو عَضَلُوها حتَّى تَفتَدِيَ بِما ورِثَتْه، أو تَموتَ فيَرِثُوها، فنُهُوا عن ذلك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ ... إلخ) سببُ نزولها: أنه كان في الجاهليَّة وصدر الإسلام إذا مات الرجلُ وتركَ امرأةً.. جاء ابنُهُ من غيرها أو قريبُه فرمى عليها ثوبه، فيُخيَّرُ فيها بعد ذلك، فإما أن يتزوَّجَها بلا مَهر، أو يزوِّجَها لغيره ويأخذ مَهرها، أو يَعضلَها حتى تفتديَ منه، أو تموتَ ويأخذ ميراثها[1]، ثم لما توفِّيَ أبو قيس وتركَ امرأتَهُ كبيشةَ بنت معن الأنصارية.. قام ابنٌ له ـ قيل: اسمُهُ قيس ـ فطرحَ عليها ثوبَه، ثم تركها فلم يقرَبْها ولم يُنفق عليها، فأتت كبيشةُ رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله؛ إن أبا قيس توفِّيَ وأخذني ابنُهُ فلم يُنفِقْ عليَّ ولم يُخَلِّ سبيلي، فقال: «امكثي في بيتك حتى يأتيَ أمرُ الله فيك» فنَزلت هذه الآية[2].

قوله: (أي: ذاتهن) دفع بذلك ما يُقال: إن ميراثَ الرجل من المرأة قد تقدَّم، وهو إما النصف أو الربع، وليس بمنهيٍّ عنه.

قوله: (لغتان) المناسبُ: (قراءتان)، وهما سبعيَّتان[3].

قوله: (أي: مُكرِهِينَ) بكسر الراء اسمُ فاعل، ومفعوله محذوفٌ تقديرُهُ: مكرِهين لهن على ذلك.

قوله: (كانوا في الجاهلية) أي: وصدرِ الإسلام، وهو إشارةٌ لسبب نزول الآية، وقد أجملَ فيه.

قوله: (بلا صداق) أي: اتكالاً على الصَّداق الذي دفعه أبوه.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «تفسير البغوي» (١/ ٥٨٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٠٦).

(٣) قرأ حمزة والكسائي بضم الكاف، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٣/ ٦٢٨)، ومع هذا فهما لغتان أيضاً كالضَّعْف والضُّعف كما نصَّ الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٢٩).

وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ....

﴿وَلَا﴾ أن ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي: تَمنَعُوا أزواجَكم عن نِكاحِ غَيرِكم بإمساكِهِنَّ ولا رَغبةَ لَكُم فِيهنَّ ضِراراً، ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ مِن المَهرِ، ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ ـ بِفَتحِ الياء وكَسرِها ـ أي: بُيِّنَت أو هي بَيِّنة، أي: زِناً أو نُشُوز، فلَكم أن تُضارُّوهُنَّ حتَّى يَفتَدِينَ مِنكُم ويَختَلِعنَ، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾) معطوفٌ على قوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾، والمعنى: لا يحلُّ لكم ميراثُ النساء ولا عَضلُهن، وهو خطابٌ للأزواج، كان الرجلُ يَكرهُ المرأة ولها عليه المهرُ، فيُسِيءُ عِشرتها ويُضارِرُها؛ لتفتديَ منه.

قوله: (أي: تمنعوا أزواجكم) أشارَ بذلكَ إلى أن الضميرَ عائدٌ على النساء لا بالمعنى الأول؛ فإنَّ المرادَ بالنساء فيما تقدَّمَ نساءُ غيركم، وفيما هنا نساؤُكم، ففي الكلام استِخدام.

قوله: (﴿لِتَذْهَبُوا﴾) علةٌ لقوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾.

قوله: (﴿بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾) أي: ومن باب أولى أخذُ الجميع.

قوله: (﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾) هذا استثناءٌ من عُموم الأحوال، والمعنى: لا يحلُّ لكم عضلُ النساء لأجل أخذِ بعض ما آتيتمُوهن في حال من الأحوال، إلا في حالِ إتيانهن بفاحشةٍ مبيِّنة.

قوله: (بفتح الياء وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (أو نُشوز) أي: خُروج عن طاعة الزوج.

قوله: (فلكم أن تضارُّوهن) إن قلتَ: إن المضاررةَ لا تجوزُ، فكيف ذلك؟

أجيبَ: بأن هذا منسوخٌ، أو بأن المرادَ بها الوعظُ والهجرُ والضربُ على طبق ما يأتي في قَوله تعالى: ﴿وَالَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ...﴾ الآيات، وتسميتُهُ مُضاررةً مشاكلةٌ، نظير: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤].

قوله: (﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾) قيل: معطوفٌ على قوله فيما تقدَّم: ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾، وقيل:

(١) قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بفتح الياء، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (٣/ ٦٣١).

﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ١٩ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا ....﴾

أي: بِالإجمالِ في القَول والنَّفقةِ والمَبيت، ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبِرُوا؛ ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، ولعلَّه يَجعَلُ فِيهنَّ ذلك بِأن يَرزُقَكم مِنهُنَّ ولداً صالِحاً.

٢٠ ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي: أَخْذَها بَدلَها بِأن طَلَّقتُموها، ﴿وَ﴾ قد ﴿ءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ أي: الزَّوجاتِ ﴿قِنطَارًا﴾: مالاً كَثيراً صَداقاً، ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا﴾: ....

حاشية الصاوي

معطوف على قوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، وعليه: فالعطفُ لِلتوكيد، والمعنى: لا تضارُّوهن وعاشرُوهن بالمعروف بأن تُطيِّبوا لهن القولَ والفعل، ومن ذلك تعليمُهن مصالحَ دينهن ودُنياهنَّ.

قوله: (أي: بالإجمال في القول) أي: بالقول الجميل... إلخ.

قوله: (﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾) أي: طبعاً من غير ظهور ما يُوجبُ الكراهة مِنهنَّ.

قوله: (فاصبروا) هذا هو جوابُ الشرط، وقوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ علَّةٌ له.

قوله: (ولداً صالحاً) أي: ذكراً أو أنثى، وفي الحديث: «**إذا ماتَ ابنُ آدم انقطعَ عملُهُ إلا من ثلاث: صَدقة جارية، أو عِلم ينتفعُ به، أو ولد صالح يدعُو له**»[1]، وبالجملة: فالإحسانُ إلى النساء مِن مكارم الأخلاق وإن وَقعت منهنَّ الإساءة؛ لما في الحديث: «**يَغلبنَ كريماً ويغلبهنَّ لئيم، فأحبُّ أن أكون كريماً مغلوباً، ولا أحبُّ أن أكونَ لئيماً غالباً**»[2].

قوله: (بأن طلقتموها) أي: بعد الدخول، وأما قبلَهُ فليس لها عِنده إلا نصفُ المهر.

قوله: (مالاً كثيراً) أشارَ بذلك إلى أنه ليس المرادُ بالقنطار التَّحديدَ.

---

(١) رواه الترمذي (١٣٧٦)، والنسائي (٣٦٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٣١٢): «خيركم خيرُكم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانَهنَّ إلا لئيم»، وإلى قوله: «لأهلي» رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧).

﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٢١ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ ....

ظُلماً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: بيِّناً؟ ونَصبُهما على الحال، والاستِفهامُ لِلتَّوبيخ ولِلإنكارِ في:

﴿٢١﴾ ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ أي: بِأيِّ وَجهٍ ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾: وصَلَ ﴿بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ بِالجِماعِ المُقَرِّرِ لِلمَهرِ، ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا﴾: عَهداً ﴿غَلِيظًا﴾: شَديداً، وهو ما أَمَرَ الله بِه مِن إمساكِهِنَّ بِمَعروفٍ أو تَسريحِهنَّ بِإحسانٍ؟

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا﴾ ـ بِمعنى (مَن) ـ ﴿نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ظلماً) أشارَ بذلك إلى أنه أطلق البُهتان ـ وهو في الأصل: الكذبُ ـ وأرادَ به الظلمَ مجازاً.

قوله: (والاستفهام للتوبيخ والإنكار في ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾) أي: وفيما قبله.

قوله: (بالجماع) هكذا فسَّرَهُ به الشافعي، وقال مالِك: بالخلوة التي يتأتَّى فيها الوطء.

قوله: (المقرر للمهر) أي: وهو الواقعُ من بالغ في مُطيقةٍ، وقال الشافعي: بل ولو لم تكن مُطيقة.

قوله: (﴿وَأَخَذْنَ﴾) أي: النساء، والآخذ في الحقيقة هو الله، وإنما أسندَ للنساء مجازاً عقليًّا من الإسناد لِلسبب.

قوله: (﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾) شُروعٌ منه سبحانه وتعالى في المحرَّمات من النساء على الرجال، وابتدأ بتحريم زوجة الأب؛ اعتناءً بها؛ فإنَّ الجاهلية كانوا يَفعلون ذلك كثيراً، ولمَّا كان ذلك الأمرُ قبيحاً شرعاً وطبعاً.. أفردَهُ بالنهي ولم يُدرِجْهُ في جملة المحرَّمات الآتية.

قوله: (﴿مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾) المرادُ بالنكاح: العقدُ، وبالآباء: الأصولُ وإن علَوا، فمتى عقدَ أحدٌ من أصولك على امرأة.. فلا يحلُّ لك ولا لأحدٍ من ذُرِّيتك تزوُّجها بحالٍ، وهذه إحدى المحرَّمات بالصهر، وهُنَّ أربع، والباقي زوجةُ الابن، وأمُّ الزوجة، وبنتُ الزوجة، وكلُّ ذلك يحصلُ التحريمُ فيه بمجرَّدِ العقد إلا بنتُ الزوجة، فلا يحرِّمُها إلا الدخول بأمِّها، والمرادُ بالدخول عند مالك: التلذُّذُ مطلقاً وإن لم تكُن خلوة، وعند الشافعي: لا بدَّ من الوَطءِ، وأما جاريةُ الأب فلا تحرمُ على الابن إلا إن تَلذَّذَ بها الأب، وسيأتي في الآية تحريمُ باقي الأصهار.

مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ....

﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا﴾: لَكِن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِن فِعلِكُم ذلك؛ فإنَّهُ مَعفُوٌّ عنهُ، ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: نِكاحَهُنَّ ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾: قَبِيحاً، ﴿وَمَقْتًا﴾ سَبَباً لِلمَقتِ مِن الله، وهو أشَدُّ البُغض، ﴿وَسَآءَ﴾: بِئسَ ﴿سَبِيلًا﴾: طَرِيقاً ذلك.

﴿٢٣﴾ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ أن تَنكِحُوهُنَّ، وشَمِلَت الجَدَّاتِ مِن قِبَلِ الأب

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾) بيان لـ﴿مَا﴾ التي بمعنى (مَنْ)، وعبَّرَ بـ(ما) التي لِغير العاقل غالباً؛ إشارةً إلى أن النساءَ ناقصاتُ عقل.

قوله: (﴿إِلَّا﴾ لكن) أشارَ بذلك إلى أن الاستثناء منقطعٌ؛ لأنَّ النهيَ مستقبلٌ والاستثناءَ ماض، ولا يستثنى الماضي من المستقبل، وفي الحقيقة: الاستثناءُ من قوله بعدُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾، وحكمةُ هذا الاستثناء: دفعُ توهُّم أن مَنْ فعلَهُ ولو قبل التحريم يحصلُ له هذا الوَعيدُ الشديد.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾) علَّةٌ لقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾، و﴿كَانَ﴾: إما صلة، أو مجرَّدة عن معنى الزمان الماضي، فهي بمعنى: صار.

قوله: (﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾) مقول لقول محذوفٌ معطوف على ﴿فَٰحِشَةً﴾، أي: ومقولاً فيه: ساء سبيلاً، ويحتملُ أنه كلامٌ مستأنف لإنشاء الذمِّ.

قوله: (ذلك) قدَّره؛ إشارةً إلى أنه المخصوصُ بالذم، والمعنى: أن مَنْ تزوَّجَ بزوجة الأب بعد التحريم.. ارتكبَ أمراً قبيحاً واستحقَّ أشدَّ البُغض من الله، وسلكَ طريقاً قبيحاً خبيثاً[1].

قوله: (﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾) شُروعٌ في ذكر المحرَّمات بالنسب، و(أُمَّهات): جمع أُم، فالهاءُ زائدةٌ في الجمع؛ لِلفرق بين جمع مَنْ يَعقل ومن لا يعقل، وهذا على أن المفردَ (أُمٌّ)، وأما على أن المفردَ (أمهةٌ) فليست زائدة، وقد يَتعاكسُ على الأول، فيُقالُ في العقلاء: أُمَّات، وفي غيرهم: أُمَّهات.

قوله: (أن تنكحوهن) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مُضاف؛ لأن الذواتِ لا تحرمُ، وإنما التحريمُ متعلِّقٌ بالفعل.

---

(١) إذْ قبحُ هذا الفعل عقليٌّ شرعي عادي كما نقله العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ٣٧٠).

وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ ....

أو الأُمِّ، ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وشَمِلَت بَناتِ الأولادِ وإن سَفَلْنَ، ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ مِن جِهةِ الأب أو الأُمِّ، ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ أي: أخواتُ آبائِكم وأجدادِكم، ﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾ أي: أخواتُ أُمَّهاتكم وجَدَّاتِكم، ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾، ويَدخُلُ فِيهِنَّ أولادُهم، ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قبلَ استِكمال الحَولَينِ خَمسَ رضَعاتٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (**وشملت بنات الأولاد**) أي: ذكوراً أو إناثاً.

قوله: (﴿**وَأَخَوَاتُكُمْ**﴾) جمع أُخت، يُقالُ في الأُنثى: أخت، وفي الذكر: أخ، وجمع الأول: أخَوات، والثاني: إخْوة.

قوله: (**من جهة الأب أو الأم**) أي: ومِن باب أولى الشقيقاتُ.

قوله: (**أي: أخوات آبائكم**) أي: مطلقاً، شقيقات أو لأب أو لأم[1].

قوله: (**وأجدادكم**) أي: وإن علَوْا.

قوله: (**أي: أخوات أمهاتكم**) أي: مطلقاً، شقيقات أو لأب أو لأم.

قوله: (**وجداتكم**) أي: وإن علَوْنَ.

قوله: (**ويدخل فيهن بناتُ أولادهن**) أي: الأخوات ذكوراً أو إناثاً وإن سَفلن، وفيه تغليبُ الأخت على الأخ لِقُربها، وفي نسخة: (أولادهم) بميم الجمع، ويكون عائداً على الأخ؛ وغلَّبه على الأخت تشريفاً.

قوله: (﴿**وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ**﴾) شُروعٌ في المحرَّمات بالرضاع.

قوله: (**قبل استكمال الحولين**) ظاهرُهُ: ولو كان مستغنياً عن اللبن، ولكن يقيَّدُ عند مالك: بما إذا لم يستغنِ عن اللبن داخلَ الحولين، وإلا.. فلا يحرِّمُ كبَعد الحولين.

قوله: (**خمس رضعات**) أي: متفرِّقات، هذا مذهبُ الإمام الشافعي وابن حنبل، وأما مذهبُ مالك وأبي حنيفة.. فالمصَّةُ الواحدة كافيةٌ في التحريم.

(١) قوله: (أو لأم) سقط من (ط١)، وسقط من (أ) ما بعده إلى قوله: (وجداتكم).

وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ

كما بَيَّنه الحديثُ، ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾، ويُلحَق بِذلك بِالسُّنَّة البَنَاتُ مِنها، وهُنَّ مَن أرضَعَتهم مَوطوءَتُه، والعَمَّاتُ والخالات وبَنات الأخِ وبَناتُ الأُخت مِنها؛ لِحديثِ «يَحرُم مِن الرَّضاع ما يَحرُم مِن النَّسَب»، رَواهُ البُخاريُّ ومُسلِم، ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾: جَمع رَبِيبةٍ، وهي بِنتُ الزَّوجة مِن غيرِه، ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ تُربُّونَها، صِفَة مُوافِقة لِلغالِب، فلا مَفهُوم لَها، ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي: جامَعتُمُوهُنَّ، ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نِكاحِ بَناتِهنَّ إذا فارقتُموهنَّ، ﴿وَحَلَٰٓئِلُ﴾: أَزواجُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (كما بيَّنه الحديث) أي: الصحيحُ؛ لأن من قواعد الشافعي: كلَّما صحَّ الحديث.. كان مذهباً له[1]، وأما مالك فكذلك ما لم يُعارضهُ عملُ أهل المدينة وإجماعهم، وإلا.. حُملَ الحديثُ عنده على أنه منسوخٌ، فعملُ أهل المدينة حُجَّةٌ عند مالك دون غيره.

قوله: (﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾) أي: وسواء كانت تلك الأختُ بنتاً لمن أرضعَتك أو لا، كما إذا أرضعت امرأةٌ ابنَ عمر وبنتَ زيد، فإنها تصيرُ أختاً له من الرضاعة.

قوله: (ويلحق بذلك) أي: بما ذُكرَ مِنَ الأمهات والأخوات من الرضاعة.

قوله: (من أرضعتهنَّ موطوءته) ظاهرُهُ: ولو من زناً، وهو كذلك عند مالك، وأما عند الشافعي.. فيقيَّدُ الوطءُ بكونه من نكاح أو شُبهته، أو ملك أو شبهته، وأما بالزنا.. فلا يحرِّمُ عنده.

قوله: (﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾) جمع حِجْر، وهو في الأصل: مقدَّمُ الثوب، أُطلقَ وأُريدَ به كونُهم في تَربيتِه.

قوله: (موافقة للغالب) أي: فإنَّ الغالبَ عدمُ استغناء الرَّبيبة عن أمِّها، فهي في حَجْرِ زوجها.

قوله: (أي: جامعتموهنَّ) هذا مذهبُ الشافعي، وعند مالك: يكفي مطلقُ التلذُّذ في التحريم.

---

(١) وصحة الحديث عنده يدخل فيها سلامته عن المعارض، وليس من المعارض عنده عملُ أهل المدينة.

أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ....

﴿أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾، بِخِلافِ مَن تَبَنَّيْتُمُوهُم فلَكم نِكاحُ حَلائِلِهِم، ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ مِن نَسَب أو رَضاعٍ بِالنِّكاح، ويُلحَق بِهِما بِالسُّنَّة الجَمعُ بَينها وبين عَمَّتِها أو خالَتِها، ويَجوز نِكاح كُلٍّ واحِدة على الانفِراد ومِلكُهما مَعاً، ويَطَأ واحِدةً، ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهِلِيَّة مِن نِكاحِكُم بعضَ ما ذُكِرَ، فلا جُناحَ عليكم فِيه؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لِما سَلَفَ مِنكم قبلَ النَّهي، ﴿رَّحِيمًا﴾ بِكم في ذلك.

﴿٢٤﴾ ﴿وَ﴾ حُرِّمَت علَيكم ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ أي: ذَواتُ الأزواج ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾) نزلت ردًّا لقول بعض المنافقين حين تزوّجَ النبيُّ ﷺ حليلةَ زيدٍ وكان متبنِّياً له: إن محمداً تزوَّجَ حليلةَ ابنه[1].

قوله: (﴿بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾) أي: مطلقاً، شقيقتَين أو لأب أو لأم.

قوله: (الجمع بينها وبين عمتها... إلخ) أي: وضابطُ ذلك أن يُقال: كلُّ أنثيين لو قُدِّرت أيةٌ ذكراً[2] حرُمَ فإنه يحرمُ جمعُها، وأما لو كان التقديرُ في أحد الجانبين يحرمُ وفي الآخر لا يحرمُ فإنه لا يحرمُ؛ كجمع المرأة وأمِّ زوجها أو بِنته من غيرها، أو المرأة وجارِيتها كما قال الأجهوري:
[الرجز]

وَجَمْعُ مَرْأَةٍ وَأُمِّ البَعْلِ ... أَوْ بِنْتِهِ أَوْ رِقِّهَا ذُو حِلِّ

قوله: (ويطأ واحدة) أي: ويحرمُ الأخرى.

قوله: (﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾) هذا استثناءٌ منقطعٌ كالأول، ولم يقل هنا: إنه كان فاحشة ومقتاً وساءَ سبيلاً؛ لعلمه بالقياس على ما تقدَّم.

قوله: (بعض ما ذكر) أي: وهو نكاحُ الأختين.

قوله: (﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾) معطوفٌ على قوله: ﴿أُمَّهَٰتُكُمْ﴾، فهو مندرجٌ في سلك المحرَّمات؛ ولذا قدَّرَ المفسِّرُ قوله: (حرمت عليكم)، والمحصناتُ بفتح الصاد هنا باتفاق القرَّاء، وأما في غير

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٠٧) عن عائشة ﵂.

(٢) أيّةٌ هنا؛ أي: كل واحدة منهما، وهي عبارة العلامة خليل في «مختصره».

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ ....

أن تَنكِحُوهُنَّ قبلَ مُفارَقةِ أزواجِهنَّ؛ حَرائِرَ مُسلِماتٍ كُنَّ أو لا، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ مِن الإماءِ بِالسَّبي فلَكم وَطؤُهُنَّ وإن كان لَهُنَّ أزواجٌ في دار الحَرب بعدَ الاستِبراءِ، ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ ـ نَصْبٌ على المَصدَر ـ أي: كَتَبَ ذلك ﴿عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ﴾ ـ بِالبناءِ لِلفاعلِ والمَفعُول ـ ﴿لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

هذا الموضع.. فقرأ الكسائيُّ بالكسر، فعلى الفتح هو: اسمُ مفعول، وفاعلُ الإحصان: إما الأزواج أو الأولياءُ أو الله، وعلى الكسر: اسمُ فاعل بمعنى: أنهن أَحصَنَّ أنفسَهُنَّ.

واعلمْ: أن الإحصانَ يُطلقُ على التزوُّج كما في هذه الآية، وعلى الحريَّة كما في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥]، وعلى الإسلام كما في قوله: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ [النساء: ٢٥]، وعلى العِفَّة كما في قوله: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ [النساء: ٢٥].

قوله: (أن تنكحوهن) أي: تَعقدوا عليهن في العصمة وما أُلحِقَ بها كالعدة، وقد أشارَ لذلك بقوله: (قبل مفارقة أزواجهن).

قوله: (أو لا) أي: بل كنَّ إماءً أو كتابيَّات.

قوله: (﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾) الاستثناءُ متصلٌ، ويشيرُ له قول المفسِّر: (وإن كان لهن أزواج)، ولكن فيه شائبةُ انقطاع من وجهين:

الأول: أن المستثنى الوَطء، والمستثنى منه العقد.

الثاني: أن المستثنى منه المتزوِّجاتُ بالفعل، والمستثنى مَن كنَّ متزوجات، فإنه بمجرَّد السبي تنقطعُ عصمةُ الكافر.

قوله: (نصب على المصدر) أي: المؤكِّد لعامله المعنوي، المستفاد من قوله: ﴿حُرِّمَتْ﴾؛ فإنَّ التحريمَ والفرضَ والكَتْبَ بمعنًى واحد.

قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، والفاعل هو الله، وحُذِفَ للعلم به[1].

قوله: (﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾) أي: غير ما ذكر لكم، وهذا عامٌّ مخصوص بغير ما حُرِّم بالسنة

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بالبناء للمفعول، والباقون بالبناء للفاعل. انظر «السراج المنير» (١/ ٢٩٥).

أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ....

أي: سِوَى ما حُرِّمَ علَيكُم مِن النِّساءِ، ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾: تَطلُبُوا النِّساءَ ﴿بِأَمْوَالِكُم﴾ بِصَداقٍ أو ثَمَنٍ، ﴿مُّحْصِنِينَ﴾: مُتزوِّجِين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾: زانِينَ، ﴿فَمَا﴾: فمَن ﴿ٱسْتَمْتَعْتُم﴾: تمتَّعتُم ﴿بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾: مِمَّن تزوَّجتُم بِالوَطءِ، ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهُورَهنَّ التي فَرَضتُم لَهُنَّ ﴿فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم﴾ أنتُم وهُنَّ ﴿بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ ....

حاشية الصاوي

كباقي المحرَّمات؛ من الرضاع، والجمع بين المرأة وعَمتها أو خالتها، والملاعنة على ملاعنها، والمعتدة، فقوله: (أي: سوى ما حرم عليكم من النساء) أي: كتاباً وسنةً.

قوله: (﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾) علَّةٌ لقوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ أي: أُحلَّ لكم لأجل أن تَبتغوا.

قوله: (بصَداق) أي: بالتزوج، وقوله: (أو ثمن) أي: بالملك.

قوله: (متزوجين) أي: أو مُتملكين، بدليل قوله: أو ثمن، وقوله: (﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾) حال أخرى، وسمَّى الزنا سفاحاً؛ لأن الزانيَين لا يقصدان إلا صبَّ الماء، ولا يقصدان نسلاً؛ فإن الأصلَ في السفح: الصبُّ.

قوله: (﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم﴾) أشارَ المفسِّرُ بقوله: (أي: مَنْ) إلى أن (ما) واقعةٌ على مَن يعقل، وهن الزوجاتُ اللاتي تمتعتُم به منهن، فالآيةُ واردةٌ في النكاح الصحيح، فهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً...﴾ [النساء: ٤] الآية، وكرَّرَهُ لِتتميم حكم الحلِّ، وقيل: إن الآية وردت في نكاح المتعة وكان في صدر الإسلام حلالاً، فكان الرجلُ ينكحُ المرأةَ وقتاً معلوماً ثم يسرِّحُها، وقد نُسِخَ هذا، فعلى هذا: الآيةُ منسوخة.

قوله: (بالوطء) أي: أو مقدِّماته.

قوله: (مهورهنَّ) سُمِّيَ المهرُ أجراً؛ لأنه في مُقابَلة الاستمتاع لا الذات.

قوله: (التي فرضتم لهنَّ) أشارَ بذلك إلى أنَّ ﴿فَرِيضَةً﴾ مفعولٌ لمحذوف، وهو متَّصل بما قبله، فإن لم يكنْ فرضَ لها شيئاً وقد دخلَ بها.. فإنه يلزمُهُ مَهرُ مثلها.

قوله: (﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾) أي: ولا عليهنَّ.

قوله: (أنتم وهنَّ) أي: إنْ كنَّ رَشيدات، أو أولياؤُهن إنْ كنَّ سَفيهات.

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ....

مِن حَطِّها أو بَعضِها أو زِيادةٍ عليها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِخلقِه، ﴿حَكِيمًا﴾ فِيما دَبَّرهُ لَهم.

﴿٢٥﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ أي: غِنًى لـ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: الحَرائرَ ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هو جَريٌ على الغالِب، فلا مَفهُومَ لَه، ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ يَنكِحُ ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ فاكتَفُوا بِظاهِرِه وكِلُوا السَّرائِرَ إليهِ؛ فإنَّه العالِم

حاشية الصاوي

قوله: (من حطِّها... إلخ) بيانٌ لـ(ما) والكلامُ مُوزع، والمعنى: فلا جناحَ عليكم فيما تراضيتم به من الحطِّ، ولا جناحَ عليهنَّ فيما تراضَينَ من أخذ الزيادة.

قوله: (﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾) (مَن): شرطية أو موصولة، و﴿يَسْتَطِعْ﴾: إما فعل الشرط، أو صلة الموصول، وقوله: (﴿مِنكُمْ﴾) أي: الأحرار، وهو شروعٌ في بيان حكم نكاح الإماء للأحرار، فأفادَ أنه لا يجوزُ للحرِّ أن ينكحَ الأمة إلا بشُروط ثلاثة: ألاَّ يجدَ للحرائر طَوْلاً، وأن تكونَ تلك الأمةُ مؤمنةً، وأن يخشى على نفسه العنَت، وذلك الحكمُ يخصِّصُ ما تقدَّمَ في قوله: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، وقوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾.

وعلَّةُ نكاح الأمة لِئلا يصيرَ الولد رقيقاً لسيِّدِ الأمة، فإن كان لا يُولدُ له أو لها، أو كان ولده يعتقُ على سيِّدها مثل أمةِ الجدِّ.. فإنه يجوزُ له تزوُّجَ الأَمة بشرط كونها مؤمنة[1].

قوله: (﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾) (أنْ) وما دخلتْ عليه: في تأويل مصدر مفعول لقوله: ﴿طَوْلًا﴾ على حدِّ: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤-١٥].

قوله: (فلا مفهوم له) أي: فإذا وجدَ طَولاً لحرَّة كتابية.. فلا يجوزُ له أن يتزوَّجَ بالأمة.

قوله: (﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾) إما جوابُ الشرط، أو خبرُ المبتدأ، وقدَّرَ المفسِّرُ العاملَ مؤخَّراً لإفادة الحصر.

قوله: (﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾) جمع فَتاة، وهي الشابَّةُ من النساء.

---

(١) تقدم الحديث عن مثال أمة الجدِّ.

بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ ....

بِتَفصِيلِها، ورُبَّ أَمَةٍ تَفضُل الحُرَّةَ فِيه، وهذا تَأنِيس بِنِكاحِ الإماء، ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ أي: أنتُم وهُنَّ سَواءٌ في الدِّين، فلا تَستَنكِفُوا مِن نِكاحِهِنَّ، ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾: مَوالِيهِنَّ ﴿وَءَاتُوهُنَّ﴾: أعطُوهُنَّ ﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مُهُورَهنَّ ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ مِن غَير مَطْلٍ ونَقص، ﴿مُحۡصَنَٰتٍ﴾: عَفائِفَ، ـ حالٌ ـ ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ﴾: زانِياتٍ جَهراً، ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖ﴾: أخِلَّاءَ يَزنُونَ بِهِنَّ سِرًّا، ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾: زُوِّجنَ، ـ وفي قِراءة بِالبناء لِلفاعلِ:

حاشية الصاوي

قوله: (تفضُلُ الحرَّةَ فيه) أي: الإيمان؛ بأن تكونَ من كِبار الأولياء وأرباب الأسرار مثلاً.

قوله: (﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾) أي: من جنس بعض في الدين والنسب؛ كقول علي كرَّمَ الله وجهَهُ بيت شعر من: البسيط[1]:

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمْثِيلِ أَكْفاءُ ... أَبُوهُمُ آدَمٌ وَالأُمُّ حَوَّاءُ[2]

قوله: (من غير مطل) أي: عدم أداء مع القُدرة عليه.

قوله: (حال) أي: من قوله: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ﴾ أي: حال كونهن عفائفَ عن الزنا، وهذا شرطُ كمال على المعتمَد.

قوله: (﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ﴾) حالٌ مؤكِّدة.

قوله: (﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖ﴾) جمع خِدْن بالكسر، وهو الصاحبُ والخليل، وإنما ذكره بعدَه؛ لأنه كان في الجاهلية الزنا قِسمان: جهراً وسرًّا، فكان الأكابر منهم يُحرِّمون القسم الأول، ويحلُّون الثاني.

قوله: (وفي قراءة بالبناء للفاعل) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[3]، والمعنى على هذه القراءة: أحصَنَّ أنفسَهن.

---

(١) كذا في النسخ: (بيت شعر...) من كلام المصنف.

(٢) كذا نسبه العلامة اليوسي في «زهر الأكم» (١/ ٢٦٤)، ونسَبه عبد القاهر الجرجاني لمحمد بن الربيع الموصلي كما في «أسرار البلاغة» (ص٢٦٥).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالبناء للمفعول، والباقون للفاعل. «الدر المصون» (٣/ ٦٥٧).

فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ....

تَزوَّجنَ - ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾: زناً ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: الحَرائرِ الأبكارِ إذا زَنَينَ ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: الحَدِّ، فيُجلَدنَ خَمسينَ ويُغرَّبنَ نِصفَ سَنة، ويُقاسُ عليهِنَّ العَبيدُ، ولَم يُجعَلِ الإحصانُ شَرطاً لِوُجُوبِ الحَدِّ لإفادةِ أنَّه لا رَجم عليهِنَّ أصلاً، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نِكاحُ المَملُوكات عِند عَدَم الطَّولِ ﴿لِمَنْ خَشِيَ﴾: خاف ﴿ٱلْعَنَتَ﴾: الزِّنا، وأصلُه المَشقَّة، سُمِّي به الزنا لِأنَّهُ سَبَبها بِالحَدِّ في الدُّنيا والعُقُوبةِ في الآخِرةِ، ﴿مِنكُمْ﴾ بِخِلافِ مَن لا يَخافهُ مِن الأحرارِ، فلا يَحِلُّ لَه نِكاحُها، وكذا مَن استَطاعَ طَولَ حُرَّة، وعليهِ الشَّافعيُّ، وخرَج بِقَولِه: ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الكافِراتُ، فلا يَحِلُّ لَه نِكاحُها

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِنْ أَتَيْنَ﴾) شرطٌ في الشرط، وقوله: (﴿فَعَلَيْهِنَّ﴾ ... إلخ) جوابُ الثاني، والثاني وجوابه جوابُ الأول؛ على حدِّ: إن جئتَني فإن لَمْ أكرِمْك فعبدي حرٌّ.

قوله: (الأبكار) إنما قيَّدَ بذلك؛ لأن حدَّ غير البكر من الأحرار الرجمُ، وهو لا يَتنصَّف.

قوله: (ويغرَّبْنَ نصفَ سنة) هذا مذهبُ الإمام الشافعي، وأما عند مالك.. فلا تغريبَ على الرقيق ذكراً أو أنثى.

قوله: (ولم يجعل الإحصان... إلخ) إنما احتاجَ للسؤال والجواب؛ لأنه فسَّرَ الإحصان بالتزوُّج، وإلا.. فلو فسَّرَهُ بالإسلام كما فعلَ غيرُهُ.. لما احتاجَ لِذلك كلِّه.

قوله: (وأصله: المشقة) أي: أصله الثاني، وإلا.. فأصلُهُ الأوَّل: الكسر بعد الجبر، ثم نُقلَ لكلِّ مشقَّة تحصلُ للإنسان.

قوله: (والعقوبة في الأخرى) أي: إن لم يُقَمْ عليه الحدُّ في الدنيا على المعتمَد من أن الحدودَ جوابِر.

قوله: (فلا يحل له نكاحها) محلُّ ذلك: إن لم يخف العنتَ في أمة معيَّنة، ولم يَجِدْ مَن يكفيه عنها من الحرائر، فعند مالك: يجوزُ له نكاحُها؛ لأنه عادمٌ للحرائر حكماً.

قوله: (وعليه الشافعي) أي: ومالك وأحمد، وقال أبو حنيفة بِجواز نكاح الأمة لمن ليس تحتَهُ حرَّة بالفعل ولو كان واجداً لِمَهرها، وخالفَ في اشتراط إسلام الأمة.

وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ......

ولو عَدِمَ وخافَ، ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ عن نِكاحِ المَملُوكات ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ لِئَلَّا يَصِيرَ الوَلَد رَقِيقاً، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بالتَّوسِعةِ في ذلك.

﴿٢٦﴾ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ شَرائِعَ دِينِكم ومَصالِحَ أمرِكم، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾: طَرائِق ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِن الأنبياء في التَّحلِيل والتَّحرِيم فتتَّبِعُوهُم، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: يَرجِعَ بِكم عن مَعصِيَتِه التي كُنتُم علَيها إلى طاعَتِه، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِكُم، ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيما دَبَّرَهُ لَكُم.

﴿٢٧﴾ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كَرَّره لِيَبنِيَ علَيه: ....

حاشية الصاوي

قوله: (ولو عدم) أي: الطَّول، وخافَ العنت.

قوله: (﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾) أي: فالصبرُ أجملُ حيث أمكن التحيُّلُ على ذلك؛ لقوله في الحديث: «مَن استطاعَ منكم الباءةَ فليَتزوج، ومَن لم يستطعْ فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجاء»[1]، ولقوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

قوله: (بالتوسعة في ذلك) أي: في نكاح الأمة.

قوله: (﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾) أي: يفصِّل ويُظهر.

قوله: (فتتبعوهم) أي: على منوال شَرعكم.

قوله: (﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾) أي: يقبلُ توبتَكم إذا تُبتم.

قوله: (عن معصيته) أي: اللغوية، وإلا.. فقبلَ التشريع لم تكُنْ معصية.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾) أي: يحبُّ لكم ذلك ويَرضاه، وليست الإرادةُ على حقيقتها؛ لأنه يقتضي أن إرادةَ الله متعلِّقة بتوبة كلِّ عاصٍ مع أنه ليس كذلك[2]، فالمعنى: الله يحبُّ توبةَ العبد فيتوبُ عليه، ومِن هنا قيل: إن قبولَ التوبة قَطعيٌّ.

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) وإذا حملنا الإرادة على حَقيقتها وهو الموافق للظاهر.. فالمعنى: بيَّن لكم الأحكام وفصَّلها، وهذا حاصل قطعاً، فلم تتخلف الإرادة، وابتدع بعضهم ما يُسمَّى بالإرادة الشرعية وزعم إمكان تخلُّفها، واستدل بمثل هذه الآية، وهو افتئات لا يُعوَّل عليه، وبحثه في كتب الكلام.

وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ....

﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: اليَهُودُ والنَّصارى، أو المَجُوس، أو الزُّناة، ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾: تَعدِلُوا عن الحَقِّ بِارتكابِ ما حُرِّمَ عليكم، فتَكُونُوا مِثلَهم.

﴿٢٨﴾ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾: يُسَهِّلَ عليكُم أحكامَ الشَّرعِ، ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ لا يَصبِرُ عن النِّساء والشَّهوات.

﴿٢٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (والمجوس) أي: فكانوا يجوِّزون نكاحَ الأخوات من الأب وبنتِ الأخ، فلمَّا حرَّمَهن الله صاروا يقولون لِلمؤمنين: إنكم تحلُّون نكاحَ بنتِ العمَّة وبنت الخالة، فلا فرقَ بينهما وبين بنت الأخ والأخت!

قوله: (فتكونوا مثلهم) أي: لأن المصيبةَ إذا عمَّتْ هانَت.

قوله: (يسهِّل عليكم أحكامَ الشرع) أي: فلم يَجعلْها ثقيلةً عسيرة كما كان في الأُمَم السابقة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج: ٧٨].

قوله: (﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾) هذا كالتعليل لِقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾.

قوله: (لا يصبر عن النساء) أي: لما في الحديث «**لا خيرَ في النساء ولا صبرَ عنهُنَّ، يَغلبن كريماً ويغلبُهن لئيمٌ، فأحبُّ أن أكونَ كريماً مغلوباً، ولا أحبُّ أن أكونَ لئيماً غالباً**»[1]، وقوله: (أو الشهوات) أي: مطلقاً، ومِن جملتها النساء، وفي الحديث: «**إن لنفسِكَ عليك حقًّا**»[2].

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ... إلخ) لمَّا بيَّنَ النهيَ عن بعض الفُروج وإباحة بعضها.. شرعَ يبيِّنُ النهيَ عن بعض الأموال والأنفُس.

---

(١) روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٣١٢): «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهُنَّ إلا لئيم»، وإلى قوله: «لأهلي» رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧).

(٢) رواه البخاري (١٩٦٨) من كلام سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه لسيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه في حديث زيارته له، وقال النبي ﷺ آخر الحديث: «صَدق سلمان».

﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ ....

﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾: بِالحَرامِ في الشَّرعِ كالرِّبا والغَصب، ﴿إِلَّآ﴾: لَكِن ﴿أَن تَكُونَ﴾: تَقَعَ ﴿تِجَـٰرَةٌ﴾ ـ وفي قِراءة بِالنَّصبِ ـ أي: تَكُونَ الأموالُ أموالَ تِجارةٍ صادِرةً ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ وطِيبِ نَفسٍ، فلَكم أن تَأكُلُوها، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ بِارتِكابِ ما يُؤَدِّي إلى هَلاكِها أيًّا كان في الدُّنيا أو الآخِرة، بِقَرِينةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في مَنعِه لَكم مِن ذَلك.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم﴾) أي: بإنفاقها في المعاصي، والمرادُ بالأكل: مطلقُ الأخذ، وإنما عبَّرَ بالأكل؛ لأنه معظمُ المقصود من الأموال.

قوله: (**كالربا والغصب**) أي: والسرقة والرشوة وغير ذلك من المحرَّمات.

قوله: (﴿إِلَّآ﴾ **لكن**) أشارَ بذلك إلى أن الاستثناءَ منقطع.

قوله: (**وفي قراءة بالنصب**) أي: على أنَّ ﴿تَكُونَ﴾ ناقصةٌ، و﴿تِجَـٰرَةً﴾: خبرها، واسمُها محذوف، وأما على الرفع فـ﴿تَكُونَ﴾ تامَّة، والقراءتان سبعيَّتان[(١)].

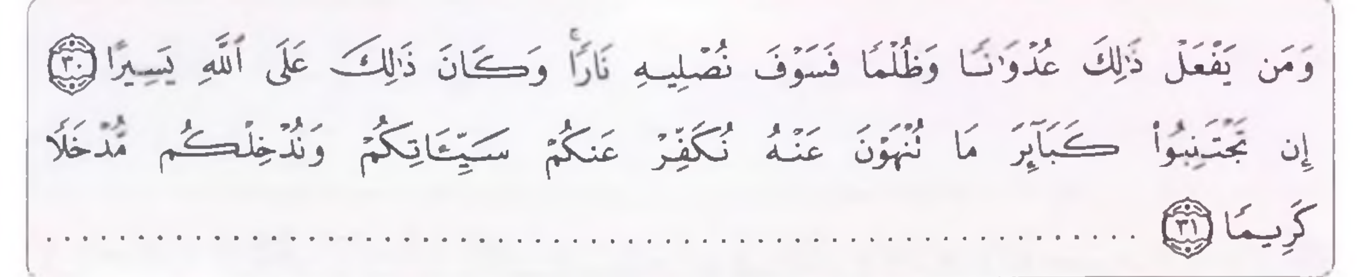
قوله: (﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾) أي: وأما إذا لم تكُنْ عن تراضٍ بل كانت غصباً أو غشًّا أو خديعة.. فليست حلالاً، ويشترطُ أيضاً أن تكون على الوجه المرضيِّ في الشرع، وخصَّ التجارةَ بالذكر؛ لأنَّ غالبَ التصرُّف في الأموال بها لِذَوي المروءات.

قوله: (**أيًّا كان في الدنيا... إلخ**) أي: بأن يزنيَ وهو محصنٌ فيترتَّبُ عليه الرجم، أو يقتلَ أحداً فيُقتل، أو يقتلَ نفسه غمًّا وأسفاً؛ لما رُويَ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تردَّى من جبل فقتلَ نفسَهُ فهو في نارِ جهنَّمَ يتردَّى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسَّى سمًّا فقتلَ نفسه فسمُّهُ في يَده يتحسَّاه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومَن قتلَ نفسه بحديدةٍ فهو يتوجَّأُ بها في بَطنه في نار جهنَّمَ خالداً فيها أبداً»[(٢)].

---

(١) قرأ الكوفيون بالنصب، والباقون بالرفع على أنها تامة. انظر «الدر المصون» (٣/ ٦٦٤).

(٢) رواه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.


وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ....

(٣٠) ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما نُهِيَ عنهُ ﴿عُدْوَٰنًا﴾: تَجاوُزاً لِلحَلالِ، - حالٌ - ﴿وَظُلْمًا﴾ - تأكِيدٌ - ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾: نُدخِلُهُ ﴿نَارًا﴾ يَحترِقُ فيها، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: هَيِّناً.

(٣١) ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وهي ما وردَ عليها وَعِيدٌ كالقَتلِ والزِّنا والسَّرِقةِ، وعنِ ابن عبَّاس: هي إلى السَّبعِمائةِ أقرَبُ، ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ الصَّغائِرَ بالطَّاعاتِ، ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا﴾ - بِضَمِّ المِيمِ وفَتحِها - أي: إدخالاً أو مَوضِعاً ﴿كَرِيمًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: ما نهيَ عنه) أي: وهو قتل النفس، أو أكلُ الأموال بالباطل.

قوله: (تأكيد) أي: لأن الظلمَ والعدوان بمعنًى واحد، وهو: تجاوزُ الحدِّ.

قوله: (﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾) أي: الإصلاءُ المذكور.

قوله: (وهي: ما وردَ عليها وعيد) أي: أو حدٌّ، ولا تحدُّ بالعدِّ.

قوله: (أقرب) أي: منها للسبعين التي قيل بها[1].

قوله: (بالطاعات) أي: بفعلها زيادةً على الاجتناب، كذا قيل، وقيل: لا يشترطُ ذلك، بل تكفَّرُ الصغائرُ باجتناب الكبائر فقط؛ فإن اجتنابَ الكبائر من أعظَم الطاعات، وهو المعتمدُ.

قوله: (بضمِّ الميم) أي: فيكون مصدراً على صورة اسم المفعول؛ لأنَّ مصدر الرُّباعي يأتي على صورة اسم المفعول، ومفعوله محذوف؛ أي: ندخلكم الجنة إدخالاً، وقوله: (وفتحها) أي: فيكون اسمَ مكان، فقوله: (أي: إدخالاً أو موضعاً) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، ويحتمل أن كلًّا لكلٍّ، لكن الأول أقربُ، وهما قراءتان سبعيَّتان إلا في (الإسراء) فبالضمِّ لا غير[2].

---

(١) روايات، انظر «فتح الباري» (١٢/ ١٨٣).

(٢) قرأ نافع بالفتح، والباقون بالضم. انظر «الدر المصون» (٣/ ٦٦٥).

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾ ....

هو الجنَّة.

(٣٢) ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مِن جهةِ الدُّنيا أو الدِّين؛ لِئَلَّا يُؤدِّيَ إلى التَّحاسُد والتَّباغُض، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾: ثوابٌ ﴿مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾ بِسَبَبِ ما عَمِلُوا مِن الجِهاد وغَيرِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (هو الجنة) هذا يناسبُ كونه اسمَ مكان، وأما على كونه مصدراً.. فالمرادُ: أن قرار الإدخال الكريم الجنةُ، ومعنى كونه كريماً: أنه لا نكَدَ فيه ولا تعب، بل فيه ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلب بشر.

قوله: (﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾) سيأتي في المفسر سببُ نزولها، وهو تمنِّي أمِّ سَلمة كونها من الرجال؛ وذلك لأنَّ اللهَ فضَّلَ الرجال على النساء بأُمور؛ منها الجهادُ والجمعة والزيادة في الميراث وغيرُ ذلك، والتمنِّي هو: التعلُّقُ بحصول أمر في المستقبل عكسُ التلهُّف؛ لأنه التعلُّقُ بحصول أمر في الماضي، فإنْ تعلَّقَ بانتقال ما لغيره له أو لغيره مع زواله عنه.. فهو حسدٌ مذموم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]، وفي ذلك قال ابن حنبل:

[المتقارب]

أَلَا قُـلْ لِـمَـنْ بـاتَ لِـي حـاسِـداً: أَتَـدْرِي عَـلَـى مَـنْ أَسَـأْتَ الأَدَبْ
أَسَـأْتَ عَـلَـى اللهِ فِـي فِـعْـلِـهِ كَـأَنَّـكَ لَـمْ تَـرْضَ لِـي مـا وَهَـبْ
فَـكَـانَ جَـزاؤُكَ أَنْ خَـصَّـنِـي وَسَـدَّ عَـلَـيْـكَ طَـرِيـقَ الـطَّـلَـبْ[1]

وإن تعلَّقَ بمثل ما لغيره مع بقاء نِعمته؛ فإن كان تقوَى أو صلاحاً أو إنفاقَ مال في الخير.. فهو مَندوب، وهو المعنيُّ بقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا حسدَ إلا في اثنتَين: رجل آتاهُ اللهُ مالاً فسلَّطَهُ على هلَكته في الخير، ورجل آتاه اللهُ الحكمةَ فهو يَقضي بها ويُعلِّمُها الناسَ**»[2]، وأما إن كان تمنَّى المالَ لمجرَّد الغنى.. فهو جائز.

قوله: (وغيره) أي: من أنواع البرِّ؛ كالصلاة والصوم وغيرهما.

(١) الأبيات للمعافى بن زكريا كما رَواها عنه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/٣٠٨) مقاربة.

(٢) رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ....

﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ مِن طاعةِ أزواجِهنَّ وحِفظ فُروجِهنَّ، نَزَلَت لَمَّا قالت أُمُّ سَلمة: لَيتَنا كُنَّا رِجالاً فجاهَدْنا، وكان لَنا مِثلُ أجرِ الرِّجال. ﴿وَسْـَٔلُوا۟﴾ - بِهَمزةٍ ودُونَها - ﴿ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ ما احتَجتُم إليهِ يُعطِكُم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ ومِنهُ مَحَلُّ الفَضل وسُؤالُكُم.

حاشية الصاوي

قوله: (من طاعة أزواجهن) أي: لما في الحديث: «لو أمرتُ أحداً أن يَسجدَ لأحدٍ لأمرت المرأةَ أن تسجدَ لِزوجها»[١]، وفي الحديث: «إذا باتَ الرجلُ غضباناً على زَوجته، باتَت الملائكةُ تَلعنُها إلى الصباح»[٢].

قوله: (أم سلمة) أي: وهي زوجُ النبيِّ ﷺ، وقد ترتَّبَ على تمنِّيها نزولَ تلك الآية، ونزولَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ...﴾ إلى قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

قوله: (ليتنا كنَّا رجالاً) أي: ينتقلُ لنا وصفُهم، ولا خُصوصيةَ لأمِّ سَلمة بهذا التمنِّي، فقد تمنَّى مثلَها جماعةٌ من النِّسوة[٣]، وقيل: سببُ نزولها: تمنِّي الرجال أن الله كما فضَّلهم على النساء في الدنيا يفضِّلُهم عليهنَّ في الآخرة[٤].

قوله: (بهمزة ودونها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، والحاصل: أن هذه المادةَ إن ورَدت في القرآن بواو أو فاء لغير غائب.. ففيها القراءتان؛ نحو: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]، ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، وإن ورَدت بغيرهما.. فالقراءةُ بدون الهمزة لا غير؛ نحو: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٢١١]، وإن ورَدت لغائب مع الواو أو الفاء نحو: ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ [الممتحنة: ١٠].. فالقراءةُ بالهمز لا غير[٥].

---

(١) رواه الترمذي (١١٥٩)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٠٢)، وابن ماجه (١٨٥٢).

(٢) بنحوه رواه البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقوله: (غضباناً) كذا في الأصول، وصرفه على لغة بني أسد؛ إذ يجعلون مؤنثه (فعلانة)، وقد سبَق بيانها.

(٣) حديث أم سلمة رضي الله عنها رواه الترمذي (٣٠٢٢) عن مجاهد مرسلاً، وخبر أن النساء عموماً تمنَّين هذا رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٦١).

(٤) روي هذا عن قتادة والسدي، وانظر «السراج المنير» (١/ ٢٩٩).

(٥) الجمهور على إثبات الهمزة، وابن كثير والكسائي على نقل حركتها إلى ما بعدها. انظر «الدر المصون» (٣/ ٦٦٦).

وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ ....

﴿٣٣﴾ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِن الرِّجال والنِّساءِ ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾: عَصَبةً يُعطَون ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ لَهُم مِن المالِ، ﴿وَٱلَّذِينَ عَٰقَدَتْ﴾ ـ بِألِفٍ ودُونها ـ ﴿أَيْمَٰنُكُمْ﴾: جَمع يَمِين بِمعنَى القَسَم أو اليَد، أي: الحُلَفاء الذينَ عاهَدتُمُوهم في الجاهِليَّة على النُّصرَة والإرثِ، ﴿فَـَٔاتُوهُمْ﴾ الآنَ ﴿نَصِيبَهُمْ﴾: حَظَّهُم مِن المِيراثِ وهو السُّدُسُ، .....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِكُلٍّ﴾) أي: لكلٍّ من مات من الرجال أو النساء مَوالي؛ أي: ورثة يَرِثونهم، وقوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ أي: من المال الذي تركه الوالدان والأقربون إن ماتوا، وهذا حلُّ المفسِّر، وقال غيره: إن قوله: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ بيانٌ للمَوالي، فيكونون وارثِين لا مُورثين، وكلٌّ صحيح، والأقربُ الأول، وعليه ابنُ عباس، والقصدُ بذلك نسخُ ما كانت عليه الجاهليَّة من توريث الحُلَفاء، فكان الواحدُ منهم يأخذُ بيَمين صاحبه ويقول له: دمي دمك، وهَدْمي هَدْمُك، أعقِل عنك وتعقل عني، وأرثك وتَرثني، وقد كان في صدر الإسلام لكلٍّ واحد من صاحبه السدس، ثم نُسخَ بهذه الآية أو بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] كما يأتي.
وقوله: (دمي دمك) أي: أنت وليُّ دَمي وأنا وليُّ دمك، وقوله: (هدمي هَدمك) بفتح الهاء وسكون الدال؛ أي: إذا وقعَ بيننا قتل كان المقتول منا هَدراً، وقوله: (أعقل عنك وتعقل عني) أي: إذا لَزِمَتْكَ ديةٌ شاركتُكَ فيها وأنتَ كذلك.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ عَاقَدت أَيْمَٰنُكُمْ﴾) مبتدأٌ خبره قوله: ﴿فَـَٔاتُوهُمْ﴾، وقد فرضَهُ المفسِّرُ في تحالف الجاهلية، وبعضهم فرضَهُ في مُؤاخاة النبيِّ بين المهاجرين والأنصار، وكلٌّ صحيح، وعلى كلٍّ: فالميراثُ لهم منسوخ.

قوله: (بألف ودونها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، ورُوي عن حمزة التشديد مع حذف الألف[1].

قوله: (﴿فَـَٔاتُوهُمْ﴾ الآن) أي: في صَدر الإسلام، وقد علمتَ أن المفسِّرَ فرضَهُ في تحالف الجاهلية، ويجوزُ فرضُهُ في مُحالَفة المهاجرين مع الأنصار.

---

(١) قرأ الكوفيون بإسقاط الألف، والباقون بإثباتها، وانظر «الدر المصون» (٣/ ٦٧٠).

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ....

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾: مُطَّلِعاً، ومنهُ حالُكم، وهذا مَنسوخٌ بِقولِه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ [الأنفال: ٧٥].

﴿٣٤﴾ ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾: مُسَلَّطُون ﴿عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يُؤَدِّبُونهُنَّ ويَأخُذُونَ على أيدِيهِنَّ، ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ أي: بِتَفضِيلِه لهُم علَيهِنَّ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهذا منسوخ) أي: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَاقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ...﴾ الآية.

قوله: (بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾) وقيل: منسوخٌ بالآية قبلها، والواقعُ أن كلًّا ناسخٌ لها.

قوله: (﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾) سببُ نزولها: أن سعدَ بن الربيع أحدَ نُقباء الأنصار نشَزت زوجتُه واسمها حبيبةُ بنتُ زيد، فلطَمَها، فانطلقَ بها أبوها إلى النبيِّ ﷺ وقال له: قد لطمَ كريمتي، فقال النبي: «لتقتصَّ من زوجِها» فذهبت مع أبيها، فقال عليه الصلاة والسلام: «ارجعوا؛ إن جبريلَ أتاني، وقرأَ الآية ثم قال: أردنا أمراً وأرادَ اللهُ أمراً، وما أرادَهُ اللهُ خير»[1]. وهذا كلامٌ مستأنف قصدَ به بيانَ تفضيل الرجال على النساء، وأفادَ أن التفضيلَ لِحِكمتين: الأولى: وهبيَّة، والثانية: كسبيَّة.

واعلم: أن جنسَ الرجال أفضلُ من جنس النساء؛ فلا يُنافي أنَّ بعضَ أفراد النساء أفضلُ من بعض أفراد الرجال؛ كمَريمَ بنتِ عمران وفاطمة الزهراء وخديجة وعائشةَ.

قوله: (مسلَّطون) أي: قيام سَلطنة؛ كقيام الوُلاة على الرعاية، فالمرأةُ رَعيةُ زوجها، وفي الحديث: «كلُّ راعٍ مسؤولٌ عن رَعيَّته»[2].

قوله: (ويأخذون على أيديهنَّ) أي: يمنعونهنَّ من كلِّ مَكروه؛ كالخروج من المنزل.

قوله: (﴿بِمَا فَضَّلَ﴾) الباء: سببية، و(ما): مصدرية؛ أي: بتفضيل الله، والبعضُ الأول الرجال، والثاني النساء، وأبهمَ البعضَ؛ إشارةً إلى أن التفضيلَ بِالجملة لا بالتفصيل.

(١) انظر «تفسير البغوي» (١/ ٦١٠)، و«الدر المنثور» (٢/ ٥١٢).

(٢) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّـٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ....

بالعِلم والعَقل والوِلايةِ، وغيرِ ذلك، ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟﴾ علَيهنَّ ﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾ مِنهُنَّ ﴿قَـٰنِتَـٰتٌ﴾: مُطيعاتٌ لِأزواجِهنَّ، ﴿حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي: لِفُروجِهنَّ وغيرِها في غَيبةِ أزواجِهِنَّ، ﴿بِمَا حَفِظَ﴾هُنَّ ﴿ٱللَّهُ﴾ حيثُ أوصَى علَيهِنَّ الأزواجَ، ﴿وَٱلَّـٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: عِصيانَهنَّ لَكُم، بِأن ظَهَرَت أمارَتُه، ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: فخَوِّفُوهُنَّ اللهَ، ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾: اعتزِلُوا إلى فِراشٍ آخَرَ إن أظهَرنَ النُّشُوزَ، ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ ضَرباً

حاشية الصاوي

قوله: (بالعلم. . . إلخ) أشارَ المفسِّرُ لبَعض الأمور التي فُضِّلت الرجالُ بها على النساء، ومنها زيادةُ العقل، والدين، والولاية، والشهادة، والجهاد، والجمعة والجماعات، وكونُ الأنبياء والسلاطين من الرجال، ومنها كون الرجل يتزوَّجُ بأربع في الدنيا، وبأكثرَ في الجنة دون المرأة، وكون الطلاق والرَّجعة بيد الرجل.

قوله: (﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟﴾) يقال فيه ما قيل في قوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ أي: وبإنفاقهم، ومن جملة الإنفاق: دفعُ المَهر.

قوله: (مطيعات لأزواجهن) أي: في غير مَعصية الله.

قوله: (في غيبة أزواجهن) أي: عنهنَّ.

قوله: (﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾) أشار المفسِّرُ إلى أن (ما) اسمٌ موصول أو نَكرة موصوفة، والعائد محذوف قدَّره بقوله: (هُنَّ)، والباء: سببيَّة؛ أي: بسبب الذي، أو شيءٍ حفظَهُنَّ اللهُ به، ولفظُ الجلالة: فاعل ﴿حَفِظَ﴾، والمعنى: أن اللهَ كما أوصى الأزواج بحفظِ النساء، كذلك لا تُسمَّى النساءُ صالحاتٍ إلا إذا حَفِظهن الأزواج؛ لأنه كما يَدينُ الفتى يُدانُ، ويحتمل أن (ما) مصدرية، والمعنى: بِحفظ الله؛ أي: توفيق الله لهنَّ.

قوله: (عصيانهن لكم) أي: فيما تَأمرونَهُنَّ به.

قوله: (بأن ظهرت أماراته) أي: النشوزِ، بأن ظَننتُم ذلك.

قوله: (﴿فَعِظُوهُنَّ﴾) أي: بنحو: اتَّقي الله واحذَري عقابه؛ فإنَّ الرجلَ له حقٌّ على المرأة، وهذا الترتيبُ واجبٌ، وأُخِذَ وجوبُهُ من السنة.

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ ....

غيرَ مُبرّح إن لَم يَرجِعنَ بالهِجرانِ، ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ فيما يُرادُ مِنهُنَّ، ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾: تطلُبُوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: طَريقاً إلى ضَربهنَّ ظُلماً، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذَرُوهُ أن يُعاقِبَكم إنْ ظَلمتُمُوهنَّ.

﴿٣٥﴾ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾: عَلِمتُم ﴿شِقَاقَ﴾: خِلافَ ﴿بَيْنِهِمَا﴾: بينَ الزَّوجَينِ، والإضافةُ لِلاتِّساعِ أي: شِقاقاً بَينهما، ﴿فَابْعَثُوا﴾ إلَيهما بِرِضاهُما ﴿حَكَمًا﴾: رَجُلاً عَدلاً ﴿مِنْ أَهْلِهِ﴾: أقارِبِه، ﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾، ويُوَكِّل الزَّوجُ حَكَمَه في طَلاق وقَبُولِ عِوَض عليه، وتُوَكِّل هِيَ حَكَمَها في الاختِلاع، فيَجتَهِدانِ ويَأمُران الظَّالِم بالرُّجُوعِ، أو يُفَرِّقان ......

حاشية الصاوي

قوله: (غير مبرح) أي: وهو الذي لا يَكسرُ عظماً ولا يشينُ جارحةً.

واعلمْ: أن الهجرَ والضرب لا يَسُوغُ فعلُهما إلا إذا تحقَّقَ النشوز، ويُزادُ في الضرب ظنُّ الإفادةِ، وأما الوعظُ.. فلا يشترطُ فيه تحقُّقُ النشوز ولا ظنُّ الإفادةِ.

قوله: (طريقاً إلى ضربهنَّ ظلماً) أي: كأن توبخُوهُنَّ على ما كان مِنهنَّ، فيلجأُ الأمرُ إلى الخصام والضرب، فإن عُدنَ للنشوز رجعَ الترتيب الأول، ولا يُضربنَ من أولِ وَهلة.

قوله: (فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهنَّ) أي: فالمطلوبُ أن تستوصوا بهن خيراً؛ لما في الحديث: «استَوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأةَ خُلِقتْ من ضِلَع، وإن أعوجَ ما في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبتَ تُقيمُهُ كسرته، وإن تركتَهُ لم يَزَلْ أعوجَ، فاستَوصوا بالنساء خيراً»[1].

قوله: (﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾) الخطابُ لوُلاةِ الأمور، أو لأشرافِ البَلدة التي هما بها.

قوله: (والإضافة للاتساع) أي: والأصلُ: شِقاقاً بينهما، فأُضيفَ المصدر إلى ظرفه مثل: ﴿مَكْرُ اللَّيْلِ﴾ [سبأ: ٣٣].

قوله: (﴿حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾) أي: إن وجدَ كلٌّ من الأهلينِ معاً، فإن لم يُوجدا أو وُجِدَ أحدُهما دون الآخر.. اختارَ وليُّ الأمر رَجُلين وبعثَهما، واحداً عنها وواحداً عنه.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ....

إن رَأياهُ، قال تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ﴾ أي: الحَكَمانِ ﴿إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾: بينَ الزَّوجَينِ، أي: يُقْدِرْهُما على ما هو الطَّاعةُ مِن إصلاحٍ أو فِراقٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِكُلِّ شَيء، ﴿خَبِيرٗا﴾ بِالبَواطنِ كالظَّواهِرِ.

﴿٣٦﴾ ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وَحِّدُوهُ ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ و﴾ أحسِنُوا ﴿بِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾:

حاشية الصاوي

واعلَمْ: أن كون الحَكَمين من الأهلين عند وجودهما مندوبٌ عند الشافعي، واجبٌ عند مالك.

قوله: (إن رأياه) أي: صواباً ومصلحةً.

قوله: (أي: الحَكَمان) ويحتملُ أن يعودَ على الزوجين، والمعنى: إن يُريد[1] الزوجان إصلاحاً مُعاشرةً بالمعروف وتركَ ما يسيءُ تحصلِ الموافقةُ بينهما، وقوله: (بين الزوجين) ويحتملُ أن يعودَ على الحَكَمين، والمعنى: لا يَحصلُ اختلافٌ بين الحكمين، بل تحصلُ الموافقةُ بينهما، فيحكمان بما أنزل الله، فتحصَّلَ أن الضميرَين يَصِحُّ عودُهما معاً على الزوجَين، أو الحَكمين، أو الأول الزوجين، والثاني للحكمين، وبالعكس، وقوله: (﴿إِصۡلَٰحٗا﴾) أي: مَصلحة، وإليه يشيرُ قول المفسر بعد ذلك: (من إصلاح أو فِراق).

قوله: (﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾) الخطابُ للمكلَّفين؛ لأنَّ العبادةَ تتوقف على مَعرفة المعبود والنيَّة، ولكن المراد ما يشملُ القربةَ التي هي ما تتوقَّفُ على معرفة المتقرَّبِ إليه، والطاعةَ التي لا تَتوقف على شيء.

قوله: (وحِّدُوه) حيث فسَّرَ العبادة بالتوحيد.. كان قوله بعد ذلك: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ﴾ تأكيداً، ولكن الأولى التعميمُ كما قدَّمناه، فيكون قولُه: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ﴾ تأسيساً، وهذا نظيرُ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

قوله: (﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾) يحتملُ أن ﴿شَيۡـٔٗا﴾ مفعولٌ به، والمعنى: لا تُشركوا به شيئاً من الأشياء صنماً أو غيره، ويحتملُ أنه مَفعولٌ مطلق صفةٌ لمصدر محذوف، والمعنى: إشراكاً شيئاً جليًّا أو خفيًّا؛ كالرياء والسُّمعة.

قوله: (﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾) قرنَ برَّ الوالدين بعبادة الله؛ إشارةً لتأكُّدِ حقِّهما، وتخويفاً من عُقوقهما،

(١) كذا في النسخ: (يريد)، والياء إشباع للكسرة، على حدِّ: ألم يأتيك والأنباء تَنمي.

وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ....

بِرًّا ولِينَ جانِب، ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القَرابةِ، ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القَريب مِنك في الجِوارِ أو النَّسَب، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: البَعِيد عنك في الجِوار أو النَّسَبِ، ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾: ....

حاشية الصاوي

وقدَّرَ المفسِّرُ: (أحسنوا) إشارةً إلى أن ﴿إِحْسَٰنًا﴾ مفعولٌ مُطلق لفعل محذوف، والجار والمجرور يحتملُ أن يكون متعلِّقاً بـ(أحسنوا) المقدَّر، وإليه يُشيرُ المفسِّرُ، ويحتمل أنه متعلِّق بـ﴿إِحْسَٰنًا﴾، ولا يقالُ: إنَّ المصدر لا يعملُ في متقدِّم؛ لأنه يُقال: محلُّهُ في غير الجارِّ والمجرورِ والظرف.

قوله: (بِرًّا ولِينَ جانبٍ) أي: بأن يعظِّمهما ويخدمَهما ويفعلَ معهما أنواع البرِّ، وقد بيَّنَ أنواعه في قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا...﴾ [الإسراء: ٢٣] الآية، وإنما خصَّ حالةَ الكبرِ؛ لأنَّ عندها يَثقلان، وإنما تكرَّرت الآياتُ المتعلقة بالوصية على الوالدين دون العكس؛ لأنَّ الله جعلَ الرأفةَ القائمة بقلوب الوالدَينِ على الأولاد مُغنِيةً عن التكليف بالقيام بِحُقوق الأولاد، بخلاف الأولاد؛ فلِذا شدَّدَ على الأولاد دُون الوالدين.

قوله: (﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾) كرَّرَ الباءَ؛ إشارةً إلى تأكُّد حقِّ القرابة؛ لما في الحديث: «**الرحمُ مُعلَّقةٌ بالعرش، تقول: يا ربِّ؛ مَنْ وَصلني فأوصلْهُ، ومَن قطعني فاقطعْهُ**»[١].

قوله: (﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾) جمعُ يَتيم، وهو: من ماتَ أبوه، ويستمرُّ يُتمُهُ إلى البلوغ، فإذا بلغَ زال يتمُهُ.

قوله: (﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾) جمعُ مسكين، وهو: مَن التصقت يدُهُ بالتراب، والمرادُ: ما يشملُ الفقير.

قوله: (أو النسب) (أو): مانعةُ خُلوٍّ تجوِّزُ الجمعَ؛ لما في الحديث: «**الجيرانُ ثلاثة؛ فجارٌ له ثلاثةُ حُقوق: حقُّ الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام، وجارٌ له حَقَّان: حق الجوار، وحقُّ الإسلام، وجارٌ له حقٌّ واحد: حق الجوار، وهو المشرك مِن أهل الكتاب**»[٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٥) عن عائشة رضي الله عنها بهذا اللفظ.

(٢) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (٩١١٣).

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ ....

الرَّفيقِ في سَفرٍ أو صِناعةٍ، وقيل: الزَّوجةُ، ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المُنقَطِع في سَفرِه، ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ مِن الأرقَّاءِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا﴾: مُتكبِّراً، ﴿فَخُورًا﴾ على النَّاس بِما أُوتِي.

٣٧ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ مُبتدأٌ ـ ﴿يَبۡخَلُونَ﴾ بِما يَجِب علَيهم، ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ به، ﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ مِن العِلمِ والمال وهُم اليَهودُ، ـ وخبرُ المبتدإ: ـ لهم وَعيدٌ شَديدٌ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (**الرفيق في سفر**) ومِثله: الملاصقُ لك في نحو درس علم أو صلاة.

قوله: (**المنقطع في سفره**) المناسبُ: تفسيره بالغريب، كان منقطعاً أو لا.

قوله: (**من الأرقَّاء**) لا مفهومَ له، بل مثلُهُ: الدوابُّ المملوكة، وإنما خصَّ الأرقاء؛ لِقَوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، فالإحسانُ إليهم متأكِّد؛ لقوله في الحديث: «**إن الله ملَّككم إيَّاهم؛ ولو شاءَ ملَّكهم إيَّاكم**»[1].

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾) علَّة لمحذوف تقديره: أمَرَكم الله بذلك فلا تفخرُوا؛ إن الله... إلخ.

قوله: (**متكبِّراً**) أي: معجباً لنفسه مُستحقراً لغيره.

قوله: (**أوتي**) أي: مِن النعم.

قوله: (**بما يجب عليهم**) أي: من الزكاة وغيرها.

قوله: (﴿بِٱلۡبُخۡلِ﴾ **به**) أي: بما يجب.

قوله: (**من العلم**) أي: كصفات النبي الموجودة في التوراة والإنجيل.

---

(١) قطعة من حديث أورده الغزالي في «الإحياء» (٢/ ٢١٩)، وروى البخاري (٢٥٤٥)، ومسلم (١٦٦١) من حديث أبي ذرٍّ، وفيه: «إخوانكم وخوَلكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمَن كان أخوه تحت يديه، فليُطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تُكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعِينوهم عليه».

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ....

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بِذلكَ وبِغيرِه ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾: ذا إهانةٍ.

﴿٣٨﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ ـ عَطْفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبلَه ـ ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: مُرائِينَ لهُم، ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ كالمُنافِقينَ وأهلِ مكَّةَ، ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾: صاحِباً يَعمَل بِأمرِه كهؤلاءِ، ﴿فَسَآءَ﴾: بِئسَ ﴿قَرِينًا﴾ هو.

﴿٣٩﴾ ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ أي: أيُّ ضَرَرٍ علَيهم في ذلك؟ والاستِفهامُ لِلإنكارِ، و﴿لَوْ﴾ مَصدَريَّة، أي: لا ضَرَر فِيه، وإنَّما الضَّرَر فيما هُم علَيهِ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيُجازِيهم بِما عَمِلوا.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾) علَّةٌ لخبر المبتدإ المحذوف.

قوله: (مرائين لهم) أشارَ به إلى أن ﴿رِئَآءَ﴾ حالٌ من الواو في ﴿يُنفِقُونَ﴾.

قوله: (كهؤلاء) أي: الذين يَبخلون ويأمرون الناس بالبخل، ويكتمون، ومَن يُنفق ماله مرائياً، ومن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر.

قوله: (﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾) (ساءَ) بمعنى: بئس، تساقُ للذمِّ، فهي نظيرتُها في المعنى والعمل، و﴿قَرِينًا﴾: تمييز، والأصلُ: فساء القرينُ قَرينهم، وقدَّرَ المخصوصَ بالذمِّ بقوله: (هو).

واعلم: أن كلَّ إنسان له قرينٌ من الشيطان يُوسوسُ له في الدنيا، ويكون معه في النار في سِلسلة، واختُلف؛ فقيل: الذمُّ في الدنيا على مُطاوَعته فيما يأمرُهُ به، وقيل: في الآخرة على مُقارَنته له في السلسلة في النار.

قوله: (أي: أيُّ ضررٍ) أشارَ بذلك إلى أن (ما) استفهام، وهو للإنكار والتوبيخ.

قوله: (ولو: مصدرية) أي: والكلامُ على تقدير (في)، وإليه يشيرُ المفسِّرُ بقَوله: (أي: لا ضرر عليهم فيه)، فالتقديرُ: وماذا عليهم في إيمانِهم؟

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ ....

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ﴾ أحداً ﴿مِثۡقَالَ﴾: وزنَ ﴿ذَرَّةٖۖ﴾: أصغر نملةٍ، بأن يُنقِصها مِن حسَناتِه أو يَزيدَها في سَيِّئاته، ﴿وَإِن تَكُ﴾ الذَّرَّةُ ﴿حَسَنَةٗ﴾ مِن مُؤمِن - وفي قِراءة بالرَّفع فـ(كان) تامَّةٌ - ﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾ مِن عشرٍ إلى أكثَرَ مِن سَبعِمائةٍ، - وفي قِراءة: (يُضَعِّفها) بِالتَّشديدِ - ﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ﴾: مِن عِندِه مع المُضاعفةِ ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ لا يُقَدِّرُهُ أحدٌ.

﴿٤١﴾ ﴿فَكَيۡفَ﴾ حالُ الكُفَّار ﴿إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾ يَشهَد علَيها بِعَمَلِها وهو نَبِيُّها، ﴿وَجِئۡنَا بِكَ﴾ يا مُحمدُ ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾؟

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾) مِن ذلك إظهارُ العدل في المجازاة على السيئات، وكمالُ الفضل في المجازاةِ على الحسنات.

قوله: (أصغر نملة) وقيل: هو الهباءُ الذي يكون في الشمس.

قوله: (من مؤمن) أي: لا مِن كافر، بل تكون هباءً منثوراً.

قوله: (وفي قراءة بالرفع) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾) أي: يُضاعف ثوابها[2].

قوله: (لا يقدره) أي: لا يحصرُهُ ولا يعدُّه، بل ذلك مِن مَحض فضله وكرمه.

قوله: (﴿فَكَيۡفَ﴾) خبرٌ لمبتدإٍ محذوف، قدَّره المفسِّرُ بقوله: (حالُ الكفار)، وهو استفهامُ تعجُّبي استعظامي؛ أي: تَعجَّبْ من حالهم؛ فإنه بلغَ الغايةَ في الفظاعة والشناعة؛ لِعظَم ما رأوه من الأهوال العظيمة.

قوله: (﴿إِذَا جِئۡنَا﴾) ظرفٌ متعلق بالمبتدإ المحذوف.

قوله: (﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾) أي: أُمَم الأنبياء الكفار حين ينكرون تبليغَ أنبيائهم لهم الرسالة، **وحاصل ذلك**: أنه بعد انفِضاض الموقف تحضرُ الأنبياء مع أُمَمِهم، فيقول الله للأمم: ألم تبلِّغكم

(١) قرأ ابن كثير ونافع بالرفع، والباقون بالنصب. انظر «الدر المصون» (٣/ ٦٨٢).

(٢) قرأ ابن كثير ونافع: (يُضَعِّفْها)، والباقون بإثبات الألف. المصدر السابق.

يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ....

﴿٤٢﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ المَجيءِ ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ﴾ أي: أن ﴿تُسَوَّىٰ﴾ ـ بالبِناء لِلمَفعولِ، والفاعِلِ مع حذفِ إحدَى التَّاءَينِ في الأصلِ، ومع إدغامِها في السِّين ـ أي: تَتسوَّى ﴿بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ بِأن يَكُونُوا تُراباً مِثلَها؛ لِعِظَمِ هَولِه كما في آيةٍ أُخرَى، ﴿وَيَقُولُ

حاشية الصاوي

الرسلُ الشرائعَ؟ فيقولون: يا ربَّنا؛ ما بَلَّغونا، فيسألُ الله الرسلَ: ألم تُبلِّغوهم ما أرسلتُكم به؟ فيقولون: بلى، فيقول الله للرُّسل: هل لكم شهودٌ؟ فيقولون: محمدٌ وأُمَّتُه، فيؤتى بهم، فيَشهدون على الأمم بالتكذيب، وللأنبياء بالبراءة[1]، ثم بعد ذلك إن وقعَ منهم إنكارٌ تنطقُ عليهم ألسنتُهم بل وجميع أعضائِهم والأزمنة والأمكِنة بتكذيبهم، وهذا الاحتمالُ هو الأظهرُ، ويحتملُ أن اسمَ الإشارة عائدٌ على المشركين مطلقاً من أوَّل الزمان إلى آخِره، أو عائدٌ على الكفار المنافقين من أُمَّته ﷺ، وإنما رجعَ للنبيِّ وأُمته على الاحتمال الأول وإن كانت الدعوى من معصوم؛ تبكيتاً لِكُفَّارِ الأمم السابقة، وإظهاراً لشرف هذه الأُمَّة وعِظم قَدرها.

قوله: **(يوم المجيء)** أشارَ بذلك إلى أن التنوينَ في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عِوَضٌ عن جملة ﴿جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ إلى آخرها.

قوله: (﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) أي: يتمنَّى الكفَّارُ مطلقاً.

قوله: (﴿وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ﴾) أي: رسولَ كلِّ أمة، فـ(أل) فيه للجنس.

قوله: **(أي: أن)** أشارَ بذلك إلى أن (لو) مصدريَّة.

قوله: **(بالبناء للمفعول)** أي: مع تخفيف السين، وقوله: **(وللفاعل... إلخ)** هذه قراءةٌ ثانية، وقولُه: **(ومع إدغامها)** قراءة ثالثة، فالحاصلُ: أن القراءاتِ ثلاثٌ: البناء للمفعول مع تخفيف السين، والبناءُ للفاعل مع التخفيف بحذف إحدى التاءَين، والتشديد بقلب التاء سيناً وإدغامها في السين[2].

قوله: **(بأن يكونوا تراباً مثلها)** أي: أو بأنْ تنشقَّ الأرضُ وتبتلعُهم، أو يُدفَنون فيها، والأقربُ: ما ذكره المفسِّر؛ لأنَّ خير ما فَسَّرته بالوارد.

---

(١) كما روى البخاري (٤٤٨٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من الشهادة لسيدنا نوح عليه السلام.

(٢) قرأ أبو عمرو وابن كثير وعاصم: (تُسَوَّى)، وقرأ حمزة والكسائي: (تَسَوَّى)، ونافع وابن عامر: (تَسَّوَّى). «الدر المصون» (٣/ ٦٨٦).

وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا ....

ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ عمَّا عَمِلُوه، وفي وقتٍ آخر يَكتُمُونه ويقُولُون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

﴿٤٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: لا تُصَلُّوا ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ مِن الشَّراب؛ لِأنَّ سَبَب نُزُولها صَلاةُ جَماعةٍ في حالِ السُّكرِ، ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ بِأن تَصْحُوا، ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ بإيلاجٍ أو إنزالٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾) معطوفٌ على ﴿يَوَدُّ﴾، فأخبرَ عنهم بأنهم يومَ القيامة يقعُ منهم شيئانِ: تمني أن الأرضَ تُسوَّى بهم، وعدمُ كتمانهم عن الله حديثاً.

قوله: (وفي وقت آخر... إلخ) جوابٌ عن سؤال، وهو أن هذه الآيةَ أفادت عدمَ الكتمان، وآية (الأنعام) أفادت إثباته[1]، وحاصل الجواب: أن الكتمانَ يقعُ منهم ابتداءً، وعدمُه انتهاءً.

قوله: (﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) إنما نهى عن القربان؛ لِلمبالغة في النهي، وقوله: ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ إن قلتَ: إن السكران لا عقلَ عنده فكيف يُنهى؟ أجيبَ: بأن المرادَ: لا تَسكروا في أوقات الصلوات.

قوله: (لأن سبب نزولها) اختصرَ المفسِّرُ السببَ، وحاصله: أنه رُوِيَ عن علي بن أبي طالب كرَّمَ الله وجهه قال: صنعَ لنا ابنُ عوف طعاماً، فدعانا فأكلنا وأسقانا خمراً قبل أن تُحرَّمَ الخمر، فأخذَتْ منَّا، وحضرت الصلاةُ؛ أي: صلاة المغرب، فقدَّموني، فقرأتُ: قل يا أيُّها الكافرون، أعبدُ ما تَعبدون، ونحن نعبدُ ما تَعبدون، فنزَلت الآية[2]، فحُرِّمت في أوقات الصلاة حتى نزلت آيةُ (المائدة) فحُرِّمت مطلقاً[3].

قوله: (﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾) ﴿حَتَّىٰ﴾: جارَّةٌ بمعنى (إلى)، والفعلُ بعدها منصوبٌ بـ(أن)

(١) وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

(٢) رواه الترمذي (٣٠٢٦)، وفيه: (لا أعبد ما تعبدون) بإثبات (لا)، وأورده العلامة الخازن في «تفسيره» (١/ ٣٧٨) وأسقط (لا)، والمصنف تابعه.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ....

ونَصبُه على الحال، وهو يُطلَق على المُفرَد وغيرِه، ﴿إِلَّا عَابِرِي﴾: مُجتازِي ﴿سَبِيلٍ﴾: طَرِيقٍ أي: مُسافِرين، ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ۚ﴾ فلَكُم أن تُصَلُّوا، واستِثناءُ المُسافِرِ لِأنَّ له حُكماً آخَرَ سَيأتِي، وقِيل: المُراد النَّهي عَن قُربان مَواضِع الصَّلاة أي: المَساجِدِ إلَّا عُبُورَها مِن غيرِ مُكْثٍ، ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ مَرَضاً يَضُرُّه الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مُسافِرِين وأنتُم جُنُب أو مُحدِثون، ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ هو المَكانُ المُعَدُّ لِقَضاءِ الحاجةِ أي: أحدَث، ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ - وفي قِراءة بِلا ألِف، وكِلاهُما بِمعنَى اللَّمس - ......

حاشية الصاوي

مُضمرة، وما: يجوزُ فيها أن تكون بمعنى (الذي)، أو نكرة موصوفة، والعائدُ على كلٍّ محذوف، أو مَصدريةٌ ولا حذفَ.

قوله: (ونصبه على الحال) أي: فهو معطوفٌ على قوله: ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾.

قوله: (وهو يطلق) أي: لفظ (جنب).

قوله: (﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾) الأحسَنُ: أن ﴿إِلَّا﴾ بمعنى غير صفة لـ﴿جُنُبًا﴾، ومفهومُهُ: أن الجنبَ المسافر يكفيه التيمم، وهو كذلك.

قوله: (سيأتي) أي: في قوله: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ . . . إلخ﴾.

قوله: (وقيل: المراد النهي. . . إلخ) هذا تفسيرٌ آخَر للآية، وبه أخذَ الإمامُ الشافعي، وقال مالك بحُرمة مرور الجنب في المسجد إذا كان غيرَ مُضطر.

قوله: (يضره الماء) أي: فيتيمَّمُ ويُصلي ولا إعادةَ عليه عند مالك وأبي حنيفة، وقال الشافعي بالإعادة.

قوله: (أي: مسافرين) أي: ولو كان غيرَ قصر.

قوله: (أو محدثون) أي: بالريح مثلاً.

قوله: (وهو المكان المعدُّ لقضاء الحاجة) أي: في الأصل، ثم أُطلِقَ على نفس الحاجة من إطلاق المحلِّ وإرادة الحالِّ، يدلُّ عليه قوله: (أي: أحدث).

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ ....

وهو الجَسُّ بِاليد، قاله ابن عُمَر وعليهِ الشَّافِعيُّ، وأَلحَقَ بِهِ الجَسَّ بباقِي البَشرةِ، وعن ابن عبَّاس: هو الجِماعُ، ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ تَتطهَّرُونَ به لِلصَّلاةِ بعد الطَّلَب والتَّفتِيش، وهو راجعٌ إلى ما عَدا المَرضَى، ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾: اقصِدُوا بعد دُخُول الوَقتِ ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: تُراباً طاهِراً، فاضرِبُوا بِهِ ضَربَتينِ، ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المِرفَقَينِ منه، و(مَسَحَ) يَتعدَّى بِنَفسه وبِالحرف، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهو الجسُّ باليد) أي: ولو كان من غيرِ قصد أو وجدان لِغير محرم، وعليه الشافعي، وقال مالك: يُقيَّدُ بالقصد أو الوجدان، وأخذَ أبو حنيفة بكلام ابن عباس، فالجسُّ باليَد عنده لا يوجبُ الوضوءَ مطلقاً.

قوله: (وهو راجعٌ إلى ما عدا المرضى) أي: وأمَّا المرضى فيَتيمَّمون مع وجوده؛ لأنهم لا يَقدرون على استعماله، أو يُرادُ بعدم الوُجود حقيقة أو حكماً، فيَشملُ المرضى؛ لأنَّ المعدومَ شرعاً كالمعدوم حسًّا.

قوله: (بعد دخول الوقت) إنما قيَّدَ بذلك؛ لأن التيمُّمَ لا يَصحُّ قبله.

قوله: (تراباً طاهراً) هكذا فسَّرَهُ به الشافعي، وقال مالك: الصعيدُ: هو ما صعدَ على وجه الأرض من أجزائها ولم يُحرق بالنار ولم يكن من الجواهر النفيسة، كالتراب أو الرمل أو الحِجارة أو غير ذلك.

قوله: (مع المرفقين) أي: فمَسحُهما واجبٌ، وبه أخذ الشافعي، وقال مالك: إن التكميلَ للمِرفقين سنة، وإنما الفرضُ عنده مسحُ اليدَين لِلكُوعين كما هو ظاهر الآية.

قوله: (منه) قدَّرَه لبيان الممسوح به كما صرَّحَ به في آية (المائدة).

قوله: (ومسح يتعدَّى بنفسه) أي: فعليه تكون الباء زائدة.

وقوله: (وبالحرف) أي: وعليه تكون الباء لِلتعدية؛ لأن سيبويه حكى: مَسَحت رأسَهُ وبرأسه[1].

---

(١) «الدر المصون» (٣/ ٦٩٣).

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ....

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

﴿٤٤﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾: حظًّا ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهُم اليهودُ، ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ بالهُدَى، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾: تُخطِئُوا الطَّريق الحَقَّ؛ لِتَكُونُوا مِثلَهم.

﴿٤٥﴾ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ مِنكُم، فيُخبِرُكُم بِهِم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾) تعليلٌ للترخيص المستفاد ممَّا قبله.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ﴾) كلامٌ مستأنف سِيق لِتَعجيب النبيِّ والمؤمنين من سُوء حالهم.

قوله: (﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾) أبهمَهم لفظاعةِ حالهم وشَناعته.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾) أي: التوراة.

قوله: (وهم اليهود) أي: بعضُ علمائهم.

قوله: (بالهدى) قدَّره؛ إشارةً إلى أن المقابِل محذوف، والمعنى: أنهم يأخذون الضلالةَ بدلَ الهدى، والمرادُ بالضلالة: الكفرُ وتكذيبُ سيدنا محمد، والمرادُ بالهدى: الإيمانُ وتَصديقه.

قوله: (﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾) هذا تَرَقٍّ في التعجيب، والمعنى: أنهم اختاروا الضلالةَ لأنفسهم ومع ذلك يحبُّونها لغيرهم، قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]، رُوِيَ عن ابن عباس: أن هذه الآيةَ نزلت في حَبرَين من أحبار اليهود، كانا يأتيانِ رأسَ المنافقين عبدَ الله بنَ أُبَيٍّ ورَهطه يُثَبِّطانهم عن الإسلام، وعنه أيضاً: أنها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دُخْشُم، كانا إذا تكلَّمَ رسولُ الله ﷺ. . لَوَيَا لسانهما وعاباه[1].

---

(١) انظر «زاد المسير» (١/ ٤١٥)، و«تفسير أبي السعود» (٢/ ١٨١)، وقال الإمام النووي في «شرح مسلم» (١/ ٢٤٢): (اعلم أن مالك بن دُخْشُم هذا من الأنصار، ذكر أبو عمر بن عبد البر اختلافاً بين العلماء في شُهوده العقبة قال: «ولم يختلفوا أنه شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، قال: ولا يَصح عنه النفاق، فقد ظهر من حُسن إسلامه ما يمنع من اتهامه». هذا كلام أبي عمر رحمه الله. قلتُ: وقد نصَّ النبي ﷺ على إيمانه باطناً وبراءته من النفاق بقوله ﷺ في رواية البخاري رحمه الله: «ألا تراه قال: لا إله إلا الله يَبتغي بها وجه الله تعالى؟!»، فهذه شهادة من رسول الله ﷺ له بأنه قالها مصدقاً بها معتقداً صدقها متقرباً بها إلى الله تعالى، وشهد له في شهادته لأهل بدر بما هو مَعروف، فلا ينبغي أن يشكَّ في صدق إيمانه رضي الله عنه).

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ....

لِتَجتَنِبُوهُم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾: حافِظاً لَكم مِنهُم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾: مانِعاً لَكم مِن كَيدِهِم.

﴿٤٦﴾ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ قَومٌ ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يُغيِّرُون ﴿ٱلْكَلِمَ﴾ الذي أنزَلَ الله في التَّوراةِ مِن نَعت مُحمَّد ﷺ، ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وُضِعَ علَيها، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لِلنَّبِيِّ ﷺ إذا أمَرَهُم بِشيءٍ: ﴿سَمِعْنَا﴾ قَولَك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرَك، ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ حالٌ بِمعنى الدُّعاء

حاشية الصاوي

قوله: **(لتجتنبوهم)** أي: لِتَتحرَّزوا منهم.

قوله: (﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾) الباء: حرف جرٍّ زائد، ولفظ الجلالة: فاعلُ (كفى).

قوله: (﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾) تأكيدٌ لما قبله، وهو معنى قولِه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

قوله: (﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾) خبرٌ مقدَّم لمبتدإٍ محذوف قدَّره المفسِّرُ بقوله: (قوم)، وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ نعتٌ لذلك المحذوف، وحذفُ المنعوت كثيرٌ إن تقدَّمَهُ (مِنْ) التبعيضيَّة؛ على حدِّ: (مِنَّا ظعَن ومِنَّا أقام)؛ أي: فريقٌ ظعنَ، وفريقٌ أقام[١]، وهذا الكلامُ تفصيلٌ لبعض قَبائحهم.

قوله: (﴿ٱلْكَلِمَ﴾) أي: الكلام.

قوله: **(من نعت محمد)** أي: مِن كونه أبيضَ مُشرَباً بحمرة، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير مثلاً، فقد حرَّفوه وقالوا: أسودُ اللون، طويلٌ جدًّا؛ حِرصاً على الرئاسة وعلى ما يَأخذونه من سَفِلَتِهِم، ومن جملة ما غيَّروه: آيةُ الرجم بالجلد، ومن ذلك: أنه في كُتبهم: مَنْ خالف محمداً خُلِّدَ في النار، فغيَّروه وقالوا: لن تمسَّنا النار إلا أربعين يوماً؛ مُدَّةَ عبادةِ العجل.

قوله: (﴿وَعَصَيْنَا﴾ **أمرك**) هذا بحسَبِ باطنهم، وأما بحسَبِ ظاهرهم فمَعناه: عصينا قولَ غيرك، وكذا قوله: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾؛ أي: اسمع الخيرَ منَّا غيرَ سامعٍ ما يُؤذيك، وكذا قوله: ﴿وَرَٰعِنَا﴾ أي: اشملنا بنَظرك، فهذا من الكلام الموجَّهِ الذي يحتملُ مَعنَيين مُختلفين في المدح والذم.

---

(١) وهو مذهب سيبويه والفارسي، وانظر «الدر المصون» (٣/ ٦٩٤).

﴿وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦﴾ ....

أي: لا سَمِعتَ، ﴿وَ﴾ يَقُولُون لَه: ﴿رَٰعِنَا﴾ وقد نُهِيَ عَن خِطابه بِها، وهي كَلِمةُ سَبٍّ بِلُغَتِهم، ﴿لَيَّۢا﴾: تَحرِيفاً ﴿بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا﴾: قَدحاً ﴿فِي ٱلدِّينِۚ﴾: الإسلام، ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ بَدَلَ ﴿وَعَصَيۡنَا﴾، ﴿وَٱسۡمَعۡ﴾ فقط ﴿وَٱنظُرۡنَا﴾: انظُر إلَينا بَدَلَ ﴿رَٰعِنَا﴾، ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ مِمَّا قالُوه، ﴿وَأَقۡوَمَ﴾: أعدَلَ مِنهُ، ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعَدَهُم عن رَحمَتِه ﴿بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ مِنهُم، كعبدِ الله بن سَلام وأصحابِه.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لا سمعت) يحتملُ أن المعنى: لا سمعت خيراً، أو لا سمعت شيئاً أصلاً؛ بأن تُبتلى بالصَّمَم أو الموت.

قوله: (وقد نهى عن خطابه بها) أي: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤].

قوله: (وهي كلمة سبٍّ بلغتهم) يحتملُ أنها موضوعةٌ للسبِّ في لُغتهم، ويحتمل أنهم قصدوا بها السبَّ وإن كانت تحتملُ الدعاءَ بخير، من الرعاية وهي الحفظ، وبِشرٍّ ومعناها الرعونة، وهي الطيش في العقل، كأنهم يقولون: اشملنا برُعونتك.

قوله: (﴿لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ﴾) أي: صرفاً للكلام عن ظاهره، وأصله: لَوْياً، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء، وأُدغمت في الياء، وهو في الأصل: فَتلُ الحبل، فشبَّه به الكلام الذي قُصدَ منه غيرُ ظاهره، وطوَى ذكر المشبه به وهو الحبل المفتول، ورَمز له بشيء من لوازمه وهو اللَّيُّ، فإثباتُه تخييلٌ.

قوله: (﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾) هذا جواب (لو)، واسمُ التفضيل ليس على بابِه، ويحتملُ أنه على بابه على حسَبِ ما زَعموا من أن حِرصَهم على الكفر يُبقي لهم حظَّ الرئاسة والدنيا التي يأخذونها من عوامِّهم، وهو خيرٌ دُنيوي.

قوله: (﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾) صفةٌ لموصوف محذوف؛ أي: إلا فريقاً قليلاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ....﴾

﴿٤٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ مِن القُرآنِ، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ مِن التَّوراةِ، ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ نَمحُوَ ما فِيها مِن العَينِ والأنفِ والحاجِبِ، ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ فنَجعَلَها كالأقفاءِ لَوحاً واحِداً، ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾: نَمسَخَهُم قِرَدةً ﴿كَمَا لَعَنَّآ﴾: مَسَخْنا ﴿أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ مِنهُم، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: قَضاؤُه ﴿مَفْعُولًا﴾. ولَمَّا نَزَلَت أسلَمَ عبدُ الله بن سَلام فقِيل: كان وَعِيداً بِشرطٍ، فلَمَّا أسلَمَ بعضُهم رُفِعَ؛ وقِيل: يَكُون طَمسٌ ومَسخٌ قبلَ قِيامِ السَّاعة.

﴿٤٨﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ﴾ أي: الإشراكَ ﴿بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾: سِوَى ﴿ذَٰلِكَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (نمحو) أي: نُزيل ما فيها.

قوله: (فقيل: كان وعيداً بشرط) أي: لأن رحمةَ الله تَسبق غضبه، **والحاصلُ**: أنه اختُلفَ في ذلك الوعيد هل كان مُعلقاً ثم ارتفعَ؟ وقيل: إنه واقعٌ لكن في آخِر الزمان، وقيل: إنه واقعٌ في الآخرة، فيَقومون من قُبورهم ممسوخةً صورُهم، ولا مانعَ من إرادتها كلِّها، وليس في القرآن وعيدٌ لأمة محمد بتعجيل العقوبة مثلُ هذا؛ لأنهم بالَغوا في الكفر وإيذاءِ النبيِّ ﷺ.

وقوله: (بشرط) أي: وهو عدمُ إيمان أحد منهم، ويؤيدُهُ: ما رُوِيَ أن عبد الله بن سلام لما قدمَ من الشام وقد سَمعَ بهذه الآية.. أتى رسول الله ﷺ قبلَ أن يأتيَ أهلَهُ وقال: يا رسول الله؛ ما كنت أرى أن أصلَ إليك حتى يَتحوَّلَ وجهي إلى قَفاي، وكذا ما رُويَ: أن عمرَ بنَ الخطاب قرأَ هذه الآية على كعب الأحبار، فقال كَعب الأحبار: يا ربِّ؛ آمنتُ، يا ربِّ؛ أسلمتُ؛ مخافةَ أن يُصِيبَهُ وعيدُها[1].

قوله: (وقيل: يكون) أي: يحصلُ، وقوله: (قبل قيام الساعة) أي: زمنَ عيسى.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾) (أن) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر، أشارَ له

---

(١) أوردهما البغوي في «تفسيره» (١/ ٦٤٢).

لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ .....

مِن الذُّنوب ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ المَغفرةَ له، بأن يُدخِلَه الجَنَّة بلا عَذاب، ومَن شاءَ عذَّبه مِن المُؤمِنين بِذُنوبِه ثُمَّ يُدخِلُهُ الجَنَّة، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا﴾: ذَنباً ﴿عَظِيمًا﴾: كبيراً.

﴿٤٩﴾ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾ وهُم اليَهود، حيثُ قالُوا: (نحنُ أبناءُ الله وأحِبَّاؤُه)؟ أي: ليسَ الأمرُ بِتَزكِيَتِهم أنفُسَهُم، ....

حاشية الصاوي

المفسِّرُ بقوله: (أي: الإشراك)، والمعنى: أن اللهَ لا يغفرُ لِلكفار إشراكاً أو غيره، فالمرادُ بالشرك: الكفرُ، لا الشركُ الأصغر الذي هو الرياء؛ فإنه من جملة الذنوب التي تُغفرُ، وهذا ردٌّ على اليهود حيث زَعموا أن الشركَ لا يضرُّهم؛ لكون أجدادهم أنبياءَ، وزعمُوا أنهم أبناءُ الله وأحباؤُه.

قوله: **(من الذنوب)** بيانٌ لـ﴿مَا﴾.

قوله: **(﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له)** أي: إن ماتَ من غير توبة، وإلا.. فالتائبُ من الذنب كمَنْ لا ذنبَ له، وهذا معنى قولِ صاحب «الجوهرة»: [الرجز]

وَمَـنْ يَـمُـتْ وَلَـمْ يَـتُـبْ مِـنْ ذَنْـبِـهِ فَـأَمْـرُهُ مُـفَـوَّضٌ لِـرَبِّـهِ[1]

والغالبُ المغفرة؛ لأن فضلَ الله واسعٌ، ورحمتُهُ تَغلب غضبه، وكلُّ ذلك ما لم يمتْ هديماً أو غريقاً أو مقتولاً ظلماً مثلاً، وإلا.. فيقومُ ما ذُكِرَ مقامَ التوبة.

قوله: **(﴿أَلَمۡ تَرَ﴾)** كالدليل لما قبله.

قوله: **(وهم اليهود)** وقيل: هم والنصارى؛ لأن هذه المقالةَ وقعت منهما؛ لِقَوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

قوله: **(حيث قالوا: نحن أبناء الله)** أي: كالأبناء من حيث إن مَنزلتَنا عنده عظيمة، وقائلُ هذه اللفظة كافرٌ ولو على سبيل المجاز[2].

قوله: **(أي: ليس الأمر بتزكيتهم... إلخ)** أي: ليس الأمرُ مَنوطاً ومُعتبراً بتزكيتهم أنفسَهم، وهذا تمهيدٌ لقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾.

---

(١) انظر «شرح الجوهرة» للعلامة الباجوري (ص٣٠٧).

(٢) والمسألة فيها بحث، سيأتي طرف منه عند تفسير الآية. انظر (٢/ ٢١٣).

بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ....

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي﴾: يُطَهِّرُ ﴿مَن يَشَآءُ﴾ بِالإيمانِ، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: يُنقَصُونَ مِن أعمالِهِم ﴿فَتِيلًا﴾: قَدرَ قِشرة النَّواة.

﴿٥٠﴾ ﴿ٱنظُرْ﴾ مُتعجِّباً ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بِذلك، ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾: بَيِّناً.

﴿٥١﴾ ونَزَلَ في كَعب بن الأشرَفِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالإيمان) أي: وجميع الأعمال الصالحة، وإنما اقتصرَ عليه؛ لأنَّ مَدارَ النجاة عليه.

قوله: (﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾) يحتملُ أن الضميرَ عائدٌ على المؤمنين؛ أي: فيُجازيهم على أعمالهم الصالحة ولا ينقصُ منه شيء ولو كان أقلَّ قليل، وهذا هو المتبادر من المفسِّر، وقيل: إنه عائدٌ على الكفار؛ أي: فيعذِّبُهم بذنوبهم ولا ينقصون شيئاً من أعمالهم، ويحتملُ العمومُ وهو الأَولى.

قوله: (قدر قشرة النواة) هذا سبقُ قَلم، والمناسبُ: قَدْرَ الخيط الذي يكون في بَطن النواة، وأما القِطميرُ.. فهو قِشرة النواة، والنقيرُ: النقرةُ التي تكون في وسطها، والثُّفْروق هو: ما بين النواة والقمع، وذُكِرَ في القرآن الثلاثةُ الأُوَل، وعادةُ العرب تمثل بأحد الأربعة لأقلِّ قليل.

قوله: (متعجباً) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ تَعجيبي.

قوله: (﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾) أي: بالافتراء.

قوله: (ونزل في كعب بن الأشرف... إلخ) حاصلُ ما ذكره الخازِن: أنه بعد وقعة بدرٍ ضاقَ صدرُ كعب بن الأشرف، فركبَ مع سَبعين راكباً من اليهود حتى قَدموا مكةَ، فنزلوا على أبي سفيان وأصحابه، فأحسنوا مَثواهم، ثم قال لهم أبو سفيان وأصحابه: ماذا تُريدون؟ فقالوا: نريدُ حربَ محمد ونقضَ عهده، فقال أبو سفيان وأصحابه: لا نَأمنُ أن يكونَ هذا مكراً منكم، فإن كان ما تَقولون حقًّا.. فاسجدوا لهذين الصنمَين، ففعلوا، ثم قال كعبٌ: ليأتِ منكم ثلاثون رجلاً، ومنَّا ثلاثون رجلاً، فنُلزقْ أكبادَنا بالكعبة فنعاهدُ ربَّ الكعبة لَنَجهدنَّ في قتال محمد، ففعلوا، ثم قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤٌ تقرأُ الكتاب ونحن أُمِّيُّون، فأيُّنا أهدى سبيلاً أنحن أم محمدٌ؟ فقال كعب: اعرضْ عليَّ دِينكم، فقال أبو سفيان: نحن نَنحر للحجيج، ونسقيهم الماء، ونَقري الضيف،

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ ....﴾

ونَحوهِ مِن عُلماءِ اليَهودِ لَمَّا قَدِمُوا مَكَّة وشاهَدُوا قَتلَى بَدرٍ، وحَرَّضُوا المُشرِكِين على الأخذِ بِثأرِهِم ومُحاربَةِ النَّبيِّ ﷺ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: صَنَمانِ لِقُرَيشٍ، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أبي سُفيانَ وأصحابِه حِين قالُوا لَهُم: (أنَحنُ أهدَى سَبِيلاً ونَحنُ وُلاةُ البَيت، نَسقِي الحاجَّ، ونَقرِي الضَّيفَ، ونَفُكُّ العانِيَ، ونَفعَل، أم مُحمَّدٌ وقد خالَفَ دِينَ آبائِه، وقَطَع الرَّحِمَ، وفارَق الحَرَمَ؟): ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾

حاشية الصاوي

ونفكُّ العاني، ونصلُ الرحم، ونعمرُ بيت ربِّنا، ونَطوف به، ونحن من أهل الحرم، ومحمدٌ فارق دينَ آبائه والحرم، وقَطع الرحم، ودينُنا القديمُ، ودينُ محمد حادث، فقال كعبٌ: أنتُم ـ والله ـ أهدى سبيلاً ممَّا عليه محمد، فنزَلت الآية[1].

قوله: (ونحوه من علماء اليهود) أي: وكانوا سبعين راكباً.

قوله: (وحرضوا المشركين) أي: أبا سفيان وأصحابَه.

قوله: (بثأرهم) بالهمز وتركِه.

قوله: (﴿أَلَمۡ تَرَ﴾) أي: تعلم وتنظر لِفعلهم.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾) أي: التوراة.

قوله: (﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾) أي: بِسُجودهم لهما.

قوله: (صنمان لقريش) وقيل: الجبتُ: اسم لكلِّ صَنم يُعبدُ، والطاغوت: الشيطانُ الذي يلبسُ الصنمَ ويكلِّمُ الناس، فلِكلِّ صنم شيطانٌ يغرُّ الناس.

قوله: (ونفك العاني) أي: الأسير.

قوله: (ونفعل) يحتمل أنه بالفاء والعين، أي: نفعل غيرَ ما ذُكِرَ من الأمور الجميلة المستحسَنة، أو بالعين ثم القاف؛ أي: نؤدي العقلَ ـ بمعنى: الدية ـ عن حُلَفائنا.

(١) «تفسير الخازن» (١/ ٣٨٨).

أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾

أي: أنتم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾: أقومُ طَريقاً.

﴿٥٢﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ﴾ه ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ مانِعاً مِن عَذابِه.

﴿٥٣﴾ ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ أي: ليسَ لَهُم شَيءٌ مِنه، ولو كان ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي: شَيئاً تافِهاً قَدرَ النَّقرةِ في ظَهرِ النَّواةِ؛ لِفَرطِ بُخلِهِم.

﴿٥٤﴾ ﴿أَمْ﴾ بَل أ ﴿يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: النَّبيَّ ﷺ ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ مِن النُّبُوَّة وكَثرةِ النِّساء، أي: يَتمنَّونَ زَوالَه عنهُ ويَقُولُونَ: لو كان نَبيًّا لاشتَغلَ عن النِّساء، ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: جَدِّه، كمُوسى وداوُدَ وسُلَيمانَ ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ والنُّبوَّة، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾؛ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أنتم) أشارَ بذلك إلى أنه خطابٌ لهم، وإنما المولى حَكاهُ عنهم بالمعنى.

قوله: (أي: ليس لهم) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (فإذًا) الفاء: واقعةٌ في جواب شرط مقدَّرٍ، أشارَ له المفسِّر بقوله: (ولو كان)، وإنما قدَّرَ (لو) دونَ (إن)؛ لأنَّ الجوابَ مرفوعٌ لا مجزوم، وهذا ذمٌّ لهم بالبخل بعد ذمِّهم بالجهل، وسيأتي ذمُّهم بالحسَد.

قوله: (بل) الإضراب انتقاليٌّ من صفة لصفة أُخرى أقبحَ منها.

قوله: (أي: النبي) أي: فهو من باب: تسمية الخاص باسم العام؛ إشارةً إلى أنه جُمعَتْ فيه كمالاتُ الأوَّلين والآخرين، قال الشاعر: [السريع]

وَلَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ العالَمَ في واحِدِ[1]

قوله: (جدِّه) بيانٌ لـ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، فهو بالجرِّ.

---

(١) البيت لأبي نواس كما في «ديوانه» (ص٤٥٤)، والواو أوله لعلها زيادة من المصنف.

فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ

فكان لِداوُدَ تِسعٌ وتِسعُون امرأةً، ولِسُليمانَ ألفٌ ما بين حُرَّة وسُرِّيَّة.

﴿٥٥﴾ ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾: بمُحمَّدٍ ﷺ، ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾: أعرَضَ ﴿عَنْهُ﴾ فلَم يُؤمِنْ، ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾: عَذاباً لِمَن لا يُؤمِن.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾: نُدخِلهُم ﴿نَارًا﴾ يَحترِقُون فِيها، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾: احترَقَت ﴿جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بِأن تُعادَ إلى حالها الأوَّلِ غيرَ مُحترِقةٍ؛ ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: لِيُقاسُوا شِدَّتَه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يُعجِزهُ شَيءٌ، ﴿حَكِيمًا﴾ في خَلقِه.

﴿٥٧﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ﴾ ......

حاشية الصاوي

قوله: (تسع وتسعون امرأة) أي: غير امرأة وَزيره، فقد أخذها بعد موته فتكاملَ له مئة[١].

قوله: (﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾) أي: كعبد الله بن سلام وأضرابِه.

قوله: (فلم يؤمن) أي: ككعب بن الأشرف ومالِك بن الصيف وأضرابهما.

قوله: (بأن تعاد إلى حالها) وردَ: أنها تُعادُ في الساعة الواحدة مئةَ مرَّة[٢]، بل وردَ: أنها تُعادُ في اليوم الواحد سبعينَ ألفَ مرَّة[٣]، ووردَ: أن بين منكبَي الكافر مسيرةَ ثلاثة أيام للراكب المسرع[٤]، ووردَ: أن ضرسَ الكافر يكون كأُحُد، وغِلَظ جِلده مسيرةَ ثلاثة أيام[٥].

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) ذكرٌ للمقابل، وهو راجعٌ لقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾، كما أن قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ راجعٌ لقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾؛ على عادتِه سبحانه إذا ذكرَ الوعيدَ.. أعقبَهُ بالوعد.

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا وما قيل فيه. انظر (٥/٥٤٣-٥٤٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٩٣) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٩٦) عن الحسن رحمه الله تعالى.

(٤) رواه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (٢٨٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم (٢٨٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ....

﴿فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ مِن الحَيضِ وكُلِّ قَذَرٍ، ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾: دائِماً لا تَنسَخهُ شَمسٌ، وهو ظِلُّ الجَنَّة.

﴿٥٨﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾ أي: ما اؤتُمِن عليه مِن الحُقُوق ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾،

حاشية الصاوي

قوله: (وكلِّ قذرٍ) أي: كالنِّفاس وغيره.

قوله: (لا تنسخه شمس) أي: لعدم وُجودها، قال تعالى: ﴿لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾ [الإنسان: ١٣].

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ﴾) الخطابُ لِلمُكلفين؛ لما سيأتي أن العبرةَ بعموم اللفظ لا بِخُصوص السبب.

قوله: (﴿أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾) (أنْ) وما دَخلت عليه: في تأويل مصدر مفعول ثانٍ لـ(يأمر)، والأصلُ: يَأمركم تأديةَ الأمانات، أو منصوب بنزع الخافض؛ لأنَّ حذفه مع (أنْ) و(أنَّ) مُطردٌ، ويقال في: ﴿وَأَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ ما قيل فيه؛ لأنه معطوف عليه، وقوله: (إذا حكمتم) ظرفٌ له، ولا يُقالُ: يلزمُ عليه تقديمُ معمول الصلة عليها؛ لأنه يُقال: إنه ظَرف، ويغتفرُ فيه ما لا يُغتفرُ في غيره.

قوله: (من الحقوق) اعلم: أن الأماناتِ ثلاثة أقسام:

الأول: عباداتُ الله؛ بأن تفعلَ المأمورات، وتُجتنبَ المنهيات.

الثاني: نِعَمُهُ التي أنعمَ بها؛ كالسمع والبصر والعافية وغير ذلك، فلا يصرفُها فيما يُغضبُ الله.

الثالث: حقوقُ العباد؛ كالودائع وغيرها. فيجبُ على الإنسان تأديةُ الأماناتِ مطلقاً، كانت قوليَّة أو فعليَّة أو اعتقاديَّة؛ فالقوليَّة: كحِفظ القرآن، والفعليَّة: كحِفظ الودائع والعواري[1]، والاعتقاديَّة: كالتوحيد وحُسن الظنِّ بالخلق.

وبالجملةِ: فهذه الآيةُ من جَوامع الكلم، وهي بمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية على التَّحقيق.

---

(١) جمع عاريَّة بتشديد الياء، وهو: ما يُعار إلى حين.

نَزَلَت لَمَّا أخذَ عَلِيٌّ رضي الله عنه مِفتاحَ الكَعبةِ مِن عُثمانَ بنِ طَلحةَ الحَجَبِيِّ سادِنِها قَسراً، لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ عامَ الفَتحِ ومَنَعَهُ وقال: لو عَلِمتُ أنَّهُ رَسُولُ الله لَم أمنَعهُ، فأمَرَ رَسُول الله ﷺ بِرَدِّهِ إلَيه وقال: هاكَ خالِدَةً تالِدَةً، فعَجِبَ مِن ذلك، فقَرَأ لَه عليٌّ الآيَةَ فأسلَمَ، وأعطاهُ عِند مَوتِه لِأخِيه شَيبَةَ، فبَقِيَ في وَلدِه، والآيَةُ وإنْ ورَدَت على سَبَب خاصٍّ فعُمُومها مُعتَبَرٌ، بِقَرِينةِ الجَمع، ....

حاشية الصاوي

قوله: (نزلت لما أخذ علي مفتاح الكعبة... إلخ) قال البغوي: نزلت في عثمانَ بنِ طلحة الحَجَبي مِنْ بني عبد الدار، وكان سادنَ الكعبة، فلمَّا دخلَ النبيُّ ﷺ مكةَ يومَ الفتح.. أغلقَ عثمانُ بابَ الكعبة وصَعد السطح، فطلبَ رسولُ الله المفتاحَ، فقيل له: إنه مع عثمان، وطُلِبَ منه، فأبى وقال: لو علمتُ أنه رسولُ الله.. لم أمنَعْهُ المفتاحَ، فلوى عليُّ بنُ أبي طالب يدَهُ وأخذ المفتاحَ وفتح الباب، ودخلَ رسولُ الله البيتَ وصلَّى فيه ركعتين، فلمَّا خرجَ.. سأله العباسُ أن يُعطِيَهُ المفتاحَ؛ لِتَجتمع له السقايةُ والسدانةُ، فأنزلَ اللهُ هذه الآية، فأمرَ رسولُ الله عليًّا أن يردَّ المفتاحَ إلى عثمانَ ويَعتذرَ له، ففعلَ ذلك، فقال عثمان: أكْرَهْتَ وآذيتَ ثم جئتَ ترفق؟! فقال علي: لقد أنزلَ اللهُ في شأنك قرآناً، وقرأ عليه الآية، فأسلَمَ، فكان المفتاحُ معه إلى أن ماتَ، فدفعَهُ إلى أخيه شَيبةَ، فهي في أولادهم إلى يوم القيامة[1].

قوله: (الحجبي) أي: الذي يَحجبُ الناسَ؛ بمعنى: يمنعُهم من الدخول.

قوله: (سادنِها) أي: خادمها، وقوله: (قسراً) أي: قهراً.

قوله: (لما قدم النبي) ظرفٌ لـ(أخذ)، وكان ذلك في رمضان، وقوله: (عام الفتح) أي: وهو سنة ثمانٍ.

قوله: (وقال له: لو علمت... إلخ) أي: فهو غيرُ مُصدِّقٍ برسالته، وإلا.. فذاتُهُ إذ ذاك غيرُ خافيةٍ على أحد.

قوله: (خالدة تالدة) أي: مخلدةً في المستقبل كما كانت مُتأصِّلةً فيكم.

قوله: (فعمومها معتبر... إلخ) أشارَ بذلك لما قيل: العبرةُ بعُموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومحلُّ ذلك: إن لم توجَدْ قرينةُ الخصوص، فيكون معتبراً؛ كالنهي عن قتل النساء؛ فإن سببَهُ

(١) «تفسير البغوي» (١/٦٤٨).

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ ....

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ﴾ يَأْمُرُكُم ﴿أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا﴾ - فِيهِ إدغامُ مِيمِ (نِعْمَ) في (ما) النَّكِرةِ المَوصُوفةِ - أي: نِعمَ شَيئاً ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾ تَأدِيةُ الأمانةِ والحُكمُ بِالعَدلِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لِما يُقالُ، ﴿بَصِيرًا﴾ بما يُفعَل.

﴿٥٩﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي﴾: وأصحابَ ﴿الْأَمْرِ﴾ أي: الوُلاةَ ﴿مِنكُمْ﴾ إذا أَمَرُوكُم بِطاعةِ الله ورَسُولِه، ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾: اختَلَفتُم ....

حاشية الصاوي

أن رسولَ الله رأى امرأة حربيَّةً مقتولة، فذلك يدلُّ على اختِصاصه بالحربيَّات، فلا يدخلُ فيه المرتَدَّةُ ولا الزانيةُ المحصنة.

قوله: (﴿وَإِذَا حَكَمْتُم﴾) فيه فصلٌ بين المعطوف والمعطوف عليه، وهو جائزٌ إذا كان ظرفاً.

قوله: (﴿نِعِمَّا﴾) بكسر النون إتباعاً لكسرة العين، وأصله: نَعِمَ على وزن: عَلِم.

قوله: (أي: نعم شيئاً) أشارَ بذلك إلى أن (ما) مميِّز، وليكون الفاعلُ مستتراً وجوباً، تقديره: نِعم هذا الشيءُ شيئاً، والمخصوصُ بالمدح محذوف، قدَّره بقوله: (تأدية الأمانة)، وقيل: إن (ما) فاعلٌ، وقد ذكر القولين ابن مالك بقوله: [الرجز]

وَ(ما) مُمَيِّزٌ، وقِيلَ: فاعِلُ فِي نَحْوِ: نِعْمَ ما يَقُولُ الفاضِلُ[1]

قوله: (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾) هذا خطابٌ لسائر الناس بعد أن خاطبَ ولاةَ الأمور بالحكم بالعدل، وفي هذه الآية إشارةٌ لأدلَّة الفقه الأربعة، فقولُه: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ إشارةٌ للكتاب، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ إشارةٌ للسنة، وقوله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ إشارةٌ للإجماع، وقوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ.. إلخ﴾ إشارةٌ للقياس.

قوله: (﴿وَأُولِي الْأَمْرِ﴾) يدخلُ فيه الخلفاءُ الراشِدون، والأئمةُ المجتهدون، والقُضاةُ والحكّام.

قوله: (أي: إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله) أي: لا بمعصية، فلا يُطاوعوا في ذلك؛ لما في الحديث: «لا طاعةَ لمخلوقٍ في مَعصية الخالق»[2].

(١) «الخلاصة»: (باب نعم وبئس وما جرى مَجراهما).

(٢) بهذا اللفظ رواه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٠).

فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى كِتابِه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ مُدَّةَ حَياتِه، وبعدَه إلى سُنَّتِه، أي: اكشِفُوا عليه مِنهُما، ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ﴾ أي: الرَّدُّ إليهما ﴿خَيْرٌ﴾ لَكُم مِن التَّنازُعِ والقَولِ بالرَّأيِ، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: مَآلاً.

﴿٦٠﴾ ونَزَلَ لَمَّا اختَصَمَ يَهُودِيٌّ ومُنافِقٌ، فدَعَا المُنافِقُ إلى كَعب بن الأشرَفِ لِيَحكُمَ بَينهما، ودَعا اليَهُودِيُّ إلى النَّبِيِّ ﷺ، فأَتَياه، فقَضى لِليَهُودِيِّ، فلَم يَرْضَ المُنافِقُ، وأتَيا

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِي شَيْءٍ﴾) أي: غير منصوص عليه.

قوله: (مُدة حياته) أي: بسؤاله، وقوله: (إلى سنته) أي: فيعرضُ عليها.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾) أي: فرُدُّوه.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾) اسمُ التفضيل ليس على بابه؛ بقرينة: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾، فمُخالفة ما ذُكِر ليس فيها خيرٌ، بل هي شرٌّ وضلال.

قوله: (مآلاً) أي: عاقبة.

قوله: (ونزل لما اختصم يهودي... إلخ) حاصلُها تفصيلاً: قال ابن عباس: نزلت في رجل من المنافقين يُقالُ له: بشر، كان بينه وبين يَهودي خصومة، فقال اليهودي: نَنطلقُ إلى محمد، وقال المنافقُ: ننطلق إلى كعب بن الأشرف، وهو الذي سمَّاهُ الطاغوت، فأبى اليَهودي أن يخاصمَهُ إلا إلى رسول الله ﷺ، فقضى رسولُ الله لِليهودي، فلمَّا خرجا من عنده.. لزمَهُ المنافقُ وقال: انطلِقْ بنا إلى عمر، فأتيا إلى عمر، فقال اليهودي: اختَصمت أنا وهذا إلى محمد، فقضى عليه فلم يرضَ بقضائه، وزعمَ أنه يُخاصمني إليك، فقال عمرُ للمنافق: كذلك؟ فقال: نعم، فقال لهما عمر: رُوَيداً حتى أخرجَ إليكما، فدخل عمرُ البيتَ وأخذ السيفَ واشتملَ عليه ثم خرجَ فضرب به المنافق حتى بَرد؛ أي: مات، وقال: هكذا أَقضي بين مَن لم يرضَ بقضاء الله وقضاء رسوله، فنَزلت هذه الآية، وقال جبريل: إن عمرَ فرقَ بين الحقِّ والباطل، فسُمِّيَ الفاروق، وإنما دعا المنافقُ لكعبِ بن الأشرف؛ لأنه يقبلُ الرِّشا، والنبيُّ لا يقبلها، بل يحكمُ بالحقِّ، وكان الحقُّ إذ ذاك مع اليَهودي[1].

---

(١) رواه البغوي في «تفسيره» (١/ ٦٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومن غير خبر الفاروق رضي الله عنه رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥١١).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ....

عُمَرَ فذَكَر لَه اليَهوديُّ ذلك، فقال لِلمُنافِق: أكذَلك؟ فقال: نَعَم، فقَتَلهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾: الكَثِيرِ الطُّغيان، وهو كَعبُ بن الأشرَفِ، ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يُوالُوهُ، ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عَن الحقِّ.

﴿٦١﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ في القُرآن مِن الحُكم، ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ لِيَحكُمَ بَينَكُم، ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾: يُعرِضُون ﴿عَنكَ﴾ إلى غَيرِك ﴿صُدُودًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَزْعُمُونَ﴾) أي: يقولون قولاً كذباً؛ لأن الزعمَ مَطيةُ الكذب.

قوله: (﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾) أي: وهو جميعُ الكتب السَّماوية.

قوله: (الكثير الطغيان) وقيل: إنه صنمٌ يُعبدُ من دون الله، وقيل: اسمٌ لكلِّ من يُعبدُ من دون الله صنماً أو غيره.

قوله: (﴿بَعِيدًا﴾) يحتملُ أنه صفةٌ كاشفة؛ لأن الضلالَ هو البعدُ، ويحتملُ أنه صفةٌ مخصِّصة، ويكون معنى بُعْدِهِ: أنه لا يهتدي بعد ذلك أصلاً، وهذا هو مرادُ الشيطان، ويُؤيِّدُه قول المفسِّر: (عن الحق).

قوله: (﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾) (رأى): بَصرية، و﴿الْمُنَافِقِينَ﴾: مفعولٌ لها، وجملةُ ﴿يَصُدُّونَ﴾ حالٌ.

قوله: (يعرضون) أشارَ بذلك إلى أن الصدَّ هنا بمعنى: الإعراض، فهو لازمٌ، لا بمعنى: المنع فيكون متعدِّياً.

قوله: (﴿صُدُودًا﴾) مفعولٌ مطلق لقوله: ﴿يَصُدُّونَ﴾.

فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ....

﴿٦٢﴾ ﴿فَكَيْفَ﴾ يَصنعُون ﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾: عُقُوبةٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مِن الكُفر والمَعاصِي؟ أي: أيَقدِرُون على الإعراضِ والفِرارِ مِنها؟ لا، ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ ـ مَعطُوفٌ على ﴿يَصُدُّونَ﴾ ـ ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ﴾: ما ﴿أَرَدْنَآ﴾ بِالمُحاكَمةِ إلى غَيرِك ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾: صُلحاً، ﴿وَتَوْفِيقًا﴾: تَأليفاً بينَ الخَصمَينِ بِالتَّقرِيب في الحُكم، دُونَ الحَمل على مُرِّ الحَقِّ.

﴿٦٣﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ مِن النِّفاق وكَذِبِهم في عُذرِهِم، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بِالصَّفح، ﴿وَعِظْهُمْ﴾: خَوِّفْهُم اللهَ، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ﴾ شأنِ ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾: مُؤثِّراً فِيهِم، أي: ازجُرْهُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَكَيْفَ﴾) يصحُّ أن تكون مفعولاً لمحذوف، تقديره: (يصنعون) كما قدَّره المفسِّرُ، ويصحُّ أن تكون خبراً لمحذوف، تقديره: صُنعُهم.

قوله: (﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾) أي: عاجلة أو آجلة.

قوله: (لا) هذا هو جوابُ الاستفهام.

قوله: (﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾) أي: أهلُ المنافق يَعتذرون إليك، ويَسترون على أنفسهم النفاق، ويحتملُ أنهم جاؤوك طالبين بدمه مُثبتين إسلامَهُ، فلولا هذه الآية.. لربما اقْتَصَّ من عمر؛ لعدم البينة على كفر المنافق.

قوله: (بالتقريب) أي: التساهلُ في الحكم، كأن يعملَ صُلحاً ويقسمُ المدَّعى به بين الخصمَين.

قوله: (﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾) أي: ولا تَقتلهم، وهذا قبلَ الأمر بإخراجهم وقتلهم، والفاء واقعة في جواب شرط مُقدَّر تقديره: إذا كان حالُهم كذلك فأعرِضْ عن قَبول عذرهم.

قوله: (﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾) أي: في حقِّها وما انطوَت عليه، ويحتمل أن المعنى: خالياً بهم ليس معهم غيرُهم.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ ....

لِيرجِعُوا عن كُفرِهم.

﴿٦٤﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فِيما يَأمُرُ به ويَحكُمُ، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بِأمرِه لا لِيُعصَى ويُخالَفَ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بِتَحاكُمِهم إلى الطَّاغُوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائِبين، ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ ـ فِيه التِفاتٌ عن الخِطاب تَفخِيماً لِشَأنِه ـ ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾ علَيهِم، ﴿رَّحِيمًا﴾ بِهِم.

﴿٦٥﴾ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ ـ (لا) زائِدةٌ ـ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾: اختَلَط

حاشية الصاوي

قوله: (ليرجعوا) أي: لعلَّه أن يترتَّب عن ذلك رجوعُهم عمَّا هم عليه.

قوله: (بأمره) أشارَ بذلك إلى أنه ليس المرادُ بالإذن الإرادةَ، فيلزمَ عليه أنه لا يتخلَّفُ عن طاعته أحد؛ لأنَّ ما أرادَ الله وقوعَه واقعٌ ولا بدَّ، مع أن الواقعَ خلافه، فدَفع ذلك المفسِّرُ بقوله: (بأمره)؛ لأنه لا يلزمُ من الإرادة الأمر، ولا عكس.

قوله: (بتحاكمهم) الباءُ: سببيَّة.

قوله: (﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أي: بالتوبة والإخلاص.

قوله: (﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾) أي: سامحَهم وعفا عنهم وطلب لهم المغفرة؛ لأنه تعلَّقَ بهم حقَّان: حقٌّ لله، وحقٌّ لرسوله.

قوله: (فيه التفات) أي: وحقُّه: واستغفرتَ لهم.

قوله: (لا: زائدة) أي: لتأكيد القسم، وهو اختيارُ الزمخشري في «الكشاف»[1]، وهو الأحسَن؛ ولِذا اقتصرَ عليه المفسِّر.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ ... إلخ) هذه شروطٌ ثلاثة لكمال الإيمان، وهذه الآيةُ بمعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ...﴾ [النور: ٤٨-٤٩] الآيات.

(١) «الكشاف» (١/ ٥٢٨).

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ....

﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾: ضِيقاً أو شَكّاً ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ بِه، ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾: يَنقادُوا لِحُكمِكَ ﴿تَسْلِيمًا﴾ مِن غيرِ مُعارضةٍ.

﴿٦٦﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ ـ مُفسِّرةٌ ـ ﴿اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ كما كَتَبنا على بَنِي إسرائيل، ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي: المَكتُوبَ علَيهِم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ـ بِالرَّفعِ على البَدَل، والنَّصبِ على الاستِثناءِ ـ ﴿مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ مِن طاعةِ

حاشية الصاوي

قوله: (اختلط) أي: أشكلَ والتبسَ.

قوله: (من غير معارضة) أي: بأن يَنقادوا للأحكام من غير توقُّف.

قوله: (﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾) بيانٌ لسوء حالهم، وأنهم لو شُدِّدَ عليهم كما شُدِّدَ على مَنْ قبلهم.. لم يفعلْ ذلك إلا ما قلَّ منهم.

قوله: (مفسرة) أي: بمعنى (أي)، وضابطُها: أن يتقدَّمَها جملةٌ فيها معنى القَول دون حروفه، نظير: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾ [ص: ٦]، ويحتملُ أن تكون مصدريَّة، وعليه: فيكون ﴿كَتَبْنَا﴾ بمعنى: ألزَمنا، التقدير: ولو أنا ألزمناهم قتلَ أنفسهم.

قوله: (﴿أَنِ اقْتُلُوا﴾) جمهورُ القرَّاء على ضم النون والواو من ﴿أَوِ اخْرُجُوا﴾، وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما، وقرأ أبو عمرٍو بكسر النون وضمِّ الواو، وأما ضمُّ النون وكسر الواو.. فلم يَقرأْ به أحد.

قوله: (على البدل) أي: وهو المختارُ عند النحاة، قال ابن مالك: [الرجز]

وَبَعْدَ نَفْيٍ أَوْ كَنَفْيٍ انْتُخِبْ إِتْبَاعُ مَا اتَّصَلَ ....[1]

وقوله: (والنصب على الاستثناء) أي: فهما قراءتان سَبعيَّتان[2] على حدٍّ سواء، وإن كان الرفع

---

(١) «الخلاصة»: (باب الاستثناء)، والكلام في شطرَين.

(٢) قرأ ابن عامر وجماعة بالنصب، والباقون بالرفع. انظر «الدر المصون» (٤/ ٢٢).

لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ....

الرَّسُولِ، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾: تحقيقاً لإيمانِهم.

(٦٧ - ٦٨) ﴿وَإِذًا﴾ أي: لو ثَبتُوا ﴿لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا﴾: مِن عندِنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجَنَّة، ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

٦٩ قال بَعضُ الصَّحابةِ لِلنَّبيِّ ﷺ: (كَيفَ نَراك في الجَنَّة وأنتَ في الدَّرجاتِ العُلَا ونَحنُ أسفَلَ مِنك؟) فنَزَل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فِيما أمَرا بِه، ....

حاشية الصاوي

أرجحَ عند النحاة من النصب، فالمنزَّهُ عنه القرآنُ كونُهُ ليس على قَواعد النحاة، وأمَّا كونُ بعض القراءات له وجهٌ قويٌّ في العربية دُون بعض.. فلا مانعَ منه.

قوله: (﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾) اسمُ التفضيل ليس على بابه؛ إذْ ما هم عليه ليس بِخير.

قوله: (أي: لو ثبتوا) ليس تفسيراً لـ(إذاً)، بل إشارة إلى أن (إذاً) واقعةٌ في جواب سؤال مقدَّرٍ، وقوله: ﴿لَّآتَيْنَاهُم﴾ جوابُ الشرط، وأصلُ الكلام: فما جزاؤهم لو ثَبتوا إذاً لآتيناهم، فالحاملُ للمفسِّر على تقدير (لو ثبتوا) قولُه بعد: ﴿لَّآتَيْنَاهُم﴾، والحاملُ لَنا على تقدير السؤال قوله: (إذاً)، وهي هنا ملغاةٌ عن عمل النَّصب لِفقد شرطها[1].

قوله: (﴿صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾) أي: ديناً قَيِّماً لا اعوجاجَ فيه، وهو دينُ الإسلام، فتحصَّلَ أنهم لو امتثلوا لأعطاهم الله خيرَ الدنيا والآخرة.

قوله: (وأنت في الدرجات العلى) أي: التي ليس فوقَها درجةٌ، وهذا السؤال كما توجَّهَ من الصحابة يَتوجَّهُ أيضاً من الأنبياء؛ فإنه أعلى من جميع المخلُوقات على الإطلاق حتى الأنبياء، قال البوصيري: [الخفيف]

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الأَنْبِيَاءُ ... يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ؟[2]

قوله: (فيما أمرا به) أي: ونهَيَا عنه، فالطاعةُ: امتثالُ المأمورات، واجتِنابُ المنهيَّات.

---

(١) فقد وقعت بعد حرف العطف الواو، فكانت حرف جواب وجزاء مهمل.

(٢) مطلع قصيدته المشهورة بالهمزية، وقد سمَّاها: «أم القرى».

فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ....

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾: أفاضِلِ أصحابِ الأنبياء لِمُبالَغتِهم في الصِّدق والتَّصديقِ، ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: القَتلَى في سَبيل الله، ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ غيرِ مَن ذُكِرَ، ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾: رُفَقاءَ في الجنَّة، بِأن يَستَمتِعَ فِيها بِرُؤيَتِهم وزِيارَتهم والحُضُور معَهُم، وإن كان مَقَرُّهم في الدَّرَجات العالِيَة بِالنِّسبةِ إلى غيرِهم.

﴿٧٠﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: كَونُهم مع مَن ذُكِرَ، ـ مُبتدأٌ خَبرُه:ـ ﴿ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ تَفضَّلَ بِه علَيهِم، لا أنَّهم نالُوه بِطاعتِهم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ بِثَوابِ الآخِرة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ... إلخ) بيانٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والمعنى: أن مَنْ أطاعَ اللهَ كان رفيقاً لمن ذكِرَ، وليس ذلك بسَفر ولا مشقَّة، بل يُكشفُ له عمَّنْ ذُكِرَ ويحادثه مع كون كلٍّ في دَرجته، لا يصعدُ هذا لهذا، ولا ينزلُ هذا لهذا، قال تعالى: ﴿إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، فإذا تمنَّى الشخصُ مُشاهدةَ النبيِّ ومحادثته.. حصلَ ذلك من غير مَشقَّة ولا انتقال.

قوله: (أفاضل أصحاب الأنبياء) أي: فالصِّدِّيقيَّةُ تحت مرتبة النبوَّة.

قوله: (﴿وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾) أي: القائمين بحُقوق الله وحقوق عباده، وقوله: (غير من ذكر) أتى به دفعاً للتكرار؛ لأنَّ جميعَ من تقدَّم صالحون أيضاً.

قوله: (﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾) (حَسُن) كـ: نِعْمَ، تُستعملُ للمدح، وفيها معنى التعجُّب، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: فاعل، و﴿رَفِيقٗا﴾: تمييز، والمخصوص بالمدح محذوفٌ تقديرُهُ: هو.

قوله: (رفقاء) أشارَ بذلك إلى أن ﴿رَفِيقٗا﴾ فَعِيل يستوي فيه الواحد وغيره، ويحتملُ أنه أفردَ؛ نظراً لكلِّ واحدٍ ممَّن ذُكِر.

قوله: (والحضور معهم) أي: مُجالستهم حيثما أحبَّ.

قوله: (مبتدأ خبرُهُ ﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾) ويحتملُ أن ﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾ نعتٌ لاسم الإشارة، أو بدل، وقوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره.

قوله: (لا أنهم نالوه بطاعتهم) أي: نالوا ذلك الرفقَ بسبب طاعتهم، ففي الحقيقة دخولُ الجنة وارتقاءُ منازلها ومُرافقةُ من ذُكِرَ بمحضِ فضل الله، وإلا.. فأيُّ طاعةٍ يستحقُّ بها الإنسان شيئاً من ذلك؟!

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ

أي: فثِقُوا بما أخبَركُم به، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر: ١٤].

﴿٧١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ مِن عَدُوِّكم، أي: احتَرِزُوا مِنهُ وتَيقَّظُوا له، ﴿فَٱنفِرُواْ﴾: انهَضُوا إلى قِتالِه ﴿ثُبَاتٍ﴾: مُتفرِّقِينَ سَرِيَّة بعد أُخرَى، ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾: مُجتَمِعينَ.

﴿٧٢﴾ ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾: لَيتأخَّرنَّ عن القِتال، كعبدِ الله بن أُبَيٍّ المُنافِقِ وأصحابِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فثقوا) أي: اعتَمِدوا على ذلك الخبر ولا تشكُّوا.

قوله: (﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾) أي: لا يخبرُك بأحوال الجنة وغيرها مثلُ خبيرٍ عالم بِبواطن الأشياء كظواهرِها، الذي هو اللهُ تعالى.

قوله: (﴿حِذۡرَكُمۡ﴾) هو والحَذَرُ بفتحتين: مَصدران بمعنى: التحفُّظ والتيقُّظ، وهو مبالغةٌ، كأنه جعلَ حفظَ النفس آلةً تُؤخذُ، وبعضُهم فسَّرَ الحذرَ بآلة الحرب[1]، وعليه: فلا مُبالغةَ في قوله: ﴿خُذُواْ﴾.

قوله: (﴿فَٱنفِرُواْ﴾) فعله: نفَرَ ينفِرُ من باب: ضرَب وقعَد، ومصدرُهُ: النفر والنُّفور والنَّفير.

قوله: (﴿ثُبَاتٍ﴾) جمع ثُبة، وهي الجماعةُ فوقَ العشرة إلى المئة، والسريَّةُ: الجماعة أقلُّها مئة، وغايتُها أربع مئة، والمَنْسَرُ: من أربع مئةٍ إلى ثمان مئة، والجيشُ: من ثمان مئةٍ إلى أربعة آلاف، والجحفلُ: ما زادَ على ذلك[2].

قوله: (سرية بعد أخرى) أي: جماعات بعد جَماعات؛ سريَّة أو غيرها.

قوله: (﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾) هذا التخييرُ لِوُلاة الأمور بحسَب اجتهادهم.

قوله: (﴿لَمَن﴾) اللام: لامُ الابتداء دخلت على اسمِ (إن) لوقوع الخبر فاصلاً[3]، وقوله: (ليتأخرن) أشارَ بذلك إلى أن (بطَّأ) لازمٌ بمعنى: قامَ به البطءُ، وهو التأخُّر، ويصحُّ أن يكون متعدِّياً والمفعول محذوف؛ أي: غيره، فالمعنى: يُكسِّلَنَّ غيره عن القتال.

---

(١) أي: ما يحذر به؛ من السلاح والخدم. «الفتوحات» (١/ ٣٩٩).

(٢) كذا في «الفتوحات» (١/ ٣٩٩) نقلاً عن الشيخ الأجهوري.

(٣) وعبارة العلامة السمين في «الدر» (٤/ ٢٨): (دخلت اللام على الاسم تأكيداً لمَّا فُصِل بينه وبينها بالخبر).

﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ۝٧٢ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧٣﴾ ....

وجَعَله مِنهُم مِن حيثُ الظَّاهِرُ، واللَّام في الفِعل لِلقَسَم، ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقَتلٍ وهَزيمةٍ، ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾: حاضِراً فأُصابَ.

﴿٧٣﴾ ﴿وَلَئِنْ﴾ ـ لامُ قَسَم ـ ﴿أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كفَتحٍ وغَنيمةٍ، ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادِماً ﴿كَأَن﴾ ـ مُخَفَّفةٌ واسمُها مَحذُوف ـ أي: كأنَّه ﴿لَّمْ يَكُن﴾ ـ بالياءِ والتَّاء ـ ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾: مَعرِفةٌ وصَداقةٌ، وهذا راجِعٌ إلى قَوله: ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ﴾ اعتَرض بِه بينَ القَول ومَقُولِه، وهو: ﴿يَا﴾ ـ لِلتَّنبيه ـ ﴿لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: آخُذَ حَظًّا وافِراً مِن الغَنيمةِ، قال تَعالى:

حاشية الصاوي

قوله: (من حيث الظاهر) أي: وإلا.. ففي نَفس الأمر ليس منهم، بل هو عدوٌّ لهم.

قوله: (وهزيمة) أي: لِبَعض الجيش، وإلا.. فمَن قال: إن رسولَ الله هُزِمَ.. فقد كفر، وما وقع في أُحُدٍ وهَوَازن كان لأطراف الجيش من حيث الغَنيمة.

قوله: (فأُصابَ) هو بالنصب بـ(أن) مُضمرةً بعد فاء السببيَّة بعد الأمر.

قوله: (﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾) هذه الآيةُ معنى قَوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: ٥٠].

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قِراءتان سبعيَّتان، فعلى التاء: الأمر ظاهرٌ، وعلى الياء: فالمودَّةُ بمعنى: الودُّ[١].

قوله: (وهذا راجع) أي: قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾، والمعنى: حالُهُ في الفرح بمصيبة المسلمين كحال مَن لم يكن بينكم وبينه مَودَّة.

قوله: (للتنبيه) أي: لِدخولها على الحرف، ويحتمل أنها للنداء والمنادى محذوف؛ أي: يا هؤلاء.

قوله: (﴿فَأَفُوزَ﴾) منصوبٌ بـ(أن) مُضمرة في جواب التمنِّي بعد فاء السببيَّة.

---

(١) قرأ ابن كثير وحفص بالياء، والباقون بالتاء. «الدر المصون» (٤/ ٣١).

فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ....

﴿٧٤﴾ ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاءِ دينِه ﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾: يبيعونَ ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾: يُستشهَدْ ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾: يَظفرْ بعدوِّه، ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: ثواباً جزيلاً.

﴿٧٥﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ ـ استفهامُ توبيخ ـ أي: لا مانعَ لكم من القِتال ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَ﴾ في تخليصِ ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلْيُقَٰتِلْ﴾) الفاءُ: واقعةٌ في جواب شرط، تقديره: إذا تركَ المنافقون القتال وتأخَّروا عنه فليقاتل... إلخ.

قوله: (يبيعون) دفعَ بذلك ما يُقال: إن القاعدةَ دخول الباء في الشراء على المتروك، ولا يصحُّ ذلك هنا؛ لأنه يَصيرُ ذمًّا! فأجابَ: بأن الشراءَ بمعنى: البيع، نظير: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠].

قوله: (﴿وَمَن يُقَٰتِلْ﴾... إلخ) (مَن): اسمُ شرط مبتدأ، و﴿يُقَٰتِلْ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ معطوفٌ على ﴿يُقَٰتِلْ﴾ عطف مُسبَّب على سبب، وقوله: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ جوابُ الشرط، وجملةُ الشرط وجوابه خبرُ المبتدأ.

قوله: (﴿وَمَا لَكُمْ﴾... إلخ) (ما): اسمُ استفهام مبتدأ، و﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور خبر، وجملة: ﴿لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ في محلِّ نَصب على الحال، والمعنى: أيُّ شيء ثبتَ لكم حالَ كونكم غيرَ مُقاتلين؟ وهذا أحسنُ الأعاريب.

قوله: (﴿وَ﴾ في تخليص ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ معطوفٌ على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، لكنْ على حذف مضاف.

وسببُ نزولها: أنه كان قبل الهجرة لم يُشرع الجهاد، فلمَّا هاجرَ عليه الصلاة والسلام.. أُمِرَ بالجهاد، فتكاسلَ بعضُ ضُعَفاء المؤمنين وجميعُ المنافقين، فنزلت الآيةُ توبيخاً لهم على ترك القتال لإعلاء كلمة الله وتخليصِ المستضعَفين.

قوله: (﴿وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾) قيل: جمعُ وَليد بمعنى: ولد، وقيل: جمعُ وَلَد؛ أي: الصغار.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ ....

الَّذين حبَسَهم الكُفارُ عن الهِجرةِ وآذَوْهُم، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كُنتُ أنا وأُمِّي مِنهُم، ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعِينَ: يا ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: مكَّةَ ﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالكُفرِ، ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾: مِن عِندِك ﴿وَلِيًّا﴾ يتولَّى أُمورَنا، ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ يمنَعُنا مِنهُم؟ وقد استَجابَ الله دُعاءَهُم؛ فيَسَّرَ لِبَعضِهم الخُروجَ، وبَقِيَ بَعضُهم إلى أن فُتِحَت مكَّةُ ووَلَّى ﷺ عتَّاب بن أسِيد، فأنصَفَ مَظلُومَهم مِن ظالِمِهم.

﴿٧٦﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾: الشَّيطانِ، ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (الذين حبسهم الكفار) أي: بمكة.

قوله: (كنت وأنا وأمي) أي: وأخِي الفضل[1].

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ﴾) صفةٌ لـ(المستضعفين)، و﴿يَقُولُونَ﴾: صلةُ ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

قوله: (﴿ٱلظَّالِمِ﴾) نعتُ ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾، و﴿أَهْلُهَا﴾: فاعل ﴿ٱلظَّالِمِ﴾، وذكَّرَ النعتَ وإن كان المنعوت مؤنثاً؛ لأنه نعتٌ سببيٌّ رفعَ اسماً ظاهراً، فذكَّرَ نظراً لِذلك الاسم الظاهر.

قوله: (إلى أن فتحت مكة) أي: في السنة الثامنةِ من الهجرة.

قوله: (عتَّاب بن أَسِيدٍ) أي: وكان عمرُهُ ثمانيةَ عشرَ سنة، فكان ينصرُ المظلومِين من الظالمين، ويأخذُ لِلضعيف من القوي، والدعاءُ بهذه الآية مستجابٌ لمن وقعَ في بلدة كثُرَ ظلمُ أهلِها.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ... إلخ) المقصودُ من ذلك: تحريضُ المؤمنين على القتال وتَرغيبُهم فيه.

قوله: (﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) أي: في مَرضاته لإعلاء دِينه، وقوله: ﴿فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي: في مَرضاته.

(١) روى البخاري (١٣٥٧) عنه: «كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من الولدان، وأُمي من النساء».

إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ ....

أنصارَ دِينه تَغلِبُوهُم لِقُوَّتِكُم بِالله، ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بِالمُؤمِنِين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ : واهِياً لا يُقاوِمُ كَيدَ الله بِالكافِرين.

﴿٧٧﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قِتالِ الكُفَّار لَمَّا طَلَبُوه بِمَكَّةَ لِأَذَى الكُفَّار لَهُم، وهُم جَماعةٌ مِن الصَّحابةِ، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ : فُرِضَ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ

حاشية الصاوي

قوله: (تغلبوهم) مجزومٌ في جواب الأمر، وقوله: (لقوّتكم) علّةٌ له.

قوله: (﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾) أي: بالنسبة إلى كَيد الله، وأما عظمُ كيد النساء في آية (يوسف).. فبِالنسبة إلى الرجال، فضعف كيدِ الشيطان لمقابلته بكيد الله، وعِظم كيد النساء لمقابلته بكيد الرجال، وإلا.. فأصلُ كَيد النساء من الشيطان، وفي الحديث: «النساءُ حبائلُ الشيطان»[1].

قوله: (واهياً) أي: لا ضررَ فيه أصلاً؛ ولِذا خذلَ الشيطانُ أولياءَهُ لمَّا رأى الملائكة نزَلت يوم بدر، وكان النصرُ لأولياء الله وحِزبِه.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ﴾) الاستفهامُ تعجيبي؛ أي: تَعجَّبْ يا محمَّدْ من قومك كيف يَكرهون القتالَ مع أنهم قبل ذلك كانوا طالبِين له وراغبين فيه.

قوله: (وهم جماعة من الصحابة) منهم عبدُ الرحمن بن عوف، والمقدادُ بن الأسود، وسعدُ بن أبي وقَّاص، وقُدامةُ بن مظعون، وجماعةٌ كانوا بمكَّة يتحمَّلون أذى الكفار كثيراً واللهُ يأمرهم بالتحمُّل والكفِّ عن القتال في نيِّفٍ وسبعين آية، فكانوا يقولون: لَولا أنزلت سورةٌ محكمة وذُكِرَ فيها القتال، فلمَّا هاجرَ النبيُّ ﷺ وأُمِرَ بالقتال.. كَرهوا ذلك، فنزلت الآية[2].

وقوله: (بمكَّة) متعلِّقٌ بـ(طلبوه)، وليس ذلك نِفاقاً منهم، وإنَّما كراهتهم ذلك إما لِغَلبة الرأفة عليهم، أو لِمَحبتهم المعيشة في طاعة الله، وإلا.. لَذمَّهم الله على ذلك، ولما نزلت الآية.. أقلعُوا عمَّا خطرَ ببالهم، وشمَّروا عن ساعد الجدِّ والاجتهاد، وجاهَدُوا في الله حقَّ جهاده.

(١) رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (١٩٨) بلفظ: «الشباب شُعبة من الجنون، والنساء حِبالةُ الشيطان»، وهو قطعة من خطبة لابن مسعود رضي الله عنه رواها أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٨).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١١).

إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ....

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾: يَخافُون ﴿ٱلنَّاسَ﴾: الكُفارَ أي: عَذابَهُم بِالقَتل ﴿كَخَشْيَةِ﴾هم عَذابَ ﴿ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ مِن خَشيَتِهِم لَه، ونَصب ﴿أَشَدَّ﴾ على الحال، وجَوابُ (لَمَّا) دلَّ عليه ﴿إِذَا﴾ وما بعدَها، أي: فاجَأتهُم الخَشيةُ، ﴿وَقَالُوا۟﴾ جَزعاً مِن المَوت: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ﴾ لَهُم: ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا﴾: ما يُتَمتَّعُ بِه فيها أو الاستِمتاعُ بِها ﴿قَلِيلٌ﴾ آيلٌ إلى الفَناءِ، ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ أي: الجَنَّة ﴿خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾) قيل: ﴿إِذَا﴾: ظرف مكان، وقيل: ظرف زمان، وقيل: حرفٌ، والأولى: الأولُ، وعليه: فـ﴿إِذَا﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿فَرِيقٌ﴾: مبتدأ مؤخَّر، و﴿مِّنْهُمْ﴾: صفةٌ لـ﴿فَرِيقٌ﴾، وكذلك جملة ﴿يَخْشَوْنَ﴾، ويصحُّ أن تكونَ حالاً؛ لِوجود المسوِّغ، والتقديرُ: ففي الحَضرة فريقٌ كائن منهم خاشُون أو خاشين، وقوله: (﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾) مفعولٌ مُطلق؛ أي: خشيةً كخشية الله.

قوله: (أي: عذابهم بالقتل) ويحتملُ أن المرادَ بخشيتهم: احترامُهم القَرابة.

قوله: (ونصب ﴿أَشَدَّ﴾ على الحال) أي: من (خشية) الثاني؛ لأنه نعتُ نكرةٍ تقدَّمَ عليها.

قوله: (دلَّ عليه إذا... إلخ) المناسبُ أن يقول: (وجوابُ لمَّا: إذا وما بعدها).

قوله: (أي: فاجأهم الخشية) الأوضحُ أن يقولَ: أي: فاجأَ كَتْبَ القتال عليهم الخشيةُ؛ لأنَّ الخشية فاجأت كَتْبَ القتال لا ذَواتهم.

قوله: (جزعاً من الموت) يحتملُ أنهم قالوا ذلك؛ لاعتِقادهم أن القاتلَ يقطعُ على المقتول أجلَه، فعلَّمَهم اللهُ أن الأجلَ محتَّمٌ لا يزيدُ بِالبعد عن القتال ولا يَنقص به، وليس ذلك نقصاً فيهم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، ويحتملُ أنهم قالوا ذلك بحسَب الطبيعة البشرية، وليس عندهم اعتقادُ ذلك.

قوله: (﴿قُلْ﴾ لهم) أي: لِيَزدادوا رغبةً في دار البقاء، وزُهداً في دار الفناء.

قوله: (﴿خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾) أي: لأنه لا كدرَ فيها ولا نصب؛ ولِذلك حين دخولها يقولون: الحمدُ لله الذي أذهبَ عنا الحَزَنَ.

وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ ....

عِقابَ الله بِتَركِ مَعصِيَتِه، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ـ بِالتَّاءِ والياء ـ: تُنقَصُون مِن أعمالِكُم ﴿فَتِيلًا﴾: قَدْرَ قِشرةِ النَّواة، فجاهِدُوا.

﴿٧٨﴾ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾: حُصُونٍ ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾: مُرتَفِعةٍ، فلا تَخشَوا القِتالَ خَوفَ المَوت، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ أي: اليَهُودَ ﴿حَسَنَةٌ﴾: خِصبٌ وسَعَةٌ ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جَدبٌ وبَلاء كما حَصَلَ لَهُم عِندَ قُدُوم النَّبِيِّ ﷺ المَدينةَ، ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ يا مُحمَّدُ، أي: بِشُؤمِك، ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿كُلٌّ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (**بترك معصية**) أي: كالشرك وغيره، ومَعلومٌ أن كلَّ من زادت تَقواه كان نعيمُهُ في الآخرة أكبرَ.

قوله: (**بالتاء والياء**) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، فعلى التاء: يكون خطاباً لهم، وعلى الياء: يكون تحديثاً عنهم، والمعنى: بلِّغْهم يا محمدُ أنهم لا يُظلمون فتيلاً.

قوله: (**قدر قشرة النواة**) تقدَّمَ أنه غيرُ مُناسب، والمناسبُ: تفسيره بالخيط الذي يكونُ في باطن النواة[2].

قوله: (**﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾**) هذا تَسليةٌ لهم أيضاً، و(أينَ): اسمُ شرط جازم، و(ما): صلة، و﴿تَكُونُوا﴾: فِعل الشرط مجزوم بحذف النون، والواو: اسمها، و﴿يُدْرِككُّمُ﴾: جوابُ الشرط، و﴿الْمَوْتُ﴾: فاعله، والمعنى: أن الموتَ يُدرككم أينما تكونوا في أيِّ زمان أو مكانٍ متى حضرَ الأجلُ.

قوله: (**﴿فِي بُرُوجٍ﴾**) جمع بُرْج، وهو القَلعةُ والحِصن.

قوله: (**مرتفعة**) أي: عالية البناء، أو المعنى: مَطليَّةٌ بالشِّيد؛ أي: الجصِّ.

قوله: (**أي: اليهود**) أي: والمنافقين.

قوله: (**عند قُدوم النبي المدينة**) أي: حيث دَعاهم إلى الإيمان فكفروا، فحصلَ لهم الجَدبُ، فقالوا: هذا شؤمُه، والشؤمُ ضدُّ اليُمن والبركة.

---

(١) قرأ ابن كثير والأخوان (حمزة والكسائي) بالغيبة، والباقون بتاء الخطاب. انظر «الدر المصون» (٤/ ٤٢).

(٢) تقدم قريباً. انظر (٢/ ٧١).

مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ....

مِن الحَسَنةِ والسَّيِّئةِ ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: مِن قِبَلِه، ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يُقارِبُون أن يَفهَمُوا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلقَى إليهِم. و(ما) استِفهامُ تَعجِيب مِن فَرْطِ جَهلِهم، ونَفيُ مُقاربَةِ الفِعل أشَدُّ مِن نَفيِه.

﴿٧٩﴾ ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ أيُّها الإنسانُ ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾: خَيرٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أتَتْكَ فَضلاً مِنهُ، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾: بَلِيَّةٍ ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أتَتك، حيثُ ارتَكَبتَ ما يَستَوجِبُها مِن الذُّنُوب،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾) أي: خَلقاً وإيجاداً.

قوله: (﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ ... إلخ) أي: أيُّ شيء ثبتَ لهؤلاء لا يَقربون من فهم الحديث والمَوعظة؟

قوله: (و(ما): استفهام تعجب) أي: وتَوبيخ.

قوله: (أيها الإنسان) أي: فهو خطابٌ عامٌّ لكلِّ أحد، وقيل: الخطابُ للنبي والمرادُ به غيرُهُ.

قوله: (﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾) أي: مِن شُؤمك وسوء كَسبك، فنسبةُ ذلك إلى النفس مجازٌ باعتبار سوء الكسب والشؤم، من إسناد الشيء لِسَببه، وبهذا اندفعَ التنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، فنسبةُ الأشياء جميعها لله من حيث الإيجاد، ونسبةُ الشؤم إلى العبد فبِاعتبار أن سوءَ كسبه سببٌ في ذلك، عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: (ما مِن مسلم يصيبُهُ وَصبٌ ولا نصبٌ ولا الشوكة يشاكُها، وحتى انقطاعُ شِسْعِ نَعله.. إلا بذنب، وما يعفو اللهُ عنه أكثر)[1]، وأما حديث: «أشدُّكم بلاءً الأنبياءُ»[2] فمَعناه: أن الله امتحنهم بالبلايا، وألقى عليهم الصبر والمحبة، فشاهدوا عطاءَ الله في تلك البلايا، فصارت البَلايا عطايا، فتحصَّلَ أن البلاءَ إما أن يكون من شُؤم الذنب، وذلك للعصاة الذين لم يتلقَّوهُ بالرضا والتسليم، وإما أن يكون اختياراً أو امتحاناً، وذلك للأنبياء والصالحين؛ ليرقِّيَهم به أعلى الدرجاتِ؛ ولذلك قال العارف الجيلي: [الطويل]

---

(١) كذا في «الفتوحات» (١/ ٤٠٣)، وقريب منه ما رَواه الترمذي (٢٩٩١).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨).

وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا ....

﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ ـ حالٌ مُؤكِّدةٌ ـ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رِسالَتِك.

﴿٨٠﴾ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرَضَ عن طاعتِك فلا يُهِمَّنَّك، ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: حافِظاً لِأعمالِهم، بل نَذِيراً، وإلَينا أمرُهم فنُجازِيهِم، وهذا قبلَ الأمرِ بِالقِتال.

﴿٨١﴾ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المُنافِقُون إذا جاؤُوك: أَمْرُنا ﴿طَاعَةٌ﴾ لَك، ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾:

حاشية الصاوي

تَـلَـذُّ لِـيَ الآلامُ إذْ أَنْـتَ مُـسْـقِـمِـي ... وَإِنْ تَمْتَحِنِّي فَهْيَ عِنْدِي صَنائِعُ[1]

قوله: (﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾) بيانٌ لِعظم شأنه ومَنزلته عند ربِّه.

قوله: (﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾ ... إلخ) هذا كالنتيجة لقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾، والمعنى: حيث ثبتت رسالتُه بشهادة الله نتجَ[2] من ذلك أن من أطاعَهُ فقد أطاعَ الله.

قوله: (فلا يُهِمَّنك) بضم الياء من: أهمَّ، أو بفتحها من: هَمَّ، ومعناه: لا يَحزنك إعراضُهم، وقدَّرَهُ المفسِّرُ؛ إشارةً إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ... إلخ﴾ علةٌ للجواب المحذوفِ.

قوله: (بل نذيراً) اقتصرَ عليه؛ لأنه في سِياق مَنْ أعرضَ، ولا يُناسبُهُ إلا الإنذار، وإلا.. فرسولُ الله بُعثَ بشيراً ونذيراً.

قوله: (أمرُنا ﴿طَاعَةٌ﴾) أشارَ بذلك إلى أن ﴿طَاعَةٌ﴾ خبرُ مبتدإٍ محذوف واجب الحذف؛ لأنَّ الخبرَ مصدر بدلٌ مِن لفظ الفعل، فهو نائبٌ عن (أطعنا)، ويصحُّ أن يكون مبتدأً والخبرُ محذوف؛ أي: منَّا طاعة.

---

(١) بيت من «عينيته» المشهورة، وقد تقدم النقل عنها، وبعده قوله:

تـحـكَّـمْ بـمـا تـهـواهُ فـيَّ فـإنـنـي ... فـقـيـرٌ لـسـلـطـانِ الـمـحـبـة طـائـعُ

حَـبَـبْـتُـكَ لا لـي بـل لأنَّـكَ أهـلُـهُ ... ومـا لـي فـي شـيءٍ سـواكَ مَـطـامـعُ

(٢) في (ط١): (اتَّضح) بدل (نتج).

مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ....

خَرَجُوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ ـ بِإدغام التَّاء في الطَّاء وتَركِه ـ أي: أضمَرَت ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ لَك في حُضُورِك مِن الطَّاعةِ، أي: عِصيانَك، ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ﴾ يَأمُر بِكَتبِ ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ في صَحائِفِهم لِيُجازَوا علَيه، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بِالصَّفحِ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ثِقْ به؛ فإنَّه كافِيك، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ مُفوَّضاً إلَيه.

﴿٨٢﴾ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾: يَتأمَّلُون ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ وما فِيه مِن المَعانِي البَدِيعةِ؟ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ تَناقُضاً في مَعانِيه وتَبايُناً في نَظمِه.

حاشية الصاوي

قوله: (**بإدغام التاء في الطاء**) أي: بعدَ قلبِها طاء، وقوله: (**وتركه**) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (**أي: أضمرت**) المعنى: أظهرَتْ ما أضمرته، وإلا.. فالإضمارُ كان واقعاً منهم قبل الخروج من عند النبي ﷺ.

قوله: (**من الطاعة**) بيانٌ للذي تقول.

قوله: (**أي: عصيانك**) تفسيرٌ لِقَوله: ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾.

قوله: (**ليجازوا عليه**) أي: في العاجِل والآجل.

قوله: (﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**﴾) أي: لا تقتلْهم ولا تَفضحْهم، وهذا قبلَ الأمر بقتالهم وإخراجهم.

قوله: (**ثق به**) أي: اعتمِد عليه.

قوله: (﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ**﴾) الهمزة داخلةٌ على محذوف، تقديرُهُ: أيُعرِضون عنك فلا يتدبَّرون، وهو استقباحٌ لحالهم وتشنيعٌ عليهم، والتدبُّرُ في الأصل: النظرُ في عَواقب الأمور لتقعَ على الوجه الأكمَل، والمرادُ هنا: مطلقُ التأمُّل والتفكُّر.

قوله: (**تناقضاً في معانيه**) أي: بأن يكون بعضُ أخباره غيرَ مُطابق لبعض، وقوله: (**وتبايناً في نظمه**) أي: بأن يكونَ بعضُهُ فصيحاً بليغاً، وبعضُهُ ليس كذلك، فلمَّا كان جميعُهُ على مِنوال واحد

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة بالإدغام، والباقون بالإظهار. انظر «السراج المنير» (١/ ٣١٨).

وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ ....

(٨٣) ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ﴾ عن سَرايَا النَّبيِّ ﷺ بما حَصَلَ لَهُم ﴿مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾ بالنَّصرِ ﴿أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ بالهَزِيمة ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾: أفشَوْهُ، نَزَلَ في جَماعةٍ مِن المُنافِقِين، أو في ضُعَفاءِ المُؤمِنِين، كانُوا يَفعَلُون ذلك فتَضعُفُ قُلُوب المُؤمِنِين ويَتأَذَّى النَّبيُّ، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي: الخَبَرَ ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي: ذَوِي الرَّأيِ ....

حاشية الصاوي

ليس بعضُهُ مناقضاً لبعض بل أخبارُهُ كلُّها متوافقةٌ وهو فَصيحٌ بليغٌ ليس فيه ما يُنافي ذلك.. ثبتَ أنه من عند الله؛ لأنَّ هذا الأمرَ لا يَقدرُ عليه غيرُهُ، ولو ثبتَ فرضاً أنه من عِند غير الله.. لوَجدوا فيه اختلافاً في المعنى أو اللفظ.

إن قلت: إن قوله: ﴿كَثِيرًا﴾ ربما يوهمُ أن فيه اختلافاً قليلاً!

أجيبَ: بأن التَّقييد بالكثرة لِلمبالغة، والمعنى: أن القرآنَ ليس فيه اختلافٌ أصلاً؛ فلو كان من عند غير الله.. لَوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فضلاً عن القليل؛ فهو من عند الله، فلم يكن فيه اختلافٌ أصلاً لا كثيرٌ ولا قليل.

قوله: (﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ﴾ ... إلخ) سببُ نزولها: أن رسولَ الله ﷺ كان يبعثُ البعوثَ والسرايا، فإذا غلبوا الكفَّارَ أو غلبوهم.. بادرَ المنافقون لِلاستخبار عن حالهم، ثم يتحدَّثون بذلك ويُشِيعونه قبل أن يسمعُوه من رسول الله أو كبار أصحابه، وقصدُهم بذلك افتِتانُ ضعفاءِ المؤمنين[1].

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾ ... إلخ) بيانٌ للأمر.

قوله: (من المنافقين) أي: وقَصدُهم بذلك فِتنةُ الضعفاء، وقوله: (أو ضعفاء المؤمنين) أي: جهلاً منهم بذلك، وهما قَولان، والراجحُ الأول[2].

قوله: (فتضعف قلوب المؤمنين) هذا ظاهرٌ بالنسبة لِلهزيمة، وأما إشاعةُ النُّصرة فالضعفُ فيه من حيثُ إن هذا الخبرَ ربما وَصلَ للكفَّار فيتجهَّزون ويُعيدون الحربَ ثانياً، ففيه فتنةٌ للضعفاء على كلِّ حال.

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ٥٦٩).

(٢) «تفسير الطبري» (٨/ ٥٧٠) عن ابن زيد دون ترجيح بينهما.

لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

مِن أكابرِ الصَّحابةِ، أي: لو سَكَتُوا عنهُ حتَّى يُخبَرُوا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو مِمَّا يَنبغي أن يُذاعَ أو لا ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: يَتَّبِعُونه ويَطلُبُون عِلمَه، وهُم المُذِيعُونَ، ﴿مِنْهُمْ﴾ مِن الرَّسُول وأولِي الأمرِ، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِالإسلامِ ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ لَكُم بِالقُرآنِ، ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ فِيما يَأمُرُكُم بِهِ مِن الفَواحِشِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (من أكابر الصحابة) أي: كأبي بكر وعمر ونظائرهما.

قوله: (حتى يُخبَروا به) بالبناء للمفعول؛ أي: حتى يخبرُهم النبيُّ به.

قوله: (هل هو مما ينبغي... إلخ) أي: لعلموا صفتَهُ وكيفيّتَهُ، وإلا.. فهم عالِمون به قبلَ ذلك.

قوله: (وهم المذيعون) أي: المنافقون أو ضُعفاء المؤمنين، وهو تفسيرٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾، وهو إظهارٌ في محلِّ الإضمار؛ أي: لَعلموه، وقوله: (﴿مِنْهُمْ﴾) (مِن): ابتدائية، والجار والمجرور متعلِّقٌ بـ(يستنبطون)، والمعنى: يَتلقَّونه من جهة الرسول أو كِبار الصحابة.

قوله: (بالإسلام) أي: بسبب إرسال محمد ﷺ.

قوله: (﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾) اعلمْ: أنَّ في هذا الاستثناء ستَّةَ أوجه:

أحدها: أنه مستثنًى من فاعل (اتبعتم)، والمعنى: لاتَّبعتم الشيطانَ إلا قليلاً منكم؛ فإنه لم يَتبعه؛ كقُسِّ بن ساعدة وعمرو بن نفيل ووَرَقة بن نوفل ممَّنْ كان على دين عيسى قبل بعثة محمد، والمرادُ بالفضل والرحمة المنتفيَين على هذا: بعثةُ محمد والقرآن.

ثانيها: أنه مستثنًى من فاعل (اتبعتم) أيضاً لكنه واقع على مَن لم يبلغ التكليفَ، ويكون الاستثناءُ منقطعاً.

ثالثها: أنه مستثنًى من فاعل ﴿أَذَاعُوا﴾، والمعنى: أظهَروا خبرَ الأمنِ والخوفِ إلا قليلاً فلم يُظهِروه.

رابعها: أنه مستثنًى من فاعل (عَلمه)، أي: علمه الذين يَستنبطونه إلا قليلاً فلم يَعلموه.

خامسها: أنه مستثنًى من فاعل (وجدوا) أي: إلا قليلاً فلم يجدوا فيه اختلافاً كثيراً؛ لِبَلادتهم وعدم مَعرفتهم.

فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا ....

﴿٨٤﴾ ﴿فَقَٰتِلۡ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾ فلا تَهتَمَّ بتخلُّفِهم عنك، المعنَى: قاتِل ولو وَحدَك؛ فإنَّك مَوعُودٌ بالنَّصرِ، ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: حُثَّهُم على القِتال ورَغِّبْهُم فِيه، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ﴾: حَرْبَ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا﴾ مِنهُم،

حاشية الصاوي

سادسها: أن قوله: ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ﴾ خطابٌ لجميع الناس عموماً، والمرادُ بالقليل: أمَّةُ محمد ﷺ، وأحسَنُ هذه الأوجه أوَّلُها، وهو المأخوذُ من سياق المفسِّر، وأبعدُها الأخير، تأمَّلْ.

قوله: (﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) الفاءُ: واقعةٌ في جواب شرط مقدَّر، تقديرُهُ: إذا تكاسَلوا عن القتال فقاتل... إلخ؛ فإنك منصورٌ على كل حالٍ ولو اجتَمعت عليك أهلُ الأرض جميعاً.

قوله: (﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾) هذهُ الجملةُ حالٌ من فاعل (قاتل)، والمعنى: قاتِلْ في سبيل الله ولا تَنظر لكسلهم حالَ كونك غيرَ مكلَّفٍ إلا نفسَك، فلا يضرُّكَ مخالفتُهم وتَقاعدُهم عن القتال، وقد كان رسولُ الله ﷺ في شِدة الحرب لا يتغيَّرُ وجهٌ له أبداً، بل كان يتبسَّمُ إذ ذاك، ولا يكترثُ بمُلاقاة الأعداء، قال البوصيري: [الخفيف]

مُسْفِرٌ يَلْتَقِي الكَتِيبَةَ بَسَّا ... ماً إذا أَسْهَمَ الوُجُوهَ اللِّقَاءُ[1]

قوله: (**المعنى: قاتل ولو وحدك**) أي: فكان مِن خصائصه ﷺ أنه إذا همَّ بالحرب لا يرجعُ حتى يحكمَ اللهُ بينَه وبين عَدُوِّه.

قوله: (﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾) أي: بالآيات الواردةِ في فضل الجهاد، فإن تخلَّفوا بعدَ ذلك فلا يَضرُّونك، وإنما وَبالُهُم على أنفسهم.

قوله: (﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ ... **إلخ**) هذا وعدٌ من الله بكفِّهم، وهو وإن وردَ بصيغة الترجِّي فهو في المعنى محقَّقٌ؛ لِتعلُّق قدرته وإرادته بذلك، ويستحيلُ تخلُّفُ ما تعلَّقا به؛ لأنه يصيرُ عاجزاً، فلا فرقَ في تحقُّق وعد الله بين أن يَرِدَ بصيغة الترجِّي أو غيره.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا﴾) أي: قُوةً وسَطوة.

---

(١) من «همزيته» المشهورة، انظر «المنح المكية» (ص٣٤٤).

وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ....

﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾: تعذِيباً مِنهُم، فقال ﷺ: «والَّذي نَفسِي بِيَدِه لَأَخرُجَنَّ ولو وَحدِي»، فخَرَجَ بِسَبعِينَ راكِباً إلى بَدرِ الصُّغرَى، فكَفَّ الله بَأسَ الكُفَّار بِإلقاءِ الرُّعب في قُلُوبِهم، ومَنعِ أبِي سُفيانَ عنِ الخُرُوج، كما تَقدَّم في (آل عِمرانَ).

﴿٨٥﴾ ﴿مَّن يَشْفَعْ﴾ بينَ النَّاس ﴿شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ مُوافِقةً لِلشَّرعِ، ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ﴾ مِن الأجرِ ﴿مِّنْهَا﴾ بِسَبَبِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تَنكِيلًا﴾) من النكل، وهو في الأصل: القَيد، ثم أُطلقَ على العذاب.

قوله: (والذي نفسي بيده) إنما أقسمَ بذلك؛ لأنه دائماً في حَضرة ربِّه، وقوله: (بيده) أي: قُدرته، وكان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يَحلفُ بذلك.

قوله: (فخرج بسبعين راكباً) أي: في السنة الرابعة؛ لأنَّ أُحُداً كانت في الثالثة، فلمَّا انصرفَ منها أبو سفيان.. نادى بأعلى صَوته: يا محمدُ؛ موعدُك العامَ القابِل في بدر، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن شاءَ الله تعالى»، فلمَّا جاءَ العامُ القابل طلبَ المؤمنين لِلخروج، فتقاعدَ المنافقون وتبعهُمُ بعضُ ضُعَفاء المؤمنين بسبب تَثبيط نعيم بن مسعود الأشجَعي لهم، قال تعالى حكاية عنه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ...﴾ [آل عمران: ١٧٣] الآيات، وقوله: (بسبعين راكباً) تبعَ في ذلك بعضَ السير، وهو ضعيفٌ، والراجحُ: أنه خرجَ معه ألفٌ وخمس مِئة من أصحابه، وعشرة أفراس، واستخلفَ على المدينة عبدَ الله بن رَواحة، فأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان، فألقى اللهُ في قُلوب الأعداء الرعبَ ولم ينتقلوا من محلٍّ يُسمَّى الآن بِوادي فاطمة، فاجتمعت قبائلُ العرب من كلِّ جهة لإقامة السوقِ في بدر، فصارت الصحابة يتَّجرون إلى أن رَبحوا ربحاً عظيماً، فمَكثوا في بدر ثمانيةَ أيام، فلم تأتِ الكفَّارُ ولم يَحصُلْ بينهم حربٌ أصلاً، قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، وتقدَّمَ بسطُ القصة في (آل عمران)[1].

قوله: (ومنع أبي سفيان) معطوفٌ على (إلقاء)، فهو مَصدر.

قوله: (﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾... إلخ) هذه الجملةُ أفادت أن تحريضَ النبيِّ لِلمؤمنين على القتال شفاعةٌ حسنة، فلَه حظٌّ وافر في نظير ذلك، والشفاعةُ: هي سؤالُ الخير للغير، ويَندرجُ

---

(١) تقدّم هذا الخبر. انظر (١/٦١٨).

وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ ....

﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ مُخالِفةً لَه، ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ﴾: نَصِيبٌ مِن الوِزرِ ﴿مِّنْهَا﴾: بِسَبَبِها، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾: مُقتَدِراً، فيُجازي كُلَّ أحدٍ بما عَمِلَ.

﴿٨٦﴾ ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

في ذلك الدعاءُ للمسلم بِظهر الغيب؛ فقد وردَ: «**مَن دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استُجيبَ له، وقال له المَلَكُ: ولَك مثلُ ذلك**»[1]، وفي الحديث أيضاً: «**ادعُوني بألسنةٍ ما عصَيتُموني بها**»، قال العلماءُ: هو الدعاءُ للغير.

قوله: (﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾) إنما أطلقَ عليها شفاعةً مُشاكَلةً؛ لأنَّ حقيقةَ الشفاعة لا تكون إلا في الخير، قال بعضُهم: هي النَّميمةُ، وهي نَقْلُ الكلام لإيقاع العداوة بين الناس، وقيل: هي السعيُ في الفساد مطلقاً[2].

قوله: (**نصيب**) أشارَ بذلك إلى أن الكِفْلَ مرادفٌ للنصيب، وإنما غاير تفنُّناً.

قوله: (﴿مُّقِيتًا﴾) هو في الأصل معناه: الموصِلُ لكلِّ أحد قُوتَهُ، ومعلومٌ أن هذا لا يكون إلا من المقتدر، أُطلقَ وأُريدَ منه المقتدر بمعنى: القادر الذي لا يُعجزُهُ شيءٌ.

قوله: (**بما عمله**) أي: من خيرٍ أو شرٍّ.

قوله: (﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾) هذا من جملة أفراد الشفاعة الحسنة، وفيه تعليمُ مَحاسن الأخلاق، وهو أنه يَنبغي للإنسان أن يُجازيَ على المعروف بأحسنَ منه أو بمِثله، والتحيةُ في الأصل: الدعاءُ بطول الحياة، وكانت العرب إذا لقيَ بعضُهم بعضاً يقولُ له: حيَّاك الله، ثم استُعملت في السلام، وإنما اختير لفظُ السلام على لَفظها الأصلي؛ لأنه أتمُّ وأنفع؛ لأنَّ السلامَ معناه: السلامةُ من الآفات الدُّنيوية والأُخروية، ورحمةُ الله: إنعامُهُ وإحسانه، وبركاتُهُ وحِفظُهُ من الزوال[3]، وأما طولُ الحياة فلا يَلزمُ منه السلامةُ من الآفات، بل قد يكون طُولُ الحياة مذموماً؛

(١) رواه مسلم (٢٧٣٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) «تفسير الخازن» (١/ ٤٠٤).

(٣) كذا في النسخ: (وبركاته وحفظه...) بإثبات واو العطف.

﴿فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ ....

كأنْ قِيل لَكُم: سَلامٌ عَليكُم، ﴿فَحَيُّوا﴾ المُحَيِّيَ ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ بِأن تَقُولُوا لَه: عَليكَ السَّلام ورَحمةُ الله وبَركاتُه، ....

حاشية الصاوي

كما إذا كان في المعاصي، فكان السلامُ بهذا المعنى أتمَّ وأكملَ، وأصلُ تحيَّة: تَحْيِيَة كتَزكية، نُقلت حركة الياء الأولى إلى ما قبلها، ثم أُدغمت فيما بعدها.

قوله: (كأن قيل لكم: سلام عليكم) أي: بهذا اللفظ وما شابهه؛ كالسلام عليكم، أو سَلامي عليكم، أو سلام الله عليكم، والأولى: أن يأتيَ بميم الجمع ولو كان المسلَّمُ عليه واحداً أو مثنًى أو جمع نسوة؛ نظراً للملائكة المصاحبِين للمسلم، فإذا سلَّمَ بغير هذا اللفظ كـ(أمانُ الله عليكم) أو غير ذلك فلا يجبُ عليه الردُّ.

ومن المطلوب: المصافحةُ؛ لما وردَ: «أنها تُذهبُ الغلَّ من القلوب»[1]، وأما تقبيلُ اليد فهو مَكروه إلا لمن تُرجى بركته؛ كشيخ أو والد، وأما المعانقةُ فمكروهةٌ إلا لِشَوق؛ كقُدوم من سفر ونحوه.

واعلَم: أن ابتداءَ السلام سنةٌ، وردَّه فرضُ كفاية، ولكن الابتداء أفضلُ من الرد، وردَ: «أن للبادئ تسعين حسنة، وللرادِّ عشرة»[2]، ومثلُهُ: الوضوءُ قبلَ الوقت، فإنه مندوبٌ، لكنه أفضلُ من الوُضوء بعده الواجب، وإبراءُ المعسِرِ مندوبٌ، وهو أفضلُ مِن إنظاره الواجب، وجمعَ ذلك بعضُهم في قوله: [الكامل]

الـفَـرْضُ أَفْـضَـلُ مِـنْ تَـطَـوُّعِ عـابِـدٍ ... حَـتَّـى وَلَـوْ قَـدْ جَـاءَ مِـنْـهُ بِـأَكْـثَـرِ
إِلَّا الـتَّـطَـهُّـرَ قَـبْـلَ وَقْـتٍ وَابْـتِـدَا ... ءَ لـلـسَّـلامِ كَـذاكَ إِبْـرا الـمُـعْـسِـرِ[3]

وقد تقدَّم في آخر (البقرة).

قوله: (﴿فَحَيُّواْ﴾) أصله: حَيِّيوا، استُثقلت الضمة على الياء فحذفت الضمة، فالتقى ساكنان الياء والواو، فحُذفت الياء وضُمَّ ما قبل الواو.

قوله: (بأن تقولوا: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته) أي: فإذا اقتصرَ البادئُ على السلام زادَ

(١) كما في «الموطأ» (٢/٩٠٨).

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٣٠٨)، والبيهقي في «الشعب» (٧٦٩٢).

(٣) «منح الجليل» (١/١٢٥).

أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ....

﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ بأن تقولوا له كما قال، أي: الواجبُ أحدُهما، والأوّلُ أفضلُ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾: مُحاسِباً، فيُجازِي عليهِ، ومِنهُ رَدُّ السَّلام. وخَصَّت السُّنَّةُ الكافِرَ والمُبتَدِعَ والفاسِقَ، والمُسَلِّمَ على قاضِي الحاجةِ ومَن في الحَمَّامِ والآكِلِ، فلا يَجِبُ الرَّدُّ علَيهِم، بَل يُكرَهُ في غيرِ الأخِيرِ، ويُقال لِلكافِرِ: وعلَيكَ.

حاشية الصاوي

الرادُّ الرحمةَ والبركة، رُوِيَ: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: السلام عليك، فقال: «**وعليكم السلام ورحمة الله**»، وقال آخر: السلام عليكم ورحمة الله، فقال: «**وعليك السلام ورحمة الله وبركاته**»، وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: «**وعليك السلام ورحمة الله وبركاته**»، فقال الرجل: نقصتني الفضلَ على سلامي، فأين ما قال الله؟ فقال ﷺ: «**لم تترك لي فضلاً، فرددتُ عليك مثلَه**»[(١)].

ولا يزادُ على البركة شيءٌ لا من البادئ ولا من الرادِّ؛ لما وردَ: أنَّ رجلاً سلَّمَ على ابن عباس فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زادَ شيئاً، فقال ابن عباس: إن السلامَ انتهى إلى البركة[(٢)].

قوله: (﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾) أي: ردُّوا مثلَها؛ على حدِّ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾؛ لأن ردَّ عينِها محال.

قوله: (والمبتدع) أي: صاحب البِدَع التي تخالفُ الشرع.

قوله: (والفاسق) أي: بالجارحة المتجاهِر.

قوله: (على قاضي الحاجة) أي: ومَنْ في حكمه؛ كمَن في محلٍّ مستقذر، أو في حال الاستنجاء.

قوله: (ومن في الحمام) أي: في محلِّ الحرارة، لا خارجَهُ في محلِّ نزعِ الثياب.

قوله: (والآكل) أي: بالفعل، بأن كان فمُهُ مشغولاً بالمضغ، لا وقتَ خلُوِّه منه، فيجبُ الردُّ.

قوله: (بل يكره في غير الأخير) أي: الآكِلِ بالفعل.

قوله: (ويقال للكافر: وعليك) أي: لأنه يقولُ في سلامه: السامُّ عليكم، والسامُّ: الموت، فيردُّ عليه بقوله: وعليك، ومحلُّ ذلك: ما لم يَتحقَّقْ منهم النطقَ بالسلام بلفظه، وإلا.. فيردُّ.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٢٤٦) من حديث سلمان ﷺ.

(٢) كما في «الموطأ» (٢/ ٩٥٩).

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ ....

﴿٨٧﴾ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ واللهِ ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ مِن قُبُورِكم ﴿إِلَىٰ﴾: في ﴿يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِۗ وَمَنۡ﴾ أي: لا أحَدَ ﴿أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾: قولاً.

﴿٨٨﴾ ولَمَّا رجَع ناسٌ مِن أُحُدٍ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهم؛ فقال فَرِيقٌ: اقْتُلهُم، وقال فريقٌ: لا، فنزَل: ﴿فَمَا لَكُمۡ﴾ أي: ما شَأْنُكم صِرتُم ﴿فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾: فِرقتَينِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱللَّهُ﴾) مبتدأ، و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾: خبر أول، و﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾: خبر ثان، وردَّ بالخبر الأول على مُنكري التوحيد، وبالثاني على مُنكري البعث.

قوله: (والله) أشارَ بذلك إلى أن اللام في ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ مُوطئةٌ لقسم محذوف[1].

قوله: (﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾) أي: يَحشركم بعد تفرقكم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ﴾ [الشورى: ٢٩].

قوله: (إلى: في) أشارَ بذلك إلى أن (إلى) مُضمَّنة معنى (في)، ويصحُّ بقاؤُها على أصلها ويُضمَّنُ الفعلُ معنى يحشر، وهو الأقربُ؛ لأن التجوُّزَ في الفعل أكثرُ من التجوُّز في الحرف.

قوله: (﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۗ﴾) أي: لا تردُّدَ ولا تحيُّرَ في ذلك اليوم.

قوله: (أي: لا أحد) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿حَدِيثٗا﴾) تمييزٌ.

قوله: (ولما رجع ناس) هذا إشارةٌ لسبب نزول الآية، والمرادُ بالناس: عبدُ الله بن أُبيٍّ وأصحابُه الثلاث مئة وكانوا منافقين[2].

قوله: (اختلف الناس) أي: الصحابة، وقوله: (اقتلهم) أي: للأمارة الدالَّة على كُفرهم، وقوله: (وقال فريق: لا) أي: لِنُطقهم بالشهادتين، واللومُ في الحقيقة على الفريق الثاني القائل: لا نَقتلهم.

قوله: (﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾) (ما): مبتدأ، و﴿لَكُمۡ﴾: جار ومجرور خبر، و﴿فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾:

---

(١) اللام واقعة في جواب قَسَم محذوف.

(٢) رواه البخاري (١٨٨٤)، ومسلم (٢٧٧٦) من حديث زيد بن ثابت ﷺ.

﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ ....

﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾: رَدَّهُم ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْۚ﴾ مِن الكُفرِ والمَعاصِي؟ ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ﴾هُ ﴿ٱللَّهُ﴾ أي: تَعُدُّوهُم مِن جُملةِ المُهتَدِينَ؟ والاستِفهامُ في الموضِعَينِ لِلإنكارِ، ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾هُ ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾: طَرِيقاً إلى الهُدى.

﴿٨٩﴾ ﴿وَدُّواْ﴾: تَمنَّوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ﴾ أنتُم وهُم ﴿سَوَآءً﴾ في الكُفرِ، ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ تُوالُونَهم وإن أظهَرُوا الإيمانَ، ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ هِجرةً

حاشية الصاوي

مُتعلِّقٌ بما تعلق به الخبر، أو متعلِّقٌ بمحذوف حال من ﴿فِئَتَيْنِ﴾؛ لأنه نعتُ نكرة تقدَّمَ عليها، أو متعلِّقٌ بـ﴿فِئَتَيْنِ﴾؛ لتأوُّله بمشتَق؛ أي: مُفترقين، وقوله: (﴿فِئَتَيْنِ﴾) خبرٌ لـ(صار) المحذوفة كما قدَّرَه المفسِّر.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾) الرَّكْس في الأصل: النَّكْس، وهو قلبُ الشيء على رأسِه، فمَعناه على هذا: ردَّهم من حالة العُلو وهو الإسلام إلى حالة السفل وهو ذلُّ الكفر بالسَّبي والقتل.

قوله: **(ردَّهم)** أي: عن القتال، ومَنعَهم منه، ولم يجرِ على أيديهم خيرٌ بسبب كَسبهم، لما في الحديث: «إن العبدَ لَيُحرَمُ الخيرَ بالذنب يُصِيبُهُ»[1]، وفي نسخة: (بددهم) أي: فرَّق شملَهم وجمعَهم.

قوله: **(من الكفر... إلخ)** بيانٌ لـ(ما كسبوا)، وقوله: **(والمعاصي)** عطفُ عامٍّ على خاص.

قوله: **(للإنكار)** أي: مع التوبيخ، والمعنى: لا تَفترقوا في قتلهم، ولا تجعلوهم من المهتدِين، ولا تعدُّوهم منهم، وهذا إشارةٌ لِليأس من هُداهم، فلم يهتدوا بعد ذلك أبداً.

قوله: (﴿كَمَا كَفَرُواْ﴾) نعتٌ لمحذوف، والتقديرُ: ودُّوا لو تكفرون كفراً مثلَ كُفرهم.

قوله: (﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾) مفرَّعٌ على قوله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾، والجمعُ باعتبار الأفراد.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾) غايةٌ في عدم اتخاذِ الأولياء منهم، والمعنى: امتَنعوا من اتخاذ الأولياء منهم إلى أن تقعَ منهم الهجرةُ؛ بمعنى: الجهاد في سبيل الله مُخلصين له الدين.

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٧٧٥)، وابن ماجه (٤٠٢٢)، وفيهما: (الرزق) بدل (الخير).

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ ....

صَحِيحةً تُحقِّقُ إيمانَهم، ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ وأقامُوا على ما هُم علَيهِ ﴿فَخُذُوهُمۡ﴾ بالأسرِ، ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا﴾ تُوالُونَه، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ تَنتَصِرُون به على عَدُوِّكُم.

٩٠ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: يَلجَؤُونَ ﴿إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: عَهدٌ بالأمانِ لَهُم ولِمَن وصَل إليهم، كما عاهَدَ النَّبيُّ ﷺ هِلالَ بن عُوَيمِرٍ الأسلَمِيَّ، ....

حاشية الصاوي

واعلَم: أن الهجرة ثلاثة أقسام: هجرةٌ لِلمؤمنين في أول الإسلام وهي قوله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾، وهجرةُ المنافقين، وهي خُروجُهم للقتال مع رسول الله صابرين مُحتسبين لا لأغراض الدنيا، وهي المرادةُ هنا، وهِجرةٌ عن جميع المعاصي، وهي التي قال فيها عليه الصلاة والسلام: «المهاجرُ مَن هجرَ ما نهى الله عنه»[١].

قوله: (﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾) أي: أعرَضوا عمَّا أمرتهم به، وقوله: (وأقاموا على ما هم عليه) دفعَ به ما يُتوهَّم من قوله: (تولوا) أنَّه كان حصلَ منهم إقبالٌ ثم أعرَضوا، فأجابَ: بأن المرادَ أقاموا وداموا على ما هم عليه.

قوله: (﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ﴾) أي: في حِلٍّ أو حَرمٍ؛ لأنهم من جملة الكفَّار، فيُفعلُ بهم ما فُعلَ بسائر الكفار.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾) هذا استثناءٌ من الأخذ والقتلِ فقط، ولا يرجعُ للمُوالاة؛ فإنها لا تجوزُ مطلقاً.

قوله: (﴿إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾) أي: وهم الأسلَميُّون، فكان رسولُ الله ﷺ وقتَ خروجه إلى مكة قد وقعَ بينه وبين هلالِ بن عُويمر الأسلميِّ عهدٌ ألا يُعينَ على النبيِّ ولا يعينه، وعلى أن مَنْ لجأَ إليه لا يتعرَّضُ له، وكذلك بَنو بكر بن زيد وخُزاعة[٢].

(١) رواه البخاري (١٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) «تفسير البغوي» (١/ ٦٧٤).

أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾

﴿أَوْ﴾ الَّذين ﴿جَآءُوكُمْ﴾ وقد ﴿حَصِرَتْ﴾: ضاقَتْ ﴿صُدُورُهُمْ﴾ عن ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ مع قَومِهم، ﴿أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ معَكُم أي: مُمسِكِين عن قِتالِكُم وقِتالِهم، فلا تَتعرَّضُوا إلَيهِم بِأخذٍ ولا قَتلٍ، وهذا وما بعدَه مَنسُوخٌ بِآيةِ السَّيفِ، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تَسلِيطَهم عليكُم ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بِأن يُقَوِّيَ قُلُوبَهم، ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾، ولَكِنَّهُ لَم يَشَأْهُ، فألقَى في قُلُوبِهم الرُّعبَ، ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الصُّلحَ أي: انْقادُوا ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: طريقاً بِالأخذِ والقَتلِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾) معطوف على ﴿يَصِلُونَ﴾ كما قدَّرَ الموصولَ المفسِّرُ، فالمستثنى فريقان: فريقٌ التجؤوا للمُعاهدين، وفريقٌ تركَ قِتالنا مع قومه وقتال قومِه معنا.

قوله: (وقد ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾) أي: وهُم بنو مدلج، جاؤوا لرسولِ الله غيرَ مُقاتِلين.

قوله: (وهذا) أي: قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ وقوله: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾، وقوله: (وما بعده) أي: وهو قوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ...﴾ إلخ.

قوله: (منسوخ بآية السيف) أي: التي نزَلت في (براءة)، وهي قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ...﴾ [التوبة: ٥] الآيات، فصارَ بعد نزول آية السيف لا يقبلُ منهم عهدٌ أبداً، إلى أن انتَشر الإسلام، فخُصِّصتْ آيةُ السيف بالجزية والعُهود.

قوله: (﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ... إلخ) هذا تسليةٌ للمؤمنين وتذكيرٌ لِنِعم الله عليهم.

قوله: (﴿لَسَلَّطَهُمْ﴾) هذا تمهيدٌ لجواب (لو)، وجوابها قوله: ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾.

قوله: (ولكنه لم يشأْهُ... إلخ) أشارَ بهذا الاستدراك إلى تَتميم القياس؛ لأنه ذكرَ المقدَّم بقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾، والتالي بقوله: ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾، فذكرَ المفسِّرُ نقيضَ المقدَّم بقوله: (لكن)، والنتيجةَ بقوله: (فألقى في قلوبهم الرعب).

قوله: (﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾) أي: بوجه من الوُجوه المتقدِّمة، وهي التجاؤُهم إلى مَنْ بيننا وبينه عهدٌ، أو تركُهم القتالَ معنا ومع قَومهم.

قوله: (أي: انقادوا) أي: لِلصلح والأمان ورَضُوا به.

سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا

(٩١) ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ بإظهارِ الإيمانِ عِندَكُم، ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ بالكفرِ إذا رَجَعُوا إلَيهم، وهم أَسَدٌ وغَطَفانُ، ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾: دُعُوا إلى الشِّركِ ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾: وَقَعُوا أشدَّ وُقُوعٍ، ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ بتَركِ قِتالِكم ﴿وَ﴾ لَم ﴿يُلْقُوٓا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَ﴾ لَم ﴿يَكُفُّوٓا أَيْدِيَهُمْ﴾ عنكُم ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ بالأسرِ، ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وَجدتُموهُم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: بُرهاناً بَيِّناً ظاهراً على قَتلِهم وسَبيِهم؛ لِغَدرِهِم.

(٩٢) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي: ما يَنبغِي أن يَصدُرَ مِنه قَتلٌ له ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ءَاخَرِينَ﴾) أي: قوماً آخرين من المنافقين، وسيأتي أنهم أسَد وغطفان، كانوا حولَ المدينة، فأسلموا ظاهراً؛ لِيأمَنوا من القتل والأسر، وكانوا إذا خَلَوا بالكفَّار يَقُولون: آمَنا بالقرد والعقرب والخنفساء، وإذا لَقوا النبيَّ وأصحابه يقولون: إنَّا على دينكم، ليَأمنوا من الفريقين[1].

قوله: (وقعوا أشدَّ وقوع) أي: رَجعوا إلى الشرك أعظمَ رجوع.

قوله: (لغدرهم) أي: خِيانتهم.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾) أي: لا يسوغُ ولا يصحُّ لمتَّصف بالإيمان أن يقتلَ أخاه في الإيمان، والمعنى: يَبعدُ كلَّ البعد؛ لأنَّ شأنَ الإيمان الرأفةُ والرحمة بالإخوان، قال تعالى مَدحاً في أصحاب رسول الله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قوله: (﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾) استثناءٌ منقطع؛ لأنَّ ما قبله محمولٌ على العَمد، والمعنى: لكن قد يقعُ خطأً، ويصحُّ أن يكون متصلاً والمعنى: لا يَنبغي أن يقعَ القتل من المؤمن لِلمؤمن في حال من الأحوال إلا في حالة الخطأ.

(١) «تفسير الخازن» (١/ ٤٠٨).

وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟

مُخطِئاً في قَتلِه مِن غيرِ قَصدٍ، ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ بِأن قصَد رَميَ غيرِه كصَيدٍ أو شَجَرةٍ، فأصابَهُ، أو ضَربه بِما لا يَقتُلُ غالِباً، ﴿فَتَحْرِيرُ﴾: عِتقُ ﴿رَقَبَةٍ﴾: نَسمةٍ ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ علَيهِ، ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾: مُؤدَّاةٌ ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ أي: وَرَثةِ المَقتُول، ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾: يَتصدَّقُوا علَيه بِها بِأن يَعفُوا عنها، وبيَّنت السُّنَّة ....

حاشية الصاوي

قوله: (مخطئاً) أشارَ بذلك إلى أنَّ ﴿خَطَـًٔا﴾ حالٌ، إلا أنه مؤوَّلٌ باسم الفاعل.

قوله: (من غير قصد) أي: لِلضرب من أصله، أو ضربَ من يجوزُ له ضربُه فصادفَ غيره.

قوله: (﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ . . . إلخ) حاصلُ ما ذكره في الخطإ ثلاثة أقسام؛ لأنَّ المقتول إما مؤمنٌ ووَرثته مسلمون، أو مؤمنٌ ووَرثته حربيُّون، أو مُعاهد، فالأوَّلُ فيه الدية والكفارة، وكذا الثالث، وأما الثاني ففيه الكفارةُ فقط.

و(مَنْ): إما اسمٌ موصول مبتدأ، و﴿قَتَلَ﴾: صلتها، وقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ﴾: خبرُهُ، وقُرنَ بالفاء لِشَبهه بالشرط، وإما اسمُ شرط، و﴿قَتَلَ﴾: فِعله، وقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ﴾: جوابُهُ، والجملةُ خبره مِن حيث كونُهُ مبتدأ.

قوله: (عليه) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ مبتدأٌ خبرُهُ محذوف، ويصحُّ أن يكون خبراً لمحذوف، والتقديرُ: فالواجبُ عليه تحريرُ. . . إلخ، أو فاعِل بفعل محذوف؛ أي: فيجبُ عليه تحرير.

قوله: (﴿وَدِيَةٌ﴾) معطوف على (تحرير)، والديةُ في الأصل: مَصدر أُطلِقت على المال المأخوذ في نظير القتل، وهو المرادُ هنا؛ ولِذا وصفَها بـ﴿مُّسَلَّمَةٌ﴾، وأصلها: وَدْي، حذفت الواو وعُوِّضَ عنها تاء التأنيث.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾) أصلُهُ: يتَصدَّقوا، قُلبت التاءُ صاداً وأُدغِمَت في الصاد، وهو حال من ﴿أَهْلِهِۦٓ﴾، والمعنى: إلا مُتصدِّقين.

قوله: (بأن يعفوا) أي: أهلُهُ، وسُمِّيَ العفوُ عنها صدقةً؛ تنبيهاً على فضله؛ لأنَّ كلَّ معروف صَدقة.

فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ....

أنَّها مِائةٌ مِن الإبِل: عِشرُونَ بِنتَ مَخاضٍ، وكذَا بَناتُ لَبُون، وبَنُو لَبُون، وحِقاقٌ، وجِذاعٌ، وأنَّها على عاقِلةِ القاتِل، وهُم عَصَبَتُه إلّا الأصلَ والفَرعَ، مُوزَّعةً علَيهِم على ثَلاث سِنِينَ؛ على الغَنِيِّ مِنهم نِصفُ دِينار، والمُتوَسِّطِ رُبْعٌ كُلَّ سَنةٍ، فإن لَم يَفُوا فمِن بَيتِ المال، فإن تَعذَّر فعَلى الجانِي، ﴿فَإِن كَانَ﴾ المَقتُولُ ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾: حَربٍ ﴿لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتِلِه كفَّارة، ولا دِيَةَ تُسَلَّم إلى أهلِه

حاشية الصاوي

قوله: (أنها مئةٌ من الإبل) هذا مخصوصٌ بأهلِ الإبل، وأما على أهلِ الذهب فألفُ دينار، وعلى أهل الوَرِق اثنا عشرَ ألفَ درهم.

قوله: (بنت مخاض) أي: وهي ما أوفَت سنةً ودخلت في الثانية.

قوله: (وكذا بنات لبون) أي: وابنُ اللَّبون ما أوفى سنتين ودخلَ في الثالثة.

قوله: (وحقاق) الحِقَّةُ: ما أوفَت ثلاثَ سنين ودخَلت في الرابعة، وقوله: (وجذاع) الجَذَعة: ما أوفت أربعَ سنين ودخَلت في الخامسة.

قوله: (وأنها على عاقلة القاتل) أي: وهو إن كان غنيًّا كواحد منهم عند مالك، وعند الشافعي: ليس عليه شيءٌ منها، وهذه ديةُ الخطأ، وأما ديةُ العمد فمُغلَّظةٌ من أربعة أنواع بإسقاط ابن اللَّبون، من كلِّ نوع خمسٌ وعشرون عند مالك، إلا إذا قتل الأبُ ابنَهُ عمداً غيرَ قاصدٍ إزهاقَ رُوحه؛ بأن لم يذبَحْهُ. فعليه ثلاثون حِقَّةً، وثلاثون جَذَعةً، وأربعون خَلِفَة، والخَلِفةُ: الناقةُ الحامل، والتغليظُ عند الشافعي يكون بتِلك الأنواع الثلاثة لا غير.

قوله: (إلا الأصل والفرع) هذا مذهبُ الشافعي، وأمَّا عند مالك.. فلا فرقَ بين الأصل والفرع وغيرهما في أنَّ كلًّا مِنهم يدفعُ كغيره.

قوله: (على الغني منهم نصف دينار) يُؤخَذُ منه: أن العاقلةَ غيرُ محدُودة بعدد، وهو مذهبُ الشافعي، وعند مالك: تُفرضُ الدية على ما زادَ على ألف من أقاربه، وقيل: على سَبع مئة.

قوله: (﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾) أي: بأن جاءَ من بلاد الكفر وأسلَمَ عندنا ثم قُتل خطأً.

قوله: (حرب) بكسر الحاء؛ أي: مُحارِب.

وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا ....

لِحِرابَتِهِم، ﴿وَإِن كَانَ﴾ المَقتُولُ ﴿مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾: عَهدٌ كأهلِ الذِّمَّةِ، ﴿فَدِيَةٞ﴾ لَه ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ وهيَ ثُلُثُ دِيَةِ المُؤمِن إن كان يَهُودِيًّا أو نَصرانيًّا، وثُلُثَا عُشرِها إن كان مَجُوسِيًّا، ﴿وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ﴾ على قاتِلِه، ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ الرَّقَبةَ بأن فَقَدَها وما يُحَصِّلُها به، ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾ علَيهِ كفَّارةً، ولَم يَذكُرِ الله تَعالى الانتِقالَ إلى الطَّعام كالظِّهارِ، وبِه أخَذ الشَّافعيُّ في أصَحِّ قولَيهِ، ﴿تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ مَصدَرٌ مَنصُوب بِفِعلِه المُقدَّر، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِخَلقِه، ﴿حَكِيمٗا﴾ فِيما دَبَّرَه لَهم.

﴿٩٣﴾ ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾ بأن يَقصِدَ قَتلَه بِما يَقتُل غالِباً عالِماً بإيمانِه،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ﴾ ... إلخ) أي: بأن كان يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا.

قوله: (وهي ثلث دية المؤمن) هذا مَذهبُ الإمام الشافعي، وأما عند مالك.. فهو على النصف من الحُرِّ المسلم؛ كأنثى الحرِّ المسلم.

قوله: (وثلثا عشرها إن كان مجوسيًّا) هذا باتِّفاق بين مالك والشافعي، وأُنثاه على النصف منه.

قوله: (الرقبة) قدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿يَجِدۡ﴾ محذوف.

قوله: (﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾) يُقال فيه من الإعراب ما قيل في ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾.

قوله: (وبه أخذ الشافعي) أي: ومالك.

قوله: (المقدَّر) أي: وتقديره: تابَ الله عليكم توبةً، ويَصحُّ أن يكون مفعولاً لأجله؛ أي: شرعَ لكم ذلك لأجلِ التوبة عليكم، وهو الأحسَنُ.

إن قلتَ: إن الخطأ ليس بذنب، فما معنى التوبة منه؟

أُجيبَ: بأن ذلك لجبرِ الخلَل الذي حصلَ منه في عدم إمعان النظر والتحفُّظ.

قوله: (﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾) مقابلُ قوله: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا﴾، وقوله:

﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾: أبعدَه مِن رَحمتِه، ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النَّار، وهذا مُؤوَّلٌ بِمَن يَستحِلُّه، أو بِأنَّ هذا جَزاؤُهُ إن جُوزِيَ، ولا بِدْعَ في خُلفِ الوَعيدِ؛ لِقَولِه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ....

حاشية الصاوي

﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ أي: عدواناً؛ لِيخرجَ المقتولُ قصاصاً أو حدًّا كالزاني المحصن والمحارب، وسبب نزولها أن رجلاً يُقال له: مِقْيَسُ بنُ صُبابة أسلمَ هو وأخوه هشامٌ على يدِ رسول الله بالمدينة، ثم إن مِقْيَساً وجدَ أخاه مقتولاً في بني النَّجار، فأخبرَ رسولَ الله بذلك، فأرسلَ معه رجلاً يُقال له: فِهْر من بني مهران إلى بني النجار، فقال لهم: إن رسولَ الله يأمرُكم أنكم إذا عرَفتم عينَ القاتل فسلِّموه لمِقْيَس، وإن لم تَعرفوه فأعطوا له الديةَ، فقالوا: سمعاً وطاعة، إنَّا لا نعرفُ عينَ القاتل، وأعطَوه مئةَ بعير، فلمَّا ذهبَ من عندهم سوَّلَ الشيطانُ لمقيس أن يقتلَ فِهْراً بدل أَخِيه، فتأخَّرَ عنه وضرَبه فقَتله، وركبَ بعيراً وساقَ باقِيَها راجعاً إلى مكة، وقال شعراً في ذلك: [الطويل]

قَتَلْتُ بِهِ فِهْراً وَأَحْمَلْتُ عَقْلَهُ ... سَراةَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبابَ فارِعِ

وَأَدْرَكْتُ ثَأْرِي واضْطَجَعْتُ تَوَسُّداً ... وَكُنْتُ إِلَى الأَصْنامِ أَوَّلَ راجِعِ

فنَزلت فيه الآية، ولمَّا كان عام الفتح استثناهُ النبيُّ ممَّن أَمَّنَهُ، فقَتله الصحابة وهو مُتعلِّق بأستار الكعبة[١]، فعلى هذا: الخلودُ في الآية على ظاهرِه.

قوله: (﴿خَٰلِدًا﴾) حالٌ من الضمير في (جزاؤه).

قوله: (﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾) معطوفٌ على مَحذوف، والتقديرُ: حكم الله عليه بذلك وغضبَ الله عليه.

قوله: (﴿وَلَعَنَهُۥ﴾) عطفٌ على (غضب الله عليه) مرادفٌ؛ لأن اللعنةَ هي الغضَب.

قوله: (وهذا مؤول... إلخ) شروعٌ في ذكر الأجوبِة عن السؤال الوارد على الآية، وحاصلُهُ: أن العبرةَ بِعُموم اللفظ لا بخصوص السبب، وظاهرُ الآية يقتضي أن جزاءَ القاتل عمداً الخلودُ في النار ولو مات مؤمناً، وليس كذلك، فأجاب المفسِّرُ عن ذلك بثلاثة أجوبة:

---

(١) خبره رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦١)، وخبر قتله عند النسائي (٧/ ١٠٥)، ومقيس بوزان مِنْبَر، وصُبابة بضم الصاد أمُّه، ورواية البيتين مُقاربة.

وعن ابنِ عبَّاس أنَّها على ظاهِرِها، وأنَّها ناسِخةٌ لِغَيرِها مِن آياتِ المَغفِرةِ، وبيَّنت آيةُ البَقَرةِ أنَّ قاتِلَ العَمد يُقتَلُ بِه، وأنَّ علَيهِ الدِّيَةَ إن عُفِيَ عنهُ، وسَبَقَ قَدرُها، وبيَّنَتِ السُّنَّةُ أنَّ بَين العَمد والخَطَأ قَتلاً يُسَمَّى شِبهَ العَمدِ، وهو أن يَقتُلَهُ بِما لا يَقتُلُ غالِباً، فلا قِصاصَ فِيهِ، بل دِيَةٌ كالعَمدِ في الصِّفَة والخَطأ في التَّأجِيل والحَملِ، ....

حاشية الصاوي

الأول: أنه محمولٌ على المستَحِلِّ لذلك.

الثاني: أن هذا جزاؤُهُ إن جُوزي؛ أي: إن عاملَهُ الله بِعَدله جازاه بذلك، وإن عامله بفضله فجائزٌ ألا يُدخله النَّار، ولكنْ في هذا الجواب شيء؛ لأنَّ فيه تسليمَ أنه إذا جُوزيَ يخلدُ في النار، وهو غيرُ سَديد؛ للقواطع الدالَّة على أنه لا يخلدُ في النار إلا من مات على الكفر، وقد أجاب البيضاويُّ بجواب آخرَ وهو أنه يُحملُ الخلودُ على طول المُكث[1].

الثالث: أشارَ له المفسِّرُ بقوله: (وعن ابن عباس... إلخ).

قوله: (وأنها ناسخة) الأَوْلى: مخصِّصة، وكلامُ ابن عباس خارجٌ مخرجَ الزجر والتشديد، وليس على حقيقتِه على مقتضى مذهب أهل السنة.

قوله: (وسبق قدرها) أي: في تفسير الآية التي قبلَها.

قوله: (أن بين العمد والخطأ... إلخ) سبقَ للمُفسر أنه أدخله في الخطإِ بقوله: (أو ضربه بما لا يقتل غالباً).

قوله: (يُسمَّى شبهَ العمد) أي: فأشبهَ العمدَ من حيثُ تغليظُ الدِّية بكونها من ثلاثة أنواع، ثلاثين حِقَّة، وثلاثين جَذَعة، وأربعين خَلِفَة، وأشبهَ الخطأَ من حيث كونه لا قصاصَ فيه، وهذا مذهبُ الشافعي، وعند أبي حنيفة: لا يقتصُّ من القاتل إلا إذا قتَله بآلة محدَّدة كسيف أو بندق، وإلا.. فيَلزمه الديةُ، وعند مالك: يقتصُّ من القاتل إذا قتل بأيِّ آلة ولو بضَرب كفٍّ أو سَوط لا بكمروحة.

قوله: (في الصفة) أي: من حيث كونُها من ثلاثة أنواع.

قوله: (في التأجيل) أي: كونها على ثلاثة سِنين، وقوله: (والحمل) أي: كون العاقلة تحملُها.

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٢/ ٩٠)، وعبارته: (أو المراد بالخلود: المكث الطويل؛ فإن الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم)، ولكن هذا القول ـ أعني الثاني ـ له ما يُؤيِّده من الآثار، انظر «السنن الكبرى» للبيهقي (٨/ ١٦).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ....

وهو والعَمدُ أولَى بِالكفَّارةِ مِن الخَطأ.

﴿٩٤﴾ ونَزَلَ لَمَّا مَرَّ نَفَرٌ مِن الصَّحابةِ بِرَجُلٍ مِن بَني سُلَيم وهو يَسُوق غَنماً، فسَلَّمَ علَيهِم فقالُوا: ما سَلَّمَ علَينا إلَّا تَقِيَّةً، فقَتَلُوه واستاقُوا غَنَمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ﴾: سافَرتُم لِلجِهادِ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ - وفي قِراءة: (فتثبَّتُوا) بالمثلَّثةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهو) أي: شبهُ العمد، وقوله: (أولى بالكفارة) أي: فتجبُ، وهذا مَذهب الشافعي، وعند مالك: ليس كالخطأ، بل تستحبُّ الكفارة فقَط.

قوله: (ونزل لما مرَّ نفرٌ... إلخ) هذه روايةُ ابن عباس في سبب نُزول الآية، ورُوِيَ عنه أيضاً: أنها نزَلت في رجل من بني مُرَّة بن عون يُقال له: مِرداس بن نهيك، وكان من أهل فَدَك، لم يُسلِمْ من قومه غيره، فلمَّا سمعوا بسريَّة رسول الله ﷺ.. هربوا وبقي ذلك الرجلُ، فلمَّا رأى الخيلَ خافَ ألا يكونوا مسلِمين، فألجأ غنمَهُ إلى عاقول من الجبل وصعدَ هو الجبل، فلما تلاحَقت الخيل سمعَهم يكبِّرون، فعرفَ أنهم أصحابُ رسول الله، فكبَّرَ ونزل وهو يقول: لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله، السلامُ عليكم، فتغشَّاهُ أسامةُ بن زيد بسيفه فقتَله واستاقَ غنَمَهُ، ثم رجعُوا إلى رسول الله فأخبروه الخبرَ، فوَجِدَ رسولُ الله من ذلك وجداً شديداً، وكان قد سبَقهم الخبر، فقال عليه الصلاة والسلام: «أفقتلتموه إرادةَ ما معه؟!»، ثم قرأ رسولُ الله على أُسامة هذه الآية، فقال أسامة: استغفِرْ لي يا رسولَ الله؛ فقال: «كيف أنت بلا إله إلا الله؟!» يقولُها ثلاثَ مرات، قال أسامة: فما زالَ رسولُ الله يُكررُها حتى وَدِدت أني لم أكُنْ أسلمت إلا يومئذٍ، ثم استغفرَ له رسول الله، وقال: «أعتِقْ رقبة»[1]، ورُويَ عن أسامة أنه قال: قُلتُ: يا رسول الله؛ إنما قالها خوفاً من السلاح، فقال: «أفلا شققتَ عن قلبه حتى تعلَمَ أقالها خوفاً أم لا؟»[2].

قوله: (﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾) أي: تمهَّلوا حتى يكشفَ لكم حقيقةُ الأمر، وما وقعَ من الصحابة اجتهادٌ، غير أنهم مُخطئون فيه؛ حيث اعتمدوا على مجرَّد الظنِّ؛ فلِذا عاتبهم اللهُ على ذلك، وهذا مرتَّبٌ على وعيد القاتل عمداً؛ أي: حيث ثبتَ الوعيدُ العظيم للقاتل عمداً.. فالواجبُ التثبُّتُ والتحفُّظ، فرتَّبَ على ذلك ما وقعَ من الصحابة.

---

(١) الخبر بطوله رواه البغوي في «تفسيره» (٢/٢٦٨).

(٢) رواه مسلم (٩٦).

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ ....

في المَوضِعَينِ ـ ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ ـ بِأَلِفٍ ودُونَها ـ أي: التَّحِيَّةَ أو الانقِيادَ بِقَولِ كَلِمةِ الشَّهادةِ التي هي أمارةٌ على الإسلامِ: ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، وإنَّما قُلتَ هذا تَقيَّةً لِنَفسِكَ ومالِكَ، فتَقْتُلُوه، ﴿تَبْتَغُونَ﴾: تَطلُبُون بذلكَ ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: مَتاعَها مِن الغَنِيمةِ، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تُغنِيكُم عن قَتلِ مِثلِه لِمالِه، ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ تُعصَم دِماؤُكم وأموالُكم بِمُجرَّدِ قَولِكم الشَّهادةَ، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بِالاشتِهارِ بِالإيمانِ والاستِقامةِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (في الموضعين) أي: هنا، وقوله فيما يأتي: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾، وبقيَ موضعٌ ثالث في (الحجرات)، وهو قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات: ٦]، وفيه القراءتان[١]، ويحتملُ أن قوله: (في الموضعين) أي: ما هنا بشِقَّيه و(الحجرات)، والأولُ: أقرَب.

قوله: (بألف ودونها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، ورُوِيَ عن عاصم كسرُ السين وسكون اللام، وهي بمعنى المفتوحة[٢].

قوله: (أي: التحيَّة أو الانقياد) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (التي هي أمارة على إسلامه) تقدَّمَ أنه وقعَ منه الأمرانِ.

قوله: (﴿تَبْتَغُونَ﴾) النهيُ مُنصَبٌّ على القيد والمقيَّد معاً، وليس كقولهم: لا تَطلب العلم تبتغي به الدنيا[٣].

قوله: (﴿فَعِندَ ٱللَّهِ﴾) تعليلٌ لِلنهي المذكور.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾) أي: كنتم مِثلَه في مبدإ الإسلام.

قوله: (﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾) أي: قَبِلَ منكم النطقَ بالشهادتين، ولم يأمُرْ بالبحث عن سَرائركم.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: (فتثبَّتوا) بالمثلثة، والباقون بالتاء من البَيان. انظر «الدر المصون» (٤/ ٧٣).

(٢) قرأ نافع وابن عامر وحمزة من غير ألف، والباقون بها، وعاصم في رواية عنه: (السِّلْم). انظر «الدر المصون» (٤/ ٧٤).

(٣) بل راجع إليهما معاً؛ أي: لا تقولوا له ذلك ولا يَبتغوا العرض الفاني. «الفتوحات» (١/ ٤١٥).

فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ....

﴿فَتَبَيَّنُوٓاْۚ﴾ أن تَقتُلُوا مُؤمِناً، وافعَلُوا بِالدَّاخلِ في الإسلامِ كما فُعِلَ بِكُم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ فيُجازيكم بِه.

﴿٩٥﴾ ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ عنِ الجِهادِ ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ - بِالرَّفعِ صِفةً، والنَّصبِ استِثناءً - مِن زَمانةٍ أو عَمًى ونَحوِه، ﴿وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ لِضَرَرٍ ﴿دَرَجَةٗۚ﴾: فَضِيلةً؛ لِاستِوائِهما في النِّيَّةِ وزِيادةِ المُجاهِدِين بِالمُباشَرةِ، ﴿وَكُلّٗا﴾ مِن الفَرِيقَينِ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾: الجَنَّةَ، ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَتَبَيَّنُوٓاْۚ﴾) أي: في المستقبل في مِثل هذه الواقعة، فهو تأكيدٌ لفظي، وقيل: ليس تأكيداً؛ لاختلاف مُتعلَّقيهما؛ لأنَّ الأول فيمَن تَقتلونه، والثاني في شأن نعمة الله عليكم بالإسلام لِتَشكروه.

قوله: (﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾) متعلِّقٌ بمحذوف حال من ﴿ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾.

قوله: (بالرفع صفة) أي: لقوله: ﴿ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾؛ إمَّا لأن (غير) إذا وقعت بين ضدَّين قد تَتعرَّفُ، أو بأن (أل) في ﴿ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾ للجنس فأشبه النكرة، والأظهرُ: أنه مرفوعٌ على البدليَّة من ﴿ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾؛ لأنه لا يشترطُ استواءُ البدل والمبدَل منه تعريفاً أو تنكيراً.

قوله: (والنصب استثناءً) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (من زَمانة) بيانٌ للضرر، وهي المرضُ، وقوله: (أو نحوه) أي: كالعرَج.

قوله: (فضيلة) أي: في الآخِرة، والمعنى: أن مَن تقاعدَ عن القتال لِمَرض ونحوه فهو ناقصٌ عن المباشرين للجهاد دَرجة؛ لأنهم استوَوا معهم في الجهاد بالنية، وإنما زادَ المجاهدون بالمباشرة، وكلٌّ من القِسمَين وعدَهُ الله بالجنة.

قوله: (الجنة) أي: لحسن عَقيدتهم وخُلوص نِيَّتهم[2].

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعاصم بالرفع، والباقون بالنصب. انظر «الدر المصون» (٤/ ٧٦).

(٢) تنبيه من المصنف أنه لا عبرة بخُلوص النية مع فساد العقيدة.

ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ....

﴿ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ لِغيرِ ضَررٍ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ـ ويُبدَلُ مِنه ـ:

﴿٩٦﴾ ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾: مَنازِلَ بَعضُها فوقَ بعضٍ مِن الكَرامةِ، ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ ـ مَنصُوبانِ بِفِعلِهِما المُقدَّرِ ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائهِ، ﴿رَّحِيمًا﴾ بِأهلِ طاعتِه.

﴿٩٧﴾ ونَزَلَ في جَماعةٍ أسلَمُوا ولَم يُهاجِرُوا، فقُتِلُوا يومَ بَدرٍ مع الكُفَّار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بِالمُقامِ مع الكُفارِ وتَركِ الهِجرةِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿دَرَجَٰتٍ﴾) قيل: سبعة، وقيل: سبعون، وقيل: سبعُ مئة، كلُّ درجة كما بين السماء والأرض.

قوله: (بفعلهما المقدَّر) أي: غفرَ لهم مغفرةً، ورحمَهم رحمةً.

قوله: (فقتلوا يومَ بدر) أي: وهل ماتوا عصاةً أو كفاراً؟ خلافٌ؛ لأن الهجرةَ كانت ركناً أو شرطاً في صحة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢]، وهذا كان قبل الفتح، ثم نُسِخَ بعده[١]، والقاتلُ لهؤلاء الملائكة؛ لِعلمهم بأنَّ الله لم يقبل منهم الإسلام لِفَقد شرطه وهو الهجرة مع قدرتهم عليها، وليس التخلُّف من أجل صيانة المال والعيال عذراً، والمتبادر من ذلك أنهم ماتوا كفاراً.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ﴾) يصح أن يكون ماضياً ولم يُؤتى فيه بعلامة التأنيث[٢]؛ لأنَّ التأنيث مجازيٌّ، ويصح أن يكون مضارعاً حُذفت منه إحدى التاءين، والأصل: تتوفاهم، قال ابن مالك: [الرجز]

وَمـا بِـتـاءَيْـنِ ابْـتُـدِي قَـدْ يُـقْـتَـصَـرْ فِـيـهِ عَـلَـى تَـا كَـ(تَـبَـيَّـنُ الـعِـبَـرْ)[٣]

قوله: (﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾) يعني: ملكَ الموت، وهو عزرائيلُ، وإنما جمعَ تعظيماً، وقيل: المرادُ: أعوانُه، وهم ستةٌ: ثلاثةٌ منهم يَقبضون أرواحَ المؤمنين، وثلاثةٌ منهم يقبضون أرواحَ الكفَّار[٤].

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (٩/ ١٠٢)، وخبر النَّسخ عند الخازن في «تفسيره» (١/ ٤١٦).

(٢) كذا في النسخ بإثبات الألف إشباعاً على حدِّ: ولا ترضَّاها ولا تملَّق.

(٣) «الخلاصة»: (باب الإدغام).

(٤) «تفسير الخازن» (١/ ٤١٦).

قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ....

﴿قَالُوا﴾ لَهُم مُوبِّخِينَ: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: في أيِّ شَيءٍ كُنتُم في أمرِ دِينِكُم؟ ﴿قَالُوا﴾ مُعتذِرينَ: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾: عاجِزين عن إقامةِ الدِّينِ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرضِ مكَّةَ، ﴿قَالُوا﴾ لَهُم تَوبيخاً: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ مِن أرضِ الكُفرِ إلى بَلَدٍ آخَرَ كما فَعَلَ غيرُكم؟ قال الله تَعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي.

﴿٩٨﴾ ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الَّذِينَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالُوا﴾ لهم موبخين) أي: عند قبضِ أرواحهم.

قوله: (﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾) (ما): اسمُ استفهام، وحذفت ألفُها لجرِّها بالحرف، قال ابن مالك:

[الرجز]

وَ(مَا) فِي الاسْتِفْهَامِ إنْ جُرَّتْ حُذِفْ ... أَلِفُهَا وَأَوْلِهَا الهَا إنْ تَقِفْ[1]

قوله: (أي: في أيِّ شيء كنتم) أي: أكنتُم مؤمنين أم كفَّاراً؟

قوله: (﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾) هذا اعتذارٌ غيرُ صحيح؛ فلِذا ردَّت الملائكةُ عليهم هذا الاعتذارَ.

قوله: (﴿فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾) هذا هو خبرُ ﴿إِنَّ﴾، وقُرِنَ بالفاء؛ لأنه في الأصل خبرٌ عن الموصول وهو يُشبهُ الشرط.

قوله: (هي) هذا هو المخصوص بالذمِّ.

قوله: (﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾) هذا الاستثناءُ مُنقطعٌ على التحقيق.

قوله: [٢٢٤] (﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾) هو وما بعده بيانٌ لِلمُستضعفين، وذلك كعباس بن ربيعة وسلمة بن هشام وغيرهما[2]، وقوله: (﴿وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾) قال ابن عباس: كنتُ أنا وأمي من المستضعَفين من النساء والولدان[3].

---

(١) «الخلاصة»: (باب الوقف).

(٢) كذا في النسخ (كعباس بن ربيعة)، والذي في «الصحيحَين»: (عياش بن أبي ربيعة)؛ فقد كان من دعائه ﷺ لهم في صلاته: «اللهمَّ أنجِ الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين».

(٣) كما رواه البخاري (١٣٥٧).

لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ ....

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: لا قُوَّةَ لَهُم على الهِجرةِ، ولا نَفَقةَ، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾: طَرِيقاً إلى أرضِ الهِجرةِ.

﴿٩٩﴾ ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

﴿١٠٠﴾ ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا﴾: مُهاجَراً ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ في الرِّزقِ، ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ في الطَّرِيقِ كما وقَعَ لِجُنْدَع بنِ ضَمْرَةَ اللَّيثِيِّ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾) هذه الجملةُ إما مُستأنفةٌ مبيِّنةٌ للاستضعاف، جواب سؤال مقدَّر تقديرُهُ: ما وجهُ استِضعافهم؟ أو صفةٌ لِلمُستضعَفين.

قوله: (﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾) «عسى» في كلام الله بمنزلة التَّحقيق؛ لعلمِهِ بعواقب الأمور، وقُدرتِهِ على كلِّ شيء، وأما في كلام غيره للرجاء؛ لجهلِهِ بعواقب الأُمور وعجزِهِ.

قوله: (﴿وَمَن يُهَاجِرْ﴾) هذا ترغيبٌ في الهِجرة.

قوله: (مهاجَراً) بالفتح أي: أماكن يُهاجرُ إليها، وعبَّرَ عنها بالمراغَم؛ إشارةً إلى أن مَنْ فعلَ ذلك أرغمَ اللهُ به أنفَ عَدُوِّه؛ أي: يقهرُهُ ويذلُّهُ، والرَّغامُ في الأصل: التراب، فأُطلقَ وأُريدَ لازمُهُ، وهو الذلُّ والهوانُ؛ لأنَّ مَن التصقَ أنفه بالتراب فقد ذلَّ وصَغُرَ.

قوله: (كما وقع لجُنْدَع بن ضمرة الليثي) وذلك أنه لما نزلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الآيات.. بعثَ بها ﷺ إلى مكة، فتُلِيت على المسلمين الذين كانوا فيها إذ ذاك، فسمعَها رجلٌ من بني ليث شيخٌ مريضٌ كبير يُقال له: جُنْدَعُ بنُ ضمرة، فقال: والله؛ ما أنا ممَّن استثنى الله؛ فإني لأجدُ حِيلةً، ولي من المال ما يُبلِّغني إلى المدينة وأبعدَ منها، والله لا أبيتُ بمكة، أخرِجوني، فخرجوا به على سرير حتى أتَوا به التنعيم، فأدركه الموتُ، فصفَّقَ بيَمينه على شماله ثم قال: اللهمَّ؛ هذه لك وهذه لرسُولك، أبايعُكَ على ما بايعَكَ رسولُكَ، ثم ماتَ، فبلغَ خبرُهُ أصحابَ رسول الله،

فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ....

﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾: ثبَتَ ﴿أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿١٠١﴾ ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾: سافرتُم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ..

حاشية الصاوي

فقالُوا: لو وافى المدينة لكان أتمَّ وأوفى خيراً، وضحكَ منه المشركون وقالوا: ما أدرك ما طلبَ، فنزلت الآية[1].

قوله: (﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾) أي: تفضُّلاً منه وكرماً، ويَدخلُ في ذلك مَنْ قصدَ أيَّ طاعةٍ ثم عجزَ عن إتمامها، فيُكتبُ له ثوابُها كاملاً، وقوله: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: عِنده وفي عِلمه.

قوله: (﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) ذكرَ هذه الآيةَ عقبَ الهجرة للترغيب فيها، فكأنه قال: لا بأسَ في الهجرة ولا مَشقَّةَ فيها؛ لِكون الصلاة تقصرُ فيها، فهذا من جملة السَّعة التي يَرَونها في السفر.

قوله: (سافرتم) أي: سفراً طويلاً، وسيأتي أن أقلَّهُ أربعةُ بُرُدٍ عند الشافعي، والبريدُ: أربعة فراسخ، والفرسخُ: ثلاثةُ أميال، والميل: ستةُ آلاف ذراع، والذراع: ستةٌ وثلاثون إصبعاً، والإصبعُ: ستُّ شَعِيرات، والشَّعِيرة: ستُّ شَعْرات من شعر البِرْذَون، وكذا عند مالك، وعند أبي حنيفة: ثلاثةُ أيام من أقصرِ الأيام مع الاستِراحات، فلا يصحُّ القصْرُ في أقلَّ من أربعة بُرُدٍ عند مالك والشافعي، ولا في أقلَّ من ثلاثة أيام عند أبي حنيفة، إلا في الحجِّ؛ فإنهم يَقصرُون في أقلَّ من ذلك للسُّنَّة.

قوله: (في ﴿أَن تَقْصُرُوا۟﴾) قدَّرَ المفسِّرُ (في)؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿أَن تَقْصُرُوا۟﴾ (أنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مجرور بالحرف، والجار والمجرور متعلِّقٌ بـ﴿جُنَاحٌ﴾ أي: ليس عليكم جُناحٌ في القصر.

قوله: (﴿مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾) يصحُّ أن تكونَ تبعيضيَّة، و(أل) في (الصلاة) للجنس؛ أي: وهو الرباعيَّات، ويصحُّ أن تكونَ زائدةً على مذهب الأخفش، و(أل) للجنس، والمرادُ: جنسٌ مَخصوص، وهو الرباعيَّةُ، وقد بُيِّنَ بالسُّنة.

---

(١) انظر روايات الخبر في «الإصابة» (١/٦١٨)، وقيل: اسمه جندب، وقيل: ضمرة بن جندب، وجُنْدَع بضم الجيم وفتح الدال كما ضبَطه الحافظ الزبيدي في «التاج» (ج ن د ع).

إِن خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ

بِأنْ تَرُدُّوها مِن أربَعٍ إلى اثنَتَينِ، ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ أي: يَنالَكُم بِمَكرُوهٍ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، بَيانٌ لِلواقِعِ إذ ذاكَ، فلا مَفهُومَ لَه، وبَيَّنَتِ السُّنَّة أنَّ المُرادَ بِالسَّفَرِ الطَّويلُ، وهو أربَعةُ بُرُدٍ، وهي مَرْحَلَتانِ، ويُؤخَذُ مِن قَولِه: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أنَّهُ رُخصةٌ لا واجِبٌ، وعلَيهِ الشَّافِعِيُّ، ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: بَيِّنَ العَداوةِ.

﴿١٠٢﴾ ﴿وَإِذَا كُنتَ﴾ يا مُحمَّدُ حاضِراً ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتُم تَخافُونَ العَدُوَّ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بأن تردوها من أربع إلى اثنتين) هذا أحدُ أقوال ثلاثة؛ لأنه اختُلف هل فُرِضت الصلاةُ كاملةً ثم نُقِصت في السفر وبَقيت في الحضر على حالها، أو فُرِضت ناقصةً فبَقيت في السفر وزيدت في الحضر، وقيل: فُرِضَ كلٌّ مستقلًّا.

قوله: (بيان للواقع) أي: قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ...﴾ إلخ؛ أي: لأن غالبَ أسفار نَبِينا والصحابة لم تَخلُ من خوف العدو؛ لِكثرة المشركين حينئذٍ، وقوله: (فلا مفهوم له)؛ أي: لأنه يكون في سَفر التجارة وغيرها من كلِّ سفر مأذون فيه، واجباً كان أو مندوباً أو مباحاً.

قوله: (وهي مرحلتان) أي: سيرُ يومين مُعتدلَين كلَّ يوم اثنا عشر ساعة بسير الجمال المثقَلة بالأحمال.

قوله: (لأنه رخصة) أي: جائزٌ ما لم يبلُغْ سفرُهُ ثلاثَ مراحل، وإلا.. كان أفضلَ؛ لِلخروج من خلاف أبي حنيفة، فإنه قال بِوُجوبه، وعند مالك: سنَّةٌ مؤكدة.

قوله: (﴿عَدُوًّا مُّبِينًا﴾) العدوُّ يقعُ بلفظ واحد على المذكر والمؤنث والمجموع والمثنى.

قوله: (﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾) شروعٌ في ذكر صَلاة القسمة في الخوف، واعلَم: أن صلاةَ الخوف على أقسام:

فتارةً يكون العدوُّ في غير تِجاه القبلة، وفي هذا القسم تكون صلاة القسمة وهي على كيفيتَين:

الأولى: يقسمُ الجيش طائفتين، فطائفةٌ تقفُ تجاهَ العدو، وطائفةٌ تصلي مع الإمام الصلاة بتَمامها، فبعد السلام تَنصرفُ للعدو، وتأتي الطائفة الثانيةُ، فيُعيدُ الإمامُ بهم الصلاة ثانياً، فصلاة الطائفة الأولى فرضٌ خلفَ فرض، والثانيةُ فرضٌ خلفَ نفل، وهذه الكيفيةُ انفردَ بها الإمام الشافعي.

فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ....

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهذا جَريٌ على عادةِ القُرآنِ في الخِطابِ، فلا مفهومَ لَه، ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ وتَتَأخَّرْ طائِفةٌ، ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ﴾ أي: الطَّائِفةُ التي قامَتْ مَعَك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معَهُم، ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾ أي: صَلَّوا ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾ أي: الطَّائِفةُ الأُخرَى ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يَحرُسُون إلى أن تَقضُوا الصَّلاةَ، وتَذهَبُ هذِه الطَّائِفةُ تَحرُسُ، ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معَهُم إلى أنْ تَقضُوا الصَّلاةَ، وقد فَعَلَ النَّبيُّ ﷺ ....

حاشية الصاوي

الثانية: أن يُصليَ بكلِّ طائفة ركعةً في الثنائية، وركعتين في الرباعية، وبالطائفة الأُولى ركعتين في الثلاثية، وبالثانية ركعة، وبها قال مالك والشافعي أيضاً، لكن مالك يقولُ بها وإن كان العدوُّ تجاهَ القبلة أيضاً.

وتارةً يكون العدوُّ تجاهَ القبلة، وهي على قِسمين أيضاً: إما أن يتقدَّمَ الإمامُ ويقف الجيش خلفَهُ صفوفاً، فعند ركوع الإمام تركعُ طائفةٌ مع الإمام وتسجدُ معه، فبعد وُقوفهم تركعُ الطائفةُ الأخرى وتَسجدُ، وبهذه الكيفية أخذَ الإمام الشافعيُّ، وإما أن يتقدَّمَ الإمامُ ويصلُّون جميعاً معه ويركعون ويَسجدون، وبها أخذَ مالكٌ.

وتارةً يَلتحمُ القتالُ، فيصلُّون كيف شاؤوا، وحَلَّ المضرورة مشيٌّ وركض وإمساكُ مُلطَّخ، وهذه الكيفيةُ عند مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة: إن ضاقَ الوقتُ.. قدَّموا القتال وأخَّروا الصلاة ثم يَقضُونها، وتفاصيلُ هذه الأقسام مُبيَّنةٌ عند أرباب المذاهب.

قوله: (وتتأخَّر طائفة) أي: بإزاء العدوِّ.

قوله: (أي: صلوا) أي: شرَعوا في الصلاة.

قوله: (﴿طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾) أي: وهي الواقفةُ تجاهَ العدو.

قوله: (﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾) أي: صلاة ثانيةً، أو يُتمِّموا معك الصلاةَ الأُولى.

قوله: (﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾) إنما زادَ هنا الأمرَ بالحذر؛ لكونها مَظِنَّةَ تنبُّهِ الكفرة على تلك الطائفة، وأما في الطائفة الأُولى فلم يتنبَّهوا لهم.

وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ ....

كذَلك بِبَطنِ نَخلٍ، رَواهُ الشَّيخانِ، ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ﴾ إذا قُمتُم إلى الصَّلاةِ

حاشية الصاوي

قوله: (ببطن نخل) سببُهُ: أن رسولَ الله ﷺ صلَّى مع أصحابه جميعاً الظهرَ، فتنبَّهَ المشركون، وقال بَعضهم لبعض: إنا سنظفرُ بهم في أوقات الصلوات، وتحزَّبَ المشركون على ذلك، فنزلَ جبريلُ على رسول الله بِالآية وعلَّمَهُ صلاةَ القسمة، ففعلَها في صلاة العصر، وقد مشى المفسِّرُ على أن هذه الآيةَ في صلاة بَطن نخل، وهو موضعٌ من نجد من أرض غَطفان، بينه وبين المدينة يَومان، وقال غيره: إنها في صلاة أرض عسفان، وقال آخرُون: إنها في ذات الرِّقاع[1].

قوله: (﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ... إلخ) سببُ نزولها كما قال ابن عباس: أن رسولَ الله ﷺ غزا بني محارب وبني أنمار، فنزلُوا ولا يرَون من العدو أحداً، فوضعَ الناسُ السلاحَ، فخرجَ رسولُ الله ﷺ لحاجته حتى قَطعَ الوادي والسماءُ ترشُّ بالمطر، فسال الوادي، فحالَ السيلُ بين رسول الله وبين أصحابه، فجلسَ تحت شجرة، فبَصُرَ به غَوْرث بن الحارث المحاربي فقال: قتَلني اللهُ إن لم أقتُله، ثم انحدرَ من الجبل ومعه السيفُ ولم يشعُرْ به رسولُ الله ﷺ إلا وهو قائمٌ على رأسِه وقد سلَّ سيفه من غِمده وقال: يا محمدُ؛ مَنْ يمنعُك مِنِّي الآن؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله»، ثم قال: **«اللهمَّ؛ اكفني غَوْرَث بن الحارث بما شئتَ»**، فأهوى غَوْرث بالسيف ليضربَ رسولَ الله به، فأكبَّ بوجهه من زلخةٍ زُلِخَها، فندرَ السيفُ من يَده، فقامَ رسولُ الله وأخذَ السيف ثم قال: **«يا غَوْرثُ؛ من يمنعُكَ مني الآن؟»**، فقال: لا أحدَ، فقال: **«أتَشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً عبدُهُ ورسوله؟»**، فقال: لا، ولكن أشهدُ ألا أقاتلَك ولا أعينَ عليك عدوًّا، فأعطاه رسولُ الله سيفَه، فقال غَوْرث: أنتَ خيرٌ مني، فقال رسول الله: **«إنا أحقُّ بذلك منك»**، فرجع غَوْرث إلى أصحابه، فقالوا له: وَيلَك يا غورث؛ ما منَعك منه؟! فقال: واللهِ؛ لقد أهوَيت إليه بالسيف لأضربه به، فوالله ما أدري مَنْ زلخَني بين كتفي، فخَررتُ لوجهي، وذكرَ لهم حالَهُ مع رسول الله، قال: وسكنَ الوادي، فقطعَ رسولُ الله الوادي إلى أصحابه وأخبرَهم الخبر، وقرأَ هذه الآية، والزَّلخةُ: الدَّفْعة[2].

قوله: (﴿لَوۡ تَغۡفُلُونَ﴾) أي: غفلَتَكُمْ.

---

(١) انظر روايات البخاري (٤١٢٥-٤١٢٧)، ومسلم (٨٤٣).

(٢) هذه رواية البغوي في «تفسيره» (١/ ٦٩٥)، والخبر عند البخاري (٢٩١٠، ٤١٣٦) وفي الثانية صرَّح باسم غورث، وقيل: هو دعثور بن الحارث، وانظر «الإصابة» (٥/ ٢٥٢).

عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ....

﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بِأن يَحمِلُوا عليكُم فيأخُذُوكُم، وهذا عِلَّةُ الأمرِ بِأخذِ السِّلاحِ، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تَحمِلُوها، وهذا يُفِيدُ إيجابَ حَملِها عِند عَدَمِ العُذرِ، وهو أحَدُ قَولَينِ لِلشَّافعيِّ، والثَّاني أنَّهُ سُنَّةٌ، ورُجِّحَ، ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ مِن العَدُوِّ، أي: احتَرِزُوا مِنه ما استَطَعتُم، ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: ذا إهانةٍ.

﴿١٠٣﴾ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾: فَرَغتُم مِنها ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بِالتَّهلِيلِ والتَّسبِيحِ، ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: مُضطَجِعِين، أي: في كُلِّ حالٍ، ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾: أَمِنتُم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أدُّوها بِحُقُوقِها، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾: مَكتُوباً أي: مَفرُوضاً، ﴿مَّوْقُوتًا﴾ أي: مُقَدَّراً وَقتُها، فلا تُؤَخَّرُ عنهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَيَمِيلُونَ﴾) أي: يَشتدُّون.

قوله: (﴿مِّن مَّطَرٍ﴾) أي: لأنه يَفسدُ بالماء.

قوله: (﴿أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾) أي: لا طاقةَ لكم على حَمله.

قوله: (﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾) أي: صلاةَ الخوف؛ أي: تمَّمتموها على الوجه المبين.

قوله: (﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾) الأمرُ للندب؛ لأنه في الفضائل، وقوله: **(بالتهليل والتسبيح)** أي: والتحميد والتكبير.

قوله: **(في كل حال)** أي: فالمرادُ من قوله: ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ عُمومُ الأحوال.

قوله: (﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾) أي: التي دخلَ وقتُها حينئذٍ، ومعنى إقامتها: أداؤُها بالشروط والأركان.

قوله: **(مقدَّراً وقتها)** أي: مَفروضاً وقتاً بعد وقت.

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ...﴾

(١٠٤) ونزَلَ لَمَّا بَعثَ ﷺ طائفةً في طَلَب أبي سُفيانَ وأصحابِه لَمَّا رَجَعُوا مِن أُحُدٍ، فشَكَوا الجِراحاتِ: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: تَضعُفُوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ﴾: طَلَبِ ﴿الْقَوْمِ﴾: الكُفَّارِ لِتُقاتِلُوهُم، ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾: تَجِدُون أَلَمَ الجِراح ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي: مِثلَكُم ولا يَجبُنُون عن قِتالِكُم، ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتُم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ مِن النَّصرِ والثَّواب عليه

حاشية الصاوي

قوله: (**لمَّا بعث**) المناسبُ أن يقولَ: لما خرجَ ﷺ وأمرَ من حضرَ بالخروج لِطلب أبي سفيان وأصحابه، وقوله: (**طائفة**) أي: وهي جميعُ مَنْ حضرَ أُحُداً من المؤمنين الخالِصين، وكانوا ست مئة وثلاثين[١].

قوله: (**لمَّا رجعوا من أُحُد**) أي: فرَغوا من وقعتها، والضميرُ عائدٌ على الصحابة، فحينئذٍ همَّ أبو سفيان وتَشاورَ مع أصحابه في العَوْدِ إلى المدينة؛ لِيَستأصلوا المسلمين، فبلغَ ذلك رسولَ الله، فنادى في اليوم الثاني من وَقعة أُحُد: «**لِيَخرُجْ من كان معنا بالأمس ولا يَخرجْ معنا غيرُهم**»، فخرجوا حتى بلغُوا إلى حمراء الأسد، وتقدَّم ذلك في (آل عمران)[٢].

قوله: (﴿وَلَا تَهِنُوا﴾) الجمهورُ على كسر الهاء، وقُرِئَ شذوذاً بفتحها؛ من: وَهِنَ بالكسر أو الفتح[٣].

قوله: (﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾) أي: قِتالهم.

قوله: (﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾) تعليلٌ للنهي وتشجيعٌ لهم، والمعنى: ليس الألمُ مختصًّا بكم، بل هم كذلك.

قوله: (**ولا يجبنوا**) المناسبُ: يَجبنون بالنون، إلا أن يُقال: حذفت تخفيفاً[٤].

قوله: (**والثواب عليه**) أي: على الجهاد، فإنكم تُقاتلون في سبيل الله، وهم يقاتلون في سبيل الطاغوت، فأنتُم أحقُّ بالشجاعة والقُدوم عليهم.

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٥١٤)، وانظر «زاد المسير» (١/ ٤٦٤).

(٢) انظر (١/ ٦١٧).

(٣) وبها قرأ الحسن. انظر «الدر المصون» (٤/ ٨٦).

(٤) كذا نبَّهَ عليه العلامة الأجهوري في «الكوكبين» كما نقَله عنه في «الفتوحات» (١/ ٤٢٢).

﴿مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ ....

﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هُم، فأنتُم تَزيدُون علَيهِم بِذلك، فيَنبغِي أن تَكُونُوا أرغَبَ مِنهُم فِيه، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِكُلِّ شَيءٍ، ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعِه.

﴿١٠٥﴾ وسَرَقَ طُعمَة بن أُبَيرِق دِرعاً وخَبَّأَها عِند يَهُودِيٍّ، فوُجِدَت عِندَه، فرَماهُ طُعمَةُ بِها وحَلَفَ أنَّهُ ما سَرَقَها، فسأَلَ قَومُه النَّبِيَّ ﷺ أن يُجادِلَ عنهُ ويُبرِّئَه، فنَزَلَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ - مُتعلِّق بِـ(أنزَل) - ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ﴾: أعلَمَكَ ﴿ٱللَّهُ﴾ فِيه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وسرق طِعْمة) بتثليث الطاء والكسرُ أفصح، وأُبَيْرِق: بضم الهمزة وفتح الباء بعدها راءٌ مكسورة تصغيرُ أَبْرَق، وطعمة من الأنصار من بني ظفر، سرقَ الدرعَ من دار جاره قَتادة، وكان في جِراب فيه دقيق، فصارَ الدقيقُ يتناثرُ منه، فاتهم طعمة بها، فحلفَ كاذباً أنه ما أخذَها وما له بها عِلمٌ، وكان ودعَها عند يهودي يُقال له: زيد بن السمين، فقال أصحابُ الدرع: نَتبع أثرَ الدقيق، فتبعوه حتى وصلَ إلى دار اليهودي، فأخبرَ أنه ودعَهُ عنده طعمةُ، وشهدَ به قَومه، فقال قومُ طعمة: نذهبُ إلى رسول الله نشهدُ أن اليهوديَّ هو السارق، فذهبوا وشَهدوا زوراً، ولم يظهَرْ له ﷺ قادحٌ فيهم، فهمَّ بقطع اليهودي، فنزلت الآية، فأرادَ أن يقطعَ طعمة، فهربَ إلى مكة وارتدَّ، فنقبَ حائطاً ليَسرقَ متاعَ أهله، فوقعَ عليه فمات مرتدًّا[1].

قوله: (وخبَّأَها) أي: الدرع.

قوله: (عند يهودي) أي: واسمه زيد بن السمين.

قوله: (متعلّق بـ«أنزل») أي: على أنه حالٌ منه.

قوله: (﴿لِتَحْكُمَ﴾) متعلّقٌ بـ﴿أَنزَلْنَآ﴾.

قوله: (﴿بِمَآ أَرَىٰكَ﴾) رأى عرفانيَّة تتعدَّى بالهمزة لمفعولين، الكاف: مفعول أول، والمفعول الثاني محذوف تقديرُهُ: إيَّاه، إذا علمت ذلك.. فالمناسبُ للمفسِّر أن يقولَ: (عرَّفَك).

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٦٩٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٨٢)، وأصله عند الترمذي (٣٠٣٦).

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٠٧ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ ....

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ كطُعمَةَ ﴿خَصِيمًا﴾: مُخاصِماً عنهُم.

١٠٦ ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ مِمَّا هَمَمتَ به، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

١٠٧ ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: يَخُونُونها بالمَعاصِي لِأنَّ وَبالَ خِيانَتِهِم علَيهِم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾: كَثِيرَ الخِيانةِ، ﴿أَثِيمًا﴾ أي: يُعاقِبُهُ.

١٠٨ ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: طُعمَةُ وقَومُه حَياءً ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بِعِلمِه، ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يُضمِرُون ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ مِن عَزمِهِم على الحَلِفِ على نَفيِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِّلْخَآئِنِينَ﴾) اللام: للتعليل، ومفعول ﴿خَصِيمًا﴾ محذوف تقديرُهُ: شخصاً بريئاً، فاللامُ على بابها، لا بمعنى (عن)، فقول المفسِّر: (مخاصماً عنهم) إيضاحٌ للمعنى.

قوله: (ممَّا هممت به) أي: من القضاء على اليهودي، فإنه ذنبٌ صورةً؛ على حدِّ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، فهو من باب: حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين.

قوله: (﴿عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ﴾) أي: كطعمةَ وقومه المعينين له، فإنهم شركاءُ في الإثم.

قوله: (﴿مَن كَانَ خَوَّانًا﴾) صيغةُ مبالغة بمعنى: كثير الخِيانة؛ لأنه وقعت منهم خيانات كثيرة، أوّلاً السرقةُ، ثم اتهامُ اليهودي، ثم الحلفُ كاذباً، ثم الشهادةُ زوراً.

إن قلت: مقتضى الآية أن اللهَ يحبُّ من كان عنده أصلُ الخيانة مع أنه ليس كذلك!

أجيبَ: بأن ذلك بِالنظر لمن نزلت فيهم وهو طعمة وقومُه، فالواقعُ أن عندهم خياناتٍ كثيرة.

قوله: (أي: يعاقبه) تفسيرٌ لعدم محبةِ الله له.

قوله: (﴿يَسْتَخْفُونَ﴾) أي: يطلبون الخفاءَ والستر، وهذه الجملةُ مستأنفةٌ بيانٌ لِطلبهم الستر من الناس.

قوله: (﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾) الجملةُ حالية.

قوله: (يُضمرون) هذا هو المرادُ من التبييت هنا، وإلا.. فهو في الأصل: تدبيرُ الأمر ليلاً.

وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ....

السَّرِقةِ ورَمي اليَهُودِيِّ بها، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ عِلماً.

﴿١٠٩﴾ ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ - خِطابٌ لِقَوم طُعمَةَ - ﴿جَٰدَلْتُمْ﴾: خاصَمتُم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: عن طُعمَةَ وذَويهِ، - وقُرِئَ: ﴿عَنْهُ﴾ - ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إذا عَذَّبهُم، ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ يتولَّى أمرَهم ويَذُبُّ عنهُم؟ أي: لا أحدَ يَفعَلُ ذلكَ.

﴿١١٠﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: ذَنباً يَسُوء بِه غَيرَه كرَمي طُعمَةَ اليَهُوديَّ، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾: يَعمَلْ ذَنباً قاصِراً علَيهِ، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ مِنهُ أي: يَتُبْ ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا﴾ لَه، ﴿رَّحِيمًا﴾ بِه.

حاشية الصاوي

قوله: (**علماً**) تمييزٌ محوَّلٌ عن الفاعل.

قوله: (﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾) (ها): للتنبيه؛ أي: تنبَّهوا يا مخاطبون في المجادلة عن السارق.

قوله: (**وقرئ**) أي: شذوذاً[1].

قوله: (**أي: لا أحد**) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾) حثٌّ وتحريضٌ لطعمة على التوبة، ومع ذلك لم يَتُبْ.

قوله: (**اليهودي**) مفعولٌ لـ(رَمْي) و(طعمةَ): فاعله.

قوله: (**قاصر عليه**) كاليمين الكاذبة.

قوله: (**أي: يتب**) المرادُ: التوبةُ الصادقة بشُروطها، فليس المرادُ مجرَّدَ الاستغفار باللسان مع الإصرار، فإنه توبةُ الكذابين.

(١) وهي قراءة أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه. انظر «تفسير البغوي» (١/ ٦٩٩).

وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ

﴿١١١﴾ ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾: ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾؛ لِأَنَّ وَبالَه علَيها ولا يَضُرُّ غيرَه، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صُنعِه.

﴿١١٢﴾ ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾: ذنباً صَغِيراً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: ذنباً كَبِيراً، ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ مِنهُ، ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ﴾: تَحمَّلَ ﴿بُهْتَٰنًا﴾ بِرَميِه ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: بَيِّناً بِكَسْبِه.

﴿١١٣﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بِالعِصمةِ، ﴿لَهَمَّت﴾: أضمَرَتْ ﴿طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ مِن قَومِ طُعمةَ ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ عَنِ القَضاءِ بِالحَقِّ بِتَلبيسِهم علَيك، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن﴾ - زائدةٌ - ﴿شَىْءٍ﴾ لأنَّ وَبالَ إضلالِهم علَيهِم،

حاشية الصاوي

قوله: (ذنباً) أي: متعلِّقاً به أو بغيره.

قوله: (ولا يضرُّ غيره) إن قلتَ: إن معصيةَ طعمة أصابت قومَهُ فضرَّتهم!

أجيب: بأن ضررَهم إنما جاءَ من كَسبهم؛ لمعاونَتهم له، وشهادتِهم الزور معه، وعزمِهم على الحلف كذباً.

قوله: (﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ﴾) أي: بالخطيئة والإثم، وإنما أفردَ الضمير؛ لأن العطفَ بـ(أو).

قوله: (﴿بَرِيٓـًٔا﴾) صفةٌ لموصوف محذوف؛ أي: شخصاً بريئاً.

قوله: (﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ . . . إلخ) جوابها قوله: ﴿لَهَمَّت﴾، واستُشكلَ: بأن الهمَّ قد وقعَ منهم، والمأخوذُ من (لولا) أنه لم يقَعْ؛ لوجود فضل الله ورحمته! وأجيبَ: بأن المراد: هَمٌّ يحصلُ معه الإضلال، فالمعنى: انتفى إضلالُك الذي همُّوا به لِوُجود فضل الله ورحمته.

قوله: (بالعصمة) أي: الحفظ من المعاصي والمخالفات صغيرِها وكبيرِها.

قوله: (زائدة) أي: في مفعول ﴿يَضُرُّونَكَ﴾ المطلق[1].

---

(١) وعبارة الشيخ الآجهوري: (أي: في المفعول المطلق؛ أي: شيئاً من الضرر، لا قليلاً ولا كثيراً). انظر «الفتوحات» (١/ ٤٢٤).

وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: ما فِيه مِن الأحكامِ، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ مِن الأحكامِ والغَيبِ، ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بِذَلك وغيرِه ﴿عَظِيمًا﴾.

﴿١١٤﴾ ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ أي: النَّاسِ، أي: ما يَتناجَونَ فِيه ويَتحدَّثُون، ﴿إِلَّا﴾ نَجوَى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾: عَمَلِ بِرٍّ، ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (والغيب) أي: علم الغيب، وهو ما غاب عنَّا.

قوله: (بذلك) أي: بإنزال الكتاب والحكمة، وتعليمِه ما لم يكن يعلم، وقوله: (وغيره) أي: كالفضائل التي اختُصَّ بها ممَّا لا يعلمُ كُنهَهُ إلا الله تعالى.

قوله: (﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ﴾) ﴿لَّا﴾: نافية للجنس، و﴿خَيْرَ﴾: اسمها، و﴿فِي كَثِيرٍ﴾: متعلِّقٌ بمحذوف خبرها، وقوله: (﴿مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾) متعلِّقٌ بمحذوف حال من مُتعلق الخبر.

قوله: (أي: الناس) أشارَ بذلك إلى أن الآيةَ عامَّةٌ، وليست مخصوصةً بقوم طعمةَ المتقدِّم.

قوله: (أي: ما يتناجون فيه ويتحدثون) أشارَ بذلك إلى أن معنى النَّجوى: المحادثةُ من بعض القوم لبعض، اثنان ففوق، قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...﴾ [المجادلة: ٧] الآية، والنجوى: ضدُّ السرِّ، وهو محادثةُ الإنسان نفسَهُ، وعطف قوله: (يتحدثون) على (يَتناجون) للتفسير.

قوله: (﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾) يحتملُ أنه استثناءٌ منقطع إن أبقَينا الكلام على ظاهره؛ لأن المستثنى الشخصُ، والمستثنى منه الكلامُ، ولا شكَّ أنه غيرُهُ، ويحتملُ أنه متصلٌ، وهو على حذف مضاف، وإليه يشيرُ المفسِّرُ بقوله: (إلا نجوى... إلخ).

قوله: (﴿بِصَدَقَةٍ﴾) أي: واجبة أو مَندوبة.

قوله: (﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾) المرادُ به: كلُّ طاعة لله، فيدخلُ فيه جميعُ أعمال البرِّ، فهو من عطف العامِّ على الخاصِّ.

﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ ....

﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ المَذكورَ ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طَلَبَ ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ لا غَيرِه مِن أُمُورِ الدُّنيا، ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ ـ بِالنونِ، والياءِ أي: اللهُ ـ ....

حاشية الصاوي

وقوله: (﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ﴾) معطوفٌ على قوله: ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ من عطف الخاصِّ على العامِّ؛ اعتناءً بشأنه واهتماماً به، وإنما خُصَّت الثلاثةُ؛ لأنَّ الأمر المرضيَّ لله إما إيصالُ نفعٍ، وهو إما جِسماني أو روحاني، فالأول: كالصدقات، والثاني: كالأمر بالمعروف، أو دفعُ ضرٍّ كالإصلاح بين الناس؛ لأنَّ المفاسدَ مترتبةٌ على التشاحُن، وبالإصلاح يحصلُ الخيرُ والبركة ودفع الشُّرور؛ ولِذا حثَّ عليه ﷺ بقوله: «امشِ ميلاً عُدْ مريضاً، امشِ ميلَين أصلحْ بين اثنين»[١].

وبالجملة: فكثرةُ الكلام لا خيرَ فيها، قال بعضُهم: (مَنْ كثُرَ لغطُهُ.. كثُرَ سَقطُه)، وفي الحديث: «وهل يكبُّ الناسَ في النار على وُجوههم إلا حصائدُ ألسِنَتهم»[٢].

قوله: (﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾) اسمُ الإشارة عائدٌ على الثلاثة، وإنما أفردَ؛ لأنَّ العطف بـ(أو).

إن قلت: مقتضى السياق: ومن يأمر بذلك!

أجيبَ: بأن هذا راجعٌ للمأمور به، فاسمُ الإشارة عائدٌ على المأمور به من صَدقة أو معروف أو إصلاح، فاستُفيدَ من الآية أولاً وآخراً ثوابُ الآمر والفاعل، وفي الحديث: «**الدالُّ على الخير كفاعله**»[٣]، وأجيبَ أيضاً: بأنه عبَّرَ عن الأمر بالفعل؛ لأنه فعلٌ لِسانيٌّ، والأقربُ: الأول.

قوله: (لا غيره من أمور الدنيا) أي: لأنَّ ثوابَ الأعمال الصالحة مَنُوطٌ بالإخلاص، كان من الآمر أو الفاعل، فلو كان الفعلُ أو الأمر رياءً وسمعةً أو لغرض دُنيوي.. لم يستحقَّ به عند الله أجراً.

قوله: (بالنون والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٤]، وفي قراءة النون التفاتٌ من الغيبة للتكلم؛ لأنَّ الاسمَ الظاهر من قَبيل الغيبة.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان» عن مكحول مرسلاً (١٠١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٢٥) عن عطاء بن ميسرة، وانظر «فيض القدير» (٢/ ١٩٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦) عن معاذ رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٢٦٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) قرأ أبو عمرو وحمزة بالياء، والباقون بنون العظمة. انظر «الفتوحات» (١/ ٤٢٥).

أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ ....

﴿أَجۡرًا عَظِيمًا﴾.

﴿١١٥﴾ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾: يُخالِفِ ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ فِيما جاء بِهِ مِن الحَقِّ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾: ظَهَرَ له الحَقُّ بِالمُعجِزاتِ، ﴿وَيَتَّبِعۡ﴾ طَرِيقاً ﴿غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: طَرِيقِهِم الذي هُم علَيهِ مِن الدِّين، بِأن يَكفُرَ، ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾: نَجعَلْهُ والِياً لِما تَوَلَّاهُ مِن الضَّلال، بِأَنْ نُخَلِّيَ بينَه وبينَه في الدُّنْيا، ﴿وَنُصۡلِهِۦ﴾: نُدخِلْهُ في الآخِرةِ ﴿جَهَنَّمَۖ﴾ فيَحتَرِق فيها،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَجۡرًا عَظِيمًا﴾) أي: وهو الجنة وما فيها، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦]، وفي التعبير بـ(سوف) إشارةٌ إلى أن جزاءَ الأعمال الصالحة في الآخرة لا الدنيا؛ لأنها ليست دارَ جزاءٍ، بل عطاءُ الدنيا لكلِّ مَنْ وُجِدَ فيها، أطاعَ أو عصى، كُلِّفَ أو لا.

قوله: (﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ ... إلخ) لمَّا ذكرَ سبحانه وتعالى المطيعِين وما أعدَّ لهم في الآخرة.. ذكر وعيدَ الكفَّار وعاقبةَ أمرهم، على عادتِه سبحانه في كتابه.

قوله: (فيما جاء به من الحق) أي: من الأمورِ التكليفيَّة والأحكامِ الشرعيَّة.

قوله: (﴿وَيَتَّبِعۡ﴾) عطفُ لازمٍ على مَلزوم.

قوله: (أي: طريقهم) أي: اعتقاداً وعملاً.

قوله: (﴿نُوَلِّهِۦ﴾) هو و(نُصله) إما بسكون الهاء أو كسرها بدون إشباع، وهو المسمَّى بالاختلاس، أو بالإشباع، فالقراءاتُ ثلاثٌ، وكلُّها سبعيَّة[1].

قوله: (بأن نخلِّي بينه) أي: المشاقق، وقوله: (وبينه) أي: الضلال، والمعنى: أن مَنْ خالفَ ما أمرَ الله به فإن الله يستدرجُهُ بالنعم، ويمهلُهُ ولا يعجِّلُ عقوبته، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ ...﴾ [مريم: ٧٥] الآية.

(١) قرأ أبو عمرو وشعبة وحمزةُ: (نولِّهْ) و(نصلِهْ) بسكون الهاء، واختلس كسرة الهاء قالون، ولهشام وجهان: الاختلاس كقالون والإشباع كباقي القراء. «السراج المنير» (١/ ٣٣٢).

وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ....

﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: مَرجِعاً هي.

﴿١١٦﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عَنِ الحَقِّ.

﴿١١٧﴾ ﴿إِن﴾: ما ﴿يَدْعُونَ﴾: يَعبُدُ المُشرِكُون ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: اللهِ، أي: غيرِه ﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾) ساءَ: كـ(بئس) للذم، فاعلُها مستترٌ وجوباً يعودُ على جهنم، و﴿مَصِيرًا﴾: تمييز، والمخصوص بالذم محذوف، قدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: (هي).

قوله: (﴿أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾) أي: إذا ماتَ على ذلك؛ لِقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨][(١)].

قوله: (﴿لِمَن يَشَآءُ﴾) أي: إن ماتَ من غير توبة.

قوله: (﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾) أي: فالشركُ أعظمُ أنواع الضلال.

إن قلتَ: قد قال فيما سبقَ: ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، وهنا: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾، فما الحكمةُ في ذلك؟

قلتُ: إن ما تقدَّمَ في شأن أهل الكتاب، وهم عندهم علمٌ بأنَّ رسولَ الله على الحقِّ، وإنما كفرُهم عنادٌ، فسمَّاه الله افتراءً؛ أي: كذباً، وما هنا في شأن مُشركي العرب، وهم ليس لهم علمٌ بذلك، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلُّ؛ فلِذا سمَّاه اللهُ ضلالاً بعيداً.

قوله: (﴿إِن يَدْعُونَ﴾) هذا كالدليل والتعليل لِقَوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾.

قوله: (**ما يدعون**) أشارَ بذلك إلى أن (إنْ) نافيةٌ بمعنى (ما).

قوله: (**يعبدون**) أطلقَ الدعاءَ على العبادة؛ لأنه مخُّها[(٢)]، وكثيراً ما يطلقُ الدعاء عليها.

---

(١) ضُرِبَ على التعليل، الآية في (أ).

(٢) في (ط١): (منها) بدل (مخّها).

﴿وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨﴾

أصناماً مُؤنَّثةً كاللَّاتِ والعُزَّى ومَناةَ، ﴿وَإِن﴾: ما ﴿يَدۡعُونَ﴾: يَعبُدُون بِعِبادتِها ﴿إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا﴾: خارِجاً عن الطَّاعةِ؛ لِطاعتِهم لَه فيها، وهو إبليسُ.

١١٨ ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: أبعَدَه عَن رَحمَتِه، ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشَّيطانُ: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾: لأَجعَلَنَّ لي ﴿مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا﴾: حَظًّا ﴿مَّفۡرُوضٗا﴾: مَقطُوعاً، أدعُوهُم إلى طاعَتي.

حاشية الصاوي

قوله: (أصناماً مؤنثة) أي: لتأنيث أسمائها، وردَ: أنه ما من مشرك إلا وكان له صنمٌ قد سمَّاه باسم أنثى من العرب، وحلَّاه بأنواع الحلي[1]، وكانوا يقولون: هم بناتُ الله[2].

قوله: (كاللات والعزى ومناة) اللات: مأخوذٌ من إله، والعُزَّى من العزيز، ومَناة: من المنَّان، فاقتطعوها وسَمَّوا بها أصنامَهم.

قوله: (بعبادتها) الباء: سببيَّة؛ أي: فالمسوِّلُ لهم على عبادتها الشيطانُ، فعبادتها لازمةٌ لعبادة الشيطان؛ لأنه يحضرُ عندهم، فهم في الصورة يَعبدون الأصنام، وفي الحقيقة العبادةُ للشيطان.

قوله: (﴿مَّرِيدٗا﴾) أي: متمرِّداً بمعنى: بلغَ الغاية في العتوِّ والفجور؛ لخروجه عن طاعة ربِّه، حتى أمرَ الناسَ بعبادة غير الله.

قوله: (﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾) صفةٌ ثانية لـ﴿شَيۡطَٰنٗا﴾.

قوله: (عن رحمته) أي: جنَّته وما فيها.

قوله: (﴿وَقَالَ﴾ ... إلخ) الجملةُ إما صفةٌ لـ﴿شَيۡطَٰنٗا﴾، أو حالٌ منه؛ أي: ما يدعون إلا شيطاناً موصوفاً بكونه مريداً، وبكونه مطروداً عن رحمته، وبكونه قائلاً، أو حالَ كونه قائلاً، وهذا القولُ قد وقعَ منه عند قولِ الله له: ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣].

قوله: (﴿نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾) وردَ: أنهم تسعُ مئة وتسعةٌ وتسعون من كلِّ ألف؛ لما في الحديث: «ما أنتم في سواكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود»[3]، ووردَ: «أن يومَ القيامة يقول الله لآدم:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٠٩) عن الحسن.

(٢) هذا مفرَّع على القول بأن الإناث هنا الملائكة، رُوي ذلك عن الضحاك. انظر «تفسير الطبري» (٩/ ٢٠٩).

(٣) رواه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢١)، وفي (ط١): (فيمن) بدل (في).

وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ....

﴿١١٩﴾ ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحَقِّ بِالوَسوَسةِ، ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾: أُلقِي في قُلُوبِهم طُولَ الحَياةِ وأن لا بَعثَ ولا حِسابَ، ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾: يُقَطِّعُنَّ ﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وقد فُعِلَ ذلك بِالبَحائِرِ، ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾: دِينَه بِالكُفرِ وإحلالِ ما حَرَّمَ وتَحرِيمِ ما أَحَلَّ، ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا﴾ يَتولَّاهُ ويُطِيعهُ ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِه، ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾: بَيِّناً؛ لِمَصِيرِه إلى النَّارِ المُؤبَّدةِ علَيه.

﴿١٢٠﴾ ﴿يَعِدُهُمْ﴾ طُولَ العُمُرِ ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ نَيلَ الآمالِ في الدُّنيا، وأنْ لا بَعثَ ولا جَزاءَ، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بِذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: باطِلاً.

حاشية الصاوي

أخرجْ من ذريَّتك بعثَ النار، فيقول: يا ربِّ؛ وما بعثُ النار؟ فيقول الله تعالى: أخرِج من كلِّ ألف تسعَ مئة وتسعةً وتسعين، فعند ذلك تشيبُ الأطفال من شدَّة الهول»[1].

قوله: (﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحق) أي: أُميلنَّ قلوبَهم عن طريق الهدى والرشاد.

قوله: (وقد فعل ذلك بالبحائر) جمعُ بَحيرة، وهي أن تلدَ الناقةُ أربعةَ بطون وتأتي في الخامس بذكر، فكانوا لا يحملون عليها، ولا يَأخذون نِتاجَها، ويجعلون لبنَها للطواغيت، ويشقُّون آذانَها علامةً على ذلك.

قوله: (﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾) أي: ما خلقَهُ، ومن ذلك: تغييرُ صفات نبيِّنا الواقع من اليهود والنصارى، وتغييرُ كتبهم، ومن ذلك: تغييرُ الجسم بالوشم، وتغييرُ الشَّعَرِ بالوصل؛ لما في الحديث: **«لعنَ اللهُ الواشمةَ والمستوشِمة، والواصلةَ والمستوصِلة»[2].**

قوله: (﴿خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾) أي: لأنه ضيَّعَ رأسَ ماله، وهي طاعةُ الله وعبادته.

قوله: (﴿إِلَّا غُرُورًا﴾) أي: مُزيَّنَ الظاهر، فاسدَ الباطن.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٩٣٣)، ومسلم (٢١٢٤).

أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ ....

﴿١٢١﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: مَعدِلاً.

﴿١٢٢﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ﴾ أي: وَعَدَهُم الله ذلك وحَقَّه حَقًّا، ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحَدَ ﴿أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ أي: قَولاً.

﴿١٢٣﴾ ونَزَلَ لَمَّا افتَخَرَ المُسلِمُون وأهلُ الكِتاب: ﴿لَّيْسَ﴾ الأمرُ مَنُوطاً ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ﴾ بل بِالعَملِ الصالحِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) أي: أولياءُ الشيطان.

قوله: (**معدلاً**) أي: منفذاً ومهرباً.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) بيانٌ لوعد المؤمنين إثرَ بيانِ وعيدِ الكفار.

قوله: (**أي: وعدهم الله ذلك وعداً**) أشارَ بذلك إلى أن (وعداً) و(حقًّا) منصوبان بفعلين محذوفين من لفظهما، ويصحُّ أن يكون (حقًّا) صفةً لـ(وعداً).

قوله: (**أي: لا أحد**) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي، وهو كالدليل لما قبله.

قوله: (**لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب**) أي: حيث قال المسلمون: نبيُّنا خاتمُ الأنبياء، وكتابُنا يقضي على سائر الكتب، ونحن آمنَّا بكتابكم ولم تُؤمنوا بكتابنا، فنحن أولى بالله منكم، وقال أهل الكتاب: كتابُنا قبلَ كتابكم، ونبيُّنا قبلَ نبيِّكم، فنحن أولى مِنكم.

وقيل: سببُ نزول الآية افتخارُ أهل الكتاب ومشركي العرب، وعليه: فلا يحتاجُ لتأويل في قوله: ﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾، بل يحملُ الجزاءُ لكلٍّ من الفريقين على الخُلود في النار[1].

قوله: (﴿لَّيْسَ﴾ **الأمر منوطاً**) أشارَ بذلك إلى أن اسم ﴿لَّيْسَ﴾ ضميرٌ عائدٌ على الأمر، وقوله: ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف خبرها؛ أي: مَنوطاً بمعنى: متعلِّقاً ومرتبطاً.

---

(١) روى سببي النزول الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٢٩) عن قتادة ومجاهد.

مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ....

﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ إمَّا في الآخِرةِ أو في الدُّنيا بِالبَلاءِ والمِحَن كما ورَد في الحَدِيث، ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيره ﴿وَلِيًّا﴾ يَحفَظُه، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يَمنَعُه مِنه.

﴿١٢٤﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾ شَيئاً ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُدْخَلُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾) أي: مِن مؤمن أو كافر.

قوله: (إما في الآخرة) أي: وهو محتَّمٌ في حقِّ من مات كافراً، وأمَّا من مات عاصياً ولم يتبْ فتحتَ المشيئة.

قوله: (كما ورد في الحديث) أي: وهو أن أبا بكر لمَّا نزلت قال: يا رسولَ الله؛ وأيُّنا لم يَعمل السوءَ وإنا لمجزيُّون بكلِّ سوءٍ عملناه؟! فقال ﷺ: «أما أنت وأصحابُك المؤمنون.. فتُجزون بذلك في الدنيا، حتى تَلقوا اللهَ وليس عليكم ذنوبٌ، وأما الآخرون.. فيجتمعُ لهم ذلك حتى يُجزوا به يوم القيامة»، وفي رواية: قال أبو بكر: فمَن يَنجو مع هذا؟! فقال عليه الصلاةُ والسلام: «أما تمرضُ أو يصيبُك البلاءُ؟»، قال: بلى، قال: «هو ذلك»[1].

قوله: (﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾) هذا مقابلُ قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾.

قوله: (شيئاً) أشارَ بذلك إلى أن (مِنْ) للتبعيض؛ لأنه لا يمكنُ استيفاءُ جميع الأعمال الصالحة.

قوله: (﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾) الجار والمجرور متعلِّقٌ بـ(شيئاً) الذي قدَّره المفسِّر.

قوله: (﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾) حالٌ من الضمير في ﴿يَعْمَلْ﴾، وكذا قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، وأما الكافرُ فأعمالُه الصالحة ضائعةٌ، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

قوله: (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾) هذه الجملةُ جوابُ الشرط.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (١/ ١١)، وانظر «الدر المنثور» (٢/ ٦٩٦).

ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ....

ـ بِالبناء لِلمَفعولِ والفاعِل ـ ﴿ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾: قَدْرَ نُقرةِ النَّواةِ.

﴿١٢٥﴾ ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحَدَ ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ أي: انْقادَ وأخلَصَ عَمَلَه ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: مُوحِّدٌ، ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ المُوافِقةَ لِمِلَّة الإسلامِ ﴿حَنِيفًا﴾ ـ حالٌ ـ

حاشية الصاوي

قوله: (بالبناء للمفعول) أي: و﴿ٱلْجَنَّةَ﴾: مفعول ثانٍ، والواو: نائب الفاعل مفعول أول؛ لأنه من: أدخلَ الرباعيّ، فهو يَنصِبُ مفعولين، وقوله: (والفاعل) أي: من: دخلَ، فهو ينصِبُ مفعولاً واحداً، فمفعولُهُ ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾، والواو: فاعل، وهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾) أي: لا ينقصون شيئاً أبداً، لا قليلاً ولا كثيراً، ويُؤخذُ من الآية: أن جزاءَ الأعمال الصالحة في الآخرة، وأما النِّعمُ التي يُعطاها المؤمن في الدنيا من عافيةٍ ورزق وغير ذلك.. فليست جزاءَ الأعمال الصالحة، بل يتكفَّلُ الله بها لكلِّ حيٍّ في الدنيا مسلماً أو كافراً، بل بعضُ العبيد من أهل المحبة في الله لا يَنتظرُ بعمله الجنة، بل يقولون: إنما عبدناك لِذاتك لا لشيء آخر، قال: العارفُ ابنُ الفارض حين كُشِفَ له عن الجنة وما أُعِدَّ له فيها في مرضِ موته: [البسيط]

إِنْ كانَ مَنْزِلَتِي فِي الحُبِّ عِنْدَكُمُ ... ما قَدْ رَأَيْتُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامِي[2]

قوله: (أي: لا أحد) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾) أي: نفسه وذاته، وعبَّرَ عنها بالوجه؛ لأنه أشرفُ أعضاء الإنسان.

قوله: (﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾) الجملةُ حالٌ من ضَمير ﴿أَسْلَمَ﴾.

قوله: (﴿وَٱتَّبَعَ﴾) إما عطفُ لازم على ملزوم، أو علَّةٍ على معلول، أو حال ثانية، والقصدُ بذلك: إقامةُ الحجَّةِ على المشركين جميعاً في عدم اتباعهم لمحمدٍ؛ لأنَّ إبراهيمَ متَّفقٌ على مَدحه حتى من اليهود والنصارى، فالمعنى: ما تقولون فيمن اتَّبعَ ملةَ إبراهيم؟ فيقولون: لا أحدَ أحسَنُ منه، فيُقال لهم: إنَّ محمداً على ملَّةِ إبراهيم، فلِمَ لمْ تتبعوه وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة غير الله؟

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بضم الياء: يُدْخَلون، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (١/ ٣٣٤).

(٢) انظر «ديوانه» (ص٢٠٦)، ومطلع القصيدة:

نَشَرْتُ في موكبِ العشَّاقِ أعلامي ... وكانَ قبلي بُلي في الحبِّ أعلامي

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ....

أي: مائِلاً عن الأديانِ كُلِّها إلى الدِّين القَيِّم، ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾: صَفِيًّا خالِصَ المَحبَّة لَه.

١٢٦ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلْقاً وعَبِيداً، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ عِلماً وقُدرةً، أي: لَم يَزَل مُتَّصِفاً بِذلك.

١٢٧ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾: يَطلُبُون مِنك الفَتوَى ﴿فِى﴾ شَأنِ ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ ومِيراثِهِنَّ، ﴿قُلِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (حال) أي: إما من ضمير (اتبع)، أو من (إبراهيم)، ولصحَّةِ هذين المعنيين أجملَ المفسِّرُ في الحال.

قوله: (خالص المحبة له) أي: لم يجعَلْ في قلبه غيرَ محبة ربِّه؛ لتخللها في حُشاشتِهِ وانطباعها في مهجته، وقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ كالدليل لما قبله؛ أي: مَن اتخذه اللهُ خليلاً فهو جديرٌ بأن نتَّبعَ ملَّتَهُ.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) هذا دليلٌ لما تقدَّمَ؛ أي: حيث كانت السموات وما فيها والأرض وما فيها لله وحدَه ولا مشاركَ له في شيء من ذلك.. فما معنى إشراكِ مَنْ لا يملكُ لنفسه شيئاً مع مَنْ له جميعُ المخلوقات وهو آخذٌ بناصيتها؟ وقيل: أتى بهذه الآية؛ دفعاً لما يُتوهَّم أن اتخاذَ إبراهيم خليلاً عن احتياج كما هو شأنُ الآدميين، بل ذلك من فضله وكرمه.

قوله: (علماً وقدرة) أشارَ بذلك لقولين في تفسير قوله: ﴿مُّحِيطًا﴾؛ قيل: علماً، وقيل: قدرة، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (أي: لم يزل) أشارَ بذلك إلى أن (كان) لِلاستمرار، لا للانقطاع.

قوله: (يطلبون منك الفتوى) أي: بيانُ ما حكمَ اللهُ به في شأنهنَّ، والفتوى: بالواو فتُفتح الفاء، وبالياء فتضم، وجمعها: فتاوي بكسر الواو، ويجوزُ الفتحُ للخفة.

قوله: (﴿فِى﴾ شأن ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾) أي: ما يتعلَّقُ بهنَّ من دفع المهر لهنَّ وعدم إيذائِهنَّ.

قوله: (وميراثهنَّ) عطفُ خاصٍّ؛ ردًّا على من كان يَمنعه من الجاهلية.

ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ....

لَهُم: ﴿ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ مِن آيةِ المِيراث، ويُفتِيكُم أيضاً ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿لَهُنَّ﴾ مِن المِيراثِ، ﴿وَتَرۡغَبُونَ﴾ أيُّها الأولياءُ عن ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يُفۡتِيكُمۡ﴾) أي: يبينُ لكم تلك الأحكام.

قوله: (﴿وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾) يحتملُ أن (ما) معطوفٌ على لفظ الجلالة، أو على الضمير المستتر في ﴿يُفۡتِيكُمۡ﴾، والفاصلُ موجودٌ وهو الكافُ؛ لقول ابن مالك: [الرجز]

وَإِنْ عَلَى ضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَّصِلْ عَطَفْتَ فَافْصِلْ بِالضَّمِيرِ المُنْفَصِلْ
أَوْ فَاصِلٍ مَا ....[1]

وعلى كلٍّ: فيكون المفتي اثنين: اللهُ سبحانه وتعالى وكتابُهُ، والتغايرُ بالاعتبار، فالمعنى: يُفتيكم بنفسه على لسان نبيِّه، وبكتابه على لسان نبيِّه، فتأمَّلْ، وفيه مزيدُ اعتناءٍ بتلك الفتوى.

قوله: (من آية الميراث) أي: وهي قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ...﴾ الآيات، وكذلك الوصيةُ التي تقدَّمت في أوائل السورة؛ كقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩]، فالمناسبُ للمفسِّر ألاَّ يقتصرَ على آية الميراث.

قوله: (ويفتيكم أيضاً) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف معطوف على الضمير في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾، والعاطفُ محذوف، التقديرُ: اللهُ وكتابُهُ يُفتيكم في شأن النساء عموماً، واللهُ وكتابُهُ يفتيكم في يتامى النساء، فهو من عطف الخاصِّ على العامِّ، والنكتةُ: الاعتناءُ بشأنهنَّ.

قوله: (﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾) الإضافةُ على معنى (مِنْ) أي: اليتامى من النساء، أو من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: النساء اليتامى.

قوله: (من الميراث) أي: وباقي الحقوق كالمهور.

قوله: (عن ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾) معلومٌ أن حذفَ الجارِّ مع (أنَّ) و(أنْ) مطَّرد، وإنما قدَّرَ (عن)؛

---

(١) «الخلاصة»: (باب: عطف النسق).

وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ ....

لِدَمامَتِهِنَّ، وتَعضُلُوهُنَّ أن يَتزوَّجنَ طَمَعاً في مِيراثِهِنَّ، أي: يُفتِيكُم أن لا تَفعَلُوا ذلكَ، ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الصِّغارِ ﴿مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ أن تُعطُوهُم حُقُوقَهم، ....

حاشية الصاوي

إشارةً إلى أن الرغبةَ بمعنى: الزهد، فتتعدَّى بـ(عن)، وبعضُهم قدَّرَ (في)؛ إشارةً إلى أن الرغبةَ بمعنى: الحب، والمعنى تحبُّون وترغبون في نكاحهنَّ لمالِهنَّ، ولولا ذلك ما تزوجتموهنَّ، وهو مذمومٌ أيضاً، بل الواجبُ تقوى الله فيهنَّ؛ فإنَّ أكلَ مالِ اليتيم فيه الوعيدُ الشديد فضلاً عن كون اليتيم امرأة لا ناصرَ لها، روى مسلم عن عائشة قالت: (هذه اليتيمةُ تكون في حِجْرِ وليِّها، فيرغبُ في جمالها ومالها ويريدُ أن ينقصَ صداقها، فنُهُوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن، قالت عائشة رضي الله عنها: فاستفتى الناسُ رسولَ الله، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾، فبيَّنَ لهم أن اليتيمةَ إذا كانت ذاتَ جمال ومال رَغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنَّتها في إكمال الصداق، وإذا كانت مرغوباً عنها في قلَّة المال والجمال تركوها والتمسُوا غيرَها، قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقَّها الأوفى من الصداق)[1]، وقد تقدَّمَ بسطُ ذلك أوَّلَ السورة.

قوله: (لدمامتهنَّ) أي: فَقرهنَّ[2].

قوله: (وتعضلوهن) أي: تمنعُوهن، وهذا التخويفُ للأولياء كما هو مقتضى المفسِّر، وفي الحقيقة هو عامٌّ للأولياء ومن يتزوَّجُ بها، فتخويفُ الوليِّ من حيث عضلُهُنَّ عن الزواج لأخذ مالهنَّ، وتخويفُ الزوج من حيث تزوجُها لأخذِ مالها أو بغير مهر مثلِها وعدم إعطائها إيَّاه، وبالجملة: فلا يجوزُ لوليٍّ ولا زوجٍ أكلُ مال اليتيم ميراثاً أو مهراً.

قوله: (﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾) معطوفٌ على ﴿يَتَٰمَى﴾ عطف عامٍّ على خاص.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾) أي: ذكوراً وإناثاً، وكانوا في الجاهلية لا يورِّثون الصبيان مطلقاً ولا النساء، وإنَّما كانوا يقولون: لا نورِّثُ إلا مَنْ يحمي الحوزةَ ويذبُّ عن الحُرَم، فيحرمون المرأةَ والصبيَّ.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٩٤)، ومسلم (٣٠١٨).

(٢) كذا في النسخ، ولعلها: (أي: وفقرهن) أي: مع دمامتهنَّ، وإلَّا.. فالدمامة: قُبح المنظر وصغر الجسم.

وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ....

﴿وَ﴾ يَأمُرُكُم ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾: بِالعَدلِ في المِيراث والمَهرِ، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ فيُجازِيكُم به.

﴿١٢٨﴾ ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ﴾ ـ مَرفُوع بِفِعلٍ يُفَسِّره ـ: ﴿خَافَتْ﴾: تَوقَّعت ﴿مِنۢ بَعْلِهَا﴾: زَوجِها ﴿نُشُوزًا﴾: تَرفُّعاً علَيها بتَركِ مُضاجَعتِها والتَّقصيرِ في نَفَقتِها؛ لِبُغضِها وطُمُوحِ عَينِه إلى أجمَلَ مِنها، ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بِوَجهِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ﴾) معطوفٌ على قوله: ﴿فِى يَتَٰمَى﴾ من عطف العامِّ أيضاً، ويصحُّ نصبُهُ بإضمار فعل، وهو الذي مشى عليه المفسِّرُ بقوله: (ويأمركم)، وهو خطابٌ للأولياء والحكّام، والمرادُ باليتامى مطلقاً ذكوراً أو إناثاً.

قوله: (﴿مِنْ خَيْرٍ﴾) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (مرفوع بفعل يفسِّره ﴿خَافَتْ﴾) أي: فهو من باب الاشتغال، ولا يصحُّ جعلُهُ مبتدأً؛ لأنَّ أداةَ الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقديراً، ونظيره: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦].

قوله: (﴿خَافَتْ﴾) الخوفُ: توقُّعُ الأمر المكروه، فقوله: (توقعت) أي: انتظرَتْهُ.

قوله: (زوجها) أي: ويُقال له: سيِّد أيضاً، قال تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ [يوسف: ٢٥]، والسيِّدُ والبعلُ مختصَّان بالرجل، والزوجُ كما يطلقُ على الرجل يطلقُ على المرأة.

قوله: (بترك مضاجعتها) الباءُ: سببيَّة، والمرادُ بالترك: التقليلُ من ذلك.

قوله: (والتقصير في نفقتها) أي: التقليل منها مع كونه لم يكن تركَ الحقوقَ الواجبةَ، وإلا.. فصلحُهُ بالمال على ترك الحقوق الواجبة يحرمُ عليه، ولا يحلُّ له أخذه مع أن الموضوعَ أنه لا جُناحَ عليه ولا عليها فيه، فتأمَّلْ.

قوله: (وطموح عينه) أي: تلفُّتِهِ ونظرِهِ إلى غيرها.

قوله: (إلى أجمل منها) أي: ولو بحسب ما عنده.

قوله: (﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾) معطوفٌ على ﴿نُشُوزًا﴾، والمرادُ بالإعراض عنها بوجهه: عدمُ البشاشة معها، ولقاؤُها بوجهٍ عبوس، قال الشاعر: [الطويل]

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ﴾ ....

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَصَّالَحَا﴾ - فِيه إدغامُ التَّاء في الأصلِ في الصَّاد، وفي قِراءة: ﴿يُصْلِحَا﴾ مِن (أصلَحَ) - ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ﴾ في القَسْم والنَّفَقةِ، بِأن تَترُكَ لَه شَيئاً طَلَباً لِبَقاءِ الصُّحبةِ، فإنْ رَضِيَت بِذلك، وإلَّا فعَلى الزَّوجِ أن يُوَفِّيَها حَقَّها أو يُفارِقَها، ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ﴾ مِن الفُرْقةِ والنُّشُوزِ والإعراضِ، قال تَعالى في بَيانِ ما جُبِلَ علَيه الإنسانُ:

حاشية الصاوي

وَلِلْغَدْرِ عَيْنٌ لَنْ تَزالَ عَبُوسَةً ... وَعَيْنُ الرِّضَا مَكْحُولَةٌ بِالتَّبَسُّمِ[1]

قوله: (﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾) أي: لا إثمَ في ذلك على المرأة إذا صالحته على ترك القَسْم أو النفقة أو الكسوة، ولا على الرجل في قبول ذلك منها، ونفيُ الجُناح عن الرجل ظاهرٌ؛ لأنه يأخذُ منها شيئاً، فهو مَظِنَّةُ الجُناح، وأما نفيُ الجُناح عن المرأة.. فمن حيث دفعُ ذلك؛ لأنه ربَّما يُقال: إنه كالرِّبا؛ فإنه حرامٌ على الدافع والآخذ.

قوله: (فيه إدغام التاء) أي: بعد قلبها صاداً وتسكينها.

قوله: (وفي قراءة: ﴿أَن يُصْلِحَا﴾) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2]، وقوله: (﴿صُلْحًاۚ﴾) مفعولٌ مطلق على كلا القراءتين، ويصحُّ على القراءة الثانية جعلُهُ مفعولاً به إن ضُمِّنَ ﴿يُصْلِحَا﴾ معنى (يُوقعا)، وقوله: (﴿بَيْنَهُمَا﴾) حالٌ من قوله: ﴿صُلْحًاۚ﴾؛ لأنه نعتُ نكرةٍ قُدِّمَ عليها، وأقحمَهُ إشارةً إلى أنه يَنبغي أن يكونَ ذلك الصلحُ سرًّا لا يطلعُ عليه أهلُهما.

قوله: (بأن تترك له شيئاً) أي: ممَّا لها عليه من الحقوق؛ كالنفقة والكسوة والمبيت.

قوله: (إن رضيت بذلك) جوابُ الشرط محذوفٌ، تقديرُهُ: لزمَها ذلك.

قوله: (﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ﴾) هذه الآيةُ كالتي بعدَها معترضةٌ بين جملة الشرط الأولى والثانية، وقوله: ﴿خَيْرٌۗ﴾ اسمُ تفضيل، والمفضَّلُ عليه محذوفٌ قدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: (من الفرقة)، لا يُقالُ: الفرقةُ لا خيرَ فيها، إلا أن يُقال: قد يكونُ في الفرقة خيرٌ أيضاً، لكنه متوهَّمٌ، وأما خيريةُ الصلح محقَّقةٌ، وقيل: إنه ليس على بابه، بل المعنى: الصلحُ خيرٌ من الخيور؛ كما أن النشوزَ شرٌّ من الشرور.

---

(١) «روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار» (ص٣٨٢) دون نسبة.

(٢) قرأ الكوفيون: (يُصْلحا)، والباقون: (يَصَّالحا) بتشديد الصاد بعدها ألف. انظر «الدر المصون» (٤/١٠٨).

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ....

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾: شِدَّةَ البُخلِ، أي: جُبِلَت علَيهِ فكَأنَّها حاضِرتُه لا تَغِيبُ عنهُ، المعنَى: أنَّ المَرأَة لا تكادُ تَسمَحُ بِنَصِيبِها مِن زوجِها، والرَّجُلُ لا يَكاد يَسمَح علَيها بِنَفسِه إذا أَحبَّ غيرَها، ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ﴾ عِشرةَ النِّساءِ ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الجَور علَيهِنَّ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيُجازِيكُم بِه.

﴿١٢٩﴾ ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ﴾: تُسوُّوا ﴿بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ في المَحبَّةِ ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذَلك، ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ إلى التي تُحِبُّونها في القَسْم والنَّفَقةِ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾) ﴿ٱلْأَنفُسُ﴾: نائبُ فاعل (أحضرت) مفعول أول، و﴿ٱلشُّحَّ﴾: مفعولٌ ثانٍ، والمعنى: أحضرَ اللهُ الأنفسَ الشحَّ؛ أي: جبلَها عليه، فمتى تعلَّقت الأنفسُ بشيء.. فلا ترجعُ عنه إلا بمشقَّة.

قوله: (والمعنى) أي: المرادُ من الآية، وفي ذلك ترغيبٌ في الصلحِ وتركِ هوى النفس.

قوله: (عشرة النساء) قدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿تُحْسِنُواْ﴾ محذوفٌ.

قوله: (﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾) أي: بعملكم مع النساء خيراً أو شرًّا.

قوله: (في المحبَّة) أي: والمحادثة والمضاجَعة.

قوله: (﴿فَلَا تَمِيلُواْ﴾) أي: فلا تعرضوا كلَّ الإعراض، بل يلزمُكم العدلُ في المبيت، وتركُهُ حرامٌ؛ لما في الحديث: «**مَنْ لمْ يعدلْ بين نسائِهِ جاءَ يومَ القيامة وشقُّه ساقط**»[1]، وأما الميلُ القلبي إلى إحداهما.. فلا حرجَ فيه؛ ولِذا قال عليه الصلاة والسلام: «**اللهمَّ؛ إن هذا قَسمي فيما أملكُ، فلا تؤاخذني فيما لا أملِك**»[2].

---

(١) رواه أبو داوود (٢١٣٣)، والترمذي (١١٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داوود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، والنسائي (٧/ ٦٣)، وابن ماجه (١٩٧١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ ....

﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي: تَترُكُوا المُمالَ عنها ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾ الَّتي لا هي أيِّمٌ ولا هيَ ذاتُ بَعلٍ، ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾ بِالعَدلِ في القَسْم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الجورَ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لِما في قَلبِكُم مِن المَيلِ، ﴿رَّحِيمًا﴾ بِكُم في ذَلك.

﴿١٣٠﴾ ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ أي: الزَّوجانِ بِالطَّلاق، ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ عن صاحِبه ﴿مِّن سَعَتِهِۦۚ﴾ أي: فَضلِهِ، بِأن يَرزُقَها زَوجاً غَيرَه ويَرزُقَه غَيرَها، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ لِخلقِه في الفَضلِ، ﴿حَكِيمًا﴾ فِيما دَبَّره لهم.

﴿١٣١﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بِمعنَى الكُتُب ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: اليَهُودَ والنَّصارى ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يا أهلَ القُرآنِ ﴿أَنِ﴾ أي: بِأنْ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾: خافُوا عِقابَه بِأن تُطِيعُوه، ﴿وَ﴾ قُلنا لَهُم ولَكُم: ﴿إِن تَكْفُرُواْ﴾ بِما وُصِّيتُم بِه ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خَلْقاً ومُلكاً وعَبِيداً؛ ....

حاشية الصاوي

قوله: (المُمال عليها) على بمعنى: عن؛ أي: الممال عنها، بمعنى: المبغُوضة.

قوله: (﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾) الكافُ: بمعنى: مثل، مفعولٌ ثانٍ لـ(تذروا)، والهاء: مفعولٌ أول؛ لأنها إذا كانت بمعنى (ترك) تنصبُ مفعولَين.

قوله: (التي لا هي أيم) الأيِّمُ هي: التي لا زوجَ لها، كان سبقَ لها زوجٌ أو لم تتزوَّجْ أصلاً.

قوله: (﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾) مقابلٌ بقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا﴾.

قوله: (بأن يرزقها زوجاً غيره) أي: وإن كان لأحدهما عِشقٌ في الآخر يُغنيه الله بأن يبردَ قلبَهُ من ذلك.

قوله: (في الفضل) متعلِّقٌ بـ﴿وَٰسِعًا﴾.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ . . . إلخ) هذا كالعلَّة والدليل لقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾.

وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ....

فلا يَضرُّه كُفرُكم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ عَن خَلقِه وعِبادَتِهم، ﴿حَمِيدًا﴾: مَحمُوداً في صُنعِه بِهم.

﴿١٣٢﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كَرَّره تَأكِيداً لِتَقريرِ مُوجِب التَّقوى، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: شَهيداً بِأنَّ ما فيهِما لَه.

﴿١٣٣﴾ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ بَدلَكم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾.

﴿١٣٤﴾ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بِعَمَلِه ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ لِمَن أرادَه لا عِندَ غَيرِه، فلِمَ يَطلُبُ أحَدَهُما الأخَسَّ؟ وهَلَّا طَلَبَ الأعلَى بِإخلاصِه لَه، حيثُ كانَ مَطلَبُهُ لا يُوجَد إلَّا عِندَه، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (فلا يضرُّه كفرُكم) أي: فليس أمرُهم بالطاعة عن احتياج، تنزَّهَ اللهُ عن أن يصلَ له نفعٌ من طاعتهم، أو ضرٌّ من كفرهم، وهذا هو جوابُ الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ دليلُ الجواب.

قوله: (﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾) أي: يستأصلكم بالمرَّة، وقوله: ﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ أي: بقوم آخرين دفعةً مكانكم.

قوله: (﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾) جوابُ الشرط محذوف، تقديرُهُ: فقد ساءَ عمله وخابَ نظره، وقوله: (﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾) مرتَّبٌ على محذوف، التقديرُ: فلا يقصِرْ نظرَهْ وطلبَهُ على أحدهما، فعند الله... إلخ.

قوله: (لمن أراده) متعلقٌ بقوله: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ...﴾ [البقرة: ٢٠٠] الآية.

قوله: (وهلَّا طلبَ الأعلى بإخلاصه) أي: فالواجبُ على المكلَّف ألَّا يطلبَ بعمله الصالح إلا الآخرة؛ لأنَّ الدنيا مضمونةٌ لكلِّ حيوان.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ....

﴿١٣٥﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾: قائِمين ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بِالعَدلِ، ﴿شُهَدَآءَ﴾ بِالحَقِّ ﴿لِلَّهِ وَلَوْ﴾ كانَت الشَّهادةُ ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾، فاشهَدُوا علَيها بِأن تُقِرُّوا بِالحقِّ ولا تكتُمُوهُ، ...

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) قيل: سببُ نزولها: أن غنيًّا وفقيراً اختصما إلى رسول الله ﷺ، وكان النبيُّ يرى أن الفقيرَ لا يظلمُ الغنيَّ، فنزلت الآية، فالخطابُ للنبيِّ وأمَّتِهِ[1].

قوله: (قائمين) هذا بيانٌ لأصل المادة، وإلا.. فالمرادُ: مُديمين القيام؛ لأنَّ صيغةَ المبالغة لا تتحقَّقُ إلا بالدوام على القيام.

قوله: (﴿بِٱلْقِسْطِ﴾) يُقال: قَسَط يقسِطُ: جارَ وعَدَلَ[2]، والمرادُ هنا: العدلُ بقرينة المقام، وأما أقسطَ فمعناه.. عَدَلَ لا غير، واسم الفاعل من الأول: قاسط، ومن الثاني: مُقسِط، وقوله: (﴿شُهَدَآءَ﴾) خبرٌ ثانٍ لـ﴿كُونُواْ﴾، والواو: اسمها، و﴿قَوَّٰمِينَ﴾: خبرٌ أول.

قوله: (بالحق) أي: لا بالباطل، فلا تجوزُ الشهادة به، وقوله: (﴿لِلَّهِ﴾) أي: لمحضِ وجهه، لا لغرضٍ آخر.

قوله: (﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾) الجار والمجرور متعلِّقٌ بمحذوف خبر لـ(كان) المحذوفة؛ لأنَّ حذفَ (كان) مع اسمها بعد (لو) كثيرٌ، قال ابن مالك: [الرجز]

وَيَحْذِفُونَهَا ويُبْقُونَ الخَبَرْ وَبَعْدَ (أَنْ) وَ(لَوْ) كثِيراً ذا اشْتَهَرْ[3]

أي: هذا إذا كانت الشهادةُ على الغير، بل ولو على النفس.

قوله: (بأن تقرُّوا بالحق) أي: فالمرادُ بالشهادة: الإقرارُ، ويحتملُ أن تكونَ الشهادةُ على حقيقتها، وهي الإخبارُ عن الغير بأمر؛ كأن يكونَ شاهداً على ابنه مثلاً بحقٍّ، فالواجبُ أداؤُها ولو حصلَ منها ضررٌ للنفس[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣) عن السدِّي.

(٢) فهو ضدٌّ، وانظر «المصباح المنير» (ق س ط).

(٣) «الخلاصة»: (باب كان وأخواتها).

(٤) وكان متعلقاً بالغير، وإلا فلو كانت الشهادة له وعليه ولا تعلُّق للغير بها.. فالسترُ أولى.

أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ ....

﴿أَوِ﴾ على ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ﴾ المَشهُودُ علَيهِ ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ مِنكُم وأعلَمُ بِمَصالِحِهما، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ في شَهادتِكُم، بِأن تُحابُوا الغَنِيَّ لِرِضاهُ، أو الفَقيرَ رَحمةً لَه لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَعْدِلُوا۟﴾: تَمِيلُوا عَن الحقِّ، ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾: تُحَرِّفُوا الشَّهادةَ - وفي قِراءةٍ: بِحذفِ الواو الأُولَى تَخفِيفاً - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾) في حيِّز المبالغة، ولا عبرةَ بغضبهما حينئذٍ إذا كان الولدُ شاهداً عليهما بحقٍّ.

قوله: (﴿إِن يَكُنْ﴾ المَشهود عليه) أي: من الوالدين والأقربين والأجانب.

قوله: (﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾) استُشكل تثنية الضمير مع كون العطف بـ(أو)، وأجيبَ: بأن الضميرَ ليس عائداً على الغني والفقير المتقدِّمَيْن، بل هو عائدٌ على جنسهما المدلول عليه بالمذكورَيْنِ، ويدلُّ على ذلك قراءةُ أُبَيٍّ: (فاللهُ أولى بهم)، وأجيبَ أيضاً: بأن (أو) للتقسيم للمشهود له والمشهود عليه؛ لأنهما إما أن يكونا غنيَّين أو فقيرين، أو المشهودُ له غنيًّا والمشهودُ عليه فقيراً، أو بالعكس، فالضميرُ في الحقيقة عائدٌ على المشهود له والمشهود عليه، وقد يُجاب أيضاً: بأن (أو) بمعنى الواو.

قوله: (لرضاه) أي: الغنيِّ، فربما واساكم، وقوله: (بأن تحابوا) تصويرٌ للمَنفي.

قوله: (لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَعْدِلُوا۟﴾) تعليلٌ للنهي؛ لأنَّ من اتبع الهوى فقد اتَّصف بالجور، ومن تركَ اتباعه فلا يتصفُ به، فيصيرُ المعنى: انتهوا عن اتباع الهوى لأجل ألَّا يحصلَ منكم جَوْرٌ، وهذا ما مشى عليه المفسِّرُ من أن العدلَ بمعنى: الجَوْرِ، فاحتاجَ إلى تقديره: لا، وقال في «الكشاف»: إن العدلَ ضدُّ الجور، وعليه: فليس فيه تقديرُ (لا)، ويصير المعنى: انتهوا عن اتباع الهوى لأجل اتِّصافكم بالعدل، وكلٌّ صحيحٌ، والثاني أقربُ؛ لعدم الكُلفة.[1]

قوله: (تُحرفوا الشهادة) أي: بأن يشهدَ على خلاف ما يعلمُ من الدعوى.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[2]، وأصلُ تَلوون: تَلْوِيُون، استثقلت الضمةُ

---

(١) «الكشاف» (١/ ٥٧٥) على الاحتمال.

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة: (تَلُوا) وزان: (تَفُوا)، والباقون: (تَلْوُوا) وزان (تَفعُوا). انظر «الدر المصون» (٤/ ١١٨).

أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ....

﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ عن أدائِها، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيُجازِيكُم بِه.

﴿١٣٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟﴾: داوِمُوا على الإيمانِ ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: مُحمَّدٍ ﷺ وهو القُرآنُ، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ على الرُّسُلِ بمعنَى الكُتُبِ، ـ وفي قِراءة بِالبِناء لِلفاعِلِ في الفِعلَين ـ ....

حاشية الصاوي

على الياء، فنقلت للواو قبلها بعد سلب حركتها، فحُذفت الياءُ التي هي لامُ الكلمة، وحذفت النون للجازم، فصار وزنه (تفعُوا)، وعلى القراءة الثانية حُذفت عينُ الكلمة أيضاً التي هي الواو الأولى بعد نقل ضمتها إلى اللام، فصار وزنه (تَفُوا)، وفيه إجحافٌ؛ لأنه لم يَبقَ إلا فاؤُها[1].

قوله: (﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾) أي: بأن تنكروها من أصلها، فالعطفُ مغايرٌ، خلافاً لمن قال بالترادُف[2].

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾) دليلُ الجواب، والجواب محذوف تقديرُهُ: يعاقبكم على ذلك؛ لأنَّ الله كان بما تعملون خبيراً.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ ... إلخ) ذكرُ هذه الآية بعد الأمر بالعدل مِن ذكر السبب بعد المسبَّب؛ لأنَّ الإيمانَ سببُ العدل.

قوله: (داوِموا ... إلخ) دفعَ بذلك ما يُقال: إنَّ فيه تحصيلَ الحاصل، والمعنى: دُوموا على الإيمان بفعل الطاعات؛ لأنَّ فعلها يزيدُ في الإيمان، ولا تكونوا ممَّن بدَّلَ وغيَّرَ ممَّنْ سيأتي ذكرُهم والتشنيعُ عليهم.

قوله: (بمعنى: الكتب) أي: فـ(أل) للجنس.

قوله: (في الفعلين) أي: ﴿نَزَّلَ﴾ و﴿أَنزَلَ﴾، وفاعل الإنزال هو اللهُ تعالى[3].

---

(١) نقلاً عن الشيخ الآجهوري في «الكوكبين». انظر «الفتوحات» (١/ ٤٣٤).

(٢) حيث جعل اللَّيَّ والإعراضَ بمعنًى، وسبق لعطفِ الترادف أمثلةٌ، وذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» كما في «إثمد العينين» للكرخي، وانظر «الفتوحات» (١/ ٤٣٤).

(٣) قرأ نافع والكوفيون على بناء الفعلين للفاعل، وهو الله تعالى، والباقون على بنائهما للمفعول. انظر «الدر المصون» (٤/ ١١٩).

وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ....

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عَنِ الحقِّ.

١٣٧ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِمُوسَى وهُم اليَهُودُ، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ بِعِبادَةِ العِجلِ، ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا۟﴾ بَعدَه، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ بِعِيسى، ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بِمُحمَّدٍ، ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقامُوا علَيهِ، ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾: طَرِيقاً إلى الحَقِّ.

١٣٨ ﴿بَشِّرِ﴾: أَخبِرْ يا مُحمَّد ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾) أي: بشيء من ذلك؛ بأن أنكرَ صفةً من صفات الله، أو سبَّ ملائكته، أو أنكرَ الكتبَ السَّماوية، أو سبَّ رُسلَهُ، أو أنكرَ رسالتهم، أو لم يُصدِّقْ باليوم الآخر، فالكفرُ بواحدٍ من هذه المذكورات كافٍ في استحقاق الوعيد؛ لأنَّ الإيمانَ بكلٍّ واحد أصلٌ من أصول الدين.

قوله: (بعده) أي: بعد رجوعه إليهم من المناجاة.

قوله: (ما أقاموا عليه) أي: مدَّةَ إقامتهم عليه، ودفعَ بذلك ما يُقال: إن ظاهرَ الآية يقتضي عدمَ المغفرة لهم ولو تابوا، فأفادَ أنَّ عدمَ المغفرة لهم مقيَّدٌ بمدة إقامتهم على الكفر، أمَّا إن تابوا ورَجعوا عنه.. فإن الله يقبلُ توبتهم، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]. وخبرُ (كان) في الآية محذوفٌ، وهو متعلَّقُ اللام، تقديرُهُ: لم يكن الله مريداً ليغفرَ لهم، والفعل منصوب بـ(أن) مُضمرة بعد هذه اللام؛ لأنها لامُ الجحود، والفعل في تأويل مصدر معمول لـ(مريداً)، التقديرُ: لم يكن الله مريداً غفرانَ كفرِهم.

قوله: (﴿بَشِّرِ﴾) البشارةُ في الأصل: هي الخبرُ السارُّ، سُمِّيَ بذلك لأنه يغيِّرُ البشرةَ؛ أي: الجِلدة.

قوله: (أخبر) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ بالبشارة هنا: مطلقُ الإخبار، وسمَّاه بشارةً؛ تهكُّماً بهم، وإشارةً إلى أن وعيدَهم بالعذاب لا يخلفُ كما أن وعدَ المؤمن بالخير لا يُخلف، وفي الكلام استعارةٌ تبعيَّةٌ؛ حيث شبِّهت النذارة بالبشارة، واستُعيرَ اسمُ المشبَّه به، واشتُقَّ من البشارة (بَشِّرْ)

ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ ....

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلماً هو عذابُ النَّار.

﴿١٣٩﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ بَدَلٌ أو نَعتٌ لِـ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ ـ ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لِما يَتوهَّمُون فِيهِم مِن القُوَّة، ﴿أَيَبْتَغُونَ﴾: يَطلُبُون ﴿عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾؟ ـ استِفهامُ إنكارٍ ـ أي: لا يَجِدُونَها عِندَهم، ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدُّنيا والآخِرةِ، ولا يَنالُها إلَّا أولياؤُهُ.

﴿١٤٠﴾ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ ....

حاشية الصاوي

بمعنى: أنذر، والجامعُ التأثُّرُ في كلٍّ؛ لأنَّ من سمعَ الخبرَ الضارَّ تأثَّر به، ومن سمعَ الخبرَ السارَّ تأثَّر به.

قوله: (﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾) أي: وهم الذين يُسِرُّون الكفرَ ويظهرون الإسلامَ، والنفاقُ قسمان: عَملي واعتقادي، فالعمليُّ أشارَ له ﷺ بقوله: «**إذا حدَّثَ كذب، وإذا وَعدَ أخلف، وإذا اؤْتُمنَ خان**»[1]، والاعتقادي: هو إظهارُ الإسلام وإخفاءُ الكفر.

قوله: (﴿أَوْلِيَآءَ﴾) أي: أصحاباً يوالونهم ويستعزُّون بهم؛ لزعمهم أنَّ الكفارَ لهم اليدُ العليا، وأنَّ الإسلامَ سيُهدمُ لقلَّة أهلِه.

قوله: (استفهام إنكاري) أي: بمعنى النفي.

قوله: (إلا أولياؤه) أي: المؤمنون، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

قوله: (﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾) أي: يا أيُّها المؤمنون، والذي نزلَ هو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وهذا نزلَ بمكة؛ لأنَّ المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزؤون به، فلمَّا هاجرَ النبيُّ إلى المدينة صارَ اليهودُ يفعلون مثلَ المشركين، وكان المنافقون يَجلسون إليهم ويسمعون منهم الخوضَ ويستهزؤون معهم، فنهى اللهُ المؤمنين عن مُجالستهم والقعودِ معهم.

---

(١) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ﴾

- بِالبِناءِ لِلفاعِلِ والمَفعُولِ - ﴿عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: القُرآنِ في (سُورَة الأنعام)، ﴿أَنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ، واسمُها مَحذُوف - أي: أَنَّهُ ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: القُرآنَ ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ أي: الكافِرِين والمُستَهزِئين، ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا﴾ إن قَعَدتُم مَعَهُم ﴿مِثْلُهُمْ﴾ في الإثمِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالبناء للفاعل) والفاعلُ ضميرٌ يعودُ على الله، و(أنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مفعوله، وهذا على كونه مشدَّداً، وقُرِئَ بالبناء للفاعل مخفَّفاً، فـ(أن) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر فاعل، وقوله: (والمفعول) أي: مشدَّداً، و(أنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر نائب فاعل[1].

قوله: (﴿يُكْفَرُ بِهَا﴾) أي: إما مِن غير استهزاء وهو الواقعُ من المشركين واليهود، أو مع الاستهزاء وهو الواقعُ من المنافقين.

قوله: (أي: الكافرين) أي: كالمشركين أو اليهود، وقوله: (والمستهزئين) أي: وهم المنافقون، وسُمُّوا مُستهزئين لقولهم إذا خلَوا إلى شياطينهم: إنا معكم إنما نحن مُستهزؤون.

قوله: (﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾) أي: غير الحديث المتقدِّم من الكفر والاستهزاء.

قوله: (﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾) أي: مشاركون لهم في الإثم، قال بعضهم: [المتقارب]

وَسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَماعِ القَبِيْحِ ... كَصَوْنِ اللِّسانِ عَنِ النُّطْقِ بِهْ
فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ القَبِيحِ ... شَرِيكٌ لِقائِلِهِ فَانْتَبِهْ[2]

قوله: (في الإثم) أي: كفراً أو غيره، فالراضي بالكُفر كافر، والراضي بالمحرَّم عاصٍ، وبالجملة: فجليسُ الطائع مِثله، وجليسُ العاصي مثله.

قوله: (﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ﴾ ... إلخ) هذا كالعِلة والدليل لقوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾.

---

(١) قرأ الجماعة بالبناء للمفعول، وقرأ عاصم بالبناء للفاعل مشدداً، وأبو حيوة وحميد بالبناء للفاعل مخففاً. انظر «الفتوحات» (١/ ٤٣٥).

(٢) الشعر متنازع النسبة، ونُسب لمحمود الوراق، وانظر «ديوانه» (ص٢٦٧).

جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ....

﴿جَمِيعًا﴾ كما اجتَمَعُوا في الدُّنيا على الكُفرِ والاستِهزاءِ.

﴿١٤١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ بَدَلٌ مِن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قَبلَه ـ ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾: يَنتظِرُون ﴿بِكُمْ﴾ الدَّوائِرَ؛ ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾: ظَفَرٌ وغَنِيمةٌ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ﴾ لَكُم: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدِّين والجِهاد؟ فأعطُونا مِن الغَنِيمةِ، ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ مِن الظَّفَر علَيكُم ﴿قَالُوٓاْ﴾ لَهُم: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾: نَستَولِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونَقدِرْ على أخذِكُم وقَتلِكُم، فأبقَينا علَيكُم؟ ﴿وَ﴾ أَلَم ﴿نَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أن يَظفَرُوا بِكُم بِتَخذِيلِهم ومُراسَلَتِكُم بأخبارِهم؟ فَلَنا علَيكُم المِنَّةُ، قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبَينَهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بِأن يُدخِلَكُم الجنَّةَ ويُدخِلَهُم النَّار، ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾: طَرِيقاً بِالاستِئصالِ.

حاشية الصاوي

قوله: (من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبله) أي: وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، والأحسنُ: أنه نعتٌ ثانٍ لِـ ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾.

قوله: (﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾) أي: بأن كانت الغلبةُ للمؤمنين، والخذلانُ للكفَّار.

قوله: (من الظفر عليكم) أي: كما وقع في أُحُد.

قوله: (﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾) الاستحواذُ: الاقتِدار والاستيلاء.

قوله: (فأبقينا عليكم) أي: رَفِقنا بكم ورحمناكم.

قوله: (فلنا عليكم المنَّة) أي: فأعطونا نصيباً من الدنيا، فهم لا حظَّ لهم غيرُ أخذ المال.

قوله: (بالاستئصال) دفعَ بذلك ما يُقال: إن الكفارَ بالمشاهدة لهم سبيلٌ على المؤمنين في الدنيا، فأجابَ المفسِّرُ: بأن معنى ذلك: أن الكفارَ لا يستأصلون المؤمنين، ويُجاب أيضاً: بأن المرادَ: في القيامة، فلا يُطالبونا بشيء يومَ القيامة، أو المرادُ: سبيلاً بالشرع؛ فإن شريعةَ الإسلام ظاهرةٌ إلى يوم القيامة، فمن ذلك: أن الكافرَ لا يَرِثُ المسلم، وليس له أن يملكَ عبداً مسلماً، ولا يُقتلُ المسلم بالذميِّ.

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ ....

﴿١٤٢﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بإظهارِ خِلافِ ما أبطَنُوهُ مِن الكُفر لِيَدفَعُوا عنهُم أحكامَهُ الدُّنيويَّة، ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾: مُجازِيهِم على خِداعِهِم؛ فيَفتَضِحُون في الدُّنيا بإطلاعِ الله نَبِيَّه على ما أبطَنُوه، ويُعاقَبُون في الآخِرةِ، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مع المُؤمِنين ﴿قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾: مُتَثاقِلِين، ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ بِصَلاتِهم، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾: يُصَلُّون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رِياءً.

﴿١٤٣﴾ ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾: مُتَرَدِّدِين ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الكُفرِ والإيمانِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾) أي: ورسوله، وهذا بيانٌ لبعض قبائحهم.

قوله: (بإظهارهم خلاف ما أبطنوه) أي: من إظهار الإيمان وإخفاءِ الكفر.

قوله: (فيفتضحون في الدنيا) أي: ويفتضحون في الآخرة أيضاً؛ لما رُوِيَ: «**أنه يومَ القيامة حين يمتازُ الكفَّارُ من المؤمنين تبقى هذه الأمة وفيها مُنافقوها، فيتجلَّى اللهُ لهم فيخرُّ المؤمنون سُجَّداً، والمنافقون يصيرُ ظهرهم طبقاً فلا يستطيعون السجود**»[1]، ورُوِيَ: «**أنهم يُعطَون على الصراط نوراً كما يعطى المؤمنون، فيَمضون بنورهم، ثم يطفأُ نورُهم، ويبقى نورُ المؤمنين، فينادون المؤمنين: انظرونا نقتبِسْ من نوركم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ...﴾ [الحديد: ١٣] الآية**»[2].

قوله: (﴿كُسَالَىٰ﴾) أي: لِعدم الداعية في قلوبهم، وهو نصبٌ على الحال، والكسَل: الفتورُ والتواني، وقوله: (﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾) أي: النبيَّ وأصحابَهُ، والمعنى: أنهم يقصدون بصلاتهم النجاةَ من النبيِّ وأصحابه، والجملةُ حالٌ من ﴿كُسَالَىٰ﴾.

قوله: (يصلون) إنما سُمِّيت الصلاة ذكراً؛ لأنها اشتمَلَتْ عليه.

قوله: (﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾) حالٌ من فاعل ﴿يُرَآءُونَ﴾، وحقيقةُ المذبذَب: ما يذبُّ ويدفعُ عن كلا الجانبين مرَّة بعد أخرى، وقد أفادَهُ المفسِّرُ بقوله: (مُتردِّدين).

---

(١) رواه البخاري (٤٩١٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٤٣٦)، وأصله عند مسلم (١٩١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ....

﴿لَآ﴾ مَنسُوبِين ﴿إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: الكُفَّارِ ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: المُؤمِنِين، ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾هُ ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾: طَرِيقاً إلى الهُدى.

﴿١٤٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِمُوالاتِهم ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: بُرهاناً بَيِّناً على نِفاقِكُم.

﴿١٤٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ﴾: المَكانِ ﴿ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وهو قَعرُها، ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانِعاً مِن العَذاب.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ... إلخ) متعلِّقٌ في الموضعين بمحذوف حال من ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾، قدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: (مَنسوبين).

قوله: (الكفار) أي: فيقتلون ويترتَّبُ عليهم أحكامه، وقوله: (أي: المؤمنين) أي: فينجون في الدنيا والآخرة.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) خطابٌ للمؤمنين الخُلَّص.

قوله: (﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) أي: كما فعلَ المنافقون فيترتَّبَ عليه الوعيدُ العظيم، فاحذرُوا ذلك.

قوله: (﴿أَتُرِيدُونَ﴾) الاستفهامُ إنكاريٌّ بمعنى النفي؛ أي: لا تريدون ذلك.

قوله: (﴿فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾) الدركاتُ بالكاف: منازلُ أهل النار، والدرجاتُ بالجيم: منازلُ أهل الجنة.

قوله: (وهو قعرُها) أي: لأنها سبعُ طبقات: العليا: لِعُصاة المؤمنين وتُسمَّى جهنم، والثانيةُ: لظَى للنصارى، والثالثةُ: الحطمةُ لليهود، والرابعةُ: السعيرُ للصابئين، والخامسةُ: سَقر للمجوس، والسادسةُ: الجحيم للمشركين، والسابعةُ: الهاوية للمنافقين وفرعون وجُنوده؛ لقوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ ....

﴿١٤٦﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ مِن النِّفاقِ ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ عَمَلَهم ﴿وَٱعْتَصَمُوا۟﴾: وَثِقُوا ﴿بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ مِن الرِّياءِ، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فِيما يُؤتَونَه، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآخِرةِ هو الجنَّة.

﴿١٤٧﴾ ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ نِعَمَه ﴿وَءَامَنتُمْ﴾ به، ـ والاستِفهامُ بِمعنى النَّفي ـ أي: لا يُعذِّبُكم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ لِأعمالِ المُؤمِنِين بالإثابةِ، ﴿عَلِيمًا﴾ بِخَلقِه.

﴿١٤٨﴾ ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾) استثناءٌ من قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾.

قوله: (﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾) ﴿مَّا﴾: استفهامية، والباء: سببيَّة، والاستفهامُ إنكاريٌّ بمعنى النفي؛ أي: لا يفعل بعذابكم شيئاً حيث حسُنَتْ توبتُكم، ويصحُّ أن تكون ﴿مَّا﴾ نافية، والباء: زائدة، ومدخولها مفعول لقوله: ﴿يَفْعَلُ﴾، والمعنى: ما يَفعل عذابكم؛ أي: لا يعذبُكم حين صدقت التوبة، فالمآلُ في المعنين واحد[1].

قوله: (﴿وَءَامَنتُمْ﴾) عطفُ خاصٍّ على عامٍّ، أو مسبَّب على سبب؛ لأنَّ الشكرَ سببٌ في الإيمان، فإن الإنسانَ إذا تذكَّرَ نعمَ الله.. حمَلته على الإيمان.

قوله: (﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾) هذا مرتَّبٌ على ما تقدَّمَ من ذكر أحوال المنافقين؛ أي: فلا تتوهم أيُّها العاقل من تَقبيح الله لبعض عَبيده: أنه يجوزُ لكلِّ أحد التقبيحُ لمن علم منه سوءاً أو ظنَّه فيه، وسببُ نزولها: أن رجلاً استضافَ قوماً فلم يُحسنوا ضيافتَهُ، فلمَّا خرجَ تكلَّمَ فيهم جهراً بسوء[2].

وقيل: إن سببَ نزولها: أن رجلاً نالَ من أبي بكر والنبيُّ ﷺ حاضرٌ، فسكت عنه مراراً، ثم ردَّ

---

(١) كذا في «الدر المصون» (٤/ ١٣٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٤٥) عن مجاهد.

مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ....

﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ مِن أحَدٍ، أي: يُعاقِبُهُ علَيهِ، ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فلا يُؤاخِذُه بِالجَهرِ بِه، بِأن يُخبِرَ عن ظُلمِ ظالِمِه ....

حاشية الصاوي

عليه، فقامَ النبيُّ ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسولَ الله؛ شتَمني فلم تقُلْ شيئاً، حتى إذا رددتُ عليه قمتَ! فقال له: «**إنَّ ملكاً كان يجيبُ عنك، فلمَّا رددتَ عليه ذهبَ المَلَكُ وجاء الشيطان، فقُمتُ**» فنزلَت[١].

وقوله: (﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾) هو اسمٌ جامع لكلِّ فحش؛ كالبرِّ فإنه اسم جامع لكلِّ خير.

وقوله: (﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾) بيانٌ لـ﴿ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾، ومثلُ القول الفعلُ، فلا مفهومَ للجهر ولا للقول، وإنما خُصَّا؛ لأنهما سببُ النزول ولِكونهما الغالبَ.

قوله: (**من أحد**) قدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أن فاعل المصدر محذوفٌ، وهو من المواضع التي يَنقاس فيها حذفُ الفاعل، وقد جمعَها بعضُهم بقوله: [الكامل]

عِـنْـدَ الـنِّـيـابَـةِ مَـصْـدَرٍ وَتَـعَـجُّـبٍ وَمُـفَـرَّغٍ يَـنْـقـاسُ حَـذْفُ الـفـاعِـلِ[٢]

قوله: (**أي: يعاقبه**) دفعَ بذلك ما يُقال: إن الحبَّ والبغضَ معنًى قائم بالقلب، وهو مستحيلٌ على الله، فأجابَ: بأن المرادَ لازمُهُ وهو العقاب؛ لأنَّ من غضبَ من أحَد عاقبَهُ.

ودخلَ في الجهر بالسوء التعريضُ، والسخريةُ به، والغيبةُ، والنَّميمةُ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ...﴾ [الحجرات: ١١] الآية، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ [الحجرات: ١٢] إلى غير ذلك، وفي الحديث: «**إن الرجلَ يتكلَّمَ بالكلمة الواحدة يَهوي بها في النار سبعين خريفاً**»[٣].

قوله: (**بأن يخبر عن ظلم ظالمه**) أي: لمن ينصفُهُ، بأن يقولَ: شتَمني، أو غصبَني، أو أخذَ مالي، أو ضربَني مثلاً.

---

(١) رواه أبو داوود (٤٨٩٦) عن سعيد بن المسيب، وانظر «تفسير الخازن» (١/ ٤٤١).

(٢) قوله: (عند النيابة) أي: وينوب عنه المفعول، وعند المصدر كما هنا، وكقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا﴾، وعند التعجب كقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾، وقصد بالمفرَّغ الاستثناءَ المفرَّغ؛ نحو: ما قام إلا هند.

(٣) بهذا اللفظ رواه الترمذي (٢٣١٤)، وأصله في «الصحيحين».

وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ

ويَدعُوَ عليهِ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لِما يُقالُ، ﴿عَلِيمًا﴾ بما يُفعَل.

﴿١٤٩﴾ ﴿إِن تُبْدُواْ﴾: تُظهِرُوا ﴿خَيْرًا﴾ مِن أعمالِ البِرِّ، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: تعمَلُوه سِرًّا، ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾: ظُلمٍ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

﴿١٥٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بِأن يُؤمِنوا

حاشية الصاوي

قوله: (ويدعو عليه) أي: بدعاءٍ جائز؛ مثل: اللهمَّ؛ خلِّصْ حقِّي منه، أو جازِهِ، أو انتقمْ ممَّنْ ظلمني، أو خُذْ لي بثأري منه، ولا يجوزُ الدعاءُ على الظالم بسوء الخاتمة على المعتمَد ولو بلغَ في الظلم مهما بلَغ، ولا بخراب دِياره أو هلاكه مثلاً، والصبرُ وعدمُ الدعاء أجملُ، وهو مقامٌ عظيم؛ ولِذا أُمِر به ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقوله: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ أي: مثلاً، ومثلُهُ: المستَفتي والمستغيثُ والمحذِّرُ والمعرِّفُ والمتجاهر، وقد جمعَها بعضُهم بقوله: [الوافر]

تَـظَـلَّـمْ وَاسْـتَـغِـثْ وَاسْـتَـفْـتِ حَـذِّرْ ... وَعَـرِّفْ بِـدْعَـةَ فِـسْـقَ الـمُـجَـاهِـرْ[1]

وجُمعت أيضاً في قول بعضهم: [الكامل]

لَـقَـبٌ وَمُـسْـتَـفْـتٍ وَفِـسْـقٌ ظَـاهِـرُ ... مُـتَـظَـلِّـمٌ وَمُـعَـرِّفٌ وَمُـحَـذِّرٌ[2]

قوله: (لما يُقال) أي: من الظالم والمظلوم، وقوله: (بما يفعل) أي: من الظالم والمظلوم.

قوله: (من أعمال البرِّ) أي: كالصلاةِ والصدقة وفِعل المعروف وحُسنِ الظن.

قوله: (﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾) هذا هو محطُّ الفائدة؛ بدليل قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾، وهذا بيانٌ للخلق الكامل، فالعفوُ والمسامحة أجلُّ وأعلى من الانتِصار.

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ ... إلخ) دليلُ الجواب، والجوابُ محذوفٌ تقديرُهُ: يعفو عنكم.

قوله: (﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ﴾ ... إلخ) عطفُ سببٍ على مسبَّب؛ أي: فكفرُهم بالتفرقة، لا باعتقاد الشريك لله مثلاً.

---

(١) «شرح مختصر خليل» للخرشي (٣/ ١٧١).

(٢) «حاشية البجيرمي على الخطيب» (٣/ ٤١٠)، وعنى باللقب نحو: الأعمش والأعرج.

﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ ....

بِه دُونَهم ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ مِن الرُّسُلِ ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ مِنهُم، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الكُفرِ والإيمانِ ﴿سَبِيلًا﴾: طَرِيقاً يَذهبُون إلَيه.

﴿١٥١﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ ـ مَصدَر مُؤكِّدٌ لِمَضمُونِ الجُملةِ قَبلَه ـ، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: ذَا إهانَةٍ هو عَذابُ النَّار.

﴿١٥٢﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ كُلِّهِم، ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (من الرسل) أي: كموسى وعيسى.

قوله: (﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾) أي: كمحمد.

قوله: (طريقاً يذهبون إليه) أي: واسطة بين الإيمان والكفر، وهو الإيمانُ ببعض الأنبياء، والكفرُ ببعض.

قوله: (مصدر مؤكّد) أي: وعاملُهُ محذوف، ويُقدَّرُ مؤخَّراً عن الجملة المؤكِّد لها، تقديرُهُ: أحقُّهُ حقًّا، نظير: زيدٌ أبوك عطوفاً[1]، قال ابن مالك: [الرجز]

وَإِنْ تُـؤَكِّـدْ جُـمْـلَـةً فَـمُـضْـمَـرُ ... عَـامِـلُـهـا وَلَـفْـظُـهـا يُـؤَخَّـرُ[2]

ويصحُّ أن يكون حالاً من قوله: ﴿هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: حال كون كفرهم حقًّا؛ أي: لا شكَّ فيه.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) مقابل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾، وقوله: (﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟﴾) مُقابل قوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟﴾.

قوله: (﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾) أي: في الإيمان؛ بأن يُؤمنوا بجميعهم.

---

(١) التنظير من حيث تقدير العامل مؤخراً عن الجملة، وإلا.. فإعراب (عطوفاً) حال.

(٢) «الخلاصة»: (باب الحال).

أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ....

ـ بِالنُّونِ والياء ـ ﴿أُجُورَهُمْ﴾: ثوابَ أعمالِهِم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِأوليائِه، ﴿رَّحِيمًا﴾ بِأهلِ طاعَتِه.

﴿١٥٣﴾ ﴿يَسْـَٔلُكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليَهُودُ ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ جُملةً كما أُنزِل على مُوسى؛ تَعَنُّتاً، فإن استَكبَرْتَ ذلكَ ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟﴾ أي: آباؤُهم ﴿مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ﴾: أعظَمَ ﴿مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: عِياناً، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: المَوتُ

حاشية الصاوي

قوله: (**بالنون والياء**) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، وعلى النون فيكون فيه التفاتٌ من الغيبة للتكلُّم؛ لأنَّ الاسمَ الظاهر من قَبِيل الغيبة.

قوله: (﴿يَسْـَٔلُكَ﴾) أي: سؤالَ تعنُّت وعِناد؛ فلذا لم يبلغهم الله مرادَهم، ولو كان سؤالُهم لطلب الاسترشاد.. لأُجِيبوا.

قوله: (**وهم اليهود**) أي: أحبارهم.

قوله: (﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾) أي: فقالوا: إن كنت نبيًّا فائتنا بكتاب محرَّرٍ بخطٍّ سماوي في ألواح كما أُنزلت التوراة.

قوله: (**تعنُّتاً**) مفعولٌ لأجله؛ أي: فالحاملُ لهم على السؤال التعنُّتُ والعناد، لا الاسترشادُ، وإلا.. لأُجِيبوا.

قوله: (**فإن استكبرت ذلك**) قدَّرَه؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ﴾ جوابُ شرط محذوف، والمعنى: إن استَعظَمْتَ سؤالَهم فقد وقعَ من أصولهم ما هو أعظَمُ من ذلك.

قوله: (**أي: آباؤهم**) أي: وإنما نُسِبَ السؤالُ لهم؛ لأنهم راضون بها، فكأنها وقعَتْ منهم.

قوله: (﴿فَقَالُوٓا۟﴾) تفسيرٌ لـ﴿سَأَلُوا۟﴾، على حدِّ: «توضَّأَ فغسلَ وجهه».

قوله: (**عياناً**) أي: مُعايِنين له، وذلك أن موسى عليه السلام خرجَ مع سبعين من بني إسرائيل إلى الجبل، فقالوا: أرِنا الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة.

---

(١) الجمهور قرؤوا بنون العظمة، وحفص عن عاصم بالياء. انظر «الدر المصون» (٤/ ١٣٩).

بِظُلْمِهِمْۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ ....

عِقاباً لَهُم ﴿بِظُلْمِهِمْۚ﴾ حيثُ تعنَّتُوا في السُّؤال، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ إلَهاً ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: المُعجِزاتُ على وَحدانِيَّة الله، ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ﴾ ولَم نَستَأصِلْهُم، ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: تَسلُّطاً بَيِّناً ظاهِراً علَيهِم، حيثُ أمَرَهُم بِقَتلِ أنفُسِهم تَوبةً، فأطاعُوهُ.

﴿١٥٤﴾ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجَبَل ﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ بِسَبَبِ أخذِ المِيثاق علَيهِم لِيَخافُوا فيَقْبَلُوه، ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ وهو مُظِلٌّ علَيهِم: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾: بابَ القَريةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾) ﴿ثُمَّ﴾: للترتيب؛ لأن سؤالَ هؤلاء السبعين كان قبلَ عبادةِ العجل، وهم غيرُ السبعين الذين اختارَهم للشفاعة في قَبول توبة مَنْ عبدَ العجل، وتقدَّمَ ذلك في سورة (البقرة) فانظره[1].

قوله: (المعجزات) أي: كالعصا، واليَد البيضاء، والسنين، وفَلْقِ البحر.

قوله: (﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ﴾) أي: قبلنا توبتَهم بقتل أنفسهم، والمقصودُ من ذلك: استدعاؤُهم إلى التوبة، كأنه قيل: إن هؤلاء مع قُبح فعلهم قبلَ اللهُ توبتَهم، فتوبوا أنتم أيضاً حتى يعفوَ عنكم.

قوله: (﴿سُلْطَٰنًا﴾) أي: قهراً عظيماً وسلطنةً جليلة.

قوله: (فأطاعوه) أي: فقُتلَ منهم سبعون ألفاً في يوم واحد.

قوله: (﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾) أي: حين جاءَهم موسى بالتوراة وفيها الأحكام، فامتنعوا من قَبولها، فرفع اللهُ فوقَهم الطورَ، فخافوا من وُقوعه عليهم، فقبلوه وسجدوا على جبينهم وأعيُنهم تنظرُ له، فصارَ ذلك فيهم إلى الآن.

قوله: (فيقبلوه) أي: الميثاقَ، ولا يَنقضوه.

قوله: (وهو مظلٌّ عليهم) أي: مرفوعٌ عليهم، والتقييدُ بذلك سبقُ قَلم؛ لأن القول لهم حين

---

(١) تقدم (١/ ١٥٣)، ووقع في (ط١) عبارات مقاربة، ضُرِبَ عليها في (أ) وصُحِّحت، وتمَّ إثباتُ المُصحَّح، ومنها: (ثم: للترتيب الذكري الإخباري؛ لأن عبادة العجل كانت قبل ذلك).

سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ ....

﴿سُجَّدًا﴾ سُجودَ انحِناءٍ، ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟﴾ ـ وفي قِراءةٍ بِفَتحِ العَين وتَشدِيد الدَّال، وفِيه إدغامُ التَّاء في الأصلِ في الدَّال ـ أي: لا تَعتَدُوا ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ بِاصطِيادِ الحِيتانِ فِيه، ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك فنَقَضُوه.

﴿١٥٥﴾ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ ـ (ما) زائِدةٌ، والباء لِلسَّبَبِيَّة مُتعلِّقة بِمَحذُوفٍ ـ أي: لَعَنَّاهُم بِسَبَبِ نَقضِهِم ﴿مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ﴾ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ....

حاشية الصاوي

دخول القرية كان بعد مُدَّة التِّيه، وتلك القرية قيل: هي بيتُ المقدس، وقيل: أريحا، والقول قيل: على لسان موسى، وقيل: على لسان يوشع بن نون، وهي قرية الجبَّارين، وأما رفعُ الجبل فكان قبل دخولهم التِّيهَ حين جاءتهم التوراة فلم يُؤمنوا بها.

قوله: (سجود انحناء) أي: خضوع وتذلُّل، فخالفوا ودخلُوا يزحفون على أستاهِهم، وتقدَّم بسطُ ذلك في (البقرة)[١].

قوله: (﴿لَا تَعْدُوا۟﴾) بسكون العين وضمِّ الدال من: عدَا يَعدو بمعنى: جار، وأصلُهُ: تَعْدُوُوا بضم الواو الأولى وهي لامُ الكلمة، استُثقلت الضمة عليها فحذفت، فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، ووزنه: (تَفْعُوا).

قوله: (وفي قراءة بفتح العين) أي: فأصله: تَعْتَدُوا، قلبت التاء دالاً ثم أُدغِمت في الدال، والمعنى: أنهم نُهُوا عن الاعتداء في السبت بصيد السمك، فخالف بعضُهم واصطاد، وامتنعَ بعضُهم من غير نهي للآخرين، وامتنعَ بعضُهم مع نهي مَن اصطاد، فحلَّ بمن اصطادَ العذاب، ونجى من نهى، وسيأتي بسطُ ذلك في سورة (الأعراف)[٢].

قوله: (﴿مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾) أي: إنهم إن خالفوا عذَّبَهم الله بأيِّ نوعٍ من العذاب أراده.

قوله: (﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾) أي: القرآن أو كِتابهم.

قوله: (﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾) أي: حتى في زعمهم؛ أي: فهُم مُقرُّون بأن القتل بغير وجه.

---

(١) انظر (١/ ١٥٥-١٥٨).

(٢) سيأتي (٢/ ٦٢٠).

قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ .....

﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ لا تَعِي كَلامَك، ﴿بَلْ طَبَعَ﴾: خَتَمَ ﴿ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فلا تَعِي وَعظاً، ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ مِنهُم، كعبدِ الله بن سَلامٍ وأصحابِه.

﴿١٥٦﴾ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ ثانياً بِعِيسى، ـ وكَرَّرَ الباءَ لِلفَصلِ بَينه وبَين ما عُطِفَ عليه ـ ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ حيثُ رَمَوها بِالزِّنى.

﴿١٥٧﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مُفتَخِرين: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ في زَعمِهم، أي: بِمَجمُوعِ ذلك عَذَّبناهُم، قال تَعالى تكذِيباً لَهُم في قَتلِه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾) أي: غشيت وغطِّيت بغطاء معنويٍّ لا حسِّي، كما قالوا تهكماً، بمعنى: أنهم صمٌّ بكمٌ عميٌ لا يهتدون للحقِّ ولا يَعُونَهُ.

قوله: (﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾) قيل: إنه مستثنًى من فاعل ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، ورُدَّ: بأن من آمنَ لم يطبَعْ على قلبه، والأحسنُ: أنه مستثنًى من الهاء في قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾ أي: إلا قليلاً فلم يطبَعْ على قلوبهم.

قوله: (ثانياً بعيسى) أي: وأوَّلاً بموسى.

قوله: (وكرَّر الباء) أي: في قوله: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾.

قوله: (للفصل) أي: بأجنبي، وهو قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾.

قوله: (حيث رمَوها بالزنا) أي: منكرين تعلُّقَ قدرة الله بخلق ولد من غير والد، ومعتقدُ ذلك كافر؛ لأنه يلزمُ عليه القول بِقدم العالم؛ لأنَّ كلَّ ولدٍ لا بدَّ له من والد وهكذا.

قوله: (﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾) إن قلتَ: إنهم لم يعترفوا برسالته، بل كفروا به، وقالوا: هو ساحرٌ ابنُ ساحرة! وأجيبَ: بأنهم قالوا ذلك تهكُّماً به، نظير قولِ فرعون لموسى: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، وقولِ مشركي العرب في حقِّ محمد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، وأجيبَ أيضاً: بأنه من كلامه تعالى مدحاً له وتنزيهاً له عن مَقالتهم، فيكون منصوباً بفعل محذوف؛ أي: أمدحُ رسولَ الله.

قوله: (في زعمهم) متعلِّقٌ بقوله: ﴿قَتَلْنَا﴾، والمناسبُ حذفه؛ لأنَّ تكذيبَهم في القتل معلومٌ

وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ ....

﴿وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ﴾ المَقتُولُ والمَصلُوب ـ وهو صاحِبُهم ـ بِعِيسى، أي: ألقَى الله علَيهِ شَبَهه فظَنُّوهُ إيَّاه، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ أي: في عِيسى ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ﴾: مِن قَتلِه؛ حيثُ قال بَعضُهم لَمَّا رَأَوا المَقتُول: الوَجهُ وجهُ عِيسَى والجَسَد ليسَ بِجَسَدِه، فليسَ بِه، وقال آخَرُون: بل هو هو، ﴿مَا لَهُم بِهِۦ﴾: بِقَتلِه ﴿مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ ـ استِثناءٌ مُنقَطِعٌ ـ أي: لَكِن يَتَّبِعُون فِيه الظَّنَّ الَّذي تَخيَّلُوه، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾ ـ حالٌ مُؤكِّدةٌ لِنفيِ القَتلِ ـ.

حاشية الصاوي

من قوله بعد: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾، وفي نسخة: (في زَعمه) بالإفراد، ويكون متعلقاً بقوله: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، وهي أولى.

قوله: (﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ﴾) رُويَ: أن رهطاً من اليهود سبُّوه وأمَّه، فدعا عليهم، فمسخَهم الله قردةً وخنازير، فاجتمعت اليهودُ على قتله، فأخبرَهُ اللهُ بذلك، وكان له صاحبٌ منافق، فقالوا له: اذهب إلى عيسى وأخرجه لنا، فلمَّا دخلَ دار عيسى. أُلقي شبهه عليه، ورُفعَ عيسى إلى السماء، فلمَّا خرجَ إليهم قتَلوه[1].

قوله: (بعيسى) متعلِّقٌ بـ﴿شُبِّهَ﴾، وقوله: (عليه) أي: الصاحب، وقوله: (شبهه) أي: شبه عيسى.

قوله: (استثناء منقطع) أي: لأن اتباعَ الظنِّ ليس من جنس العلم.

قوله: (مؤكدة لنفي القتل) أي: انتفى قتلُهم له انتفاءً يقيناً لا شكَّ فيه، فيُلاحظُ القيدُ بعد وجود النفي، فهو من باب تيقُّن العدم، لا مِنْ عدم التيقن، ومُحصله: أنه نفيٌ للقيد الذي هو اليقين، والمقيدِ الذي هو القتل، ويصحُّ أن يكون حالاً من فاعل ﴿قَتَلُوهُ﴾ أي: ما فعلوا القتلَ في حال تيقُّنهم له، بل فعلوه شاكِّين فيه، وقيل: منصوب بما بعد (بل) من قوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾، ورُدَّ: بأن ما بعد (بل) لا يعملُ فيما قبلها.

---

(١) انظر «الخازن» (١/ ٢٥١).

بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ ....

﴿١٥٨﴾ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في مُلكِه، ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعِه.

﴿١٥٩﴾ ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أحدٌ ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾: بِعِيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أي: الكِتابِيِّ حِينَ يُعايِنُ مَلائكةَ المَوت، فلا يَنفَعُه إيمانُه، أو قَبلَ مَوتِ عِيسى لَمَّا يَنزِلُ قُرْبَ السَّاعةِ، كما ورَد في حَدِيث، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾ عِيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بِما فعَلُوه لَمَّا بُعِثَ إليهِم.

﴿١٦٠﴾ ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ أي: فبِسَبَبِ ظُلمِ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هُم اليَهُودُ ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾) أي: إلى محلِّ رضاه وانفراد حكمه، وهو السماء الثالثة كما في «الجامع الصغير»[1]، أو الثانية كما في بعض المعاريج.

قوله: (حين يعاين ملائكة العذاب) رُوِيَ: أن اليهوديَّ إذا حضرَهُ الموتُ ضربت الملائكةُ وجهه ودُبره، وقالوا له: يا عدوَّ الله؛ أتاك عيسى نبيًّا، فكذَّبت به، فيقول: آمنت بأنه عبدُ الله ورسوله، ويُقال للنصراني: أتاك عيسى نبيًّا، فزعمتَ أنه الله أو ابنُ الله، فيقول: آمنتُ بأنه عبد الله، فأهلُ الكتاب يؤمنون به، ولكن لا ينفعُهم إيمانهم؛ لِحُصوله وقتَ معاينة العذاب[2].

قوله: (أو قبل موت عيسى) هذا تفسيرٌ آخر، وهو صحيحٌ أيضاً، والمعنى: أن عيسى حين ينزلُ إلى الأرض ما مِن أحد يكون من اليهود أو النصارى أو ممَّن يعبدُ غيرَ الله إلا آمن بعيسى، حتى تصيرَ المِلَّةُ كلُّها إسلاميَّة.

قوله: (﴿شَهِيدًا﴾) أي: فيشهدُ على اليهود بالتكذيب، وعلى النصارى بأنهم اعتقدوا فيه أنه ابنُ الله.

قوله: (﴿فَبِظُلْمٍ﴾) الجار والمجرور متعلِّقٌ بـ﴿حَرَّمْنَا﴾، والباء: سببيَّة.

قوله: (هم اليهود) سُمُّوا بذلك؛ لأنهم هادُوا، بمعنى: تابوا ورجعوا عن عبادة العجل.

---

(١) انظر «فيض القدير» (١/ ٤٧) برواية ابن مردويه في «تفسيره».

(٢) كذا في «الخازن» (١/ ٤٤٥) عن شهر بن حوشب.

أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ....

﴿أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ هِي التي في قولِه تعالى: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ...﴾ الآيَة [الأنعام: ١٤٦]، ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ النَّاسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِه صَدًّا ﴿كَثِيرًا﴾.

﴿١٦١﴾ ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ في التَّوراةِ ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بِالرِّشا في الحُكم، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِماً.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾) صفةٌ لـ﴿طَيِّبَٰتٍ﴾ أي: طيبات كانت حلالاً لهم، فلمَّا حُرِّمت عليهم صاروا يقولون: لسنا بأوَّل من حرِّمت عليه، بل كانت حراماً على مَنْ قبلنا، فرَدَّ الله عليهم بقوله: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ...﴾ [آل عمران: ٩٣] الآية.

قوله: (﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾) هذا تفصيلٌ لبعض أنواع الظلم، وكرَّرَ الجارَّ؛ للفصل بين العاطف والمعطوف بقوله: ﴿حَرَّمْنَا﴾، ولم يُكرِّرْه في قوله: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ﴾؛ لعدم الفاصل.

قوله: (صدًّا ﴿كَثِيرًا﴾) أشارَ بذلك إلى أن ﴿كَثِيرًا﴾ صفةٌ لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله: (صدِّهم)، ويصحُّ أن يكونَ المحذوف مفعولاً به، والتقديرُ: خلقاً كثيراً.

قوله: (﴿وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾) الجملةُ حاليَّة.

قوله: (بالرِّشا في الحكم) جمع رِشوة، وهي: ما يُعطيه الشخصُ للحاكم ليحكمَ له، والمقصودُ من ذكر هذه الأمور الاتعاظُ بها وبيانُ أنها حرامٌ في شرعنا أيضاً؛ ففي الحديث: «**كلُّ لحمٍ نبتَ من السحت فالنارُ أولى به**»، قالوا: وما السحت؟ قال: «**الرشوةُ في الحكم**»[1]، فالحاكمُ لا يجوزُ له أن يأخذَ شيئاً على حُكمه، ومثله: الضامنُ وذو الجاه والمقرِضُ؛ ففي الحديث: «**ثلاثةٌ لا تكونُ إلا لله: القرضُ، والضمانُ، والجاهُ**»[2].

قوله: (﴿مِنْهُمْ﴾) أي: وممَّنْ حذا حذوَهم.

قوله: (﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾) أي: وهو الخلودُ في النار.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣)، وفي «البخاري» (٣/ ٩٢) عن ابن سيرين: (كان يقال: السحتُ: الرشوةُ في الحكم).

(٢) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ....﴾

﴿١٦٢﴾ ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ﴾: الثَّابِتُون ﴿فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعَبدِ الله بن سَلام، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: المُهاجِرُون والأنصارُ، ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ﴾ مِن الكُتُب، ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ ـ نَصْبٌ على المَدح، وقُرِئَ بِالرَّفعِ ـ ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ﴾) استدراك على قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، والمعنى: من كان من اليهود وفعلَ تلك الأفعال المتقدمة، وأصرَّ على الكفر ومات عليه.. أعتدنا لهم عذاباً أليماً، وأمَّا من كان من اليهود غير أنه رسخَ في العلم وآمن وعمل صالحاً.. فأولئك سيُؤتيهم أجراً عظيماً.

و﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾: مبتدأ، و﴿فِي ٱلْعِلْمِ﴾: مُتعلق به، وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف حال من ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ، و﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾ خبره، والجملةُ خبرُ ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾.

قوله: (﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾) عطفٌ على ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ عطف مفصَّلٍ على مجمل؛ لأنَّ الإيمانَ وما بعده متنوعٌ ولازمٌ للرسوخ في العلم، فنزَّلَ التغايرَ الاعتباريَّ مَنزلةَ التغاير الذاتي، وهذا على أن المرادَ المؤمنون منهم، وأما على أن المرادَ المؤمنون مِن غيرهم أو ما هو أعمُّ.. فالمغايرةُ ظاهرة، وقوله: (﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ... إلخ) حالٌ من: (المؤمنون والراسِخون).

قوله: (﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾) أي: وهو القرآنُ، وهذه الصفاتُ للإيمان الكامل، فلا يكونَ الإنسانُ كاملَ الإيمان حتى يتعلَّقَ بِجميعها.

قوله: (نصب على المدح) أي: فتكون جملةً مُعترضةً بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما نصبَهم؛ تعظيماً لشأنهم، وما قاله المفسِّرُ هو أحسنُ الأجوبة عن الآية، ويصحُّ أنه معطوفٌ على الكاف في ﴿إِلَيْكَ﴾، ويكون المرادُ بالمقيمين: الأنبياءَ، ويصح أنه معطوف على (ما أنزل)، ويكون المراد بالمقيمِين: الأنبياء أو الملائكة، ويصحُّ أن يكون معطوفاً على الهاء في ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: لكن الراسخون في العلم منهم ومِن المقيمِين.

قوله: (وقرئ بالرفع) أي: وعليها فلا إشكالَ، وهي شاذةٌ وإن وردت عن كثير[1].

---

(١) نقل أسماء القرَّاء بها العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٤٤٧) نقلاً عن «الدر».

وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ....

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ ـ بالنُّون والياء ـ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنَّة.

﴿١٦٣﴾ ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَ﴾ كما ﴿أَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾) أي: المصدِّقون بأن الله يجبُ له كلُّ كمال، ويستحيلُ عليه كلُّ نقص، وقوله: (﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾) أي: يُصدقون بأنه حقٌّ، وما يقعُ فيه صِدق.

قوله: (هو الجنة) أي: الخلودُ فيها، وهو مقابل قوله: ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

قوله: (﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾) قيل: سببُ نزولها: أن مسكيناً وعديَّ بن زيد قالا: يا محمدُ؛ ما نعلمُ أن اللهَ أنزلَ على بشر من شيء من بعد موسى، وقيل: هو جوابٌ لقولهم: لن نؤمنَ لك حتى تُنزِّلَ علينا كتاباً من السماء جملةً واحدة، فالمعنى: إنكم تقرُّون بنبوة نوح وجميع الأنبياء المذكورين في الآية ولم ينزِّلْ على أحدٍ من هؤلاء كتاباً جملةً مثل ما أنزلَ على موسى، فعدمُ إنزال الكتاب جملةً ليس قادحاً في نبوَّتِهم، فكذلك محمدٌ ﷺ.

قوله: (﴿كَمَا أَوْحَيْنَا﴾) يحتملُ أن تكون (ما) مصدرية، والمعنى: كوحينا، وأن تكون اسم موصول والعائدُ محذوف، والتقديرُ: كالذي أَوحَيناه؛ أي: الأحكامَ التي أوحيناها إلى نوح... إلخ.

قوله: (﴿إِلَىٰ نُوحٍ﴾) قدَّمَهُ؛ لأنه أولُ نبيٍّ أرسَله الله لينذرَ الناس من الشرك، وعاش ألف سنة وخمسين عاماً[1]، وهو صابرٌ على أذى قومه لم يَشِبْ فيها ولم تنقُصْ قواه، وهو أوَّلُ الأنبياء أولي العزم، وكان أبا البشر بعد آدمَ؛ لانحصار الناس في ذُرِّيَّته[2].

قوله: (﴿إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾) خصَّه بعد نوح؛ لأن أكثرَ الأنبياء من ذُريته، وهو ابن تارخ، قيل: هو آزر، وقيل: هو أخوه، فآزر عمُّ إبراهيم.

قوله: (﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾) كان نبيًّا ورسولاً بمكة، ثم لمَّا مات نُقلَ إلى الشام.

---

(١) في (أ) حاشية: قوله: (ألف سنة وخمسين) أي: هذا مجموع عمره قبل الطوفان ألف إلا خمسين وبعده مئة على ما قيل.

(٢) قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾.

﴿وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ ....

﴿وَإِسْحَٰقَ﴾: ابنَيهِ، ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ بنِ إسحاقَ ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أولادِه، ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا﴾ أباهُ ﴿دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ بِالفَتحِ: اسمٌ لِلكِتابِ المُؤتَى، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِسْحَٰقَ﴾) كان رسولاً بالشام بعد إسماعيل، وماتَ بها.

قوله: (﴿وَيَعْقُوبَ﴾) هو إسرائيل، ثم يوسف ابنه، ثم شُعيب بن نويب[1]، ثم موسى وهارون ابنا عمران، ثم أيوب، ثم الخضر، ثم داوود بن إيشا، ثم سليمان بن داوود، ثم يونس بن متى، ثم إلياس، ثم ذو الكفل، وكلُّ نبيٍّ ذُكرَ في القرآن فهو من ذرية إبراهيم غير إدريس ونوح وهود ولوط وصالح، ولم يكن نبيٌّ من العرب إلا خمسة: هودٌ، وصالحٌ، وإسماعيلُ، وشعيبٌ، ومحمدٌ ﷺ[2].

قوله: (ابنيه) أي: إبراهيم، إسماعيل من هاجر، وإسحاق من سارة.

قوله: (أولاده) أي: أولاد يعقوب، منهم يوسفُ نبيٌّ ورسولٌ باتفاق، وباقِيهم فيه الخلاف، والصحيحُ: نبوَّتُهم وليسوا رسلاً مُشرعين؛ ولذلك وقع منهم ما يخالفُ الشرعَ ظاهراً للمصالح التي ترتَّبت على تلك المخالفة، وسيأتي ذلك في سورة (يوسف)[3].

قوله: (﴿وَيُونُسَ﴾ بن متى) وفيه لغاتٌ ست: بالواو أو الهمزة مع تثليث النون، والذي قُرِئَ به في السبع ضمُّ النون أو كسرها مع الواو[4]، وقوله: (﴿وَهَٰرُونَ﴾) أي: أخي موسى.

قوله: (اسم الكتاب المؤتى) أي: وهو مئةٌ وخمسون سورة، ليس فيها حكمٌ ولا حلالٌ ولا حرام، بل هو تسبيحٌ وتقديسٌ وتحميدٌ وثناءٌ ومواعظُ، وكان داوود عليه السلام يخرجُ إلى البريَّة فيقومُ ويقرأُ الزبور، وتقومُ عُلماء بني إسرائيل خلفَهُ، ويقوم الناسُ خلفَ العلماء، وتقوم الجنُّ خلف الناس، والشياطينُ خلفَ الجنِّ، وتجيء الدوابُّ التي في الجبال فيَقُمنَ بين يديه، وترفرفُ الطيورُ

---

(١) في ط١: (ثم هود بن عبد الله، ثم صالح ابن آسف) وقد ضرب عليه في (أ).

(٢) «تفسير القرطبي» (٦/ ١٦)، وفيه: (يُوبَبَ) وزان: جعفر، بمثناة تحتية وواو وموحدتين.

(٣) انظر (٣/ ٣٣٧).

(٤) أفصح لغاته: يُونُس بواو خالصة مع نون مضمومة، وقرأ نافع: يُونِس بكسر النون، والنخعي: يُونَس بفتحها، وأيضاً: يُؤْنِس بهمز الواو وتثليث النون. انظر «الفتوحات» (١/ ٤٤٨).

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ ....

والضَّمِّ: مَصدَرٌ بِمعنَى مَزبُوراً، أي: مَكتوباً.

﴿١٦٤﴾ ﴿وَ﴾ أرسَلْنا ﴿رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾، رُوِيَ أنَّه تعالى بَعَثَ ثَمانِيَةَ آلافِ نَبِيٍّ؛ أربَعَةُ آلاف مِن بَني إسرائِيلَ، وأربَعَةُ آلافٍ مِن سائِرِ النَّاس، قالَه الشَّيخ في (سُورةِ غافِرٍ)، ....

حاشية الصاوي

على رُؤوس الناس، وهم يسمعون لقراءة داوود ويتعجَّبون منها؛ لأن اللهَ أعطاه صوتاً حسناً[١].
وقد وردَ: أن أبا موسى الأشعري كان يقرأُ القرآن ليلاً بصوت حسَن، فلمَّا أصبحَ قال له رسولُ الله ﷺ: «قد أعجبتني قراءتُك الليلةَ، كأنك أُعطيتَ مزماراً من مزامير داوود»، فقال أبو موسى: لو علمتُ بك لحبَّرتُهُ لك تحبيراً.[٢]

قوله: (وبالضم) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٣].

قوله: (﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ﴾ ... إلخ) هذا ردٌّ لقول اليهود للمصطفى عليه السلام: إنك لم تذكُرْ موسى مع ما عدَدته من الأنبياء، فهذا دليلٌ على عدم رسالتك، فردَّ ذلك اللهُ بهذه الآية وبما بعدها[٤].

قوله: (روي: أنه تعالى... إلخ) هذه الروايةُ ضعيفة؛ فلذا تبرَّأَ منها المفسِّرُ، والروايةُ المشهورة: أن الأنبياءَ مئةُ ألف ـ وفي رواية: مئتا ألف ـ وأربعةٌ وعشرون ألفاً، الرسلُ منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر[٥]، وبعد ذلك: فالحقُّ أنه لم يَبلغنا عددُهم على الصحيح، وإنما هي أحاديثُ مختلفة تقبلُ الطعنَ؛ كما أفادَهُ الأشياخ.

قوله: (قاله الشيخ) أي: الجلالُ المحليُّ، وقوله: (في سورة «غافر») أي: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٧٢٢)، وانظر «الدر المنثور» (٥/ ٣٠٣).
(٢) كذا رواه البغوي كما في المصدر السابق، وأصله عند البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).
(٣) الضم لحمزة، والفتح لغيره. «الفتوحات» (١/ ٤٤٨).
(٤) «الوسيط» للواحدي (٢/ ١٣٩).
(٥) رواه بنحوه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١).

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ....﴾

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ بِلا واسِطةٍ ﴿تَكۡلِيمٗا﴾.

١٦٥ ﴿رُّسُلٗا﴾ - بدَلٌ مِن (رُسُلًا) قبلَه - ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ بِالثَّوابِ مَن آمَنَ، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بِالعِقابِ مَن كَفَرَ، أرسَلناهُم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ﴾ تُقالُ ﴿بَعۡدَ﴾ إرسالِ ﴿ٱلرُّسُلِۚ﴾ إلَيهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾) أي: أزال عنه الحجابَ، فسمعَ كلامَ الله، وليس المرادُ: أن اللهَ كان ساكتاً ثم تكلَّم؛ لأنَّ ذلك مستحيلٌ على الله تعالى.

قوله: (﴿تَكۡلِيمٗا﴾) مصدرٌ مؤكد لقوله: (كَلَّمَ)، وإنما أكَّدَ رفعاً لاحتمال المجاز؛ لأن اللهَ كلَّمَ موسى بكلامه الأزلي القديم من غير حرف ولا صَوت، ولا كيف ولا انحصار، ولا يَعلمُ اللهَ إلا اللهُ.

قوله: (﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾) هذه اللام لامُ (كي)، ومتعلِّقةٌ بـ(منذرين)[١]، وأضمرَ في الأول وحذف، لأنه من باب التنازع، أعملَ الثاني وأضمرَ في الأول وحذف، وهذا هو الأولى[٢]، ويحتملُ أنه متعلقٌ بمحذوف، تقديره: أرسَلناهم، وعلى ذلك درجَ المفسِّرُ، إلا أن يُقالَ: إنه حلُّ معنًى لا حلُّ إعراب.

قوله: (﴿حُجَّةُۢ﴾) أي: معذرةٌ يَعتذرون بها، وسمَّاها اللهُ حجةً؛ تفضُّلاً منه وكرماً، فأهلُ الفترة ناجُون ولو بدَّلوا وغيَّروا، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا. . .﴾ [طه: ١٣٤] الآية، وما وردَ من تعذيبِ بعض أفراد من أهل الفترة. . فأحاديثُ آحاد لا تقاومُ القطعيَّات؛ كما أفاده أشياخُنا المحقِّقون[٣].

قوله: (﴿بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾) أي: وإنزال الكتب، والمعنى: لو لم يُرسل اللهُ رسولاً. . لكان للناس

---

(١) على المختار عند البصريين، وبـ(مبشرين) عند الكوفيين؛ لأنها من باب التنازع كما ذكر المصنف. انظر «الفتوحات» (١/٤٤٩).

(٢) العبارة في (ط١): (بمنذرين، وأضمر في الأول وحذف، وهذا هو الأولى)، والمثبت من (أ).

(٣) أو لمعنًى يخصُّ ذلك البعض يَعلمه الله تعالى. انظر «حاشية الأمير على عبد السلام» (ص٥٣).

وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ....

﴿فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧]، فبعَثْناهُم لِقَطعِ عُذرِهِم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في مُلكِهِ، ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعِه.

﴿١٦٦﴾ ونَزَلَ لَمَّا سُئِلَ اليَهُود عن نُبوَّته ﷺ فأنكَرُوه: ....

حاشية الصاوي

عذرٌ في ترك التوحيد، فقطعَ اللهُ عذرَهم بإرسال الرسل. والظرف متعلق بالنفي؛ أي: انتفت حجَّتُهم واعتذارُهم بعد إرسال الرسل، وأمَّا قبل الإرسال فكانوا يَعتذرون.

فإن قلتَ: كيف يكونُ للناس حجَّةٌ قبل الرسل مع قيام الأدلَّة التي تدلُّ على مَعرفة الله ووَحدانيَّته؛ كما قيل: [المتقارب]

وفِـي كُـلِّ شَـيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ   تَـدُلُّ عَـلَـى أَنَّـهُ الـوَاحِـدُ[1]

أجيبَ: بأن اللهَ لم يُكلِّفْنا بذلك بمجرَّد العقل، بل لا بدَّ من ضَميمةِ الرسل التي تُنبِّهُ على الأدلة، وشاهدُهُ هذه الآيةُ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾؛ فلِذلك قال أهلُ السنة: إن معرفةَ الله لا تثبتُ إلا بالشرع[2]، خِلافاً للمعتزلة.

قوله: (﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ﴾) ﴿لَوْلَآ﴾: لِلتحضيض، وهو الطلبُ بحثٍّ وإزعاج، ولكن المرادُ بها هنا: العرضُ، وهو الطلبُ بلينٍ ورفق.

قوله: (﴿عَزِيزًا﴾) أي: غالباً قاهراً لغيره، منفرداً بالإيجاد والإعدام، وقوله: (﴿حَكِيمًا﴾) أي: يضعُ الشيءَ في محلِّه.

قوله: (ونزل لما سئل اليهود) أي: حين قال النبيُّ ﷺ لليهود: «أنتم تَشهدون بأنِّي مذكورٌ في كتبكم؟»، فقالوا: لا نشهدُ بذلك، وما نَعلم من بشرٍ أوحيَ إليه بعد موسى، وقيل: إن السائلَ مشركو العرب، حيث قالوا للنبيِّ: إنا نسأل اليهودَ عنك وعن صِفتك في كتابهم، فزعمُوا أنهم لا يعرفونك، فنَزلت[3].

والمعنى: إن أنكروك وكفروا بما أُنزلَ إليك.. فقد كذَبوا فيما قالوا؛ لأنَّ اللهَ يشهدُ لك بِالنبوة والرسالة، ويشهدُ بما أنزلَ إليك.

---

(١) البيت لأبي العتاهية، انظر «ديوانه» (ص٤٥).

(٢) وأثبت السادة الماتريدية المعرفة دون الأحكام بالعقل. «حاشية الباجوري على الجوهرة» (ص٧١).

(٣) «زاد المسير» (١/٤٤٩)، والأول قول ابن عباس، والثاني لابن السائب.

لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ....

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾: يُبيِّن نُبوَّتَك ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ مِن القُرآنِ المُعجِزِ، ﴿أَنزَلَهُۥ﴾ مُلتبِساً ﴿بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: عالِماً بِه أو وفيه عِلمُه، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ لَك أيضاً، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ذَلك.

﴿١٦٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِالله ﴿وَصَدُّوا۟﴾ النَّاسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِ الإسلام، بِكَتمِهِم نَعتَ مُحمَّد ﷺ، وهُم اليَهُود، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾) استدراكٌ على ما ذكر في سبب النزول.

قوله: (من القرآن المعجز) أي: لكلِّ مخلوق، ولم ينزلْ كتابٌ معجزٌ يُتحدَّى به على نبيٍّ من الأنبياء غير نبيِّنا.

قوله: (﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾) أشارَ المفسِّرُ إلى أن الباءَ لِلملابسة، أو بمعنى (في)، والمعنى على الأول: أنزله ملتبساً بعِلمه؛ أي: وهو عالمٌ به؛ لأنَّ التأليفَ يحسنُ على قَدْر علم مؤلِّفه، فحيث كان هذا القرآنُ ناشئاً عن عِلم الله القائم المتعلِّق بكلِّ شيء.. كان في أعلى طبقات البلاغة، فلا يمكن أحداً غيرَهُ الإتيانُ بشيء مثله، والمعنى على الثاني: أنزله والحال أن فيه عِلمه؛ أي: معلوماته الغيبيَّة، بمعنى: أنه مشتملٌ على المغيبات، وعلى مَصالح الخلق وما يحتاجون إليه، فحيث اشتملَ على ذلك.. فهو شاهدُ صدق على أنه مِن عند الله[1]، وإنما خَصَّ القرآن بالذكر؛ لأنَّ إنكارَهم وتعرُّضَهم كان له، ولأنه أكبرُ مُعجزاته.

قوله: (﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾) لفظُ الجلالة فاعل (كفى)، والباء: زائدة، و﴿شَهِيدًا﴾: حال، وقولُه: (على ذلك) أي: على صِحَّة نُبوَّتك، والمعنى: أن شهادةَ الله تُغنيك وتكفيك.

قوله: (﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) أي: منعوا الناسَ من طريق الهدى.

---

(١) والمستدرَك عليه معنًى مفهوم من الجملة؛ أي: هم لا يَشهدون لكن الله يشهد، والباء متعلقة بحال من فاعل (أنزل)، والتقدير: أنزله عالماً به، أو مفعوله، والتقدير: أنزله حال كونه معلوماً له، وقد قال ابن عطية في «تفسيره» (٢/١٣٨): (هذه الآية من أقوى متعلقات أهل السنة في إثبات علم الله تعالى، خلافاً للمعتزلة في أنهم يَقولون: عالم بلا علم)، وهذا على غير تأويل العلم بالمعلوم.

قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ ....

﴿قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ عن الحقِّ.

﴿١٦٨﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَظَلَمُواْ﴾ نَبِيَّه بِكِتمانِ نَعتِه، ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ مِن الطُّرُق.

﴿١٦٩﴾ ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي: الطَّريقَ المُؤَدِّيَ إليها، ﴿خَٰلِدِينَ﴾: مُقَدَّرِينَ الخُلُودَ ﴿فِيهَآ﴾ إذا دَخَلُوها ﴿أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: هَيِّناً.

﴿١٧٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مكَّةَ ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ مُحمَّدٌ ﷺ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾) أي: لأنهم ضَلُّوا في أنفسهم وأضلُّوا غيرَهم، ومن كان هذا وصفَهُ يبعُدُ عنه الهدى.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾) أي: وهُم اليهودُ.

قوله: (﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾) أي: مريداً ليغفرَ لهم؛ حيث ماتُوا على الكفر.

قوله: (﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾) استثناءٌ متصل؛ لأنه مستثنًى من عُموم الطرق، والمرادُ بجهنم: الدارُ المسمَّاةُ الحُطَمة[1]، والمعنى: أنهم لا يهتدون إلى طريق الرشاد أبداً، بل دائماً أعمالُهم تجرُّهم إلى طريق جهنم.

قوله: (﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾) ردَّ بذلك عليهم حيث زعمُوا وقالوا: نحن أبناءُ الله وأحباؤه، ولا يهونُ عليه أن يُعَذِّبَ أحباءَه.

قوله: (أي: أهل مكة) جرى على القاعدة، وهو أن المخاطبَ بـ(يا أيها الناس) أهلُ مكة، ولكن المرادُ العموم.

---

(١) في (أ): (لظَى) بدل (الحطمة)، والمثبت من (ط١) لموافقته لكلام المصنف المتقدِّم في دركات النار، ويحمل ما في (أ) على رواية أن لظَى لِليهود كما جاء في بعض الآثار.

بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ...

﴿بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ﴾ به، واقصِدُوا ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ مِمَّا أنتُم فِيه، ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾ به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعَبِيداً، فلا يَضُرُّه كُفرُكُم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِخَلقِه، ﴿حَكِيمٗا﴾ في صُنعِه بِهم.

﴿١٧١﴾ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: الإنجِيلِ ﴿لَا تَغۡلُواْ﴾: تَتَجاوَزُوا الحَدَّ ﴿فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا﴾ القولَ ﴿ٱلۡحَقَّۚ﴾ مِن تَنزِيهِهِ عن الشَّرِيك والوَلَدِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِٱلۡحَقِّ﴾) متعلقٌ بـ(جاء)، وقوله: (﴿مِن رَّبِّكُمۡ﴾) متعلقٌ بمحذوف حال من (الحق) أي: جاءكم بالحقِّ حال كونِه من ربِّكم.

قوله: (واقصدوا ﴿خَيۡرٗا﴾) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿خَيۡرٗا﴾ مفعول لمحذوف، ويصح أن يكون خبراً لـ(كان) المحذوفة، والتقدير: آمنُوا يكن الإيمانُ خيراً، وهو الأقربُ[1].

قوله: (مما أنتم فيه) أي: وهو الكفرُ على حسَب زَعمكم أن فيه خيراً، وإلا.. فالكفرُ لا خيرَ فيه.

قوله: (فلا يضره كفركم) قدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أن جوابَ الشرط محذوف، وقوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ دليلُ الجواب.

قوله: (﴿حَكِيمٗا﴾ في صنعه) أي: لا يصنعُ شيئاً إلا محكماً مُتقناً.

قوله: (الإنجيل) أي: فالخطابُ للنصارى فقط، ويحتملُ أنه خطابٌ لليهود والنصارى؛ لأنَّ غُلُوَّ اليهود بتنقيص عيسى حيث قالوا: إنه ابنُ زانية، وغلوَّ النصارى بالمبالغة في تعظيمه حيث جعلُوه ابنَ الله.

قوله: (﴿إِلَّآ﴾ القول ﴿ٱلۡحَقَّۚ﴾) أشارَ بذلك إلى أنه صفةٌ لمصدر محذوف.

---

(١) ويصحُّ أن يكون صفة لمصدر محذوف؛ أي: إيماناً خيراً لكم، وهي صفة مؤكدة على حدِّ: أمسِ الدابر لا يَعود؛ لأن الإيمان لا يكون إلا خيراً. انظر «الفتوحات» (١/ ٤٥١).

إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ ....

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ﴾: أوصلَها الله ﴿إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ﴾ أي: ذُو رُوحٍ ﴿مِّنْهُ﴾ أُضِيفَ إليه تعالى تَشرِيفاً له، وليسَ كما زَعمتُم ابنَ الله، أو إلَهاً معهُ، أو ثالِثَ ثَلاثة؛ لِأَنَّ ذا الرُّوح مُركَّبٌ، والإلَهُ مُنزَّه عن التَّركِيبِ وعن نِسبةِ المُركَّب إلَيهِ، ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟﴾: الآلِهةُ ﴿ثَلَـٰثَةٌ﴾ الله وعيسى وأُمُّه، ﴿ٱنتَهُوا۟﴾ عن ذلك وائتُوا ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾) ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾: مبتدأ، و﴿عِيسَى﴾: بدلٌ أو عطفُ بيان عليه، و﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: صفته، و﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾: خبره.

قوله: (﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾) أي: أنه نشأ بكلمة (كن) من غير واسطة أبٍ ولا نُطفة، وقوله: (﴿أَلْقَىٰهَآ﴾) أي: بنفخ جبريلَ في جَيْبِ درعِها، فوصلَ النفخُ إلى فرجها، فحملَتْ به.

قوله: (﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾) سُمِّيَ بذلك؛ لأنه حصلَ من الريح الحاصل من نفخ جبريل، رُوِيَ: أن اللهَ لمَّا خلقَ أرواح البشر.. جعلَها في صُلب آدمَ عليه السلام، وأمسك عنده روحَ عيسى، فلمَّا أرادَ الله أن يخلقَهُ.. أرسلَ بروحه مع جبريل إلى مريم، فنفخَ في جيب دِرعها، فحملت بعيسى[1].

قوله: (﴿مِّنْهُ﴾) أي: ونشأت وخلقت، فـ(مِنْ) ابتدائيةٌ، لا تبعيضيَّةٌ كما زعمت النصارى[2].

قوله: (إنه ابن الله... إلخ) أشارَ بذلك إلى أنهم فِرَقٌ ثلاثة: فرقةٌ تقول: إنه ابن الله، وفرقةٌ تقول: إنهما إلهان الله وعيسى، وفرقةٌ تقول: الآلهة ثلاثة الله وعيسى وأمه.

قوله: (لأن ذا الروح مركب) أشارَ بذلك إلى قياس من الشكل الأول، وتقريرُهُ أن تقول: عيسى ذو روح، وكلُّ ذي روح مركَّب، وكلُّ مركَّب لا يكون إلهاً، ينتجُ: عيسى لا يكونُ إلهاً.

قوله: (الآلهة ﴿ثَلَـٰثَةٌ﴾) أشارَ بذلك إلى أن ﴿ثَلَـٰثَةٌ﴾ خبرٌ لمحذوف، والجملة مقولُ القول.

---

(١) «تفسير الخازن» (١/ ٤٥٢) عن بعض المفسِّرين.

(٢) فهي كـ(مِن) في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾، كما تقدَّم في (آل عمران) حكاية عن علي بن الحسين الواقدي، وقد كررت القصة في (ط١)، وضرب عليها المصنفُ في (أ).

خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ....

﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ مِنهُ وهو التَّوحِيدُ، ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ تنزِيهاً له عن ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً ومُلكاً وعَبِيداً، والمِلْكِيَّةُ تُنافِي البُنُوَّةَ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: شَهِيداً على ذلك.

﴿١٧٢﴾ ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ﴾: يَتكبَّرَ ويأنَفَ ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ الذي زَعمتُم أنَّهُ إلهٌ عن ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ عِندَ الله، لا يَستنكِفُونَ أن يَكُونُوا عَبِيداً، وهذا مِن أحسَنِ الاستِطراد، ذُكِرَ لِلرَّدِّ على مَن زعَم أنَّها آلِهةٌ أو بَناتُ الله، كما رُدَّ بِما قَبلَه على النَّصارَى

حاشية الصاوي

قوله: (وائتوا ﴿خَيْرًا﴾) أي: اقصدوه، ويصحُّ أن يكونَ خبراً لـ(كان) المحذوفة؛ أي: يكن الانتهاءُ خيراً.

قوله: (منه) أي: ممَّا ادعيتموه، وقوله: (وهو التوحيد) بيانٌ للخير.

قوله: (﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) أي: فإذا كان يملكُ جميعَ ما فيهما ومن جملة ذلك عيسى.. فكيف يُتوهَّمُ كونُ عيسى ابنَ الله؟! فهذه الجملةُ تعليلٌ لقوله سبحانه.

قوله: (﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾) سبب نزولها: أن وفدَ نجران قالوا: يا محمد؛ إنك تَعيبُ صاحبَنا وتقولُ: إنه عبدُ الله، فقال رسولُ الله: «إنه ليس بعارٍ على عيسى أن يكونَ عبدَ الله»، فنزلت[1].

قوله: (عن ﴿أَن يَكُونَ﴾) أشارَ بذلك إلى أنه حذف الجار من (أن)، والمعنى: لن يستنكفَ المسيحُ عن كونه عبدَ الله.

قوله: (وهذا من حسن الاستطراد) أي: قوله: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾؛ لأن الاستطرادَ ذكرُ الشيءِ في غير محلِّه لمناسبة، والمناسبةُ هنا: الردُّ على النصارى في عيسى، فناسبَ أن يردَّ على المشركين في قولهم: الملائكةُ بناتُ الله.

---

(١) «زاد المسير» (١/٥٠٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «أسباب النزول» (ص١٩٠).

﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ....﴾

الزَّاعِمِين ذلك المَقصُودِ خِطابُهم، ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ في الآخِرةِ.

﴿١٧٣﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: ثَوابَ أعمالِهم، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ ما لا عَينٌ رأَت، ولا أُذُن سَمِعَت، ولا خطَر على قَلبِ بَشَر، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن عِبادَتِه، ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِماً هو عَذابُ النَّار، ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه ﴿وَلِيًّا﴾ يَدفَعُه عنهُم، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يَمنَعُهم مِنه.

﴿١٧٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ﴾: حُجَّةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عليكُم، وهو النَّبِيُّ ﷺ، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾: بَيِّناً وهو القُرآنُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ﴾) (مَن): اسمُ شرط، و﴿يَسْتَنكِفْ﴾: فعلُ الشرط، و(يستكبر): معطوف عليه، وقوله: ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾: جوابُهُ، ولكن لمَّا كان فيه إجمالٌ فصَّلَهُ بما بعده، و﴿جَمِيعًا﴾: حال من الهاء في (يحشرهم)، والمعنى: أنه يحشرُ المستنكفِين وغيرَهم.

قوله: (﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾) أي: فوق مُضاعفة أعمالهم.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾) العبرةُ بعموم اللفظ وإن كان السياقُ لأهل مكَّة.

قوله: (﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾) الجارُّ والمجرور متعلقٌ بمحذوف صفة لـ﴿بُرْهَٰنٌ﴾، أو ظرفٌ لغوٌ متعلقٌ بـ(جاءَ).

قوله: (عليكم) أي: إن خالَفتم، ولكم إن أطعتُم.

قوله: (وهو القرآن) أي: فالعطفُ مُغايرٌ، ويصحُّ أن يُرادَ بالبرهان: النبيُّ وما جاء به، ويُرادَ بالنور المبين: القرآنُ العظيم، ويكون عطفَ خاصٍّ على عامٍّ، والنكتةُ: الاعتناءُ بشأن القرآن، وما مَشى عليه المفسِّرُ أسهَلُ؛ لعدم الكلفة.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ ....

﴿١٧٥﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا﴾: طَرِيقاً ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾ هو دِينُ الإسلامِ.

﴿١٧٦﴾ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكَلالةِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ . . . إلخ) أي: فمنهم مَن آمن، ومنهم من كفر، فأما الذين آمنوا. . . إلخ، وترك الشقَّ الثاني؛ لأنهم مُهمَلون ولا يُعتنى بهم، وأيضاً: قد تقدَّمَ ذكرُهم، فتركهم اتكالاً على ما تقدَّمَ، وأعاد ذكرَ المؤمنين ثانياً تعجيلاً للمسرَّة والفرح، وتعظيماً لِشأنهم.

قوله: (﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ﴾) أي: تمسَّكوا به.

قوله: (﴿فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾) أي: وهي الجنةُ، من باب: تسمية المحلِّ باسم الحالِّ فيه، وقوله: (﴿وَفَضْلٍ﴾) أي: إحسان وإكرام وزيادة إنعام، وهو رؤيةُ وجهِ الله الكريم ودَوام رضاه.

قوله: (﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾) عطفُ سبب على مسبَّب؛ لأن سببَ الجنة هو الهدى في الدنيا.

قوله: (﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾) ختمَ هذه السورةَ بهذه الآية؛ لاشتمالها على الميراث كما ابتَدأها بذلك؛ للمشاكلة بين المبتدإ والختام، وجملةُ ما ذكر في هذه السورة من الموارِيث ثلاثةُ مواضع:

الأول: في ميراث الأصول والفُروع، وهو قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ . . .﴾ إلى آخِر الربع.

الثاني: ميراثُ الزوجين والإخوة للأم، وهو قوله: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ . . .﴾ إلى قوله: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾.

الثالث: ميراثُ الإخوة والأخَوات الأشقاء أو لأب، وهو هذه الآية، وأما أولو الأرحام. . فسيأتي ذكرُهم في آخر (الأنفال)[١].

وسبب نزول هذه الآية: أن جابرَ بن عبد الله تمرَّضَ، فذهبَ رسولُ الله وأبو بكر لِيَعوداه ماشيين، فلمَّا دخلا عليه وجداه مغمًى عليه، فتوضَّأَ رسولُ الله ثم صبَّ عليه من وَضوئه، فأفاق،

---

(١) انظر (٣/ ٦٠).

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ ....﴾

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟﴾ - مَرفُوع بِفِعلٍ يُفَسِّرُه -: ﴿هَلَكَ﴾: ماتَ، ﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أي: ولا والِدٌ وهو الكَلالةُ، ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ مِن أبَوَينِ أو أبٍ، ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ﴾ أي: الأخ كذَلك ﴿يَرِثُهَآ﴾ جَميعَ ما تَرَكَت، ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾، فإنْ كان لَها

حاشية الصاوي

فقال: يا رسول الله؛ كيف أصنعُ في مالي؟ فلم يردَّ عليه حتى نزلت الآية، وكان له تسعُ أخوات، وقيل: سبع[1].

قوله: (﴿فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾) تنازعَهُ كلٌّ مِنْ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ و﴿يُفْتِيكُمْ﴾، فأعملَ الثاني وأضمرَ في الأول وحذف، وهكذا كلُّ ما جاءَ في القرآن من التنازع؛ كقوله تعالى: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، وبهذا أخذَ البصريون، وتقدَّمَ: أن الكلالةَ هي أن يموتَ الميتُ وليس له فرعٌ ولا أصلٌ، وهو أصحُّ الأقوال فيها.

قوله: (﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟﴾) هذه الجملةُ مُستأنفةٌ واقعة في جواب سؤال مقدَّرٍ، تقديرُهُ: وما تفسيرُ الكلالة؟ وما الحكمُ فيها؟ فالوقفُ على (الكلالة).

قوله: (مرفوع بفعل يفسره ﴿هَلَكَ﴾) أي: فهو من بابِ الاشتغال، وإنما لم يجعل ﴿ٱمْرُؤٌا۟﴾ مبتدأ وجملةَ ﴿هَلَكَ﴾ خبره؛ لأنَّ ﴿إِنِ﴾ الشرطيَّةَ لا يَلِيها إلا الفعل ولو تقديراً.

قوله: (﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾) الجملةُ في محلِّ رفع صفة لـ﴿ٱمْرُؤٌا۟﴾، ولا يصحُّ أن تكون حالاً منه؛ لأنه نكرةٌ ولم يُوجَدْ له مُسوغ؛ لأن ﴿هَلَكَ﴾ ليس صفةً له، وإنما هو مفسِّرٌ للفعل المحذوف، فتأمَّلْ.

قوله: (أي: ولا والد) أخذَ هذا من توريث الأخت؛ لأنها لا ترثُ مع وُجوده.

قوله: (من أبوين) أي: وهي الشقيقةُ.

قوله: (﴿وَهُوَ﴾) الضميرُ عائد على لفظ ﴿ٱمْرُؤٌا۟﴾ لا على معناه؛ على حدِّ: عندي درهمٌ ونصفه، والمعنى: أن ذلك على سبيل الفرض والتقدير؛ أي: إن فُرِضَ موتُهُ دونها فلها النصفُ، وإن فُرِضَ موتُها دونه فله المالُ كلُّه إن لم يكُنْ لها فرعٌ وارث.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٥١)، ومسلم (١٦١٦) من حديث جابر رضي الله عنه.

﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾

ولَدٌ ذَكر فلا شَيءَ لَه، أو أُنثى فلَه ما فَضَلَ مِن نَصِيبِها، ولو كانَت الأُختُ أو الأخُ مِن أُمٍّ، ففَرضُه السُّدُس كما تَقدَّمَ أوَّلَ السُّورةِ، ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي: الأختانِ ﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي: فصاعِداً؛ لِأنَّها نزَلَت في جابرٍ وقد ماتَ عن أخَواتٍ، ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الأخُ، ﴿وَإِن كَانُوٓاْ﴾ أي: الوَرثةُ ﴿إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ﴾ مِنهُم ﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ شَرائِعَ دِينِكُم لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَضِلُّواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ ومِنهُ المِيراثُ، رَوَى الشَّيخانِ عن البَراء أنَّها آخِرُ آيةٍ نَزَلَت، أي: مِن الفَرائِض.

حاشية الصاوي

قوله: (أو أنثى) أي: واحدة أو مُتعددة، وقوله: (فله ما فضل عن نصيبها) أي: وهو النصفُ في الأولى، والثلثُ في الثانية.

قوله: (كما تقدم أول السورة) أي: في قوله: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً...﴾ الآية.

قوله: (وقد مات عن أخوات) جملةٌ مستأنفةٌ مقيِّدة لما قبلها، لا أنها حاليَّة؛ لأن جابراً عاشَ بعده ﷺ، بل قيل: إنه آخرُ الصحابة موتاً بالمدينة، وقوله: (عن أخوات) قيل: تسع، وقيل: سبع.

قوله: (﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً﴾) أي: أو أخوات، ففيه تغليبُ الذكور على الإناث.

قوله: (شرائع دينكم) قدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿يُبَيِّنُ﴾ محذوف.

قوله: (لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَضِلُّواْ﴾) أشارَ بذلك إلى أنه مفعولٌ لأجله، و(لا) مُقدرةٌ، والمعنى: يبينُ لكم الشرائعَ لأجل عدم ضلالكم، نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أي: لئلا تَزولا، ويصحُّ أن يكونَ المحذوف مضافاً، والتقدير: كراهةَ أن تَضلوا.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ﴾) كالعلَّة لما قبله، وقد ختمَ هذه السورة ببَيان كمال العلم وسَعته كما ابتدأها بسعة قدرته وكمال تنزُّهِهِ، وذلك يدلُّ على اختصاصه بالربوبيَّة والألوهيَّة.

قوله: (أي: من الفرائض)[1] دفع بذلك ما يُقال: إن آخرَ آية نزَلت على الإطلاق: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]؛ فإنها نزلت قبلَ مَوت رسول الله بأحد وعشرين يوماً، ونزلَ قبلها

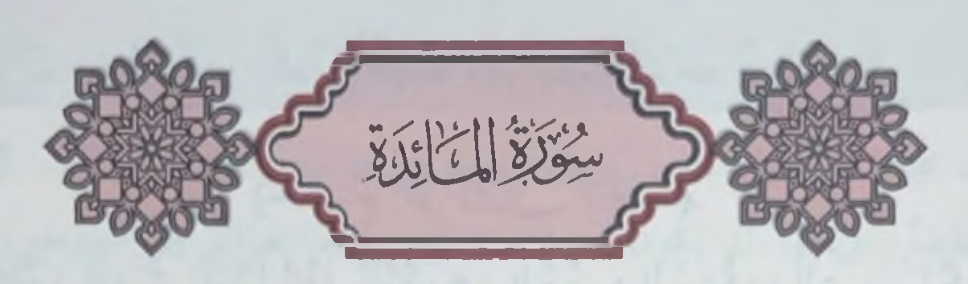
(١) كون آية الكلالة آخر ما نزل رواه البخاري (٤٦٠٥)، ومسلم (١٦١٨).

....

حاشية الصاوي

آيةُ الربا، وقبلها: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]، وقبلها آيةُ الكلالة، فهي من الأواخر، إذا عَلمتَ ذلك.. فقولُ المفسِّر: (أي: من الفرائض) غير متعيِّن، بل يصحُّ أن يكونَ آخراً نسبيًّا.





مَدنيَّة، مائةٌ وعِشرونَ أو واثنَتانِ أو وثَلاثٌ.

حاشية الصاوي

سورة المائدة

وجهُ المناسبة بينها وبين ما قبلَها: أنه حيث وعَدنا اللهُ بالبيان كراهةَ وقوع الضلال منَّا.. عمَّمَ ذلك الوعد بذكر هذه السورة؛ فإنَّ فيها أحكاماً لم تكُنْ في غيرها، قال البغوي: (عن ميسرةَ قال: إن الله تعالى أنزلَ في هذه السورة ثمانية عشرَ حكماً لم تُنزَلْ في غيرها من سور القرآن، وهي: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾، ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾، ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾، ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾، وتمامُ بيان الطهر في قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾، ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾، ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، وقوله: ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾)[1].

قوله: (مدنيَّة) أي: نَزلت بعد الهجرة وإن كان بعضُها نزلَ بمكة؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ فإنها نزلت عامَ الفتح، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فإنها نزلت بعرفةَ في حجَّة الوداع والنبيُّ ﷺ واقفٌ بعرفة، فقرأها النبيُّ في خُطبته، وقال: «أيُّها الناسُ؛ إن سورةَ (المائدة) مِن آخر القرآن نزولاً، فأحِلُّوا حلالَها، وحرِّموا حَرامَها»[2]، وإنما خصَّها بذلك وإن كان كلُّ سورة يجبُ تحليلُ حلالها وتحريمُ حَرامها؛ اعتناءً بشأنها.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٥)، وفيه: (عن أبي ميسرة) بدل (ميسرة).

(٢) «تفسير القرطبي» (٦/ ٣١) بصيغة: (ورُوِيَ)، ونحوه رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٧٢) عن جبير بن نفير عن عائشة رضي الله عنها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ....

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾: العُهُودِ المُؤَكَّدةِ التي بَينَكُم وبَينَ الله والنَّاسِ، ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: الإبِل والبَقَر والغَنَم أكلاً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾) العبرةُ بعموم اللفظ وإنْ كان الخطابُ لأهل المدينة.

قوله: (﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾) أي: ما عقدَهُ الله وعهدَهُ عليكم[1] من التكاليف والأحكامِ الدينيَّة، ومن هنا قالوا: أمورُ الدين أربعةٌ: الصحةُ في العَقد، والصدقُ في القصد، والوفاءُ بالعهد، واجتنابُ الحدِّ.

قوله: (العهود) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ بالعقد: العقدُ المعنويُّ، وهو العهدُ المشبَّهُ بعقد الحبل، وقوله: (المؤكدة) أخذَ ذلك من قوله: (العقود)؛ لأن معنى العقد هو العهدُ المؤكَّد.

قوله: (التي بينكم وبين الله) أي: كالمأمُورات والمنهيَّات، فالوفاءُ بالمأمورات فِعْلُها، والوفاءُ بالمنهيَّات تركُها، ودخلَ في قوله: (وبين الله) العهدُ الواقعُ بين العبد ورسول الله، فيَجبُ على الإنسان الوفاءُ به؛ بأن يؤمنَ به، ويصدِّقَ بما جاءَ به، ويُعظِّمَهُ ويحترمَهُ، ولا يخالفَ ما أمرَهُ به أصلاً.

قوله: (وبين الناس) أي: كالمعاملات؛ من بَيع وشراء، ونكاح وطلاق، وتمليك، وتَخيير، وعتق، ودَيْن، ووديعة، وصُلْح، ومن ذلك أيضاً: احترامُ المؤمنين وتَعظيمُهم، وعدمُ غَيبتهم وإيذائهم والنميمة والكذب عليهم، ومن ذلك أيضاً: وفاءُ المريدِين بعهود المشايخ على مُصطلح الصوفيَّة.

قوله: (﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾) كلامٌ مستأنف مَسُوقٌ لبيان امتنان الله علينا؛ حيث أحلَّ لنا أشياءَ لم تكُنْ لليهود، وبُنِيَ الفعلُ للمجهول؛ لِلعلم بفاعله وهو الله، وإضافةُ (بهيمة) لـ(الأنعام) على معنى: مِنْ، كـ(ثوبُ خزٍّ)؛ لأنَّ البهيمة كما في «القاموس»: كلُّ ذات أربع قوائم ولو مِن حيوان الماء، أو كلُّ حيٍّ لا يميِّز[2].

---

(١) كذا في النسخ، التعدية بـ(على).

(٢) «القاموس المحيط»: (ب هـ م).

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾ ....

بعد الذَّبحِ، ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تَحرِيمُه في ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ...﴾ الآيةَ [٣]، فالاستِثناءُ مُنقَطِعٌ، ويَجُوز أن يَكُونَ مُتَّصِلاً، والتَّحرِيمُ لِما عَرَضَ مِن المَوت ونَحوِه، ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: مُحرِمُون، ـ ونَصبُ ﴿غَيْرَ﴾ على الحال مِن ضَمِيرِ ﴿لَكُم﴾ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ مِن التَّحلِيلِ وغيرِه، لا اعتِراضَ علَيه.

حاشية الصاوي

قوله: (بعد الذبح) مرادُهُ: ما يشملُ النحرَ، ولو قال: (بعد التذكية).. لَكان أشمل.

قوله: (﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾) أي: وهو عشرةُ أشياء، أوَّلُها: الميتة، وآخرُها: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾، فقوله: (الآية) أي: إلى قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾.

قوله: (والاستثناء منقطع) أي: لأنَّ ما قبل (إلا) فيما أحلَّ، وما بعدها فيما حرَّم، وقوله: (والتحريم لما عرض) أي: فهو كان حلالاً بحسَبِ الأصل، فهو استثناءُ حلال من حلال، هكذا يُؤخذُ مِن عبارة المفسِّر، وفيه أنه يَلزمُ عليه أن كلَّ استثناء منقطع؛ لأنَّ ما بعد (إلا) دائماً مخالفٌ لما قبلها، منقطعاً أو مُتصلاً، مع أنهم قالوا: إن الاستثناءَ المتصلَ: أن يكون المستثنى من جنس المستثنى مِنه، والمنقطعَ: أن يكون من غير جنسه، والمخالفةُ في الحكم لا بدَّ منها على كلٍّ، فالأحسنُ أن يقال: إن الانقطاعَ من حيث إن المستثنى لفظٌ، وهو قوله: ﴿مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، والمستثنى منه ذاتٌ، وهو بهيمةُ الأنعام، ولا شكَّ أنه من غير جِنسه، ويمكن أن يكون متَّصلاً بتقدير مضاف، والتقدير: إلا محرَّمَ ما يتلى.

قوله: (﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾) أي: غير مُحِلِّين للصيد، بمعنى: معتقدين حلَّهُ، وقوله: (أي: مُحْرِمون) أي: أو في الحَرَم، فيحرمُ صيدُ الأنعام الوحشيَّة، بل الصيدُ مطلقاً، أنعاماً أو غيرها، وهو تقييد لِقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾، كأن الله قال: أحلَّ الله لكم بهيمةَ الأنعام كلَّها والوحشيةَ أيضاً من الظباء والبقر أو الحمر إلا صيدَ الوحش منها أو مِن غيرها وأنتم مُحرِمون، فلا يجوزُ فعلُهُ ولا اعتقادُ حِلِّه.

قوله: (ونصب ﴿غَيْرَ﴾ على الحال من ضمير ﴿لَكُمْ﴾) أي: وقوله: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ حالٌ من الضمير في ﴿مُحِلِّي﴾.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾) كالعلَّة لما قبله؛ أي: فالأحكامُ صادرةٌ من الله على حسَبِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ ....

﴿٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: جمع (شَعيرَةٍ)، أي: مَعالِم دِينِه بِالصَّيدِ في الإحرامِ، ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ بِالقِتالِ فِيه، ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾: ما أُهدِيَ إلى الحَرَمِ مِن النَّعَم

حاشية الصاوي

إرادته، فلا اعتراضَ عليه، ولا مُعقِّبَ لحكمه، وهذا ممَّا يردُّ على المعتزِلة القائلين بوجوب الصَّلاح والأصلح.

قوله: (أي: معالم دينه) أي: العلاماتِ الدالَّةَ على دِينه؛ من مأمورات ومنهيات، والمعنى: لا تتهاوَنوا بمعالم دينه، وقوله: (بالصيد في الإحرام) خصَّهُ لقرينة ما قبله وما بعده، وإلا . . فاللفظُ عامٌّ كقوله: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾، فأولاً: أمرنا بالوفاء بها، وثانياً: نهانا عن التفريط والتهاون بالشعائر، وهي كنايةٌ عن معالم دِينه، والإحلالُ تارةً يكون بالفعل أو الاعتِقاد.

قوله: (﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾) هو وما بعدَهُ من عطف الخاصِّ على العامِّ؛ اعتناءً بشأن تِلك الأمور.

قوله: (بالقتال فيه) سيأتي للمفسِّر أنه مَنسوخٌ بآية (براءة)، وإن حُمِلَ على غير القتال كالظُّلم مثلاً فليس بمنسوخ، قال تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

قوله: (ما أهدي إلى الحَرَم) إن حُمِلَ على هدايا الكفَّار . . فهو منسوخٌ بقوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، وبقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وسببُ ذلك: أن رجلاً من رَبيعة يُقال له: الحُطَمُ شريح بن هند أتى المدينةَ وترك خيلَهُ وجُيُوشه، وجاءَ رسولَ الله بنفسه، وقد كان أخبرَهم النبيُّ به، فقال: «الوجهُ وجهُ كافر، والقفا قفا غادِر»، فلمَّا وصلَ النبيَّ ﷺ، قال له: يا محمدُ؛ ما تأمُرنا به؟ فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة» فقال: حسَن، إلا أن لي أمراءَ لا أقطعُ أمراً دونهم، ولعلِّي أُسلمُ وآتي بهم، فلمَّا خرجَ استاقَ جملةً من غَنَم أهل المدينة وإبلَهم، فلمَّا كان في العام القابل جاء ومعه تلك الإبل والغنم قد ساقَها هدايا وهو مع بني بكر وهم أصحابُ حِلْفٍ للنبيِّ عليه الصلاة والسلام، فأحبَّ أصحابُ رسولِ الله أن يَأخُذوها منه، فنزلت الآيةُ[1].

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحُطَم بوزان زُفَر لقبه، وابن هند كُنيته، وفي النسخ: (سريح) بالمهملة، والتصحيح من الأصول المنقول عنها.

وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ....

بِالتَّعرُّضِ لَه، ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: جَمع (قِلادةٍ)، وهي ما كان يُقلَّد بِه مِن شَجَر الحَرَم لِيأمَنَ، أي: فلا تَتعرَّضُوا لَها ولا لِأصحابِها، ﴿وَلَآ﴾ تُحِلُّوا ﴿ءَآمِّينَ﴾: قاصِدِين ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ بِأن تُقاتِلُوهُم، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾: رِزقاً ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ بِالتِّجارةِ، ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ مِنهُ بِقَصدِه بِزَعمِهم الفاسِدِ، وهذا مَنسُوخ بِآيةِ (براءة)، ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ مِن الإحرامِ ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾، أمرُ إباحةٍ، ..

حاشية الصاوي

قوله: (**أي: فلا تتعرضوا لها**) أي: القلائد، وهي ما قُلِّدَ به من شَجر الحرم، وقوله: (**لأصحابها**) أي: الهدايا المقلَّدات، والنهيُ عن التعرُّض للقلائد مُبالغةٌ عن التعرُّض للهدايا؛ على حدِّ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]؛ لأنه إذا نُهِيَ عن إبداء الزينة.. فما بالُك بالجسم الموضوعِ فيه الزينة؟!

ويحتملُ أن معنى قوله: (أو لأصحابها) أي: الرجال المقلَّدين؛ لأنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادُوا الخروجَ من الحَرَم قلَّدوا أنفسَهم بخشَبة من شجر الحَرَم، فلا يُتعرَّضُ لهم، فتحصَّلَ أن المعنى: لا تتعرَّضوا لِلهَدي وإن لم يكن مُقلَّداً، ولا لِلقلادة من المقلَّد، بل ولا لِلمقلِّد من الهدايا أو الرجال.

قوله: (﴿ءَآمِّينَ﴾) أي: قوماً آمِّين.

قوله: (﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾) حالٌ من الضمير في ﴿ءَآمِّينَ﴾.

قوله: (**وهذا منسوخ**) أي: قوله: ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾، وقوله: (**بآية (براءة)**) أي: جنسها؛ إذِ الناسخُ أكثرُ من آية، فالمنسوخُ ما عدا قوله: ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾، فليست منسوخة إن حُمِلَتْ على معالم دِينه كما تقدَّم، وأما إن حُمِلَتْ على شعائر الكفَّار وإحرامهم بمعنى: لا تُبطلوه ولا تَهدموه.. كان أيضاً منسوخاً، وليس في (المائدة) منسوخٌ غيرُ هذه الآية.

قوله: (**أمر إباحة**) دفعَ بذلك ما يُقالُ: إن الأمرَ يَقتضي الوجوب على المحرم إذا حلَّ من إحرامِه أن يَصطاد.

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ ....

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يكسِبَنَّكم ﴿شَنَـَٔانُ﴾ ـ بِفَتحِ النُّون وسُكُونِها ـ: بُغْضُ ﴿قَوْمٍ﴾ لِأجلِ ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ علَيهِم بِالقَتلِ وغيرِه، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ﴾ بِفِعلِ ما أُمِرتُم بِه ﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ بِتَركِ ما نُهِيتُم عنهُ، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟﴾ ـ فِيه حذفُ إحدَى التَّاءَينِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾) هذه الآيةَ نزلت عامَ الفتح حين تمكَّنَ النبيُّ وأصحابه من مَكة وأهلها، فنهاهم اللهُ عن التعرُّض للكفَّار بالقتال والإيذاء، والمعنى: لا تُعاملوهم مثلَ ما كانوا يُعاملونكم به؛ ولِذا وردَ: أن رسولَ الله لمَّا دخلَ مكة قال: «اذهبُوا أنتم الطلقاءُ، أنا قائلٌ لكم كما قال أخي يوسف لأخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾»[١]، وبِسبب ذلك صارُوا مُؤمنين؛ ولِذا قال البوصيري: [الخفيف]

وَلَـوْ أنَّ انْـتِـقَـامَـهُ لِـهَـوَى الـنَّـفْـ ... ـسِ لَـدامَـتْ قَـطِـيـعَـةٌ وَجَـفَـاءُ[٢]

وقرأ الجمهورُ بفتح الياء من: جَرم الثلاثي، واختلفُوا في معناه، فقيل: معناه: لا يكسبنَّكُم، وقيل: معناه: لا يحملنَّكم.

قوله: (بفتح النون وسكونها)[٣] أي: فهو مصدر شَنِئَ كـ: عَلم، فهو سماعيٌّ، ومن المادة قولُ العرب: مَشنوء مَنْ يشنَؤُك؛ أي: مَبغوض من يبغضك، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أي: باغضُك.

قوله: (لأجل أن صدُّوكم) أشارَ بذلك إلى أنه مفعول لأجله، فهو علَّةٌ للشنآن؛ أي: لا يَحملنَّكم بغضُكم لقوم لأجل صدِّهم إيَّاكم عن المسجد الحرام.

قوله: (﴿أَن تَعْتَدُوا۟﴾) أي: بأن تَعتدوا، أو على أن تعتدوا، فمتى أسلَمُوا فهم إخوانُكم، فلا تتعرَّضوا لهم.

قوله: (فعل ما أمرتم به) قال ابنُ عباس: (البرُّ: متابعة السنَّة)[٤].

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١١٧-١١٨)، وبعضه عند النسائي في «الكبرى» (١١٢٣٤).

(٢) بيت من «الهمزية»، انظر «المنح المكية» (ص٤٦٧).

(٣) قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم بسكون النون، والباقون بفتحها. «الدر المصون» (٤/ ١٨٩).

(٤) «تفسير الخازن» (٢/ ٧)، وقيل: البرُّ: متابعة الأمر.

عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ....

في الأصلِ ـ ﴿عَلَى ٱلْإِثْمِ﴾: المَعاصِي ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: التَّعَدِّي في حُدُودِ الله، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: خافُوا عِقابَه بِأن تُطِيعُوه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لِمَن خالَفَه.

﴿٣﴾ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ أي: أكلُها، ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي: المَسفُوح كما في (الأنعامِ)، ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾) في الآية وعيدٌ وتهديدٌ عظيم.

قوله: (﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾) هذا شروعٌ في بيان ما أجمل أوّلاً في قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، وذكر في هذه الجملة العظيمة أحدَ عشرَ، كلُّها محرَّمة، منها عشرةٌ مَطعومة، وواحدٌ غيرُ مطعوم، وهو قوله: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ﴾.

قوله: (﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾) فيه ردٌّ على جاهليَّة العرب، حيث قالوا كما حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ [الأنعام: ١٣٩]، وعلى المشركين حيث أحلُّوا أكلَها مطلقاً[(١)].

قوله: (أي: المسفوح) أي: السائل.

قوله: (كما في «الأنعام») أي: في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا...﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية، وأما غير المسفوح كالكَبد والطحال والدم الباقي في العُروق.. فهو طاهرٌ ويجوزُ أكلُه.

قوله: (﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾) أي: ولو ذُكِّيَ، وهو نجسٌ كلُّهُ ما عدا الشَّعَرَ إن جُزَّ عند مالك، فهو طاهرٌ ويجوزُ استعماله.

قوله: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾) الإهلالُ: رفعُ الصوت، والأظهَرُ: أن اللام بمعنى: الباء، والباء بمعنى: عند، والمعنى: وما رُفِعَ الصوتُ عند ذكاته بِغير الله؛ أي: باسم غير الله، كما إذا قال: بِاسم اللات والعُزى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ﴾

(١) قوله: (وعلى المشركين... إلخ) ضُرِبَ عليها في (أ)، فكأن المصنف لا يُريدها.

وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ....

بِأن ذُبِحَ على اسمِ غَيرِه، ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾: المَيتَةُ خَنقاً، ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: المَقتُولةُ ضَرباً، ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾: السَّاقِطةُ مِن عُلوٍ إلى أسفَلَ فماتَت، ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: المَقتُولةُ بِنَطحِ أُخرَى لَها، ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ مِنهُ، ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: أدركتُم فِيه الرُّوحَ مِن هذِه الأشياءِ

حاشية الصاوي

[الأنعام: ١٢١]، فإن جمعَ بين اسم الله واسم غيره.. غلب اسم الله وتُؤكلُ؛ لأنه يَعلو ولا يُعلى عليه، والموضوعُ أن ذلك وقعَ من كتابي، وأما من مسلم فهو مُرتدٌّ ولا تُؤكلُ ذبيحته، وهذا مذهبُ مالك، ومرادُ مالك بأهل الكتاب الذين تؤكلُ ذَبِيحتهم إن لم يذكروا اسم غير الله عليه: اليهودُ والنصارى ولو غيَّروا وبدَّلوا.

قوله: (بأن ذبح على اسم غيره) والمناسبُ أن يقول: بأن صُرِّحَ عند ذبحها باسمِ غيره؛ ليندفعَ التكرار بين ما هنا وبين ما يأتي في قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾.

قوله: (﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾) كانوا في الجاهلية يَختنقون الشاةَ حتى إذا ماتَت أكلوها، فحرَّمَ اللهُ ذلك.

قوله: (﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾) كانُوا في الجاهلية يضربون الشاةَ بنحو العِصي حتى تموتَ ويأكلونها.

قوله: (﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾) فَعِيلة بمعنى: مفعولة.

قوله: (﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾) كانوا في الجاهلية إذا جرحَ السَّبُعُ شيئاً وأكلَ منه أكلُوا ما بقيَ، والسَّبُعُ: اسمٌ لكلِّ ما يفترسُ من ذِي الناب؛ كالأسد والذئب ونحوهما.

قوله: (أي: أدركتم فيه الروح) أي: مع بقاء الحياة المستقرَّة بحيث يتحرَّكُ بالاختيار، أو يُبصر بالاختيار ولو نَفذت مقاتلُهُ[1]، وهذا مذهبُ الشافعي، ومذهب مالك: لا بدَّ من استقرار الحياة مع عدم إنفاذ المقاتل، فما أُدرك بذكاة وهو مُستقرُّ الحياة وكان قبل إنفاذ مَقتله.. أُكِلَ، وإلا.. فلا يؤكلُ ولو ثبَتت له حياةٌ مستقرةٌ، والمَقاتلُ: هي قطعُ النخاع، ونثرُ الدماغ، وفري الودج، وثقب المصران، ونثر الحَشوة، وفي شقِّ الودج قَولان. والاستثناءُ راجعٌ لِلمُنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السَّبع[2]، وهو متَّصلٌ على كِلا المذهبين مع مراعاة الشرط المتقدِّم عند كلٍّ.

---

(١) كأن يتعدَّى عليها السبع ويخرج حشوة بطنها ويقطع جوفها، والعبرةُ عند القائلين بإباحة تَذكية من هذه حالها وجودُ الحركة الاختيارية كركض الرِّجْل وطرفة العين، وانظر «الفتوحات» (١/ ٤٦١).

(٢) وعند الكلبي هو راجع فقط لما أكل السبع. «الفتوحات» (١/ ٤٦٠).

وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ....

فذبحتُموه، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسم ﴿ٱلنُّصُبِ﴾: جَمعُ (نِصاب)، وهي الأصنامُ، ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ﴾: تَطلُبُوا القَسمَ والحُكمَ ﴿بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾: جَمع (زُلَم) ـ بِفَتحِ الزَّاي وضَمِّها مع فتح اللَّام ـ: قِدحٌ ـ بِكَسرِ القاف ـ صَغير لا رِيشَ له ولا نَصْلَ، وكانَت سَبعةً عِند سادِنِ الكَعبةِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾) أي: ذُكِرَ اسمُ الصنم على ذلك المذبوح، فإن فعلَ ذلك مسلمٌ لولي وقصدَ التقرُّب له كما يتقرَّب لله.. فهو مُرتدٌّ لا تؤكلُ ذَبيحته، وأما إن قصدَ أن الذبحَ لله وثوابُهُ لِلولي.. فلا بأسَ بذلك، فإن نذرَ ذبيحةً لوليٍّ ميت كالسَّيد البدوي مثلاً؛ فإن قصدَ انتفاعَهُ بها كالحيِّ.. فهو نذرٌ باطل، وأما إن قصدَ أنها تذبحُ في مَحلِّه من غير قصدِ فُقراءِ ذلك المحل.. فلا يَسوقُها لذلك المحلِّ، بل يذبحُها بأيِّ محلٍّ شاء، قال مالك: سَوقُ الهدايا لغير مكة ضلالٌ، وأما إن قصدَ بِسَوقها فقراء ذلك المحلِّ.. لَزِمَهُ سَوقُها.

قوله: (وهي الأصنام) سُمِّيت الأصنامُ نصباً؛ لأنها تُنصَبُ وترفعُ لتعظَّمَ وتعبدَ.

قوله: (تطلبوا القِسْم) بالكسر؛ أي: ما قُسِمَ لكم من خير أو شرٍّ، وبالفتح؛ أي: تَمييزه؛ لأنَّ القسم ـ بالفتح ـ تمييزُ الأنصباء، وبالكسر: الحَظُّ والنصيب.

قوله: (مع فتح اللام) راجعٌ لكلٍّ منهما.

قوله: (وكانت سبعة) أي: وكانت أزلامُهم سبعَ قداحٍ مُستوية، مكتوبٌ على واحد منها: أمَرني ربِّي، وعلى واحد: نهاني ربِّي، وعلى واحد: منكم، وعلى واحد: مِن غيركم، وعلى واحد: ملصق، وعلى واحد: العقل، وواحدٌ غُفْلٌ؛ أي: ليس عليه شيء، وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمراً من سفر أو غيره.. جاؤوا إلى هُبَل وهو أعظمُ صنم بمكة، وكان في الكعبة، وأعطَوا صاحبَ القداح مئةَ درهم، فإن خرجَ أمرني ربِّي.. فعلوا ذلك الأمر، وإن خرجَ نهاني ربِّي.. لم يفعلوا، وإذا كان ذلك لنسبٍ فإن خرجَ منكم.. ألحقوه بهم، وإن خرجَ من غيركم.. لم يُلحقوه، وإن خرج ملصق.. كان على حاله، وإن اختَلفوا في العقل وهو الديةُ؛ فمَن خرجَ عليه العقل.. تحمَّلَهُ، وإن خرجَ الغُفْلُ.. فعلوا ثانياً حتى يخرجَ المكتوبُ، فنهاهم اللهُ عن ذلك.

قوله: (عند سادن الكعبة) أي: خادمِها.

ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ ....

علَيها أعلامٌ، وكانُوا يُحَكِّمُونَها، فإن أمَرَتهُم ائتمَرُوا وإن نَهَتهُم انتَهَوا، ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾: خُرُوجٌ عن الطَّاعةِ.

ونَزَلَ يَومَ عَرَفَةَ عامَ حَجَّة الوَداعِ: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ أن ترتَدُّوا عنهُ

حاشية الصاوي

قوله: (عليها أعلام) أي: كتابة.

قوله: (وكانوا يحكِّمونَها) في نسخة: (يجيبونها) أي: يُجِيبون حكمَها.

قوله: (﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾) أي: الاستقسام المذكور خروجٌ عن طاعة الله.

إن قلتَ: إن هذه بِعَينها هي القرعةُ الجائزة في الإسلام!

أجيبَ: بأن تحريمَ هذه إنما جاءَ من إمالتها للصنم وتفويضِ الأمْرِ له؛ ولذا لو فعلت القرعةُ بحَضرة وَليِّ ميتٍ مثلاً وفُوِّضَ الأمرُ له.. لكان الحكمُ الحرمةَ كالاستِقسام بالأزلام.

واسمُ الإشارة: مبتدأٌ، و﴿فِسْقٌ﴾: خبر، وهو راجعٌ إلى الاستقسام بالأزلام كما هو مَرويٌّ عن ابن عباس[1]، وقيل: راجعٌ إلى جميع ما تقدَّمَ، وكلٌّ صَحيح.

قوله: (ونزل بعرفة) أي: والنبيُّ قائمٌ يخطبُ بها، فـ(أل) في ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ لِلعهد الحُضوري، والمعنى: اليوم الحاضر، وهو يومُ عرفة، وكان يومَ جمعة، وعاشَ النبيُّ بعد نزولها نيِّفاً وتسعين يوماً[2].

قوله: (﴿يَئِسَ﴾) اليأسُ: ضدُّ الرجاء، والمعنى: انقطعَ طمعُ الكفَّار في إبطال دينكم؛ لما شاهَدُوا من دخول الناس فيه أفواجاً، وذلك أن قبلَ حجَّةِ الوداع حجَّ أبو بكر بالناس وأرسلَ النبيُّ عليًّا خلفَهُ يُنادي: لا يحجُّ بعدَ هذا العام مُشركٌ، ولا يطوفُ بالبيت عُريان؛ ففي حجَّة الوداع انفردَ النبيُّ وأصحابُهُ بالحجِّ، فحينئذٍ نزلت الآيةُ المشرفة[3].

---

(١) كذا في «الدر المصون» (٤/ ١٩٨)، وعند الطبري (٩/ ٥١٤) التعميم.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (٣٢)، وفيه: أنه ﷺ عاش بعدها إحدى وثمانين يوماً، وهو مشهور الروايات، وهو في (أ) ولكن ضُرِبَ عليه وأُثبت أنه عاش نيفاً وتسعين يوماً، وهو ما جزم به النووي (تسعون أو إحدى وتسعون يوماً) كما أشار إليه الحافظ الشامي في «سبل الهدى والرشاد» (١٢/ ٣٠٦)، وفي (ط١) ما في رواية البيهقي.

(٣) رواه البخاري (٣٦٩) من حديث أبي هريرة ﵁.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ....

بعد طَمَعِهم في ذلك؛ لِما رَأَوا مِن قُوَّتِه، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: أحكامَه وفرائِضَه، فلَم يَنزل بعدَها حَلالٌ ولا حرامٌ، ....

حاشية الصاوي

وقوله: (لما رأوا) علّةٌ لقوله: ﴿يَئِسَ﴾، وقوله: (بعد طمعهم) متعلّقٌ بـ﴿يَئِسَ﴾ أيضاً.

قوله: (﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾) أي: لا تَخافوهم، لا ظاهراً ولا باطناً.

قوله: (﴿وَٱخْشَوْنِۚ﴾) بحذف الياء وصلاً ووقفاً، بخلاف ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ في (البقرة) فإنها بثبوت الياء وصلاً ووقفاً اتفاقاً، وبخلاف الآتية في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ﴾ ففيها الحذف والإثبات[1]، والمعنى: لا تَخافوا من الكفّار وخافوني؛ لأني مالكُ الدنيا والآخرة عزًّا وذُلًّا، ولا يملكُ ذلك غيري، فمن شهدَ ذلك وكمُلَ دينُهُ.. فلا يخافُ إلا مَولاه، ولا يرجو سِواه، فإنه المعطي المانعُ، الضارُّ النافع.

قوله: (﴿ٱلْيَوْمَ﴾) بدلٌ من ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ قبله.

قوله: (أحكامه وفرائضه) دفعَ بذلك ما يُقال: إنه قد نزلَ بعدها: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فيكون حينئذٍ الكمال نسبيًّا، فأجابَ: بأن المرادَ إكمالُ الأحكام والفرائض التي أُرسلَ بها رسولُ الله، وأما آيةُ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾.. فهي موعظةٌ ولا حكمَ فيها.

إن قلتَ: إن قوله: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يقتضي نقصانَهُ قبل ذلك! **وأجيبَ**: بأن القرآنَ نزلَ جملة في بيت العزةِ في سماء الدنيا، وصار ينزلُ بعد ذلك مفرَّقاً، فحين نزول هذه كأنَّ الله يقول: لا تنتظروا بعد ذلك حُكماً، فإني قد أتمَمت لكم ما قدَّرته لكم وادَّخرتُهُ عندي؛ ولِذلك حين نزلت بكى عمرُ، فقال له رسول الله: «ما يُبكيك؟»، فقال: إذا تمَّ شَيْءٌ بَدَا نَقْصُهُ، فقال له: «صدقتَ»[2]، فكانت هذه الآيةُ نعيَ رسولِ الله ﷺ.

رُوِيَ عن عمرَ بن الخطاب: أن رجلاً يهوديًّا قال له: يا أميرَ المؤمنين؛ آيةٌ في كتابكم لو علينا معشرَ اليهود نزَلت لاتخذنا ذلك اليومَ عيداً، فقال له: أيُّ آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾

---

(١) وهي قوله تعالى في هذه السورة: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١٩)، ونقصانُ الدين مجاز؛ أي: ضَعُفَ الأخذ به، فيعود غريباً بعدما بدأ غريباً.

وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ....

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بإكمالِه، وقِيل: بِدُخُولِ مَكَّةَ آمِنِينَ، ﴿وَرَضِيتُ﴾ أي: اخترتُ ﴿لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾: مَجاعةٍ إلى أكلِ شَيءٍ مِمَّا حُرِّمَ عليه فأكلَه ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾: مائلٍ ﴿لِّإِثْمٍ﴾: مَعصِيةٍ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَه ما أكَل، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِه في إباحَتِه لَه، بِخِلافِ المائِل لِإثمٍ ـ أي: المُلْتَبِسِ بِه ـ كقاطِعِ الطَّرِيق والباغِي مَثَلاً، فلا يَحِلُّ لَه الأكلُ.

حاشية الصاوي

الآية، فقال عمرُ: قد عرَفنا ذلك اليومَ والمكانَ الذي أُنزلت فيه على رسول الله، وهو قائمٌ بعرفةَ، يومَ الجمعة بعد العصر. اهـ[1].

وقد تضمَّنَ جوابُ عمرَ أنهم جعلُوا صبيحتها عيداً.

قوله: (بإكماله) أي: الدين، والأحسَنُ: أن يُرادَ بإتمام النعمة ما هو أعَمُّ.

قوله: (﴿وَرَضِيتُ﴾) هذه الجملةُ مستأنفةٌ لِبيان الحال، وليست معطوفةً على ﴿أَكْمَلْتُ﴾؛ لأنه يقتضي أنه لم يرضَ الإسلامَ ديناً إلا اليوم ولم يَرضَهُ قبلَ ذلك، وليس كذلك؛ لأن الإسلام لم يزَلْ مرضيًّا لله وللنبيِّ وأصحابه منذُ أرسلَهُ، و(رضي) متعدٍ لواحد، ﴿ٱلْإِسْلَٰمَ﴾: مفعوله، و﴿دِينًا﴾: تمييز.

قوله: (﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾) مفرَّعٌ على ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾، فقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿دِينًا﴾ معترضٌ بينهما؛ لِبَيان أن الإسلامَ حنيفيَّة سمحاء، لا صعوبةَ فيه كالأديان المتقدِّمة، و(مَنْ): اسم شرط، و﴿ٱضْطُرَّ﴾: فعل الشرط، وجوابه محذوف تقديرُهُ: فلا إثمَ عليه، وقد صرَّح به في آية (البقرة).

قوله: (إلى أكل شيء) أي: بقَدْرِ الضرورة وسدِّ الرَّمق، وبذلك قال الشافعي، وقال مالك: يأكلُ المضطرُّ من الميتة ويشبعُ ويتزوَّدُ، فإن استغنى عنها طرحَها. وقُدِّمَ مالُ الغير على الميتة عند مالك إن لم يخف الضرر، وقُدِّمَ المختلفُ فيه على المتَّفق على حُرمته.

قوله: (﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾) أي: بأن كان اضطرارُهُ ناشئاً عن إثمه، فلا يجوزُ له الأكلُ،

---

(١) رواه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ ....

﴿٤﴾ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا مُحمَّدُ: ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ﴾ مِن الطَّعامِ؟ ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ﴾: المُستَلَذَّاتُ، ....

حاشية الصاوي

هكذا حملَ الآيةَ مالك، وقال الشافعي: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ بأن كان عاصياً بسَفره؛ كالآبق وقاطع الطريق، فقولُ المفسِّر: كقاطع الطريق والباغي؛ أي: المسافرين، وأما الحاضِرون فيباحُ لهم أكلُ الميتة، وأما عند مالك.. فلا فرقَ بين العاصي بالسفر والطائع به، فإنهما كالحاضر، فيأكلان منها إذا اضطُرَّا حيث لم يكُنْ إصرارُهُ على المعصية مُوقعاً له في الاضطرار.

قوله: (﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾) هذه الآيةُ مرتَّبةٌ على قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ..إلخ﴾، فلمَّا بيَّنَ المحرَّمات سألوا عن الحلال، وصورةُ السؤال: ماذا أحلَّ اللهُ لنا؟ ورُوِيَ في سبب نزولها: أن جبريلَ أتى رسولَ الله يستأذنُ عليه، فأذن له، فلم يدخُلْ، فقال النبيُّ له: قد أذنَّا لك يا رسولَ الله[1]، قال: أجل، ولكنَّا لا ندخلُ بيتاً فيه كلبٌ، فأمرَ ﷺ أبا رافع بقتل كلِّ كلبٍ في المدينة، ففعلَ حتى انتهى إلى امرأة عندها كلبٌ ينبحُ عليها، فتركَهُ رحمةً لها، ثم جاءَ رسولَ الله فأخبره، فأمرَه بقَتله، فرجعَ إلى الكلب فقتله، فجاؤوا إلى رسول الله فقالُوا له: ما يحلُّ لنا من هذه الأمَّة التي أُمرت بقتلها؟ قال: فسكت رسولُ الله، فنزل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ...﴾ الآية، فعند ذلك أذنَ رسولُ الله في اقتِناء الكلاب التي يُنتفعُ بها، ونهى عن إمساك ما لا نفعَ فيه.

وروي الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أمسكَ كلباً فإنه ينقصُ كلَّ يوم من عمله قيراط ـ وفي رواية: قيراطان ـ إلا كلبَ حَرْثٍ أو ماشية**»[2]، ويؤخذُ من هذا الحديث: أن قتلَ غير النافع من الكلاب مَندوبٌ إن لم يكن عَقوراً يُخشى منه الضرر ولا يندفعُ إلا بالقتل، وإلا.. وجبَ قتلُهُ عند مالك[3].

قوله: (المستلذات) أي: الشرعية، وهي ما لم يثبُتْ تحريمُها بكتاب أو سنة، فلا يردُ لحمُ الخنزير مثلاً إذا أُتقنَ طبخُهُ.

---

(١) وهو هنا جبريل عليه السلام، والخبر رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/٣٢٦)، وابن عبد البر في «التمهيد»، وقال أيضاً (١٤/ ٢٣٥): (والذي اختاره في هذا الباب ألا يقتل شيء من الكلاب إذا لم تضرَّ بأحد ولم تَعقر أحداً).

(٢) رواه البخاري (٢٣٢٢)، ومسلم (١٥٧٤) والروايتان عنده.

(٣) «مواهب الجليل» (٣/ ٢٣٧).

وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ....

﴿وَ﴾ صيدُ ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾: الكَواسِبِ مِن الكِلابِ والسِّباع والطَّير، ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ ـ حالٌ مِن (كَلَّبت الكَلب) بِالتَّشدِيدِ أي: أرسَلتُه على الصَّيد ـ ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حالٌ مِن ضَميرِ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أي: تُؤَدِّبونَهُنَّ ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ مِن آداب الصَّيدِ، ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإن قَتَلْنَ بِأن لَم يَأكُلنَ مِنهُ، بِخِلافِ غيرِ المُعَلَّمةِ، فلا يَحِلُّ صَيدُها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَ﴾ صيد ﴿مَا عَلَّمْتُم﴾) قدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أن (ما) معطوفٌ على ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ لكن على حذف مضاف، و(صَيد) بمعنى: مَصيد، و﴿مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾: بيانٌ لـ(ما).

قوله: (﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال) أي: من التاء في ﴿عَلَّمْتُم﴾.

قوله: (من: كلَّبت) أي: مأخوذٌ من: كلَّبت.

قوله: (أرسلته على الصيد) أي: فمعنى ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: مُرسِلين بمعنى: قاصدين إرساله، احترازاً عمَّا لو ذهبَ من غير إرسال وأتى بصيد.. فلا يؤكلُ، وفسَّرَهُ غيرُه بالتعليم، فيكون حالاً مؤكِّدة لعاملها، وما قاله المفسِّرُ أوْجَهُ وإن رُدَّ: بأنه لا مستندَ له في ذلك؛ لأن المفسِّرَ حجَّة[1]، وعبَّرَ عن الإرسال بالتكليب، إما إشارةً إلى أن ذلك غالبٌ في الكلاب، أو أن الكلب يُطلقُ على كلٍّ ما يُصادُ به من سبع وطير.

قوله: (حال من ضمير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾) أي: مؤكِّدة إن فُسِّرَ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ بـ: مُعلِّمين، ومؤسِّسةٌ إن فُسِّرَ بـ: مُرسِلين، ويصحُّ أن يكون جملة مستأنفة موضِّحة لما قبلها.

قوله: (﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾) (مِن): للتبعيض، وقوله: (من آداب الصيد) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾) نتيجة قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾، وقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أي: لكم.

قوله: (بأن لم يأكلن منه) أي: فإن أكلنَ منه.. فلا يؤكلُ، وهو داخلٌ في قوله: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾، وهذا الشرطُ اعتبرَهُ الشافعي، وعند مالك: يؤكلُ ولو أكلَ منه الجارحُ، فإن أدركَ حيًّا فلا بدَّ

---

(١) أشار العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٤٦٤) إلى أن ما في كتب التفسير واللغة بأن التكليب إنما هو تعليم الجوارح لتصير مثلاً كلاباً مكلَّبة؛ أي: مُعلَّمة، فالاشتقاق جرياً على الغالب، ولا يراد به اختصاصه بالكلاب فقط، وعند السيوطي في «الدر» (٣/ ٢٢) ما يُشير إلى قول الجمهور، وقد يكون قوله: (أرسلته) دلالة على التعليم.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ٤﴾ ....

وعَلامَتُها أن تَستَرسِلَ إذا أُرسِلَت، وتَنزَجِرَ إذا زُجِرَت، وتُمسِكَ الصَّيدَ ولا تَأكُل مِنهُ، وأقلُّ ما يُعرَف بِه ذلك ثَلاثُ مَرَّات، فإن أكَلَت مِنهُ فليسَ مِمَّا أمسَكنَ على صاحِبِهِنَّ، فلا يَحِلُّ أكلُه كما في حدِيثِ «الصَّحِيحَين»، وفِيه أنَّ صَيد السَّهمِ إذا أُرسِلَ وذُكِرَ اسم الله علَيهِ كصَيدِ المُعَلَّم مِن الجَوارِح، ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عندَ إرسالِه، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

حاشية الصاوي

من ذكاته الشرعية، فقوله: (بأن لم يأكلن) تفسيرٌ لقَوله: ﴿أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾؛ لأنه إن أكلَ منه فليس ممسِكاً لصاحبه بل لِنَفسه، وقد علمتَ أن هذا التقييد مذهبُ الشافعي، وسيأتي إيضاحُهُ في آخر عبارة المفسِّر.

قوله: (وعلامتها... إلخ) ذكرَ أربعَ علاماتٍ، وهي مُعتبرةٌ في الكلب والسبع، وأما في الطير كالصقر فلا يُعتبرُ فيه إلا قَيدان: ألا يأكلَ منه، وأنه إذا أُرسلَ استرسلَ، والحاصلُ: أن المدارَ عند مالك في الصقر: أنه إذا أُرسلَ استرسل، وزادَ الشافعيُّ فيه: ألا يأكلَ ممَّا أمسكَ، وأما في الكلب والسبع ففيه القُيود الأربعة التي ذكرَها المفسِّر ما عدَا الأكلَ عند مالك.

قوله: (كما في حديث «الصحيحَين») أي: ولكن هذا الحديث لم يأخُذْ به مالك[1].

قوله: (وفيه) أي: الحديث.

قوله: (وذكر اسم الله عليه) أي: وهو سنةٌ عند الشافعي، وعند مالك واجبٌ مع الذكر والقُدرة، وأما النيةُ فلا بدَّ منها؛ لأنها شرطُ صحَّة.

قوله: (كصيد المعلَّم من الجوارح) ألحقَ مالكٌ بالسهم ما صِيد ببُندق الرصاص؛ لأن قوته تقومُ مقامَ حدِّ السهم.

قوله: (﴿عَلَيْهِ﴾) اختُلفَ في مرجع الضمير، فقيل: عائدٌ على ما عَلمتم من الجوارح، وإليه يشيرُ المفسِّر بقوله: (عند إرساله)، وقيل: عائدٌ على ما أمسَكن عليكم؛ أي: سمُّوا اللهَ إذا أدركتم ذَكاته.

قوله: (﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾) أي: امتثِلوا أوامرَهُ، واجتنبوا نواهيَهُ، حيث بيَّنَ لكم الحلالَ والحرام.

قوله: (﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾) وردَ: أنه يحاسبُ الخلق في قَدْرِ نصف يوم من أيام الدنيا[2].

---

(١) رواه البخاري (٥٤٨٣)، ومسلم (١٩٢٩) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣١٤) عن إبراهيم النخعي.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ ....﴾

(٥) ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: المُستَلَذَّاتُ، ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: ذبائِحُ اليَهُود والنَّصارَى ﴿حِلٌّ﴾: حَلالٌ ﴿لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ﴾ إيَّاهُم ﴿حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾: الحَرائِر ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ حِلٌّ لَكُم أن تَنكِحُوهُنَّ ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهُورَهنَّ، ﴿مُحْصِنِينَ﴾: مُتزوِّجين ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْيَوْمَ﴾) يحتملُ أن المرادَ باليوم المتقدِّمُ في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهو يومُ عرفة، ويحتملُ أن المرادَ يومُ نزولها، ويحتملُ أن المرادَ به الزمنُ مطلقاً.

قوله: (أي: ذبائح اليهود والنصارى) أي: إن ذبحَ ما هو حلٌّ لهم بشرعنا ولم يذكر اسم غير الله، وتؤكل ذبائحهم ولو غيَّروا اليهوديةَ بالنصرانية، وعَكسه عند مالك، واشترطَ الشافعيُّ عدمَ التغيير والتبديل[1].

قوله: (﴿وَطَعَامُكُمْ﴾ إياهم) أي: بمعنى: إطعامكم إيَّاهم، ومعنى ﴿حِلٌّ لَّهُمْ﴾ أي: لا يحرمُ عليهم بشرعهم، ولا يحرمُ علينا أن نُطعمَهم من ذبائحنا.

قوله: (﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾) أي: الحرائر منهنَّ، وأما الإماءُ فتقدَّمَ أنهنَّ حلّ بالشروط.

قوله: (الحرائر) أي: وأما الإماءُ فلا يحلُّ نِكاحهن إلا بالملك، وأما حرائرُنا فلا يحلُّ لهم نكاحُهنَّ، بل ولا إماؤُنا، فتحصَّل أن طعامَنا حلٌّ لهم وطعامهم حلٌّ لنا، ونساؤُهم حلٌّ لنا، ونساؤُنا لسن حلًّا لهم.

قوله: (﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾) بيانٌ لِلأكمل[2]، واحترزَ عن الدخول على إسقاطه فلا يحلُّ، والظرفُ متعلِّقٌ بالخبر المحذوف الذي قدَّره المفسِّرُ بقوله: ﴿حِلٌّ لَّكُمْ﴾.

قوله: (﴿مُحْصِنِينَ﴾) حالٌ من ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ أي: حالَ كَونكم مُحصنين، وقوله: ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ نعتٌ لـ﴿مُحْصِنِينَ﴾.

---

(١) والحاصل: أن حلَّ الذبيحة تابع لحلِّ المناكحة على التفصيل المقرَّر في الفروع. «الفتوحات» (١/ ٤٦٥).

(٢) إذ العقد صحيح من غير إيتاء المهر، لا إسقاطه أصلاً.

غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍۢ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ....

﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: مُعلِنِينَ بِالزنى بِهِنَّ، ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍۢ﴾ مِنهُنَّ تُسِرُّونَ بِالزنى بِهِنَّ، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: يَرتَدَّ ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ الصَّالِحُ قبلَ ذلك، فلا يُعتَدُّ بِه ولا يُثابُ علَيهِ، ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إذا مات علَيه.

﴿٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ﴾ أي: أردتُم القِيامَ ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَخْدَانٍۢ﴾) جمع خِدْن، وهو الخليلُ والصاحبُ الذي يَزني بالمرأة سرًّا.

قوله: (بالإيمان) الباء: بمعنى عن، والكفر بمعنى: الردَّة؛ أي: يرتدُّ عن الإيمان.

قوله: (حبط عمله الصالح) أي: والسيِّئُ، بمعنى: بطلَ كلٌّ منهما[1]، ولو عادَ للإسلام فلا عقابَ عليه في السيئ، ولا ثوابَ له في الصالح، والمرتدُّ لا يقضي الصلاةَ ولا الصوم ولا الزكاة إذا فاتَهُ جميعُ ذلك في زمن الردَّة أو قبلَ زمنها ما لم يَرتدَّ بقصد إسقاط ذلك، ولا يقضي إلا ما أسلمَ في وَقته؛ لعموم آية: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] عند مالك، وعند الشافعي: يقضي جميعَ ذلك، وأما الحجُّ فوقتُهُ ـ وهو العمرُ ـ باقٍ، فيَقضيه.

قوله: (إذا مات عليه) أي: الكفر، وهو راجعٌ لقوله: ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ لا لِما قبله، فإنه يحبطُ عمله زمنَ الردَّة مطلقاً، ماتَ على الكفر أو الإسلام.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾) إنما وجَّهَ الخطابَ للمؤمنين وإن كان الكفَّارُ مخاطبِين بفروع الشريعة أيضاً على الصحيح؛ لعدم صحَّتِها منهم إلا بالإسلام.

قوله: (﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾) أي: اشتَغلتُم بها قولاً أو فعلاً من قيامٍ أو غيره.

قوله: (أي: أردتم القيام) دفعَ بذلك ما يُقالُ: إن مقتضى الآية أن الطهارةَ لا تجبُ إلا بعد الشروع في الصلاة، فأجابَ: بأن المرادَ: أردتُم القيام؛ أي: قصدتُموه وعزمتم عليه، وشرعت الطهارة قبلَ الصلاة؛ لأنَّ المصلِّيَ يناجي ربَّهُ وهو في حضرته، فيحتاجُ قبل ذلك للنظافة من الحدثين الأصغر والأكبر، ومن الخبثَين الحسيِّ والمعنوي كالذنوب؛ ليرتِّبَ على ذلك قبولَ طاعاتِه.

---

(١) في (ط١): (أي: والسيِّئ إن عاد للإسلام، بمعنى بطل...)، وكأن السياق يقتضي ما في (أ).

فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ....

وأنتُم مُحدِثُون، ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ أي: معَها كما بيَّنَتهُ السُّنَّةُ،

حاشية الصاوي

قوله: (وأنتم محدثون) أي: حدثاً أصغرَ، وأخذَ المفسِّرُ هذا من قوله فيما يأتي: ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبًا﴾، وفيه إشارةٌ للجواب عن إشكال البَيضاوي حيث قال: (ظاهرُ الآية: أن كلَّ قائم إلى الصلاة يجبُ عليه الوضوء وإن لم يكنْ محدثاً)[1]، وقوله: (وأنتم محدثون) أي: ممنوعُون من الصلاة؛ لعدم وجود الطهارة، فيَشملُ من ولد ولم يحصُلْ منه ما يوجبُ الوضوءَ إلى أن بلغ، فيجبُ عليه الوضوءُ؛ لأنه كان ممنوعاً من الصلاة قبل ذلك لِعدم وجود الطهارة؛ ولذا علَّقَ الوضوءَ بالقيام إلى الصلاة.

قوله: (﴿وُجُوهَكُمۡ﴾) أي: ليغسِلْ كلٌّ منكم وجهَهُ ولو تعدَّدَ، وحدُّهُ طولاً: من منابت شعر الرأس المعتاد لآخر الذَّقَنِ، وعرضاً: ما بين وَتِدي الأذنين، ويخلِّلُ لحيته إن كانت خفيفةً، وإلا.. غسلَ ظاهرَها فقط، ويتَّبِعُ أساريرَ جبهته والوَتَرَةَ[2]، ولا يلزمُهُ غسلُ داخلِ عينَيه، وأما المضمضةُ والاستنشاقُ ومسحُ الأذنين فسنَّةٌ.

قوله: (أي: معها) أشارَ بذلك إلى أن (إلى) بمعنى (مع)، وهذا أسهَلُ ما قيل.

واعلَم: أن الغاية في (إلى) داخلةٌ، وقيل: خارجة، وقيل: إن كان ما بعدها من جنس ما قبلها.. أدخلت، وإلا.. فلا، والأصحُّ: أن (إلى) لا يدخلُ ما بعدها فيما قبلَها عكس (حتى)، قال سيِّدي عليٌّ الأجهوري: [الرجز]

وَفِي دُخُولِ الغَايَةِ الأَصَحُّ لا تَدْخُلُ مَعْ إِلَى، وَحَتَّى دَخَلَا[3]

وأما في الآية فإما أن يُقالَ: إنها بمعنى (مع)، أو الغاية داخلةٌ على خِلاف القاعدة؛ لِوُجود القرينة، فغسلُ المرافق واجبٌ لذاته، وليس من باب: ما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجبٌ.

قوله: (كما بيَّنته السنة) أي: فبيَّنت السنةُ أن المرافق تغسَلُ مع الأيدي، ويجبُ تخليلُ أصابع الأيدِي عند مالك؛ لوجوب الدَّلْكِ عنده.

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٢/ ١١٦) بعد أن فسَّرَ القيام بإرادة القيام، وردَّ ظاهر الآية بالإجماع على خلاف هذا الظاهر، وهذا الظاهرُ جاء من لفظ (الذين آمنوا) ولم يكن يقيَّد بالمحدِثين، كذا قال السعد، وانظر «حاشية السيوطي على البيضاوي» (٣/ ٢٤٣).

(٢) الوترة: هي بفتح الواو والتاء، الحائلُ بين طاقتي الأنف، وأساريرُ الوجه: خطوطُهُ.

(٣) حكاه المصنف في «حاشيته على الشرح الصغير» (١/ ١٠٧)، وفي (ط١): (وقيل: إن إلى على بابها من الانتهاء والغاية داخلة، وقيل: خارجة...) بدل: (واعلم أن الغاية في إلى داخلة...).

﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ ....

﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ - الباءُ لِلإلصاقِ - أي: أَلصِقُوا المَسحَ بِها مِن غيرِ إسالةِ ماءٍ، وهو اسمُ جِنس، فيَكفِي أقلُّ ما يَصدُقُ علَيهِ وهو مَسحُ بعضِ شَعَرةٍ، وعلَيهِ الشَّافِعيُّ، ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ - بِالنَّصبِ عَطفاً على (أيدِيَكُم)، وبِالجَرِّ على الجِوار - ﴿إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (الباء: للإلصاق) وقيل: لِلتبعيض؛ لدخولها على مُتعدِّد، وأما في ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ﴾ [الحج: ٢٩] للإلصاق لدخولها على غير متعدِّد، وأُوردَ على ذلك آية التَّيمم، فإن قيل: إنها للإلصاق يُقالُ: أيُّ فرق بينهما؟ ولما كان هذا المعنى معترَضاً.. عدلَ عنه المفسِّرُ وجعلَها للإلصاق في كلٍّ، وأحالَ بيانَ ذلك لِلسنة.

قوله: (أي: ألصقوا المسح بها) لعلَّ في كلام المفسِّر تسامحاً؛ لأن المسحَ معنًى من المعاني لا يُلصق؛ لأنَّ الإلصاقَ لا يكون إلا بين جسمَين، إلا أن يُقالَ: المرادُ بالمسح: آلتُهُ وهو اليد.

قوله: (من غير إسالة ماءٍ) بيانٌ لحقيقة المسح من حيث هو، لا لِما يكفي في الوضوء، فإن الغسلَ يكفي أيضاً[1].

قوله: (وهو) أي: المسح.

قوله: (وهو مسح بعض شعرة) وقال أبو حنيفة: يجبُ مسحُ ربع الرأس، وقال مالك وأحمد: يجبُ مسحُ الجميع كما يجبُ مسحُ الوجهِ في التيمم.

قوله: (بالنصب) أي: لفظاً، وهي قراءةُ نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم، وقوله: (والجر) أي: وهي لباقي السبعة.

قوله: (على الجوار) أي: فهو في المعنى منصوبٌ بفتحة مقدَّرة على آخره منعَ من ظهورها اشتغالُ المحلِّ بحركة المجاورة، واعترضَ هذا الجملُ: بأنه لم يرِدِ الجرُّ بالمجاورة إلا في النعت، ومع ذلك هو ضعيفٌ[2]، والأولى أن يقولَ: إنه مجرور لفظاً ومعنًى مَعطوفٌ على الرؤوس والمسحُ

---

(١) كذا نقل العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٤٦٧) عن العلامة الأجهوري، وقوله: (الغسل يكفي) أي: لو غسل رأسه لأجزأه أيضاً بلا خلاف، فهو لِبيان حقيقة المسح في الوضوء وغيره.

(٢) «الفتوحات» (١/ ٤٦٧)، والحقُّ: أن العلامة الجمل قد نقل هذا الاعتراض عن العلامة السمين في «الدر المصون» (٤/ ٢١٠).

أي: معَهُما كما بَيَّنَتهُ السُّنَّة، وهُما العَظمانِ النَّاتِئانِ في كُلِّ رِجل عِندَ مَفصِلِ السَّاق والقَدَمِ. والفَصلُ بينَ الأيدِي والأرجُلِ المَغسُولةِ بِالرَّأسِ المَمسُوحِ يُفِيدُ وُجُوبَ التَّرتِيب في طَهارةِ هذِه الأعضاءِ، وعلَيهِ الشَّافِعِيُّ، ويُؤخَذُ مِن السُّنَّة وُجُوبُ النِّيَّة فِيه كغَيرِه مِن العِبادات، ....

حاشية الصاوي

مسلَّطٌ عليه، ويحملُ على حالة لبسِ الخفّ، أو يُقالُ: إن المرادَ بالمسح: الغسلُ الخفيف، وسمَّاه مسحاً ردًّا على مَن يتتبعُ الشكَّ ويسرفُ في الماء، وهو بعيدٌ[(١)].

قوله: (وهما) أي: الكعبان.

قوله: (عند مَفْصِل) بفتح الميم وكسر الصاد، وأمَّا بكسر الميم وفتح الصاد.. فهو اللسان[(٢)]، ويجبُ على الإنسان في غسل رجليه أن يتتبَّعَ العقبَ بالغسل؛ لما في الحديث: «**ويلٌ للأعقاب من النار**»[(٣)]، وتُسَنُّ الزيادةُ على محلِّ الفرض عند الشافعي، وفسَّرَ بها الغرَّة والتحجيل الواردَين في الحديث[(٤)]، وكرهَ مالكٌ ذلك، وفسَّرَ الغرَّةَ والتحجيل بإدامة الطهارة.

قوله: (والفصل) هو مبتدأٌ، وخبره: (يفيدُ)، وقصدُهُ بذلك: تتميمُ الفرائض الستة عند الشافعي، ومُحصَّلُ ذلك: أن الواو وإن كانت لا تقتضي ترتيباً لكن وُجِدت قرينةٌ تفيدُ الترتيب وهو الفصل بين المغسولات بالرأس الممسوح، لكن يُقالُ: إن ذلك ظاهرٌ في غير الوَجه مع الأيدي، وعند مالك: ليس الترتيبُ فرضاً وإنما هو سنةٌ إبقاءً للواو على ظاهرها، ولم يعتبرْ تلك القرينة.

قوله: (وجوب النية فيه) أي: لأنه عبادةٌ، وكلُّ عبادة تحتاجُ لِنية، فتحصَّلَ أن فرائضَ الوضوء عند الإمام الشافعي ستة؛ الأربعةُ القرآنية، والنيةُ، والترتيبُ، وعند مالك سبعةٌ: الأربعةُ، والنيةُ، والموالاةُ بألا يفرِّقَ بين أجزائه تفريقاً مُتفاحشاً، والتدليكُ وهو إمرارُ باطن الكفِّ على الأعضاء، وعند الحنفية: الأربعةُ القرآنية لا غير.

---

(١) قوله رحمه الله تعالى: (والأولى أن يقول...) قد ذكر العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ٤٦٧) هذه الأقوال ولم يُغفلها.

(٢) «المصباح المنير» (ف ص ل).

(٣) رواه البخاري (٦٠)، ومسلم (٢٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) وهو ما رواه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦) مرفوعاً: «أنتم الغرُّ المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء...».

وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ....

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟﴾: فاغتَسِلُوا، ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ مَرَضاً يَضُرُّه الماءُ ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مُسافِرِين، ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ أي: أحدَثَ، ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ سَبَقَ مِثلُه في آيةِ (النِّساء)، ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ بعد طَلَبِه، ﴿فَتَيَمَّمُوا۟﴾: اقصِدُوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: تُراباً طاهِراً، ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم﴾ مع المِرفَقَينِ ﴿مِّنْهُ﴾ بِضربَتَينِ، والباءُ لِلإلصاقِ، وبَيَّنَتِ السُّنَّةُ أنَّ المُراد استيعابُ العُضوَينِ بِالمَسحِ، ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾: ضِيقٍ بِما فَرَضَ عليكُم مِن الوُضُوءِ والغُسل والتَّيَمُّم، ..

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا﴾) أي: بِمغيب الحشَفة، أو خروج المني بلَذَّة معتادة في اليقظة، ومطلقاً في النوم، والحيض، والنفاس؛ لأنَّ الخطابَ عامٌّ للذكور والإناث.

قوله: (أي: أحدث) أي: فالمجيءُ من الغائط كنايةٌ عن الحدث، وعبَّر عنه بالغائط؛ لأن العادةَ قضاءُ الحاجة في الغائِط بمعنى: المكان المنخفِض.

قوله: (سبق مثله) أي: فيقالُ هنا: جامَعتم أو جسَستم باليد.

قوله: (مع المرفقين) أي: فهو فرضٌ عند الشافعي حملاً على آية الوضوء، وعند مالك: مسحُ المرفقين سنة، وإنما الفرضُ للكوعَين.

قوله: (بضربتين) أي: فهما فرضٌ عند الشافعي، وعند مالك: الأُولى فرضٌ، والثانيةُ سنَّة.

قوله: (وبيَّنت السنة... إلخ) جوابٌ من الشافعية والحنفية عن التعارض الواقع بين آية الوضوء وآية التيمم [(١)].

قوله: (من الوضوء والغسل والتيمم) أي: فأوجبَ ما ذكرَ عند القُدرة عليه ووجود الماء أو الصعيد، فإن فُقِدَا معاً.. سقطت عنه الصلاة وقضاؤها على المعتمَد عند مالك، ويُصلي ويقضي عند الشافعي.

---

(١) إذ الباء للإلصاق فيهما، فلماذا بعَّضنا في الوضوء واستوعبنا في التيمم؟

وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ ....

﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ مِن الأحداثِ والذُّنوبِ، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ بِالإسلامِ بِبَيانِ شَرائِعِ الدِّين، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَه.

﴿٧﴾ ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِالإسلامِ ﴿وَمِيثَاقَهُ﴾: عَهدَه ﴿الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾: عاهَدَكم عليهِ، ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ لِلنَّبيِّ ﷺ حِين بايَعتُموهُ: ....

حاشية الصاوي

قوله: (من الأحداث والذنوب) أي: فإذا تطهَّرَ الإنسانُ فقد خَلَصَ من الحدَث والذنوب؛ لأنه وردَ: أن الذنوب تتساقطُ مع غسل الأعضاء[1].

قوله: (بالإسلام) الباء: للتعدية، والجار والمجرور متعلقٌ بـ(نعمة)، فهو أعظَم النعم؛ لأنَّ به يُنالُ كلُّ خير.

قوله: (﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾) ظرفٌ لقوله: ﴿وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾.

قوله: (حين بايعتموه) أي: عند العقبة سنةَ الهجرة، لمَّا جاءَهُ سبعون من الأنصار ورئيسُهم إذ ذاك البراءُ بن معرور، وكان له اليدُ البيضاءُ في الميثاق، حتى إنه قال: والذي بعثك بالحقِّ نبيًّا؛ لنمنعنَّكَ ممَّا نمنعُ منه أُزُرَنا، فبايِعْنا يا رسولَ الله، فنحن واللهِ أبناءُ الحرب كابراً عن كابر، وبايَعوه على أن يقاتلوا معه الأسودَ والأبيضَ[2]، وكذلك بَيعةُ الرضوان تحتَ الشجرة حين صدَّهُ المشركون عن البيت وأشاعَ إبليسُ أن عثمانَ قُتلَ، فبايعَ النبيُّ الصحابةَ على عدم الرجوع حتى يُقتلوا أو يدخلوا مكَّةَ، هكذا حملَ المفسِّرُ العهدَ على عهد النبي أصحابَه.

ويحتملُ أن المرادَ: العهدُ الواقع يومَ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فيكون المعنى: اذكرُوا نعمةَ الله عليكم؛ حيث خلقكم على التوحيد في عالم الأرواح، وجعل عالمَ الأجساد موافقاً له، فالإيمانُ نعمةٌ عظيمة لِمُوافقته للإجابة الواقعة يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وكلٌّ صحيح، لكن إن كان المرادُ عهدَ الله الأزَلي.. فالنسبةُ له ظاهرة، وإن كان المرادُ عهدَ النبيِّ لأصحابه.. فإسنادُ العهد لله؛ لأنه هو المعاهدُ حقيقة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...﴾ [الفتح: ١٠] الآية.

---

(١) روى مسلم (٢٤٥) عن عثمان رضي الله عنه مرفوعاً: «مَن توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره».

(٢) الخبر بطوله رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠١١).

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ ....

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ في كُلِّ ما تأمُر به وتَنهَى مِمَّا نُحِبُّ ونَكرَهُ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مِيثاقِه أن تَنقُضُوه، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بِما في القُلوب فبِغَيرِه أولى.

﴿٨﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾: قائِمِين ﴿لِلَّهِ﴾ بِحُقُوقِه، ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾: بِالعَدلِ، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يَحمِلَنَّكُم ﴿شَنَآنُ﴾: بُغضُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سَمِعْنَا﴾) أي: سماعَ قَبول.

قوله: (ممَّا نحب) أي: بأن كان موافقاً لما تهواه نُفوسهم، وقوله: (ونكره) أي: بأن لم يكُنْ موافقاً؛ كالجهاد وأداء الزكاة مثلاً.

قوله: (بما في القلوب) أي: من الإخلاص وغيره، فـ(ذاتُ الصدور) صفةٌ لموصوفٍ محذوف، تقديره: بالأمور الخفيَّة صاحباتِ الصُّدور التي لا يَطَّلعُ عليها إلا الله.

قوله: (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾) شروعٌ في بيان الحقوق الواجبة على العباد، وهي قسمان: متعلقٌ بالخالق وهو قوله: ﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾، وبالمخلوق وهو قوله: ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾، وقد تقدَّمت هذه الآيةُ في (النساء)، وكرَّرَها اعتناءً بشأنها؛ فإنَّ مقامَ القيام بحقِّ الله وحقِّ عباده عظيمٌ، وهو حقيقةُ التوفيق، فليس كلُّ من آمنَ قام بالحقَّين. وقوله: ﴿قَوَّامِينَ﴾ خبرٌ لـ﴿كُونُوا﴾، و﴿شُهَدَاءَ﴾: خبرٌ ثانٍ.

قوله: (بحقوقه) أي: الخاصَّة به؛ كالصلاة والصوم والحجِّ وغير ذلك.

قوله: (﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾) أي: فلا تَشهدوا بخلاف الواقع، بل بما في نفس الأمر، وهو المرادُ بقوله: (بالعدل).

قوله: (يحملنَّكم) هو معنى ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، ومن ثَمَّ عدَّاه بـ(على)، ويجوزُ أن يفسَّر بـ: يكسبنَّكم، وهما متقاربان.

قوله: (﴿شَنَآنُ﴾) بفتح النون وسكونها، سَبعيَّتان[1].

---

(١) قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم بسكون النون، والباقون بفتحها. «الدر المصون» (٤/ ١٨٩).

قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ....

﴿قَوۡمٍ﴾ أي: الكُفَّارِ ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾ فتَنالُوا مِنهُم لِعَداوَتِهم، ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ في العَدُوِّ والوَلِيِّ، ﴿هُوَ﴾ أي: العَدلُ ﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فيُجازِيكُم به.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الكفار) أشارَ به إلى أنها نزلت في قريش لما صدُّوا النبيَّ عن المسجد الحرام، ولكن العبرة بعموم اللفظ.

قوله: (﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾) (أنْ) وما دَخلت عليه: في تأويل مصدر مجرور بـ(على)، أي: على عدم العَدل، كنَقض العهد وإيذاءِ مَنْ أسلمَ منهم.

قوله: (فتنالوا منهم) أي: مقصودَكم من القتل وأخْذِ المال.

قوله: (العدو والولي) أي: فسوُّوا بين المحِبِّ والمبغِضِ في العدل، ولا تُؤثروا المحبَّ.

قوله: (﴿ٱعۡدِلُواْ﴾) تصريحٌ بما عُلِمَ من النهي من تَرك العدل؛ اعتناءً بشأن العدل.

قوله: (أي: العدلُ) أي: المأخوذ من قوله: ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ فإن الضميرَ لا بدَّ أن يرجعَ لمذكور ولو ضِمْناً كما هنا.

قوله: (﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾) أي: أقربُ ما يدلُّ على التقوى؛ لأنها في القلب، والعدلُ أكبرُ دليل عليها، فعند القدرة يَظهرُ الحالُ، فمن ظهرَ العدلُ على يديه كان دليلاً على تَقواه، ومن لا فلا، ومنه: ما وردَ: الظلمُ كمينٌ في النفس؛ القوةُ تُظهِرُهُ، والعجزُ يُخفيه[1].

قوله: (﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾) أي: امتثِلوا أوامرَهُ، واجتنبوا نواهيَهُ.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾) فيه وعدٌ ووعيدٌ، وبيَّنَ الوعدَ بقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وبيَّنَ الوعيدَ بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ إلخ.

---

(١) ذكر العلامة الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٣٠) أنه مما اشتهر على الألسنة من كلامهم، ومثله في «كشف الخفاء» (٢/ ٥٨).

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ ....

﴿٩﴾ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعْداً حَسَناً، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجَنَّة.

﴿١٠﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿١١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ هُم قُرَيْشٌ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) تفصيلٌ لما أجملَ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعولٌ أول لـ﴿وَعَدَ﴾، وقدَّرَ المفسرُ المفعول الثاني بقوله: (وعداً حسناً) أي: موعوداً، فأطلق المصدرَ وأرادَ اسمَ المفعول، وقوله: (لهم مغفرة وأجر عظيم) جملةٌ مُستأنَفة بيانٌ للموعود به الحسَن.

قوله: (الجنة) تفسيرٌ للأجر العظيم، فيكون عطفُ الأجر العظيم على المغفرة من عطف المسبَّب على السبب.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) مبتدأٌ، و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: مبتدأٌ ثان، و﴿أَصْحَٰبُ﴾: خبرُ الثاني، والثاني وخبره: خبرُ الأول، والجملة مُستأنفة لبيان وعيد الكفار، ولم يقُلْ في جانب الكفار: لهم عذابُ الجحيم مثلاً؛ قطعاً لِرَجائهم؛ لأنَّ صاحبَ الشيء لا يَنفكُّ عنه.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) سببُ نزولها: أن رسولَ الله لمَّا خرجَ هو وأصحابه لِعسفان في غزوة ذي أنمار ـ وهي غزوة ذات الرقاع ـ قامُوا إلى الظهر جميعاً، فلمَّا صلَّوا ندمَ المشركون على عدم المكرِ بهم في الصلاة، فقالوا: إنَّ لهم بعدها صلاةً هي أحبُّ إليهم من آبائهم وأبنائِهم ـ يَعنون بها صلاةَ العصر ـ وهمُّوا أن يَقعوا بهم إذا قاموا إليها، فردَّ اللهُ كيدَهم بنزول آية صلاة الخوف[1].

وقيل: ما رُوِيَ: أن رسولَ الله ﷺ أتى بني قُرَيظةَ ومعه أبو بكر وعمر وعلي يستقرضُ منهم ديةَ

---

(١) تقدَّم في سورة (النساء)، انظر (٢/ ١٢١).

أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ....

﴿أَن يَبْسُطُوٓاْ﴾ يَمُدُّوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ لِيَفتِكُوا بِكُم، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾، وعَصَمَكُم مِمَّا أرادُوا بِكُم، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

حاشية الصاوي

مُسلمينِ قتلَهما عمرو بن أمية الضمري خطأً يحسبُهما مُشركين، فقالوا: يا أبا القاسم؛ اجلِسْ حتى نطعمَكَ ونُعطِيَكَ ما سألت، فأجلَسوه في صفة وهمُّوا بالفتك به، وعمدَ عمرو بن جحاش إلى رحًى عظيمةٍ لِيَطرحَها عليه، فأمسكَ اللهُ يدَهُ ونزلَ جبريلُ عليه وأخبره، فخرجَ هو وأصحابه ونقضَ عهدَهم حينئذٍ، وأقامَ الحربَ عليهم[1].

وقيل: هو ما رُوِيَ: أن رسولَ الله ﷺ نزلَ منزلاً وتفرَّقَ أصحابُهُ في الشجر يَستظلُّون به، فجلسَ رسولُ الله تحت شجرة وعلَّقَ سيفَهُ بها ونام، فجاء أعرابي وأخذَ السيفَ من الشجرة وسلَّهُ، فاستيقظَ النبيُّ ﷺ فوجده في يَده، فقال له الأعرابيُّ: من يمنعُكَ مني؟ فقال: «الله»، فسقط السيفُ من يَده، فأخذَهُ رسولُ الله وقال: «مَن يمنعك مني؟»، فقال: لا أحدَ، أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأشهدُ أن محمداً رسول الله[2].

والأحسن أن يراد بقوله: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ ما هو أعَمُّ، فيشملُ هذه الوقائعَ وغيرها؛ كواقعة السَّم[3].

قوله: (﴿أَن يَبْسُطُوٓاْ﴾ ... إلخ) يقالُ: بَسطَ إليه يدَهُ: إذا بطشَ به، وبسطَ إليه لسانَهُ: إذا شتَمه، والمرادُ: مدُّوا إليكم أيديَهم بالقتل.

قوله: (﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾) أي: دُوموا على امتثالِ أوامره واجتنابِ نَواهيه.

قوله: (﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾) أي: لا على غيره، فلا يعتمدُ الإنسانُ على سبب ولا غيره، بل يَثِقُ بالله ويُفوِّضُ أمرَهُ إليه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٠١)، وأبو نعيم في «الدلائل» (ص٤٨٩).

(٢) والأعرابي هو غَوْرَث أو دعثور، وأصل خبره في «صحيح البخاري» (٢٩١٠، ٤١٣٦).

(٣) عندما سمَّت امرأة يهودية من أهل خيبر شاة مصليَّة وأهدتها لرسول الله ﷺ، والخبر رواه أبو داوود (٤٥١٠) من حديث جابر رضي الله عنه.

وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ....

﴿١٢﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بِما يُذكَر بعدُ، ﴿وَبَعَثْنَا﴾ - فِيه التِفاتٌ عن الغَيبةِ -: أقَمنا ﴿مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ مِن كُلِّ سِبطٍ نَقِيبٌ يَكُون كفِيلاً على قَومِه

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾) كلامٌ مستأنف مسوقٌ لبيان تحريض المؤمنين على الوفاء بالعقود؛ فإن المقصودَ من ذكر الأمم السابقة ونَقضِهم عهودَ أنبيائهم تذكيرُ هذه الأمة بأن الوفاءَ بالعهود أمرُهُ عظيمٌ وأجرُهُ جَسيم، ونقضُهُ فيه الوبالُ الكبير؛ ولِذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي: (فالويلُ لمَنْ لم يعرفْكَ، بل الويلُ ثم الويلُ لمنْ أقرَّ بوَحدانيَّتِكَ ولمْ يَرضَ بأحكامِك)[(١)].

قوله: (بما يذكر بعد) أي: من قوله: ﴿إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ إلخ، فعهدُ الله هو: امتثالُ المأمورات، واجتنابُ المَنهيات، والدالُّ على ذلك تجبُ مُطاوعته، فالشيخُ المتمسِّكُ بشرع رسول الله القائمُ بحقوق الله وحقوق عبادِهِ؛ إذا أخذَ العهدَ بذلك على إنسان.. وجبَ عليه اتباعُهُ، ونقضُ عهدِهِ إما كفرٌ إذا قصدَ نقضَ ما هو عليه من التوحيد وغيره، أو ضلالٌ مبينٌ إذا قصدَ عدمَ الالتزام بِأوراده، وأما من خالفَ الشرعَ واتبعَ هوى نفسه.. فالواجبُ نقضُ عَهده؛ لأنَّ من لا عهدَ له مع الله لا عهدَ له مع خَلقه.

قوله: (فيه التفاتٌ عن الغيبة)؛ أي: وكان مُقتضى الظاهر: وبعثَ، وإنما التفتَ؛ اعتناءً بشأن البعث.

قوله: (أقمنا) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ بالبعث: الجَعْلُ والإقامة، لا الإرسالُ، وإلا.. لكانوا معصومين من النقض.

قوله: (﴿مِنْهُمُ﴾) إما متعلقٌ بـ(بعثنا)، أو بمحذوف حال من ﴿ٱثْنَىْ عَشَرَ﴾، وقوله: ﴿نَقِيبًا﴾ تمييزٌ، والنقيبُ: فعيل إما بمعنى: فاعِل؛ لأنه يُفتِّشُ على أحوال القوم، أو بمعنى: مفعول؛ لأنهم فَتشوا عليه واختاروهُ نقيباً عليهم، مشتقٌّ من التنقيب، وهو: التَّفتيش، ومنه: ﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [ق: ٣٦]، سُمِّي بذلك؛ لأنه يفتِّشُ عن أحوال القوم، ويَسعى في مَصالحهم.

قوله: (من كلِّ سبط نقيب) أي: فالنقباءُ على عدد الأسباط، وهم أولادُ يعقوب، وكانوا اثني عشرَ، فكلُّ واحد منهم سِبط[(٢)].

---

(١) قطعة من وِرده المبارك المسمَّى بالحزب الكبير أو حزب البَرِّ.

(٢) في (ط١): (فكلُّ أولاد واحد منهم سبط)، والمثبت من (أ).

وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ ....

بِالوفاءِ بِالعَهدِ؛ تَوثِقةً علَيهِم، ﴿وَقَالَ﴾ لَهُم ﴿ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ﴾ بِالعَونِ والنُّصرَةِ، ﴿لَئِنْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (توثقة عليهم) أي: تأكيداً عليهم.

قوله: (﴿وَقَالَ﴾ لهم) أي: لِلنقباء، وعهدُ النقباء هو عهدُ بني إسرائيل، والضميرُ عائدٌ على بني إسرائيل عموماً.

وسببُ ذلك: أن بني إسرائيل لمَّا رجعوا إلى مِصر بعد هلاك فرعون.. أمرَهم اللهُ تعالى بالسير إلى أريحا بأرض الشام، وكان يسكنُها الجبابرةُ الكنعانيُّون، وقال لهم: إنِّي كتبتُها لكم داراً وقراراً، فأخرجوا مَنْ فيها وإني ناصرُكم، وأمرَ موسى أن يأخذَ من كلِّ سبطٍ نقيباً أميناً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أُمروا به، فاختارَ النقباءَ، وأخذَ الميثاقَ على بني إسرائيل، وسارَ بهم، فلمَّا دنا من أرض كنعان.. بعثَ النقباءَ إليهم يتجسَّسون أحوالَهم، فرأَوا خلقاً أجسامُهم عظيمةٌ، ولهم قوةٌ وشَوكة، فهابوهم، فرجعوا، وكان موسى قد نهاهم أن يتحدَّثوا بما يرَون من أحوال الكنعانيين، فنكثوا الميثاقَ وتحدَّثوا إلا اثنَين منهم.

قيلَ: لمَّا توجَّهَ النقباءُ لتجسس أحوال الجبَّارين.. لقيهم عُوْجُ بنُ عُنُق، وعُنُق أمُّهُ إحدى بناتِ آدم لصلبه، وكان عمرُهُ ثلاثةَ آلاف سنة، وطولُهُ ثلاثةَ آلاف وثلاثَ مئة وثلاثين ذراعاً، وكان على رأسه حزمةُ حطب، فأخذَ النقباءَ وجعلَهم في الحُزمة وانطلقَ بهم إلى امرأته، فطرحَهم بين يدَيها وقال: اطحَنيهم بالرَّحى، فقالت: لا، بل نتركُهم حتى يخبروا قومَهم بما رأَوا، فجعلوا يتعرَّفون أحوالَهم، وكان من أحوالهم أن عنقودَ العنب عندهم لا يحملُهُ إلا خمسةُ رجال مِنهم، وأن قشرةَ الرمانة تسعُ خمسةً منهم، فلمَّا خرجَ النقباءُ من أرضِهم.. قال بعضُهم لبعض: إن أخبرَتم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدُّوا عن نبيِّ الله، ولكن اكتُموه إلا عن موسى وهارون، ثم انصرفوا إلى موسى وكان معهم حبةٌ من عِنبهم، فنكثوا عهدهم وجعلَ كلُّ واحد منهم ينهى سبطَهُ من القتال ويخبرُهُ بما رأى إلا كالِباً ويُوشعَ، وكان عسكرُ موسى فرسخاً في فرسخ، فجاء عوجُ بنُ عُنُقٍ حتى نظرَ إليهم، فجاء إلى جبلٍ وأخذَ منه صخرةً على قدْرِ عسكر موسى، ثم حملَها على رأسِه ليطبقَها عليهم، فبعثَ اللهُ الهدهدَ فنقرَ وسط الصخرة المحاذِي لرأسه فوقعت في عنقه وطَوَّقَتْهُ فصرَعته، وأقبلَ موسى فقتَله، فأقبلت جماعتُهُ حتى جَزُّوا رأسَهُ.

أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ....

ـ لامُ قَسَم ـ ﴿أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: نَصَرتُموهُم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاقِ في سَبيلِه، ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ المِيثاقِ ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أخطأَ طَرِيقَ الحَقِّ، والسَّواءُ في الأصلِ: الوَسَطُ، فنَقَضُوا المِيثاقَ، قال تعالى:

حاشية الصاوي

وهذه القصة ذكرها كثير من المفسِّرين[1]، قال المحققون: الحقُّ أنه لا عُوْجَ ولا عُنُقَ، وإنما الصحيحُ من القصة وُجودُ الجبارين وقريتِهم، وأنهم عظامُ الأجسام، وبالجملة: فالصحيحُ هو ما قصَّهُ اللهُ علينا فيما يأتي من هذا الرُّبع[2].

قوله: (لام قسم) أي: والله، وجوابُهُ هو قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾، وحذف جواب الشرط؛ لتأخُّرِهِ عن القسم اكتفاءً بجواب القسم، قال ابن مالك: [الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ جَوابَ مَا أَخَّرْتَ ....[3]

قوله: (﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾) أَخَّرَهُ عن الصلاة والزكاة مع أنهما من الفُروع؛ لأن بعضَهم كان يفعلُهما مع كونه يكذِّبُ بعضَ الرسل، فأفادَ اللهُ أن عدم الإيمان لا يَنفعُ مع فعل الطاعات.

قوله: (﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾) من التعزير، يُطلقُ على التعذيب، وعلى التعظيم والتوقير والنُّصرة، وهو المرادُ هنا.

قوله: (بالإنفاق في سبيله) أي: واجباً أو مندوباً، وهو أعمُّ من الزكاة.

قوله: (فنقضوا الميثاق) أي: بِتكذيبهم الرسلَ وقتلِهم الأنبياءَ وتَضييعِهم الفرائض.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٣٠)، و«تفسير الخازن» (٢/ ٢٢)، وغيرهما.

(٢) وإلى هذا التحقيق ذَهب العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٤٧١).

(٣) «الخلاصة»: (باب عوامل الجزم).

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ .....

﴿١٣﴾ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ - (ما) زائِدة - ﴿مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾: أبعَدْناهُم عَن رَحمَتِنا، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ لا تَلِينُ لِقَبُولِ الإيمانِ، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ الَّذي في التَّوراةِ مِن نَعتِ مُحمَّد وغَيرِه ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وَضَعَهُ الله علَيها، أي: يُبَدِّلُونَه، ﴿وَنَسُوا۟﴾: تَرَكُوا ﴿حَظًّا﴾: نَصِيباً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا۟﴾: أُمِرُوا ﴿بِهِۦ﴾ في التَّوراةِ مِن اتِّباع مُحمَّدٍ، ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ - خِطابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ - ﴿تَطَّلِعُ﴾: تَظهَرُ ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾ أي: خِيانةٍ ﴿مِّنْهُمْ﴾ بِنَقضِ العَهد وغَيرِه، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ مِمَّن أسلَمَ، ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وهذَا مَنسُوخٌ بِآيةِ السَّيفِ.

﴿١٤﴾ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ - مُتعلِّق بِقَولِه: - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾) بيانٌ لقسوة قلوبهم.

قوله: (تركوا) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ بالنسيان التركُ، من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم.

قوله: (خيانة) أشارَ بذلك إلى أن خائنة بمعنى: خِيانة، فالتاءُ للتأنيث؛ بدليل القراءة الأخرى: (خيانة)[1].

قوله: (وهذا) أي: الأمرُ بالعفو والصفحِ منسوخٌ إن أُريدَ مع بقائهم على الكفر، وأما إن أُريدَ: إن تابوا.. فلا نسخَ.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾) شروعٌ في بيان قَبائح النصارى إثرَ بيان قبائح اليهود، والحكمةُ في قوله: ﴿قَالُوٓا۟﴾، ولم يقُلْ: (ومن النصارى): أن هذه التسميةَ واقعةٌ منهم لأنفسهم، ولم يسمِّهم اللهُ بذلك، والجار والمجرور متعلقٌ بـ﴿أَخَذْنَا﴾، والأصلُ: وأخذنا من الذين قالوا: إنَّا نصارى ميثاقَهم، وهو الأحسنُ؛ ولذا مشى عليه المفسِّرُ، وقدَّمَ الجار والمجرور على قوله: ﴿مِيثَٰقَهُمْ﴾ هروباً من عَود الضمير على متأخِّر لفظاً ورتبةً، وهو غيرُ جائز إلا في مواضعَ ليس هذا

(١) وهي قراءة الأعمش. انظر «الدر المصون» (٤/ ٢٢٥).

أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ....

﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾ كما أخَذْنَا على بَنِي إسرائِيلَ اليَهُودِ، ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ في الإنجِيلِ مِنَ الإيمانِ وغيرِه، ونَقَضُوا المِيثاقَ، ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: أوقَعْنا ﴿بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بِتَفرُّقِهم واختِلافِ أهوائِهم، فكُلُّ فِرقةٍ تُكَفِّرُ الأُخرَى، ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في الآخِرةِ ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾، فيُجازِيهم علَيه.

حاشية الصاوي

منها، ونصارى: نسبةٌ للنصر؛ لأنهم يزعمون أنهم أنصارُ الله، ومُفرده: نَصران ونَصرانة، ولكن ياءُ النسب لا تفارقُهُ، وقيل: تسمية لقرية اسمها: نصرة، فيكون مفرده نصري، ثم أطلقَ على كلِّ من تعبَّدَ بهذا الدين.

قوله: (﴿مِيثَٰقَهُمْ﴾) أي: عهدَهم المؤكَّد.

قوله: (﴿فَنَسُواْ حَظًّا﴾) أي: تركُوه.

قوله: (من الإيمان) أي: بمحمد وبجميع الأنبياء، وقوله: (وغيره) أي: غير الإيمان؛ كبشارة عيسى بمجيء محمد بعدَهُ رسولاً.

قوله: (ونقضوا الميثاق) أي: بتكذيب الأنبياء وتحريف ما في الإنجيل، وهذا مرتَّبٌ على قوله: ﴿فَنَسُواْ حَظًّا﴾، وكذا قوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾، وهو من: غَرِيَ بالشيء: إذا لَصقَ به، يُقال: غروتُ الجلدَ: ألصَقته بالغراء، وهو كنايةٌ عن إيقاع العداوة بينهم، والتعبير بالإغراء أبلغُ، كأنَّ العداوةَ لاصقةٌ بهم كالغِراء اللاصق بالجلد.

قوله: (﴿بَيْنَهُمُ﴾) مُتعلقٌ بـ(أغرينا)، والضميرُ عائدٌ على اليهود والنصارى؛ أي: ألقينا العداوةَ بين اليهود والنصارى، فكلٌّ من الفرقتَين تَلعنُ الأخرى، وقيل: الضميرُ عائدٌ على النصارى فقط باعتبار فِرَقِهم؛ لأنهم ثلاثُ فِرق: الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية، فكلُّ فرقة تَلعنُ الأخرى، وإنما لم يظهروا ذلك بين المسلمين خوفاً من الشَّماتة بهم، فكلُّ فرقة تكفِّرُ الأخرى؛ أي: في الدنيا وفي الآخرة، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

قوله: (﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في الآخرة) أي: بقوله يومَ القيامة: ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ...﴾ [يس: ٥٩] الآية.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ ....

﴿١٥﴾ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اليَهُود والنَّصارَى ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ مُحمَّدٌ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ﴾: تَكتُمُون ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: التَّوراةِ والإنجِيل، كآيَةِ الرَّجم وصِفَتِه، ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ مِن ذلك، فلا يُبَيِّنُهُ إذا لَم يَكُن فِيه مَصلَحةٌ إلَّا افتِضاحَكُم، ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾ هو النَّبِيُّ ﷺ، ﴿وَكِتَٰبٞ﴾: قُرآنٌ ﴿مُّبِينٞ﴾: بَيِّنٌ ظاهِر.

﴿١٦﴾ ﴿يَهۡدِي بِهِ﴾ أي: بِالكِتابِ ﴿ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ بِأنْ آمَنَ ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: طُرُقَ السَّلامةِ، ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكُفرِ ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمانِ ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: بِإرادَتِه، ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: دِينِ الإسلام.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾) خطابٌ للفريقين جميعاً بعد أن ذكرَ كلَّ فرقة على حِدة.

قوله: (كآية الرجم وصفته) أي: فقد أخفَوهما، وأطلعَ اللهُ نبيَّهُ على أنهما في التوراة، فبيَّنَ ذلك وأظهرَهُ، وهو معجزةٌ لرسول الله؛ لأنه لم يقرأْ كتابَهم ولم يجلسْ بين يدَي معلِّم، وهذا مثالٌ لما في التوراة، ولم يمثِّلْ لما في الإنجيل، ولو مثَّلَ له لقالَ: وكبشارة عيسى بمحمد.

قوله: (﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾) أي: من قبائحهم؛ كسبِّهِ فيما بينَهم، والكلامِ في شأنه هو والقرآنُ، فلم يتعرَّضْ لهم في ذلك.

قوله: (هو النبي) أي: وسُمِّيَ نوراً؛ لأنه يُنوِّرُ البصائرَ ويَهديها للرشاد؛ ولأنه أصلُ كلِّ نور حسِّي ومعنوي.

قوله: (﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾) أي: مَنْ سبقَ في علم الله أنه يتَّبعُ رضوانه.

قوله: (طرق السلامة) أي: من العذاب والنَّجاة من العقاب، و﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: منصوبٌ بنزع الخافض، وإنما حقُّهُ أن يُعدَّى إلى المفعول الثاني بـ(إلى) أو اللام، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ ....

﴿١٧﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حيثُ جعَلُوه إلهاً، وهُم اليعقُوبيَّة، فِرقةٌ مِن النَّصارَى، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ﴾ أي: يَدفعُ ﴿مِنَ﴾ عذابِ ﴿اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾؟ أي: لا أحـد يَملِكُ ذلك، ولو كان المَسِيحُ إلهاً لَقَدرَ علَيهِ، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ شاءَهُ ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ أي: كُلٌّ مِنهُما ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أي: كأبنائِه في القُرب والمَنزِلةِ، وهو كأبِينا في الرَّحمةِ والشَّفَقةِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهم اليعقوبيَّة) أي: القائلُون بالاتحاد.

قوله: (﴿وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾) هذا تَرَقٍّ في الردِّ عليهم.

قوله: (أي: لا أحد) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾) تَرَقٍّ في الردِّ عليهم أيضاً.

قوله: (شاءَه) أي: تعلَّقت به إرادتُه، وهي الممكناتُ، خرجَ بذلك ذاتُهُ وصفاته والمستحيلاتُ، فلا تتعلَّقُ القدرةُ والإرادة بشيءٍ من ذلك.

قوله: (أي: كأبنائِهِ في القرب) أي: فالمعنى على التشبيه، وهذا هو الصحيح، وقيل: المعنى: أبناءُ أنبياء الله، فالكلامُ على حذفِ مضاف.

وسببُ نزولها: أن رسولَ الله ﷺ دعا جماعةً من اليهود إلى الإسلام وخوَّفَهم بعقاب الله، فقالوا: كيف تخوِّفُنا به ونحن أبناءُ الله وأحباؤُهُ؟ وهذه مقالةُ اليهود، وأما النصارى فقالوا مثلَهم زاعِمين أن اللهَ قال في الإنجيل: إن المسيحَ قال لهم: إني ذاهبٌ إلى أبي وأبِيكم[1].

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٥٣٣).

وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ....

﴿وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ﴾ لَهُم يا مُحمَّد: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ﴾ إن صَدَقتُم في ذَلك، ولا يُعذِّب الأبُ وَلَدَه ولا الحَبيبُ حَبيبَه؟ وقد عَذَّبكم فأنتُم كاذِبُون، ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّ﴾ـنْ جُملةِ ﴿مِمَّنۡ خَلَقَۚ﴾ مِن البَشَر، لَكُم ما لَهُم وعلَيكُم ما علَيهِم، ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المَغفِرةَ لَه، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ تَعذِيبَه، لا اعتِراضَ علَيهِ، ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: المَرجعُ.

﴿١٩﴾ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ مُحمَّدٌ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾ شَرائِعَ الدِّين ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ﴾: انقِطاعٍ ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾؛ إذ لَم يَكُن بَينَه وبَين عِيسى رَسُولٌ، ومُدَّةُ ذلك خَمسُمِائةٍ وتِسعٌ وسِتُّون سَنَةً؛ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد) أي: إلزاماً لهم وتبكيتاً، إن صحَّ ما زعمتُم فلأيِّ شيء يعذِّبُكم في الدنيا بالقتل والمسخ وقد اعترفتُم بأنه تعالى سيعذِّبُكم في الآخرة بالنار أياماً بِعَدد أيام عبادة العجل، ولو كان الأمرُ كما زَعمتم.. لما صدرَ منكم ما صدرَ، ولما وقعَ عليكم ما وقع؟!

قوله: (لا اعتراضَ عليه) أي: لأنه القادرُ الفعَّال بالاختيار.

قوله: (على فترة من الرسل) أي: في وقت لا تَعرفون فيه توحيداً، فعليكم باتباعه.

قوله: (إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسولٌ... إلخ) هذا هو الصحيحُ، وقيل: كان بين محمد وعيسى أربعةُ رسل، ثلاثة من بني إسرائيل، وواحدٌ من حِمْيَر وهو خالدُ بن سنان[1].

قوله: (ومدة ذلك خمس مئة وستون سنة)، وقيل: خمسُ مئة وخمسةٌ وستون، وقيل: خمسُ مئة

---

(١) كذا في «تفسير الزمخشري» (١/٦١٩)، وخبر خالد بن سنان العبسي رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/٥٩٧)، والثلاثة الذين من بني إسرائيل قيل: هم المعنيُّون بقوله تعالى: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾، والقول الأول يشهدُ له ما رواه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥) مرفوعاً: «أنا أولى الناس بابنِ مريم، الأنبياء أولاد علَّات، وليس بيني وبينه نبي»، والآخرون يُؤولون فيقولون: نبي من أولي العزم.

أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا ....

لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُواْ﴾ إذا عُذِّبتُم: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ﴾ - زائدةٌ - ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ﴾ فلا عُذرَ لَكُم إذاً، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومِنهُ تَعذِيبكُم إن لم تَتَّبِعُوه.

﴿٢٠﴾ ﴿وَ﴾ اذكُــــر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ أي: مِنكُم ﴿أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾: أصحابَ خَدَم وحَشَمٍ، ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا﴾ ...

حاشية الصاوي

وأربعون، وقيل: أربعُ مئة وبضعٌ وثلاثون، والصحيحُ: أنها ستُّ مئة، ومدَّةُ ما بين موسى وعيسى ألفٌ وسبعُ مئة سنة، لكنَّها ليست فترةً؛ لِبعثة كثير من الأنبياء بينهما، ويَتعبدون بشريعة موسى؛ كداوود وسليمان وزكريا ويحيى.

قوله: (لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُواْ﴾) أشارَ بذلك إلى أنَّ (أنْ) المصدرية دخلت عليها اللام و(لا) النافية مقدرة بعدها، والتقديرُ: لعدم قَولكم: ما جاءنا... إلخ.

قوله: (زائدة) أي: في فاعل (جاء).

قوله: (﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾) أشارَ بذلك إلى أن (إذ) ظرفٌ لمحذوف، قدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: (اذكر)، والمقصود من ذلك: توبيخُ اليهود الذين في زَمَنه ﷺ، وتسليتُهُ على عدم إيمانهم به، وبيانُ نقضهم العهدَ تفصيلاً، والمعنى: تسلَّ ولا تحزَنْ من عدم إيمانهم بك ومِن تكذيبك؛ فإنهم كذَّبوا من يدَّعون أنه نَبيُّهم إلى الآن.

قوله: (﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾) أي: تذكَّروها واشكرُوا عليها.

قوله: (﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾) أي: بكثرة، ولم تكنْ في غيركم.

قوله: (﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾) أي: بسطَ الدنيا لكم، وذلك بعدَ إغراق فِرعون.

قوله: (خدم) جمع خادم، وهو صادقٌ بالذكر والأنثى، وقوله: (وحَشم) هم الخدمُ لكن من الرجال، وردَ: أن أوَّلَ من ملكَ الخدمَ بنو إسرائيل، وكان يُقالُ عندهم: مَنْ كانت عنده دابةٌ وجاريةٌ وزوجةٌ.. فهو ملكٌ، وقيل: الملكُ من اتَّسعت دارُهُ وكان فيها النهر يجري، وقيل: جعلكم ملوكاً؛ أي: أحراراً بعد استرقاق فِرعون لكم.

مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ....

﴿مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مِن المَنِّ والسَّلوَى وفَلْقِ البَحرِ، وغيرِ ذلك.

﴿٢١﴾ ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾: المُطَهَّرةَ ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: أمَرَكُم بِدُخُولِها، وهي الشَّامُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) أي: مطلقاً؛ لأن فَلْقَ البحر والمنَّ والسلوى لم يكنْ لأحد غيرهم ولا لأمَّةِ محمد ﷺ، ولا حاجةَ هنا للتأويل بعالَمي زَمانهم.

قوله: (من المنِّ والسلوى) بيان لـ(ما)، إن قلتَ: إن هذه المقالَة وقعت حين أخذ الميثاق عليهم في قتال الجبَّارين[1]، فلا يَظهرُ قولُ المفسر: (من المَنِّ السلوى)؛ لأنه لم ينزلْ عليهم إلا في التِّيه، وذلك بعد توجُّههم من مصر لقتال الجبَّارين، فحينئذٍ كان المناسبُ للمفسر أن يقولَ: (من النبوَّة والمُلك وفَلْقِ البحر)، وقد يُجابُ: بأنه لا مانعَ من ذكر هذه الكلمة في التِّيه أيضاً.

قوله: (﴿يَٰقَوْمِ﴾) الجمهورُ على كسر الميم مِن غيرِ ياء، وقُرِئَ بضمِّ الميم إجراءً له مُجرى المفرد، وبالياء مفتوحة لأنه منادى مضافٌ لياء المتكلم، قال ابن مالك: [الرجز]

وَاجْعَلْ مُنادًى صَحَّ إنْ يُضَفْ لِيَا كَعَبْدِ عَبْدِي عَبْدَ عَبْدَا عَبْدِيَا[2]

قوله: (المطهرة) إنما سُمِّيَت مطهرةً؛ لسكنى الأنبياء المطهَّرين فيها، فشَرُفت وطهرت بهم، فالظرفُ طابَ بالمظروف، إن قلتَ: إن الجبَّارين كانوا فيها وهم غيرُ مطهَّرين؟ أجيبَ: بأن الخيرَ يغلبُ الشرَّ، والنور يَغلبُ الظلمة.

قوله: (أمركم بدخولها) دفعَ بذلك ما يُقالُ: كيف الجمعُ بين الكتابة التي تُفيدُ تحتُّمَ الدخول وبين قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾؟ فأجابَ: بأن المرادَ بالكتْبِ الأمرُ بالدخول، وأجيبَ أيضاً: بأن قوله: ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: قدَّرَها في اللَّوح المحفوظ إن لم يقَعْ منكم مخالفةٌ، وقد وقعت فحُرِّمت عليهم أربعين سنةً، فهو قَضاءٌ معلَّقٌ.

---

(١) وهذا التذكير من موسى كان قبل التيه؛ كما هو صريحُ سَوق الآية. «الفتوحات» (١/ ٤٧٧).

(٢) «الخلاصة»: (باب النداء)، وقراءة الضم لابن مُحيصن، ورُويت عن ابن كثير، وقراءة إثبات الياء مع فتحها لابن السَّمَيْقَع. انظر «الدر المصون» (٤/ ٢٣٢)، وقراءة ابن السميفع شاذة منقطعة السند.

وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ....

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾: تنهزِموا خوفَ العَدُوِّ، ﴿فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾ في سَعيِكُم.

﴿٢٢﴾ ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ مِن بقايا عادٍ طِوالاً ذَوِي قُوَّةٍ، ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ لَها.

﴿٢٣﴾ ﴿قَالَ﴾ لَهُم ﴿رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ مُخالَفَةَ أمرِ الله، وهُما يُوشَعُ وكالَبُ مِن النُّقَباءِ الَّذينَ بعَثَهُم مُوسى في كَشفِ أحوالِ الجَبابِرةِ، ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بِالعِصمةِ، فكَتَما ما اطَّلَعا علَيهِ مِن حالِهِم، إلَّا عن مُوسى، بِخِلافِ بَقِيَّةِ النُّقَباء فأفشَوهُ فجَبُنوا: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾: بابَ القَريةِ ولا تَخشَوهُم؛ فإنَّهُم أجسادٌ بِلا قُلُوب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾) أي: تَرجعوا إلى مصر، فإنهم لمَّا سمعوا بأخبار الجبَّارين.. قالوا: نجعلُ لنا رئيساً يَنصرفُ بنا إلى مصر، وصاروا يَبكون ويقولون: ليتَنا مُتنا بمصرَ.

قوله: (﴿فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾) أي: لأن الفرارَ من الزحف من الكبائر.

قوله: (﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾) وصفهما بصفتَين؛ الأولى: قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾، والثانية: قوله: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾، وهو حسَن؛ لأن فيه الوصفَ بالجملة بعد الوصف بالجار والمجرور، وهو من قَبيل المفرد.

قوله: (**وهما يوشع**) أي: ابن نون، وهو الذي نُبِّئَ بعد موسى، وقوله: (**وكالب**) بكسر اللام وفتحها ابن يوفنا.

قوله: (**بقية النقباء**) أي: الاثني عشر، وقوله: (**فأفشَوا**) أي: خبر الجبارين، وقوله: (**فجبنوا**) أي: بنو إسرائيل.

قوله: (﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾) أي: امنَعُوهم من الخروج؛ لئلا يجدُوا في أنفسهم قوَّةً للحرب، بخلاف ما إذا دخلتُم عليهم القريةَ بغتةً، فإنهم لا يقدرون على الكرِّ والفرِّ.

قوله: (**بلا قلوب**) أي: قويةٍ نافعة.

فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ....

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾، قالَا ذلك تيقُّناً بنصر الله وإنجازِ وَعدِه، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾هُم؛ ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ عن القِتالِ.

﴿٢٥﴾ ﴿قَالَ﴾ مُوسى حِينَئِذٍ: ﴿رَبِّ إِنِّي ....

حاشية الصاوي

قوله: (تيقُّناً بنصر الله) أي: فإنهما مصدِّقان بذلك؛ لإخبار موسى لهما بذلك.

قوله: (﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾) أي: بعد ترتيب الأسباب، ولا تعتمدوا عليها؛ فإنها غيرُ مؤثِّرة.

قوله: (﴿مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾) أي: مُدَّة إقامتهم فيها[1].

قوله: (﴿أَنتَ وَرَبُّكَ﴾) قيل: إن الواو للعطف، و(ربُّك): معطوف على الضمير المستتر في (اذهب) وقد وُجِدَ الفاصلُ بالضمير المتصل، قال ابنُ مالك: [الرجز]

وَإِنْ عَلَى ضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَّصِلْ   عَطَفْتَ فَافْصِلْ بِالضَّمِيرِ المُنْفَصِلْ[2]

أي: وليذهب ربُّكَ، واختُلف في الربِّ، فقيل: هو المولى جلَّ وعلَا، فإسنادُهم الذهاب إليه على حَقيقته؛ لأنهم كانوا يعتقدون التجسيم، وقيل: المرادُ به: هارون، وسمَّوه ربًّا؛ لأنه كان أكبرَ من موسى بسَنة، وهو الأحسنُ، ويدلُّ عليه السياق[3]، وقيل: الواو: للحال، و(ربُّك): مبتدأٌ خبرُهُ محذوف، تقديره: يُعينك.

---

(١) فـ(ما) هنا مصدرية ظرفية، والظرف بدل من (أبداً) بدل بعض من كل؛ لأن الأبد يعم الزمن المستقبل كله. انظر «الدر المصون» (٤/ ٢٣٣).

(٢) «الخلاصة»: (باب عطف النسق).

(٣) وهو قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي...﴾ الآية، ونَقل الواحدي في «الوسيط» (٢/ ١٧٣) عن الحسن: هذا القول كفر بالله، وقال المفسرُون: إنما قالوا هذا جهلاً منهم، وفُسِّقوا بذلك.

﴿لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ ....

﴿لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَ﴾ إلَّا ﴿أَخِيۖ﴾، ولا أملِكُ غيرَهما فأُجبِرَهُم على الطَّاعةِ، ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾: فافصِلْ ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى لَه: ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: الأرضَ المُقَدَّسةَ ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ أن يَدخُلُوها ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ﴾: يَتحيَّرُون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وهي تِسعةُ فَراسِخَ، قالَه ابن عبَّاس، ﴿فَلَا تَأۡسَ﴾: تَحزَنْ ﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، رُوِيَ أنَّهُم كانُوا يَسِيرُونَ اللَّيل جادِّينَ، فإذَا أصبَحُوا إذَا هُم في الموضِعِ الَّذي ابتَدَؤُوا مِنهُ، ويَسِيرُون النَّهارَ كذلك، حتَّى انقَرَضُوا كُلُّهم، إلَّا مَن لَم يَبلُغِ العِشرِين، قِيل: وكانُوا سِتَّمِائةِ ألفٍ، وماتَ هارُونُ ومُوسى في التِّيهِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَآ أَمۡلِكُ﴾ غيرهما) إن قلتَ: يوشع وكالب كانا في طاعته أيضاً! أجيبَ: بأنه لم يَثِقْ بهما[1].

قوله: (﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ﴾) أي: احكُمْ لنا بما نستحقُّهُ، واحكُمْ لهم بما يستحقُّونه، وكان الأمرُ كذلك، فصارَ التيهُ رحمةً لموسى وهارون، وعذاباً على بني إسرائيل.

قوله: (أربعين سنة) يصحُّ أن يكون ظرفاً لقوله: ﴿يَتِيهُونَ﴾، وعلى هذا: فهي محرَّمةٌ عليهم أبداً؛ لأنهم انقرضوا وما دخلها إلا من لم يَبلغ العشرين حين الميثاق، وقيل: ظرفٌ لقوله: ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾، وعلى هذا: فالتحريمُ مقيَّدٌ بتلك المُدَّة، وقيل: ظرفٌ لهما معاً.

قوله: (وهي تسعةُ فراسخ) أي: عرضاً، وطولُها ثلاثون فرسخاً.

قوله: (﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾) أي: وذلك أنه ندمَ على دعائه عليهم، فقيل له: لا تأسَ فإنهم أحقُّ بذلك.

قوله: (وماتَ هارون وموسى في التيه) وماتَ موسى بعد هارون بسنة، وقيل: إن موسى هو الذي ملكَ الشامَ وكان يوشعُ على مُقدمته، وعاشَ فيها زمناً طويلاً، وماتَ ولم يُعلَمْ له قبرٌ، وهما

(١) وسبب عدم الوثوق إطباق الأكثرين على التمرُّد، أو المراد بالأخ هنا من يُؤاخيه في الدين، وعليه فيَدخل الرجلان فيه. انظر «تفسير الرازي» (١١/ ٣٣٥).

. . . .

حاشية الصاوي

طريقتان، قيل: إن موسى وهارون توجَّها إلى البرِّيَّة، فمات هارون، فدفنَهُ أخوه موسى ثم رجع إلى قومه، فقالوا: قَتَلته لحبِّنا إيَّاه، فتضرَّعَ موسى إلى ربِّه، فأوحى اللهُ إليه أن انطلِقْ بهم إلى هارون، فإنِّي باعثُهُ، فانطلقَ بهم إلى قبره، فناداه: يا هارونُ؛ فخرجَ من قبره يَنفضُ رأسَهُ، قال: أنا قتلتُك؟ قال: لا، ولكنِّي مُتُّ، قال: فعُدْ إلى مَضجعك.

ورُوِيَ: أن موسى خرجَ ليَقضي حاجته، فمرَّ برهطٍ من الملائكة يحفرون قبراً لم يرَ شيئاً أحسنَ منه ولا مثلَ ما فيه من الخُضرة والنضرة والبهجة، فقال لهم: يا ملائكةَ الله؛ لمن تَحفرون هذا القبر؟ فقالوا: لعبد كريم على ربِّه، فقال: إن هذا العبد لَمِنَ الله بِمَنزلة، ما رأيتُ كاليوم أحسنَ منه مضجعاً! فقالت الملائكة: يا صفيَّ الله؛ أتحبُّ أن يكونَ لك؟ قال: وَددتُ، قالوا: فانزلْ واضطَجِعْ فيه وتوجَّهْ إلى ربِّك، قال: فنزلَ فاضطجعَ فيه وتوجَّهَ إلى ربِّه، ثم تنفَّسَ أسهلَ نفس، فقبَضَ اللهُ تعالى روحَهُ، ثم سَوَّتْ عليه الملائكةُ التراب[١].

وقيل: إن ملكَ الموت أتاه بتفاحة من الجنة، فشمَّها، فقبضَ اللهُ روحَهُ.

وقيل: إنه رُوِيَ: أن ملكَ الموت جاءَهُ وقال له: أَجِبْ أمرَ ربِّك، فلطمَ موسى عينَ ملك الموت ففَقَأَها، فقال ملكُ الموت: يا ربِّ؛ إنك أرسلتَني إلى عبد لا يريدُ الموت، وقد فقأَ عيني، قال: فردَّ اللهُ تعالى عينه وقال له: ارجِعْ إلى عبدي فقُلْ له: الحياةَ تريدُ؟ فإن كنت تريدُ الحياةَ فضعَ يدَك على مَتن ثور، فما وارت يدُكَ من شَعره فإنك تعيشُ بكلِّ شعرة سنة، قال: ثم ماذا؟، قال: ثم تموتُ، قال: فالآن من قريب، قال: ربِّ؛ أَدنيني من الأرض المقدسة رَميةَ حجر، قال رسولُ الله: «لو أني عنده لأريتُكُم قبرَهُ إلى جانِب الطور عند الكثيب الأحمر».

ورواية فَقءِ عين ملك الموت متكلَّمٌ فيها، وعلى فرض وُرودها ففقءُ عين الملك من خُصوصيَّات موسى؛ لأن الملَكَ لا تحكمُ عليه الصورةُ، ولا يُقالُ: إن هذا جنايةٌ حرام؛ لأننا نَقول: إنه فقأَ عينَ الصورة المتشكِّل فيها لا الصورة الأصليَّة، وقصدُهُ بتلك الفَعلة نهيهُ عن أن يأتيَ للمؤمن في صورة فظيعة كما قرَّرَهُ أشياخُنا[٢].

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٣٧) عن وهب بن مُنبه، وخبر هارون قبله عنده أيضاً عن عمرو بن ميمون.

(٢) رواية التفاحة عند البغوي في «المصدر السابق»، ورواية: أنه فقأ عين ملك الموت عند البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢)، وقال العلماء: إنما لَطمه لأنه لم يُخيِّره؛ إذ كل نبيٍّ يُخيَّرُ قبل الموت، وانظر «فتح الباري» (٦/ ٤٤١).

وكان رَحمةً لَهُما وعَذاباً لِأُولئك، وسأَلَ مُوسى رَبَّه عِند مَوتِه أن يُدنِيَه مِن الأرضِ المُقَدَّسةِ رَميةً بِحَجَرٍ فأدناهُ كما في الحَدِيث، ونُبِّئ يُوشَعُ بعد الأربَعِين، وأُمِرَ بِقِتالِ الجَبَّارِين، فسارَ بِمَن بَقِيَ معَه، وقاتَلهُم وكان يَوم الجُمُعةِ، ووقَفَت لَه الشَّمسُ ساعةً حتَّى فَرَغَ مِن قِتالِهم، وروَى أحمَدُ في «مُسنَدِه» ....

حاشية الصاوي

قوله: (وكان رحمة لهما) أي: وكذا يوشعُ وكالبُ، وذلك كنار إبراهيم، فإنها جُعِلتْ عليه برداً وسلاماً.

قوله: (وعذاباً لأولئك) أي: من حيث السيرُ، وقد أنعمَ اللهُ عليهم في التِّيه بِنِعم عظيمة، منها: أنهم شَكَوا لموسى حالَهم من الجوع والعُري، فدعا الله، فأنزلَ عليهم المنَّ والسلوى، وأعطاهم من الكسوة ما يكفيهم كلُّ واحد على مِقدار هيئته، وشَكَوا له العطشَ، فكان يضربُ الحجرَ بعصاه فيخرجُ منه اثنتا عشرة عيناً[1]، وشَكَوا الحرَّ، فأرسلَ اللهُ عليهم الغمامَ يُظلُّهم، وكان يطلعُ لهم عَمود من نور يضيء لهم بالليل، ولا تَطولُ شعورُهم، وإذا ولدَ لهم مولودٌ كان عليه ثوبٌ كالظُّفْرِ، يطولُ بطوله ويتَّسعُ بقَدْره[2].

قوله: (أن يدنيَه) أي: يُقرِّبَهُ من الأرض المباركة، أي: يدفن بقربها؛ لكونها مُطهَّرة مباركة، ويُؤخذُ من ذلك: أن الإنسانَ ينبغي له أن يتحرَّى الدفنَ في الأرض المباركة بقرب نبيٍّ أو وليٍّ، وإنما لَمْ يسأل الدفنَ فيها؛ خوفاً من أن يُعرَفَ قبرُهُ فيَفتتَنَ به الناس.

قوله: (بعد الأربعين) أي: مُدَّةِ التيه.

قوله: (بمن بقي) أي: وهم أولادُهم الذين لم يَبلغوا العشرين سنة حينَ أخذ الميثاق.

قوله: (وقاتلهم) رُوِيَ: أن اللهَ نَبَّأَ يوشعَ بعد موت موسى، وأخبرَهم أن اللهَ قد أمرَهم بقتال الجبابرة، فصدَّقوه وبايَعوه، فتوجَّهَ ببني إسرائيل إلى أريحا ومعه تابوتُ الميثاق، وأحاطَ بمدينة أريحا ستة أشهر، وفتَحوها في الشهر السابع، ودخَلوها فقاتلوا الجبَّارين وهزموهم وهجمُوا عليهم يقتلونهم، وكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عُنق الرجل يضربونها، وكان القتالُ يوم الجمعة، فبَقِيت منهم بقيةٌ وكادت الشمسُ تغربُ وتدخلُ ليلةُ السبت، فقال: اللهمَّ؛ اردُد الشمسَ

---

(١) في (ط١) أنه أتى بالحجر من جبل الطور، وقد ضُرِبَ عليها في (أ).

(٢) «تفسير الزمخشري» (١/ ٦٢٢).

وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ ....

حديث: «إنَّ الشَّمس لَم تُحبَس على بَشَرٍ، إلَّا لِيُوشَعَ لَيالِيَ سار إلى بَيتِ المَقدِس».

(٢٧) ﴿وَٱتۡلُ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: على قَومِك ﴿نَبَأَ﴾: خبرَ ﴿ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾ ....

حاشية الصاوي

عليَّ، وقال: للشمس: إنك في طاعة الله، وأنا في طاعة الله، فسأل الشمسَ أن تقفَ والقمرَ أن يُقيمَ حتى ينتقمَ من أعداء الله قبلَ دخول السبت، فرُدَّتْ عليه الشمسُ، وزيدَ في النهار ساعةٌ حتى قتلَهم أجمعين، ثم تتبَّعَ ملوكَ الشام فقتلَ منهم أحداً وثلاثين ملكاً حتى غلبَ على جميع أرضِ الشام، وصارت الشامُ كلُّها لبني إسرائيل، وفرَّقَ عمَّالَهُ في نواحيها، ثم ماتَ يوشعُ ودفنَ بجبل إبراهيم، وكانَ عمرُهُ مئة وستًّا وعشرين سنة، وتدبيرُهُ أمرَ بني إسرائيل بعد موسى سبعاً وعشرين سنة[(١)].

قوله: (لم تحبسْ على بشر) أي: قبل يوشع، وإلا.. فقد حُبستْ لنبيِّنا مرَّتين: يوم الخندق حين شُغِلَ هو وأصحابه عن صَلاة العصر حتى غربت الشمس، فردَّها الله عليه حتى صلَّى العصر، وصبيحةَ ليلة الإسراء حين انتَظر العير، وزِيدَ في رواية: مرَّة لعلي بن أبي طالب حين كان النبيُّ نائماً على فَخذه ولم يكن صلَّى العصر، فما استيقظ حتى غرَبت الشمس، فقال النبي ﷺ: «اللهمَّ؛ إن عليًّا في طاعتك وطاعة رَسولك، فارددْ عليه الشمس حتى يُصليَ العصر»[(٢)].

قوله: (ليالي سار) أي: أيام سَيره؛ أي: توجهِهِ لقتالهم.

قوله: (﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾) معطوف على العامل المحذوف في قوله: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ عطفَ قصة على قصة؛ أي: اذكرْ ما وقعَ من بني إسرائيل واتلُ عليهم نبأ ابني آدم... إلخ.

قوله: (على قومك) أي: سواء كانوا يهوداً أو نصارى أو مُشركين.

قوله: (خبر ﴿ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾) أي: قِصَّتَهما وما وقعَ لهما.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٤١).

(٢) حبس الشمس ليوشع خبره صحيح رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٥)، وحبسها للنبي ﷺ ذكره يونس بن بكير في «زياداته على مغازي ابن إسحاق»، والطبراني في «الأوسط»، وحبسها لعلي رضي الله عنه رواه الطحاوي والطبراني في «الكبير» والحاكم والبَيهقي في «الدلائل»، قال الحافظ ابن حجر: (وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في «الموضوعات»، وكذا ابن تيمية في كتاب «الرد على الرَّوافض» في زعم وَضعِه، والله أعلم). انظر «فتح الباري» (٦/ ٢٢١) وما بعدها.

بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ....

هابِيلَ وقابِيلَ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ـ مُتعلِّقٌ بـ(ٱتلُ) ـ، ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ إلى الله، وهو كَبشٌ لِهابِيلَ وزَرعٌ لِقابِيلَ، ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابِيلُ، بِأن نَزَلَت نارٌ مِن السَّماء فأكَلت قُرْبانَه، ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾ وهو قابِيلُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (هابيل) هو السعيدُ المقتول، وقابيلُ هو الشقيُّ القاتل، وظاهرُ الآية: أنهما من أولاد آدم لِصُلبه، وهو التحقيقُ، ويُؤيِّدُه قوله فيما يأتي: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾، وقيل: لم يكونا لصلبه، بل هما رَجلان من بني إسرائيل؛ بدليل قوله في آخر القصة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، والأول هو الصحيح، وقابيل هو أول أولاده، وهابيل بعده بسنة، وكِلاهما بعد هبوطه إلى الأرض بمئة سنة، وقيل: إن قابيل وأختَه وُلدا في الجنة، ولم ترَ حوَّاءُ لهما وَحَماً ولا وصباً ولا دمَ نفاس، وأما بَقية أولاده فبالأرض؛ ولذا كان يَفتخر قابيل على هابيل ويقولُ له: إني ابنُ الجنة وأنت ابنُ الأرض، فأنا خيرٌ منك.

وحاصل ذلك: أن حوَّاءَ ولدت لآدم عشرين بطناً، في كلِّ بطن ذكر وأنثى، فصار الذكورُ عشرين والإناثُ كذلك، فلمَّا قتل قابيلُ هابيلَ نَقصت الذكور عن الإناث، فرزقه الله بشيث، ومعناه: هبةُ الله، فتماثل الذكور مع الإناث.

قوله: (﴿بِٱلْحَقِّ﴾) الجار والمجرور يحتمل أن يكون متعلقاً بمحذوف صفة لمصدر محذوف، تقديرُهُ: اتلُ تلاوةً ملتبسةً بالحق، أو حال من فاعل (اتلُ) أي: اتلُ عليهم حال كونك ملتبساً بالحق؛ أي: الصدق، أو حالٌ من المفعول، وهو ﴿نَبَأَ﴾ أي: اتلُ نبأهما حال كونه ملتبساً بالحقِّ، وكلٌّ صحيح.

والمقصودُ من ذِكر هذه القصص: الإخبارُ بما في الكتب القديمة؛ لِتَقوم الحجَّةُ على أربابها وغيرهم، فالإخبار بها من جُملة المعجزات.

قوله: (﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾) أي: قرَّبَ كلُّ واحد قُرباناً، والقربانُ: ما يتقرَّبُ به إلى الله تعالى.

وسببُ ذلك: أنه كان في شرع آدم إذا كبر أولاده زوَّجَ ذكرَ هذه البطن لأنثى بَطن أخرى، فأمرَه الله أن يُزوِّجَ قابيلَ أخت هابيل وكانت دَميمة، وهابيلَ أخت قابيل وكانت جميلة، فرضيَ هابيل وأبى قابيل، وقال: إنك تأمرُنا برأيك لا من عند الله، فقال لهما: قَرِّبا قرباناً، فأيُّكما تقبِّل منه

قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ....

فغَضِبَ وأضمَرَ الحسَدَ في نَفسِه، إلى أن حَجَّ آدمُ، ﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، قال: لِمَ؟ قال: لِتقبُّلِ قُربانِك دُوني، ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿لَئِنۢ﴾ - لامُ قَسَم - ﴿بَسَطتَ﴾: مَددت ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في قتلِك.

حاشية الصاوي

فهو أحقُّ بالجميلة، فذهب هابيلُ وأخذَ كبشاً من أحسن غنمه وقرَّبَهُ، وذهب قابيل لصُبْرَةِ قمحٍ من أردأ ما عِنده، وقيل: قتٌّ رديء، حتى إنه وَجد سنبلة جيدة ففركها وأكلها، وكان علامةُ قبول القربان نزولَ نارٍ من السماء تُحرقه، فنزلت على كبش هابيل فأحرَقته، وقيل: رفع إلى السماء حتى نزل على الذبيح، ولم يتقبَّل من قابيل[1].

قوله: (فغضب) أي: لأمرَين: فَوزه بالجميلة، وبقَبول قربانه.

قوله: (﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾) أي: ولم يكن عندك تقوى؛ لِعُقوقك لأبيك، وعدم إخلاصك في القربان.

قوله: (﴿لِتَقْتُلَنِي﴾) اللام: لِلتعليل؛ أي: لأجل قتلي.

قوله: (﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ﴾) جوابُ القسم لتقدُّمِهِ، وحذفَ جوابَ الشرط لتأخُّرِه، قال ابن مالك:

[الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ ... جَوابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ[2]

والباءُ في ﴿بِبَاسِطٍ﴾ زائدةٌ في خبر (ما) على أنها حجازيَّة، وفي خبر المبتدإ على أنها تميميَّة.

قوله: (﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾) أي: فالمانعُ لي من قَتلك خوفُ الله، وكان في شرعهم لا يجبُ دفعُ الصائل، بل يجبُ الاستسلامُ له، وأمَّا في شرعنا.. فعند الشافعيِّ يُسَنُّ الاستسلامُ للمسلم الصائل، ويجبُ قتلُ الكافر، وعند مالك: دفعُ الصائل واجبٌ ولو بالقتل مسلماً أو كافراً.

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ٣٤) برواية ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «الخلاصة»: (باب عوامل الجزم).

إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ....

﴿٢٩﴾ ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾: تَرجِعَ ﴿بِإِثۡمِي﴾: بِإثم قَتلي ﴿وَإِثۡمِكَ﴾ الَّذي ارتَكَبتَه مِن قَبلُ، ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾، ولا أُريد أن أَبوءَ بِإثمِك إذا قَتَلتُك، فأكُونَ مِنهُم، قال تَعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾: زَيَّنَتْ ﴿لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ﴾: فصارَ ﴿مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ بِقَتلِه، ولَم يَدرِ ما يَصنَعُ بِه؛ لِأنَّهُ أوَّلُ مَيِّت على وَجهِ الأرضِ مِن بَنِي آدَمَ، فحَمَلَه على ظَهرِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي﴾) هذا تخويفٌ من هابيل لقابيل لعلَّه ينزجرُ.

إن قلتَ: إنه لا تحلُّ إرادة المعصية من الغير! أجيب بأجوبةٍ؛ منها: أن الهمزةَ محذوفة والاستفهامُ للإنكار، والأصلُ: أإني أريدُ؟ والمعنى: لا أريدُ، ويُؤيِّدُ هذا قراءةُ (أنى) بفتح النون بمعنى: كيف، ومنها: أن (لا) محذوفة؛ أي: أن لا تبوءَ؛ على حدِّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١].

قوله: (الذي ارتكبته) أي: كالحسد ومخالفةِ أمر أبيه.

قوله: (﴿وَذَٰلِكَ﴾) أي: المذكور، وهو النار.

قوله: (زيَّنت) أي: سهَّلَتْ عليه القتل.

قوله: (﴿فَقَتَلَهُۥ﴾) قيل: لمَّا قصدَ قتله لم يَدرِ كيف يقتلُهُ، فتمثَّلَ له إبليسُ وقد أخذَ طيراً فوضعَ رأسه على حجر ثم رَضخَهُ بحجر آخر وقابيلُ ينظرُ، فتعلَّمَ القتل، فوضع قابيلُ رأسَ هابيل بين حجرَين وهو صابرٌ. واختلفَ في مَوضع قتله، فقيل: على عَقبة حراء، وقيل: بالبصرة عند مَسجدها الأعظم[1].

قوله: (فحمله على ظهره) أي: في جِراب، قيل: أربعين يوماً، وقيل: سنة، رُوِيَ: لمَّا قتلَ ابنُ

---

(١) وقيل: دفن بدمشق، روى ابن عساكر في «تاريخه» (٢/ ٣٣٣) عن ابن عباس: (كان أهل دمشق إذا احتبس عليهم المطر، أو غلا سِعرهم، أو جار عليهم سلطان، أو كانت لأحدهم حاجة.. صَعِد إلى موضع ابن آدم المقتول، فيسألون الله تبارك وتعالى، فيُعطيهم ما سألوا).

فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ

(٣١) ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يَنبُشُ الترابَ بِمِنقارِه وبِرِجلَيهِ، ويُثيرُه على غُراب مَيِّتٍ حتَّى واراهُ؛ ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي﴾: يَستُرُ ﴿سَوْءَةَ﴾: جِيفةَ ﴿أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ﴾ عن ....

حاشية الصاوي

آدم أخاه رجفت الأرضُ بمن عليها سبعةَ أيام، وشَربت الأرضُ دمَ المقتول كما تشربُ الماء، فناداه الله: يا قابيل؛ أين أخُوك هابيل؟ فقال: ما أدري، ما كنتُ عليه رقيباً، فقال الله له: إن دمَ أخيك لَيُناديني من الأرض، فلِمَ قتلتَ أخاك؟ فقال: فأين دمُهُ إن كنتُ قتلتُه، فحرم الله على الأرض من يومئذٍ أن تشربَ دماً بعده أبداً.

ويُروى: أنه لمَّا قتل قابيلُ هابيلَ كان آدمُ بمكة، فاشتاك الشجرُ؛ أي: ظهرَ له شَوك، وتغيَّرت الأطعمةُ، وحمضت الفواكهُ، واغبرَّت الأرضُ، فقال آدم: قد حدثَ في الأرض حادث، فلمَّا رجعَ آدمُ.. سأل قابيل عن أخِيه، فقال: ما كنتُ عليه وكيلاً، فقال: بل قتلتَه؛ ولذلك اسودَّ جلدُكَ، فغضبَ عليه، فذهب قابيلُ مطروداً، فأخذَ أختَه وهرب بها إلى عدن، فأتاه إبليسُ وقال له: إنما أكلَت النار قربان هابيل لأنه كان يعبدُ النار، فانصبْ أنت ناراً تكون لك ولعَقِبك، فبنى بيتَ النار، فهو أولُ من عبدَ النار، وكان قابيلُ لا يمرُّ به أحد إلا رَماه بالحجارة، فأقبلَ ابنٌ لقابيل أعمى ومعه ابنُهُ، فقال ابنُ الأعمى لأبيه: هذا أبوك قابيل، فرَماه بحجارة فقتله، فقال ابنُ الأعمى لأبيه: قتلتَ أباك قابيل، فرفعَ الأعمى يدَهُ ولطمَ ابنَه فمات، فقال الأعمى: ويلٌ لي قتلتُ أبي برميتي وابني بِلَطمتي، واستمرَّت ذريةُ قابيل يفسدون في الأرض إلى أن جاء طوفانُ نوح فأغرقتهم جميعاً، فلم يبقَ منهم أحدٌ ولله الحمدُ، وأبقى اللهُ ذرية شيثٍ إلى يوم القيامة[1].

قوله: (ويثيره على غراب معه) أي: بعد أن وَضعَهُ في الحفرة التي نبشَها.

قوله: (﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾) كلمةُ تحسُّرٍ، والألفُ بدلٌ من ياء المتكلم؛ أي: هذا أوانكِ فاحضُري[2].

قوله: (﴿أَعَجَزْتُ﴾) تعجبٌ من عدم اهتدائه إلى ما اهتَدى إليه الغراب.

---

(١) في (ط١) زيادة: (وما مات آدم حتى رأى من ذريته أربعين ألفاً)، وقد ضُرِبَ عليها في (أ)، والأخبار عند الخازن في «تفسيره» (٢/ ٣٤).

(٢) خطابٌ للوَيلة على تشبيهها بمن يُطلب منه الحضور، والويلُ والويلة: الهلاكُ.

أَن أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ....

﴿أَن أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على حَمْلِه، وحفر له وواراه.

﴿٣٢﴾ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ الذي فَعَلَهُ قابيلُ ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ﴾ أي: الشَّأنَ ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قتَلَها، ﴿أَوْ﴾ بِغَيرِ ﴿فَسَادٍ﴾ أتاهُ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِن كُفرٍ أو زِناً أو قَطعِ طَرِيقٍ أو نَحوِه، ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بأن امتنَعَ مِن قَتلِها، ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾، قال ابنُ عبَّاس: مِن حيثُ انتِهاكُ حُرمَتِها وصَونُها، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ أي: بَنِي إسرائيلَ ﴿رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المُعجزاتِ، ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: مُجاوِزُون الحَدَّ بِالكُفرِ والقَتلِ، وغَيرِ ذلك.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأَصْبَحَ﴾) أي: صار، وقوله: (﴿مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾) على حمله؛ أي: أو على عدم اهتدائه للدفن أوَّلاً، فلا يقالُ: إن الندمَ توبة، فيقتضي أنه تابَ فلا يخلَّدُ في النار.

قوله: (الذي فعله قابيل) أي: من الفساد.

قوله: (﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾) إنما خصَّهم بالذكر وإن كان القصاصُ في كلِّ مِلَّة؛ لأن اليهودَ مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدَموا على قتل الأنبياء والأولياء، وذلك يدلُّ على قَسوة قلوبهم.

قوله: (﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾) أي: تسبَّبَ في بقائِها؛ إما بنهي قاتلها عن قتلها، أو بإطعامها وحِفظها من الأسباب المهلكة.

قوله: (أي: من حيث انتهاك حرمتها) أي: النفوس المقتولة؛ ولِذا وردَ في الحديث: «مَنْ سنَّ سنةً سيئةً.. فعليه وزرُها ووزرَ مَنْ عملَ بها إلى يوم القيامة»[1]، فقابيلُ عليه وزرُ كلٍّ من وقع منه القتلُ من بني آدم؛ لِتَسبُّبه في ذلك، فإنه أولُ من وقع منه القتل.

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧) ضِمن خبر، وعنده (١٦٧٧) مرفوعاً: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها؛ لأنه كان أول من سنَّ القتل».

إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ....

﴿٣٣﴾ ونَزَلَ في العُرَنِيِّينَ لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ وهُم مَرضَى، فأَذِنَ لَهُم النَّبِيُّ ﷺ أن يَخرُجُوا إلى الإبِل ويَشرَبُوا مِن أبوالِها وألبانِها، فلَمَّا صَحُّوا قَتَلُوا راعِيَ النَّبِيِّ ﷺ، واستاقُوا الإبِلَ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بِمُحارَبَةِ المُسلِمِين، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل) وجهُ المناسبة بينها وبين قِصة ابني آدم ظاهرةٌ؛ لأن قابيلَ قتلَ وأفسدَ في الأرض هو وذرِّيَّته.

قوله: (في العرنيين) جمع عُرَني نسبة لعُرَينة، قبيلةٌ من العرب؛ كجُهني نسبة لجُهينة، وكانوا ثمانية رجال قَدِموا للمدينة وأظهروا الإسلامَ، وكانوا مرضى، فاشتكَوا له ﷺ من مَرَضهم، فأمرهم أن يخرجوا إلى إبل الصدقة وكانت خمسةَ عشرَ ترعى في الجبل مع عَتيق للمصطفى يُقال له: يَسار النوبي، فلمَّا صَحُّوا قتلوا الراعي واستاقُوا الإبلَ وارتدُّوا عن الإسلام، فقد وقعَ منهم المحاربةُ والقتلُ والسرقة والارتداد، فبلغَ رسولَ الله خبرُهم، فأرسل خلفَهم نحو عشرين فارساً، فأتَوا بهم، فأمرَ رسولُ الله بقطع أيدِيهم وأرجُلِهم من خلاف، وسَمَر أعينهم ـ أي: كحلهم بالنار ـ وتركهم بالحرَّة يَعضُّون الحجارة ويَستسقون، فلم يَسقهم أحد[1].

إن قلتَ: إن تسمير الأعيُنِ وموتهم بالجوع والعطش مُثْلةٌ، ورسولُ الله نهى عنها!

أجيبَ: بأجوبة؛ منها: أنهم فَعلوا بالراعي كذلك، ومنها: أن ذلك خُصوصيةٌ له ﷺ فيهم، ومنها: أن ذلك كان جائزاً ثم نُسِخَ.

قوله: (ويشربوا من أبوالها) أخذَ مالكٌ من ذلك طهارة فَضلةِ مأكول اللحم.

قوله: (بمحاربة المسلمين) أشارَ بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، تقديرُهُ: يحاربون أولياءَ الله وأولياءَ رسوله وهم المسلِمون، وأفادَ به أنَّ هذا الأمرَ مستمرٌّ إلى يوم القيامة.

قوله: (﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) هذا تصويرٌ لِلمحاربة، وقوله: (﴿فَسَادًا﴾) مفعول لأجله؛ أي: يسعَون لأجل الفساد.

---

(١) الخبر رواه البخاري (٢٣٣)، ومسلم (١٦٧١) من حديث أنس رضي الله عنه.

أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ

بِقطعِ الطَّرِيقِ، ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾ أي: أيدِيهِم اليُمنَى وأرجُلِهم اليُسرَى، ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، ﴿أَوۡ﴾ لِتَرتِيبِ الأحوالِ؛ فالقَتلُ لِمَن قَتَلَ فقَط، والصَّلبُ لِمَن قَتَلَ وأخذ المالَ، والقَطعُ لِمَن أخذ المالَ ولَم يَقتُل، والنفيُ لِمَن أخافَ فقَط، قالَه ابن عبَّاس، وعليهِ الشَّافِعيُّ، وأصَحُّ قَولَيهِ أنَّ الصَّلبَ ثَلاثاً بعد القَتلِ، وقِيل: قَبلَه قَلِيلاً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بقطع الطريق) أي: لأخذ المال، أو هَتْكِ الحريم، أو قَتْلِ النفوس.

قوله: (﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾) أي: من غير صلب، وقوله: (﴿أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾) أي: مع القتل في محلٍّ مشهور لزجرِ غيره، والتفعيلُ للتكثير لِكثرة المحاربين.

قوله: (﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾) أي: إلى مَسافة القصر فما فوقَها.

قوله: (أو: لترتيب الأحوال) أي: التقسيم فيها، والمعنى: أن هذه العقوباتِ على حسَب أحوال المحاربين، وبيَّنَ المفسِّرُ ذلك، قال بعضُ العلماء: («أو» في جميع القرآن لِلتخيير إلا هذه)[1].

قوله: (وعليه الشافعي) أي: موافقاً في الاجتهاد لابن عباس، لا مُقلِّداً له، وعند مالك: (أو) على بابها للتخيير، لكن بحسَب ما يراه الحاكمُ، فحدودُ المحارب أربعةٌ لا يجوزُ الخروج عنها، وإنما الإمامُ يخيَّرُ في فعل أيِّها شاءَ بالمحارب ما لم يقتل المحاربُ مسلماً مكافئاً ولم يَعفُ وليُّهُ، فإنه يتعيَّنُ قتله، فإن عفا الوليُّ رجعَ التخيير للإمام، فما أوجبهُ الشافعيُّ استحسنَهُ مالك للإمام، وجازَ غيرُهُ، مثلاً: يجبُ على الإمام قتلُ القاتل ولا يجوزُ غيرُهُ من الصلب والقَطع من خلاف عند الشافعي، واستحسنَهُ مالكٌ للإمام، ويجوزُ غيرُهُ من الحُدود.

قوله: (إن الصلب ثلاثاً) أي: لا أقلَّ إلا إن يخافَ التغيُّرَ، وقيل: يُطالُ به حتى يتقطَّعَ جسَده.

قوله: (وقيل: قبله قليلاً) أي: بحيث يَحصلُ الزجرُ به، وهذا مشهورُ مذهب مالك وأبي حنيفة، وعليه: فيقتلُ وهو مَصلوب.

(١) القول لابن جريج، وبه قال الشافعي. نقَله في «الفتوحات» (١/ ٤٨٧) عن «إثمد العينين».

ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ....

ويُلحَق بِالنَّفيِ ما أشبَهَهُ في التَّنكِيل مِن الحَبسِ وغَيرِه، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجَزاءُ المَذكُور ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾: ذُلٌّ ﴿فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو عَذابُ النَّار.

﴿٣٤﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ مِن المُحارِبين والقُطّاعِ ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَهُم ما أتَوهُ، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم، عَبَّرَ بِذَلك دُونَ (فلا تَحُدُّوهُم) لِيُفِيدَ أنَّهُ لا يَسقُط عنهُ بِتَوبَتِه إلَّا حُدُودُ الله، دُونَ حُقُوقِ الآدَمِيِّين، كذا ظَهَرَ لي، ولَم أرَ مَن تَعرَّضَ لَه، واللهُ أعلَم. فإذا قَتَلَ وأخَذ المالَ يُقتَل ويُقطَعُ ولا يُصلَب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (ويلحق بالنفي ما أشبهه) أي: لأنَّ المقصودَ من النفي البعدُ عن الخَلق، وذلك كما يحصلُ بإبعاده من الأرض التي هو بها يَحصلُ بحبسه ولو في الأرض التي هو بها، وهذا مذهبُ الشافعي، ووافقه أبو حنيفة، وقال مالك: النفيُ إبعادُهُ من الأرض على مَسافة القصر، ولا يكفي حبسُهُ بأرضه.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ﴾) اسمُ الإشارة: مبتدأٌ، و﴿لَهُمْ﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿خِزْيٌ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والجملةُ خبرُ المبتدأ، و﴿فِي الدُّنْيَا﴾: صفةٌ لـ﴿خِزْيٌ﴾، وهذا أحسَنُ الأعاريب.

قوله: (﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾) هذا محمولٌ على من مات كافراً، وأما حُدودُ المسلمين.. فالمعتمَدُ: أنها جوابِر.

قوله: (﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾) استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكن التائبُ يغفرُ له.

قوله: (ليفيد أنه لا يسقط... إلخ) حاصلُ ذلك: أنه إن كان كافراً وتاب.. سَقطت عنه جميع التبعات حدوداً أو غيرها، وأما إن كان مسلماً.. سقطَ عنه حقوقُ الله، لا حقوقُ الآدميِّين، مثلاً: إن قتلَ وجاءَ تائباً.. فالنظرُ للوليِّ؛ إن شاءَ عفا، وإن شاءَ اقتَصَّ.

قوله: (كذا ظهر لي) أي: فهمَهُ من الآية، وقوله: (ولم أر من تعرَّضَ له) أي: من المفسِّرين وإن كان مذكوراً في كُتب الفقه.

قوله: (يقتل ويقطع) هذا سَبقُ قلم، والمناسبُ حذف قوله: (ويقطع)، والحاصلُ عند الشافعي: أنه إذا قتلَ وتاب؛ فإن عفا الوليُّ سقطَ القتل، وإلا.. فيُقتل فقط، وأما إن أخذَ المال

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ....

وهو أصحُّ قولَي الشَّافِعِيِّ، ولا تُفِيدُ تَوبَتُه بعد القُدرةِ عليهِ شَيئاً، وهو أصَحُّ قولَيهِ أيضاً.

﴿٣٥﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: خافُوا عِقابَه بِأن تُطِيعُوه، ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟﴾: اطلُبُوا ﴿إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: ما يُقَرِّبُكُم إلَيهِ مِن طاعَتِه، ....

حاشية الصاوي

وتابَ.. فإنه يؤخذُ منه المال ولا يقطعُ، خلافاً لما ذكرَهُ المفسِّرُ من أنه إذا قتلَ وأخذَ المالَ ثم تابَ.. فإنه يجمعُ له بين القتل والقطع، وإنما المنفيُّ عنه الصَّلب[1]. وما ذكرناه من المعتمَد عند الشافعي يوافقه مالك.

قوله: (وهو أصحُّ قولي الشافعي) أي: ومُقابلُهُ: أنه يصلبُ[2].

قوله: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾) لما ذكر سبحانه وتعالى أن التوبةَ من الذنوب نافعةٌ، وكانت التوبةُ من جملة التقوى.. حثَّ على طَلبها هنا.

قوله: (﴿إِلَيْهِ﴾) متعلِّقٌ بـ(ابتغوا).

قوله: (ما يقرِّبكم إليه) أي: يُوصلكم إليه، وقوله: (من طاعته) بيانٌ لـ(ما)، سواء كانت تلك الطاعةُ فرضاً أو نفلاً؛ لما في الحديث: «**ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتى أحبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الذي يسمعُ به...**» الحديثَ[3]، فالتقوى هنا تركُ المخالفات، وابتغاءُ الوسيلة فعلُ المأمورات، ويصحُّ أن المرادَ بالتقوى امتثالُ المأمورات الواجبة وتركُ المنهيَّات المحرَّمة، وابتغاءُ الوسيلة ما يُقرِّبُ إليه مطلقاً، ومن جملة ذلك: محبةُ أنبياء الله وأوليائه، والصدقاتُ، وزيارةُ أحباب الله، وكثرةُ الدعاء وصلة الرحم، وكثرةُ الذكر وغيرُ ذلك، فالمعنى: كلَّ ما يقرِّبُكم إلى اللهِ فالزَمُوه، واتركوا ما يُبعدُكم عنه.

إذا علمتَ ذلك.. فمن الضلال البيِّن والخسران الظاهر تكفيرُ المسلمين بزيارة أولياء الله، زاعمِين أن زيارتَهم من عبادة غير الله، كلا، بل من جملة المحبَّةِ في الله التي قال فيها رسولُ الله: «**ألا لا إيمانَ لمن لا محبةَ له**»[4]، والوسيلةِ له التي قال الله فيها: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

---

(١) «الفتوحات» (١/ ٤٨٨).

(٢) ولا يسقط الصلب بتَوبته. «الفتوحات» (١/ ٤٨٨).

(٣) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) قال تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، فلا يتصوَّر إيمان بغير مَحبة، وروى أحمد =

وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ....

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ لإعلاءِ دينِه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تفوزُون.

﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ﴾ ثَبَتَ ﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾) عطفُ خاصٍّ على عام؛ إشارةً إلى أن الجهاد من أعظَمِ الطاعات، وهو قِسمان: أصغرُ وهو قتال المشركين، وأكبرُ وهو الخروجُ عن الهوى والنفس والشيطان[1]، وكان قتالُ المشركين جهاداً أصغر؛ لأنه يحضرُ تارةً ويغيبُ أخرى، وإذا قتلتك الكافرُ كنتَ شهيداً، وإن قتلتَه صرتَ سعيداً، بخلاف النفس، فلا تَغيبُ عنك، وإذا قتلَتك صرت من الأشقياء، نسألُ اللهَ السلامة.

قوله: (تفوزون) أي: تَظفرون بسعادة الدارين.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) هذا كالدليلِ لما قبله، كأن الله يقول: الزموا التقوى لِيَحصلَ لكم الفوز؛ لأن من لم تكُنْ عنده التقوى كالكفَّار.. لا ينفعُهُ الفداءُ من العذاب... إلخ.

قوله: (﴿لَوْ أَنَّ لَهُم﴾) ﴿لَوْ﴾: شرطية، وقيل: الشرطُ محذوف، قدَّرَهُ المفسرُ بقوله: (ثبت)، و﴿أَنَّ﴾ وما دخلت عليه: فاعلُ (ثبت)، و﴿لَهُم﴾: خبرُ ﴿أَنَّ﴾ مقدَّم، و﴿مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: اسمها مؤخَّر، و﴿جَمِيعًا﴾: توكيدٌ له، أو حالٌ منه، و﴿مِثْلَهُۥ﴾: معطوفٌ على اسم ﴿أَنَّ﴾، وقولُه: ﴿لِيَفْتَدُواْ﴾ علةٌ له، وقولُه: ﴿بِهِۦ﴾ أي: بما ذكر، وهو ما في الأرض ومِثله، أو حَذفه من الأول لدلالة الثاني عليه؛ على حدِّ[2]: [الطويل]

فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ

= في «المسند» (٣/ ١٩٨) عن أنس مرفوعاً: «لا يستقيم إيمانُ عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»، قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم» (ص٢٢٠): (ومعنى استقامة القلب: أن يكون ممتلئاً من محبة الله ومحبة طاعته وكراهيةِ مَعصيته...)، وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ قال: (لا تحبوا غيري).

(١) روي أثر في الجهاد الأكبر، انظر «إتحاف السادة المتقين» (٧/ ٣٥١).

(٢) البيت للبرجمي، وصدره كما في «مغني اللبيب» (ص٦١٨):

فَمَن يَكُ أَمْسَى بِالمَدِينَةِ رَحْلُهُ

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ....

٣٧ ﴿يُرِيدُونَ﴾: يتمنَّون ﴿أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمٌ.

٣٨ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ - (أل) فِيهما مَوصولةٌ مُبتَدأ، ولِشَبَهه بِالشَّرط دَخَلَتِ الفاءُ في خَبَرِه، وهو: - ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أي: يَمِينَ كُلٍّ مِنهُما مِن الكُوع، وبَيَّنَت السُّنَّةُ

حاشية الصاوي

والتقدير: لو أنَّ لهم ما في الأرض جميعاً لِيَفتدوا به ومِثله معه لِيَفتدوا به، وقوله: ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ جوابُ الشرط، و(لو) مع مدخولها في محلِّ رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ الأولى، والمعنى: لو ثبتَ أن لِلكفار ما في الأرض جميعاً ومِثله معه، ويُرِيدون الافتداءَ بذلك من العذاب.. ما نفعَهم ذلك، وهو كنايةٌ عن عدم قبولهم، وعدم نفع عزِّ الدنيا لهم.

قوله: (يتمنون) أي: حيث يَقولون: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

قوله: (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾) دفعَ بذلك ما يُتوهَّمُ من قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أنه ربَّما ينقطع.

قوله: (﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾) جميعُ القرَّاء على الرفع على الابتداء، ولا يصحُّ النصب على الاشتغال؛ لأن ما بعد فاء الجزاء لا يعملُ فيما قبلها، وما لا يَعملُ لا يُفسِّرُ عاملاً، وهذه الفاء تشبهُ فاءَ الجزاء.

وصرَّحَ بالسارقة؛ لكون السرقة مَعهودةً منهنَّ أيضاً. وقدَّمَ سبحانه وتعالى السارقَ على السارقة هنا، وقدَّمَ الزانيةَ على الزاني في سورة (النور)؛ لأنَّ الرجالَ في السرقة أقوى من النساء، والزنا من النساء أقوَى من الرجال.

قوله: («أل» فيهما موصولة) أي: وصِلتُها الصفةُ الصريحة؛ أي: الذي سرَق، والتي سرقت.

قوله: (مبتدأ) أي: وهو مرفوعٌ بضمة ظاهرة؛ لأن إعرابَهما ظهرَ فيما بعدهما.

قوله: (دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَاقْطَعُوا﴾) أي: فجملةُ ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ خبرُ المبتدأ، ولا يَضُرُّ كونه جملةً طلبيَّةً على المعتمَد، وقيل: الخبرُ محذوفٌ، تقديرُهُ: ممَّا يتلى عليكم حكمُهما، وما بعد الفاء تفصيلٌ له.

جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ ....

أنَّ الذي يُقطَع فِيه رُبُعُ دِينار فصاعِداً، وأنَّهُ إذا عاد قُطِعَت رِجلُه اليُسرَى مِن مَفصِل القَدَم، ثُمَّ اليَدُ اليُسرَى، ثُمَّ الرِّجلُ اليُمنَى، وبعد ذلك يُعَزَّرُ، ﴿جَزَآءَۢ﴾ ـ نَصْبٌ على المَصدَرِ ـ ﴿بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا﴾: عُقُوبةً لَهُما ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالِبٌ على أمرِهِ، ﴿حَكِيمٞ﴾ في خَلْقِه.

﴿٣٩﴾ ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾: رَجَعَ عن السَّرِقةِ ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ عَمَلَه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (ربع دينار) أي: أو ثلاثةُ دراهم شرعيَّة، أو مقوَّمٌ بهما، ويشترطُ في القطع إخراجُهُ من حِرزِ مثله غير مَأذون له في دخوله، ويثبتُ القطعُ ببَينةٍ، أو بإقراره طائعاً، فإن أقرَّ ثم رجعَ.. لزمَهُ المالُ دون القطع، فإن سرقَ ولم تَثبُت عليه السرقةُ.. وجبَ عليه السترُ على نفسه، وردُّ المال، والتوبةُ منه، وكذا كلُّ معصية، فمِن الجهل قولُ بعض من يدَّعي التصوف: لو اطلعتم عليَّ لرَجمتمُوني، وبالجملة: من سترَ على نفسه سَترَهُ الله.

قوله: (نصب على المصدر) أي: والعاملُ محذوف تقديرُهُ: جازاه الله جزاءً، ويَصح أن يكونَ مفعولاً لأجله؛ أي: اقطعوا أيديَهما لأجل الجزاء، وقوله: (﴿بِمَا كَسَبَا﴾) الباء: سببيَّة؛ أي: بسبب كسبِهما، وقوله: (﴿نَكَٰلٗا﴾) علةٌ للمعلة، فالعاملُ فيه ﴿جَزَآءَۢ﴾[1].

قوله: (غالب على أمره) أي: فلا مُعقِّبَ لحكمه؛ لأنه القاهرُ على كلِّ شيء.

قوله: (﴿حَكِيمٞ﴾) أي: يضعُ الشيءَ في محلِّه، فلم يَحكمْ بقطع يده ظلماً؛ لأن السارقَ لما خان هان؛ ولِذا أوردَ بعضُ اليهود على القاضي عبد الوهاب البغدادي سؤالاً حيث قال: [البسيط]

يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ ... ما بالُها قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينارِ؟

فأجابَ رضي الله عنه بقوله: [البسيط]

عِزُّ الأَمانَةِ أَغْلاها وَأَرْخَصَها ... ذُلُّ الخِيانَةِ، فَافْهَمْ حِكْمَةَ البارِي[2]

قوله: (﴿مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾) أي: من بعد تَعدِّيه وأَخذِهِ المال وظُلمِهِ للناس.

---

(١) أي: أن (نكالاً) مفعول من أجله أيضاً، والعامل فيه (جزاءً)، والنكال عِلة للجزاء، فتكون العلة مُعلَّلة بشيء آخر، فتكون كالحال المتداخلة، كما تقول: (ضربته تأديباً له إحساناً إليه)، فالتأديب علة للضرب، والإحسان عِلة للتأديب. «الدر المصون» (٤/ ٢٦٥).

(٢) تقدم الخبر والشعر. انظر (١/ ٣٢٤).

فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ....

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، في التَّعبير بِهذا ما تَقدَّمَ، فلا يَسقُط بِتوبَتِه حَقُّ الآدَمِيِّ مِن القَطع ورَدِّ المال، نَعَم بَيَّنَت السُّنَّة أَنَّهُ إنْ عَفا عنهُ قبلَ الرَّفع إلى الإمام، سَقَطَ القَطعُ، وعليهِ الشَّافِعِيُّ.

﴿٤٠﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ - الاستِفهامُ فِيه لِلتَّقرِير - ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تَعذِيبَه ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المَغفِرةَ لَهُ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ومِنهُ التَّعذيبُ والمَغفِرةُ.

﴿٤١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ﴾ صُنْعُ ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾: يَقَعُون فِيه بِسُرعةٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (في التعبير بهذا) أي قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ دون أن يقولَ: فلا تَحدُّوه.

قوله: (وعليه الشافعي) أي: وعند مالك: فلا ينفَعُ عفوُهُ عنه مطلقاً قبل الرفع أو بعده حيث ثبتت السرقة بِبَينةٍ أو إقرارٍ ولم يرجع، بل يُقطع؛ لأنه حقُّ الله، وقوله: (قبل الرفع) أي: وأما بعده. فلا بدَّ من قطعه اتفاقاً.

قوله: (﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾) أي: إن لم يَتُبْ، فالميتُ المصرُّ على الذنب تحت المشيئة، خلافاً للمُعتزلة[1].

قوله: (ومنه التعذيب والمغفرة) أي: من الشيء المقدُور عليه.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾) (ألْ): لِلعهد الحُضوري؛ أي: الرسول الحاضر وقتَ نزول القرآن، وهو محمدٌ ﷺ، ولم يخاطَبْ بـ(يا أيُّها الرسول) إلا في موضعَين؛ هذا، وما يأتي في هذه السورة.

قوله: (﴿لَا يَحْزُنكَ﴾) قرأ نافعٌ بضمِّ الياء وكسر الزاي، والباقون بفتح الياء وضمِّ الزاي، والمقصودُ: نهيُ النبيِّ ﷺ عن الحزن الناشئ عن مُسارَعتهم إلى الكفر؛ رفقاً به وتسليةً له.

(١) فهو عندهم فاسق مخلَّدٌ في نار جهنم، وعذابه دُون عذاب الكافر.

مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ ....

أي: يُظهِرُونَه إذا وجَدُوا فُرصَةً، ﴿مِنَ﴾ - لِلبَيانِ - ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ بِألسِنَتِهِم، مُتعلِّقٌ بِـ﴿قَالُوٓاْ﴾، ﴿وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ وهُم المُنافِقُون، ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾ قَومٌ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ الذي افتَرَتهُ أحبارُهم سَماعَ قَبُولٍ، ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ مِنكَ ﴿لِقَوۡمٍ﴾: لِأجلِ قَومٍ ﴿ءَاخَرِينَ﴾ مِن اليَهُودِ ﴿لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ وهُم أهلُ خَيبَرَ، زَنَى فِيهم مُحصَنانِ فكَرِهُوا رَجمَهُما، فبَعَثُوا قُرَيظَةَ لِيَسألُوا النَّبِيَّ ﷺ عن حُكمِهِما، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ الَّذي في التَّوراةِ كآيةِ الرَّجمِ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ الَّتي وَضَعَهُ اللهُ علَيها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (إذا وجدوا فرصة) أي: زمناً يتمكَّنون فيه من الظفر بمطلوبهم، فالكفرُ حاصلٌ منهم على كلِّ حال، غير أنهم إذا وجدُوا زمناً أو مكاناً يتمكَّنون فيه من إظهاره.. فعلُوا، قال تعالى: ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾ [آل عمران: ١١٨].

قوله: (﴿مِنَ﴾ للبيان) أي: لِقَوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ﴾؛ على حدِّ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

قوله: (متعلق بـ﴿قَالُوٓاْ﴾) أي: لا بـ﴿ءَامَنَّا﴾، والمعنى: أن إيمانَهم لم يجاوِزْ أفواههم، وقوله: ﴿وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ الجملةُ حاليَّة.

قوله: (وهم المنافقون) أي: ويُسمَّون الآن زنادقةً.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾) يحتملُ أنه معطوفٌ على ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، فيكون بياناً لـ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾، وهو الأقربُ، وعليه: فقَوله: ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ حال من ﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾، ويحتملُ أنه خبرٌ مقدَّم، وقوله: ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ صفةٌ لموصوف محذوف هو المبتدأ المؤخَّر، فيكون كلاماً مستأنفاً، وقد مشى عليه المفسِّرُ، وعلى كلٍّ فقَوله: ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ...﴾ راجعٌ للفريقين.

قوله: (﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾) أي: مِن أحبارهم، **وسبب نزولها**: أن رسولَ الله لمَّا هاجرَ إلى المدينة.. وقعَ بينه وبين قُرَيظة صلحٌ، فصاروا يتردَّدون عليه وبينه وبين يهود خيبر حربٌ، فاتفق أنه زنى منهم مُحصنان شريف بشريفة، فأفتَوهم الأحبار بأنهما يُجلدان مئةَ سوط، ويُسوَّدان بالفحم،

يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا ....

أي: يُبَدِّلُونَه، ﴿يَقُولُونَ﴾ لِمَن أرسَلُوهُم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ الحُكمَ المُحَرَّف أي: الجَلدَ

حاشية الصاوي

ويركبان على حمار مقلوبين، ثم إنهم بعثوا قُريظةَ للنبيِّ ﷺ يسألونه عن ذلك، وقالوا لهم: إن قال لكم مثلَ ذلك فهو صادقٌ وقولُهُ حجَّةٌ لنا عند رَبنا، وإلا.. فهو كذَّاب، فأتَوه، فأخبرَهم بأنهما يُرجمان، وفي التوراة كذلك، فقالوا: إن أحبارَنا أخبرونا أنهما يُجلدان، فقال جبريلُ للنبيِّ ﷺ: اجعلْ بينك وبينهم ابنَ صوريا ووصفَهُ له، فقال النبيُّ ﷺ: «**هل تعرفون شابًّا أبيضَ أعورَ يُقالُ له: ابن صوريا؟**»، قالوا: نعم، هو أعلمُ يَهودي على وجه الأرض بما في التوراة، قال: «**فأرسِلوا إليه فأحضِرُوه**»، ففعلوا، فأتاهم، فقال له النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**أنت ابنُ صوريا؟**» قال: نعم، قال: «**وأنت أعلمُ اليهود؟**» قال: كذلك يزعمون، قال النبيُّ لهم: «**أترضون به حكماً؟**» قالوا: نعم، قال النبيُّ له: «**أنشُدُك اللهَ الذي لا إله إلا هو، الذي فلقَ البحرَ وأنجاكم، وأغرقَ آلَ فرعون؛ هل تجدون في كتابكم الرجمَ على من أحصن؟**» قال: نعم والذي ذكَّرتني به، لولا خشيتُ أن تحرقني التوراةُ إن كذبتُ أو غيَّرت.. ما اعترفتُ، فوَثب عليه سَفِلَةُ اليهود، فقال: أنا خفتُ إن كذبت ينزِلْ علينا العذابُ، ثم سألَ النبيَّ عن أشياءَ كان يعرفُها من أعلامه، فأجابَهُ عنها فأسلمَ، وأمرَ النبيُّ بالزانيَين فرُجما عند باب المسجد، هكذا ذكرَ شيخُنا الشيخُ الجملُ هنا عن أبي السعود، ولم نرَها فيه، ولكن تقدَّمَ لنا: أن ابنَ صوريا أتى بالتوراة وقرأَ ما قبلَ آيةِ الرجم وما بعدها، ووضعَ يدَهُ عليها ولم يَقرأها، فنبَّهَ عليها عبدُ الله بن سلام، فافتضحَ هو وأصحابُهُ، فلَعلَّهما روايتان في إسلامه وعَدمه [1].

قوله: (أي: يبدلونه) أي: بأن يَضعُوا مكانَهُ غيرَهُ.

قوله: (﴿يَقُولُونَ﴾) أي: يَهود خيبر، وقوله: (لمن أرسلوهم) أي: وهُم قُريظة.

قوله: (الحكم المحرَّف) أي: في الواقع، وليس المرادُ أنهم يَقولون لهم ذلك، بل التحريفُ واقعٌ من الأحبار سرًّا.

---

(١) كذا نقله العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٤٩١) وعزاه لأبي السعود في «إرشاد العقل السليم»، والخبر عند الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٦٣)، والبَغوي في «تفسيره» (٢/ ٥٠) وهو من مصادر العلامة الجمل، فلَعله رحمه الله تعالى سبق قلَمه في عَزوه لأبي السعود، وأما الرواية الثانية فقد تقدمت. انظر (١/ ٤٨٩).

فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ....

الذي أفتاكم بِه مُحمَّد ﴿فَخُذُوهُ﴾: فاقبَلُوه، ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم بِخِلافِه ﴿فَاحْذَرُوا﴾ أن تقبَلُوه، ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾: إضلالَه ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ في دَفعِها، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ مِن الكُفرِ، ولو أرادَهُ لَكان، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: ذُلٌّ بِالفَضيحة والجِزيةِ، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿٤٢﴾ هُم ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ ـ بِضَمِّ الحاءِ وسُكُونِها ـ أي: الحَرام كالرِّشا، ﴿فَإِن جَاءُوكَ﴾ لِتحكُمَ بينَهم، ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، هذا التَّخيير مَنسُوخ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾) فيه ردٌّ على المعتزلة القائلين بأن العبدَ يَخلقُ أفعال نفسه[1].

قوله: (ذل بالفضيحة) أي: للمنافقِين بِظهور نفاقهم بين المسلمين، وقوله: (والجزية) أي: لليهود.

قوله: (﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾) خبرٌ لمحذوف، قدَّرَهُ المفسرُ بقوله: (هم)، وكرَّرَهُ تأكيداً.

قوله: (بضم الحاء وسكونها) أي: فهُما قراءتان سبعيَّتان[2]، وسمي سحتاً؛ لأنه يُسْحِت البركةَ؛ أي: يمحقُها ويُذهبُها.

قوله: (كالرِّشا) أي: والربا.

قوله: (﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾) أي: بأن تردَّهم لأهل دِينهم.

قوله: (منسوخ) أي: وليس في هذه السورة منسوخٌ إلا هذا وقولُه: ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢].

---

(١) قال إمامُنا الرازي في «تفسيره» (١١/ ٣٦٠): (دلَّت هذه الآية على أن الله تعالى غير مريد إسلام الكافر، وأنه لم يطهر قلبه من الشك والشرك، ولو فعَل ذلك لآمَن، وهذه الآية من أشدِّ الآيات على القَدرية).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بضم الحاء، والباقون بالسكون. «السراج المنير» (١/ ٣٧٦).

وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ....

بِقولِه تَعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم...﴾ الآية [المائدة: ٤٩]، فيَجبُ الحُكمُ بينَهم إذا تَرافعُوا إلَينا، وهو أصَحُّ قولَي الشافِعيِّ، فلَو ترافَعُوا إلَينا مع مُسلِم وجَبَ إجماعاً، ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ بينَهم ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾: بِالعَدلِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: العادِلِين في الحُكم، أي: يُثيبُهُم.

﴿٤٣﴾ ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ بِالرَّجم؟ استِفهامُ تعجِيب، أي: لَم يَقصِدُوا بِذلك مَعرِفةَ الحَقِّ بَل ما هو أهوَنُ علَيهِم، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾: يُعرِضُونَ عن حُكمِك بِالرَّجمِ المُوافِقِ لِكِتابِهم ﴿مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ التَّحكيمِ، ﴿وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (وهو أصحُّ قولي الشافعي) أي: ومُقابلُهُ: التخييرُ باقٍ وليس بمنسوخ[1]، وهو مشهورُ مذهب مالك.

قوله: (مع مسلم) أي: بأن كانت الدعوى بين مسلمٍ وكافر.

قوله: (وجبَ إجماعاً) أي: بإجماع الأئمة.

قوله: (﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾) أي: لأنَّ الله عاصمُكَ وحافظُكَ من الناس.

قوله: (﴿وَعِندَهُمُ﴾) خبرٌ مقدَّم، و﴿التَّوْرَاةُ﴾: مبتدأٌ مؤخَّر، والجملة حال من الواو في ﴿يُحَكِّمُونَكَ﴾.

قوله: (استفهام تعجيب) أي: إيقاعٌ للمُخاطب في العجب.

قوله: (بل ما هو أهون عليهم) أي: وهو الجَلد.

قوله: (﴿وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾) لا بِكتابهم لإعراضهم عنه وتحريفِهِ، ولا بِكَ لعدم الانقياد لك في أحكامك.

---

(١) «الفتوحات» (١/ ٤٩١) نقلاً عن «كنز الراغبين».

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ ....﴾

﴿٤٤﴾ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ مِن الضَّلالةِ، ﴿وَنُورٌ﴾: بَيانٌ لِلأحكامِ، ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ مِن بَنِي إسرائِيلَ، ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾: انْقادُوا لِلَّهِ ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾) كلامٌ مستأنفٌ مَسُوقٌ لِبيان فضل التوراة، وأنها كتابٌ عظيم كلُّهُ هدًى ونور.

قوله: (﴿فِيهَا هُدًى﴾) أي: لمن أرادَ اللهُ هدايتَهُ، وأما مَن أرادَ الله شقاوتَهُ.. فلا تنفعُهُ التوراة ولا غيرُها، قال البوصيري: [الخفيف]

وَإذا ضَلَّتِ العُقُولُ على عِلْـ ... ـمٍ فَماذا تَقُولُهُ النُّصَحاءُ؟[1]

قوله: (﴿وَنُورٌ﴾) في الكلام استعارة مصرحة، حيث شُبِّهت الأحكامُ بالنور بجامع الاهتداء في كلٍّ، واستُعيرَ اسمُ المشبَّه به للمشبه، وحيث أُريدَ بالنور الأحكام فالمرادُ بالهدى التوحيدُ، فالعطفُ مغاير.

قوله: (﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾) كلامٌ مستأنفٌ لبيان المنتفِع بالتوراة، وهم الأنبياء والعلماء، والمراد بالأنبياء: ما يشمل المرسلين، فحكمُ المرسلين ظاهرٌ، وحكمُ الأنبياء بالقضاء بها لا على أنها شرعٌ لهم.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾) أي: كَمُلَ إسلامهم، وهو وصفٌ كاشف[2]؛ لأنَّ كلَّ نبيٍّ منقادٌ لله، وحكمةُ الوصف بذلك: التعريضُ باليهود حيث افتخرُوا بأصولهم ولم يُسلموا، بل حرَّفوا التوراةَ وبدَّلوها.

قوله: (﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾) اللام: للاختصاص؛ أي: أحكامُ التوراة مختصَّةٌ بالذين هادُوا، أعمُّ من أن تكونَ أحكاماً لهم أو عليهم[3].

قوله: (﴿وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ﴾) معطوفٌ على ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾.

---

(١) من «همزيته» المشهورة، انظر «المنح الملكية» (ص٤٠٢).

(٢) كقولنا: الجسم المتحيِّز؛ إذ لا جسمَ إلا وهو كذلك.

(٣) كأنه قيل: لأجل الذين هادُوا. «الفتوحات» (١/ ٤٩٢).

وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ

العُلماءُ مِنهم ﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾: الفُقَهاءُ، ﴿بِمَا﴾ أي: بِسَبَبِ الذِي ﴿ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾: استُودِعُوه، أي: استَحفَظَهُم الله إيَّاهُ ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أن يُبَدِّلُوه، ﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾ أَنَّهُ حَقٌّ، ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ أيُّها اليَهُودُ في إظهارِ ما عِندَكُم مِن نَعت مُحمَّد ﷺ والرَّجمِ وغَيرِهِما، ....

حاشية الصاوي

قوله: (**العلماء منهم**) وقيل: الزُّهاد، وقيل: الذين يربُّون الناس بصغار العلم قبل كِباره، وهذا لا ينافي كلامَ المفسِّر، بل يُقالُ: سُمُّوا ربَّانيين؛ لكونهم منسوبِين للربِّ لِزُهدهم ما سواه، أو للتربية لكونهم يُرَبُّون الخَلق.

قوله: (﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾) جمع حَبر بالفتح والكسر، وأما المداد.. فبِالكسر لا غير، من التحبير وهو التحسينُ، يُقال: حبَّرَهُ إذا حسَّنَهُ، سُمُّوا بذلك؛ لأنهم يُزيِّنون الكلام ويحسِّنونه، وهو عطفٌ على ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾ أيضاً، وقد وسَّطَ بين المعطوفات ـ الذين هم الحُكَّام ـ بالمحكوم لهم[1]، وذكر الأحبار بعد الرَّبانيين من ذكر العامِّ بعد الخاص؛ لأن الحبرَ العالمُ، كان ربَّانيًّا أو لا.

قوله: (**أي: بسبب الذي**) أشارَ بذلك إلى أن الباءَ سببيَّة، و(ما): اسم موصول بمعنى: الذي، والعائدُ محذوف؛ أي: بسبب الذي استحفظوه، وفاعلُ الحفظ هو الله؛ أي: بسبب الشرع الذي أمرَهم اللهُ بحفظه، وقوله: ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ بيانٌ لـ(ما)، فالأنبياءُ والعُلماء أُمَناءُ الله على خلقه، يحكمون بين الناس بأحكام الله التي علَّمَها اللهُ لهم، ومن لم يحكمْ بذلك فقد خانَ الله في أمانته وكذبَ على ربِّه، فحينئذٍ يَستحقُّ الوعيد.

قوله: (﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾) تفريعٌ على قوله: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾، والخطابُ لعلماء اليهود الذين في زَمنه ﷺ.

قوله: (**وغيرهما**) أي: كقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: ٤٥] فغيَّروها وقالوا: ما لم يكن القاتلُ شريفاً، وإلا.. فلا يقتلُ بالوضيع.

(١) وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للإيذان بأن الأصل في الحكم إنما هو بالتوراة. انظر «الفتوحات» (١/ ٤٩٢).

وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ ....

﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ في كِتمانِه، ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾: تَستبدِلُوا ﴿بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِن الدُّنيا تأخُذُونه على كِتمانِها، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ به.

﴿٤٥﴾ ﴿وَكَتَبْنَا﴾: فَرَضْنا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ أي: التَّوراةِ، ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ تُقتَلُ ﴿بِٱلنَّفْسِ﴾ إذا قَتَلَتْها، ﴿وَٱلْعَيْنَ﴾ تُفقَأُ ﴿بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ﴾ يُجدَعُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾) نزلت في بني قريظة وبني النضير، فكان الواحدُ من بني النضير إذا قتلَ واحداً من قريظة أدَّى إليهم نصفَ الدية، وإذا قتلَ الواحدُ من قريظة واحداً من بني النضير أدَّى إليهم الديةَ كاملة، فغيَّروا حكمَ الله الذي أمرَ به في التوراة، وكلُّ آيةٍ وَردَت في الكفَّار تجرُّ بذيلها على عُصاة المؤمنين.

قوله: (﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾) هذا شرعُ من قبلنا، وهو شرعٌ لنا ولم يَرِدْ ما ينسخه، ففي هذه الآية دليلٌ لمذهب مالك حيث قال: شرعُ مَنْ قبلَنا شرعٌ لنا ما لم يَرِدْ ناسخ.

قوله: (﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾) ﴿أَنَّ﴾: حرفُ توكيد ونصب، و﴿ٱلنَّفْسَ﴾: اسمها، وقوله: ﴿بِٱلنَّفْسِ﴾ الجارُّ والمجرور متعلِّقٌ بمحذوف خبر ﴿أَنَّ﴾، قدَّرَهُ المفسرُ بقوله: (تقتل)، وهو حلُّ معنًى لا حلُّ إعراب؛ لأن الخبرَ يُقدَّرُ كوناً عامًّا لا خاصًّا، فالمناسبُ تقديرُهُ: تؤخذُ، لِيَصلحَ للجميع، والجملةُ من (أنَّ) واسمها وخبرها في محلِّ نصب على المفعولية بـ(كتبنا).

واعلم أنه قُرِئَ بنصب الجميع وهو ظاهر؛ لأنه معطوفٌ على اسم (أن)، وقُرِئَ برفع الأربعة مبتدأٌ وخبرٌ معطوف على جملةِ (أن) واسمها وخبرها، ويؤوَّلُ (كتبنا) بـ(قُلنا)، فالجملُ كلُّها في محلِّ نصب مقول القول، وهو الأحسَنُ، وقُرِئَ بنصب الجميع ما عدَا (الجروح)، فبالرفع مبتدأٌ وخبرٌ معطوف على (أن) واسمها وخبرها[١].

---

(١) قرأ الكسائي: (والعين) وما عطف عليها بالرفع، وقرأ نافع وحمزة وعاصم بنصب الجميع، وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر بالنصب فيما عدَا (الجروح) فإنهم يرفعونها. انظر «الدر المصون» (٤/ ٢٧٣).

بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ....

﴿بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ﴾ تُقطَعُ ﴿بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾ تُقلَعُ ﴿بِٱلسِّنِّ﴾، ـ وفي قِراءة بِالرَّفعِ في الأربعةِ ـ ﴿وَٱلْجُرُوحَ﴾ ـ بِالوَجهَينِ ـ ﴿قِصَاصٌۚ﴾ أي: يُقتَصُّ فيها إذا أمكَنَ، كاليَدِ والرِّجل والذَّكَرِ ونَحوِ ذلك، وما لا يُمكِن فِيه الحُكُومةُ، وهذا الحُكمُ وإن كُتِبَ علَيهِم فهو مُقرَّرٌ في شَرعِنا، ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي: بِالقِصاصِ، بِأن مَكَّنَ مِن نَفسِه، ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ﴾ لِما أتاه، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القِصاصِ وغيرِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ﴾) بضم الذال وسكونها، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (بالوجهين) أي: بالرفع والنصب عند نصب الجميع، وأما عند رفع ما قبله فبِالرفع لا غير.

قوله: (وما لا يمكن) (ما): اسمُ موصول مبتدأٌ، وقوله: (فيه الحكومة) خبر.

قوله: (فيه الحكومة) أي: بأن يقدَّرَ رقيقاً سالماً من العيوب، ثم ينظرُ لما نقصه، فيُؤخذُ بنسبته من الدية، وظاهرُ المفسِّر أن كلَّ ما لا يمكنُ فيه القصاص فيه الحكومة، ولعلَّه مذهبُهُ، وإلا.. فمذهبُ مالكٍ الحكومةُ فيما لم يَرِدْ فيه شيءٌ مقرَّرٌ في الخطأ، وإلا.. ففيه ما قُرِّرَ في الخطإ؛ كرضِّ الأُنثيينِ وكسر الصلب فيه الدِّيةُ كاملة، وفي نحو الجائفة والآمَّة ثلثُها على ما هو مُبيَّن في المذهب.

قوله: (بأن مكن) أي: القاتل من نَفسه للقصاص، ويحتملُ أن المعنى: فمن تصدَّق به؛ أي: القصاص بأن عفا الوليُّ عن القاتل، فهو كفارةٌ لما عليه من الذنوب، **والحاصلُ**: أن القاتلَ تعلَّق به ثلاثُ حقوق: حقٌّ لله، وحقٌّ للوليّ، وحقٌّ للمقتول، فإن سلَّمَ القاتلُ نفسَهُ طوعاً تائباً.. سقط حقُّ الله وحقُّ الوليِّ، ويرضي اللهُ المقتولَ من عِنده، وأما إن أُخِذَ القاتلُ كرهاً وقتلَ من غير توبة.. فقد سقط حقُّ الوليِّ وبقيَ حقُّ الله وحقُّ المقتول، هكذا ذكره ابن القيم[2]، وهو مبنيٌّ على أن الحدودَ زَواجر، وأما على ما مشى عليه مالكٌ من أن الحدودَ جَوابر.. فمتى قُتِلَ ولو من غير توبة.. فقد سَقطت كلُّها؛ لأنَّ السيفَ يجبُّ ما قبله.

---

(١) قرأ نافع بسكون الذال، والباقون بضمِّها. انظر «الدر المصون» (٤/ ٢٧٩).

(٢) انظر «إعلام الموقعين» (١/ ٨٥).

فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ....

﴿فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: أتبعنا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم﴾ أي: النبيين ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالةِ، ﴿وَنُورٌ﴾: بيانٌ للأحكام، ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ ـ حالٌ ـ ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ لِما فيها من الأحكامِ، ......

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾) أي: لمخالفة شرع الله مع عدم استحلاله لذلك، وعبَّرَ فيما تقدَّم بـ(الكافرون)؛ لِتَبديلهم وتغييرهم ما أنزلَ اللهُ واستحلالِهم لذلك.

قوله: (﴿وَقَفَّيْنَا﴾) شروعٌ في ذكر ما يتعلَّقُ بفضل عيسى وكتابهِ بعد ذكر فضل موسى وكتابِه.

و(قفَّينا): من التقفية، وهي الإتيانُ في القفا، ومعناه: العَقِبُ، وقد ضمَّنَ (قفينا) معنى (جئنا)، فلا يُقالُ: يلزمُ عليه أن التضعيف كالهمز، فمُقتضاه أن يتعدَّى لمفعولين؛ بأن يُقالَ مثلاً: وقفَّيناهم عيسى.

قوله: (أتبعنا) أي: جئنا بعيسى تابعاً لآثارهم.

قوله: (أي: النبيين) أي: المتقدِّم ذكرهم في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾، فالأنبياءُ الذين بين موسى وعيسى يَعملون بالتوراة ويحكمون بها بين الناس، فلما جاءَ عيسى.. نسخَ العملَ بالتوراة وصارَ الحكم للإنجيل.

قوله: (﴿مُصَدِّقًا﴾) حال من ﴿عِيسَى﴾، وقوله: ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ بيان لـ(ما).

قوله: (﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾) معطوفٌ على (قفَّينا).

قوله: (﴿فِيهِ﴾) خبرٌ مقدَّم، و﴿هُدًى﴾: مبتدأ مؤخَّر، ﴿وَنُورٌ﴾: معطوفٌ عليه، والجملةُ حال من ﴿ٱلْإِنجِيلَ﴾، والمرادُ بالهدى: التوحيدُ، وبِالنور: الأحكامُ، فالعطفُ مُغاير.

قوله: (﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾) أي: معترفاً بأنها من عند الله وإن نسخت أحكامُها؛ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى كلَّفَ أمَّةَ كلِّ عصر بأحكام تُناسبُها، فالنسخُ في الأحكام الفرعيَّة، لا الأُصولية كالتوحيد، فلا نسخَ فيه، بل ما كان عليه آدمُ من التوحيد هو ما عليه باقي الأنبياء.

وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ....

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿٤٧﴾ ﴿وَ﴾ قُلنا: ﴿لِيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ مِن الأحكام، ـ وفي قِراءة بِنَصبِ (يَحكُم) وكَسرِ لامِه عَطفاً على مَعمُولِ (آتيناهُ) ـ، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَهُدًى﴾) أي: ذُو هدى، أو بُولغَ فيه حتى جُعِلَ نفسَ الهدى مبالغةً؛ على حدِّ: زيدٌ عدْلٌ، وعبَّرَ أوَّلاً بقوله: ﴿فِيهِ هُدًى﴾، وثانياً بقوله: ﴿وَهُدًى﴾؛ مبالغةً.

قوله: (﴿وَمَوْعِظَةً﴾) أي: أحكاماً يَتعظون بها، والحكمةُ في زيادة الموعظة في الإنجيل دونَ التوراة: لأن التوراةَ فيها الأحكامُ الشرعيةُ فقط، وإنما المواعظُ كانت في الألواح وقد تكسَّرت، وأما الإنجيلُ فهو مُشتمِلٌ على الأحكام والمواعظ.

قوله: (﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾) خصَّهم؛ لأنهم المنتَفِعون بذلك.

قوله: (وقلنا) قدَّرَهُ المفسِّرُ؛ إشارةً إلى أن الواو: حرفُ عطف، والمعطوف محذوف، وقوله: (ليحكم) اللامُ: لامُ الأمر، والفعلُ مجزومٌ بها، والجملة مقولُ القول، والمحذوف معطوف على (آتينا)، والمعنى: آتينا عيسى بن مريم الإنجيلَ وأمَرناه ومن تبعَهُ بالحكم به.

قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعيَّةٌ أيضاً[1].

قوله: (بنصب «يحكم») أي: بـ(أن) مُضمرة بعد لام (كي).

قوله: (عطفاً على معمول «آتيناه») فيه شيء؛ لأنه إن أرادَ معمولَهُ الذي هو ﴿الْإِنجِيلَ﴾.. فهو غيرُ ظاهر، وإن أرادَ معمولَهُ الذي هو قوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾، والمعنى: آتيناه الإنجيلَ لأجل الهدى والموعظة ولحكم أهل الإنجيل.. فهو صعبُ التركيب، والأحسَنُ أن قوله: (ليحكم) متعلقٌ بمحذوف، والواو للاستئناف، والمعنى: وآتيناه ذلك لِيَحكم.

قوله: (﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾) عبَّرَ بالفسق هنا؛ لأنه خروجٌ عن أمره تعالى وطاعته؛ لأنه تقدَّمَهُ

---

(١) وهي قراءة حمزة، والجملة على قراءة الجمهور مستأنفة. انظر «الدر المصون» (٤/ ٢٨٥).

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً

﴿٤٨﴾ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ـ مُتعلِّقٌ بـ(أنزلنا) ـ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قَبلَه ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا﴾: شاهِداً ﴿عَلَيْهِ﴾، والكِتاب بِمعنى الكُتُب، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾: بَين أهلِ الكِتاب إذا تَرافعُوا إلَيكَ، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إلَيك، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ عادِلاً ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيُّها الأُمَمُ ﴿شِرْعَةً﴾:

حاشية الصاوي

أمرٌ وهو قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾، وفي الحقيقة الفسق يرجعُ للظلم؛ لأنه مخالفةُ الأمر، فتَعبيره بالظلم أوَّلاً وبالفسق ثانياً تفنُّنٌ.

قوله: (﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾) معطوفٌ على ﴿أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾.

قوله: (متعلق بـ«أنزلنا») المناسبُ أن يقولَ: متعلقٌ بمحذوف حال من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، وقوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ حالٌ من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ أيضاً.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾) بيانٌ لـ(ما)، و(أل) في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: لِلجنس، فيشملُ جميعَ الكُتب السماوية.

قوله: (﴿وَمُهَيْمِنًا﴾) المهيمِنُ معناه: الحاضرُ الرقيبُ، فالقرآنُ شاهدٌ على سائر الكتب، وعلى مَنْ آمنَ من أصحابها ومَن كفر.

قوله: (والكتاب بمعنى: الكتب) أي: فـ(ألْ) لِلجنس.

قوله: (﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾) الخطابُ للنبيِّ والمرادُ غيرُهُ، والمعنى: لا يميل الحاكمُ بين الناس لأهوائهم بأن يحكمَ بها ويتركَ ما أنزلَ الله.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (أيها الأمم) أي: من لدنْ آدمَ إلى محمد، فكلُّ أمة لها شرعٌ مختصٌّ بها، والاختلافُ إنما هو في الفروع لا الأصول، فكلُّ ما وردَ دالًّا على اختلاف الشرائع كهٰذه الآية.. فباعتبار الفروع، وما وردَ دالًّا على الاتحاد كقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣] وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].. محمولٌ على الأصول.

قوله: (﴿شِرْعَةً﴾) أي: أحكاماً شرعَها وبيَّنها للتعبُّد بها، والشريعةُ في كلام العرب: مَوردُ الماء

وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

شَرِيعةً، ﴿وَمِنْهَاجًا﴾: طَرِيقاً واضِحاً في الدِّين يَمشُونَ عليهِ، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على شَريعةٍ واحِدَةٍ، ﴿وَلَٰكِن﴾ فرَّقكُم فِرَقاً؛ ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: لِيَختَبِرَكُم ﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ مِن الشَّرائِع المُختَلِفةِ؛ لِيَنظُرَ المُطِيعَ مِنْكُم والعاصِيَ، ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: سارِعُوا إلَيها، ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بِالبَعثِ، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أمرِ الدِّين، ويَجزِي كُلًّا مِنكُم بِعَمَلِه.

﴿٤٩﴾ ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ ....

حاشية الصاوي

الذي يُقصدُ للشرب منه، استُعير للطريقة الإلهيَّة، قال بعضُهم: الشريعةُ والمنهاجُ عبارةٌ عن معنًى واحد، والتكرارُ للتأكيد.

قوله: (﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾) أي: جماعةً مُتفقةً على دين واحد مِن غير نسخ.

قوله: (﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ﴾) هذا هو حكمةُ تفرُّق الشرائعِ في الفروع.

قوله: (لينظر المطيع) أي: ليظهرَ أمرُ المطيع من العاصي.

قوله: (﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾) أي: بادِرُوا إلى وجوه البِرِّ والطاعات.

قوله: (﴿جَمِيعًا﴾) حالٌ من الكاف في ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾، ولا يُقالُ: هو حالٌ من المضاف إليه ولا يجوزُ؛ لأنه يُقالُ: المضافُ مُقتضٍ للعمل في المضاف إليه، قال ابن مالك: [الرجز]

وَلا تُجِزْ حالاً مِنَ المُضافِ لَهْ ... إلا إذا اقْتَضَى المُضافُ عَمَلَهْ[1]

قوله: (﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾) أي: يخبرُكم بالذي كنتم تَختلفون فيه، فيترتَّبُ على ذلك الثوابُ للمطيع والعقابُ للعاصي.

قوله: (﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم﴾) الواوُ: حرفُ عطف، و(أنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر معطوف على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، التقديرُ: وأنزلنا إليك الكتاب والحكم، والفعلُ وإن كان أمراً لفظاً إلا أنه

---

(١) «الخلاصة»: (باب الحال)، والمصدر في ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ عامل في الضمير؛ إمَّا على الفاعلية والتقدير: ترجعون جميعاً، أو المفعولية والتقدير: يُرجعُكم الله. انظر «الدر المصون» (٤/ ٢٩٣).

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ﴾ ....

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ﴾ لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿يَفْتِنُوكَ﴾: **يُضِلُّوك** ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ **عنِ الحُكم المُنْزَلِ وأرادُوا غيرَه،** ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾ **بِالعُقُوبةِ في الدُّنيا** ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ **التي أتَوْها،** ....

حاشية الصاوي

في معنى المضارع؛ ليفيدَ استمرارَ الحكم، وليس هذا مكرَّراً مع قوله: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ ما تقدَّمَ في شأن رَجم المحصنين، وما هنا في شأن الدماء والديات؛ لأن سببَ نزولها: أن بني النضير كانوا إذا قتلوا من قريظة قتيلاً.. أعطَوهم سبعين وَسْقاً من تمر، وإذا قتلَ قريظةُ قتيلاً من بني النضير.. أعطَوهم مئة وأربعين وَسْقاً، فقالَ لهم رسولُ الله: «**أنا أحكمُ أن دمَ القرظيِّ كدم النضيري، ليس لأحدِهم فضلٌ على الآخر في دمٍ ولا عَقْلٍ ولا جراحة**»، فغضبَ بنو النضير، وقالوا: لا نرضى بحُكمك، فإنك تريدُ صَغارنا[1].

قوله: (﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾) سببُ نزولها: أن كعبَ بن أسيد وعبدَ الله بن صُوريا وشاسَ بن قيس قال بعضُهم لبعض: اذهَبوا بنا إلى محمد لعلَّنا نفتنُهُ عن دينه، فأتَوه، فقالوا: يا محمدُ؛ قد عرفت أنَّا أحبارُ اليهود وأشرافهم وساداتهم، وأنَّا إن اتبعناك اتَّبعنا اليهودُ ولم يخالفونا، وأنَّ بيننا وبين قومنا خصومةً، فنتحاكمُ إليك، فاقضِ لنا عليهم نُؤمِنْ بك ونُصدقك، فأبى رسولُ الله، فنزلت الآية[2].

وقوله: (أن يفتنوك) مفعولٌ لأجله على تقدير لام العلة و(لا) النافية، وهو ما مشى عليه المفسِّرُ، ويحتملُ أنه بدلُ اشتمال من الهاء في (احذرهم)، والمعنى: احذَرهم فتنتَهُمْ. والخطابُ له ﷺ والمرادُ غيرُهُ؛ لِعِصمته من الفتنة.

قوله: (﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾) أي: لا بِجميعها، فعقابُهم في الدنيا بالقتلِ والسبيِ والجلاءِ إنما هو ببعض ذنوبهم، وأما في الآخرة فيُجازيهم على الجميع كما قال المفسِّر؛ لأن العذابَ المنقضي وإن طالَ لا يكفي جزاءً لِذُنوب الكافر جميعها، كما أنَّ نعيمَ الدنيا وإن كثُرَ ليس جزاءً لأعمال المؤمن

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٩) عن ابن جريج، والسياق عند الخازن (٢/ ٥٢).

(٢) «تفسير البغوي» (٢/ ٥٨) بروايته عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ....

ومِنها التَّولِّي، ويُجازِيهِم على جَمِيعِها في الأُخرَى، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

﴿٥٠﴾ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ - بِالياءِ والتَّاء -: يَطلُبُونَ مِن المُداهَنةِ والمَيلِ إذا تَولَّوا، - استِفهامٌ إنكارِيٌّ -، ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحدَ ﴿أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ﴾ عِند قوم ﴿يُوقِنُونَ﴾ بِه، خُصُّوا بِالذِّكرِ لأنَّهم الَّذين يَتدبَّرُون.

حاشية الصاوي

الصالحة، وإن عذب في الدنيا بمرض أو غيره.. فهو جزاءٌ لأعمال المؤمِن السيئة، والنعيمُ في الدنيا للكافر قد يكونُ جزاءً لما عملَ من الصالحات كالصدقات مثلاً.

قوله: (ومنها التولي) أي: الإعراضُ عن حكمِهِ ﷺ.

قوله: (﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾) أي: خارِجون عن دائرة الحقِّ، وتقدَّمَ: أن بَعْثَ النار من كلِّ ألف واحدٌ ناجٍ، والباقي خارجٌ عن حدود الله، والمعنى: تَسَلَّ يا محمدُ؛ فإن الغالبَ في الناس الفسقُ، فلا خصوصيَّةَ لِليهود بذلك.

قوله: (﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾) الهمزةُ داخلة على محذوف، والفاء عاطفةٌ على ذلك المحذوف، والتقديرُ: أيتولَّون عنك فيَبغون حكمَ الجاهلية؟ فـ(حكمَ) مفعول لـ﴿يَبْغُونَ﴾.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (استفهام إنكاري) فهو بمعنى النفي، والمعنى: لا يَبغون حكم الجاهلية منك على سَبيل الظفر به؛ لِعصمتك.

قوله: (أي: لا أحد) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي، والآيةُ كالدليل لما قبلها.

قوله: (عند قوم) أشارَ بذلك إلى أن اللام بمعنى: عند.

قوله: (به) قدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أن مفعولَ ﴿يُوقِنُونَ﴾ محذوف، والضمير عائدٌ على حكم الله.

---

(١) قرأ ابن عامر بتاء الخطاب، والباقون بياء الغيبة. انظر «الدر المصون» (٤/ ٢٩٨).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ﴾ ......

﴿٥١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ تُوالُونَهُم وتُوادُّونَهُم، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ لِاتِّحادِهِم في الكُفرِ، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾: مِن جُملَتِهِم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بِمُوالاتِهِم الكُفَّار.

﴿٥٢﴾ ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضَعفُ اعتِقادٍ، كعبدِ الله بن أُبَيٍّ المُنافِقِ، ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾: في مُوالاتِهِم، ﴿يَقُولُونَ﴾ مُعتَذِرِين عنها: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ﴾ ... إلخ) النهيُ لكلِّ مَنْ أظهرَ الإيمان وإن كان في الباطِن خالياً من الإيمان، وسببُ نزولها: أن عبادةَ بن الصامت رضي الله عنه وعبدَ الله بن أُبيٍّ بن سلول رأسَ المنافقين اختَصما، فقال عبادةُ: إن أولياءَ من اليهود كثير عددُهم شديدة شوكتُهم، وإني أبرأُ إلى الله وإلى رسوله من ولاية اليهود، ولا مَولى لي إلا اللهُ ورسولَهُ، فقال عبدُ الله بن أُبيٍّ: إني لا أبرأُ من ولاية اليهود، فإني أخافُ الدوائرَ، ولا بدَّ لي منهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا الحُباب، ما نَفِسْتَ به من ولاية اليهود على عُبادة بن الصامت هو لك دُونه**»، فقال: إذاً أقبل، فنزلت[1]. و(اتخذَ) ينصب مفعولين، ﴿ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ﴾ مفعولٌ أول، و﴿أَوْلِيَآءَ﴾ مفعولٌ ثانٍ.

قوله: (﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾) جملةٌ مستأنفة، والمعنى: بعضُ كلِّ فريق أولياءُ البعضِ الآخر من ذلك الفريق؛ لأنَّ بين اليهود والنصارى العداوةَ الكبرى.

قوله: (﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾) أي: لأنه لا يوالي أحدٌ أحداً إلا وهو عنه راضٍ، فإذا رضيَ عنه وعن دينه صارَ من أهل ملَّته، أما مُعاملتُهم مع كراهتهم.. فلا ضررَ في ذلك.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) عِلةٌ لكون مَنْ يُواليهم منهم.

قوله: (كعبد الله بن أُبَيٍّ) أي: وأصحابه.

قوله: (معتذرين عنها) أي: الموالاة.

(١) «تفسير البغوي» (٢/٥٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/٣٩٦) عن الزهري.

نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ....

﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ يَدُورُ بِها الدَّهر علَينا مِن جَدْبٍ أو غَلَبةٍ ولا يَتِمّ أمرُ مُحمَّد، فلا يَميرُونا، قال تَعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ بِالنَّصرِ لِنَبيِّهِ بِإظهارِ دِينِه، ﴿أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ بِهَتْكِ سِترِ المُنافِقِين وافتِضاحِهِم، ﴿فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ مِن الشَّك ومُوالاةِ الكُفَّارِ ﴿نَٰدِمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿دَآئِرَةٌ﴾) أي: أمر مكروهٌ، فالدوائرُ هي: حوادثُ الدهر وشُرورُهُ، والدولةُ هي: العزَّةُ والنصر، فالمؤمنُ لا ينتظرُ إلا الدولة لا الدائرة.

قوله: (أو غلبة) أي: للكفَّار على المسلمين.

قوله: (فلا يميرونا) أي: يُعطونا المِيرةَ وهي الطعامُ.

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا لقول المنافقين: نخشى أن تصيبَنا دائرةٌ، وبشارةً للمؤمنين لاعتقادِهم أنَّ الله ناصرُهم؛ ففي الحديث: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ بي ما شاءَ»[1].

قوله: (﴿أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾) (أو): مانعةُ خلوٍّ تُجوِّزُ الجمعَ، وقد حصلَ الأمرانِ معاً، فقد رُوِيَ: أن رسولَ الله أمرَ وهو على المنبر بإخراجهم من المسجد واحداً واحداً[2]، ونزلت سورة (براءة) بفَضيحتهم وذمِّهم ظاهراً وباطناً؛ ولِذا تُسمَّى الفاضحةَ، و(عسى) وإن كانت للترجي إلا أنها في كلام الله للتحقيق؛ لأنَّ كلامَهُ موافقٌ لِعلمه وهو لا يتخلَّفُ.

قوله: (﴿فَيُصۡبِحُواْ﴾) عطفٌ على ﴿يَأۡتِيَ﴾، وفاء السببية مُغنية عن الرابط.

قوله: (﴿نَٰدِمِينَ﴾) أي: على تخلُّف مرادهم وحَسرتهم من أجل نصر محمد وأصحابِه وخذلانِ الكفار، وليس المرادُ نادِمين على ما تقدَّمَ منهم من الذنوب تائبين من ذلك، وإلا.. فيكون حينئذٍ ندماً محموداً؛ لِغلبة رحمة الله على غضبه.

---

(١) بهذا اللفظ رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٩١)، وأصله في «الصحيحين».

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٩٢) حيث صار يقول رسولُ الله ﷺ: «قُم يا فلانُ؛ فاخرج فإنك مُنافق، اخرج يا فلان؛ فإنك منافق».

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿٥٣﴾ ﴿وَيَقُولُ﴾ - بِالرَّفعِ استِئنافاً بِواوٍ ودُونَها، وبِالنَّصبِ عَطفاً على ﴿يَأْتِيَ﴾ - ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لِبَعضِهم إذا هُتِكَ سِترُهم تَعَجُّباً: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ غايةَ اجتِهادِهم فِيها: ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ في الدِّينِ؟ قال تَعالى: ﴿حَبِطَتْ﴾: بَطَلَت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصَّالِحةُ، ﴿فَأَصْبَحُوا﴾: صارُوا ﴿خَٰسِرِينَ﴾ الدُّنيا بِالفَضيحة، والآخِرةَ بِالعِقابِ.

حاشية الصاوي

قوله: (بالرفع استئنافاً) أي: نحويًّا، أو بيانيًّا واقعاً في جواب سؤال مقدَّر، تقديرُهُ: ماذا يقولُ المؤمنون حينئذٍ؟ بناءً على جواز اقتران البَياني بالواو، وأما على قراءة عدم الواو.. فيكون بيانيًّا لا غير[1].

قوله: (عطفاً على ﴿يَأْتِيَ﴾) أي: مسلَّطٌ عليه (عسى)، والمعنى: فعسى الله أن يأتيَ بالفتح ويقولَ الذين آمنوا تعجُّباً من كذب المنافقين، هكذا ذكر المفسِّرُ، والمناسبُ أن يقولَ: عطفاً على ﴿فَيُصْبِحُوا﴾؛ لأنه نتيجةُ ما قبله؛ لأنَّ تعجُّبَ المؤمنين ناشئٌ عن الفتح لهم والفضيحةِ للمنافقين.

قوله: (﴿أَهَٰؤُلَاءِ﴾) الهمزةُ للاستفهام التعجُّبي، والهاءُ: للتنبيه، و(أُولاء): اسمُ إشارة مبتدأ، و﴿الَّذِينَ﴾: خبره، و﴿أَقْسَمُوا﴾: صلته، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ جملةٌ تفسيرية لمعنى ﴿أَقْسَمُوا﴾؛ لأنَّ يَمينهم: إنَّا معكم.

قوله: (غاية اجتهادهم) أشارَ بذلك إلى أن ﴿جَهْدَ﴾ صفةٌ لمصدر محذوف مفعول مُطلق لـ﴿أَقْسَمُوا﴾، والتقديرُ: إقساماً جهدَ أيمانهم؛ أي: أغلَظَها.

قوله: (قال تعالى) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ من كلامه تعالى إخبارٌ عن المنافقين، لا مِن كلام المؤمنين؛ لأنهم لا عِلمَ لهم بذلك.

قوله: (الصالحة) أي: بحسَب الظاهر.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بإثبات الواو مع الرفع، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بحذفها مع الرفع، وقرأ أبو عمرو بإثباتها مع النصب. «الفتوحات» (١/ ٥٠١).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ....

(٥٤) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ﴾ ـ بالفكِّ والإدغامِ ـ: يرجع ﴿مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ إلى الكُفرِ، إخبارٌ بِما عَلِمَ الله تَعالى وُقُوعَه، وقد ارتَدَّ جَماعةٌ بعدَ مَوتِ النَّبيِّ ﷺ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) هذا تحذيرٌ عامٌّ لكلِّ مؤمن من مُوالاة الكفار، وبيانُ عاقبة من والاهم ومالَ إلى دِينهم.

قوله: (﴿مَن يَرْتَدَّ﴾) ﴿مَن﴾: اسمُ شرط جازم، و﴿يَرْتَدَّ﴾: فعلُ الشرط، وجوابُهُ قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ.. إلخ﴾، والجملةُ خبرُ المبتدأ.

قوله: (بالفكِّ والإدغام) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (وقد ارتدَّ جماعة بعد النبي) أي: وهم ثمانُ فرق، سبعةٌ في خلافه أبي بكر، وفرقةٌ في خلافة عمر، وارتدَّ ثلاثُ فرق أيضاً في زمن رسول الله:

بنو مُدْلِج: ورئيسُهم ذو الحمار، لُقِّبَ به لأنه كان له حمارٌ يأتمرُ بِأمره وينتهي بِنَهيه، وهو الأسودُ العَنْسيُّ بفتح العين وسكون النون، وكان كاهناً تنبَّأ باليمن واستولى على بلاده، وأخرجَ عُمَّالَ رسولِ الله، فكتبَ رسولُ الله ﷺ إلى معاذ بن جبل وسادات اليمن، فأهلكَهُ اللهُ تعالى على يد فيروز الديلمي فبَيَّتَهُ وقتله، فأخبرَ رسولُ الله بقتله ليلةَ قتله، فسُرَّ المسلمون بذلك، وقُبِضَ رسولُ الله من الغد، وأتى خبرُ قَتله في آخر ربيع الأول.

وبنو حنيفة: وهم قومُ مُسَيْلِمَةَ الكذَّاب، تنبَّأَ وكتبَ إلى رسول الله: من مُسيلِمةَ رسولِ الله، أما بعدُ: فإن الأرضَ نصفُها لي ونصفُها لك، فكتبَ رسولُ الله: من محمدٍ رسولِ الله إلى مُسيلِمةَ الكذَّاب، أما بعد: فإن الأرضَ لله يُورثُها مَنْ يشاءُ من عباده والعاقبةُ لِلمتقين، وهلكَ في خلافة أبي بكر على يد وحشيٍّ غلامِ مُطْعِم بن عدي قاتلِ حمزة، فكان يقولُ: قتَلتُ خيرَ الناس في الجاهلية، وشرَّ الناس في الإسلام.

وبنو أسد: وهم قومُ طلحةَ بن خُويلد، تنبَّأَ، فبعثَ إليه رسولُ الله خالدَ بن الوليد فقاتلَهُ، فانهزمَ بعد القتال إلى الشام، ثم أسلمَ بعد ذلك وحَسُنَ إسلامُهُ.

والسبعُ اللاتي في خلافة أبي بكر الصديق: هم فَزارةُ قوم عُيينة بن حِصن الفَزاري، وغطفانُ قومُ

(١) قرأ نافع وابن عامر بدالين، والباقون بالإدغام، وهو لغة تميم. انظر «الدر المصون» (٤/ ٣٠٦).

فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ....

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ﴾ بَدَلَهم ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾، قال ﷺ: «هُم قَومُ هذا»، ....

حاشية الصاوي

قُرَّةَ بنِ سلمةَ القشيري، وبنو سُلَيم، وبنو يَربوع قومُ مالك بن بُرَيدة اليربوعي، وبعضُ تميم، وكندةُ قومُ الأشعَث بن قيس الكِندي، وبنو بكر بنِ وائل، فكفى اللهُ أمرَهم على يد أبي بكر الصديق حين خرجَ لقتالهم، حيث منعُوا الزكاة، فكرهَ ذلك الصحابةُ وقالوا: هم أهلُ القبلة، فكيف نقاتلُهم؟ فتقلَّدَ أبو بكر سيفَهُ وخرجَ وحدَهُ، فلم يَجدوا بُدًّا من الخروج على أثره، فقال ابنُ مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء، وحَمدناه في الانتهاء، وقال بعضُ الصحابة: ما وُلِدَ بعد النبيِّين أفضلُ من أبي بكر، لقد قامَ مقامَ نبي من الأنبياء في قِتال أهل الردَّة.

والفرقةُ التي ارتدَّت في زمن خلافة عمر بن الخطاب: هم غَسَّان[1]، فكفى اللهُ أمرَهم على يد عمرَ رضي الله عنه[2].

قوله: (بدلهم) أي: بدلَ المرتدِّين، فالضميرُ عائدٌ على (مَنْ) باعتبار معناها، وأشارَ به إلى الرابط بين المبتدإ وخبره، وهذا لا يُحتاجُ له إلا على القول بأن الجزاء وحدَهُ هو الخبر، وأما على القول بأن الخبر هو مجموعُ فعلِ الشرط والجزاءِ أو الفعلُ وحدَهُ.. فلا حاجةَ لتقديره؛ لأنه مَوجودٌ في (يرتد).

قوله: (﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾) معنى محبة الله لهم: إقامتُهُ لهم في خِدمته مع الرضا والإثابة، ومعنى محبتهم لله: موالاةُ طاعته وتقديمُ خِدمته على كلِّ شيء، ولمَّا كانت محبتُهم لله ناشئةً عن محبَّة الله لهم.. قدَّمَ محبةَ الله لهم، قال العارِفُ رضي الله عنه على لِسان الحضرة العليَّة: [مجزوء الرمل]

أيُّها المُعْرِضُ عَنَّا ... إنَّ إعْراضَكَ مِنَّا
لَوْ أرَدْناكَ جَعَلْنا ... كُلَّ ما فِيكَ يُرِدْنا[3]

---

(١) قوم جبلة بن الأيهم، وهو الذي ارتَدَّ ولحق ببلاد الروم.

(٢) سياق المصنف في الحديث عن الفِرَق المرتدة عند البغوي في «تفسيره» (٢/ ٦٠)، وقوله: (مالك بن بريدة) كذا في النسخ، والذي في السير: مالك بن نويرة، وقتله سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه.

(٣) أوردهما ابن الجزري في «الزهر الفائح» (ص ٦٣) دون نسبة.

أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ ....

وأشارَ إلى أبي مُوسَى الأشعَرِيِّ، رَواه الحاكمُ في «صَحِيحه»، ﴿أَذِلَّةٍ﴾: عاطِفِينَ ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ﴾: أشِدَّاءَ ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ فِيه كما يَخاف المُنافِقُون لَوْمَ الكُفَّارِ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ من الأوصافِ ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: كَثِيرُ الفَضلِ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَن هو أهلُه.

﴿٥٥﴾ ونزَلَ لَمَّا قال ابنُ سَلام: (يا رسولَ الله إنَّ قَومَنا هَجَرُونا): ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ

حاشية الصاوي

قوله: (وأشارَ إلى أبي موسى الأشعري) أي: فالقومُ هم الأشعريُّون[1]، وقيل: هم أبو بكر وأصحابُهُ الذين باشروا قتالَ المرتدِّين، والأقربُ: أن الآيةَ عامَّةٌ في أصحاب رسولِ الله ومَنْ كان على قَدمِهم إلى يوم القيامة بِقَرينة التسويف.

قوله: (﴿أَذِلَّةٍ﴾) جمعُ ذليل، وقوله: (عاطفين) أشارَ به إلى أن ﴿أَذِلَّةٍ﴾ مضمَّنٌ معنى (عاطفين)؛ لتعديته بـ(على)، والمعنى: مُتواضعين لإخوانهم مُغلظين على الكفار، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قوله: (﴿يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) أي: لإعلاء دِينه.

قوله: (﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾) تعريضٌ بالمنافقين؛ فإنهم كانوا إذا خرجوا في جيشِ المسلمين خافوا أولياءَهم اليهود؛ لئلا يحصلَ منهم اللومُ لهم.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور) أي: من الأوصاف الستة[2].

قوله: (ونزل لما قال ابن سلام... إلخ) أي: لمَّا أسلمَ هجرَهُ قومُهُ قريظةُ وبنو النضير.

قوله: (﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾) الخطابُ لعبد الله بن سلام وأتباعه الذين هَداهم الله للإسلام، فلمَّا نزلت هذه الآية.. قال عبد الله بن سلام: رضيتُ بالله ربًّا، وبرسوله نبيًّا، وبالمؤمنين أولياءَ[3]، والعبرةُ

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٤).

(٢) التي أوَّلُها يحبُّهم، اثنان بطريق الإفراد، وأربعة بطريق الجملة. «الفتوحات» (١/ ٥٠٣).

(٣) «الوسيط» للواحدي (٢/ ٢٠١)، «تفسير البغوي» (٢/ ٦٣).

وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ....

﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾: خاشِعُون، أو يُصَلُّون صَلاةَ التَّطَوُّع.

﴿٥٦﴾ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فيُعِينُهم وينصُرُهم ....

حاشية الصاوي

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكلُّ من انتسبَ لله فهو وليُّهُ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

قوله: (﴿وَرَسُولُهُۥ﴾) أي: لأنه الواسطةُ العظمى في كلِّ نعمة، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: لِكونهم الإخوان، فمن تخلَّى عنه رسولُ الله أو المؤمنون فهو هالك؛ لأنَّ مُوالاةَ الثلاثة شرطٌ في صحة الإيمان.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) بدلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبلَهُ، ومعنى إقامة الصلاة: أداؤُها بِشُروطها وأركانها وآدابها.

قوله: (﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾) أي: الحقوقَ التي عليهم في أموالهم.

قوله: (﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾) الجملةُ حالية من ﴿يُقِيمُونَ﴾ و(يؤتون).

وقوله: (خاشعون) أي: فأطلقَ الركوعَ وأرادَ لازمَهُ وهو الخشوعُ.

قوله: (أو يصلون صلاة التطوع) أي: فالمرادُ بالركوع: صلاةُ النوافل، وخصَّها بالذكر؛ لأن نفلَ الصلاة أفضلُ من نَفل غيرها، وعليه: فجملةُ ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ معطوفةٌ على ما قبلَها، فتحصَّلَ أنه وصفَهم بأوصاف ثلاثة: إقامة صلاة الفرائض، وإيتاء الزكاة، وصلاة النوافل، وقيل: قوله: ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ حال من فاعل (يؤتون الزكاة)، والمرادُ بها: ما يَشملُ صدقةَ التطوع، والركوعُ على حقيقته، والمرادُ: كمالُ رغبتهم في الإحسان ومُسارعتهم إليه، رُوِيَ: أنها نزلت في عليٍّ كرَّمَ الله وجهه حين سأله سائلٌ وهو في الصلاة، فنزعَ خاتمَهُ وأعطاهُ له[1].

قوله: (﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) (من): اسمُ شرط، و﴿يَتَوَلَّ﴾: فعله، و﴿ٱللَّهَ﴾:

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٢٣٢) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ....

﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ لِنَصرِهِ إيَّاهُم، أوقَعَه مَوقِعَ (فإنَّهُم) بَياناً لِأنَّهُم مِن حِزبِه، أي: أتباعِه.

﴿٥٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا﴾: مَهزُوءاً بِه ﴿وَلَعِبًا مِّنَ﴾ - لِلبَيانِ - ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارِ﴾: المُشرِكِين - بِالجَرِّ والنَّصب - ﴿أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بِتَركِ مُوالاتِهِم، ....

حاشية الصاوي

مفعول ﴿يَتَوَلَّ﴾، والمعنى: يختارُ اللهَ وليًّا يعبدُهُ ويلتجئُ إليه، ويختارُ رسولَهُ وليًّا بأن يؤمِنَ به ويتوسَّلَ به ويعظِّمَهُ ويُوقِّرَهُ، ويختارُ الذين آمنوا أولياءَ بأن يُعينَهم وينصرَهم ويُوقِّرَهم إذا حضروا، ويحفظَهم إذا غابوا.

وقوله: (﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ ... إلخ) يحتملُ أنها جوابُ الشرط، وإنما أوقع الظاهرَ موقعَ المضمر؛ لنكتة التشريف، ويُؤخذُ ذلك من عبارة المفسِّر، ويحتملُ أنها دليلُ الجواب، والجوابُ محذوف تقديرُهُ: يكُنْ من حزب الله.

قوله: (﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾) أي: القاهِرون لأعدائهم.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟﴾) ﴿لَا﴾: ناهية، و﴿تَتَّخِذُوا۟﴾: مجزوم بـ(لا) الناهية، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول أول لـ﴿تَتَّخِذُوا۟﴾ الأولى، و﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾ الثانية: صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾، ومَفعولها الأول قوله: ﴿دِينَكُمْ﴾، ومفعولُها الثاني: ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾، وقوله: (﴿أَوْلِيَآءَ﴾) مفعولٌ ثانٍ لـ﴿تَتَّخِذُوا۟﴾ الأولى.

قوله: (﴿مِّنَ﴾: للبيان) أي: فهو بيانٌ للذين اتخذوا دينكم، فالمعنى: لا تَتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً وهم الذين أُوتوا الكتاب.

قوله: (المشركين) إنما اقتصرَ عليهم وإن كان الجميعُ كفاراً؛ لتحصلَ المغايرةُ بين المعطوف والمعطوفِ عليه.

قوله: (بالجر) أي: عطف على مجرُور (مِن)، وقوله: (والنصب) أي: عطف على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الواقعِ مفعولاً به، فعلى الأول: الاستهزاءُ واقعٌ من الفريقين، وعلى الثاني: واقعٌ من أهل الكتاب فقط، وثبوتُ الاستهزاء لغيرهم مَأخوذٌ من آية أخرى.

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ....

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: صادِقِين في إيمانِكُم.

﴿٥٨﴾ ﴿وَ﴾ الَّذين ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ﴾: دَعَوتُم ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بِالأذانِ ﴿ٱتَّخَذُوهَا﴾ أي: الصَّلاةَ ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ بأنْ يَستَهزِئُوا بِها ويتَضاحَكُوا، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الاتِّخاذُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بِسَبَبِ أنَّهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾) أي: فاتركوا مُوالاتهم، فيؤخذُ من الآية: أنَّ مَنْ والاهم فليس بمؤمن، فهو وعيدٌ عظيم لمن اتخذَ الكفَّارَ أولياءَ من دون المؤمنين(١).

قوله: (﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾) يحتملُ أنه معطوفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ المجرورِ بـ(من)، وعليه: فالمستهزئون ثلاثُ فرق، ويحتملُ أنه معطوفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الواقعِ مفعولاً به، فيكون من جملة أوصاف الفريق الأول.

قوله: (بالأذان) وردَ: أن المنافقين والكفار كانُوا إذا سمعوا الأذان ضحكُوا وقالوا: يا محمدُ؛ لقد ابتدعت شيئاً لم يُسمَعْ بمثله فيما مضى قبلَك من الأُمم؛ فإن كنت تدَّعي النبوةَ فقد خالفتَ الأنبياءَ قبلك، ولو كان فيه خيرٌ لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أينَ لك صياح العير، فما أقبحَ هذا الصوت وهذا الأمر! فنزلت آية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا...﴾ وهذه الآية(٢).

قوله: (﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾) أي: لا يَعُون ولا يتأمَّلون جلالَ الله وهيبتَهُ، ولو عقَلوه ما ساغهم الاستهزاء؛ ولذا وردَ: أن رسولَ الله كان إذا نُودي بالصلاة تغيَّرت حالتُهُ، قال بعضُ الصحابة: كأنه لا يَعرفنُا ولا نعرفُهُ(٣)، وكان عليٌّ إذا سمعَ النداءَ ينتقعُ لونُهُ. وهذا الوعيدُ يجرُّ بِذيله على من يتعاطى الضحك وأسبابَه في الصلاة؛ ولذلك جعلَهُ أبو حنيفةَ من مُبطلات الوضوء والصلاة، وجعله غيرُهُ من مُبطلات الصلاة فقط، وإنما لم يكفِّروا فاعلَهُ؛ لأنه لم يكُنْ مستهزئاً بأمر الله حقيقةً، وإلا.. كان كافراً إجماعاً، وداخلاً في عُموم الكفار.

---

(١) أما موالاتهم تقيَّةً ـ وهو ما عليه عامة من يُواليهم من المؤمنين ـ فلا يخفى جوازه، وله شُروط وأحكام تنظر في كتب الفقه.

(٢) «تفسير البغوي» (٢/ ٦٥).

(٣) أخرجه الأزدي في «الضعفاء» كما ذكر الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٥٠).

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ....

﴿٥٩﴾ ونزل لَمَّا قال اليَهُودُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: (بِمَن تُؤمِنُ مِن الرُّسُل؟) فقال: ﴿بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية، فلَمَّا ذَكَرَ عِيسى قالُوا: (لا نَعلَم دِيناً شَرًّا مِن دِينِكُم): ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ﴾: تُنكِرُون ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ إلى الأنبياءِ ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ـ عَطْفٌ على ﴿أَنْ ءَامَنَّا﴾ ـ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل لما كان اليهود... إلخ) أي: سببُ نزولها: قولُ طائفة من اليهود كأبي يَسار ورافع بن أبي رافع وآزر بن آزر، وقصدُهم بهذا السؤال اختبارُهُ ﷺ هل هو مؤمنٌ بعيسى فيُخالفوه، أو لا فيَتبعوه؛ لكراهتهم له.

قوله: (بمن تؤمن من الرسل؟) أي: بأيِّ رسول تُؤمن؟

قوله: (فقال: ﴿بِٱللَّهِ﴾) متعلقٌ بمحذوف تقديرُهُ: أؤمن بالله.

وقوله: (الآية) أي: إلى قوله: ﴿مُسْلِمُونَ﴾، وتلك الآية هي آيةُ (البقرة) التي أولها: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا...﴾ الآية.

قوله: (﴿هَلْ تَنقِمُونَ﴾) جمهورُ القرَّاء على كسر القاف من: نَقَمَ بفتحها، وهو الفصيح، وقُرِئَ شذوذاً بفتح القاف، وماضيه نَقِمَ بكسرها، وهو في الأصل: النقض، ثم أُطلقَ على الكراهية والإنكار؛ ولذا عُدِّيَ بـ(مِنْ) دون (على).

قوله: (﴿مِنَّآ﴾) أي: من أوصافنا وأخلاقِنا.

قوله: (﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾) استثناءٌ مفرَّغٌ، و(أنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مفعول لـ(تنقموا)، والاستفهامُ إنكاريٌّ بمعنى: النفي، والمعنى: لا تُنكرون ولا تَكرهون من أوصافنا إلا إيمانَنا بالله... إلخ.

قوله: (﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾) أي: من سائر الكُتب السماوية.

قوله: (﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾) قرأ الجمهورُ بفتح الهمزة، وقُرِئَ شذوذاً بكسرها على الاستئناف.

قوله: (عطفٌ على ﴿ءَامَنَّا﴾) أي: فهو في محلِّ نصب على حذف مضاف، تقديرُهُ: واعتقادنا أن أكثرَكم فاسقون، وإنما قدَّرنا المضافَ؛ لصحة العطف، فإن المعطوفَ على الصفة صِفة،

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ ....

المعنَى: ما تُنكِرُون إلَّا إيمانَنا ومُخالَفتَكُم في عَدَم قَبُولِه، المُعَبَّرِ عنهُ بِالفِسقِ اللَّازِم عنهُ، وليسَ هذا مِمَّا يُنكَرُ.

(٦٠) ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾: أُخبِرُكُم ﴿بِشَرٍّ مِّن﴾ أهلِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذي تَنقِمُونَه، ﴿مَثُوبَةً﴾: ثَواباً بِمعنَى: جَزاءً ﴿عِندَ اللَّهِ﴾؟ ....

حاشية الصاوي

وكونُ أكثرهم فاسقين وصفٌ لهم لا لنا، فقدَّرَ المضافَ لذلك، ويصحُّ أنه منصوبٌ على المعيَّة، والمعنى: إلا إيماننا مع كون أكثرِكُم فاسقين مع تقدير المضاف؛ أي: مع اعتقادنا أن أكثرَكم فاسقُون، ويحتمل أن (أنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر في محلٍّ رفع مبتدأ، والخبر محذوف، تقديرُهُ: وفسقُ أكثركم ثابتٌ عندنا، ويحتملُ أنه في محلٍّ جر معطوف على لفظ الجلالة مسلَّطٌ عليه ﴿ءَامَنَّا﴾، التقديرُ: وما تكرهون منَّا إلا إيمانَنا بالله وإيمانَنا بأن أكثرَكم فاسقُون.

قوله: (المعنى: ما تنكرون... إلخ) إنما أتى بذلك جواباً عن سؤال مقدَّر تقديرُهُ: إن قوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ وصفٌ لهم، وأما الإيمانُ فهو وصفٌ لنا، فيُشكلُ عطفُ ما ليس وصفاً لنا على ما هو وصفٌ لنا؛ فلذلك حوَّلَ المفسِّرُ العبارة.

قوله: (ومخالفتكم) من إضافة المصدر لمفعوله، والفاعلُ محذوفٌ تقديرُهُ: مُخالفتنا إيَّاكم.

قوله: (المعبَّر عنه بالفسق) أي: فأطلقَ اللازمَ وهو الفسقُ، وأرادَ الملزومَ وهو عدمُ قبول الإيمان، ثم أطلقَ وأُريد لازمُهُ، وهو مخالفتُنا لهم في اتصافنا بقبول الإيمان وهم بِعَدمه، وقوله: (في عدم قبوله) أي: الإيمان.

قوله: (وليس هذا ممَّا ينكر) تتميمٌ للكلام إشارةً إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ.

قوله: (﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ﴾) هذا الكلامُ من باب المقابَلة؛ لأنه في مقابلة قول اليهود: لا نعلمُ ديناً شرًّا من دِينكم.

قوله: (الذي تنقمونه) أي: وهو دينُنا.

قوله: (﴿مَثُوبَةً﴾) تمييزٌ لـ(شرٍّ).

قوله: (بمعنى: جزاء) أي: بالعقاب، وكان على المفسِّر أن يزيدَهُ؛ فتسميةُ الجزاء بالعقاب ثواباً تهكُّمٌ بهم على حدِّ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ....

هو ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: أبعَدَه مِن رَحمَتِه، ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ بِالمَسخِ، ﴿وَ﴾ مَن ﴿عَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾: الشَّيطانَ بِطاعَتِه. ـ وراعَى في ﴿مِنْهُمُ﴾ معنَى (مِن)، وفِيما قَبله لَفظَها وهُم اليَهُود، وفي قِراءة بِضَمِّ باء (عَبُدَ) وإضافَتِهِ إلى ما بعدَه، اسمُ جَمع لـ(عَبْدٍ)، ونَصبه بِالعَطفِ على ﴿ٱلْقِرَدَةَ﴾ ـ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ ـ تَمييزٌ ـ لِأنَّ مَأواهُم النَّار، ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: طَريقِ الحَقِّ، وأصلُ السَّواءِ: الوَسَطُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (هو ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ﴾ خبرٌ لمحذوف، قدَّرَهُ المفسرُ بقوله: (هو)، وهو جوابٌ عن سؤال مقدَّر، تقديرُهُ: ومن الأشَرُّ؟

قوله: (﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾) أي: انتقمَ منه على سَبيل الأبد.

قوله: (بالمسخ) أي: فجعل شبابَهم قردةً، ومشايخَهم خنازير.

قوله: (الشيطان) تقدَّمَ أنه أحدُ تفاسير في الطاغوت، وقيل: هو كلُّ ما أوقعَ في الضلال، وعابدُهُ هو التابعُ له في الضلال.

قوله: (وفيما قبله) أي: وهو ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾، وكذلك راعى لفظَها في: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعيَّة لحمزة.

وقوله: (اسم جمع لعبد) أي: لا جمعٌ له، بل جمعُهُ: أَعْبُد، قال بن مالك: [الرجز]

لِفَعْلٍ اسْماً صَحَّ عَيْناً أَفْعُلُ[1]

قوله: (ونصبه بالعطف على ﴿ٱلْقِرَدَةَ﴾) أي: فتكون الصلاتُ ثلاثاً، وهي: لعنَهُ، وغضبَ عليه، وجعلَ، والرابعةُ على القراءة الأولى: عَبَدَ.

قوله: (تمييز) أي: تمييز نسبة، ونسبَ الشرَّ للمكان وحقُّهُ لأهله؛ كنايةً عن نِهايتهم في ذلك.

---

(١) «الخلاصة»: (باب جمع التكسير).

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ....﴾

وذَكَرَ (شَرّ) و(أَضَلّ) في مُقابَلةِ قَولهم: (لا نَعلَم دِيناً شَرًّا مِن دِينِكُم).

﴿٦١﴾ ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ أي: مُنافِقُو اليَهُودِ، ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ﴾ إلَيكُم مُتَلَبِّسِين ﴿بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ﴾ مِن عِندِكم مُتَلبِّسِين ﴿بِهِۦ﴾ ولَم يُؤمِنُوا، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾هُ مِن النِّفاق.

﴿٦٢﴾ ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: اليَهُود ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: يَقَعُون سَرِيعاً ﴿فِى ٱلْإِثْمِ﴾: الكَذِبِ ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الظُّلمِ، ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾: الحَرامَ كالرِّشا، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾هُ عَمَلُهم هذَا.

حاشية الصاوي

قوله: (وذكر شرّ) أي: المجرور في قوله: ﴿بِشَرٍّ﴾ والمرفوع في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ﴾، وقوله: (في مقابلة قولهم... إلخ) جوابٌ عن سؤال مقدَّر، تقديرُهُ: كيف ذلك مع أن المؤمنين لا شرَّ عِندهم؟ فأجابَ بما ذكر؛ وأُجيبَ أيضاً: بأن شرَّ المؤمنين باعتبار تَعبهم في الدنيا، فعذابُ الآخرة للكفَّار أشرُّ من ضِيق الدنيا على المؤمنين، وأُجيبَ أيضاً: بأن المفضَّلَ عليه جماعةٌ من الكفار، فيكون المعنى: هؤلاء المتَّصفون بتلك الأوصاف شرٌّ من غيرهم من الكفرة الذين لم يَجمعوا بين هذه الخصال.

قوله: (﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾) الخطابُ للنبيِّ، فجَمعُهُ للتعظيم، أو له ومَنْ عنده من المؤمنين، فالجمعُ ظاهرٌ.

قوله: (﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾) الجملةُ حالية من فاعل ﴿قَالُوٓاْ﴾، وكذا قولُه: ﴿وَهُمْ﴾.

قوله: (ملتبسين) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قولَه: (﴿بِٱلْكُفْرِ﴾) متعلقٌ بمحذوف حال من فاعل ﴿دَّخَلُواْ﴾، وكذا قوله: ﴿بِهِۦ﴾ حالٌ من فاعل ﴿خَرَجُواْ﴾.

قوله: (﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا﴾) (رأى): بَصرية تنصب مفعولاً واحداً وهو قوله: ﴿كَثِيرًا﴾، وقوله: (﴿يُسَٰرِعُونَ﴾) حالٌ من قوله: ﴿كَثِيرًا﴾.

قوله: (كالرشا) بضمِّ الراء وكسرها من: الرّشوة بضم وكسر، فالمضمومُ للمضموم، والمكسورُ للمكسور، وأدخلت الكافُ الربا.

قوله: (عملهم هذا) قدَّرَهُ؛ إشارةً لِلمخصوص بالذمِّ.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝٦٣ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ....

﴿٦٣﴾ ﴿لَوْلَا﴾: هلَّا ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ منهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾: الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ه ترك نهيهم.

﴿٦٤﴾ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ لمَّا ضُيِّقَ عليهم بتكذيبهم النبيَّ ﷺ بعدَ أن كانوا أكثرَ النَّاس مالاً: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: مقبوضةٌ عن إدرارِ الرِّزق علينا، كَنَّوا به عن البُخل تعالى الله عن ذلك، قال تعالى: ﴿غُلَّتْ﴾: أُمسِكَتْ ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ عن فِعلِ الخيرات، ....

حاشية الصاوي

قوله: (هلَّا) أشارَ بذلك إلى أن ﴿لَوْلَا﴾ للتحضيض والتوبيخ لِعُلمائهم؛ حيث لم ينهوهم عمَّا ارتكبُوه من المخالفات.

قوله: (﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾) عبَّرَ في جانب العوامِّ بـ﴿يَعْمَلُونَ﴾، وفي جانب العلماء بـ﴿يَصْنَعُونَ﴾؛ لأن الصنيعَ أبلغُ من العمل؛ إذ هو عملٌ مع إتقان، فذمَّهم بأبلَغ وجهٍ، وكلُّ آية وردت في الكفَّار فإنها تجرُّ بذيلها على عُصاة المؤمنين، قال ابن عباس: (هذه أشدُّ آية في القرآن)[١] يعني: في حقِّ العلماء، وقال الضحاك: (ما في القرآن أخوفُ آية عِندي منها)[٢].

قوله: (﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾) أي: بعضُهم وهو فِنْحاصُ بن عازوراء، وإنما نسبَ القولَ لهم عموماً؛ لِرضاهم به ولم يَنهَوه عنه.

قوله: (بتكذيبهم) الباءُ: سببيَّة.

قوله: (بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً) أي: وأخصبَ أرضاً.

قوله: (مقبوضة) أي: ممسوكةً عن بَسطِ العطاء لنا.

قوله: (كَنَّوْا به عن البخل) أي: لأنه يلزمُ من قَبض اليد عن الإعطاء للمستحِقين البخلُ.

قوله: (تعالى عن ذلك) أي: تنزَّهَ سبحانه عمَّا وَصفوه به من البخل؛ لأن البخلَ هو منعُ المستحِقِّ من حقِّه، وليس لأحد حقٌّ على الله، بل هو الكريمُ الحقيقيُّ الذي عمَّ عطاؤُهُ الطائعَ والعاصي لا لغرضٍ ولا لِعِوض.

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ٤٤٩).

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ٤٤٩).

وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ....

دُعاءٌ علَيهِم، ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ مُبالَغةٌ في الوَصف بِالجُودِ، وثَنَّى اليَد لِإفادةِ الكَثرةِ؛ إذ غايةُ ما يَبذُلهُ السَّخِيُّ مِن مالِه أن يُعطِيَ بِيَدَيهِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (دعاء) إما بالرفع خبر لمحذوف والتقدير: هو دعاء؛ أي: طلبَ من نفسه غُلولَ أيديهم، ويصحُّ النصبُ على أنه مفعولٌ لأجله؛ أي: قال تعالى لأجل الدعاء علَيهم.

قوله: (﴿وَلُعِنُوا۟﴾) معطوفٌ على ﴿غُلَّتۡ﴾، فهو في حيِّز الدعاء، فبسبب هذه المقالةِ صاروا أشقياءَ آيِسِين من رحمة الله، فلم يُوفَّقوا لفعل خير بعد ذلك أبداً، وطُردوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة.

قوله: (﴿بَلۡ يَدَاهُ﴾) إضرابٌ إبطالي، و﴿يَدَاهُ﴾: مبتدأ، و﴿مَبۡسُوطَتَانِ﴾: خبرُهُ، وجملة ﴿يُنفِقُ﴾ إما خبرٌ ثانٍ، أو استئناف بَياني، و﴿كَيۡفَ﴾: اسم شرط، و﴿يَشَآءُ﴾: فعلُ الشرط، ومفعوله محذوف تقديرُهُ: الإنفاقَ له، وجوابُ الشرط محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿يُنفِقُ﴾.

قوله: (مبالغة في الوصف بالجود) أي: الإعطاء الكثير الذي عمَّ الطائعَ والعاصيَ.

واعلَمْ: أن معاملةَ الله للمؤمنين بالفضل إعطاءً أو منعاً؛ لأنه ما منعَهم عطاءَ الدنيا إلا لكونه ادَّخرَ لهم ما هو أعظمُ منه في الآخرة، وأمَّا مُعاملتُهُ الكفار فبالفضل عند العطاء، وبِالعدلِ عند المنع، فلا يوصفُ بالبخل على كلِّ حالٍ تنزَّهَ الله عنه؛ لأن البخلَ هو منعُ المستحِقِّ من حقِّه، وتعالى الله عن أن يكونَ لأحد حقٌّ عليه.

قوله: (وثنَّى اليدَ. . . إلخ) فذكرُ اليدَين مشاكلةٌ، والتثنيةُ كنايةٌ عن كثرة العطاء، لكن على مُراده هو، لا على مُراد عَبيده؛ لأنه ليس لأحد حقٌّ عليه يَطلُبُه منه.

ثم في إطلاق اليد على الله طريقتان:

طريقةُ السلف: أن اليدَ صفةٌ من صفاته أزليَّة كالسمع والبصر، يَنشأُ عنها الخيرُ لا الشرُّ، فهي أخصُّ من القُدرة؛ لأنَّ القدرةَ ينشأُ عنها جميعُ الممكنات إيجاداً وإعداماً، خيراً أو شرًّا، ولا يعلمُها إلا هو، ويشهدُ لما قُلنا قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥] أي: اصطفَيتُه، ولم يقُلْ: بقُدرتي.

وطريقة الخلف: أن اليدَ تطلقُ على الجارحةِ وهي مُستحيلةٌ على الله، وتُطلَقُ على القدرة والنعمة والملك، ويصحُّ إرادةُ كلٍّ منها في حقِّ الله.

يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ....

﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ مِن تَوسِيعِ وتَضيِيقٍ لا اعتِراضَ عليهِ، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ مِن القُرآنِ ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ لِكُفرِهِم بِه، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فكُلُّ فِرقَةٍ مِنهُم تُخالِفُ الأُخرَى، ....

حاشية الصاوي

إن قلتَ: على تفسيرها بالقدرة أو النعمة فلمَ ثُنِّيتْ بعد إفرادها أوّلاً؟

أجيبَ: بأن التثنيةَ لإفادة الكرَم والعطاء كما قال المفسِّر.

إن قلتَ: على تفسيرها بالنعمة فمُقتضاه جمعها؛ لأن النعمَ كثيرة، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]!

أجيبَ: بأن التثنيةَ بحسَب الجنس؛ لأنَّ النعمَ جنسان؛ مثلُ نعمة الدنيا ونِعمة الدين، ونعمةِ الظاهر ونعمةِ الباطن، ونعمةِ الإعطاء ونعمةِ المنع، وتحت كلِّ واحد من الجنسين أنواعٌ كثيرة. وما قُلناه عقائدُ المؤمنين، وعقيدةُ اليهود أنها الجارحةُ؛ لأنهم مجسِّمة[١].

قوله: (من توسيع وتضييق) أي: على مُقتضى المصلحة والحكمة الإلهيَّة؛ ففي الحديث: «**إنَّ من عبادي مَنْ لا يصلحُ له إلا الفقرُ، فلو أغنيتُهُ لفسدَ حالُهُ، وإن من عِبادي من لا يصلحُ له إلا الغنى، فلو أفقرتُهُ لفسدَ حالُهُ**»[٢].

قوله: (فكلُّ فرقة منهم) أي: اليهود؛ كالجَبرية والقدرية والمشبِّهة والمرجئة، والنصارى كذلك فرقٌ، كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والماردانية[٣]، إن قلتَ: إن المسلمين فرقٌ أيضاً! أجيبَ: بأن افتراقَ المسلمين في الفروع لا الأصول، وكلُّهم على خير مُسلِّمين لبعضهم، وأما مَنْ خرجَ عن ذلك فهو ضالٌّ مُضِلٌّ.

---

(١) والمتأمل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ يُدرِك المجاز في هذه الآية بجَلاء؛ إذ المراد: البخل والإسراف، وإن أشكَلت التثنية فتأمل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾، فهل للرحمة يَدان؟ وانظر ما قاله العلامة الرازي في «تأسيس التقديس» (ص١٦٦-١٦٩).

(٢) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٣١).

(٣) كذا في «الخازن» (٢/ ٦١)، وعبَّر بأن اليهود بعضهم جبريَّة وبعضهم قدرية... إلخ.

كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ ....

﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ أي: لِحَربِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ أي: كُلَّما أرادُوه رَدَّهم، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: مُفسِدِين بِالمَعاصِي، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بِمعنى أنَّهُ يُعاقِبُهم.

﴿٦٥﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُواْ﴾ بِمُحمَّدٍ ﷺ ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ الكُفرَ، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿٦٦﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ بِالعَمَلِ بِما فِيهما ـ ومِنهُ الإيمانُ بِالنَّبِيِّ ﷺ ـ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم﴾ مِن الكُتُبِ ﴿مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ بِأن يُوَسَّعَ علَيهم الرِّزقُ ويَفِيضَ مِن كُلِّ جِهَةٍ، ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ﴾: جَماعةٌ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾) أي: بتعاطي أسبابِهِ ومبادئه.

قوله: (ردَّهم) أي: قهرَهم وجعلَهم أذلَّةً خاسئين.

قوله: (أي: مفسدين) أشارَ بذلك إلى أنه حالٌ من فاعل (يسعون)، ويصحُّ أن يكونَ مصدراً مؤكِّداً لـ(يسعون) من مَعناه.

قوله: (﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾) بيانٌ لحالهم في الآخرة، فهو تودُّدٌ لهم لعلهم يَهتدون، ومن هنا لا يجوزُ لعنُ كافر معيَّنٍ؛ لأنه يحتملُ أنه يَهتدي.

قوله: (من الكتب) أي: ككتاب شعياء، وكتاب دانيال، وكتاب أرمياء، ففي هذه الكتب أيضاً ذكرُ محمد ﷺ، فالمرادُ بإقامة الكتب: الإيمانُ به ﷺ، وقيل: المرادُ بما أنزل إليهم من رَبهم: القرآنُ؛ لأنهم مَأمورون بالإيمان به؛ لأنهم من جملة أُمَّته ﷺ، ولعلَّ هذا هو الأقربُ.

قوله: (بأن يوسع عليهم الرزق) أي: بأن يُفيضَ عليهم بركاتِ السماء والأرض. ويُؤخذُ من هذه الآية: أن طاعةَ الله سببٌ في بَسط الرزق، ومعاصيهُ سببٌ في قبضِهِ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل

﴿مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ۝٦٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ....﴾

﴿مُّقۡتَصِدَةٞۖ﴾ تعمَلُ بِه، وهُم مَن آمَنَ بالنَّبيِّ ﷺ، كعبدِ الله بن سَلامٍ وأصحابِه، ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ﴾: بِئسَ ﴿مَا﴾: شَيئاً ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ه.

۝٦٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ﴾ جَميعَ ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾، ولا تكتُمْ شَيئاً مِنهُ ......

حاشية الصاوي

لَهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيتَ قساوةً في قلبك، وحرماناً في رِزقك، ووَهناً في بدنك.. فاعلَمْ أنك تكلَّمتَ فيما لا يَعنيك»[1].

قوله: (مقتصدة) أي: معتدلة ليست مُفْرِطَة ولا مُفرِّطَة، وقوله: (تعمل به) أي: بالقرآن، أو بما ذكر من التَّوراة وما بعدها.

قوله: (ومنهم من آمن) الأوضَحُ أن يحذفَ قوله: (ومنهم من آمن)، ويَقتصر على قوله: (كعبد الله... إلخ)، قالَهُ غيرُهُ من المفسِّرين، وفي نسخة: (وهم من آمن)، وهيَ الصوابُ.

قوله: (﴿وَكَثِيرٞ﴾) مبتدأ، وجملة: ﴿سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾ خبرُهُ، و﴿سَآءَ﴾: كلمةُ ذمٍّ، و﴿مَا﴾: مميِّز، وقيل: فاعل، وجملة ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ إما صلة إن جُعلت ﴿مَا﴾ موصولة، أو صفة إن جُعلتْ نكرةً، والعائدُ محذوفٌ قدَّرَهُ المفسِّر.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾... إلخ) سببُ نزولها: أن رسولَ الله ﷺ لمَّا بُعِثَ.. ضاق ذَرعاً لعلمه أن قومَهُ يُكذِّبونه ولا بدَّ، فنزلت الآية تسليةً له[2]. وفي ندائه بـ(يا أيُّها الرسول) شهادةٌ له بالرسالة، و(أل) في ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ لِلعهد الحضوري؛ أي: الرسول الحاضرُ وقتَ نزولها، وهو محمدٌ ﷺ.

قوله: (جميع) قدَّرَه؛ إشارةً إلى أن (ما) اسم موصول بمعنى: الذي، ولا يصحُّ تقديرُ (ما) نكرة؛ لأنه يصدُقُ بِتَبليغ البعض مع أنه غيرُ كافٍ.

واعلمْ: أن ما أُوحيَ إلى رسول الله يَنقسم إلى ثلاثة أقسام:

ما أُمِرَ بتَبليغه: وهو القرآنُ والأحكامُ المتعلِّقةُ بالخَلق عموماً، فقد بلَّغَهُ ولم يزدْ عليه حرفاً ولم يكتُمْ منه حرفاً، ولو جازَ عليه الكتمُ.. لَكتم آياتِ العتابِ الصادرةَ له من الله؛ كآية ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾،

---

(١) في «فيض القدير» (١/٢٨٦) نِسبة هذا الكلام لمالك بن دينار.

(٢) انظر «الدر المنثور» (٣/١١٦).

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ ....

خَوفاً أن تُنالَ بِمَكرُوهٍ، ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ أي: لَم تُبَلِّغ جَمِيعَ ما أُنزِلَ إليك، ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ ـ بِالإفرادِ والجَمع ـ؛ لِأنَّ كِتمانَ بَعضها ككِتمانِ كُلِّها، ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾

حاشية الصاوي

وآية ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وسورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، ولفظ (قُلْ) من ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وقد شهدَ اللهُ بتمام التَّبليغ حيث نزلَ قبل وفاته: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وورَدَ: أنه قال لِعزرائيل حين قبضَ روحَهُ: «**اقبضْ فقد بلَّغتُ**».

وما أُمِرَ بِكتمه ولم يبلِّغْ منه حرفاً: وهو جميعُ الأسرار التي لا تَليقُ بالأمَّة.

وما خُيِّرَ في تبليغه وكَتمه: فقد كتمَ البعض وبلَّغَ البعض، وهو الأسرارُ التي تليقُ بالأمة؛ ولِذا وردَ عن أبي هريرة أنه قال: (أعطاني حبيبي جرابَين من العلم، لو بثَثْتُ لكم أحدَهما.. لقُطِعَ مني هذا الحلقوم)[1].

قوله: (**خوفَ أن تنالَ بمكروه**) أي: يَمنعك عن مطلوبك؛ كالقتل والأسر، ومنع الخلق عنك؛ فإنك مَعصومٌ من ذلك، وأما بمثل السبِّ فتحمَّلْهُ ولا يكنْ مانعاً لك من التبليغ، وهذا إخبارٌ من الله بأن رسولَهُ لم يكتُمْ شيئاً، وإلا.. فهو معصومٌ من الكِتمان لاستحالته عليه.

قوله: (**بالإفراد والجمع**) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2]، وعلى كلٍّ: فهو مفعول لـ﴿بَلَّغْتَ﴾، فعلى الإفراد: منصوبٌ بالفتحة الظاهرة، وعلى الجمع: منصوبٌ بالكسرة؛ لأنه جمعُ مؤنث سالم، والمعنى واحدٌ على كلٍّ؛ لأن المفردَ المضافَ يفيدُ العموم.

قوله: (**لأن كتمان بعضها... إلخ**) أشارَ بذلك إلى دفع سؤال وردَ على الآية، **وحاصلُهُ**: أن ظاهرَ قوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ اتحادُ الشرط والجواب؛ لأنه يَنحلُّ المعنى: إن لم تُبلغ فما بلَّغتَ، وحاصلُ الجواب: أن المعنى: وإن تركت شيئاً ممَّا أُمِرتَ بتبليغه ولو حرفاً.. فقد تركت الكلَّ، وصارَ ما بلَّغته غيرَ مُعتدٍّ به؛ لأنَّ كتمانَ بَعضه ككتمان كلِّه.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾) أي: يحفظُكَ، وهو مِن تمام الأمر بالتبليغ.

---

(١) رواه البخاري (١٢٠) بنحوه.

(٢) قرأ ابن عامر ونافع وشعبة بالجمع، والباقون بالإفراد. «الفتوحات» (١/ ٥١٠).

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ....

أن يَقتُلُوك، وكانَ ﷺ يُحرَسُ حتَّى نَزَلَت فقال: «انصَرِفُوا فقد عَصَمَنِي الله»، رَواهُ الحاكِم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿٦٨﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ مِن الدِّين مُعتَدٍّ بِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أن يقتلوك) دفعَ ما قيل: إنه قد أُوذيَ أشدَّ الإيذاء قولاً وفعلاً! فأجابَ: بأن المرادَ العصمةُ من القتل وما في مَعناه مِن كل ما يُعَطِّلُ عليه التبليغ، وهكذا كلُّ نبيٍّ أُمِرَ بالقتال، وما ورَدَ: من قتل بعض الأنبياء.. فلم يَكونوا مأمورِين بالقتال.

قوله: (وكان ﷺ يحرس... إلخ) عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سهرَ رسولُ الله ﷺ في مَقدمه المدينةَ ليلةً، فقال: «ليتَ رجلاً صالحاً من أصحابي يَحرسُني الليلة»، قال: فبينما نحنُ كذلك سَمعنا خشخشةَ سلاح، قال: «مَن هذا؟» قال: سعدُ بن أبي وقَّاص، فقال له رسولُ الله: «ما جاءَ بك؟» فقال: وقعَ في نفسي خوفٌ على رسول الله، فجِئت أحرسُهُ، فدعا له رسولُ الله ثم نام، وفي رواية: أن الذي جاءَ سعدٌ وحُذيفةُ بنُ اليمان، قالا: جِئنا نحرسُك، فنام عليه الصلاة والسلام حتى سمعت غطيطَهُ، ونزَلت هذه الآية، فأخرجَ رأسَهُ من قُبة أدَم وقال: «انصَرِفوا أيُّها الناس؛ فقد عصَمني الله»[1]، وردَ: أنه كان يحفظُهُ سبعون ألفَ مَلَكٍ لا يُفارِقونه في نوم ولا يقَظة.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) أي: لِبُلوغ مطلوبهم فيك؛ لِعصمتك منهم؛ ولذلك في بعض الغزوات حين احتاطت به الأعداء صار يقول: «أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابنُ عبدِ المطلب» ويَرميهم بالتراب في وجوههم، وكان يمرُّ بين صفَّي القتال على بغلة لا تصلحُ لكرٍّ ولا فرٍّ[2].

قوله: (﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾) أي: اليهود والنصارى.

قوله: (معتد به) أي: عند الله، وهو الهدى والخير، وهذا جوابٌ عن سؤالٍ: كيف يقول: لستُم على شيء مع أنهم على شيءٍ وهو الدينُ الباطل؟

---

(١) كذا في «تفسير القرطبي» (٦/ ٢٤٤)، وأصل الحديث عند البخاري (٢٨٨٥)، ومسلم (٢٤١٠)، ورواية المصنف في «المستدرك» (٣/ ٥٠١).

(٢) وهذا كلُّه يوم حنين، رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ....

﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ بِأن تعمَلُوا بِما فِيه، ومِنهُ الإيمانُ بي، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ مِن القُرآنِ ﴿طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ﴾ لِكُفرِهِم بِه، ﴿فَلَا تَأۡسَ﴾: تَحزَنْ ﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ إن لَم يُؤمِنُوا بِك، أي: لا تَهتَمَّ بِهِم.

﴿٦٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هُم اليَهُودُ ـ مُبتدأٌ ـ ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾: فِرقَةٌ مِنهُم،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾) أي: تأتمروا بأمرِهما، وتنتهون بنَهيهما[1]؛ لأنَّ فيهما بيانَ أن دينَهُ هو الدينُ القيِّمُ، وأن وجودَهُ ناسخٌ لجميع الشرائع.

قوله: (﴿كَثِيرٗا مِّنۡهُم﴾) أي: كعُلمائهم ورؤسائهم، وأما القليلُ منهم كعبد الله بن سلام والنجاشيِّ وأضرابِهما.. فقد زادَهم القرآنُ اهتداءً ونوراً.

قوله: (﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾) نسبَ الإنزالَ أولاً إليهم؛ لأنهم مأمُورون باتباعه، ونسبَ الإنزالَ ثانياً إليه؛ لأنه منزلٌ إليه حقيقةً، فيصحُّ نسبةُ الإنزال إليهم بِاعتبار أنهم مَأمورون بالعمل به، وإليه باعتبار أنه يبلِّغُهُ.

قوله: (﴿طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ﴾) الطغيانُ والكفر مُترادفان، وقيل: الطغيانُ أعمُّ؛ لأنه مُجاوزةُ الحدِّ.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) ﴿إِنَّ﴾: حرفُ توكيد ونصب، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسمها، و﴿ءَامَنُوا۟﴾: صِلته، وخبرها محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ...﴾ إلخ، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ الواو: للاستئناف، أو عطف جمل، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ، ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: معطوفان عليه، وقوله: (﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾) بدلٌ من (الذين هادوا) وما عُطف عليه بدلَ بعضٍ من كلٍّ، وقوله: (﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾) خبر المبتدإ، وهذا أحدُ أوجهٍ تسعة وهو أحسَنُها؛ ولِذا درجَ عليه المفسِّر.

قوله: (آمنوا) أي: حقيقةً بقلوبهم وألسِنتهم، خرجَ المنافقون.

قوله: (فرقة منهم) أي: اليهود، وقيل: من النصارى، وقيل: طائفةٌ يَعبدون الكواكب السبعة، وقيل: يعبدون الملائكة.

---

(١) كذا في النسخ، والصواب: (وتنتهوا) عطفاً على (تأتمروا).

﴿وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا ....﴾

﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾ ـ ويُبدَلُ مِن المُبتَدأ: ـ ﴿مَنْ آمَنَ﴾ مِنهُم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخِرةِ، ـ خَبرُ المُبتَدأ، ودالٌّ على خَبرِ ﴿إِنَّ﴾ ـ.

﴿٧٠﴾ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على الإيمانِ بِالله ورُسُلِه، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ مِنهُم ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ﴾ مِن الحَقِّ كَذَّبُوه، ﴿فَرِيقًا﴾ مِنهُم

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾) أي: فإن ماتَ ولم يكُنْ عملَ صالحاً غيرَ الإيمان.. فهو تحت المشيئة[1].

قوله: (منهم) قدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أن العائدَ محذوف.

قوله: (﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾) أي: في التوراة، والمقصودُ من ذلك: إقامةُ الحجَّة على مَنْ كان في زَمنه ﷺ من اليهود والنصارى، وتقدَّمَ: أن الميثاقَ هو العهدُ المؤكَّد باليمين.

قوله: (﴿وَأَرْسَلْنَا﴾) معطوفٌ على ﴿أَخَذْنَا﴾.

قوله: (﴿رُسُلًا﴾) كشعياء وأرمياء ويُوشع.

قوله: (﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾) ﴿كُلَّمَا﴾: شرطية، و﴿جَاءَهُمْ﴾: فعلُ الشرط، وقوله: (﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰ﴾) متعلقٌ بـ(جاء)، و(ما): اسم موصول، وقوله: ﴿لَا تَهْوَىٰ﴾ صلتُهُ، والعائدُ محذوف تقديرُهُ: لا تهواه، وجوابُ الشرط محذوفٌ، قدَّره المفسرُ بقَوله: (كذبوه)، والأوضحُ له أن يقولَ: عادَوْه وعَصَوه، وقوله: (﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾ ... إلخ) كلامٌ مستأنف بيانٌ لِوَجه العصيان والمعاداة.

قوله: (منهم) قدَّره؛ إشارةً إلى أن الجملةَ الشرطية صفةٌ لـ﴿رُسُلًا﴾، والعائدُ محذوف، ولو جعلت استئنافيةً لما احتيجَ لِتَقديره.

قوله: (من الحق) بيان لـ(ما).

قوله: (كذبوا) أي: من غير قتل؛ كداوودَ وسليمان ويوشع وعيسى ومحمد.

---

(١) أي: هو وإن كان ناجياً ولكنه تحت المشيئة في العقاب وعَدمه.

كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ ....

﴿كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا﴾ مِنهُم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ كزكريًا ويَحيَى. والتَّعبِيرُ بِه دُون (قَتَلُوا) - حِكايةً لِلحال الماضِيَةِ - لِلفاصِلة.

﴿٧١﴾ ﴿وَحَسِبُوٓا۟﴾: ظَنُّوا ﴿أَ﴾نْ ﴿لَا تَكُونُ﴾ - بِالرَّفعِ، فـ(أَنْ) مُخَفَّفةٌ، والنَّصبِ فهيَ

حاشية الصاوي

قوله: (كزكريا ويحيى) أي: وشعياء.

قوله: (دون قتلوا) أي: لمراعاة ﴿كَذَّبُوا۟﴾.

قوله: (حكاية للحال الماضية) أي: كأنها حاصِلةٌ الآن.

قوله: (للفاصلة) أي: المحافظةِ على رُؤوس الآي وتناسبِها مع بعضها، ولعلَّ فيه حذف الواو، ويكون علةً ثانية.

قوله: (﴿وَحَسِبُوٓا۟﴾) سببُ هذا الحسبان: أنهم كانوا يَعتقدون أنهم مقرَّبون لكونهم من ذُرية الأنبياء، فلا يَضرُّهم تكذيبُ الأنبياء وقتلُهم إيَّاهم، بل سلفُهم يَدفعون عنهم عذابَ الآخرة.

قوله: (بالرفع بـ«أن» مخففة) أي: واسمُها محذوف تقديرُهُ: أنه، وقوله: (لا تكون) خبرُها، قال ابن مالك: [الرجز]

وَإِنْ تُخَفَّفْ (أَنَّ) فَاسْمُهَا اسْتَكَنْ ... وَالخَبَرَ اجْعَلْ جُمْلَةً مِنْ بَعْدِ (أَنْ)[1]

وقوله: (والنصب) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2]. واعلَم أنَّ (أن) إنْ وقعت بعد ما يُفيدُ اليقين كانت مخففةً من الثقيلة لا غير؛ نحو: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠]، وإن وقعت بعد ما يفيدُ الظنَّ كانت ناصبة لا غير؛ نحو: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨][3]، وإن وَقعت بعد ما يحتملُهما كان فيها الأمرانِ؛ كهذه الآية، فالرفعُ على تأويل حَسِب بمعنى: عَلِم، والنصب على تأويلها بالظنِّ.

---

(١) «الخلاصة»: (باب: إن وأخواتها).

(٢) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي برفع النون تنزيلاً للحساب مَنزلة العلم، فتكون مُخففة من الثقيلة، وأصله: أنه لا تكون فتنة، والباقون بالنصب. انظر «السراج المنير» (١/ ٣٨٨).

(٣) وإنما تكون (أن) ناصبة لا غير إذا لم يسبقها علم أو ظن؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾، فقوله رحمه الله: (بعد ما يفيد الظن كانت ناصبة لا غير) لعلَّه سبق قلم، ثم لا شاهد في الآية أيضاً؛ لأنها مخففة من الثقيلة لا غير؛ ولم يقع بعدها فعل أيضاً، والظن فيها بمعنى: اليقين، فتأمل.

فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ ....

ناصِبةٌ ـ أي: تَقَع ﴿فِتۡنَةٞ﴾: عَذابٌ بِهم على تَكذِيبِ الرُّسل وقَتلِهم، ﴿فَعَمُواْ﴾ عن الحَقِّ فلَم يُبصِرُوه، ﴿وَصَمُّواْ﴾ عن استِماعِه، ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ لَمَّا تابُوا، ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ ثانِياً ﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ ـ بَدَلٌ مِن الضَّمِير ـ، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ فيُجازِيهِم بِه.

حاشية الصاوي

إن قلت: مقتضى هذه القاعدة: أن كلَّ ما يُفيدُ الأمرَين يجوزُ فيه الرفعُ والنصب مع أنه لم يُسمَعْ في: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ [العنكبوت: ٢] الرفعُ، ولا النصبُ في: ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ﴾ [طه: ٨٩]!

أجيبَ: بأن القراءةَ سنةٌ مُتَّبعة؛ لأنه ليس كل ما جازَ نحواً جازَ قراءةً.

وجملةُ ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ في محلِّ نصب سدَّت مَسدَّ مفعولي (حَسِب) على كلا القراءتين عند جمهور البصريِّين، وقيل: مسَدَّ مفعولها الأول، ومفعولُهَا الثاني محذوفٌ، تقديره: حاصلةً.

قوله: ﴿فِتۡنَةٞ﴾ بالرفع فاعل ﴿تَكُونَ﴾؛ لأنها بمعنى: توجدُ، فهي تامَّة.

قوله: (﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾) معطوفٌ على (حسبوا)، وهذا إشارةٌ إلى ما وقعَ منهم في المرَّة الأولى من الفساد والقتل في زَمن شعياء وأرمياءَ حتى قتلوا شعياء، وحبسوا أرمياء، فسلَّطَ اللهُ عليهم بختَ نَصَّرَ[1]، ففرَّقَ جمعَهم وأسرَهم وخرَّبَ بيتَ المقدس، وصاروا في غاية الذلِّ والهوان، فلمَّا تابوا توجَّهَ ملكٌ من مُلوك فارس، فعمَّرَ بيتَ المقدس، وقتلَ بختَ نَصَّرَ، وردَّهم إلى وطنِهم، فكثروا، وكانوا أحسنَ ما كانوا عليه، فمكثوا ثلاثين سنةً، ثم عمُوا وصموا ثانياً، وقتلوا زكريا ويحيى، وإلى هذه القصة الإشارةُ بقوله تعالى في سورة (الإسراء): ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ...﴾ [الإسراء: ٤] الآيات، وهذا هو الصحيحُ، فالمرادُ ببني إسرائيل: مَن كان في زمن شعياء وأرمياء، لا من كان في زمن موسى وهارون.

قوله: (بدل من الضمير) أي: في قوله: (عموا وصموا)، والضميرُ هو الفاعل، وهذا هروبٌ من تخريج الآية على لغة: (أكلوني البراغيث)؛ فإنها ضعيفةٌ، ودفعَ بقوله: ﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ ما يتوهَّمُ

---

(١) سبق ضبطه (١/ ٢٢٢)، وأنه يجوز أن يكتب منفصلاً كما هنا ومتصلاً.

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ....

﴿٧٢﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ سَبَقَ مِثْلُه، ﴿وَقَالَ﴾ لَهُم ﴿ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ فإنِّي عبدٌ ولَستُ بإلَهٍ، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ في العِبادةِ غَيرَهُ، ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾: مَنَعَه أن يَدخُلَها، ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ﴾ ـ زائِدةٌ ـ ﴿أَنصَارٍ﴾ يَمنَعُونَهم مِن عَذابِ الله.

﴿٧٣﴾ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ﴾ آلِهةٍ ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ أي: أحَدُها، والآخَرانِ عِيسى وأُمُّه، ....

حاشية الصاوي

أنهم عمُوا وصموا جميعُهم، وعطف قوله: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ بـ(ثم) المفيدة للتراخي؛ لأنَّ بينَ التوبة والعمى ثلاثين سنة.

قوله: (﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾) وهم اليَعقوبية من النصارى، وهو شروعٌ في ذكر قبائح النصارى بعد ذِكر قبائح اليهود.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ﴾) معنى ذلك عندهم: أن الله حلَّ في ذات عيسى واتَّحدَ بها.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ﴾) الجملةُ حالية من الواو في ﴿قَالُوٓاْ﴾، وهو ردٌّ لما ادَّعوه من أُلوهيَّته؛ أي: فلا عذرَ لهم في تلك الدعوى؛ فإنَّ عيسى تبرَّأ عنها وبيَّنَ لهم طريق الهدى.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾) كالعلة لقوله: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾.

قوله: (منعه أن يدخلها) أي: فالمرادُ بالتحريم: مُطلقُ المنع.

قوله: (﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾) أي: المشركين.

قوله: (﴿أَنصَارٍ﴾) أي: أعوانٍ يحفظونهم من غضب الله.

قوله: (والآخرانِ عيسى... إلخ) هذا وجهٌ في التَّثليث عندهم، وهناك وجهٌ آخر عندهم، وهو: أن الإلهَ مركَّبٌ من ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، فمرادُهم بالأب: ذاتُ الله، وبالابن: صفةُ

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ . . . .

وهُم فِرقةٌ مِن النَّصارَى، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ مِن التَّثليثِ ويُوَحِّدُوا، ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: ثَبَتُوا على الكُفرِ ﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ وهو النَّار.

حاشية الصاوي

الكلام، وروح القدس: الحياةُ، فاختَلطت صفةُ الكلام بجسد عيسى كاختلاط الماء باللبن، وزعموا أن الأبَ إلهٌ، والابنَ إلهٌ، والروحَ إله، والكلُّ إلهٌ واحدٌ[1].

واعلَمْ: أن النصارى في اعتقاد التثليث على أربَع فِرق: واحدةٌ تقولَ: كلٌّ من ذات الله تعالى وذات عيسى وذات مريم إلهٌ، وأخرى تقولُ: الإلهُ مجموعُ صفاتٍ ثلاث؛ الوجودُ والعلمُ والحياةُ، وعيسى ابنُهُ، وأخرى تقولُ: الإلهُ مجموعُ ذاتٍ وصفتين؛ ذات الله ويُسمُّونها الأبَ، وصفة كلامه ويسمُّونها الابنَ، وصفة الحياة ويسمُّونها روحَ القدس، والكلُّ إلهٌ واحد، وأخرى تقولُ: الإلهُ مجموع ذاتين وصفة؛ الله وذات عيسى والحياةُ الحالَّة في جسد عيسى.

قوله: (وهم فرقة من النصارى) أي: وهم النسطورية والمرقوسية.

قوله: (﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾) الواو: إما حالية أو استئنافية، و(ما): نافية، و﴿مِنْ﴾: زائدة لاستغراق النفي، و﴿إِلَٰهٍ﴾: مبتدأ، والخبرُ محذوف تقديرُهُ: كائن في الوجود، و﴿إِلَّآ﴾: ملغاة، و﴿إِلَٰهٌ﴾: بدل من الضمير في الخبر؛ نظير: لا إله إلا الله، والمقصود من ذلك: التشنيعُ والردُّ عليهم في دعواهم التثليث؛ لأنَّ حقيقةَ الإله هو المستغني عمَّا سِواه، المفتقرُ إليه كلُّ ما عداه، وليس شيءٌ من ذلك وصفاً لعيسى ولا لأُمِّه ولا لأحدٍ أبداً سواه سبحانه وتعالى.

قوله: (﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) جوابٌ لقسم محذوف، وجواب الشرط محذوف لدلالة هذا عليه، والتقديرُ: والله؛ إنْ لم ينتهوا عمَّا يقولون ليَمَسن الذين كفروا. . إلخ، نظير قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

قوله: (أي: ثبتوا على الكفر) أشارَ بذلك إلى أن (مِن) في ﴿مِنْهُمْ﴾ للتبعيض؛ لأنَّ كثيراً منهم تابوا.

---

(١) ثم جعلوا من هذه الأحجية دليلاً على صحة هذا القول الشَّنيع، فجعلوا عجزَ العقل عن فهم كون التثليث توحيداً برهاناً في إثبات التثليث، وفرقٌ كبير بين عجز العقل عن إدراك ما يقول بإمكانه، وبينَ عجزه عن إثبات المستحيل من أحكامه.

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ....

﴿٧٤﴾ ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ مِمَّا قالُوا؟ استِفهامُ تَوبِيخ، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِمَن تابَ، ﴿رَّحِيمٌ﴾ به.

﴿٧٥﴾ ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾: مَضَتْ ﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾، فهو يَمضِي مِثلَهم، وليسَ بِإلَهٍ كما زَعَمُوا، وإلَّا لَما مَضَى، ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾: مُبالِغةٌ في الصِّدقِ، ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ كغَيرِهِما مِن الحيَواناتِ، ومَن كان كذَلك لا يَكُونُ إلَهاً لِتَركِيبِه وضَعفِه، وما يَنشَأُ مِنهُ مِن البَولِ والغائِط، ﴿ٱنظُرْ﴾ مُتعجِّباً ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ على وَحدانِيَّتِنا، ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ﴾: كيفَ ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفُون

حاشية الصاوي

قوله: (توبيخ) أي: وإنكار، وهذا استدعاءٌ لهم إلى التوبة.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾) الجملةُ حالية كالتعليل لما قبلها.

قوله: (﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ ... إلخ) هذا استئنافٌ مَسُوقٌ لبيان إقامة الحُجة عليهم وبطلان دعاويهم الباطلة، و﴿مَّا﴾: نافية، و﴿ٱلْمَسِيحُ﴾: مبتدأ، و﴿إِلَّا﴾: أداةُ حصر، و﴿رَسُولٌ﴾: خبره، وهو من حصر المبتدإ في الخبر؛ أي: إنَّ عيسى محصورٌ في وصف الرسالة وليس بإلهٍ، فالمقصودُ من ذلك: نفيُ الألوهية عنه.

قوله: (﴿قَدْ خَلَتْ﴾) أي: ذهَبت وفَنِيت.

قوله: (﴿صِدِّيقَةٌ﴾) أي: ملازمةٌ للصدق، وهذان الوصفان لعيسى وأُمِّه مختصَّان بهما شرَّفهما اللهُ بهما، ثم وصفَهما بعد ذلك بوصف البشرية الذي لا يميِّزُهم عن الحيوانات الغير العاقلة فضلاً عن العاقِلة.

قوله: (﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ﴾) ﴿كَيْفَ﴾: معمولٌ لـ﴿نُبَيِّنُ﴾ لا لـ﴿ٱنظُرْ﴾؛ لأنَّ اسمَ الاستفهام لا يعملُ فيه ما قبله؛ لأنَّ له الصَّدارة.

قوله: (﴿ثُمَّ ٱنظُرْ﴾) هذا تَرَقٍّ في التعجب، ولذا أتى بـ(ثم) المفيدة للتراخي.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٦ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ ....

عن الحَقِّ مع قِيامِ البُرهانِ.

﴿٧٦﴾ ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِه ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأقوالِكُم، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِأحوالِكُم؟ والاستِفهامُ لِلإنكارِ.

﴿٧٧﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اليَهُود والنَّصارَى ﴿لَا تَغْلُوا۟﴾: تُجاوِزُوا الحَدَّ ﴿فِى دِينِكُمْ﴾ غُلُوًّا ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾؛ بِأن تَضَعُوا عِيسى أو تَرفَعُوه فوقَ حَقِّه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (مع قيام البرهان) أي: الدليلِ الواضحِ على باهرِ قُدرتنا وكمالِ صفاتنا.

قوله: (﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ﴾) هذا تبكيتٌ لهم وإلزامُهم الحجَّةَ.

قوله: (﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾) أي: وهو عيسى، والمعنى: لا يملكُ بذاته شيئاً أصلاً، لا ضرًّا ولا نفعاً، وأما إجراءُ النفع أو الضرِّ على يدَيه.. فبِخلق الله لذلك، ولو شاءَ لم يخلُقْهُ.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾) أي: فهو أحقُّ بالعبادة.

قوله: (للإنكار) أي: مع التوبيخ.

قوله: (﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾) شروعٌ في ذكر قبائحهم جميعاً بعد أن ذكرَ كلَّ فريق منهم على حِدة.

قوله: (غلوًّا) قدَّرَه المفسِّرُ؛ إشارةً إلى أن ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ صفةٌ لمصدر محذوف مفعول مُطلق لقوله: ﴿تَغْلُوا۟﴾، ويصحُّ أن يكون ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ حالاً من فاعل ﴿تَغْلُوا۟﴾.

قوله: (﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾) أي: وأما الغلوُّ في الحق كالتشديد على النفس بأن يصومَ النهار ويقومَ الليل مثلاً.. فليس بحرام ولا ضلال.

قوله: (بأن تضعوا عيسى) أي: تنقصوه عن مَرتبته؛ كقول اليهود: إنه ابن زناً، أو تَرفعوه فوق حقِّه؛ كقول النصارى: إنه ابنُ الله أو هو الله، فكلٌّ من الفريقين قد غلا في دينه غيرَ الحق.

وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٖ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ ....

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٖ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾ بِغُلُوِّهِم وهُم أسلافُهُم، ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾ مِن النَّاسِ، ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: طَرِيقِ الحَقِّ، والسَّواءُ في الأصل: الوَسَط.

﴿٧٨﴾ ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ بِأن دَعا علَيهِم ....

حاشية الصاوي

قوله: (أهواء قوم) الأهواء: جمع هوًى، وهو: ما تدعُو شهوةُ النفس إليه، وما ذكر في القرآن إلا على وجه الذمِّ؛ لأنه لا يُقالُ: فلانٌ يهوى الخير، وإنما يُقال: يحبُّهُ ويُؤْثِرُهُ.

قوله: (﴿مِن قَبْلُ﴾) أي: قبلَ بعثة النبيِّ ﷺ، فالخطابُ لمن كان في زمنه.

قوله: (بغلوِّهم) الباء: سببيَّة؛ أي: بسبب غُلوِّهم في عيسى، حيث رفعوه جدًّا ووضعوه جدًّا.

قوله: (وهم أسلافهم) جمعُ سلف، وهو المتقدِّمُ عليهم في الزمن، وهم اليَهود والنصارى.

قوله: (﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾) أي: بهذا الاعتقادِ الفاسد.

قوله: (﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾) السواءُ في الأصل: الوسطُ، والسبيلُ: الطريقُ، والمرادُ: الدينُ الحقُّ، فشبَّهَ التمسُّكَ بالدين الحقِّ بالمشي في وسَط الطريق بجامع أن كلًّا سالمٌ من العطب.

قوله: (عن طريق الحق) أي: وهو دينُ الإسلام، إن قلتَ: إنه قد تقدَّمَ ضلالُهم في قوله: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾! أجيبَ: بأنه يحملُ الضلالُ الأولُ على الكفر بموسى وعيسى، والضلالُ الثاني على الكُفر بمحمد.

قوله: (﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) أي: اليهود والنصارى، فلُعنَ اليهود على لسان داوود، ولُعنَ النصارى على لسان عيسى.

قوله: (﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾) اختُلفَ في المراد باللسان، فقيل: هو الجارحةُ، فداوودُ وعيسى صرَّحا بلَعنهم، وقيل: هو الكتاب؛ والمعنى: أنزلَ اللهُ لعنتَهم في كتاب داوود وعيسى، وهو الأقربُ، وكلامُ المفسِّر يفيدُ الأول.

وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ....

فمُسِخُوا قِرَدَةً، وهُم أصحابُ أَيلَةَ، ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن دَعا علَيهِم فمُسِخُوا خَنازِيرَ، وهُم أصحابُ المائِدةِ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ اللَّعنُ ﴿بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

﴿٧٩﴾ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي: لا يَنهَى بَعضُهم بَعضاً، ﴿عَن﴾ مُعاوَدةِ ﴿مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ـهُ فِعلُهم هَذا.

﴿٨٠﴾ ﴿تَرَىٰ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِن أهلِ مَكَّةَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (**فمسخوا قردة**) أي: وخنازيرَ، وقوله: (**وهم أصحاب أيلة**) أي: الذين اعتدَوا في السبت واصطادوا السمكَ فيه، وستأتي قصَّتُهم في سورة (الأعراف)[1].

قوله: (**فمسخوا خنازير**) أي: وقردةً، فقد حذفَ من كلٍّ نظير ما أثبتَهُ في الآخر، وهذا على المشهور من أن كلًّا مسخوا قردةً وخنازير، وقيل: إن أصحابَ السبت مُسخوا قردةً، وأصحابَ المائدة مُسخوا خنازيرَ، وهو ظاهرُ المفسِّر.

قوله: (**وهم أصحاب المائدة**) وسيأتي أنهم ثلاثُ مئة وثلاثون رجلاً.

قوله: (﴿بِمَا عَصَوا﴾) الباء: سببيَّة، و(ما): مصدرية، وقوله: ﴿وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ معطوفٌ على ﴿عَصَوا﴾، والمعطوفُ على الصلة صلة، والمعنى: ذلك بسبب عِصيانهم وكونِهم مُعتدين.

قوله: (﴿عَن﴾ **معاودة** ﴿مُّنكَرٍ﴾) إنما قدَّر المفسرُ هذا المضاف؛ لِدفع ما أُوردَ: بأن المنكرَ الذي فُعِلَ لا معنى للنهي عنه؛ لأنَّ دفعَ الواقع محالٌ، فأجاب: بأن المعنى النهيُ عن المعاودة.

قوله: (**فعلهم هذا**) هو المخصوصُ بالذمِّ.

قوله: (﴿تَرَىٰ﴾) أي: تبصر، وقوله: (﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾) أي: أهل الكتاب.

قوله: (﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾) أي: يُوالونهم ويصادقونهم.

---

(١) انظر (٦١٩/٢).

لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ ....

بُغضاً لَك، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ مِن العَمَلِ لِمَعادِهِم المُوجِبِ لَهم ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

﴿٨١﴾ ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾ مُحمَّدٍ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ﴾ أي: الكُفَّارَ ﴿أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: خارِجُون عنِ الإيمانِ.

﴿٨٢﴾ ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بغضاً لك) مفعولٌ لأجله؛ أي: من أجل بُغضِك.

قوله: (﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ﴾) اللام: مُوطئة للقسم[1]، و(بئس): كلمةُ ذمٍّ، و﴿مَا﴾: فاعل، و﴿قَدَّمَتْ﴾: صلته، والعائدُ محذوف؛ أي: قدَّمته، و﴿أَنفُسُهُمْ﴾: فاعل ﴿قَدَّمَتْ﴾، وقوله: (﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾) هو المخصوصُ بالذمِّ لكن على حذف مضاف، تقديرُهُ: موجبُ أن سخطَ الله، والمعنى: أنَّ ما قدَّمت لهم أنفسُهم من الضلال تسبَّبَ عنه سخطُ الله، وتسبَّبَ عن سخط الله الخلودُ في النار.

قوله: (من العمل) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾) هذه الجملةُ معطوفةٌ على جملة ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، فهي من جملة المخصوص بالذم، فالمعنى: موجبٌ سخطَ الله والخلودَ في النار.

قوله: (﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾) أي: القرآن.

قوله: (﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾) أي: أنصاراً يُوالونهم، وقد فعلوا ذلك، فكانوا يأخذون الهدايا لكفَّار مكةَ ويُصادقونهم ويتودَّدون إليهم؛ خوفاً من زَوال عزِّهم ورئاستهم.

قوله: (﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾) كلامٌ مستأنف سِيقَ لِلتقبيح على اليهود والتشنيع عليهم، واللام: موطئةٌ لقسم محذوف[2]، و﴿أَشَدَّ﴾: مفعولٌ أول لـ(تجدنَّ)، و﴿عَدَٰوَةً﴾: منصوب على التمييز،

---

(١) اللام واقعة في جواب قَسَم محذوف.

(٢) اللام واقعة في جواب قسَم محذوف.

وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ

﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مِن أهلِ مَكَّة لِتَضاعُفِ كُفرِهِم وجَهلِهِم وانهماكِهِم في اتِّباعِ الهَوَى، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ﴾ ....

حاشية الصاوي

و﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾: متعلقٌ بـ﴿عَدَاوَةً﴾، أو بمحذوف صفة لـ﴿عَدَاوَةً﴾، و﴿الْيَهُودَ﴾: مفعولٌ ثانٍ، هكذا أعربوا، والأقربُ: أن ﴿أَشَدَّ﴾ مفعولٌ ثانٍ مقدَّم، و﴿الْيَهُودَ﴾: مفعولٌ أول مؤخَّر[1].

قوله: (﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾) معطوفٌ على ﴿الْيَهُودَ﴾، وقوله: (لتضاعف كفرهم) عِلة لقوله: ﴿أَشَدَّ﴾، وقوله: (وجهلهم) أي: وتَضاعف جهلهم.

قوله: (وانهماكهم في اتباع الهوى) عطفٌ على (تضاعف) عطفَ علَّةٍ على معلول، والهوى بالقصر: ما تَهواه النفسُ وتميلُ إليه.

قوله: (﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم﴾) يُقالُ في إعرابه ما قيلَ في الذي قبله من أن (أقرب): مفعول ثانٍ، و﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾: مفعولٌ أول، و﴿مَّوَدَّةً﴾: تمييز، و﴿لِّلَّذِينَ﴾: صفة لـ﴿مَّوَدَّةً﴾ أو متعلق به.

قوله: (﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾) أي: أنصارُ دين الله.

إن قلتَ: مقتضى الآية مدحُ النصارى وذمُّ اليهود مع أن كُفرَ النصارى أشدُّ؛ لأنهم يُنازعون في الربوبيَّة، فاليهودُ أخفُّ منهم؛ لأنهم يُنازعون في النبوة!

أجيبَ: بأن مدحَ النصارى من جهة قُرب مَودَّتهم للمسلمين، وذمَّ اليهود من حيث إنهم أشدُّ عداوةً للمسلمين، وذلك لا يَقتضي شدَّةَ الكفر ولا عدمه، وأيضاً: الحرصُ في اليهود دون النصارى، وأيضاً: مذهبُ اليهود: أن إيصالَ الشرِّ والأذى إلى مَن خالفهم في الدين قربةٌ، ومذهبُ النصارى أنه حرامٌ.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) اسمُ الإشارة مبتدأ، ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ﴾: خبره، و﴿قِسِّيسِينَ﴾: اسم (أن)، و﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقٌ بمحذوف خبر (أن)، ﴿وَرُهْبَانًا﴾: معطوفٌ على ﴿قِسِّيسِينَ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ معطوفٌ على ﴿قِسِّيسِينَ﴾[2].

---

(١) إذ المقصود أن يخبر الله تعالى عن اليهود بأنهم أشدُّ الناس عداوة للمؤمنين، وعن النصارى بأنهم أقرب الناس مودة لهم. «الفتوحات» (١/ ٥١٦).

(٢) عبارة العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (٤/ ٣٩٣): (قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ نَسق على «أن» المجرورة بالباء؛ أي: ذلك بما تقدم وبأنهم لا يَستكبرون).

﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ....

أي: قُربُ مَودَّتِهم لِلمُؤمِنين ﴿بِأَنَّ﴾ بِسَبَبِ أنَّ ﴿مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾: عُلَماءَ، ﴿وَرُهْبَانًا﴾: عُبَّاداً، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عنِ اتِّباع الحقِّ كما يَستَكبِر اليَهُود وأهلُ مَكَّة، نَزَلَت في وَفدِ النَّجاشِيِّ القادِمِين علَيهِ مِن الحبَشَةِ، قَرَأَ ﷺ سُورةَ (يس) فبَكَوا وأسلَمُوا، وقالُوا: ما أشبَهَ هذا بِما كان يَنزِلُ على عيسى! قال تَعالى:

حاشية الصاوي

قوله: (أي: قرب مودتهم) أشارَ بذلك إلى مرجع اسم الإشارة.

قوله: (بسبب) أشارَ بذلك إلى أن الباء سببيَّة.

قوله: (﴿قِسِّيسِينَ﴾) جمعُ قسِّيس، من: تَقسَّسَ الشيءَ: إذا تتبَّعَهُ، يُقالُ: قسَّ الأثرَ وقصَّه، فهو أعجمي معرَّب، ويُقالُ: قَسٌّ وقِسٌّ بفتح القاف وكسرها[1]، وهو عالمُ الكفار.

قوله: (﴿وَرُهْبَانًا﴾) جمعُ راهب، وهو الزاهدُ التاركُ للدنيا وشَهَواتها.

قوله: (نزلت في وفد النجاشي) أي: واسمُهُ أَصْحَمَة، وقيل: صحمة، وقيل: أَصْمَحَة.

وحاصل ذلك: أنه سنةَ خمس من البعثة اشتدَّ أذى الكفار لرسولِ الله ولمن أسلم، ولم يكنْ أُمِرَ بالجهاد، فأمرَ أصحابَهُ الذين لا عِزْوةَ لهم بالخروج إلى أرض الحبشة، وهي الهجرةُ الأولى، وقال: «إن بها ملكاً صالحاً لا يَظلمُ ولا يُظلمُ عنده أحدٌ، فاخرجوا إليه حتى يجعلَ الله للمسلمين فرجاً»، فخرجَ إليها أحدَ عشرَ رجلاً وأربعُ نسوة سرًّا، منهم عثمانُ بن عفان وزوجتُهُ رُقيةُ بنتُ رسول الله، فخرجوا إلى البحر، وأخذوا سفينةً بنصف دِينار إلى أرض الحبشة، وذلك في رجب، ثم تتابعَ المسلمون فكانوا اثنين وثمانين رجلاً سِوى النساء والصبيان.

فلمَّا كانت وقعةُ بدر وقُتلَ فيها صناديدُ الكفار.. قال كفَّارُ قُريش: إن ثأرَكم بأرض الحبشة، فأهدُوا إلى النجاشي وابعثُوا له رجلين من ذوي رأيكم لعله يُعطيكم مَنْ عندَهُ لِتَقتلوهم بمن قُتلَ منكم ببدر، فبعثَ كفَّارُ قريش عمرَو بن العاص وعبدَ الله بن ربيعة، فقالا له: أيُّها الملك؛ إنه قد خرجَ فينا رجلٌ سفَّهَ عقولَ قريش وأحلامها، وزعم أنه نبيٌّ، وإنه قد بعثَ إليك برَهط من أصحابه لِيُفسدوا عليك قومَك، فأحببنا أن نأتيَكَ ونخبرَك خبرَهم، وإن قومَنا يسألونك أن تردَّهم إليهم، فقال: حتى نسألَهم، فأمرَ بهم فأُحضروا، فلمَّا أتوا بابَ النجاشي.. قالوا: يستأذنُ أولياءُ الله، فقال: ائذنُوا

---

(١) وجمعه قُسُوس؛ كفَلْس وفُلوس، ويجمع بالواو والنون تغليباً للعَلَمية. «المصباح المنير» (ق س س).

. . . .

حاشية الصاوي

لهم، فمرحباً بأولياء الله، فلمَّا دخلوا عليه سلَّموا، فقال الرهطُ من المشركين: أيُّها الملك؛ ألا ترى أنَّا صَدقناك، إنهم لم يُحَيُّوك بتحيَّتك التي تُحيّى بها، فقال لهم الملك: ما منعَكم أن تحيُّوني؟ قالوا: إنَّا حييناك بتحيَّة أهل الجنة وتحية الملائكة، فقال لهم النجاشيُّ: ما يقول صاحبُكم في عيسى وأُمِّه؟ فقال جعفرُ بن أبي طالب: يقول: هو عبدُ الله ورسولُهُ وكلمةُ الله وروحٌ منه ألقاها إلى مريمَ العذراء، ويقولُ في مريم: إنها العذراءُ البَتُول، قال: فأخذَ النجاشيُّ عوداً من الأرض وقال: واللهِ؛ ما زادَ صاحبُكم على ما قال عيسى قَدْرَ هذا العود، فكرهَ المشركون قوله وتغيَّرت وجوهُهم، فقال: هل تَعرفون شيئاً ممَّا أُنزلَ على صاحبكم؟ قالوا: نعم، قال: اقرؤوا، فقرأ جعفرٌ سورة (مريم)، وهناك قسِّيسون ورَهبانيون وسائر النصارى، فعرفوا ما قرأ، فانحدَرت دموعُهم ممَّا عرفوا من الحقِّ، فأنزلَ اللهُ فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ . . .﴾ إلى آخر الآيتين، فقال النجاشيُّ لجعفر وأصحابه: اذهبُوا، فأنتم بأرضي آمِنُون.

في بعض الروايات: أن عَمْراً أسلمَ على يد النجاشي، وبذلك يُلغزُ فيُقالُ: صحابيٌّ أسلمَ على يد تابعي؛ لأن النجاشيَّ لم يجتمِعْ برسول الله، وعمرٌو اجتمعَ به بعد مقدمِهِ من الحبشة، وأقامَ المسلمون عند النجاشيِّ بخير دارٍ وخير جوار، إلى أن هاجرَ رسولُ الله إلى المدينة وعلا أمرُهُ وقهرَ أعداءَه، وذلك سنةَ ستٍّ من الهجرة، وكتبَ رسولُ الله إلى النجاشي على يدِ عمرو بن أُميَّة الضمري أن يُزوِّجَهُ أمَّ حبيبة بنتَ أبي سفيان، وكانت قد هاجَرت مع زوجها ومات عنها، فأرسلَ النجاشيُّ جاريةً يُقال لها: أبرهةُ إلى أمِّ حبيبةَ يخبرُها أن رسولَ الله قد خطبَها، فسُرَّت بذلك، وأعطَت الجارية أوضاحاً كانت لها، وأَذنت لخالد بن سعيد في نكاحها، فأنكحها لرسول الله ﷺ على صَداق مبلغُهُ أربعُ مئة دينار، وكان الخاطبُ لرسول الله النجاشيَّ، فأرسلَ إليها بجميع الصَّداق على يد جاريته أبرهة، فلمَّا جاءتها بالدنانير وهَبتهَا منها خمسين ديناراً، فلم تأخُذْها وقالت: إن الملكَ أمرَني ألا آخذ منك شيئاً، وقالت: أنا صاحبةُ ذهب الملك وثيابه، وقد صدَّقت بمحمد وآمَنت به، وحاجتي إليك منِّي أن تُقرِئيه مني السلام، قالت: نعم، وقد أمرَ الملك نساءَهُ أن يَبعَثن إليك بما عندهن من دُهن وعود.

وكان رسولُ الله يحاصرُ خيبرَ، قالت أمُّ حبيبة: فخرجنا إلى المدينة ورسولُ الله بخيبر، فخرجَ من قَدم معي وأقمت بالمدينة حتى قدمَ رسولُ الله، فدخلتُ عليه، فكان يسألني عن النجاشيِّ،

وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ....

﴿٨٣﴾ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ مِن القُرآنِ ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾: صَدَّقنا بِنَبِيِّك وكِتابِك، ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: المُقِرِّين بِتَصدِيقِهما.

حاشية الصاوي

فقرأتُ عليه السلام من أبرهة جارية الملك، فردَّ رسولُ الله عليها السلام، وأنزلَ الله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة: ٧] يعني: أبا سفيان، وذلك بتزوُّجِ رسول الله أمَّ حبيبةَ، ولما بلغَ أبا سفيان تزوُّجُ رسول الله أمَّ حبيبة قال: ذلك الفَحلُ لا يجدعُ أنفُهُ.

وبعث النجاشيُّ بعد خروج جعفرٍ وأصحابه إلى رسول الله ابنَهُ أزهى في ستين من أصحابه، وكتبَ إليه: يا رسولَ الله؛ إني أشهدُ أنَّكَ رسولُ الله صادقاً مصدقاً، وقد بايَعتُك وبايعت ابنَ عمِّك جعفراً، وأسلمتُ لله ربِّ العالمين، وقد بعثتُ إليك ابني أزهى، وإن شئتَ أن آتيك بنفسي فعلتُ، والسلامُ عليك يا رسول الله. فركبوا في سفينة في إثر جَعفر، حتى إذا كانوا في وسَط البحر غرقوا.

ووافى جعفرٌ وأصحابه رسولَ الله وهو بخيبر، ووافى [مع] جعفر سبعون رجلاً عليهم الثياب الصُّوف، منهم اثنان وستون رجلاً من الحبشة، وثمانيةٌ من الشام، فقرأ عليهم رسولُ الله سورةَ (يس) إلى آخرها، فبكى القومُ حين سمعوا القرآن، وآمنُوا، وقالوا: ما أشبهَ هذا بما كان ينزلُ على عيسى عليه السلام، فأنزلَ اللهُ هذه الآية فيهم؛ ولذلك قال قتادة: نزلت في ناسٍ من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحقِّ ممَّا جاءَ بها عيسى عليه السلام، فلمَّا بُعثَ ﷺ.. آمنوا به وصدَّقوه، فأثنى الله عليهم[1].

قوله: (﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾) صنيعُ المفسِّر يقتضي أنه مُستأنفٌ، حيث قال: (قال تعالى) ولذلك جعلَهُ بعضُهم أوَّلَ الربع، ويصحُّ أن يكون عطفاً على ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

قوله: (﴿تَفِيضُ﴾) أي: تمتلئ بالدمع حتى تَسيلَ.

قوله: (﴿مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾) ﴿مِن﴾: ابتدائية، وقوله: (﴿مِمَّا عَرَفُوا۟﴾) تعليلية، و(﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾) بيانية.

قوله: (﴿يَقُولُونَ﴾) استئنافٌ مبنيٌّ على سؤال، كأنه قيل: فماذا يقولون؟

---

(١) سياق المصنف عند البغوي في «تفسيره» (٢/ ٧٤)، والخازن في «تفسيره» (٢/ ٦٩)، والقرطبي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٥)، وأصل الخبر عند البخاري (٣٨٧٦)، ومسلم (٢٥٠٢).

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ....

﴿٨٤﴾ ﴿وَ﴾ قالُوا في جَوابِ مَن عَيَّرَهُم بِالإسلامِ مِن اليَهودِ: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: القُرآنِ؟ أي: لا مانِعَ لَنا مِن الإيمانِ مع وُجودِ مُقتَضِيه، ﴿وَنَطْمَعُ﴾ ـ عَطفٌ على ﴿نُؤْمِنُ﴾ ـ ﴿أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ المُؤمِنين الجنَّةَ، قال تَعالى:

﴿٨٥﴾ ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بِالإيمانِ.

﴿٨٦﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿٨٧﴾ ونَزَلَ لَمَّا هَمَّ قَومٌ مِن الصَّحابةِ أن يُلازِمُوا الصَّومَ والقِيامَ ولا يَقرَبُوا النِّساءَ والطِّيبَ، ولا يَأكُلُوا اللَّحمَ ولا يَنامُوا على الفِراشِ: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾) جملةٌ مستأنفة جواباً للسؤال الوارد عليهم.

قوله: (﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾) معطوفٌ على لفظ الجلالة؛ أي: لا مانعَ لنا من الإيمان بالله وبما جاءنا من الحقِّ، ويُرادُ بالحقِّ القرآن.

قوله: (عطف على ﴿نُؤْمِنُ﴾) أي: مسلَّطةٌ عليه (لا) على سبيل الاستفهام الإنكاري، والمعنى: أيُّ شيء ثبتَ لنا في كَوننا لا نؤمنُ بالله ولا بالقرآن ولا نطمع في أنْ يدخلَنا ربُّنا... إلخ، مع وجود مقتضي ما ذكر.

قوله: (﴿بِمَا قَالُوا۟﴾) أي: بسبب قَولهم، ورتَّبَ الثوابَ على القول؛ لأنه قد سُبِقَ بما يدلُّ على إخلاصهم فيه.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) لمَّا ذكرَ اللهُ الوعدَ لمؤمني النصارى ذكرَ الوعيدَ لمن بقيَ منهم على الكفر؛ جمعاً بين الترغيب والترهيب.

قوله: (ونزل لمَّا همَّ قوم) أي: وهم عشرةٌ اجتَمعوا في بيت عثمان بن مظعون الجُمَحي، وسببُ اجتماعهم: أن رسولَ الله وعظَ الناس يوماً حتى أبكاهم، فرَقَّت أفئدتُهم، وعزموا على الترهُّب، وهم أبو بكر، وعليُّ بن أبي طالب، وعبدُ الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وأبو ذرٍّ الغفاري،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ ....

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾: ....

حاشية الصاوي

وسالمٌ مولى أبي حذيفة، والمقدادُ بن الأسود، وسلمانُ الفارسي، ومعقلُ بن مقرن، وعثمانُ بن مَظعون، فتشاوَروا واتفقوا على أنهم يَلبسون المُسُوح[1]، ويجبُّون مذاكيرهم، ويَصومون الدهرَ، ويقومون الليلَ، ولا ينامون على الفراش، ولا يأكلون اللحمَ والوَدك، ولا يقربون النساء ولا الطيب، وأن يَسيحوا في الأرض، فبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ، فأتى دارَ عثمان بن مظعون فلم يُصادفه، فقال لامرأته: «**أحقٌّ ما بلغني عن زوجك وأصحابه؟**»، فكَرهت أن تكذبَ، وكرهت أن تفشيَ سرَّ زوجها، فقالت: يا رسولَ الله؛ إن كان قد أخبرَك عثمانُ فقد صدقَ، فانصرفَ رسولُ الله، فلمَّا جاءَ عثمانُ أخبَرته بذلك، فأتى هو وأصحابه العشرةُ إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم: «**ألم أُخبَرْ أنكم اتَّفقتم على كذا وكذا؟**»، فقالوا: بلى يا رسول الله، وما أرَدنا إلا الخيرَ، فقال رسول الله: «**إني لمْ أُؤمرْ بذلك**»، ثم قال ﷺ: «**إن لأنفسكم عليكم حقًّا، فصوموا وأفطروا، وقُوموا وناموا، فإني أقومُ وأنامُ، وأصومُ وأفطرُ، وآكلُ اللحمَ والدسم، وآتي النساء، فمَن رغبَ عن سُنتي فليس مني**»، ثم جمعَ الناس وخطبَهم فقال: «**ما بالُ أقوام حرَّموا النساءَ والطعامَ والطيبَ وشهواتِ الدنيا؟ وإني لستُ آمركم أن تكونوا قسيسينَ ورهباناً، فإنه ليس في ديني تركُ اللحم والنساء، ولا اتخاذُ الصوامع؛ فإن سياحةَ أُمتي ورهبانيتَهم الجهادُ**[2]**، اعبدوا اللهَ ولا تشركوا به شيئاً، وحُجُّوا واعتَمروا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، واستقيموا يستقمْ لكم، فإنما هلكَ من كان قبلكم بالتشديد، شَدَّدوا على أنفسهم فشدَّدَ اللهُ عليهم، فتلك بَقاياهم في الديارات والصوامع**»، فنزلت تلك الآية[3].

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) هذا فاعلُ (نزل).

قوله: (﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾) أي: لا تَجعلوها حراماً على أنفسكم، فمن حرَّمَ

---

(١) جمع مِسْح، وهي أثواب من الشعر غليظة، ويقال لواحدها أيضاً: البَلاس.

(٢) كذا في «الفتوحات» (١/ ٥٢٠)، والأصل الذي نقَل عنه «الخازن»، وفي الأصول التي سيشار إليها: (الصوم) بدل (الجهاد).

(٣) «أسباب النزول» للواحدي (ص٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٦)، ورَواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥١٦) عن قتادة، وأصله عند البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ....

تتجاوزُوا أمرَ اللهِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿٨٨﴾ ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾ ـ مَفعُولٌ، والجارُّ والمجرورُ قبلَه حالٌ مُتعَلِّقٌ بِه ـ، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٨٩﴾ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾ الكائِنِ ﴿فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾، هو ما يَسبِقُ إلَيهِ اللِّسانُ مِن غيرِ قَصدِ الحَلِفِ، كقَولِ الإنسانِ: لا واللهِ، وبَلَى واللهِ، ﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾

حاشية الصاوي

حلالاً فلا يحرمُ عليه إلا الزوجة؛ لأنَّ اللهَ جعلَ بيده تحريمَها وتحليلها دون ما سِواها، واعتقادُ التحريم من غير إنشاء منه كفرٌ.

قوله: (تتجاوزوا أمر الله) أي: ونَهيه، فلا تفعلوا ما نهى اللهُ عنه، ولا تُفرِّطوا فيما أمرَ به.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾) أي: المتجاوِزين الحدَّ، ومن جملة ذلك: قطعُ المذاكير والشهوة، والإسرافُ في المطاعم والمشارب، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١].

قوله: (حال) أي: من ﴿حَلَـٰلًا﴾؛ لأنه في الأصل نعتُ نكرة قُدِّمَ عليها، و﴿طَيِّبًا﴾: صفتُه.

قوله: (﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أي: امتثِلوا أوامرَهُ، واجتنبوا نواهيَهُ، فتقوى الله لا تتوقَّفُ على الرهبانية كما كان في الأُمَم السابقة.

قوله: (﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾) هذا مرتَّبٌ على قوله: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؛ لأن بعضَ الصحابة حلفَ على الترهُّب؛ لظنِّ أنه قربةٌ، فلمَّا نزلت الآية شكَوا لرسول الله من اليَمين، فنزلت هذه الآية.

قوله: (وهو ما سبقَ إليه اللسان لا بقصد الحلف) أي: بل بقصد التبرُّر، أو لا قصدَ له، وهذا مذهبُ الشافعي، وأما عند مالك وأبي حنيفة فاللغوُ: أن يحلفَ على ظنِّه فيتبيَّنُ خلافُهُ، وهذا في غير الطلاق، وأما هو.. فلا ينفعُ فيه اللغو، واللغوُ عند مالك وأبي حنيفة تكفِّرُ إن تعلَّقت بمستقبل فقط، لا إن تعلَّقت بحال أو ماض، **والحاصلُ**: أنه إن قصدَ باليمين التبرُّرَ فهو لغوٌ عند الشافعي لا عند مالك، وأما إن سبقَ لسانُهُ باليمين من غير قصد أصلاً فهو لغوٌ اتفاقاً، والحلفُ على ظنِّ شيء فتبيَّنَ خلافُهُ لغوٌ اتفاقاً أيضاً.

﴿ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ ....

ـ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ، وفي قِراءة: (عاقَدتُم) ـ ﴿ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ علَيهِ، بِأن حَلَفتُم عن قَصْدٍ، ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ أي: اليَمِينِ إذا حَنِثتُم فِيه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ لِكُلِّ مِسكِين مُدٌّ ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ مِنه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي: أقصَدِهِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة: (عاقدتم)) والثلاثُ سبعيَّات، فالتخفيف ظاهرٌ، والتشديد لِلمُبالغة، و(ما): مصدرية؛ أي: بتعقيدكم الإيمان[1].

قوله: (﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾) مبتدأ، و﴿إِطْعَامُ﴾: خبره وهو مضاف لمفعوله الأول، والمفعول الثاني قوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ﴾، والفاعلُ محذوفٌ قياساً يعود على الحالف، تقديرُهُ: إطعامُهُ عشرةَ مَساكين.

قوله: (أي: اليمين) إن قلتَ: إن اليمينَ مؤنثة، فلم عادَ الضميرُ عليها مذكراً؟

أجيبَ بأنها تذكَّرُ بمعنى الحَلِف.

قوله: (إذا حنثتم فيه) أي: وهو الحلفُ بالله أو بصفة من صفاته القديمة، وأما الحلفُ بغير ذلك فلا حنثَ فيه، ثم هو إن كان ممَّا يُعظَّمُ شرعاً كالكعبة والنبيِّ[2] فقيل: مَكروه، وقيل: حرام، وإلا.. فهو ممنوعٌ لما في الحديث: «مَن كان حالفاً فليحلِفْ بالله أو لِيَصمت»[3].

قوله: (﴿عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾) المرادُ: ما يشملُ الفقراءَ، والفقيرُ: هو من لا يملكُ قوتَ عامه، والمسكينُ من التصقت يدُهُ بالتراب عند مالك.

قوله: (لكل مسكين مُدٌّ) أي: وهو رطلٌ وثلثٌ بالبغدادي، وبالمصري رطلٌ وأُوقيتان وربعُ أوقية.

قوله: (﴿مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾) قدَّر المفسِّرُ المفعول الثاني بقوله: (منه)، والأوضحُ أن يقدَّرَ متصلاً به، و﴿أَهْلِيكُمْ﴾: مفعول الأول.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: (عَقَدْتم) بالتخفيف، وابن ذكوان عن ابن عامر: (عاقدتم)، والباقون: (عَقَّدتم) بتشديد القاف. «الدر المصون» (٤/ ٤٠٣).

(٢) فممَّن حلف بالنبي امرأة أبي بكر رضي الله عنهما كما عند البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٢٠٥٧) حيث قالت: (لا وقرَّةِ عيني)، وكانوا يتحالفون بنَحو: لا والكعبة، وما وَرد من وصف الحالف بغير الله بالشرك أو الكفر فمَحمول على التشديد كما ذكر الترمذي (١٥٣٥)، قال الإمام الشافعي في «الأم» (٧/ ٦٤): (فكلُّ مَن حلف بغير الله كرهت له، وخشيتُ أن تكون يَمينه معصية).

(٣) رواه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً.

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ....

وأغلَبِه، لا أعلاهُ ولا أدناهُ، ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ بِما يُسَمَّى كِسوَةً، كقَمِيصٍ وعِمامةٍ وإزارٍ، ولا يَكفِي دَفعُ ما ذُكِرَ إلى مِسكِينٍ واحِد، وعلَيهِ الشَّافِعِيُّ، ﴿أَوْ تَحْرِيرُ﴾: عِتقُ ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي: مُؤمِنةٍ كما في كفَّارةِ القَتلِ والظِّهارِ، حَملاً لِلمُطلَقِ على المُقيَّدِ، ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (أغلب) هذا تفسيرٌ لـ﴿أَوْسَطِ﴾، فإن كان القمحُ غالبَ اقتياتهم مثلاً أخرجَ منه ولو كان هو يقتاتُ ذرةً مثلاً، وهل المرادُ بالغالب وقتَ الإخراج وهو مذهبُ مالك، أو في السنة وهو مذهب الشافعي.

وقوله: (لا أعلاه ولا أدناه) أي: لا تفهمْ بأن المرادَ بالأوسَط: ما قابلَ الأعلى كالقمح، والأدنى كالدُّخْن، بل المرادُ به: الغالبُ في الاقتيات، كان هو في نفسه أعلى أو أدنى أو أوسط، ويكفي بدلَ الأمداد عند مالك لكل واحد رطلان من خبز، أو إطعامُ العشرةِ غداءً وعشاءً، أو غداءَين، أو عشاءَين.

قوله: (بما يسمَّى كسوة) أي: وإن لم يكن مِن غالب كسوة الناس؛ لأنَّ قيدَ الأوسطيَّة مخصوص بالإطعام، واشترطَ مالكٌ كون الكسوة تَسترُ البدن، للرجل ثوبٌ، وللمرأة درعٌ وخِمار.

قوله: (وعمامة وإزار) الواو: بمعنى (أو)، ويكفي المنديل عند الشافعي[1].

قوله: (وعليه الشافعي) أي: ومالك.

قوله: (كما في كفارة القتل والظهار) أي: كما ثبتَ عند الفقهاء في كفارة القتل بالتصريح بـ(مؤمنة)، والظهار بِحَمل المطلق على المقيَّد، وهذا مذهبُ مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة: لا يحملُ المطلقُ على المقيد إلا إذا اتَّحدَ السبب، وأما هنا فقد اختلف السببُ فلا حملَ، فيكفي في اليمين والظهار عنده عتقُ الكافرة.

قوله: (﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾) أي: بأن لم يكن عِنده ما يُباعُ على المفلس[2]، وهو مذهب مالك والشافعي في القديم، وقال في الجديد: ينتقلُ للصيام إن لم يكُن عنده ما يكفيه العمرَ الغالب[3].

---

(١) «الفتوحات» (١/ ٥٢٢).

(٢) في (ط١): (بأن لم يكن عنده أزيد من قوت يومه)، وقد ضرب المصنف عليها في (أ).

(٣) أي: وإن ملك قوتَ أيام أو شهور أو سِنين. «الفتوحات» (١/ ٥٢٢).

فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ....

واجِداً مِمَّا ذُكِرَ، ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ﴾ كفَّارَتُه، وظاهِرُه أنَّهُ لا يُشتَرَطُ التَّتابُعُ، وعلَيه الشَّافعِيُّ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورُ ﴿كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ﴾ وحَنِثتُم، ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ أن تَنكُثُوها ما لَم تَكُنْ على فِعلِ بِرٍّ أو إصلاحٍ بَينَ النَّاس، كما في (سُورة البَقَرة)، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثلَ ما بُيِّنَ لَكُم ما ذُكِرَ، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾هُ على ذلك.

﴿٩٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ﴾) أي: فالكفارةُ مُخيَّرٌ فيها ابتداءً في الثلاثة، مرتَّبٌ انتهاءً في الصيام، وأفضلُها في التخيير عند مالك: الإطعامُ ثم الكسوة ثم العتق، وعند الشافعي: العتقُ ثم الكسوةُ ثم الإطعام.

قوله: (كفارته) أشارَ بذلك إلى أن (صيام) مبتدأٌ خبرُهُ محذوف، والأوضحُ: أن يقدَّرَ المحذوفَ هو المبتدأ.

قوله: (وعليه الشافعي) أي: ومالك، خلافاً لأبي حنيفة في اشتراط التتابع.

قوله: (ما لم تكن على فعل برٍّ) أي: فالحنثُ أفضل.

قوله: (كما في سورة (البقرة)) أي: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةً لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، فمَن حلفَ على شيء وكان فعلُهُ خيراً من تركه.. فالأفضلُ حنثُهُ كما كان رسول الله يفعلُ ذلك[1].

قوله: (ما ذكر) أي: وهو حكمُ اليمين.

قوله: (على ذلك) أي: البيان، فإنه من أعظَم النعم.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾) سببُ نزولها: دعا عمرُ رضي الله عنه بقوله: اللهمَّ؛ بيِّنْ لنا في الخمر بياناً شافياً، وذلك أنه لمَّا نزلَ قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ...﴾ [البقرة: ٢١٩] الآية.. أحضرَ رسولُ الله عمرَ وقرأها عليه، فقال: اللهمَّ بيِّنْ لنا في الخمر بياناً شافياً، ثم نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) كما رواه البخاري (٦٦٢٣)، ومسلم (١٦٤٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠﴾ . . . . . .

﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾ : المُسكِرُ الذي يُخامِرُ العَقلَ، ﴿وَٱلْمَيْسِرُ﴾ : القِمارُ، ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾ : الأصنامُ، ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ : قِداحُ الاستِقسامِ، ﴿رِجْسٌ﴾ : خَبيثٌ مُستَقذَرٌ ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الَّذي يُزَيِّنُه، ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ أي: الرِّجسَ المُعَبَّرَ بِه عن هَذه الأشياءِ أن تَفعَلُوه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

حاشية الصاوي

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فأحضره رسول الله وقرأها عليه، فقال: اللهمَّ بيِّنْ لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية، فأحضرَهُ وقرأها عليه، فقال: انتهَينا يا رب[١].

وذكرت عقبَ ما قبلها؛ لأنه لمَّا نهى فيما قبلَها عن تحريم الطيبات ممَّا أحلَّ الله، وكانت الخمرُ والميسرُ ممَّا يُستطابُ عندهم.. رُبما يتوهَّمُ أنهما داخلان في جُملة الطيبات، فأفادَ أنهما ليسا كذلك.

قوله: (الذي يخامر العقل) أي: يسترُهُ ويُغَطيه ولو كان متَّخذاً من غير العنب.

قوله: (القمار) من المقامَرة وهي المغالبةُ؛ لأن كلًّا يريدُ المغالبة لصاحبه، والمرادُ بالقمار: اللعبُ بالملاهي كالطابِ والطاولة والمنقلة، فيحرمُ اللعبُ بذلك إذا كان بمال إجماعاً، وبغيره ففيها الخلافُ بين العلماء بالكراهة والحرمة ما لم يُضيِّع بسببها الفرائض، وإلا.. فحرامٌ إجماعاً، وسُمِّيَ ميسراً؛ لأنَّ فيه أخذَ المال بِيُسْرٍ.

قوله: (﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾) جمع نُصُب[٢]، سُمِّيت بذلك لأنها تُنصبُ وترفعُ للعبادة.

قوله: (قداح الاستقسام) تقدَّمَ أنها سبعة.

قوله: (﴿رِجْسٌ﴾) خبرٌ عن كلِّ واحد ممَّا تقدَّمَ من الخمر وما بعده، وحيث قرنَ الخمرَ والميسر بالأنصاب والأزلام.. فهو دليلٌ على أنهما من الكبائر، وقوله: (خبيث مستقذر) تفسيرٌ للرجس، وأما الرجزُ فهو العذاب، وأما الركسُ فهو العذرةُ والشيءُ النَّتْنُ.

قوله: (الذي يزينه) أي: يَأمرُ به ويحسِّنُه، وليس المرادُ من عمل يَدِه.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾) الترجي في كلام الله لِلتحقيق.

---

(١) رواه النسائي (٨/ ٢٨٦) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) ويقال أيضاً: نَصْب وِزان فَلْس، وبهما قرأ السبعة. انظر «المصباح المنير» (ن ص ب).

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ....

﴿٩١﴾ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ إذا أتيتُموهُما؛ لِما يَحصُلُ فِيهما مِن الشَّرِّ والفِتَنِ، ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾ بِالاشتِغالِ بِهِما ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، خَصَّها بِالذِّكرِ تَعظِيماً لَها، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ عن إتْيانِهِما؟ أي: انتَهُوا.

﴿٩٢﴾ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ المَعاصِيَ، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عنِ الطَّاعةِ ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: الإبلاغُ البَيِّنُ، وجَزاؤُكم علَينا.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾) إنما أعادَهما ثانياً؛ لأنهما اللذان كانا في المسلِمين، بخلاف الأنصاب والأزلام، وذكرَهما أولاً لمزيد التنفير عنهما، وأكَّدَ التحريمَ بأمور: (إنَّما)، وجمعُهما مع الأنصاب والأزلام، وكونُهما رجساً من عمل الشيطان، وكونُ اجتنابهما مُوجباً للفلاح، وكونُهما يَصُدَّان عن ذكر الله وعن الصلاة، ويُوقعان في العداوة والبغضاء، والاستفهامُ التهديدِي.

قوله: (خصَّها بالذكر) أي: الصلاةَ مع دخولها في الذكر.

قوله: (أي: انتهوا) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ بمعنى الأمر، وهو استفهامُ تهديد، وهو أبلغُ من الأمر صريحاً؛ كأنه قيل: قد بيَّنتُ لكُم ما في هذه الأمور من القبائح، فهل أنتم مُنتَهون عنها أم أنتم مقيمون عليها فلكم الوعيد؟

قوله: (﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾) معطوفٌ على معنى الاستفهام؛ أي: انتَهوا وأطيعوا.

قوله: (﴿وَٱحْذَرُوا۟﴾ المعاصيَ) أي: فإنها تجرُّ إلى الكفر.

قوله: (﴿أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾) أي: وقد فعَلَهُ، فلم ينتقِلْ رسولُ الله للرفيق الأعلى حتى بلَّغَ ما أُمِرَ بتبليغه، ففي الحديث: «تَركتكم على المحجَّة البيضاء، ليلُها كنهارها، ونهارُها كلَيلها، لا يضلُّ عنها إلا هالك»[1].

قوله: (وجزاؤكم علينا) أشارَ بذلك إلى أن جوابَ الشرط محذوفٌ.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣) من حديث العِرباض بن سارية رضي الله عنه.

لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ . . .

﴿٩٣﴾ ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾: أكَلُوا مِن الخَمرِ والمَيسِر قَبلَ التَّحريمِ، ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ المُحرَّماتِ، ﴿وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾: ثَبتُوا على التَّقوى والإيمانِ، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟﴾ العَمَلَ، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بِمَعنى أنَّه يُثِيبُهم.

﴿٩٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾: لَيختَبِرَنَّكم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) سببُ نزولها: أنه لمَّا نزل تحريمُ الخمر والميسر.. قال أبو بكر وبعضُ الصحابة: يا رسولَ الله؛ كيف بِإخواننا الذين ماتوا وقد شَربوا الخمر وفعلوا القمار؟ فنزلَت[1].

قوله: (أكلوا من الخمر والميسر) أي: تناوَلوا ذلك شرباً للخمر وانتفاعاً بمال القمار، عاشوا أو ماتوا.

قوله: (﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾) ظرفٌ لقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ﴾. والحاصلُ أنه: كرَّرَ سبحانه وتعالى قوله: ﴿ٱتَّقَوا۟﴾ ثلاثاً، فقيل: الأولُ: على مبدإ العمر، والثاني: على وسَطه، والثالثُ: على آخِره، وقيل: الأولُ: اتقوا المحرَّمات خوفَ الوقوع في الكفر، والثاني: الشبهاتِ خوفَ الوقوع في المحرَّمات، والثالثُ: بعضَ المباحات خوفَ الوقوع في الشبهات، وقيل: الأول: تقوى العبد بينَه وبين ربِّه، والثاني: تقوى العبد بينه وبين نفسه، والثالث: تقوى العبد بينه وبين الناس؛ لأنَّ العبدَ لا يكملُ إلا إذا كان طائعاً فيما بينَه وبين ربِّه، مجاهداً فيما بينه وبين نفسه، محافظاً على حُقوق العباد.

قوله: (ثبتوا على التقوى) هذا إشارةٌ للمعنى الأول، وهو أن المرادَ بالأول التقوى في أوَّل العمر... إلخ.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) نزلت عامَ الحُدَيبية حين أحرمَ رسولَ الله وأصحابه وكانوا ألفاً وأربعَ مئة بالعمرة من ذي الحُليفة، وأرسلَ عثمان لأهل مكة يخبرُهم بأن رسولَ الله قاصدٌ زيارةَ بيت الله،

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/٨٣)، وأصله عند البخاري (٢٤٦٤)، ومسلم (١٩٨٠).

ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ....

﴿ٱللَّهُ بِشَىْءٍ﴾ يُرسِلُه لَكُم ﴿مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ﴾ أي: الصِّغارَ مِنهُ ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ الكِبارَ مِنهُ، وكان ذلك بِالحُدَيبِيَةِ وهُم مُحرِمُون، فكانَت الوَحشُ والطَّير تَغشاهُم في رِحالِهِم، ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ عِلمَ ظُهُورٍ ﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ ـ حالٌ ـ أي: غائِباً لَم يَرَهُ، فيَجتَنِب الصَّيدَ، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ النَّهيِ عنهُ فاصْطادَهُ ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

حاشية الصاوي

فجلسوا ينتظرون عثمانَ، فكانت وُحوش البرِّ والطيور تأتي إليهم من كلِّ فجٍّ، فنزلت الآية[1].

قوله: (﴿مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾) أي: المَصِيد، وهو وحوشُ البرِّ والطيور، وهذا الابتلاءُ نظيرُ ابتلاء قوم موسى بتحريم صيد السمك يومَ السبت، ولكن حفظَ اللهُ الأمة المحمَّدية من الوقوع فيما يُخالف أمر ربِّهم، فتمَّ له السعدُ والعزُّ في الدنيا والآخرة، وأما أُمَّةُ موسى فتعدَّوا واصطادوا، فمُسخوا قردةً وخنازير.

قوله: (﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾) هو على التَّوزيع، فالأيدي راجعٌ للصغار، والرماحُ راجعٌ لِلكبار.

قوله: (بالحديبية) أي: سنة ستٍّ، وقوله: (وهم محرمون) أي: بالعمرة، وأُشيعَ قتلُ عثمان، فبايع النبيُّ أصحابه تحت الشجرة على أنهم يَدخلون مكة حرباً، ثم حصلَ صلحٌ بين الكفار وبين رسول الله، فأمرهم رسولُ الله بالتحلُّل من العُمرة بالحِلاقِ وذبحِ الهدايا.

قوله: (علم ظهور) أي: للخلق؛ أي: لِيَظهرَ لهم المطيعُ من العاصي.

قوله: (حال) أي: من فاعل (يخاف) أي: حال كون العبد غائباً عن الله؛ أي: محجوباً عنه لم يرَه[2].

قوله: (بعد ذلك النهي) أي: المستفادِ من قوله: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾ مع علَّته التي هي قوله: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٧٨٩) عن مقاتل.

(٢) أو هو حال من المفعول؛ أي: مَن يخاف الله حال كونه تعالى متلبساً بالغيب عن العبد؛ أي: غير مرئي. «الفتوحات» (١/ ٥٢٤)، ومن معناه: عدم اختلاف الحال بسبب حُضور أحد أو غَيبته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ ....

(٩٥) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾: مُحرِمُون بِحَجٍّ أو عُمرةٍ، ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ﴾ - بِالتَّنوينِ ورَفعِ ما بَعدَه - أي: فعلَيهِ جَزاءٌ هو ﴿مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أي: شَبَهُه في الخِلْقةِ، - وفي قِراءة: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ﴾) لمَّا كان قتلُ الصيد في حال الإحرام مشدَّداً في النهي عنه.. كُرِّرَ في هذه السورة أربعَ مرات: أولُها في قوله: ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌ﴾، ثانيها: ﴿لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ...﴾ الآية، ثالثها: ﴿لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾، ورابعها: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ...﴾ الآية.

قوله: (﴿لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ﴾) أتى به وإن عُلِم من قوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ ليرتِّبَ عليه قوله: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا...﴾ الآية.

قوله: (﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾) الجملةُ حالية من فاعل ﴿تَقۡتُلُواْ﴾، و﴿حُرُمٞ﴾: جمع حَرام، يقعُ على المُحْرِمِ وإن كان في الحلِّ، وعلى مَنْ في الحرم وإن كان حلالاً، فهما سِيَّان في النهي عن قتل الصيد.

قوله: (﴿وَمَن قَتَلَهُۥ﴾) (مَن): اسمُ شرط جازم، و(قتل): فعل الشرط، وقوله: ﴿فَجَزَآءٞ﴾ مبتدأ خبرُهُ محذوف، قدَّرَه المفسرُ بقوله: (فعليه)، وقوله: ﴿مِّثۡلُ﴾ خبر لمحذوف تقديرُهُ: هو مثل، والجملةُ جوابُ الشرط، والمعنى: أنَّ ما قتله المحرمُ أو مَنْ في الحرم أو له مَدخلٌ في قتله.. فعليه جزاؤُهُ، وهو ميتةٌ لا يجوزُ أكله، ويُقدِّمُ المضطرُ ميتةَ غيره عليه.

قوله: (﴿مُّتَعَمِّدٗا﴾) سيَأتي للمفسِّر أنه لا مفهومَ له، بل الخطأُ والنسيان كذلك إلا أن الحرمةَ مختصَّةٌ بالمتعمِّد.

قوله: (﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾) أي: الإنسية، وهي الإبلُ والبقرُ والغنمُ، والجار والمجرور حالٌ من ﴿مِّثۡلَ﴾، أو صفةٌ له.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[1].

---

(١) قرأ أهل الكوفة بالتنوين مع رفع (مثل)، وباقي السبعة برفعه مضافاً. «الدر المصون» (٤/٤١٨).

يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ....

بِإضافةِ (جَزاء) - ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ أي: بِالمِثْلِ رَجُلانِ ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ لَهُما فِطنَةٌ يُمَيِّزانِ بها أشبَهَ الأشياءِ بِه، وقد حَكَمَ ابنُ عبَّاسٍ وعُمَرُ وعليٌّ رضي الله عنهم في النَّعامةِ بِبَدَنةٍ، وابنُ عبَّاس وأبُو عُبَيدةَ في بَقَرِ الوَحش وحِمارِه بِبَقَرة، وابنُ عُمر وابنُ عَوف في الظَّبيِ بِشاةٍ، وحَكم بها ابنُ عبَّاس وعُمَرُ وغَيرُهما في الحَمامِ لِأنَّهُ يُشبِهُها في العَبِّ. ﴿هَدْيًا﴾ - حالٌ مِن (جَزاء) - ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ أي: يُبلَغ به الحَرَم، فيُذبَح فِيه ويُتَصَدَّق به على مَساكِينِه، ولا يَجُوز أن يُذبَحَ حيثُ كان، ونَصبُه نَعتاً لِما قَبله وإن أُضِيفَ لِأنَّ إضافَتَه لَفظِيَّةٌ لا تُفِيدُ تَعرِيفاً، فإن لَم يَكُن لِلصَّيدِ مِثلٌ مِنَ النَّعَم كالعُصفورِ والجَرَاد ....

حاشية الصاوي

قوله: (بإضافة (جزاء)) إن قلتَ: على هذه القراءة يقتضي أن الجزاءَ لمثل المقتول لا للمقتول نفسِه مع أنه ليس كذلك.

أجيب بأجوبة؛ منها: أن الإضافةَ بَيانية، ومنها: أن (مثل) زائدة، ومنها: أن (جزاء) مصدر مضاف لمفعوله؛ أي: إنه يجازي القاتلَ مثلَ المقتول حال كون المثل من النَّعَم.

قوله: (رجلان) قدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أن ﴿ذَوَا﴾ صفةٌ لموصوف محذوف.

قوله: (﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾) أي: عدل شهادة.

قوله: (يميِّزان بها) أي: بتلك الفطنة؛ أي: العقل الزكي.

قوله: (وقد حكمَ ابن عباس... إلخ) أي: وحكمُ الصحابة المذكور بين أحوال المماثَلة، وأما جزئياتُ الوقائع.. فلا بدَّ لكلٍّ واحدة من حكم إلى يوم القيامة؛ لاختلاف الصيد بالكبر والصغر، ولا بدَّ من كون الجزاء المحكوم به يجزي ضحيةً عند مالك.

قوله: (في النعامة) أي: ومثلُها الزرافة والفيل، وقوله: (في الظبي) أي: ومثله الضبُّ.

قوله: (لأنه يشبهها في العبِّ) أي: شرب الماء بلا مصٍّ، وهذا التعليلُ للإمام الشافعي، وقال مالك بوجوب الشاة في خصوص حَمام مكة ويمامِهِ تعبداً، فإن لم يكُنْ شاة فصيامُ عشرة أيام من غير تقويم ولا حكم، وحمامُ غيرها وسائرُ الطيور ليس فيه إلا قيمتُهُ طعاماً أو عدلُهُ صياماً.

قوله: (حال من (جزاء)) ويصحُّ أن يكونَ تمييزاً، وأن يكون مفعولاً مطلقاً، والتقديرُ: يُهديه هدياً.

أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ

فعليه قِيمتُه، ﴿أَوْ﴾ عليهِ ﴿كَفَّٰرَةٌ﴾ غيرُ الجَزاء وإن وجَدَه هي ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ مِن غالِب قُوتِ البَلَد ما يُساوِي قِيمَةَ الجَزاء، لِكُلِّ مِسكِين مُدٌّ، ـ وفي قراءةٍ بإضافةِ (كَفَّارة) لِما بعدَه وهي لِلبَيانِ ـ، ﴿أَوْ﴾ علَيهِ ﴿عَدْلُ﴾: مِثلُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الطَّعامِ ﴿صِيَامًا﴾ يَصُومُه عن كُلِّ مُدٍّ يَوماً، وإنْ وجَدَه وجَبَ ذلك علَيهِ؛ ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ﴾: ثِقَل جَزاءِ ﴿أَمْرِهِۦ﴾ الذي فعَلَه، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ مِن قَتلِ الصَّيد قَبلَ تَحرِيمِه، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلَيهِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (فعليه قيمته) أي: طعاماً لكلِّ مسكين مدٌّ، أو يصومُ عن كلِّ مدٍّ يوماً، فهو مخيَّرٌ بين أمرين فيما لا مثلَ له، وبين ثلاثة فيما له مثلٌ.

قوله: (وإن وجده) أي: الجزاء[1]، وهو مبالغةٌ في الكفارة؛ أي: الكفارةُ عليه هذا إذا لم يَجد الجزاء بل وإن وَجده.

قوله: (لكلِّ مسكين) أي: مساكين المحلِّ الذي هو به، وأما الصيامُ فلا يختصُّ بزمان ولا مكان.

قوله: (وجبَ ذلك) أي: الجزاء بأقسامه الثلاثة[2]، وقوله: ﴿لِّيَذُوقَ﴾ متعلقٌ بقوله: (وجبَ)، وكان المناسبُ أن يأتيَ بالواو؛ ليفيدَ أنه كلامٌ مُستأنف وليس جواباً لقوله: (فإن وجده) لِفَساد ذلك.

قوله: (﴿وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾) أي: جزاءَ ذنبه الصادر منه، ويؤخذُ من ذلك: أن قتلَ الصيد متعمداً للمحرِمِ أو مَنْ في الحرم كبيرةٌ ولو أخرجَ الجزاء؛ فيحتاجُ لتوبة.

قوله: (ثقل جزاء أمره) أي: لأن إخراجَ المال ثقيلٌ على النفس، والصوم فيه إنهاكٌ للبدن، فهو ثقيلٌ أيضاً.

قوله: (﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾) أي: لا يؤاخذُ به، فلا يردُ أن ما قبل التحريم لا ذنبَ في قَتله.

---

(١) في «الفتوحات» (١/٥٢٦): (أي: الطعام)، وهو أوضح، وقول المصنف هنا أشمل، والمراد: إثبات التخيير بين الجزاء والكفارة والصيام، فلَه أن يصوم مثلاً وإن وَجدَ الأمداد، كما أنه له أن يُخرج الأمداد وإن وَجد الجزاء.

(٢) على التخيير لا الاجتماع.

فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ ....

﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾: غالِبٌ على أمرِه، ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ مِمَّن عَصاهُ. وأُلحِق بِقَتلِه مُتعمِّداً فِيما ذُكِرَ الخَطأ.

﴿٩٦﴾ ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ﴾ أيُّها النَّاسُ حَلالاً كُنتُم أو مُحرِمِين ﴿صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ﴾ أن تَأكُلُوه، وهو ما لا يَعِيشُ إلَّا فِيه كالسَّمَكِ، بِخِلافِ ما يَعِيش فِيه وفي البَرِّ كالسَّرَطانِ، ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾: ما يَقذِفُه مَيّتاً ﴿مَتَٰعٗا﴾: تَمتِيعاً ﴿لَّكُمۡ﴾ تَأكُلُونَه، ﴿وَلِلسَّيَّارَةِۖ﴾: المُسافِرِين مِنكُم يَتزوَّدُونَه، ﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ﴾ وهو ما يَعِيش فِيه مِن الوَحشِ المَأكُول أن تَصِيدُوه ﴿مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ﴾، فلَو صادَهُ حَلالٌ فلِلمُحرِمِ أكلُهُ كما بيَّنَته السُّنةُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ﴾) أي: يُعاقبه.

قوله: (الخطأ) أي: والغلطُ والنسيان.

قوله: (فيما ذكر) أي: في لزوم الجزاء وإن كان لا إثمَ فيه.

قوله: (كالسمك) أي: وغيره من دوابِّ البحر وإن كان على صورة آدميٍّ أو خنزير.

قوله: (كالسرطان) أي: والضفدع والتمساح[1].

قوله: (من الوحش) استثنى الشارعُ الفأرةَ والحيَّةَ والعقربَ والكلبَ العقور والحدأةَ والعادي من السباع.

قوله: (فلو صاده حلالٌ) أي: لنفسه أو لحلالٍ[2]، وأما ذبحَهُ لمُحْرم من غير دلالة من المُحْرم عليه فميتةٌ عند مالك، وعند الشافعي: ليس بِميتة.

قوله: (كما بيَّنته السنَّةُ) أي: كما رُوِيَ عن أبي قتادة الأنصاري قال: كنت جالساً مع رجال من أصحاب النبيِّ ﷺ في منزل في طريق مكة ورسولُ الله أمامَنا، والقومُ محرمون، وأنا غيرُ محرم،

(١) في (ط١) هنا زيادة: «قوله: وهو ما يعيش فيه» الأولى: ما لا يعيش إلا فيه»، وهي في (أ) ولكن ضُرِبَ عليه واختير النسخة الصحيحة.

(٢) قوله: (حلالٌ) هو غير المُحْرِم هنا، فلو صاده لنفسه أو لِمَن هو حلالٌ مثلُهُ فليس بميتة.

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿٩٧﴾ ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: المُحرَّمَ ﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾: يَقُوم بِهِ أمرُ دِينِهم

حاشية الصاوي

وذلك عامَ الحديبية، فأبصروا حماراً وحشيًّا وأنا مشغولٌ أخصفُ النَّعل، فلم يُؤذنوني وأحبُّوا لو أبصرتُه، فالتفتُّ فأبصرته، فقمتُ إلى الفرس فأسرجتُهُ ثم ركبت ونسيتُ السوط والرمح، فقلتُ لهم: ناولوهما لي، فقالوا: لا واللهِ لا نُعينك عليه، فغضبتُ ونزلت فأخذتهما، ثم ركبتُ فشددت على الحمار فضربته ثم جئتُ به وقد مات، فوقعوا فيه يَأكلون، ثم إنهم شَكُّوا في أكلهم إيَّاه وهم حُرُمٌ، فرحنا وخبَّأت العَضُدَ، فأدركنا رسولَ الله، فسألتُه عن ذلك، فقال: «**هل معكم شيءٌ منه؟**»، فقلتُ: نعم، فناولته العَضُدَ، فأكلَ منها وهو مُحْرِمٌ، زاد في رواية: أن النبيَّ قال لهم: «**إنما هي طُعْمةٌ أطعمكموها الله**»[1].

قوله: (﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾) أي: لا إلى غيره، فلا أحدَ غيرُ الله يُلتجأُ إليه حتى يُتوهَّمُ الفرارُ من وعيد الله.

قوله: (﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾) يحتملُ أن ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: صيَّرَ فيكون قولُه: ﴿الْكَعْبَةَ﴾ مفعولاً أوَّلاً[2]، و﴿قِيَامًا﴾: مفعولٌ ثانٍ، ويحتملُ أنها بمعنى: خلَق، فيكون ﴿قِيَامًا﴾: حالاً، و﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: عطفُ بَيان على ﴿الْكَعْبَةَ﴾.

إن قلت: إن عطفَ البيان إنما يكون مبيِّناً أو موضحاً، وهنا ليس كذلك؛ إذ من المعلوم أن الكعبةَ هي البيتُ الحرام؟

أجيبَ: بأنه للاحتراز عن بيت خثعم الذي سَمَّوه الكعبةَ اليمانية، فهو هنا للتوضيح لدفع الإلباس بغيره، وأجيب أيضاً: بأنه جِيءَ به لمجرَّد المدح؛ إذ الكعبةُ عند العرب لا تنصرفُ إلا لِلبيت الحرام؛ على حدِّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ إذ من المعلوم أن اللهَ هو ربُّ العالَمين.

إن قلت: إن البيتَ جامدٌ، والمدح لا يكون إلا بمشتق؟

---

(١) رواه البخاري (٢٥٧٠)، ومسلم (١١٩٦) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه، والرواية عند البخاري أيضاً (٢٩١٤)، ومسلم (٥٧/١١٩٦).

(٢) في النسخ بالرفع: (مفعول أول).

وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ....

بِالحَجِّ إِلَيهِ، ودُنياهُم بِأمنِ داخِلِه وعَدَم التَّعَرُّضِ لَه، وجَبيِ ثَمَرات كُلِّ شَيء إِلَيهِ، وفي قِراءة: ﴿قِيَمًا﴾ بِلا أَلِف مَصدَرُ (قامَ) غَيرَ مُعَلٍّ، ﴿وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ بِمعنَى الأشهُرِ الحُرُم:

حاشية الصاوي

أجيبَ: بأنه وُصِفَ بمشتقٍّ وهو الحرام. والكعبةُ لغةً: بيتٌ مربَّع، فسمِّيت الكعبةُ لذلك.

قوله: (﴿قِيَمًا﴾) أصلُهُ: قِواماً، وقعت الواو بعد كسرة قلبت ياء.

قوله: (بالحجِّ إليه) أي: فهو أحدُ أركان الدين، فلا يكملُ إلا به؛ لأنَّ من أتى بأركان الدين ما عداهُ مع القُدرة عليه.. فلم يكمل دِينه، وقد حرمَ نفسَهُ من الرحمات المشار إليها بقوله ﷺ: «ينزلُ من السماء كلَّ يوم وليلة مئةٌ وعشرون رحمةً، ستون للطائفين، وأربعُون للمصلين، وعِشرون للناظرين»[1].

قوله: (بأمن داخله) أي: الحرَم، لا خصوصَ الكعبة.

قوله: (وعدم التعرض له) أي: للداخل، عاقلاً أو غيره.

قوله: (وجَبْي ثمرات كلِّ شيء إليه) أي: نقلها له، وذلك بدَعوة إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وقال تعالى في مَقام الامتنان: ﴿يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [القصص: ٥٧].

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2].

قوله: (قيماً) أي: على وَزن: عِنَب.

قوله: (مصدر قام) أي: أيضاً؛ إذ (قياماً) مصدرٌ له أيضاً.

قوله: (غير مُعَلٍّ) أي: الآن بقَلب واوه ياء، فلا ينافي أن أصلَهُ مُعَلٌّ وهو قياماً، فالياءُ الثابتةُ في (قياماً) هي الموجودةُ في (قِيَماً)، غيرَ أن ألفَهُ حُذفت، فيلاحظُ أن (قِيَماً) فرعٌ عن (قياماً)، فلم يحصُلْ فيه تغيُّرٌ إلا حذف الألف.

قوله: (﴿وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾) معطوفٌ على ﴿ٱلۡكَعۡبَةَ﴾، و(ألْ) فيه للجنس، فيشملُ الأشهرَ الأربعةَ؛ ولهذا أشارَ المفسِّرُ بقوله: (بمعنى الأشهر... إلخ).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ١٩٥).

(٢) هي لابن عامر. «الفتوحات» (١/ ٥٢٧).

وَالْهَدْيَ وَالْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ....

ذُو القَعْدةِ وذُو الحِجَّة والمُحَرَّم ورَجَب، قِياماً لَهُم بِأمنِهم مِن القِتالِ فِيها، ﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلَٰٓئِدَ﴾ قِياماً لَهُم بِأَمنِ صاحِبِهما مِن التَّعَرُّض لَه، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجَعلُ المَذكُورُ ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، فإنَّ جَعلَه ذلك لِجَلبِ المَصالِح لَكُم ودَفعِ المَضارِّ عَنكُم قَبل وُقُوعِها دَلِيلٌ على عِلمِه بِما هو في الوُجُود وما هو كائِنٌ.

حاشية الصاوي

قوله: (قياماً) قدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أنه محذوفٌ من الثاني لِدلالة الأول عليه.

قوله: (بأمنهم القتالَ فيها) أي: فكانت العربُ يُغيرُ بعضُهم على بعض، ويقتلُ بعضهم بعضاً إلا في الأشهرِ الحرم.

قوله: (﴿وَالْهَدْيَ﴾) أي: فهو من مصالح الدين لجبره نقصَ الحجِّ، والدنيا لحصول البركة فيما بقيَ من ماله بسبب إنفاقِه الهديَ في سبيل الله، وهكذا كلُّ صدقة بها مصالحُ الدين بتكفير الذنوب، ومصالحُ الدنيا بِنُمو المال ووقاية صاحبِها مصارعَ السوء[1].

قوله: (﴿وَالْقَلَٰٓئِدَ﴾) أي: التي كانوا يقلِّدون بها أنفسَهم إذا خرجوا من مكة لمصالحهم، فكانوا يأخذون من شجر الحرم شيئاً ويَضعونه في عنقهم إذا خرجوا؛ لِيَأمنوا على أنفسهم وأموالهم.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟﴾) اسمُ الإشارة: مبتدأٌ، و﴿لِتَعْلَمُوٓا۟﴾: خبره، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها: في محلِّ نصب سدَّت مسَدَّ مفعولي (تعلموا)، وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ معطوفٌ على ﴿أَنَّ﴾ الأولى من عطف العامِّ على الخاص.

قوله: (فإنَّ جعله ذلك) أي: المتقدِّم ذكره، وهو الكعبةُ والشهرُ الحرام والهديُ والقلائد.

قوله: (لجلب المصالح) علَّةٌ لما قبله، وقوله: (دليلٌ... إلخ) خبرُ (إنَّ).

قوله: (وما هو كائن) أي: الآن أو في المستقبل.

---

(١) للخبر الذي رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٤) من حديث أنس ﷺ مرفوعاً: «صنائع المعروف إلى الناس تَقي صاحبها مَصارع السوء والآفات والهلكات».

اعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ ....

﴿٩٨﴾ ﴿اعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لأعدائه، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

﴿٩٩﴾ ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾: الإبلاغُ لكُم، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: تُظهِرُون مِن العَمَل ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: تُخفُون مِنهُ، فيُجازِيكُم بِه.

﴿١٠٠﴾ ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ﴾: الحَرامُ ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾: الحَلالُ، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ أي: سَرَّكَ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لأعدائه) أي: الذين بَطِروا نعمتَهُ، وسَمَّاهم أعداءً؛ لمخالفتهم أمرَهُ، فكلُّ من خالفه فهو كالعدوِّ له، والمعنى: يُعامله معاملةَ العدوِّ.

قوله: (لأوليائه) أي: أحبابِهِ الذين يشكرون نعمَهُ، وإنما قدَّمَ (شديد العقاب)؛ لأنه تقدَّمَ ذكر النعم، فحَذَّرَ من الاغترار بها والطُّغيان فيها؛ لأنَّ الفقرَ مع الشكر خيرٌ من الغِنى مع البطر.

قوله: (﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾) هو بالرفع فاعلٌ لفعل محذوف، أو مبتدأٌ خبرُهُ الجار والمجرور قبله[١]، والمعنى: ليس على الرسول إلا تبليغُ أمرِ دينكم، لا جزاؤُكم.

قوله: (الإبلاغ) أشارَ بذلك إلى أنه استعملَ مصدرَ المجرَّد موضعَ مصدر المزيد في الآية لِمَزيد البلاغة؛ لأنَّ زيادةَ البُنية تدلُّ على زيادة المعنى[٢]، ففيه إشارة إلى أنه بلَّغَ البلاغَ الكامل.

قوله: (فيجازيكم به) أي: إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشرٌّ.

قوله: (﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾) معطوفٌ على محذوف، تقديرُهُ: هذا إذا لم يعجبك بل ولو أعجبك، وجوابُ الشرط محذوف، تقديرُهُ: فلا يستويان؛ لأنَّ اللهَ طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، والمقصودُ من ذلك: أمرُهُ ﷺ أن يُخاطبَ بذلك أُمَّتَه، فليس الخطابُ له؛ لأنه قد زَهِدَ الحلالَ فضلاً عن كونه يعجبُهُ كثرةُ الحرام.

---

(١) فهو إما فاعل للجار والمجرور قبله لأنهما اعتماداً على نفي، والتقدير: ما استقرَّ على الرسول إلا البلاغُ، وهذا وقع مصححاً في هامش (أ)، أو هو مبتدأ مُؤخر، والتقدير: البلاغُ على الرسول، والاستثناء على كِلا التقديرين مفرَّغ. انظر «الدر المصون» (٤/ ٤٣٣).

(٢) وأن المجاز أبلغ من الحقيقة كما أطبَق عليه البلغاء. «الفتوحات» (١/ ٥٢٨).

كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ....

﴿كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في تَرْكِه ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تفوزُون.

﴿١٠١﴾ ونَزَلَ لَمَّا أكثَرُوا سُؤالَه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ﴾: تُظهَرْ ﴿لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ لِما فِيها مِن المَشَقَّةِ، ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي: في زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في تركه) أي: ولا تتعرَّضوا لأخذ الحرام؛ فإنه يُورِثُ غضبَ الله، ولا لأخذ الشبهاتِ أيضاً؛ فإنها تورثُ قَسوةَ القلب.

قوله: (تفوزون) أي: تَظفرون برضا الله، فإن العزَّ كل العزِّ للمُتقي.

قوله: (ونزل لمَّا أكثروا سؤاله) أي: عن أُمور لو أجابَهم عنها لشَقَّ عليهم، وعن أمور لو أجابَهم عنها لساءَتهم، فالأوَّلُ: كسؤالهم عن الحجِّ هل هو واجبٌ في العمر مرَّةً أو كلَّ عام مرَّة؟ والثاني: كسؤال رجلٍ عن أبيه بعد مَوته أين هو؟ فقال له رسول الله: «إنه في النار»[(١)].

قوله: (﴿عَنْ أَشْيَآءَ﴾) أصله: شَيْئاء على وزن فَعلاء كحمراء، استثقلت العربُ النطقَ بكلمة يكثرُ استعمالها بألف بين همزتين، خصوصاً قبل الهمزة الأولى ياء، فقلبوها قلباً مكانيًّا، فقدَّموا الهمزةَ الأولى التي هي لامُ الكلمة قبل الشين، فصارَ وزنه: لَفْعاء، وهو ممنوعٌ من الصرف لألف التأنيث الممدُودة.

قوله: (لما فيها من المشقة) علَّةٌ لقوله: ﴿تَسُؤْكُمْ﴾، والمشقةُ إما لحصول التكليف بها، أو لحصول الإساءة والفضيحة بها، وفي الحديث: «إن اللهَ أحلَّ لكم أشياءَ، وحرَّمَ عليكم أشياءَ، وسكتَ عن أشياءَ رَأفةً بكم غيرَ نسيان، فلا تسألُوا عنها»[(٢)].

قوله: (﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ﴾) (إن): حرفُ شرط، و﴿تَسْـَٔلُواْ﴾: فعل الشرط، و﴿عَنْهَا﴾: متعلِّقٌ بـ﴿تَسْـَٔلُواْ﴾، والضميرُ عائدٌ على الأشياء المتقدِّمة، وقوله: (﴿حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾) ظرفٌ متعلقٌ بـ﴿تَسْـَٔلُواْ﴾، وقوله: (﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾) جوابُ الشرط.

---

(١) الأول رواه مسلم (١٣٣٧)، والثاني عنده أيضاً (٢٠٣).

(٢) رواه الدارقطني في «سُنَنه» (٤/ ٢٩٨) من حديث أبي ثعلبة الخشني ﷺ.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ﴾ ....

المعنَى: إذا سألتُم عن أشياءَ في زَمَنه يَنزِلُ القُرآنُ بإبدائِها، ومتَى أبدَاها ساءَتكُم، فلا تَسألُوا عنها، قد ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾ عن مَسألَتِكُم فلا تَعُودُوا، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾.

١٠٢ ﴿قَدۡ سَأَلَهَا﴾ أي: الأشياءَ ﴿قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ﴾ أنبياءَهُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (المعنى: إذا سألتم... إلخ) حاصلُ ما أفاده المفسِّرُ: أن هنا جملتَين شرطيتين ونهي[1]، فالأصلُ: تأخيرُ النهي عن الجملتَين، وتأخيرُ الجملة الأولى عن الثانية، وإنما قدَّمَ النهيَ ونتيجتَهُ وهي الإساءةُ؛ اعتناءً بزجر عبادِهِ، وهذا التقديمُ والتأخيرُ باعتبار المعنى، وإلا.. فالواوُ لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً.

قوله: (إذا سألتم عن أشياء) هو معنى الجملة الثانية، وقوله: (متى أبداها ساءتكم) هو معنى الجملة الأولى، وقوله: (فلا تسألوا عنها) هو معنى النهي، وما ذكرَهُ المفسِّرُ أحدُ احتمالاتِ في الآية، وهو أحسَنُها.

قوله: (﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾) أي: لم يُؤاخِذكم بذلك.

قوله: (عن مسألتكم) أي: عن جواب مَسألتكم، والمعنى: لم يُجِبْكم بالتشديد مع استحقاقكم إيَّاه بالسؤال عمَّا لا يَعنيكم؛ فضلاً منه ولُطفاً بكم.

قوله: (فلا تعودوا) أي: لِمثل هذه الأسئلة.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾) في معنى العِلة لقوله: (﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾) أي: عفا عنها؛ لأنه غفورٌ يسترُ الذنوبَ ويمحوها، حليمٌ لا يعجلُ بالعقوبة على من عَصاه.

قوله: (﴿قَدۡ سَأَلَهَا﴾) هذا امتنانٌ من الله على هذه الأمة؛ حيث لم يُشدِّدْ عليهم كما شدَّدَ على من قبلهم؛ رحمةً منه وزجراً لهم عن وقوع مثلِ ذلك منهم.

قوله: (أي: الأشياءَ) أي: نوعَ الأشياء، وهو ما فيه الإساءة؛ كسُؤال قوم صالح أن يأتيَ لهم من الجبل بناقة، وكسؤال قوم عيسى المائدة، وكسؤال قوم موسى رؤيةَ الله جهرةً، فأجابَ سؤالَهم

(١) كذا في النسخ، ولو قال: (ونهياً) لكان أوضح.

﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ......﴾

فأُجِيبُوا بِبَيانِ أحكامِها، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا۟﴾: صارُوا ﴿بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ بِتَركِهِم العَمَلَ بِها.

﴿١٠٣﴾ ﴿مَا جَعَلَ﴾: شَرَعَ ﴿ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ كما كان أهلُ الجاهِلِيَّة يَفعَلُونَه، رَوَى البُخارِيُّ عن سَعِيد بنِ المُسيِّب قال: البَحِيرةُ التي يُمنَع دَرُّها لِلطَّواغِيتِ، فلا يَحلُبها أحدٌ مِن النَّاس، ....

حاشية الصاوي

بالتشديد عليهم في التكاليف، فخالفُوا، فحلَّ بهم ما حلَّ من العذاب، وإنما قال هنا: ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾، ولم يقُلْ: ﴿عَنْهَا﴾؛ إشارةً إلى أن السؤالَ كما يتعدَّى بالحرف يتعدَّى بنفسه[1].

قوله: (ببيان أحكامها) أي: أحكام الأشياء التي سألوا عنها مع التشديد عليهم.

قوله: (بتركهم العمل) أشارَ بذلك إلى أن الكفرَ إنما هو بترك العمل، لا بنفس تلك الأشياء، فالكلامُ على حذف مضاف.

قوله: (﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾) ردٌّ وإبطالٌ لما كان عليه الجاهلية.

قوله: (شرعَ) إن قُلتَ: إنه لم يَرِدْ في اللغة (جعلَ) بمعنى (شَرَعَ)، فالمناسبُ أن يُفسِّرَها بـ(صيَّرَ)، ويكون المفعولُ الثاني محذوفاً، والتقدير: مشروعةً.

قوله: (﴿مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾) ﴿مِنۢ﴾: زائدةٌ في المفعول، ووُجِدَ شرطُها، وهو كونُ مدخولها نكرةً في سياق النفي.

قوله: (درُّها) أي: لبنُها، وقوله: (للطواغيت) أي: لخدمتها، وهذا أحدُ أقوال في تفسير البَحيرة وما بعدها، وهو أصحُّها، وقيل: هي الناقةُ التي تنتجُ خمسةَ أبطن في آخرها ذكرٌ، فتشقُّ أذنُها وتتركُ فلا تركبُ ولا تحلبُ ولا تطردُ عن مرعًى ولا ماء، وإذا لقيَها الضعيفُ لم يركَبْها، وقيل: هي الأنثى الخامسةُ في النتاج، وقيل: هي بنتُ السائبة، وسببُ هذا الاختلاف اختلافُ العرب في البَحيرة، فبعضُهم يُطلِقُها على واحد من الأمور المتقدِّمة، وبعضُهم على واحد آخرَ منها، وهكذا.

---

(١) ولكن قد يقال: هذا لا يُعلَّل به في كتاب الله، وأجاب بعضهم: بأن الضمير في (سألها) لا يعود على (أشياء) بل على المسألة المدلول عليها بقوله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟﴾، والتقدير: قد سأل المسألة قومٌ، وانظر «الدر المصون» (٤/٤٤٢).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ ....

والسَّائِبةُ التي كانُوا يُسَيِّبُونَها لِآلِهَتِهم، فلا يُحمَل علَيها شَيءٌ، والوَصِيلةُ النَّاقةُ البِكرُ تُبكِر في أوَّل نِتاجِ الإبِل بِأُنثَى، ثُمَّ تُثني بعدُ بِأُنثَى، وكانُوا يُسَيِّبُونَها لِطَواغِيتِهم إن وَصَلَت إحداهُما بِأُخرَى ليسَ بَينَهما ذَكَر، والحام فَحلُ الإبِل يَضرِبُ الضِّراب المَعدُودةَ، فإذا قَضَى ضِرابَه ودَعُوه لِلطَّواغِيتِ، وأعفَوْهُ مِن الحَملِ فلم يُحمَلْ علَيهِ شَيءٌ، وسَمَّوهُ الحامِي، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ في ذَلك وفي نِسبَتِه إلَيهِ، ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ أنَّ ذلك افتِراءٌ؛ لِأنَّهُم قَلَّدُوا فِيه آباءَهُم.

حاشية الصاوي

قوله: (والسائبةُ كانوا... إلخ) وقيل: هي الناقةُ تنتجُ عشرَ إناث، فلا تُركبُ ولا يشربُ لبنَها إلا ضعيفٌ أو ولد، وقيل: هي الناقةُ تتركُ ليحجَّ عليها حجة.

قوله: (والوصيلة هي الناقة البكر... إلخ) وقيل: هي الشاةُ التي تنتجُ سبعةَ أبطُن عَناقين عناقين، فإذا ولدت في آخرها عناقاً وجَدياً قيل: وصلَتْ أخاها، فجرت مَجْرى السائبة، وقيل: هي الشاةُ التي تنتجُ سبعةَ أبطن، فإن كان السابعُ أنثى لم يَنتفع النساءُ منها بشيء إلا أن تموتَ، فيأكلها الرجال والنساء، وإن كان ذكراً ذبحُوه وأكلوه جميعاً، وإن كان ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها فيَتركونها معه، فلا ينتفعُ بها إلا الرجالُ دون النساء، وقالوا: خالِصة لذكورنا ومحرَّم على أزواجنا، وقيل: الشاةُ تنتجُ عشرَ إناث متواليات في خمسة أبطن، ثم ما وَلدت بعد ذلك فللذكور دون الإناث، وقيلَ غير ذلك.

قوله: (والحام فحل الإبل) وقيل: هو الفحلُ ينتجُ له سبعُ إناث متواليات فيُحمى ظهرُهُ، وقيل: هو الفحلُ الذي ينتجُ من بين أولاده ذكورِها وإناثِها عشرُ إناث، وقيل غير ذلك، وقد علمتَ أن اختلافَ تلك الأقوال لِاختلاف اصطلاح الجاهلية فيها، ولم يجعل اللهُ سبحانه وتعالى شيئاً منها في دين الإسلام على جَميع الأقوال.

قوله: (الضراب المعدود) أي: وهي عشرُ مرَّات، ينشأُ عن كلِّ مرة حمل.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) أي: عُلماءَهم، وقوله: (﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾) أي: عَوامُّهم، فهم كالأنعام بل هم أضلُّ.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ ....

﴿١٠٤﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ أي: إلى حُكمِه مِن تحليلِ ما حرَّمتُم، ﴿قَالُوا حَسْبُنَا﴾: كافِينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ مِن الدِّين والشَّريعةِ، قال تعالى: ﴿أَ﴾حَسْبُهم ذلك ﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾) الضميرُ عائدٌ على قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ الذين هم عَوامُّهم، والقائلُ يحتملُ أنه النبيُّ أو أصحابُهُ.

قوله: (﴿تَعَالَوْا﴾) فعلُ أمر بمعنى: أقبِلوا، وأصله: تعالَوُون، تحركت الواو الأولى وانفتحَ ما قبلها قلبت ألفاً، فصار تعالَاوْن، التقى ساكنان حذفت الألف لالتقائهما، وحُذفت النون لأن فعلَ الأمر يُبنى على ما يُجزمُ به مضارعُهُ، وهو يُجزمُ بحذف النون، وهو بفتح اللام لكلِّ مخاطب ولو أنثى، قال تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٢٨].

قوله: (﴿إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾) أي: إلى الذي أنزله الله وهو القرآن، وقوله: (﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾) معطوفٌ على (ما) أي: وتعالَوا إلى الرسول؛ أي: لِيُبيِّنَ لكم أحكامَ الله.

قوله: (أي: إلى حكمه) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ على حذف مضاف، وقوله: (من تحليل ما حرمتم) بيانٌ لحكمه، وهو البَحيرةُ والسائبةُ والوصيلةُ والحام، ومثلُ ذلك في الحرمة: ما يفعلُهُ بعضُ سفهاء العوامِّ من كونهم يُرسِلون عجلاً أو شاة على اسم وليٍّ من الأولياء، تأكلُ من أموال الناس ولا يتعرَّضُ لها أحدٌ، وإذا نصحَهُمْ إنسانٌ وقال لهم: إن ذلك حرام.. أساؤوا به الظنَّ وقالوا: إنه لا يُحِبُّ الأولياءَ، فإن اعتقدوا أن ذلك قربةٌ وطاعة فقد كفرُوا، وإلا.. فهو من جملة المحرَّمات، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨].

قوله: (﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا﴾) ﴿حَسْبُنَا﴾: مبتدأ، و﴿مَا وَجَدْنَا﴾: خبرُهُ.

قوله: (﴿أَ﴾حَسْبُهُمْ ذلك ﴿وَلَوْ كَانَ﴾... إلخ) الواو في ﴿أَوَلَوْ﴾ للحال، وهمزة الإنكار الواقعة قبلها داخلة على محذوف قدَّره المفسِّر، والمعنى: أكافِيهم دينُ آبائهم ولو كانوا... إلخ، ويصحُّ أن تكون للعطف على جملة شرطية مقدَّرة قبلَها، والتقديرُ: أيقُولون ذلك ولو كان آباؤهم يعلمون شيئاً ويَهتدون بل ولو كانوا لا يعلمون... إلخ؛ نظير: أحسِنْ إلى فلان وإن أساءَ إليك؛ أي: أحسِن إليه في حال عدم إساءته بل ولو في حال إساءتِه.

لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ....

لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحقِّ؟ والاستِفهامُ لِلإنكارِ.

﴿١٠٥﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: احفَظُوها وقُومُوا بِصَلاحِها، ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ قِيل: المُرادُ: لا يَضُرُّكم مَن ضَلَّ مِن أهلِ الكِتاب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾) عبَّرَ هنا بـ﴿يَعْلَمُونَ﴾، وفي (البقرة) بـ﴿يَعْقِلُونَ﴾، وقال هنا: ﴿مَا وَجَدْنَا﴾ وهناك: ﴿مَآ أَلْفَيْنَا﴾.. تفنُّناً.

قوله: (للإنكار) أي: والتوبيخ.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾) قيل: إنه مرتبطٌ بما قبله، فيكون قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ يعني: من أهل الكتاب، والمعنى: أن الله كلَّفَنا بقتال الكفار حتى يُسلموا ويُؤدُّوا الجزيةَ، فإذا أدَّوْها كفَفنا أنفسَنا عنهم، ولا يَضرُّنا كفرُهم، وقيل: مستأنف، نزَلت في العصاة، فالمعنى: عليك بحفظ نفسك ولا تتعرَّضْ لغيرك، فلا يَضُرُّك ضلالُ مَنْ ضلَّ.

إن قلتَ: إن هذا يُوهِمُ أن المدارَ على هدي الإنسان في نفسه، ولا يَلزمُهُ الأمرُ بالمعروف ولا النهيُ عن المنكر، وهو خلافُ النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث النبوية!

وأجيبَ: بحمل ذلك على من عجزَ عن ذلك.

وإلى هذين القولَين أشارَ المفسرُ فيما يأتي بقوله: (قيل: المراد... إلخ)، وفي الحقيقة: المرادُ ما هو أعمُّ، فإذا امتثلَ العبدُ ما أمرَهُ اللهُ به وتركَ ما نهاه عنه.. فلا يَضُرُّهُ مخالفةُ من خالَفَ[1].

قوله: (﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾) بنصب ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ على الإغراء؛ لأنَّ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ اسمُ فعل بمعنى:

---

(١) حديث المصنف رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٢٢)، ورواه أبو داوود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤) وفيه زيادة: «ودع أمر العوام؛ فإن مِن ورائكم أيام الصبر، الصبرُ فيهنَّ مثلُ قبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون بمثلِ عمله»، وأما حديث الصديق رضي الله عنه الذي رواه أبو داوود (٤٣٣٨) وغيره أنه قال: (يا أيها الناس؛ إنكم تقرؤون هذه الآية وتَضعونها على غير موضعها، وإنا سمعنا النبي ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يدَيه.. أوشك أن يَعمهم الله بعقاب» فهو مُقيَّد بالحديث قبله، أو بما ذكر المصنف بقوله: (فإذا امتثل العبد...).

وقِيل: المُرادُ غَيرُهم؛ لِحَدِيثِ أبي ثَعلَبةَ الخُشَنِيِّ: سَألتُ عنها رَسُولَ الله ﷺ فقال:

حاشية الصاوي

الزمُوا، والفاعلُ مستترٌ وجوباً تقديرُهُ: أنتم، والمعنى: الزَمُوا حفظَ أنفسكم وهِدايتَها ووقايتَها من النار، والكافُ في ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونظيرِهِ من أسماء الأفعال كـ: إليك ولديك، قيل: في محلِّ جرٍّ بـ(على) بحسب الأصل، وقيل: في محلِّ نصب ولا وجهَ له، وقيل: في محلٍّ رفع توكيد للضمير المستَتِر، وذهبَ ابنُ بابشاذ إلى أنها حرفُ خطاب. وقُرِئَ شذوذاً برفع (أنفسكم)، وخُرِّجت على أحد وجهَين:

الأول: كونُها مبتدأ، و﴿عَلَيْكُمْ﴾ خبر مقدَّم، والمعنى على الإغراء على كلِّ حال؛ فإن الإغراءَ جاء بالجملة الابتدائية، ومنه قراءةُ بعضهم: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣] بالرفع.

الثاني: أنه توكيدٌ للضمير المستتر في ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وإن كان خلافَ القياس؛ لأن القياسَ لا يُؤكَّدُ بالنفس الضميرُ المتَّصل إلا بعد الضمير المنفصل؛ لِقَول ابن مالك: [الرجز]

وَإِنْ تُـؤَكِّـدِ الـضَّـمِـيـرَ الـمُـتَّـصِـلْ ... بِـالنَّـفْـسِ وَالـعَـيْـنِ فَـبَـعْـدَ الـمُـنْـفَـصِـلْ[1]

قوله: (وقيل: المرادُ غيرُهم) أي: غيرُ أهل الكتاب من العُصاة، وليس فيها دليلٌ على ترك الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر؛ إذ قد ورَدَ: أن الصدِّيقَ قال يوماً على المنبر: يا أيُّها الناس؛ إنكم تقرؤون هذه الآيةَ وتَضعونها في غير موضعها ولا تَدرُون ما هي، وإني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إن الناسَ إذا رأوا منكراً فلم يُغيِّروه.. عمَّهم اللهُ بعقاب»، فأُمروا بالمعروف وانهَوا عن المنكر ولا تَغترُّوا بقَول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، فيقولُ أحدُكم: عليَّ نفسي، والله؛ لَتَأمرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر أو ليَستعملَنَّ اللهُ عليكم شِرارَكم فيَسُومونكم سوءَ العذاب، ثم لَيَدعوَنَّ خيارُكم فلا يُستجابُ لهم[2].

وعنه ﷺ قال: «ما مِن قومٍ عُمِلَ فيهم منكرٌ وسُنَّ فيهم قبيحٌ فلم يُغيِّروه ولم يُنكروه.. إلا وحقٌّ على الله أن يَعُمَّهم بالعقوبة جميعاً، ثم لا يُستجاب لهم»[3].

وقال الصدِّيق أيضاً: (إن هذه الآية تعدُّونها رخصةً، والله ما نزَلَ آيةٌ أشدُّ منها).

قوله: (سألت عنها) أي: عن هذه الآية، وقوله: (فقال) أي: في بيان مَعناها.

---

(١) «الخلاصة»: (باب التوكيد)، وقراءة الرفع لنافع بن أبي نعيم. انظر «الفتوحات» (١/٥٣٣).

(٢) تقدم في التعليق السابق.

(٣) رواه الواحدي في «الوسيط» (٢/٢٣٨).

إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ....

«ائتَمِرُوا بِالمَعرُوفِ وتَناهَوا عنِ المُنكَرِ، حتَّى إذا رأيتَ شُحًّا مُطاعاً وهوًى مُتَّبَعاً ودُنيا مُؤثَرةً، وإعجابَ كُلِّ ذِي رَأيٍ بِرأيِه، فعَلَيكَ نَفسَك»، رَواهُ الحاكِمُ وغيرُه، ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فيُجازِيكُم بِه.

﴿١٠٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: أسبابُه ....

حاشية الصاوي

قوله: (شحًّا مطاعاً) الشحُّ: نهايةُ البخل، وقوله: (مطاعاً) أي: يُطيعه صاحبُهُ.

قوله: (وهوًى) بالقصر، ما تميلُ إليه النفسُ من القبائح.

قوله: (متَّبعاً) أي: يَتبعُهُ صاحبُهُ.

قوله: (ودنيا مؤثرة) بهمزة ودونها؛ أي: يقدِّمُها صاحبُها على الآخرة.

قوله: (وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه) أي: فلا يُعجبُهُ رأيُ غيره، ولا يقبلُ نصيحتَهُ، زادَ الخازن في تلك الرواية بعد قوله: (فعليك بنفسك): «ودَعِ العوام، فمن ورائكم أيامُ الصبر، مَنْ صبرَ فيهنَّ قبضَ على الجمر، لِلعامل فيهن مثلُ أجر خمسين رجلاً يَعمَلون مثل عَملكم».[1] اهـ

قوله: (﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾) فيه وعدٌ لمن أطاعَ، ووعيدٌ لمن اغترَّ وعصى.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) لما بيَّنَ سبحانه ما يتعلَّقُ بمصالح الدين.. شرعَ يبيِّنُ ما يتعلَّقُ بمصالح الدنيا؛ إشارةً إلى أن الإنسان يَنبغي له أن يَضبطَ مصالحَ دِينه ودنياه؛ لأنه مُكلَّفٌ بحفظهما.

قوله: (﴿شَهَٰدَةُ﴾) مبتدأ، و﴿بَيۡنِكُمۡ﴾: مضافٌ إليه، و﴿إِذَا﴾: ظرفٌ لـ﴿شَهَٰدَةُ﴾، و﴿حَضَرَ﴾: فعلٌ ماض، و﴿أَحَدَكُمُ﴾: مفعوله مقدَّم، و﴿ٱلۡمَوۡتُ﴾: فاعلٌ مؤخَّر، و﴿حِينَ﴾: بدلٌ من الظرف قبله، وقوله: ﴿ٱثۡنَانِ﴾ خبره، إن قلتَ: إن الذاتَ لا يُخبَرُ بها عن المعنى ولا عَكسه!

أجيبَ: بأن الكلامَ على حذف مضاف؛ إمَّا في الأول تقديرُهُ: ذَوا شهادة أحدكم اثنان، أو في الثاني وتقديرُهُ: شهادة اثنين، وقوله: ﴿ذَوَا عَدۡلٖ﴾ صفةٌ لـ﴿ٱثۡنَانِ﴾، والعدلُ: هو الذكرُ البالغُ العاقلُ غيرُ مرتكب كبيرة ولا صغيرة خسَّة وغير مُصِرٍّ على صغيرة غيرها.

---

(١) تقدم قريباً بهذه الزيادة.

حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ ....

﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ خبرٌ بمعنى الأمرِ، أي: لِيَشهَدْ، وإضافةُ ﴿شَهَٰدَةُ﴾ لِـ(بين) على الاتِّساع، و﴿حِينَ﴾ بَدَلٌ من ﴿إِذَا﴾ أو ظرفٌ لـ﴿حَضَرَ﴾، ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ

حاشية الصاوي

قوله: (خبر بمعنى الأمر) أي: فهي جملةٌ خبرية لفظاً إنشائيةٌ معنًى.

قوله: (أي: يُشهد) بضم الياء من: أَشْهَدَ الرباعي، وتلك الشهادةُ يحتملُ أن تكون حقيقةً، فاشتراط العدالة ظاهر، ويحتملُ أن المرادَ بالشهادة: الوَصيةُ، والمعنى: إذا حضرَ أحدَكم الموتُ فليُوصِ اثنين، وعلى هذا: فاشتراطُ العدالة من حيث الوصية؛ أي: كونه عَدلاً في الوصية، بأن يحسنَ التصرُّفَ فيها فيما وُلِّيَ عليه، وأما كونُهما اثنين فشرطُ كمال، ولكون سبب النزول كذلك كما سيأتي.

قوله: (على الاتساع) أي: التسمُّح والتجوُّز، وكان حقُّها أن تضافَ إلى الأموال، وإنما أُضِيفت إلى البين؛ لأن الشهادةَ على الأموال تَمنعُ فسادَ البين.

قوله: (بدل من ﴿إِذَا﴾) أي: فكلٌّ منهما ظرفٌ لـ﴿شَهَٰدَةُ﴾، وقوله: (أو ظرف لـ﴿حَضَرَ﴾) أي: فقولُه: ﴿إِذَا﴾ ظرفٌ لـ﴿شَهَٰدَةُ﴾، فعلى الثاني: تَغايرَ متعلَّقُ الظرفين.

قوله: (﴿أَوْ ءَاخَرَانِ﴾) معطوفٌ على ﴿ٱثْنَانِ﴾ أي: فإن لم يجدِ العدلَين لكون رُفقتِه في السفر كفاراً كما هو سببُ النزول.. فليُشهدْ أو يُوصي آخرينِ، وحاصله لأجل اتضاح المعنى: أن بُزَيلاً السهمي مولى عمرو بن العاص ـ وقيل: بُدَيل بالدال ـ وعَدِيَّ بنَ بَدَّاء وتميم الداريَّ سافروا من المدينة إلى الشام بتجارة، فحَضرت بُزَيلاً السهمي الوفاة وكان مسلماً، وعديٌّ وتميم نَصرانيان، فكتب مَتاعَهُ في وثيقة، ومن جملة ما كتبَ في الوثيقة: جامٌ من الفضة قدرُهُ ثلاثُ مئة مثقال مُخَوَّصٌ بالذهب[1]، وأمرَهما أن يُسلِّما متاعَهُ لورثته، ثم قُضي عليه، ففتَّشا متاعَهُ فوَجدا ذلك الجام، فأخذاه وباعاه بألف دِرهم، فلمَّا حضرا سلَّما متاعَهُ لِوَرثته، فوجدوا فيه صحيفةً مكتوباً فيها جميعُ المتاع، ومِن جُملته: جامٌ من فضة، ففتَّشوا عليه فلم يَجدوه، فقالوا لهما: أصاحِبنا قد تمرَّضَ وأنفقَ على نفسه؟ قالا: لا، قالوا: فهل باعَ من متاعه شيئاً؟ قالا: لا، قالوا: فأين الجامُ؟ قالا: لا عِلمَ لنا به، فارتفعَ أقاربُ بُزَيل إلى رسول الله ﷺ وأخبرُوه بالواقعة، فأحضرَ عديًّا وتميماً فسألهما عنه،

---

(١) جامٌ مُخَوَّص: كأس مَنقوش عليه، وسيأتي بيانه قريباً.

غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ....

﴿غَيۡرِكُمۡ﴾ أي: غيرِ مِلَّتِكُم ﴿إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ﴾: سافرتُم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا﴾: تُوقِفُونَهما ـ صفةُ ﴿ءَاخَرَانِ﴾ ـ ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: صلاةِ العصر، ﴿فَيُقۡسِمَانِ﴾: يَحلِفانِ ﴿بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: شَكَكتُم فِيهما، ويَقُولانِ: ﴿لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ﴾: بالله ﴿ثَمَنٗا﴾: عِوَضاً نأخُذُه بَدَلَه مِن الدُّنيا، بأن نَحلِفَ بِه أو نَشهَدَ كَذِباً لِأجلِه، ﴿وَلَوۡ كَانَ﴾

حاشية الصاوي

فقالا: لا عِلمَ لنا به، فنزلت الآية، فأحضرَهما بعد صلاة العصر عند المنبر وحَلَّفَهما، ثم بعد ذلك ظهرَ الجامُ قيلَ: بمكة مع رجل، وقيل: بِيَدهما، فأخبروا رسولَ الله بذلك، فنزلت الآيتان الأخيرتان، فأحضرَ رسولُ الله عمرو بن العاص والمطَّلبَ بن أبي وداعة[1] فحلَّفَهما لَشهادتنا أحقُّ من شَهادتهما وما اعتَدَينا، فأُعطيَ الجامُ لهما[2].

قوله: (﴿إِنۡ أَنتُمۡ﴾) شرطٌ في المعطوف، وقوله: ﴿أَنتُمۡ﴾: فاعلٌ بفعل محذوف يفسِّرُه قوله: ﴿ضَرَبۡتُمۡ﴾، فجملةُ ﴿ضَرَبۡتُمۡ﴾ لا محلَّ لها من الإعراب؛ لأنها مُفسِّرةٌ للمحذوف، وقوله: (﴿فَأَصَٰبَتۡكُم﴾) معطوفٌ على ﴿ضَرَبۡتُمۡ﴾.

قوله: (صفة ﴿ءَاخَرَانِ﴾) أي: وجملةُ الشرط وجوابِهِ مُعترضةٌ بين الصفة والموصوف.

قوله: (أي: صلاة العصر) أي: فـ(ألْ) لِلعهد؛ لأنَّ وقتَ العصر مُعظَّمٌ في جميع المِلَل، وإنما كان معظَّماً لأنه وقتُ نزولِ ملائكة الليل وصُعودِ ملائكة النهار.

قوله: (﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾) شَرطٌ في تحليفِهما.

قوله: (ويقولان: ﴿لَا نَشۡتَرِي﴾ . . . إلخ) بيانٌ لِكيفية يَمينهما.

قوله: (بأن نحلف به أو نشهد. . . إلخ) أشارَ بذلك إلى قولين: قيل: قالوا: لا علمَ لنا به، وقيل: قالوا: أوصى به للغير وأعطَيناه له، وسياقُ الآية في يَمينهما يشهدُ الثاني.

قوله: (كاذباً) المناسبُ: كذباً.

---

(١) وكانا من أولياء بُزَيل، وممن اطَّلَع على ما كتب في وَصيته.

(٢) الخبر مجملاً رواه البخاري (٢٧٨٠) عن ابن عباس ﵄، وسياق المصنف هنا عند الخازن في «تفسيره» (٢/ ٨٦).

ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا ....

المُقسَمُ لَه أو المَشهُودُ له ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾: قَرابةٍ مِنَّا، ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ التي أُمِرْنا بِها، ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إنْ كَتَمْناها ﴿لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ﴾.

﴿١٠٧﴾ ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: اطُّلِعَ بعد حَلِفِهما ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ أي: فعَلَا ما يُوجِبُه مِن خِيانةٍ أو كَذِبٍ في الشَّهادةِ، بِأن وُجِدَ عِندَهما مَثلاً ما اتُّهِما بِه، وادَّعَيا أنَّهُما ابْتاعاهُ مِن المَيِّت أو وصَّى لَهُما بِه، ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في تَوَجُّهِ اليَمِين علَيهما، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوَصِيَّةُ وهُم الوَرَثةُ، ويُبدَلُ مِن ﴿ءَاخَرَانِ﴾: ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ بِالمَيِّتِ أي: الأقربانِ إلَيهِ، وفي قِراءة: (الأَوَّلِينَ) جَمعُ (أَوَّل) صِفَة أو بَدَلٌ مِن ﴿ٱلَّذِينَ﴾، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ على خِيانةِ الشَّاهِدَينِ ويَقُولانِ: ﴿لَشَهَـٰدَتُنَآ﴾: يَمِينُنا ﴿أَحَقُّ﴾: أصدَقُ ﴿مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾: يَمِينِهما، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا نَكْتُمُ﴾) معطوفٌ على ﴿نَشْتَرِى﴾.

قوله: (بأن وجد عندهما) أي: وقيل: عند رجل مكّي باعاه له بألف درهم كما سيأتي.

قوله: (فادعيا أنهما ابتاعاه... إلخ) إشارةٌ لوجهين في دعواهما، وسيأتي الثالث في قوله: (ودفعه إلى شخص زعماً أن الميتَ أوصى له به).

قوله: (﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾) أي: لهم، ونائبُ الفاعل قدَّرَهُ المفسرُ بقوله: (الوصية)؛ أي: الإيصاء.

قوله: (﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾) تثنية أَوْلَى بمعنى: أقرَب؛ كما قال المفسِّر.

قوله: (جمع أوَّل) أي: بمعنى: أسبَق، وهي بمعنى القراءة الأولى من حيث إنهم أقاربُ الميت.

قوله: (﴿فَيُقْسِمَانِ﴾) عطفٌ على ﴿يَقُومَانِ﴾.

قوله: (يمينُنا) أي: فالمرادُ بالشهادة: اليمين.

وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ....

﴿وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ﴾: تَجاوَزْنا الحَقَّ في اليَمِينِ، ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

المعنَى: لِيُشهِد المُحتَضَرُ على وصِيَّتِه اثنَينِ، أو يُوصِي إلَيهِما مِن أهلِ دِينِه، أو غيرِهم إن فَقَدَهُم لِسَفَرٍ ونَحوِه، فإنِ ارتابَ الوَرَثَةُ فِيهِما، فادَّعَوا أنَّهُما خانَا بِأخذِ شَيءٍ أو دَفعِه إلى شَخصٍ زَعَمَا أنَّ المَيِّت أوصَى لَه بِه، فلْيَحلِفَا . . . إلى آخِرِه، فإنِ اطُّلِعَ على أمارَةِ تَكذِيبِهما، فادَّعَيا دافِعاً لَه، حَلَفَ أقرَبُ الوَرَثةِ على كَذِبِهما وصِدْقِ ما ادَّعَوهُ. والحُكمُ ثابِتٌ في الوَصِيَّينِ مَنسُوخٌ في الشَّاهِدَينِ، وكذَا شَهادةُ غَيرِ أهلِ المِلَّة مَنسُوخةٌ، واعتِبارُ صَلاةِ العَصر لِلتَّغلِيظِ، وتَخصِيصُ الحَلِف في الآيةِ بِاثنَينِ مِن أقرَبِ الوَرَثةِ لِخُصُوصِ الواقِعةِ الَّتي نَزَلَت لَها، وهي ما رَواهُ البُخارِيُّ: أنَّ رَجُلاً مِن بَنِي سَهمٍ خَرَجَ مع تَمِيمِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ﴾) هذا من جُملة اليمين.

قوله: (المعنى) أي: معنى الآيتين.

قوله: (أو يوصي) إشارةٌ للتفسير الثاني.

قوله: (إن فقدهم) أي: أهلَ دينه.

قوله: (بأخذ شيء) أي: وقد ادَّعيا أنهما اشترياه من الميت، أو أنه أوصى لهما به.

قوله: (دافعاً له) أي: لمَّا ادُّعيَ عليهما من الخيانة.

قوله: (منسوخ في الشاهدين) أي: عند من يشترطُ في الشهود الإسلام ولو عند فقد المسلمين، وأما عند من لا يشترطُ ذلك عند الفقد.. فلا نسخَ.

قوله: (للتغليظ) أي: لأن الضميرَ تغلَّظَ بالزمان ككونها بعد العصر، والمكان ككونها في المسجد في الحقوق المهمَّة من أموال وغيرها.

قوله: (وتخصيص الحلف في الآية باثنين) أي: مع أنه يصحُّ من واحد أو أكثرَ ممَّن يُظَنُّ به العلمُ من المستَحقين.

قوله: (أن رجلاً) تقدَّم أن اسمَه بُزَيل، وقيل: بُدَيل، بالزاي أو الدال.

قوله: (مع تميم) أي: وقد أسلمَ بعد ذلك وصارَ من مشاهير الصحابة، وكان يحدِّثُ بالواقعة.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ ....

الدَّارِيِّ وعَدِيِّ بن بُدَّاءٍ ـ أي: وهُما نَصرانِيَّان ـ فماتَ السَّهمِيُّ بِأرضٍ ليسَ فيها مُسلِمٌ، فلَمَّا قَدِمَا بِتَرِكَتِه فَقَدُوا جاماً مِن فِضَّةٍ مُخوَّصاً بالذَّهَبِ، فرُفِعا إلى النَّبِيِّ ﷺ، فنزَلَت، فأحلَفَهُما، ثُمَّ وُجِدَ الجامُ بِمكَّةَ فقالُوا: ابتَعناهُ مِن تَمِيمٍ وعَدِيٍّ، فنزَلَت الآيةُ الثَّانِيَةُ، فقام رَجُلانِ مِن أولياءِ السَّهمِيِّ فحَلَفا، وفي رِوايَةِ التِّرمذيِّ: فقام عَمرُو بن العاصِ ورَجُلٌ آخَرُ مِنهُم فحَلَفا، وكانَا أقرَبَ إليهِ، وفي رِوايةٍ: فمَرِضَ فأوصَى إلَيهِما، وأمَرَهُما أن يُبلِّغَا ما تَرَكَ أهلَه، فلَمَّا مات أخَذَا الجام ودَفَعَا إلى أهلِه ما بَقِي.

(١٠٨) ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحُكمُ المَذكُورُ مِن رَدِّ اليَمِينِ على الوَرَثَةِ ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقرَبُ إلى ﴿أَن يَأْتُوا۟﴾ أي: الشُّهُودُ أو الأوصِياءُ ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ الذي تَحمَّلُوها علَيهِ، مِن غَيرِ تَحرِيفٍ ولا خِيانَةٍ، ﴿أَوْ﴾ أقرَبُ إلى أن ﴿يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ على الوَرَثَةِ المُدَّعِين، فيَحلِفُون على خِيانَتِهم وكَذِبِهم، فيَفتَضِحُون ويَغرَمُون، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وعدي بن بداء) ولم يثبت إسلامُهُ، وبَدَّاء بفتح الموحدة والدال المشددة بعده ألف ثم همزة.

قوله: (جاماً) الجامُ في الأصل: الكأس، ولكن المرادُ به هنا: إناءٌ كبيرٌ من فضة وزنُهُ ثلاث مئة مثقال.

قوله: (مُخَوَّصاً بالذهب) أي: منقوشاً به.

قوله: (فأحلفهما) أي: بعد العصر عند المِنبر.

قوله: (فقال) أي: الرجل، وقوله: (ابتعناه)؛ أي: بألف درهم.

قوله: (فقام رجلان) سيأتي في الرواية الأخرى اسمُ أحدِهما وهو عمرو بن العاص، والثاني هو المطلب بنُ أبي وداعة.

قوله: (من ردِّ اليمين على الورثة) أي: تَوجهها عليهم بعد أن حلفَ تميمٌ وعديٌّ وظهرَ كذبُهما.

قوله: (﴿أَن يَأْتُوا۟﴾) المقام لِلتثنية، وكذا قوله: ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟﴾ أيضاً، وإنما جمع لأنَّ المرادَ ما يعمُّ الشاهدينِ المذكورينِ وغيرَهما، وإنما رُدَّت اليمينُ على الوارث مع أن حقَّها أن تكونَ من الوصيَّين لا غير لأنه مُدَّعًى عليهما؛ إما لِظهور خيانتهما فبطلَ تصديقُهما باليمين، أو لتغيُّر الدعوى؛ أي: انقلابها؛ لأنه صار المدَّعَى عليه مُدَّعياً حيث ادَّعَى المِلك.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ﴾ ......

فلا يَكذِبُوا، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بتركِ الخِيانةِ والكَذِبِ، ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ ما تُؤمَرُون بِه سَماعَ قَبُولٍ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: الخارِجِينَ عن طاعَتِه إلى سَبِيل الخَير.

١٠٩ اذكُر ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ هو يَومُ القِيامةِ، ﴿فَيَقُولُ﴾ لَهُم تَوبِيخاً لِقَومِهم: ﴿مَاذَآ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (فلا يكذبوا) أي: فلا يأتوا باليمين كاذبة، والمعنى: أنه إنما شرعَ اللهُ ردَّ اليمين على الورثة في مثل هذه الواقعة؛ لِيتحفَّظَ الشاهدُ أو الوصيُّ من اليمين الكاذبة، أو يَبني على حصول الفضيحة.

قوله: (إلى سبيل الخير) متعلق بـ﴿يَهۡدِي﴾، وفي بعض النسخ: (إلى سبيل الشرِّ)، فيكون متعلقاً بـ(الخارِجِين).

تنبيهٌ: ما كتَبناه في تفسير تلك الآيات الثلاث هو جهْدُ المقلِّ، وإلا.. فلم يزل العلماءُ يَستشكلونها إعراباً وتفسيراً وأحكاماً، وقالوا: إنها من أصعب آيِ القرآن وأشكَلِه[1].

قوله: (اذكر) قدَّرَهُ المفسِّرُ؛ إشارةً إلى أن ﴿يَوۡمَ﴾ ظرفٌ متعلِّقٌ بمحذوف.

قوله: (﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾) أي: الثلاث مئة وثلاثةَ عشرَ أو أربعةَ عشرَ أو خمسةَ عشرَ، والحقُّ: أنه لا يَعلمُ عدَّتَهم إلا الله.

قوله: (﴿فَيَقُولُ﴾) مقتضى الآية: أنه يجمعُهم في سؤال واحد، ولكن يرى كلُّ واحد منهم أنه المسؤولُ لا غيرُهُ، وترى كلُّ أمَّة أنَّ رسولَها هو المسؤول، ولا مانعَ من ذلك؛ فإن الله يحولُ بين المرء وقلبه.

قوله: (توبيخاً لقومهم) دفعَ بذلك ما يُقالُ: كيف يسألُ اللهُ الرسلَ مع أنه العالمُ بِالحقيقة؟ فأجابَ: بأن حكمةَ السؤال: توبيخُ الأُمَم على ما وقعَ منهم من الكفر والعصيان، وليس المقصودُ أن اللهَ يعلمُ شيئاً لم يكنْ عالماً به من قبلُ، تنزَّهَ اللهُ عن ذلك، يوضحُ هذا الجوابَ قولُهُ تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ...﴾ إلى أن قال: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٤٢].

---

(١) القول لمكي بن أبي طالب كما نَقله عنه العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٥٣٤).

أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ....

أي: الَّذي ﴿أُجِبْتُمْ﴾ بِه حِين دَعوتُم إلى التَّوحِيد؟ ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بِذلك، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: ما غاب عن العِبادِ وذَهَبَ عَنهُم عِلمُه؛ لِشِدَّة هَولِ يوم القِيامةِ وفَزَعِهم، ثُمَّ يَشهَدُون على أُمَمِهم لَمَّا يَسكُنُون.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الذي) أشارَ بذلك إلى أن (ما) اسمُ استفهام مبتدأ، و﴿ذا﴾: اسم موصول خبر، و﴿أُجِبْتُمْ﴾: صلتُهُ، والعائدُ محذوف قدَّره المفسرُ بقوله: (به)، قال ابن مالك: [الرجز]

وَمِـثْـلُ مـا (ذا) بَـعْـدَ (مـا) اسْـتِـفْـهـامِ ... أَوْ (مَـنْ) إذا لَـمْ تُـلْـغَ فِـي الـكَـلامِ[1]

قوله: (بذلك) أي: بما أجبنا به.

قوله: (﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾) علةٌ لما قبله؛ أي: فعِلمُنا في جانب علمِكَ كلا شيء؛ أي: إنك تعلمُ ما غابَ عنَّا وما ظهرَ، وأما عِلمُنا فهو قاصرٌ على بعض ما ظهرَ.

قوله: (وذهب عنهم علمه... إلخ) جوابٌ عمَّا يُقالُ: كيف يَقولون: لا علمَ لنا مع أنهم عالِمون بذلك؟ فيلزم عليه الإخبار بِخلاف الواقع! فأجابَ: بأن في ذلك الوقت يتجلَّى الله بالجلال على كلِّ أحد، حتى ينسى الرسلُ العصمةَ والمغفرة، وتَذهلُ كلُّ مرضعة عمَّا أرضعَت، وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]؛ أي: انتهاءً، وأما في ابتداء الموقف.. فلِشدة الهول يكونون جِثِيًّا على الرُّكَب يقولون: ربِّ؛ سلِّمْ سلِّمْ، فحينئذٍ يحصلُ لهم ذُهول ونسيان لما أُجيبوا به، فإذا أَمِنوا وسكنَ روعُهم.. شهدوا على أُمَمِهم، فلا منافاةَ.

وأجيب أيضاً: بأن معنى قولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ تفويضُ الحكم والعِلم لله، كأنهم يقولون: أنت الحكَمُ العدْلُ وهم عَبِيدُك، فلا علاقةَ لنا بهم، وأجيبَ أيضاً: بأن المرادَ نفيُ العلم الحقيقي؛ إذ هو لا يكونُ إلا لله؛ لأنه المطَّلعُ على السرائر والظواهر، وأما نحن فإنما نعلمُ منهم ما ظَهر.

وما ذكره المفسِّرُ من أن الأنبياء يحصلُ لهم الفزعُ ابتداءً حتى يَذهلون عن جواب أممهم لهم ثم يَسكنون.. أحدُ طريقتين، والطريقةُ الثانية وعليها المحقِّقون: أن الرسلَ ومَنْ كان على قَدَمهم آمنون ابتداءً وانتهاءً، وإنما الفزعُ والهول للكفار والفسَّاق، وأما قول الرسل حينئذٍ: «نَفسي نفسي لا أملكُ غيرَها».. فلا يقتضي حصولَ الفزع، وإنما معنى ذلك أنه يقولُ: ليست الشفاعةُ العُظمى

---

(١) «الخلاصة»: (باب الموصول).

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ....

(١١٠) اذكُر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ بِشُكرِها، ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾: قَوَّيتُك ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: جِبريلَ، ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ - حالٌ مِن الكاف في ﴿أَيَّدتُّكَ﴾ - ﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾ أي: طِفلاً ﴿وَكَهْلًا﴾ يُفيدُ نُزُولَه قبلَ السَّاعةِ؛ ....

حاشية الصاوي

لي، وإنما هي لغيري، فلا أملكُ إلا نفسي، ولم يَجعل اللهُ لي الشفاعةَ العامَّة، وذهابُ الأمم للرسل وردُّهم إيَّاهم إنما هو إظهارٌ لفضله ﷺ، وذلك هو المقامُ المحمُود، فالأحسَنُ الجوابُ الثاني والثالث[1].

قوله: (اذكر) قدَّره؛ إشارةً إلى أن ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ متعلِّقٌ بمحذوف، وليس متعلقاً بما قبله؛ لأنَّ هذه قصةٌ مُستقلة.

قوله: (﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾) ﴿يا﴾: حرفُ نداء، و﴿عِيسَى﴾: منادى مبني على ضمٍّ مقدَّر على الألف منعَ من ظهورها التعذُّر في محلِّ نصب، و﴿ٱبْنَ﴾: نعتٌ له بِاعتبار المحلِّ.

قوله: (﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِي﴾) المقصودُ من ذلك: توبيخُ الكفرة حيث فرَّطوا في حقِّه وأفرطوا، وليس المرادُ تكليفَهُ بالشكر في ذلك اليوم؛ لانقِطاع التكليف بالموت.

قوله: (قوَّيتك ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾) أي: فكان يسيرُ معه حيث سارَ، يُعينُهُ على الحوادث التي تقعُ، ويُلهِمُهُ العلومَ والمعارف.

قوله: (﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾) تقدَّمَ: أن المهدَ فراشُ الصبي، ولكن المرادُ منه الطُّفولية، فتكلَّم بقوله: إني عبد الله إلى آخر ما في سورة (مريم).

قوله: (﴿وَكَهْلًا﴾) إنما ذكرَ ذلك؛ إشارةً إلى أن كلامَهُ على نسقٍ واحد في ذكاء العقل وغَزارة العلم.

قوله: (كما سبق في (آل عمران)) الذي سبقَ له فيها أنه رُفِعَ وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنة وهو سنُّ الكهولة؛ لأن مِن الثلاثين للأربعين هو سنُّ الكهولة، فقوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾ صادقٌ بكلامه قبل

(١) أي: إما تفويضُ الحكم والعلم لله تعالى، أو نفيُ العِلم الحقيقي.

وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ ....

لِأَنَّهُ رُفِعَ قبلَ الكُهُولةِ كما سَبَقَ في (آل عِمرانَ)، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ﴾: كصُورةِ ﴿ٱلطَّيْرِ﴾ ـ والكافُ اسمٌ بِمعنى (مِثْل) مَفعُولٌ ـ ﴿بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾: بِإرادتِي، ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ مِن قُبُورِهم أحياءً ﴿بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ حِينَ هَمُّوا بِقَتلِك، ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾: المُعجِزاتِ، ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ﴾: ما ﴿هَـٰذَآ﴾ ....

حاشية الصاوي

الرفع وبَعده، فلا يصحُّ قوله هنا: (لأنه رفع قبل الكهولة)، ولكن الذي تقدَّمَ لنا: أنه بُعِثَ على رأس الأربعين كغيره، ومَكث ثمانين بعد البعثة، ورُفِعَ وهو ابنُ مئة وعشرين سنة، فإذا نزلَ عاشَ أربعين، فيكون مدَّةُ عمره مئةً وستين سنة، فيكون معنى قوله: ﴿فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ صغيراً وكبيراً، فعلى هذا: ليس في الآية دليلٌ على نُزُوله، وإنما نزولُهُ مأخوذٌ من غير هذا المحلِّ.

قوله: (﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾) الكتابة، وقوله: (﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾) أي: العِلم النافع، وقوله: (﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ﴾) أي: كتاب موسى، (﴿وَٱلْإِنجِيلَ﴾) كتابه هو، وهو ناسخٌ لبعض ما في التوراة، وهو مُكلَّفٌ بالعمل بما في التوراة ما عدَا ما نسخَهُ الإنجيلُ منها، فيكون العملُ بما في الإنجيل.

قوله: (﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾) تقدَّمَ أنه الخُفَّاش.

قوله: (﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾) هو مَن خُلِقَ من غير بَصَر.

قوله: (﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾) تقدَّمَ: أنه أحيا سامَ بن نوح ورجلَين وامرأة، قيل: وجارية، فيكون جميعُ من أحياهم خمسةً[1].

قوله: (حين همُّوا) أي: اليهود بقتلك، فرَفعتك إلى السماء، وألقيتُ شبهَكَ على صاحبهم فقتلوه.

---

(١) انظر (١/ ٥١٦).

إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ....

الَّذي جِئتَ به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، وفي قِراءة: (ساحِرٌ) أي: عِيسى.

﴿١١١﴾ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾: أمَرتُهم على لِسانِه، ﴿أَنْ﴾ أي: بِأنْ ﴿آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ عِيسى، ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بِهما، ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿١١٢﴾ اذكُر ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ أي: يَفعَلُ ﴿رَبُّكَ﴾ - وفي قِراءة بِالفَوقانيَّة ....

حاشية الصاوي

قوله: (الذي جئت به) أي: ويحتمل أن اسمَ الإشارة عائدٌ على عيسى مبالغةً؛ على حدِّ: زيدٌ عدْلٌ.

قوله: (أمرتهم على لسانه) دفعَ بذلك ما يُقال: إن الإيحاءَ لا يكونُ إلا للرسل، والحواريُّون ليسوا رسلاً! فأجابَ: بأن المرادَ بالوحي الأمرُ على لسان عيسى، وأجابَ غيرُهُ: بأن المرادَ بالوحي الإلهامُ على حدِّ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٧].

قوله: (﴿أَنْ آمِنُوا﴾) (أنْ): تفسيرية بمعنى (أي)؛ لأنه تقدَّمَها جملةٌ فيها معنى القول دُون حروفه.

قوله: (﴿إِذْ قَالَ﴾) ظرفٌ لمحذوف قدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: (اذكر)، وهو كلامٌ مُستأنف لا ارتباطَ له بما قبله؛ لأنَّ المقصودَ بما تقدَّمَ تَعدادُ النعم على عيسى، والمقصود ممَّا هنا: إعلامُ هذه الأمة بما وقعَ لأمة عيسى من التعنُّت في السؤال وما تَرتَّبَ عليه، وإن كان فيها نعمةٌ لعيسى أيضاً، لكنها غيرُ مقصودة بالذكر.

قوله: (﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾) هم أوَّلُ مَنْ آمنَ بعيسى.

قوله: (أي: يفعل) أي: فأطلقَ اللازمَ وهو الاستطاعة، وأراد الملزومَ وهو الفعلُ، ودفعَ بذلك ما يقالُ: إن الحواريين مُؤمنون، فكيف يشكُّون في قُدرة الله؟ وشذَّ من قال بكفرهم كالزمخشري[١].

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[٢].

---

(١) «تفسير الزمخشري» (١/ ٦٩٢).

(٢) وهي قراءة الكسائي. انظر «الفتوحات» (١/ ٥٤٢)، وسيأتي.

أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن ....

ونَصْبِ ما بعدَه ـ أي: تَقدِرُ أن تَسألَه ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ﴾ لَهُم عِيسى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في اقتِراحِ الآياتِ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿١١٣﴾ ﴿قَالُواْ نُرِيدُ﴾ سُؤالَها مِن أجلِ ﴿أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾: تَسكُنَ ﴿قُلُوبُنَا﴾ بِزيادةِ اليَقِينِ، ﴿وَنَعْلَمَ﴾: نَزدادَ عِلماً ﴿أَن﴾ ـ مُخَفَّفةٌ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ونصب ما بعدها) أي: على التَّعظيم[1].

قوله: (أي: تقدرُ أن تسألَهُ) أي: فالكلامُ على حذف مضاف في هذه القراءة الثانية، والتقدير: هل تستطيعُ سؤالَ ربِّك؟ وإنما قالوا ذلك؛ خوفاً من أن تكونَ هذه المسألة كسؤال موسى الرُّؤية فلم تحصل، وكسُؤال قومه الرؤية أيضاً فأخذتهم الصاعقة، وهذه القراءةُ للكسائي، وكانت عائشةُ رضي الله عنها تقرأُ بها وتقول: جلَّ الحواريون عن كَونهم يَشكُّون في قدرة الله تعالى.

قوله: (﴿مَآئِدَةً﴾) هي ما يُبسطُ على الأرض من المناديل ونحوها، وأما الخِوان فهو: ما يُوضعُ على الأرض وله قوائم، وأما السفرةُ فهي: ما كانت من جِلد مستدير، فالخِوانُ فعلُ الملوك، والمناديلُ فعلُ العجم، والسُّفَرُ فعلُ العرب، والمقصودُ هنا: الطعامُ الذي يُؤكلُ، كان على خِوان أو غيره، والمائدةُ إما من: الميد وهو التحرُّك؛ لأنها تميدُ بما عليها من الطعام، وعليه: فهي اسمُ فاعل على أصلِها، أو من: مادَهُ بمعنى: أَعطاه، فهي فاعلة بمعنى: مفعولة؛ أي: مُعطاة.

قوله: (﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾) أي: تأدَّبوا في السؤال ولا تخترعوا أموراً خارجةً عن العادة؛ فإنَّ الأدبَ في السؤال أن يسألَ أمراً معتاداً، ومِن هنا: حرَّمَ العلماءُ الدعاءَ بالمستحيل بما تُحيلُهُ العادةُ.

قوله: (في اقتراح الآيات) أي: اختراعها.

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾) جوابُ الشرط محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

قوله: (﴿أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾) قيلَ: اقتياتاً، وقيل: تبرُّكاً، وهو المتبادر.

قوله: (بزيادة اليقين) أي: لأن الانتقالَ من علم اليَقين إلى عين اليقين أقوى في الإيمان.

---

(١) «الدر المصون» (٤/٤٩٩).

قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ......

أي: أنَّك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادِّعاءِ النُّبوَّة، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

﴿١١٤﴾ ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا﴾ أي: يومُ نُزُولها ﴿عِيدًا﴾ نُعظِّمه ونُشَرِّفُه، ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾ - بَدَلٌ مِن ﴿لَنَا﴾ بإعادةِ الجارِّ - ﴿وَءَاخِرِنَا﴾ مِمَّن يَأتي بَعدَنا، ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ على قُدرتِك ونُبوَّتي، ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ إيَّاها ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾) قدَّرَ المفسرُ اسمَ (أن) غير ضمير الشأن، وهو شاذٌّ، فالمناسب أن يقول: أي: أنه؛ لأن (أن) إذا خُفِّفت كان اسمُها ضميرَ الشأن[1].

قوله: (﴿عَلَيْهَا﴾) متعلقٌ بـ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، والمعنى: ونكون من الشاهدِين عليها عند مَن لم يحضُرْها؛ ليزدادَ من آمن بشهادتنا يقيناً وطُمأنينة.

قوله: (﴿قَالَ عِيسَى﴾) أي: حين أبدَوا هذه الأمورَ، فقامَ واغتسلَ ولبس المِسْحَ وصلَّى ركعتين، فطاطأَ رأسَهُ وغضَّ بصرَهُ وقال: اللهمَّ؛ ربَّنا. . . إلخ، وهذه الآدابُ لا تخصُّ عيسى، بل ينبغي لكلِّ داعٍ فعلُها؛ لأنَّ إظهارَ الذلِّ والفاقة في الدعاء من أسباب الإجابة.

قوله: (أي: يوم نزولها) أي: وقد نزَلت يومَ الأحد، فاتخذَهُ النصارى عيداً.

قوله: (﴿عِيدًا﴾) هو مشتَقٌّ مِن العَود، وهو الرجوع؛ لأنه يعودُ، وجمعُهُ: أعياد، وتصغيرُهُ: عُيَيْد، وكان قياسه: أعواداً وعُوَيْداً، وإنما فَعلوا ذلك فرقاً بينه وبين عُود الخشب.

قوله: (بدلٌ من ﴿لَنَآ﴾) أي: بدلُ كلٍّ من كلٍّ.

قوله: (﴿وَٱرْزُقْنَا﴾) أي: انفعنا بها، وهو مغايرٌ لما قبله؛ لأنه لا يلزمُ من الأكل انتفاعُهم بها.

قوله: (﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾) تتميمٌ لما قبله على وجه الاستدلال، كأنه قال: وارزُقنا لأنك خيرُ الرازقين، واسمُ التفضيل على بابه من حيث إنَّ أسبابَ الرزق كثيرة واللهُ خيرُ مَن يأتي بالرزق؛ لأنه الخالقُ والموجدُ له، وأما غيرُهُ فهو رازقٌ باعتبار أنه سببٌ في الرزق وجارٍ على يدَيه.

---

(١) أو يقال: إن هذا مجرَّد حلِّ معنى كما ذكر الشيخ الأجهوري. انظر «الفتوحات» (١/ ٥٤٣).

قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ....

﴿١١٥﴾ ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ مُستَجِيباً لَه: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا﴾ ـ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد ـ ﴿عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ أي: بعدَ نُزُولِها ﴿مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فنزَلَت المَلائكةُ بِها مِن السَّماء، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾) أي: على لسان مَلك، أو إلهاماً له.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿بَعْدُ﴾) مبنيٌّ على الضم؛ لحذف المضاف إليه ونيَّة معناه.

قوله: (بعد نزولها) إشارةٌ إلى تقدير المضاف إليه.

قوله: (﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾) الضميرُ عائدٌ على العذاب[2]، والمعنى: لا يكون ذلك العذابُ لأحدٍ من العالمين من حيث شِدتُهُ وقبحُهُ، والجملةُ صفةٌ لـ﴿عَذَابًا﴾.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) أي: عالمي زمانهم أو مطلقاً، والشدَّةُ في الدنيا والآخرة؛ لما قيل: إن أشدَّ الناس عذاباً يومَ القيامة المنافقون، ومَنْ كفرَ من أصحاب المائدة، وآلُ فرعون[3].

قوله: (فنزلت الملائكة) رُوِيَ: أنها نزلت سفرةٌ حمراءُ مُدورةٌ، وعليها منديلٌ بين غمامَتين، غمامة من فوقها، وغمامة من تحتها، وهم ينظرون إليها حتى سَقطت بين أيديهم، فبكى عيسى وقال: اللهمَّ، اجعلني من الشاكرين، ثم قامَ وتوضَّأ وصلَّى وبكى، ثم كشفَ المنديل وقال: باسم الله خيرِ الرازقين، كلوا ممَّا سألتم، فقالوا: يا روحَ الله؛ كُنْ أنت أوَّلَ من يأكلُ منها، فقال: معاذَ الله أن آكلَ منها، يأكلُ منها مَنْ سألَها، فخافوا أن يأكلُوا منها، فدعا لها أهلَ الفاقة والمرض والبرص والجُذام والمقعَدِين، فقال: كلوا من رزق الله، لكم الهناءُ، ولِغيركم البلاء، فأكلوا منها وهم ألفٌ وثلاثُ مئة رجل وامرأة، وفي رواية: سبعةُ آلاف وثلاثُ مئة، فلمَّا أنهَوا الأكلَ طارت المائدةُ

(١) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر «الدر المصون» (٤/٥٠٩).

(٢) فهو في محل نصب نائب مَفعول مُطلق، أو مفعول به على السعة.

(٣) «تفسير البغوي» (٢/١٠٢).

علَيها سَبعةُ أرغِفَةٍ وسَبعةُ أَحْواتٍ، فأكَلُوا منها حتَّى شَبِعُوا، قاله ابن عبَّاسٍ، وفي حَدِيثٍ: أُنزِلَت المائِدةُ مِن السَّماء خُبزاً ولَحماً، فأُمِرُوا أن لا يَخُونُوا ولا يَدَّخِرُوا لِغَدٍ، فخانُوا وادَّخَرُوا، فمُسِخُوا قِرَدةً وخَنازِيرَ.

حاشية الصاوي

وهم يَنظرون حتى توارت عنهم، ولم يأكُلْ منها مريضٌ أو زَمِنٌ أو مبتلًى إلا عُوفي، ولا فقيرٌ إلا استغنى، وندمَ مَنْ لم يأكُلْ منها، فمَكثت تنزلُ أربعين صباحاً متوالية، وقيل: يوماً بعد يوم[١].

قوله: (عليها سبعة أرغفة... إلخ) هذه أشهرُ الروايات، وفي رواية: خمسةُ أرغِفة؛ على واحد زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سَمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قَديد وسمكة مشوية بلا فُلُوس ولا شوكٍ تسيلُ دسماً، وعند رأسها ملحٌ، وعند ذنبها خلٌّ، وحولها من أصناف البقول ما خلا الكرَّاث، فقال شمعون رأسُ الحواريين: يا روحَ الله؛ أمِن طعامِ الدنيا أم من طعام الآخرة؟ قال: ليس منهما، ولكنه شيءٌ اخترعَهُ اللهُ بالقدرة العالية، وفي رواية: نزلت سمكةٌ من السماء فيها طعمُ كلِّ شيء[٢].

قوله: (خبزاً ولحماً) جُمِعَ بأن اللحمَ لحمُ سمك[٣].

قوله: (فخانوا وادَّخروا... إلخ) أي: فسببُ مَسخِهم خيانتُهم وادِّخارهم؛ أي: مع كُفرهم، وفي رواية: أن سببَ مَسخهم: أنه بعد تمام الأربعين يوماً من نزولها أوحى اللهُ إلى عيسى أن اجعَلْ مائدتي هذه لِلفقراء دون الأغنياء، فتَمارى الأغنياءُ في ذلك وعادَوا الفقراءَ.

قوله: (فمسخوا) أي: فمسخَ اللهُ منهم ثلاث مئة وثلاثين رجلاً باتُوا ليلتَهم مع نسائهم ثم أصبَحوا خنازيرَ، فلمَّا أبصرت الخنازيرُ عيسى بكت، وجعلَ يَدعوهم بأسمائهم فيُشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام، فعاشوا ثلاثةَ أيام وقيل: سبعةً، وقيل: أربعةً ثم هلكُوا.

(١) انظر «الدر المنثور» (٣/ ٢٣٢)، وممن رَواه مفصلاً أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٣٤).

(٢) وإنما كانت سمكةً لإحكام المعجزة، فعادة السمك يكون في البحار.

(٣) وقد روى الترمذي (٣٠٦١) عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعاً: «أُنزلت المائدةُ من السماء خبزاً ولحماً، وأُمروا ألا يخونوا ولا يَدخروا لغدٍ، فخانوا وادخروا ورفعوا لغدٍ، فمسخوا قردة وخنازير»، ورُوي موقوفاً عليه أيضاً.

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ....

(١١٦) ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي: يَقُولُ ﴿ٱللَّهُ﴾ لِعِيسى في القِيامةِ تَوبِيخاً لِقَومِه: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ﴾ عِيسى وقد أُرعِدَ: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزِيهاً لَكَ عمَّا لا يَلِيقُ بِك مِن الشَّرِيكِ وغيرِه، ﴿مَا يَكُونُ﴾: ما يَنبغِي ﴿لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ ـ خَبرُ ﴿لَيْسَ﴾، و﴿لِي﴾ لِلتَّبيِين ـ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾) معطوفٌ على قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ عطفَ قصة على قصة، وفي الحقيقة: هو من أفراد سؤال الرسل، فهو داخلٌ تحت قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾، وإنما خصَّهُ بالذكر؛ تقبيحاً وتَشنيعاً عليهم؛ لِبَشاعة عقيدتهم في نبيِّهم.

قوله: (في القيامة) مشى المفسرُ والجمهورُ على أن ذلك القولَ إنما يقعُ يومَ القيامة، وعليه فـ(إذْ) بمعنى: إذا، و﴿قَالَ﴾ بمعنى: يقول، وإنما عبَّرَ بالماضي؛ لاستواء الأزمان في علمِهِ حالِها وماضيها ومُستقبلها؛ لأنه أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً؛ فلذا أتى بالماضي الذي يدلُّ على تحقُّق الحصول، وقيل: إن السؤالَ وقعَ في الدنيا بعد رفعِهِ إلى السماء، وعليه: فـ(إذْ) و(قالَ) على بابهما.

قوله: (توبيخاً لقومه) جوابٌ عمَّا يُقالُ: إن اللهَ عالمٌ بكلِّ شيءٍ، فلِمَ كان هذا السؤال؟ فأجابَ: بأن المقصودَ منه: توبيخُ مَنْ كفرَ، وهذا يؤيِّدُ ما قاله الجمهورُ ويُضعفُ الاحتمالَ الثاني.

قوله: (﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾) متعلِّقٌ بمحذوف صفة لـ﴿إِلَٰهَيْنِ﴾ أي: إلهينِ كائنين من غير الله، فاللهُ ثالثُهما، وليس المعنى: أن عيسى وأمَّهُ إلهين فقط، والله ليس بإلهٍ، فإنهم لم يَقولوا ذلك.

قوله: (وقد أرعد) أي: أخَذَته الرِّعْدة حتى خرجَ من كلِّ شعرة عينُ دم كما في رواية[1].

قوله: (من الشريك وغيره) أي: كالصاحبة والولد.

قوله: (﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾) ﴿مَا﴾: نافية، و﴿يَكُونُ﴾: فعلٌ مضارع، و﴿لِيٓ﴾: جار ومجرور خبرُها مقدَّم، و﴿أَنْ أَقُولَ﴾: في محلِّ رفع اسمها مؤخَّر، و﴿مَا﴾: اسمُ موصول، و﴿لَيْسَ﴾: فعلٌ ماض ناقص، واسمها مستترٌ هو عائدُ الموصول تقديرُهُ: هو، و﴿بِحَقٍّ﴾: خبرها،

(١) قاله أبو روق كما في «تفسير البغوي» (٢/ ١٠٥).

إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ....

﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا﴾ أُخفيهِ ﴿فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ﴾ أي: ما تُخفيهِ مِن مَعلُوماتِك، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

حاشية الصاوي

و﴿لِى﴾: لِلتبيين؛ على حدِّ: سقياً لك ورعياً لك، والمعنى: لا ينبغي ولا يَجوزُ عليَّ لأنك عصَمتني أن أقولَ ما ليس لي حقًّا منسوباً لي، وهذا أحسَنُ الأعاريب.

قوله: (﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾) إن قلت: إنَّ مدخول (إنْ) لا بدَّ من كونه مستقبلاً، والقول والعلم متعلقُهما ماضٍ!

أجيبَ: أن الكلامَ على التقدير، والمعنى: إن يثبُتْ أني قُلته فقد تبيَّنَ وظهرَ أنَّ علمك متعلِّق به، لأنه يستحيلُ وقوعُ شيء لم يتعلَّقْ علمُ الله به، فحيث لم يتعلَّقْ علمُهُ بما قال فلم يحصُلْ ذلك منه؛ لأنه لا يقعُ شيءٌ في مُلكه إلا وهو عالمٌ به.

قوله: (﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾) ليست (علمَ) هنا عرفانية؛ لأن المعرفةَ تستدعي سبقَ الجهل، فهي هنا على بابها، ومفعولُها الثاني محذوفٌ تقديرُهُ: مُنطوياً وثابتاً[1]، والنفسُ بمعنى: الذات، والمعنى: تعلمُ حقيقةَ ذاتي وما انطوَتْ عليه.

قوله: (﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ﴾) أي: لا أعلمُ حقيقةَ ذاتك ولا ما احتوَت عليه من الصفات؛ لأنَّ مَنْ جهلَ ما قامَ بالذات فقد جهلَ الذات، فلا يعلمُ اللهَ إلا اللهُ.

واعلمْ: أنهم اختلفوا في إطلاق النفس على الله: فقِيل: لا يجوزُ إطلاقها عليه إلا في مَقام المشاكلة، والحقُّ: أنه يجوزُ إطلاق النفس على الله من غير مشاكلة؛ إذ وردَ إطلاقُها في غير المشاكلة، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قوله: (أي: ما تخفيه من معلوماتك) أي: كذاتِك وصفاتك؛ فإنَّ معلومات الله منها ما هو ظاهرٌ لنا كالحوادث، ومنها ما هو خفيٌّ عنَّا، ولا يحيطُ بجميع ذلك إلا الله.

قوله: (﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾) دليلٌ لِلدليل؛ لأن قوله: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ﴾ دعوى

---

(١) قد يقال: كون المعرفة تستدعي سَبق الجهل أمرٌ اصطلاحي، وعليه فلا مانعَ من كونها عِرفانية.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ ....

﴿١١٧﴾ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾، وهـــــو: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: رَقِيباً أمنعُهم مِمَّا يقولُون ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾: قَبَضتَنِي بِالرَّفعِ إلى السَّماءِ، ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾: الحَفِيظَ لِأعمالِهم، ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مِن قَولِي لَهُم وقَولِهم بَعدِي وغَيرِ ذلك ﴿شَهِيدٌ﴾: مُطَّلِعٌ عالِمٌ بِه.

حاشية الصاوي

من عيسى، ثم استدلَّ عليها بقوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ﴾، ودليل هذا أنه علَّامُ الغيوب، وأكَّدَ هذه الجملةَ بـ(إنَّ) والضميرِ المنفصل، وصيغة المبالغة، والجمعِ مع (ألْ) الاستغراقية.

قوله: (﴿إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾) هذا استثناءٌ مفرَّغ، و﴿مَآ﴾: اسمٌ موصول في محلِّ نصب هي وصلتُها بالقول.

قوله: (وهو ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في محلِّ رفع خبر لمحذوف تقديرُهُ: وهو أن اعبدُوا.

قوله: (﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾) الجملةُ حاليَّة.

قوله: (أمنعهم ممَّا يقولون) أي: فلم تقَعْ هذه المقالةُ منهم وهو بينهم، وإنما ابتَدعوها بعدَ رفعه.

قوله: (﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾) ﴿مَا﴾: مصدرية ظرفية تقدَّر بمصدرٍ مضاف إلى زمان، وصلتُها: (دام)، ويجوزُ فيها التمامُ والنقصانُ، فإن كانت تامَّةً كان معناها: الإقامة، و﴿فِيهِمْ﴾: متعلِّقٌ بها، وإن كانت ناقصةً يكون قولُهُ: ﴿فِيهِمْ ۚ﴾ خبرَها، فعلى الأول: يصيرُ المعنى: وكنتُ عليهم شهيداً مُدَّةَ إقامتي فيهم، وعلى الثاني: وكنتُ عليهم شهيداً مدَّة دوامي مستقرًّا فيهم.

قوله: (﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾) يستعملُ التوفِّي في أخذ الشيء وافياً؛ أي: كاملاً، والموتُ نوعٌ منه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ [الزمر: ٤٢]. وليس المرادُ: الموت، بل المرادُ: الرفعُ كما قال المفسِّر.

قوله: (قبضتني بالرفع إلى السماء) حاصلُ ما في المقام: أن هذه العقيدةَ وقَعت منهم بعد رفعه

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ....

﴿١١٨﴾ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: مَن أقامَ على الكُفرِ مِنهُم، ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ وأنتَ مالِكُهم، تَتصرَّفُ فِيهِم كيفَ شِئتَ لا اعتِراضَ علَيكَ، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: لِمَن آمَن مِنهُم ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾: الغالِبُ على أمرِه، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه.

﴿١١٩﴾ ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا﴾ أي: يَومُ القِيامةِ ﴿يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ في الدُّنيا كعِيسى ﴿صِدْقُهُمْ﴾؛ لِأَنَّهُ يومُ الجزاءِ، ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِطاعتِه، ...

حاشية الصاوي

إلى السماء، وتستمرُّ إلى نزوله، ولم تقَعْ منهم قبلَ رفعه، وأما بعد نُزوله فلم يبقَ نصرانيٌّ أبداً، بل إما الإسلامُ أو السيفُ، فتعيَّنَ أن يكونَ معنى ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾: رَفعتَني إلى السماء ولو على القول بأن هذا السؤالَ واقعٌ يومَ القيامة، بل ذلك ممَّا يُؤيدُهُ، تأمَّلْ.

قوله: (أي: لمن آمن منهم) دفعَ بذلك ما يُقالُ: إن المغفرةَ لا تكونُ للمشركين! فأجابَ: بأن المعنى: وأن تغفرَ لمن آمن منهم؛ ولِذا قال عيسى فيما تقدَّمَ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾.

قوله: (﴿يَوْمُ يَنفَعُ﴾) قرأ الجمهورُ برفعه من غير تنوين، وقرأ نافعٌ بنَصبه من غير تنوين، ونُقِلَ عن الأعمش النصبُ مع التنوين، وعن الحسن الرفعُ مع التنوين، فتوجيهُ القراءة الأولى: أن ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ، و﴿يَوْمُ﴾: خبره، وجملة ﴿يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ في محلِّ جرٍّ بإضافة (يوم) إليها، وكذا القراءةُ الثانية غيرَ أن الظرفَ مبنيٌّ لإضافته إلى الجملة الفِعلية، وهو مذهبُ الكوفيين، ومذهبُ البصريين: أنه منصوبٌ على الظرفية متعلقٌ بمحذوف خبر تقديره: يقعُ يومَ ينفعُ، وأما قراءةُ التنوين. فالرفعُ على الخبرية، والنصبُ على الظرفية كما قال البَصريون، والجملةُ في محلٍّ رفعٍ على الأول، أو نصبٍ على الثاني، والجملةُ في محلِّ رفع صفة لما قبلَها.

قوله: (﴿الصَّادِقِينَ﴾ في الدنيا) أي: فالصدقُ في الدنيا نافعٌ في الآخرة، وأما الصِّدقُ في الآخرة فلا يفيدُ شيئاً؛ لِتقدُّمِ الكذب في الدنيا كما سيأتي.

قوله: (بطاعته) أي: بإقامته لهم في الطاعة، أو بسبب تَلبُّسهم بامتثال مَأموراته واجتناب مَنهيَّاته، فالطاعةُ سببٌ لرضاء اللهِ ودليلٌ عليه.

﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١١٩ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ١٢٠﴾

﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ بِثَوابِه، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، ولا يَنفَعُ الكاذِبين في الدُّنيا صِدقُهم فيهِ، كالكُفَّار لَمَّا يُؤمِنُون عِند رُؤيةِ العَذابِ.

١٢٠ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خَزائِنِ المَطَر والنَّباتِ والرِّزق وغَيرِها، ﴿وَمَا فِيهِنَّۚ﴾ - أتَى بـ(ما) تَغليباً لِغَيرِ العاقِلِ - ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ﴾، ومِنهُ إثابةُ الصَّادِق وتَعذِيبُ الكاذِبِ، وخَصَّ العَقلُ ذاتَه فليسَ علَيها بِقادِر.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾) أي: بأن شكروا على نعمائه، وصَبروا على بلوائه، فرضا الله على عبده: توفيقُهُ لخدمته في الدنيا، وإدخالُهُ جنَّتَهُ في الأخرى، ورضا العبد عن ربِّه في الدنيا: صبرُهُ على أحكام ربِّه، وفي الآخرة: قناعتُهُ بما أعطاه له من النعيم الدائم.

قوله: (بثوابه) أي: برؤية ثوابِه لهم في الجنة حيث أعطاهم ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

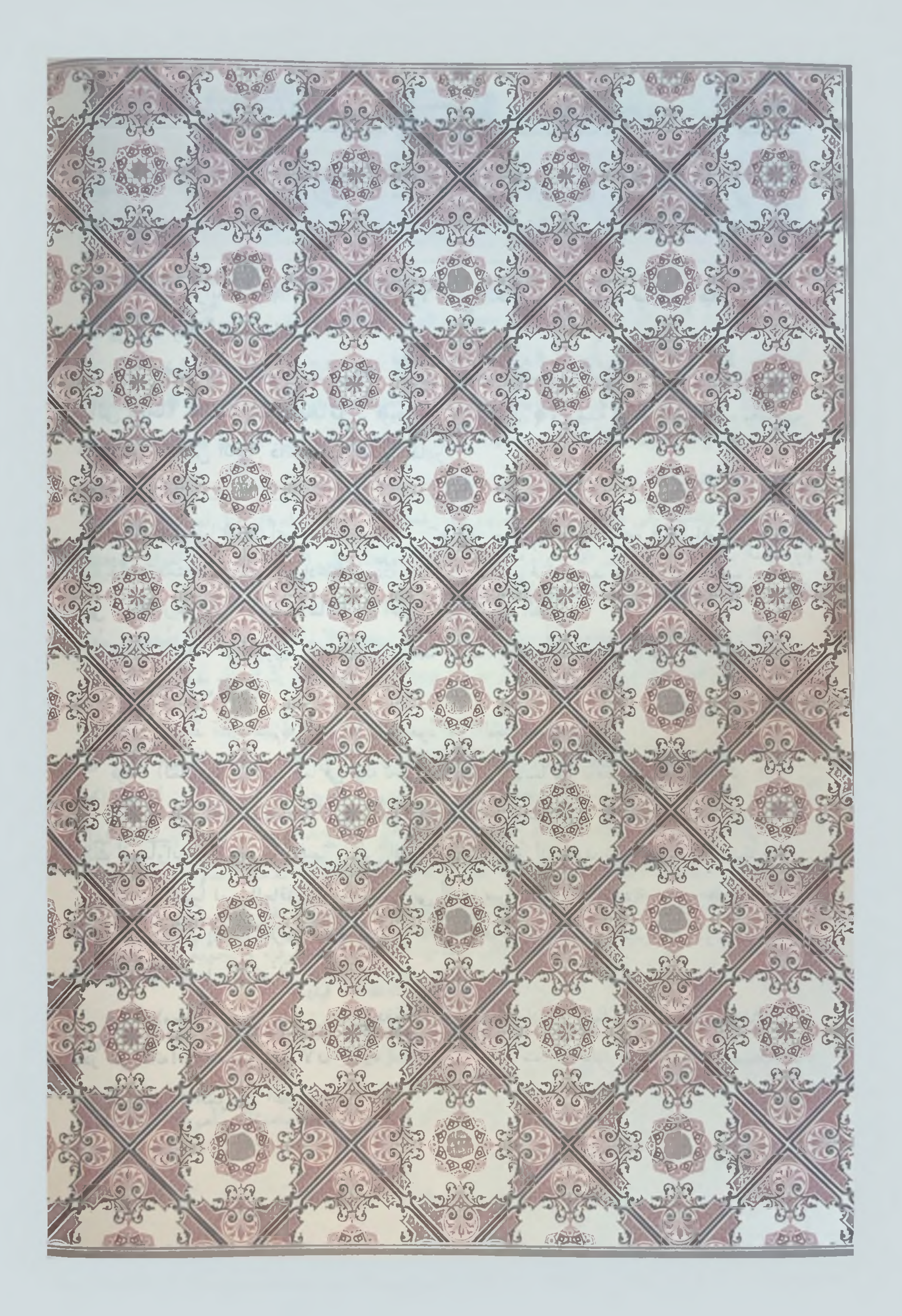
قوله: (﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾) اسمُ الإشارة يعودُ على الجَنات وما بعدها.

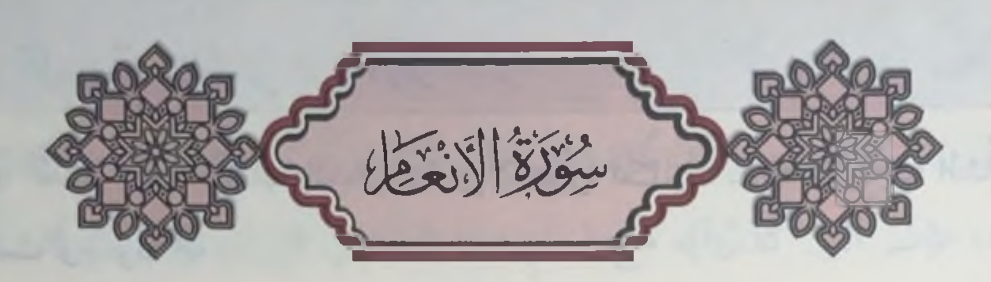
قوله: (لمَّا يؤمنون) أي: كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤].

قوله: (﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) تنبيهٌ على فساد زَعم الكفار أن لله شريكاً، فالمعنى: أن الله مالكُ السماوات والأرض وما فيهنَّ، فأين الشريكُ له ولا يَليقُ أن يكونَ شيء من ملكه شريكاً له؟!

قوله: (تغليباً لغير العاقل) أي: وإشارةً إلى أن ما سِواه في رُتبة العبودية سواء، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، فلا فرقَ بين عاقل وغيره في كونه مملوكاً، لا يملكُ لنفسه نفعاً ولا ضرًّا.

قوله: (وخصَّ العقلُ ذاته... إلخ) دفعَ بذلك ما يُقالُ: إنَّ من جملة الأشياء ذاتَهُ، فيقتضي أنه قادرٌ على ذاته! فأجاب بذلك؛ لأنَّ القدرةَ إنما تتعلَّقُ بالممكنات، لا بالواجبات، ولا بِالمستحيلات، فالمرادُ بالشيء: الموجودُ الممكن.





مَكيَّة، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الأَنعَامِ

(مكية)،

سُمِّيت بذلك؛ لذكر الأنعام فيها، من باب: تسمية الكلِّ باسم الجزء، وهذه السورةُ نزلت جملةً واحدة ما عدا الستَّ آيات، ونزلَ معها سبعون ألف مَلك ولهم زجلٌ بالتسبيح، ونزلت ليلاً، فأمرَ ﷺ بكتابتها حينئذٍ، وحين نزولها صارَ ﷺ يسبِّحُ ويسجدُ حينئذٍ، وكلُّ ذلك تعظيماً لشأنها[1]؛ لأنَّ ما اشتملَتْ عليه من التوحيد، وعدَّةِ جملة من الرسل، وتبيينِ الحلال من الحرام في الأنعام.. لم يوجَدْ في غيرها.

وورَدَ: أنها فاتحةُ التوراة[2]، وخاتمتُها قيل: آخرُ (هود)، وقيل: آخر (الإسراء)، وفيها آيةٌ نزلت ومعها أربعون ألف ملك، وهي: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ...﴾ الآية، وعن جابر أن رسولَ الله قال: «مَنْ قرأ ثلاثَ آيات من أول سورة (الأنعام) إلى ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾.. وَكلَ اللهُ له أربعين ألف ملك يكتبون له مثلَ عبادتهم إلى يوم القيامة، وينزلُ ملكٌ من السماء السابعة ومعه مِرزبَّةٌ من حديد، فإذا أرادَ الشيطانُ أن يوسوسَ إليه أو يوحيَ في قلبه شيئاً.. ضربَهُ ضربةً فيكون بَينه وبينه سبعون حجاباً، فإذا كان يومُ القيامة قال الله: امشِ في ظلِّي يومَ لا ظلَّ إلا ظلي، وكُلْ من ثمار جنَّتي، واشرَبْ من الكوثر، واغتسِلْ من السلسبيل، فأنت عبدي وأنا ربُّك»[3].

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٤٤٧)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢١٠)، وانظر «تفسير البغوي» (٢/ ١٠٧).

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (٣٤٤٥) عن كعب الأحبار، وفيه أن خاتمتها سورة «هود»، وهي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾ الآية.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٣١).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ....﴾

إلَّا ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ...﴾ الآياتِ الثلاثَ، وإلَّا ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟...﴾ الآياتِ الثلاث، مائةٌ وخمسٌ أو ست وسِتونَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ وهو الوَصفُ بِالجَمِيلِ ثابتٌ ﴿لِلَّهِ﴾ وهلِ المُرادُ الإعلامُ بِذلكَ لِلإيمانِ بِهِ أو الثَّناء بِه أو هُما؟ احتِمالاتٌ أفيَدُها الثَّالِث، قالَهُ الشَّيخُ في سُورةِ (الكَهف)، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ خَصَّهُما بِالذِّكرِ لِأَنَّهُما أعظَمُ المَخلُوقات لِلنَّاظِرِينَ، ﴿وَجَعَلَ﴾: ..

حاشية الصاوي

قوله: (الآيات الثلاث) أي: إلى قوله: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾، قوله: (أو إلا ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾) أي: إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، هكذا مشى المفسِّر.

قوله: (وهو) أي: الحمدُ بالمعنى اللغوي، وأما بالمعنى الاصطلاحي فهو: فعلٌ ينبئُ عن تعظيم المنعِم بسبب كونه منعِماً على الحامد أو غيره، قوله: (الوصف بالجميل) زادَ بعضهم: على جهة التعظيم والتبجيل؛ لإخراج التهكُّم؛ كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

قوله: (ثابت) قدَّرَهُ إشارةً إلى أن ﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلِّقٌ بمحذوف خبر المبتدإ الذي هو الحمد.

قوله: (وهل المرادُ به الإعلامُ بذلك) أي: فتكون الجملةُ خبرية لفظاً ومعنًى، وقوله: (أو الثناءُ) أي: فهي خبريةٌ لفظاً، إنشائيةٌ معنًى، قوله: (أو هما) أي: فهي مستعملةٌ في حقيقتها ومجازها، فالقصدُ إعلامُ العبيد للإيمان به، وإنشاءُ الثناء به، وهذا هو حمدُ القديم للقديم، و(أل) في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ يصحُّ أن تكون للاستغراق، أو الجِنس، أو العهد، واللام في ﴿لِلَّهِ﴾ لِلاستحقاق[1].

قوله: (قاله الشيخ) أي: الجلالُ المحلِّي.

قوله: (﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾) صفةُ ﴿لِلَّهِ﴾، وتعليق الحكم بالمشتقِّ يؤذنُ بالعلِّية؛ كأنه قيل: الوصفُ بالجميل ثابتٌ له؛ لأنه الخالقُ للسماوات والأرض، والمراد بالسماوات: ما عَلا، فيشملُ العرشَ، والمرادُ بالأرض: ما سَفُلَ، فيشملُ ما تحتها، وقدَّمَ السموات لأنها أشرفُ من الأرض؛ لكونها

(١) أو للاختصاص، أو للملك مع جعل (أل) لغير العهد بمعنى الحمد القديم، بل الحادث المعظَّم كحمد الأنبياء، أو المركب من القديم والحادث؛ إذ الحادث أغلَب.

﴿الظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ ....

خَلَقَ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ أي: كُلَّ ظُلمةٍ ونُورٍ، وجَمَعَها دُونَه لِكَثرةِ أسبابِها، وهذا مِن دَلائِلِ وَحدانِيَّتِه، ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مع قِيامِ هذا الدَّلِيلِ ﴿بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾: يُسَوُّونَ غَيرَه في العِبادةِ.

حاشية الصاوي

مَسكنَ المطهَّرين لا غير، والأرضُ وإن كان فيها الأنبياء لكنها احتَوت على الأشرار والمفسدين، ولأنها سابقةٌ على الأرض كما في سورة (النازعات)، قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ إلى أن قال: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، ولا منافاةَ بين آية (فصلت) وبين آية (النازعات)؛ فإن الأرضَ خُلقت أولاً كُرةً، ثم خُلقت السماءُ من دخان كما دلَّت عليه آية (فُصلت)، ثم بنى السماءَ ورفعَها، وأغطشَ ليلَها، وأخرجَ ضحاها، والأرضَ بعد ذلك دحاها. وإنما جمعَ (السماوات)؛ لاختلاف أجناسِها؛ فإن الأولى من مَوج مكفوف، والثانية من مَرمرة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من ياقوتة حمراء، وأما الأرضُ وإن كانت سبعاً أيضاً إلا أنها من جنسٍ واحد، واختُلفَ هل الأرض مِدادٌ، وهو الصحيحُ، فالتعدُّدُ باعتبار أقطارها، وقيل: طباقٌ كالسماء، وأما السماءُ.. فهي طِباقٌ باتفاق.

قوله: (خلق) أشارَ بذلك إلى أن (جعل) بمعنى: خلق، فتنصبُ مفعولاً واحداً.

قوله: (أي: كلَّ ظلمة) أي: حسِّيةٍ كظلمة الليل والأجرام الكثيفة، أو معنويةٍ كالشرك والمعاصي، قوله: (ونور) أي: حسيٌّ كالشمس والقمر والنجوم، ومعنويٌّ كالإسلام، قوله: (لكثرة أسبابها) أي: الظلمة، وأما النورُ فسببُهُ واحد لا يتعدَّد؛ لأنه إما معنويٌّ وسببُهُ الإسلام، أو حسيٌّ وسببُهُ النار.

قوله: (﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) ﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الرتبيِّ؛ أي: فبعد أن عَرفوا الحقَّ سَوَّوا به غيرَهُ، فهو استبعادٌ لما وقعَ منهم.

قوله: (﴿بِرَبِّهِمۡ﴾) يحتملُ أنه متعلِّقٌ بـ﴿كَفَرُواْ﴾، وقوله: ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ مفعولُهُ محذوف قدَّرَه المفسِّرُ بقوله: (غيره)، ومعناه: التسوية كما قالَهُ المفسِّر، ويحتمل أن ﴿بِرَبِّهِمۡ﴾ متعلق بـ﴿يَعۡدِلُونَ﴾، والباء بمعنى (عن)، والتقدير: يميلون عن ربهم لِغيره؛ من العُدول، وهو الميل عن طريق الهدى.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ﴾ ....

﴿٢﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ بِخَلقِ أبِيكُم آدَمَ مِنهُ، ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ﴾ لَكُم تَمُوتُونَ عِند انتِهائِهِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾) هذا من جملة الأدلَّة على كونه مستحقًّا للحمد، كأنه قيل: الوصفُ بالجميل لله لا لغيره؛ لأنه خلقَ السماواتِ والأرضَ والظلماتِ والنور؛ ولأنه خَلقكم. . . إلخ، قوله: (﴿مِّن طِينٍ﴾) ﴿مِّن﴾: لابتداء الغاية؛ أي: مبتدئاً نشأتكم من طين.

قوله: (بخلق أبيكم آدم منه) دفعَ بذلك ما يُقال: إنهم مخلوقون من النطفة لا من الطين! فأجابَ: بأن الكلام على حذف مضاف، وذلك الطينُ الذي خُلِقَ منه آدمُ فيه من كلِّ لون، وعُجِنَ بكلِّ ماء، فخلقَ اللهُ أولادَهُ مختلفةَ الألوان والأخلاق، فاختلافُ الألوان من اختلاف ألوان طِينة أبيهم، واختلافُ الأخلاق من اختلاف المياه التي عُجِنت بها تلك الطينة[١]، فما من أحد إلا وله جزءٌ سرى له من أبيه، فالطبائعُ والأخلاق أصلُها من آدم، فنسبةُ الطين لأولاده باعتبار نَشأتها منه وسريانها فيهم.

وقيل: لا حذفَ في الآية، بل كلُّ إنسان مخلوق من الطين؛ لأنه وردَ: «**ما من مولودٍ إلا ويُذَرُّ على نطفته شيءٌ من تراب نُطفته**»[٢]، فالنطفةُ عُجنت بذلك التراب، فصدقَ على كلِّ إنسان أنه مخلوقٌ من الطين، وقيل: إنه من الطين باعتبار أن النطفةَ ناشئةٌ عن الغذاء، وهو ناشئٌ من الطين[٣].

قوله: (﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ﴾) يصحُّ أن يكونَ بمعنى: أظهر، فـ(ثُمَّ) للترتيب الزماني؛ أي: فبعد تمام خلقه يظهرُ أجلَهُ للملَكِ الموكَّل بالرَّحِم، أو بمعنى: قدَّرَ، فـ(ثُمَّ) للترتيب الذكري؛ لأن التقديرَ هو الإرادةُ المتعلقة بالأجل أزلاً، فهي متقدِّمة على وجوده، فالترتيبُ في الذكر فقط.

واعلم: أنَّ كلَّ إنسان له أجَلان: أجلٌ ينقضي بموته، وأجلٌ ينقضي بِبعثه، فابتداءُ أجل الموت من حين وجوده، وابتداءُ أجل البعث من حين مَوته[٤]، ومجموع الأجلين محتَّمٌ لا يزيدُ ولا ينقصُ،

---

(١) روى ذلك أبو داوود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٥٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٨٠) في ترجمة ابن سيرين، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ١٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) وهو قول الإمام الرازي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٢٢).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٠٩٨) عن قتادة.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾ ....

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: مَضرُوبٌ ﴿عِندَهُۥ﴾ لِبَعثِكُم، ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ أيُّها الكُفَّارُ ﴿تَمْتَرُونَ﴾: تَشُكُّون في البَعثِ بَعد عِلمكُم أنَّهُ ابتَدَأ خَلْقَكُم، ومَن قَدَرَ على الابتِداءِ فهو على الإعادةِ أقدَرُ.

حاشية الصاوي

وما وردَ من زيادة العمر للبارِّ الواصل للرحم، ونقصِهِ للعاصي القاطع للرحم.. قيل: محمولٌ على البركة وعَدمها، وقيل: يتداخلُ أحدُهما في الآخر، فالطائعُ يزادُ له في أجل الدنيا، وينقصُ من أجل البَرزخ، وبالعكس للعاصي، وبه فُسِّرَ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١]، ويؤيِّدُ ذلك: ما حُكِيَ أن داوود عليه السلام كان له صديقٌ قد دنا أجلُهُ، فأخبرَهُ جبريلُ بأنه لم يبقَ من أجله إلا خمسون يوماً، فأخبَر داوود صديقَهُ بذلك، فتأهَّبَ، حتى إذا جاءَ اليومُ المتمِّمُ للخمسين أخذ غداءَهُ وذهبَ لداوود لِيودِّعَهُ، فمرَّ بفقير فأعطاه غداءه، فنزلَ جبريلُ على داوود وأخبره أن الله زادَهُ في عمره خمسين سنة بسبب صَدقته في ذلك اليوم، فلمَّا ذهبَ إليه.. وجدَهُ مسروراً فأخبرَهُ بذلك.

قوله: (﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾) (أجلٌ): مبتدأ، و﴿مُّسَمًّى﴾: صفته، و﴿عِندَهُۥ﴾: خبره، وأضيفَ له سبحانه؛ لأنه لا يَعلمُ انتهاءَهُ أحدٌ غيره، وأما أجلُ الدنيا فهو في علم الملك، وبانقضائه يظهرُ للمخلوقات أيضاً.

قوله: (لبعثكم) أي: ينتهي إليه، وما وراءَ ذلك لا نهايةَ له.

قوله: (﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾) أي: ثم بعد ظُهور تلك الآيات العظيمة تشكُّون في البعث وتُنكرونه؟! وأفادَ المفسِّرُ: أن هذه الآيةَ ردٌّ لمَّا أنكروه من البعث، وما قبلها ردٌّ للشرك الواقع من الكفَّار.

قوله: (فهو على الإعادة أقدر) هذا بحسَب العادة الجارية بأن القادرَ على الابتداء قادرٌ على الإعادة بالأَولى، وإلا.. فالكلُّ في قَبضة قدرته سواءٌ، لا مزيةَ للإعادة على الابتداء؛ لأنه إذا أرادَ شيئاً قال له: كُن، فيكون.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ۝٣ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ ....﴾

٣ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ مُستَحِقٌّ لِلعبادةِ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾: ما تُسِرُّونَهُ وما تَجهَرُونَ بِهِ بَينَكُم، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾: تَعمَلُونَ مِن خيرٍ وشَرٍّ.

٤ ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم﴾ أي: أهلَ مَكَّةَ ﴿مِّنۡ﴾ - زائدة - ﴿ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ مِنَ القُرآنِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾) مبتدأ وخبر، والضميرُ عائدٌ على المتَّصف بالأوصاف المتقدِّمة، و﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلقٌ بوصف تَضمَّنه ذلك العَلَم؛ لأنَّ (الله) موضوعٌ للذات الواجبة الوجود المستحقَّة لجميع المحامد، فيكون المعنى: وهو الله المستَحق للعبادة في السماوات... إلخ، وهذا ما درجَ عليه المفسِّر، وبذلك يُجابُ عن آية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾ [الزخرف: ٨٤].

وقيل: متعلِّقٌ بنعت محذوف، تقديرُه: وهو اللهُ المعبودُ في السماوات... إلخ[١]، على حدِّ قول ابن مالك [الرجز]

وما مِنَ المَنْعُوتِ والنَّعْتِ عُقِلْ   يَجُوزُ حَذْفُه..........[٢]

وقيل: متعلقٌ بـ﴿يَعۡلَمُ﴾، والتقديرُ: يَعلم سرَّكم وجهرَكم في السماوات والأرض، وقيل: متعلقٌ بـ﴿سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾، ولكن يلزمُ عليه تقدُّمُ معمول المصدر عليه، إلا أن يُقالَ: يُغتَفرُ في الظروف والمجرورات ما لا يُغتفرُ في غيرها[٣].

قوله: (﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾) إن قلتَ: إن الكسبَ لا يخرجُ عن السرِّ والجهر، والعطفُ يقتضي المغايرة!

أجيبَ: بأن المرادَ بالكسب: ما يترتَّبُ عليه من الثواب والعقاب، والمعنى: يَعلم أفعالَكم وأقوالَكم السريَّةَ والجهريَّة، ويعلم جزاءَها من ثواب وعقاب.

قوله: (﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ﴾) كلامٌ مستأنف بيانٌ لزيادة قُبحهم وكفرهم بعد ظهورِ الآيات البيِّنات، قوله: (﴿مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾) ﴿مِّنۡ﴾: تبعيضيَّة، والآياتُ يحتملُ أن يكون المرادُ بها القرآنَ،

---

(١) وهو قول الزجاج وابن الأنباري، انظر «الوسيط» للواحدي (٢/ ٢٥٢).

(٢) «الخلاصة» (باب النعت).

(٣) وقيل غير ذلك، انظر «الدر المصون» (٤/ ٥٣٢).

إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا ....

﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿٥﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: بِالقُرآنِ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاؤُا﴾: عَواقِبُ ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿٦﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في أسفارِهم إلى الشَّام ....

حاشية الصاوي

فإتيانُها: نزولُها على رسول الله ﷺ، وعليه اقتصرَ المفسِّر، أو الكونيةَ كالمعجزات، فالمرادُ بإتيانها: ظهورُها، والأحسنُ أن يُرادَ: ما هو أعمُّ.

قوله: (﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾) الجملةُ حالية من الضمير في ﴿تَأْتِيهِم﴾، وقوله: ﴿مُعْرِضِينَ﴾ ضمَّنَهُ معنى (غافلين) فعدَّاه بـ(عن)، وإلا.. فالإعراضُ بمعنى الترك لا يتعدَّى بـ(عن).

قوله: (﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾) تفريعٌ على ما قبله، وتفصيلٌ لِبعضه، قوله: (بالقرآن) أي: وغيرِهِ من بقية المعجزات.

قوله: (﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾) ظرفٌ لقوله: ﴿كَذَّبُوا﴾، قوله: (﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾) وعيدٌ عظيم مرتَّبٌ على تكذيبهم وهو لا يتخلَّفُ؛ لأنَّ وعيدَ الكفَّار وعدٌ حسنٌ للمؤمنين، فهو وعدٌ باعتبار، ووَعيدٌ باعتبار، فعدمُ تخلُّفه باعتبار كونه وعداً، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧][(١)].

قوله: (﴿أَنْبَاؤُا﴾) جمعُ نَبأ، وهو الخبرُ العظيم المزعجُ، وجمعَهُ؛ إشارةً إلى تكرُّرِ الجزاء لهم في الدنيا ويومَ القيامة.

قوله: (﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾) ﴿مَا﴾: اسمٌ موصول، و﴿كَانُوا﴾: صِلته، والمعنى: فسوف يأتيهم جزاءُ الذي كانوا يستهزؤون به في العاجلِ بالقتل والأسر، والآجلِ بالعذاب الدائم في النار.

قوله: (﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾) هذا إخبارٌ من الله بِبَذل النصح لهم، ومع ذلك فلم يهتدوا، والهمزةُ داخلة على محذوف تقديرُهُ: أعموا؟ و(رأى): إما بصريةٌ وعليه درجَ المفسِّرُ، حيث قال: (في أسفارهم

---

(١) فيه ميل لمذهب السادة الماتريدية من امتناع تخلُّف الوعيد، وانظر «شرح الشيخ عبد السلام على جوهرة أبيه» (ص١٧٥).

﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا﴾ ....

وغَيرِها ﴿كَمۡ﴾ - خَبريَّة بِمعنَى: كَثِيراً - ﴿أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾: أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ الماضِيَة، ﴿مَّكَّنَّٰهُمۡ﴾: أعطيناهُم مَكاناً ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بِالقُوَّةِ والسَّعَةِ ﴿مَا لَمۡ نُمَكِّن﴾: نُعطِ ﴿لَّكُمۡ﴾ - فِيهِ التِفاتٌ عنِ الغَيبَةِ -، ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾: المَطَرَ ﴿عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا﴾: مُتَتابِعاً، ﴿وَجَعَلۡنَا

حاشية الصاوي

إلى الشام وغيرها)، وعليه: فقوله: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ سدَّت مسدَّ مفعولها، أو عِلميةٌ، فتكون الجملةُ سدَّت مسدَّ مفعوليها، والأحسَنُ: الأول.

قوله: (وغيرها) أي: كاليَمن، فإنه كان لهم رحلتان، رحلةٌ في الصيف للشام، ورحلةٌ في الشتاء لليمن، كما يأتي في سورة (قريش)

قوله: (خبرية) أي: وهي مفعولٌ مقدَّمٌ لـ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾، قوله: (﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾) أي: قبلَ وجودهم، أو قبلَ زمانهم، فالكلامُ على حذف مضاف.

قوله: (﴿مِّن قَرۡنٖ﴾) بيانٌ لـ﴿كَمۡ﴾[1]، والقرنُ يُطلقُ على الأمة وعليه درجَ المفسِّرُ، ويطلقُ على الزمان واختُلفَ في حدِّه؛ فقيل: مئةُ سنة وهو الأشهرُ، وقيل: مئةٌ وعشرون، وقيل: ثمانون، وقيل: ستون، وقيل: أربعون، وقيل غيرُ ذلك[2].

قوله: (﴿مَّكَّنَّٰهُمۡ﴾) وصفٌ للقرن، وجمعَهُ باعتبار معناه؛ لأنَّ القرنَ اسمُ جمعٍ كـ(رَهط وقوم)، لفظُهُ مفردٌ ومَعناه جمع.

قوله: (بالقوة والسعة) أي: في الدنيا حتى صاروا ذَوي شهامة وغنًى عظيم، ومع ذلك فلم تغنِ عنهم أموالُهم ولا أنفسُهم من الله شيئاً.

قوله: (التفات عن الغيبة) أي: ونكتتُهُ الاعتناءُ بشأن المخاطَبين؛ حيث خاطبَهم مشافهة.

قوله: (﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا﴾) وصفٌ ثانٍ لِلقرن، وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾ وصفٌ ثالث له، والمعنى: أن مَنْ مضى من قبلكم من الأمم أعطيناهم القوةَ الشديدة في الجسم، والسعة في الأموال والأولاد، ومع ذلك فلم يَنفعْهم من ذلك شيء فلا تأمنوا سَطوتي بالأولى منهم، قال الشاعر: [البسيط]

---

(١) و(مِن) الأولى: لابتداء الغاية، و(مِنْ) الثانية: لبيان إبهام (كَمْ)، فهي تمييز لها.

(٢) والجمهور أنه مِئة سنة، وانظر «الدر المصون» (٤/ ٥٣٩).

ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ....

﴿ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ تَحت مَساكِنِهِم، ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾: بِتكذيبِهِم الأنبياءَ، ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾.

﴿٧﴾ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾: مَكتُوباً ﴿فِى قِرْطَاسٍ﴾: رَقٍّ كَما اقتَرحُوهُ، ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلَغُ مِن (عايَنُوهُ)؛ لِأنَّهُ أنفى لِلشَّكِّ، ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ تَعنُّتاً وعِناداً.

حاشية الصاوي

لا يَـأْمَـنُ الـدَّهْـرَ ذُو بَـغْـيٍ وَلَـوْ مَـلِـكـاً جُنُودُهُ ضاقَ عَنْها السَّهْلُ وَالجَبَلُ[1]

قوله: (﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾) كلامٌ مستأنف دفعَ به ما يُقالُ: حيث هلكَ مَنْ هلك فقد خرِبَ الكونُ! فأجابَ: بأنه كلَّما أهلكَ جماعةً أتى بغيرهم، فإنه قادرٌ على ذلك، والقادرُ لا يُعجزُهُ شيء.

قوله: (﴿قَرْنًا﴾) هنا بالإفراد، وفي بعض الآيات بالجمع، والمعنى واحد؛ فإن المرادَ به الجنس، وجمعَ ﴿ءَاخَرِينَ﴾ باعتبار معنى القرن.

قوله: (﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا﴾) شروعٌ في بيان زيادة كفرهم، وتسليةٌ له ﷺ على عدم إيمانهم به، وهو ردٌّ لقول النضرِ بن الحارث وعبدِ الله بن أبي أمية ونوفلِ بن خويلد: لن نؤمنَ لك حتى تنزِّلَ علينا كتاباً نقرؤه ومعه أربعةٌ من الملائكة يَشهدون بأنك صادق[2].

قوله: (مكتوباً) إشارةٌ إلى أنه أطلقَ المصدر وأرادَ اسمَ المفعول.

قوله: (﴿قِرْطَاسٍ﴾) القراءةُ بكسر القاف لا غير، ويجوزُ في غير القرآن فتحُ القاف وضمُّها، ويُقالُ: قَرْطَس كجعفر: ما يُكتبُ فيه مطلقاً، ورقاً أو غيره، فتفسيرُهُ له بالرَّقِّ بفتح الراء على الأفصح تفسيرٌ بالأخصِّ.

قوله: (كما اقترحوه) أي: اخترعوه من الآيات.

قوله: (﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾) ﴿إِنْ﴾: نافية بمعنى (ما)، و﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ، و﴿سِحْرٌ﴾: خبره، و﴿مُّبِينٌ﴾: صِفته، والجملةُ مقولُ القول.

---

(١) البيت من شواهد «مغني اللبيب» (الشاهد ٤٧٤) في حذف (كان) واسمها بعد (لو)، من غير نسبة.

(٢) «تفسير البغوي» (٢/ ١١٠) عن الكلبي ومقاتل، وكلاهما ضعيف.

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ....

﴿٨﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على مُحمَّدٍ ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يُصَدِّقُهُ، ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ كَما اقترَحُوا فلَم يُؤمِنُوا ﴿لَّقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بِهَلاكِهِم، ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلُونَ لِتَوبَةٍ أو مَعذِرَةٍ كَعادةِ الله فِيمَن قَبلَهم مِن إهلاكِهِم عِند وُجُودِ مُقتَرَحِهم إذا لَم يُؤمِنُوا.

﴿٩﴾ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: المُنْزَلَ إلَيهِم ﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ﴾ أي: المَلَكَ ﴿رَجُلًا﴾ أي: على صُورَتِه لِيَتَمكَّنُوا مِن رُؤيَتِه؛ إذ لا قُوَّةَ لِلبَشَرِ على رُؤيَةِ المَلَك، ﴿وَ﴾ لَو أنزَلناهُ وجَعَلْناهُ رَجُلاً ﴿لَلَبَسْنَا﴾: شَبَّهنا ﴿عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ على أنفُسِهِم بِأنْ يَقُولُوا: ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾) هذا من جملة عِنادهم وكفرهم، قوله: (**فلم يؤمنوا**) مرتَّبٌ على قوله: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا﴾ فهو من تتمَّةِ الشرط، والمعنى: أن اللهَ لو أجابَهم بإنزال ملك ولم يؤمنوا.. لأهلَكهم كمن قبلهم مع أنه قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فعدمُ إجابتهم رحمةٌ بهم.

قوله: (﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾) ردٌّ لقولهم: هلَّا كان رسولنا من الملائكة لا من البَشر.[١]

قوله: (**أي: على صورته**) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف؛ أي: على صورة رجل، فالشبهُ في الصورة فقط.

قوله: (**إذ لا قوةَ للبشر على رؤية الملك**) أي: ولذلك كان يأتي الأنبياءَ على صورة رَجل، ولم يرَ الملكَ على صورته الأصلية أحدٌ من البشر إلا رسولُ الله ﷺ مرتين: مَرةً في الأرض عند غار حراء، ومرةً في السماء عند سِدرة المنتهى ليلةَ الإسراء[٢].

قوله: (﴿وَلَلَبَسْنَا﴾) جعلَهُ المفسِّرُ جوابَ شرط محذوف، والواو داخلة على فعل الشرط المحذوف، قدَّره بقوله: (ولو جعلناه رجلاً)، والمناسبُ للمفسِّر الاقتصارُ على ذلك ويحذفُ قوله:

---

(١) كذا في (ط٢)، وفي (أ): (هلا كان رسولٌ من الملك لا من البشر).

(٢) رؤيته ﷺ لجبريل عليه السلام مرتين عند البخاري (٤٨٥٥) من حديث الصدِّيقة رضي الله عنها.

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ .....

﴿١٠﴾ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، ﴿فَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو العَذابُ، فكَذا يَحِيقُ بِمَن استهزأ بِك.

﴿١١﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الرُّسُلَ مِن هَلاكِهِم بِالعذابِ لِيَعتَبِرُوا.

حاشية الصاوي

(ولو أنزلناه). ولبَسَ بفتح الباء يلبِسُ بكسرها: خلطَ يخلِط، والتبسَ اختلطَ واشتبه، وأما لبِسَ بكسر الباء يلبَسُ بفتحها: سلكَ الثوبَ في العنق.

قوله: (﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾) أي: فلا تحزنَ واصبِرْ على أذاهم؛ فإن اللهَ كافيك شرَّهم.

قوله: (فكذا يحيقُ بمَن استهزأَ بك) أي: لكن لا على الوجه الذي حاقَ بهم من عموم العذاب، بل يأخذُ المتمرِّدَ بخصوصه، وقد فعلَ اللهُ له ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

قوله: (﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) هذا استشهادٌ على ما تقدَّم، كأنه قيل: إن لم تصدِّقوا خبرَ ربكم بأنه حاقَ بالذين سخروا وكذبوا أنبياءَهم العذابُ.. فسيروا وعاينوا آثارَهم.

قوله: (﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾) أتى بـ(ثُمَّ) لأنه لا يحسنُ التفكُّرُ والاستدلال ولا يتمُّ إلا بعد تمام السير ومُعاينة الآثار.

قوله: (﴿كَيْفَ﴾) اسمُ استفهام خبرُ ﴿كَانَ﴾، و﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسمُها، وإنما قدَّمَ الخبرَ عليها وعلى اسمها؛ لأنَّ اسمَ الاستفهام له الصدارةُ.

قوله: (ليعتبروا) أي: يَتعظوا، فبالسير والتفكُّر يحصلُ الاستدلال والنورُ التام، ومن هنا أخذت الصوفيةُ السياحةَ؛ لأنَّ من جملة ما يعينُ على الوصول إلى الله والترقِّي إلى المعارف النظرَ والتفكُّرَ في مصنوعاته، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣][1].

---

(١) وورد في السنة: أن سياحة الأمة في الجهاد والصيام والقيام، وعلَّق الحافظ المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٤٥٣) على حديث: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله» فقال: (وقع جواباً لسائل شجاع باسل استأذن في السياحة =

قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ....

﴿١٢﴾ ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ إن لم يقولوهُ لا جوابَ غيرُه، ﴿كَتَبَ﴾: قَضى ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ فضلاً مِنهُ، وفيهِ تَلَطُّفٌ في دُعائِهِم إلى الإيمانِ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) الجار والمجرور خبرٌ مقدَّم، و(ما): اسم موصول مبتدأ مؤخَّر، و﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: صلة الموصول، والأصلُ: قلْ: ما في السموات والأرض لِمن؟ وإنما قدَّمَ الخبرَ؛ لأنَّ اسمَ الاستفهام له الصدارة، وهذه حجةٌ قاطعة لا يمكنُ ردُّها أبداً[1].

قوله: (﴿قُل لِّلَّهِ﴾) أي: تقريرٌ لهم وتنبيهٌ على أنه المتعيِّنُ للجواب بِالاتفاق؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

قوله: (لا جواب غيره) في معنى التفريع أو التعليل، فالمناسبُ أن يقولَ: فلا أو لأنه لا جوابَ غيره.

قوله: (﴿كَتَبَ﴾ ربكم ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾) أي: ألزمَ نفسَهُ الرحمة؛ لأنه وعدَ بها، ووعدُهُ لا يتخلَّفُ، فهي واجبةٌ شرعاً لا عقلاً. والرحمةُ: هي النعمةُ، وهي عامةٌ لكلِّ مخلوق في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فمِن رحمته إمهالُ العصاة والكفَّار، وترادفُ الأرزاق عليهم، وأما بعد استقرارِ الخلق في الدارين.. فتختصُّ الرحمةُ بأهل الجنة، ويختصُّ غضبُ الله بأهل النار.

قوله: (فضلاً منه) ردَّ بذلك على المعتزلة القائلين بأن الرحمةَ واجبةٌ عقلاً على الله يَستحيلُ تخلُّفُها، إذ هو نقصٌ، والنقصُ عليه محال.

قوله: (وفيه تلطُّفٌ في دعائهم إلى الإيمان) أي: في ذكر الرحمة بهذا العنوان، فلا تقنَطوا، بل إذا تبتم قَبِلَكم.

= في زمن تعيَّن فيه الجهاد، أما السياحة لغير مَنْ ذُكر في غير ما زُبر في الفلَوات، والانسلاخ عن رُعونات النفس، وتجرُّع فرقة الوطن والأهل والغربة لمن يَصبر على ذلك محتسباً قاطعاً من قلبه العلائق الشاغلة عن تَضييع من يعوله.. ففضلُها لا ينكر، فتَدبره)، وروى الخطيب في «الزهد» (٣٥) عن بشر بن الحارث أنه قال: (سِيحوا؛ فإن الماء إذا ساح طاب، وإذا وقف تغيَّر واصفرَّ)، وهي متعينة أيام الفتن، والعزلة بشروطها فيها واجبة.

(١) أي: لا يقدرون على التخلُّص منها أصلاً. «الفتوحات» (٢/ ١٠).

لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ....

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لِيُجازِيَكم بِأعمالِكُم، ﴿لَا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بِتَعرِيضِها لِلعَذابِ ـ مُبتَدأٌ خَبَرُه ـ: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿وَلَهُۥ﴾ تعالى ﴿مَا سَكَنَ﴾: حَلَّ ﴿فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: كُلُّ شَيء فهو رَبُّه وخالِقُه ومالِكُه، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِما يُقالُ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِما يُفعَلُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾) اللامُ موطئة لقسم محذوف، وهو كلامٌ مُستأنف مؤكَّدٌ بالقسم، والنون إشارةٌ إلى أن ذلك الأمرَ لا بدَّ منه.

قوله: (﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾) يحتملُ أن (إلى) على بابها متعلِّقةٌ بمحذوف تقديرُهُ: لَيَجمعنكم في القبور ويحشرنكم إلى يوم القيامة، ويحتملُ أنها بمعنى اللامِ، أو في، أو زائدةٌ.

قوله: (﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾) أي: في الجمع يومَ القيامة، أو في يوم القيامة الذي يحصلُ فيه الجمع.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾) ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ، و﴿خَسِرُوٓا۟﴾: صلة، و﴿أَنفُسَهُمْ﴾: مفعول لـ﴿خَسِرُوٓا۟﴾، وقوله: (﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾) مبتدأٌ وخبر، والجملةُ خبرُ المبتدإ.

إن قلتَ: إن ظاهرَ الآية أن عدمَ الإيمان مسبَّبٌ عن الخسران، مع أن الخسران مسبَّبٌ عن عدم الإيمان!

أجيبَ: بأن المعنى: الذين خَسروا أنفسهم في عِلم الله؛ أي: قضى عليهم بالخسران أزلاً فهم لا يؤمنون فيما لا يزال، فالآيةُ باعتبار ما في عِلم الله، وأما تسبُّبُ الخسران عن عدم الإيمان. . فبحسَبِ ما يظهرُ للعباد.

قوله: (﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ﴾) هذا أيضاً من جملة أدلَّة التوحيد؛ زيادةً في التشنيع على مَنْ كفر.

قوله: (حلَّ) أشارَ بذلك إلى أنه لا حذفَ في الآية، وعليه جمهورُ المفسرين، فمعنى (حلَّ): وجدَ، فيشملُ الساكنَ والمتحرِّك، وقيل: إن ﴿سَكَنَ﴾ من: السكون ضِد الحركة، وعليه: ففي الآية حذفٌ، والتقديرُ: وما تحرَّكَ.

قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ ....

﴿١٤﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾: أعبده، ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مبدعهما ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ يرزُق ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾: يُرزَقُ؟ لا. ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لِلَّهِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾) ردٌّ لقولهم له: كيف تتركُ دينَ آبائك؟ و(غيرَ): مفعول أول لـ﴿أَتَّخِذُ﴾، وقدَّمه اعتناءً بنفي الغيرية، و﴿وَلِيًّا﴾: مفعولٌ ثانٍ.

قوله: (أعبده) تفسيرٌ لـ﴿أَتَّخِذُ﴾، فالمرادُ بالولي هنا: المعبودُ، ويطلقُ بالاشتراك على معانٍ منها المعبود ولا يكونُ إلا الله، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ [الشورى: ٩]، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ويطلقُ على القريبِ والصاحبِ، وعلى المنهمكِ في طاعة الله.

قوله: (﴿فَاطِرِ﴾) بدلٌ من لفظ الجلالة، أو نعت.

إن قلتَ: إن (فاطر) اسمُ فاعل، وإضافتُهُ لفظيَّةٌ لا تفيدُهُ التعريف، ولفظُ الجلالة أعرفُ المعارف، وشرطُ النعت موافقتُهُ لمنعوته في التعريف!

أجيبَ: بأن محلَّ كون إضافته لفظيةً إن كان معناه التجدُّدَ والحدوث، وأمَّا هنا فهو من قَبيل الصفة المشبَّهة، فيكون وصفاً ثابتاً له، وهذه الجملةُ كالدليل لما قبلها.

قوله: (مُبدعهما) أي: موجدِهما على غير مثال سبقَ، فـ(فاطِر) من الفِطرة وهي الخلقة، وفطرَ: خلقَ وأنشأَ، قال ابنُ عباس: ما كنتُ أدري ما معنى فطرَ وفاطر حتى اختصمَ إليَّ أعرابيان في بئر، فقال أحدُهما: أنا فطرتُها؛ أي: أنشأتُها وابتدأتها.

قوله: (أي: يرزق) تفسير بالأعمِّ؛ لأنَّ المعنى: يرزقُ مطعوماً أو غيره، فليس المرادُ من الآية قصرَهُ على المطعوم.

قوله: (﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾) أي: لأنَّ المرزوق محتاجٌ لمن يَرزقه، وتنزَّهَ اللهُ عن الاحتياج.

قوله: (﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾) يحتمل أن ﴿مَنْ﴾ نكرة موصوفة، فجملةُ ﴿أَسْلَمَ﴾ صفة، والمعنى: أن أكون أوَّلَ فريقٍ أسلَم، أو اسم موصول وما بعدها صلة، والتقديرُ: أوَّل الفريق الذي أسلَم.
وقوله: (﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ﴾... إلخ) أي: أمرني ربِّي أن أكونَ أولَ المسلمين؛ لأنه يجبُ عليه الإيمانُ بأنه رسولٌ وبما جاءَ به من الشرع والأحكام، فهو أولُ المسلمين على الإطلاق.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٤ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾ ....

مِن هذهِ الأُمَّة، ﴿وَ﴾ قِيلَ لي: ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ به.

﴿١٥﴾ ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ بِعِبادةِ غَيرِه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يَومُ القِيامةِ.

﴿١٦﴾ ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ ـ بِالبناءِ لِلمفعُولِ أي: العَذابُ، ولِلفاعِلِ أي: اللهُ والعائِد مَحذُوفٌ ـ ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ تَعالى، أي: أرادَ لَهُ الخَيرَ، ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾: النَّجاةُ الظَّاهِرةُ.

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل لي... إلخ) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ معمولٌ لقول محذوف، والجملةُ معطوفةٌ على جملة ﴿أُمِرْتُ﴾، والمعنى: أمرني ربِّي بأن أكونَ أولَ من أسلَم ونهاني بقوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وهذه الجملةُ لازمةٌ لما قبلها.

قوله: (﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾) معمولٌ لـ﴿أَخَافُ﴾، وجملةُ ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ شرطيّة، وجوابها محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿أَخَافُ﴾، وهي معترضةٌ بين الفعلِ وهو ﴿أَخَافُ﴾ ومعمولِهِ وهو ﴿عَذَابَ﴾.

قوله: (﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾) ﴿مَّن﴾: اسمُ شرط، و﴿يُصْرَفْ﴾: فعل الشرط، ونائبُ الفاعل مستترٌ يعودُ على العذاب على القراءة الأولى، والفاعلُ الله على القراءة الثانية، و﴿عَنْهُ﴾: جار ومجرور متعلّقٌ بـ﴿يُصْرَفْ﴾، وقوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ جواب الشرط، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥][1].

قوله: (وللفاعل) أي: والمفعول محذوفٌ تقديرُهُ: العذاب، والمعنى: مَنْ يصرفُ اللهُ العذابَ عنه يومَ القيامة فقد رحمه، وفي ذلك تعريضٌ بأن الكفَّارَ لا يُرحمون؛ لأنه لا يصرفُ عنهم العذاب.

قوله: (والعائد محذوف) الأوضحُ أن يقول: والمفعولُ محذوف؛ لأن الضميرَ العائد على (مَنْ) مذكورٌ بقوله: ﴿عَنْهُ﴾، وأيضاً: لا يحتاجُ العائدَ إلا الموصولُ، و(مَنْ) هنا شرطيَّةٌ لا موصولة.

قوله: (﴿وَذَٰلِكَ﴾) أي: النجاةُ يومَ القيامة.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بالبناء للفاعل، والباقون بالبناء للمفعول. انظر «الدر المصون» (٤/ ٥٥٩).

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ....

﴿١٧﴾ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: بَلاءٍ كمَرَضٍ وفَقرٍ ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾: رافِعَ ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كصِحَّةٍ وغِنًى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ومِنهُ مَسُّكَ بِه، ولا يَقدِرُ على رَدِّه عَنك غَيرُه.

﴿١٨﴾ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: القادِرُ الَّذي لا يُعجِزُهُ شَيءٌ، مُستَعلِياً ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في خَلقِه، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بِبَواطِنِهم كظَواهِرِهِم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾) هذا تأييدٌ من الله لرسوله، فالمعنى: لا تخشَ لومَهم، بل بلِّغْ ما أُنزلَ إليك من ربِّك؛ فإن اللهَ متولي أمرك، بيَده الضرُّ والنفع، والمنعُ والإعطاء، فهم عاجزون لا يقدرون على إيصال ضرٍّ، ولا جلبِ نَفع، قوله: (كمرَض وفقر) أي: وغلبةٍ واحتياج.

قوله: (﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾) جوابُ الشرط، وفعلُهُ قوله: ﴿يَمْسَسْكَ﴾، ولا: نافية للجنس، وكاشف: اسمها مبنيٌّ معها على الفتح في محلٍّ نصب، وخبرُها محذوف تقديرُهُ: أحد، وقوله: (﴿إِلَّا هُوَ﴾) ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، و﴿هُوَ﴾: بدل من الضمير المستتر في الخبر.

قوله: (﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾) جوابُ الشرط محذوف، تقديرُهُ: فلا رادَّ لِفضله كما في آية (يونس(: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧].

قوله: (﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾) دليلٌ لكلٍّ من الجملتين، قوله: (ومنه ما مسَّكَ به) أي: مِن النبوة وغيرها.

قوله: (مستعلياً) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ ظرفٌ متعلقٌ بمحذوف حال من ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾.

قوله: (﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾) أي: فوقيةَ مكانة لا مكان، والمعنى: أن صفاتِهِ فوقَ صفات غيره؛ لأنَّ أوصافَهُ كماليَّة، وأوصاف غيره ناقصة، فوصفُهُ العزُّ والعِلم والاقتدار، ووصفُ غيره الذلُّ والجهل والعجز، فكلُّ وصفٍ شريفٍ كاملٍ فهو لله، وكلُّ وصفٍ خسيسٍ ناقصٍ فهو لِغيره.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه) أي: يضعُ الشيءَ في محله.

قوله: (﴿ٱلْخَبِيرُ﴾) أي: فيعاملُ كلَّ شخص بما يليقُ به.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾

﴿١٩﴾ ونزَل لَمَّا قالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: (ائتِنا بِمَن يَشهَدُ لَك بِالنُّبُوَّةِ؛ فإنَّ أهلَ الكِتاب أنكَرُوكَ): ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ ـ تَمييزٌ مُحوَّلٌ عن المُبتَدأ ـ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ إن لَم يَقُولُوهُ لا جَواب غَيرُه، هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صِدقِي، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم﴾ يا أهلَ مَكَّة ﴿بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ ـ عَطفٌ على ضَمِيرِ (أُنذِركُم) ـ أي: بَلَغَه القُرآنُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل لما قالوا) أي: أهلُ مكة، فقالوا: يا محمدُ؛ أرنا من يشهدُ لك بالرسالة، فإننا سألنا اليهودَ والنصارى عنك فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر"[1].

قوله: (ائتنا) بقلب الهمزة الثانية ياءً، قال ابن مالك: [الرجز]

وَمَدًّا ابْدِلْ ثَانِيَ الْهَمْزَيْنِ مِنْ ... كِلْمَةٍ انْ يَسْكُنْ كَآثِرْ وَائْتَمِنْ[2]

قوله: (تمييز مُحول عن المبتدأ) أي: والأصلُ: شهادةُ أيِّ شيءٍ أكبرُ؟ فحُذفَ المضافُ وأُقيمَ المضافُ إليه مُقامَهُ، وجُعلَ مبتدأً وجُعلَ المضافُ تمييزاً.

قوله: (﴿قُلِ اللَّهُ﴾) مبتدأٌ خبره محذوف؛ أي: أكبرُ شَهادة، وقوله: (﴿شَهِيدٌ﴾) خبر لمحذوف قدَّرَهُ المفسرُ، فالكلامُ جملتان، ويحتملُ أن ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ خبرُهُ ﴿شَهِيدٌ﴾، فالكلامُ جملةٌ واحدة.

قوله: (﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾) المرادُ بشهادة الله: إظهارُ المعجزات على يَده؛ فإنَّ المعجزةَ منزَّلةٌ منزلةَ قول الله: صدقَ عبدي في كلِّ ما يبلِّغُ عني.

قوله: (﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾) هذا دليلٌ لشهادة الله، والمعنى: أن اللهَ شهيدٌ؛ لأنَّ هذا القرآن ناطقٌ بالحُجج القاطعة، وهو من عنده، فلا يردُ كيف اكتفى منه عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مع أن ذلك لا يكفي من غيره؟ والاقتصارُ على الإنذار؛ لأنَّ الكلامَ مع الكفار، وبُنيَ (أُوحيَ) للمجهول لِلعِلم بفاعله.

قوله: (عطف على ضمير «أنذركم») أي: و(مَنْ): موصولة، و﴿بَلَغَ﴾: صِلتها، والعائدُ محذوف، والتقديرُ: وأنذرَ الذي بلغَهُ القرآن.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ١١٥) عن الكلبي.

(٢) «الخلاصة» (باب الإبدال)، وهذه القطعة ضُرِبَ عليها في (أ) بتَمامها.

أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ....

مِن الإنسِ والجِنِّ، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ ـ استِفهامُ إنكارٍ ـ ﴿قُل﴾ لَهُم: ﴿لَّآ أَشْهَدُ﴾ بِذلكَ، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ مَعهُ مِن الأصنامِ.

﴿٢٠﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: مُحمَّداً بِنعتِهِ في كِتابِهِم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ مِنهُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (من الإنس والجن) أي: إلى يوم القيامة، وفيه دلالةٌ على عُموم رسالته واستمرارها من غير ناسخ إلى يوم القيامة.

قوله: (﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾) اللامُ: لامُ الابتداء زُحلِقت للخبر،

قوله: (استِفهام إنكاري) أي: والمعنى: لا يصحُّ منكم هذه الشهادةُ؛ لأنَّ المعبودَ واحد.

قوله: (﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾) ﴿إِنَّمَا﴾: أداةُ حصر، و(ما): كافة، و﴿هُوَ﴾: مبتدأ، و﴿إِلَٰهٌ﴾: خبره، و﴿وَٰحِدٌ﴾: صفته، وهو زيادةُ في الرد عليهم، وهو مِن حصر المبتدإ في الخبر.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾) أي: اليهود والنصارى، فالمرادُ بالكتاب: التوراةُ والإنجيل.

قوله: (أي: محمداً) تفسيرٌ للضمير في ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾، ويصحُّ أن يرجعَ الضميرُ للقرآن أو لجميع ما جاءَ به رسولُ الله من التوحيد وغيرِه.

قوله: (﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾) أي: معرفةً كمعرفتهم لأبنائهم، وهذا من التنزُّلات الرَّبانية، وإلا.. فهم يَعرفونه أشدَّ من معرفتهم لأبنائهم؛ لما رُوِيَ: أن عمرَ بن الخطاب سألَ عبدَ الله بن سلام بعد إسلامه عن هذه المعرفة، فقال: يا عمرُ؛ لقد عرفتُهُ حين رأيتُه كما أعرفُ ابني، ولأنا أشدُّ معرفةً بمحمد مِني بابني، فقال عمرُ: كيف ذلك؟ فقال: أشهدُ أنه رسولُ الله حقًّا، ولا أدري ما تَصنعُ النساء[1].

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾) مبتدأٌ، والجملةُ نعتٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، ويؤيده قولُ المفسر: (منهم).

---

(١) «تفسير الزمخشري» (١/ ٢٠٤).

فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ ....

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به.

﴿٢١﴾ ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحَدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنسبةِ الشَّريكِ إليه، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: القُرآنِ ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشَّأنَ ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بِذلك.

﴿٢٢﴾ ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾) خبرُ المبتدإ، وقُرِنَ الخبرُ بالفاء؛ لما في المبتدإ من مَعنى الشرط وهو العموم، والمعنى: أن مَنْ سبقَ في عِلم الله خسرانُهُ فلا يتأتّى له الإيمان في الدنيا، وذلك أن الله جعلَ لكلِّ إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، فإذا كان يومُ القيامة جعلَ اللهُ للمؤمنين منازلَ أهل النار في الجنة، ولأهل النار منازلَ أهل الجنة في النار، وقد علمتَ مما تقدَّمَ: أن المؤمنَ واحدٌ من ألف، فيكون منازلُ الكفار التي تَرِثها المؤمنون في الجنة لكلِّ واحد تسعُ مئة منزل وتسعةٌ وتسعون تضمُّ لمنزله، ومنازلُ المؤمنين التي تُركت لأهل النار منزلٌ من ألف يُزادُ لهم، فيؤخذ منه: أن الجنةَ واسعةٌ جدًّا، وأن النارَ ضيقةٌ جدًّا، لا سيما مع عِظم جِسم الكافر فيها، حيث يكون ضرسُهُ كأُحُد[1]، قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان: ١٣].

قوله: (به) أي: بمحمد، أو بالله، أو بالقرآن، أو بما جاءَ به محمد.

قوله: (أي: لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي، والمعنى: ليس أحدٌ أظلمَ ممَّنْ فعلَ واحداً من الأمرَين: الافتراء، والتكذيب، فما بالُكَ بمن جمعَ بينهما كالمشركين وأهلِ الكتاب؟! فإن كلًّا منهما وقعَ منه الأمرانِ.

قوله: (﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾) أي: لا يَفوزون بمطلوبهم، وقوله: (بذلك) أي: بسبب ما ذكَره وهو الافتراءُ أو التكذيب.

قوله: (﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾) ظرفٌ متعلقٌ بمحذوف قدَّره المفسِّرُ، والضميرُ في ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ عائدٌ

---

(١) رواه مسلم (٢٨٥١).

جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ....

جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ توبيخاً: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنَّهم شُركاءُ للهِ؟

﴿٢٣﴾ ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن﴾ - بِالتَّاءِ والياء - ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ - بِالنَّصبِ والرَّفع - ....

حاشية الصاوي

على الخلق مُسلمِهم وكافرِهم، ويصحُّ عودُهُ على المشركين، فقوله بعد ذلك: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ إظهارٌ في محلِّ الإضمار؛ زيادةً في التشنيع عليهم. قوله: (﴿جَمِيعًا﴾) حالٌ من ضمير ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾.

قوله: (﴿ثُمَّ نَقُولُ﴾) أتى بـ(ثُمَّ)؛ إشارةً إلى أن السؤال بعد الحشر، والحشرُ يَطولُ على الكفار قدر خمسين ألف سنة، والمقصودُ من ذلك: رَدعُهم وزجرُهم لعلهم يؤمنون في الدنيا فيأمَنون من ذلك اليوم وهَوله، والقولُ إن كان على ألسنة الملائكة فظاهر، وإن كان من الله مباشرةً وردَ علينا قولُهُ تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤]، وقد يُجابُ: بأنَّ المعنى لا يكلِّمُهم كلامَ رضاً ورحمة.

قوله: (﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾) **إن قلتَ:** مقتضى هذه الآية أن الشركاءَ ليسوا حاضرِين معهم، ومقتضى قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣] أنهم حاضرون معهم، فكيف الجمع بينهما؟

أجيبَ: بأن هذا السؤالَ واقعٌ بعد التبرِّي الكائن منهم من الجانبَين، وانقطاعِ ما بينهم من الأسباب والعلائق، وأُضيفوا لهم؛ لأنَّ شركتها بتَسميتهم وتقوُّلهم، قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم...﴾ الآية.

قوله: (أنهم شركاء لله) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعولَي ﴿تَزْعُمُونَ﴾ مَحذوفان، وهذه الجملة سدَّتْ مسدَّهما.

قوله: (بالتاء والياء) فعلى قراءة التاء يصحُّ رفعُ (فتنتهم) اسم (يكن)، و﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ خبرها، ونصبُها خبر (تكن) مقدَّم، و﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ اسمُها مؤخَّر، ويتعيَّنُ جرُّ (ربِّنا)، وعلى قراءة الياء: فليس إلا نصب (فِتنتهم) خبر (يكن) مقدَّم، و﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ اسمُها مؤخَّر، ويتعيَّنُ نصب (رَبنا)، فالقراءاتُ ثلاثٌ، وكلُّها سبعيَّةٌ، خلافاً لما يُوهمه المفسِّر[1].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: (يكن) بالياء من تحت، (فتنتَهم) نصباً، وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم: (تكن) بالتاء من فوق، (فتنتُهم) رفعاً، والباقون بالتاء من فوق أيضاً، (فتنتَهم) نصباً. انظر «الدر المصون» (٤/ ٥٧٢).

إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَۖ ....

أي: مَعذِرَتَهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ أي: قَولُهُم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾ - بِالجَرِّ نَعتٌ، والنَّصبِ نِداءٌ - ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

﴿٢٤﴾ قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ﴾ بِنَفيِ الشِّرك عَنهُم، ﴿وَضَلَّ﴾: غابَ ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ه على اللهِ مِن الشُّرَكاء.

﴿٢٥﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَۖ﴾ إذا قَرَأتَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: معذرتهم) أي: جوابهم، وسمَّاه فتنةً؛ لأنه كَذبٌ محض لا نفعَ به، بل به الفضائح.

قوله: (﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾) إن قلتَ: كيف الجمعُ بين ما هنا وبين قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]؟!

قلتُ: أولاً ينكرون الإشراك ويَحلفون على عدم وقوعه منهم، ثم يستشهدُ اللهُ الأعضاءَ فتَنطقُ الجوارح، فحينئذٍ يودُّون لو تسوَّى بهم الأرض ولا يَكتمون الله حديثاً، فهم أولاً يظنُّون أن إنكارَهم نافعٌ، فحين تشهدُ أعضاؤُهم يَتمنَّون أن لو كانوا تراباً ولم يكتموا شيئاً.

قوله: (﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ﴾) إنما نسَبه لهم وإن كان في الحقيقة كذباً على الله؛ لأنَّ ضررَهُ عادَ إليهم.

قوله: (من الشركاء) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَۖ﴾) سببُ نزولها: أنه اجتمعَ أبو سفيان وأبو جَهل والوليدُ بن المغيرة والنضرُ بن الحارث وعقبةُ وشيبةُ ابنا ربيعة وأميةُ بن خَلف والحارث بن عامر يَستمعون القرآن، فقالوا للنضر: يا أبا قُتيبة؛ ما يقول محمد؟ قال: ما أدري ما يقول، غيرَ أني أراه يحرِّك لسانَهُ ويقولُ أساطيرَ الأولين مثل ما كنتُ أحدثكم عن القُرون الماضية، وكان النضرُ كثيرَ الحديث عن القرون الماضية وأخبارِها، فقال أبو سفيان: إني أرى بعضَ ما يقول حقًّا، فقال أبو جهل: كلَّا، لا نُقِرُّ بشيء من هذا، وفي رواية: الموت أهوَنُ علينا من هذا[1].

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ١١٧) عن الكلبي.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ﴾

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطِيَةً لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ يفهَمُوا القُرآنَ، ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ﴾: صَمماً فلا يَسمَعُونَه سَماعَ قَبُولٍ، ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ﴾ القُرآنُ ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾: أكاذِيبُ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كالأضاحِيكِ والأعاجِيبِ، جَمعُ: (أُسطُورةٍ) بِالضَّمِّ.

﴿٢٦﴾ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ النَّاسَ ﴿عَنْهُ﴾: عن اتِّباعِ النَّبِيِّ ﷺ، ﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾: يَتباعَدُونَ ﴿عَنْهُ﴾ فلا يُؤمِنُونَ بِه، وقِيلَ: نَزَلَت في أبِي طالِبٍ، كانَ يَنهَى عن أذاهُ ولا يُؤمِنُ بِه،

حاشية الصاوي

وأفرد ﴿يَسْتَمِعُ﴾ مراعاةً للفظ ﴿مَن﴾، وسيأتي في (يونس) مراعاةُ معناها، والحكمةُ في مُراعاة لفظها هنا: أنَّ ما هنا في قوم قليلين، وما يأتي في الكفَّار جميعاً.

قوله: (﴿أَكِنَّةً﴾) جمع كِنان، وهو الوعاءُ الجامعُ الذي يُحفظُ فيه الشيء، ويجمعُ على: أكنان، والمرادُ بها هنا: الغطاءُ الساتر، قوله: (فلا يَسمعونه) أي: القرآن.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ﴾) ﴿حَتَّىٰٓ﴾: ابتدائية، وقوله: (﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾) حالٌ من الواو في ﴿جَآءُوكَ﴾، وقوله: (﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾) جوابُ ﴿إِذَآ﴾.

قوله: (كالأضاحيك) جمع أُضحُوكة بالضم، وكذا الأعاجِيب؛ أي: فالمشهورُ أنَّ أساطير في جمعه ومُفرده كالأضاحيك والأعاجيب.

قوله: (﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾) أي: أن الكفارَ ينهَون عن اتباع النبيِّ أو عن سماع القرآن.

قوله: (أي: عن اتباع النبي) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف.

قوله: (وقيل: نزلت في أبي طالب) أي: وعليه فجمْعُ الضمير باعتبار أتباعه.

قوله: (كان ينهى عن أذاه) أي: وكان يخاطبُ النبيَّ عليه الصلاة والسلام بقوله: [الكامل]

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيانِ البَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلا المَلامَةُ أَوْ حِذارِي سُبَّةً ... لَوَجَدْتَنِي سَمْحاً بِذاكَ مُبِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ ما عَلَيْكَ غَضاضَةٌ ... حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرابِ رَهِينَا[1]

(١) انظر «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ١٨٨).

وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ....

﴿وَإِن﴾: ما ﴿يُهْلِكُونَ﴾ بِالنَّأي عنهُ ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لِأَنَّ ضَررَه عليهِم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

﴿٢٧﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿إِذْ وُقِفُواْ﴾: عُرِضُوا ﴿عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَا﴾ - لِلتَّنبيه - ﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدُّنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ - بِرَفعِ الفِعلَينِ استِئنافاً، ....

حاشية الصاوي

وهذا القولُ لابن عباس وعَمرو بن دينار وسعيدِ بن جُبير، والقولُ بأنها نزلت في المشركين لجماعة منهم الكلبيُّ والحسنُ، والأقربُ لِسياق ما قبلها وما بعدها المعنى الأوَّلُ، فتأمَّل[1].

قوله: (بذلك) أي: بإهلاكِهم أنفسَهم.

قوله: (﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾) المقصودُ من ذلك: حكايةُ ما سيقعُ من الكفار يومَ القيامة، وتسليةُ النبيِّ وأصحابه، والمعنى: لو تُبصرُ بعينك يا محمدُ ما يقعُ لهؤلاء في الآخرة.. لرأيتَ أمراً عظيماً تتسلَّى به عن الدنيا، فالخطابُ لسيدنا محمد كما قال المفسِّر.

إن قلتَ: هذا يقتضي أن رسولَ الله لم يطلِعْ على ذلك مع أنه لم يخرجْ من الدنيا حتى أحاطَ بوقائع الدنيا والآخرة.

وأُجيبَ: بأن هذا قبلَ إعلام الله له بالآخرة، **وأُجيبَ أيضاً**: بأنَّ الخطابَ له والمرادُ غيرُهُ.

و(رأى): إما بصريةٌ وهو الأقرب، أو قلبيةٌ والمعنى: لو صرفتَ فكرَكَ الصحيحَ في تدبُّر حالهم لازددتَ يقيناً، و(لو): يحتملُ أنها حرف امتناع، فيكون قوله: ﴿تَرَىٰٓ﴾ بمعنى: رأيت، و(إذْ) على بابها من المعنى، فيكون عبَّرَ بالماضي لتحقُّق الحصول، ويحتملُ أنها بمعنى (إنْ) الشرطية، و(إذْ) بمعنى: إذا، فيكون مستقبلاً، والأقربُ: الأول.

قوله: (للتنبيه) أي: لِدخولها على الحرف.

قوله: (﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾) (ليتَ): حرف تمنٍّ، و(نا): اسمها، وجملة ﴿نُرَدُّ﴾ خبرُها.

قوله: (**برفع الفعلَين استئنافٌ**) أي: واقعٌ في جواب سؤال مقدَّر تقديرُهُ: ماذا تَفعلون لو رُددتم؟ فقوله: ﴿وَلَا نُكَذِّبُ﴾ خبرٌ لمحذوف تقديره: ونحن لا نكذبُ، وكذا قوله: ﴿وَنَكُونُ﴾.

---

(١) وذلك أن جميع الآيات المتقدمة في ذم طريقتهم - أي: المشركين - فكذلك ينبغي أن يكون قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ محمولاً على أمر مذموم، وإذا حملناه على أن أبا طالب كان ينهى عن إيذائه لما حصل هذا النظم. انظر «الفتوحات» (٢/ ١٨).

﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨﴾ ....

ونَصبِهِما في جَواب التَّمَنِّي، ورَفعِ الأوَّلِ ونَصبِ الثَّاني، وجَوابُ (لو): لَرأيتَ أمراً عَظيماً ـ .

﴿٢٨﴾ قال تعالى: ﴿بَلۡ﴾ ـ لِلإضرابِ عن إرادةِ الإيمان المَفهُومِ مِن التَّمَنِّي ـ ﴿بَدَا﴾: ظَهَرَ ﴿لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ﴾: يَكتُمُونَ بِقَولِهِم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾، بِشَهادةِ جَوارِحِهِم، فتَمَنَّوا ذلك، ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ﴾ إلى الدُّنيا فَرضاً ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ مِن الشِّركِ، ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ في وَعدِهِم بِالإيمان.

حاشية الصاوي

قوله: (**وبنصبهما في جواب التمني**) أي: بـ(أنْ) مُضمرة بعد واو المعية، و(أنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدرٍ معطوف على مصدر مصيدٍ من الكلام السابق[1]، وتقديرُ الكلام: قالوا نتمنَّى على الله ردَّنا مع عدم تكذيب منَّا وحُصول إيمان.

قوله: (**ورفع الأول**) أي: على الاستئناف، وقوله: (**ونصب الثاني**) أي: بـ(أنْ) مضمرة وجوباً بعد واو المعية في جواب التمني، و(أنْ) وما دَخلت عليه: في تأويل مصدر معطوفٍ على مصدر مصيد من الكلام السابق، تقديرُهُ: نتمنى على الله ردَّنا مع كوننا من المؤمنين، وجملةُ ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ معترضةٌ بين المعطوف والمعطوف عليه، فهذه قراءاتٌ ثلاث، وكلُّها سبعيَّة[2]، وقُرِئَ شذوذاً بنصب الأول ورفع الثاني، وتوجيهُهُ كما علمتَ.

قوله: (**للإضراب**) أي: الإبطالي، والمعنى: ليس الأمرُ كما قالوا من أنهم لو رُدُّوا لآمنوا، بل إنما حملَهم على ذلك فضيحتُهم بشهادة أعضائهم.

قوله: (﴿مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ﴾) أي: وهو الشرك، قوله: (**بقولهم**) الباءُ: سببيَّة، قوله: (**بشهادة جَوارحهم**) متعلِّقٌ بـ﴿بَدَا﴾، قوله: (**فتمنَّوا ذلك**) أي: فِراراً من العذاب، لا محبةً في الإيمان، قوله: (﴿لَعَادُواْ﴾) جوابُ (لو)، قوله: (**في وعدهم بالإيمان**) أي: الذي وقعَ منهم بالتمنِّي.

---

(١) قوله: (مصدر مصيد) أي: مُتوهم؛ لئلا يعطف الاسم على الفعل.

(٢) رفع الفعلين هو قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير والكسائي، ونصبهما قراءة حمزة وحفص عن عاصم، ورفع الأول ونصب الثاني قراءة ابن عامر وأبي بكر. انظر «الفتوحات» (٢/ ١٩).

وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا ....

﴿٢٩﴾ ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: مُنكِرُو البَعثِ: ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هِىَ﴾ أي: الحياةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ﴾: عُرِضُوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾ لَرَأيتَ أمراً عَظِيماً، ﴿قَالَ﴾ تعالى لَهُم على لِسانِ المَلائِكة توبِيخاً: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ البعثُ والحِسابُ ﴿بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ إنَّهُ لَحَقٌّ، ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بِه في الدُّنيا.

﴿٣١﴾ ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ﴾: بِالبَعثِ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ - غايَةٌ لِلتَّكذِيبِ - ﴿إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: القِيامةُ ﴿بَغْتَةً﴾: فَجأةً ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا﴾ هِيَ شِدَّةُ التَّألُّم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾) يحتملُ أنه معطوفٌ على ﴿لَعَادُواْ﴾، فهو من جملة جواب (لو)، ويحتملُ أنه كلامٌ مستأنف في خصوص مُنكري البعث، وهذا هو المتبادر من المفسر، و﴿إِنْ﴾: نافية بمعنى (ما)، و﴿هِىَ﴾: مبتدأٌ، و﴿حَيَاتُنَا﴾: خبرُهُ، والمعنى: أنهم قالوا: ليس لنا حياةٌ غيرُ هذه الحياة التي نحن فيها، وما نحن بِمبعوثين بعد الموت.

قوله: (﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾) أي: على حِسابه وسؤاله، فالكلامُ على حذف مضاف.

قوله: (﴿قَالَ﴾ لهم) أي: لمنكري البعث الذين قالوا: إن هي إلا حياتنا الدنيا.

قوله: (على لسان الملائكة) دفعَ بذلك ما يُقالُ: إن اللهَ لا ينظرُ إليهم ولا يُكلمهم.

قوله: (﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾) جوابٌ مؤكَّدٌ باليمين.

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾) أي: بسبب الذين كُنتم تكفرون به، أو بسبب كفركم.

قوله: (غايةٌ للتكذيب) أي: لا لِلخسران؛ فإنه لا غايةَ له.

قوله: (﴿ٱلسَّاعَةُ﴾) المرادُ بها: مقدماتُ الموت، فالمرادُ: أن حزنهم الدائمَ يحصلُ لهم عند خروج أرواحهم.

قوله: (﴿بَغْتَةً﴾) حال من فاعل ﴿جَآءَتْهُمُ﴾، والتقديرُ: جاءتهم مباغتةً، أو من مَفعوله، والتقديرُ: جاءتهم حالَ كونهم مَبغوتين.

قوله: (﴿يَٰحَسْرَتَنَا﴾) ﴿يا﴾: حرفُ نداء، و﴿حسرتنا﴾: منادى منصوب بِفتحة ظاهرة لأنه مضاف لـ(نا). قوله: (هي شدة التألم) أي: التلهُّفُ والتحسُّر على ما فات.

عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ ....

ونداؤها مَجازٌ، أي: هذا أوانُكِ فاحضُرِي، ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾: قَصَّرْنا ﴿فِيهَا﴾ أي: الدُّنيا، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ بِأن تَأتيَهم عِند البَعث في أقبحِ شَيء صُورَةً وأنتَنِه رِيحاً فتركَبهُم، ﴿أَلَا سَاءَ﴾: بِئسَ ﴿مَا يَزِرُونَ﴾: يَحمِلُونه حَملُهُم ذلك.

﴿٣٢﴾ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الاشتِغالُ بِها ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، وأمَّا الطَّاعةُ وما يُعِينُ علَيها فمِن أُمورِ الآخِرة، ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ - وفي قِراءةٍ: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ - أي: الجَنَّةُ ...

حاشية الصاوي

قوله: (**ونداؤها مجاز**) أي: تنزيلاً لها مَنزلة العاقل؛ لأنه لا يُنادى حقيقةً إلا العاقل، والمقصودُ: التنبيهُ على أن هذا الكافرَ من شِدة هوله لم يفرِّقْ بين خطاب العاقل وغيره، ومثلُهُ: يا وَيلنا[1]، فتأمَّل.

قوله: (﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾) أي: من الأعمال الصالحة في الدنيا، قوله: (﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾) الجملةُ حالية من الواو في ﴿قَالُوا﴾.

قوله: (**بأن تأتيهم... إلخ**) وردَ: أن المؤمنَ إذا خرجَ من قبره استقبلَهُ أحسنُ شيء صورة وأطيبُه ريحاً، فيقولُ: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيَقول: أنا عملُك الصالح فاركَبني، فقد طال ما ركبتك في الدنيا، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] يعني: ركباناً، وأما الكافرُ فيَستقبلُهُ أقبحُ شيء صورة وأنتنُه ريحاً، فيقول: هل تَعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملُك الخبيثُ، طالَ ما ركبتني في الدنيا فأنا أركبُك، فذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١][2].

قوله: (**أي: الاشتغال فيها**) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف، والمعنى: أن الاشتغالَ في الحياة الدنيا عن خِدمة الله وطاعته لعبٌ ولهو، وليس المرادُ أن مطلقَ الحياة الدنيا لعب ولهو، بل ما قرَّبَ منها إلى الله فهو مَزرعةٌ للآخرة، وما أبعدَ منها عنه فهو حسرةٌ ونَدامة.

---

(١) في (أ): (ويلتا) بالتاء، وكلاهما صحيح، وفي «الفتوحات» (٢/ ٢٠): (والمقصود التنبيه على خطإ المنادي؛ حيث ترك ما أحوجه تركه إلى نداء هذه الأشياء).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٢٧) عن عمرو بن قيس العلائي، ويؤيده خبر «الصحيحين»: «لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء...».

خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ . . . .

﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشِّركَ، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ - بالياءِ والتَّاء - ذلك، فيُؤمِنُون؟

﴿٣٣﴾ ﴿قَدْ﴾ - لِلتَّحقِيقِ - ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُۥ﴾ أي: الشَّأنَ ﴿لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ لَك مِن التَّكذِيبِ؛ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السِّرِّ لِعِلمِهِم أنَّك صادِقٌ، . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾) أي: لأن منافعَها خالصةٌ من الكدرات، وعزَّها دائم.

قوله: (﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾) الهمزةُ داخلة على محذوف، والفاء عاطفةٌ على ذلك المحذوف، والتقديرُ: ألا يتفكرون فلا يعقلون؟!.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سَبعيَّتان[1].

قوله: (﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾) المقصودُ من هذه الآية وما بعدها: تسليةُ النبيِّ ﷺ على ما وقعَ من الكفَّار من التكذيب وغيره، وتهديدٌ لهم لَعلهم يرجعون، و(قد): للتحقيق؛ نَظير قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ [الأحزاب: ١٨].

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ﴾) بكسر الهمزة لدخول اللام المعلِّقة لـ﴿نَعْلَمُ﴾ عن العمل في حيِّزها، قال ابنُ مالك: [الرجز]

وَكَسَرُوا مِنْ بَعْدِ فِعْلٍ عُلِّقَا بِاللَّامِ كَاعْلَمْ إِنَّهُ لَذُو تُقَى[2]

و(إن): حرفُ توكيد، والهاء: اسمها، واللام: لام الابتداء زُحلقت للخبر لئلَّا يتوالى حرفا تأكيد، و﴿يَحْزُنُكَ﴾: خبرُها، و﴿ٱلَّذِى﴾: فاعل (يحزن)، و﴿يَقُولُونَ﴾: صلتها، والعائدُ محذوفٌ تقديره: يقولونه، والجملةُ من (إنَّ) واسمها وخبرها في محلِّ نصب سدَّت مسدَّ مفعولي ﴿نَعْلَمُ﴾؛ فإن التعليقَ إبطالُ العمل لفظاً لا محلًّا كما هو مُقرَّر.

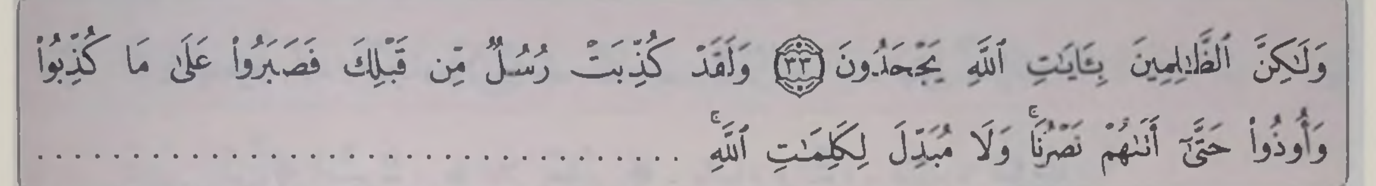
قوله: (﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾) الفاءُ: للتعليل، والمعنى: لا تحزَنْ من تكذيبهم لك واصبرْ ولا تكن في ضِيق ممَّا يمكرون؛ فإنهم لا يُكذبونك في الباطن، بل يعتقدون صدقَك، وإنما تكذيبُهم عنادٌ وجُحود.

قوله: (في السر) دفعَ بذلك ما يُقال: إن بين ما هنا وبين قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] تنافياً! وحاصلُ الجواب: أن المنفيَّ التكذيبُ في السرِّ، والمثبتَ التكذيبُ في العَلانية.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وحفص بتاء الخطاب، والباقون بياء الغيبة. انظر «السراج المنير» (١/ ٤١٧).

(٢) «الخلاصة» (باب إنَّ وأخواتها).



ـ وفي قِراءة بِالتَّخفيف، أي: لا يَنسبُونَك إلى الكَذِبَ ـ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ـ وضَعَهُ مَوضِعَ المُضمَر ـ ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿يَجۡحَدُونَ﴾: يُكذِّبُون.

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾ فِيهِ تَسلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾ بِإهلاكِ قَومِهِم، فاصبِر حَتَّى يَأتِيَك النَّصرُ بِإهلاكِ قَومِك، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾: مَواعِيدِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة بالتخفيف) أي: مع ضم الباء وسكون الكاف، وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (أي: لا ينسبونك إلى الكذب) هذا يناسبُ كلًّا من القراءتين، والمعنى: لا يَعتقدون تكذيبَك باطناً؛ ولِذا قال أبو جهل للنبيِّ ﷺ: إنَّا لا نكذبك، ولكن نُكذبُ الذي جئتَ به[2].

قوله: (وضعه موضعَ المضمر) أي: زيادةً في التقبيح والتشنيع عليهم.

قوله: (﴿يَجۡحَدُونَ﴾) الجحدُ: الإنكارُ مع العلم، والمعنى: أنهم أنكَروا آياتِ الله مع علمهم بأن ما جاءَ به صِدق، قوله: (يكذبونك) أي: في العلانية، قوله: (فيه تسلية) أي: زيادةُ تسلية، وذلك لأنَّ البلوى إذا عمَّتْ هانَت.

قوله: (﴿فَصَبَرُواْ﴾) الفاء: سببيَّة[3]، و(صبروا): معطوف على ﴿كُذِّبَتۡ﴾، وقوله: ﴿عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ﴾ متعلِّقٌ بـ(صبروا)، والمعنى: صبَروا على تكذيبهم.

قوله: (﴿وَأُوذُواْ﴾) يصحُّ عطفُهُ على ﴿كُذِّبَتۡ﴾، والمعنى: كُذبت وأوذوا فصَبروا، ويصحُّ عطفه على (صبروا)، والمعنى: كُذبت رسل فصَبروا وأُوذوا مع حصول الصبر منهم، ويصحُّ عطفه على قوله: ﴿مَا كُذِّبُواْ﴾، والمعنى: صبَروا على تكذيبهم وإيذائهم.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾) غايةٌ في الصبر، والمعنى: كان غاية صَبرهم نصر الله لهم.

قوله: (مواعيده) أي: مواعيدِ الله بالنصر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٢]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١].

---

(١) قرأ نافع والكسائي: (لا يكْذِبُونك) مخففاً، والباقون بالتشديد. انظر «الدر المصون» (٤/ ٦٠٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٣٤).

(٣) أي: عاطفة سببية، وهي التي تعطف الجملة على الجملة أو الصفة على الصفة.

وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا ....

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ما يَسكُنُ به قلبُك.

﴿٣٥﴾ ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾: عَظُمَ ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلامِ لِحِرصِك علَيهِم، ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ﴾) اللام: موطئة لِقسم محذوف، و(جاء): فعل ماض، والفاعل محذوف يُعلمُ من السياق، قدَّره المفسر بقوله: (ما يسكن به قلبك)، وقوله: ﴿مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بيانٌ لِلمحذوف، ويحتملُ أن (مِنْ) زائدة على مَذهب الأخفش، و﴿نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: فاعل، ويحتمل أن (مِنْ) اسم بمعنى (بعض) هي الفاعل، والمعنى: ولقد جاءك بعضُ أخبار المرسلِين الذين كذبوا وأُوذوا فصبروا، فتسلَّ ولا تحزَنْ؛ فإن اللهَ ناصرُك كما نَصَرهم.

قوله: (﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾) سببُ نزولها: أن الحارثَ بن عامر بن نَوفل بن عبد مناف جاءَ لِرسول الله ﷺ في نفرٍ من قريش، فقالوا: يا محمد؛ ائتِنا بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تَفعل فإنَّا نُصدقك، فأبى اللهُ أن يأتيَهم بآية ممَّا اقترحوا، فأعرَضوا عنه، فشَقَّ ذلك عليه لما أنه شديدُ الحرص على إيمان قَومه[(١)]، فكان إذا سألوه آية يودُّ أن الله ينزلُها طمعاً في إيمانهم، فنزلت[(٢)].

و(إن): حرف شرط، و﴿كَانَ﴾: فعل ماض فعل الشرط، واسمها ضميرُ الشأن، و﴿كَبُرَ﴾: فعل ماض، و﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾: فاعل، والجملةُ خبرُ ﴿كَانَ﴾، والأقرَب: أن ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخَّر، وجملةُ ﴿كَبُرَ﴾ خبرُها مقدَّم، وفاعل ﴿كَبُرَ﴾ ضمير يعود على ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾، وهو وإن كان مؤخَّراً لفظاً إلا أنه مقدَّم رتبة.

قوله: (﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾) هذه الجملةُ شرطية، وجوابُها محذوف تقديرُهُ: فافعَل، والشرط وجوابه جوابُ الشرط الأول، والمعنى: إن عظُمَ عليك إعراضُهم ولم تكتفِ بالمعجزات التي ظهرت على يدَيك فإن استطعتَ أن تأتيَهم بآية فافعَل.

---

(١) قال الإمام القشيري في «لطائفه» (١/ ٤٦٩): (لفرط شفقته ﷺ استقصى في التماس الرحمة من الله لهم، وحمل على قلبه العزيز بسبب ما علم من سوء أحوالهم ما أثَّر فيه من فنون الأحزان، فعرَّفه أنه مُبعدون عن التقريب، منكوبون بسالف القسمة).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ٢٢) وقال: (رواه أبو صالح عن ابن عباس).

فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ....

سَرَباً ﴿فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾: مِصعَداً ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ﴾ مِمَّا اقتَرَحُوا فافعَلْ، المَعنَى: أنَّك لا تستَطِيع ذلك فاصبِرْ حتَّى يَحكُمَ اللهُ، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هِدايَتَهُم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ﴾، ولَكِنْ لَم يَشَأ ذلك فلَم يُؤمِنُوا، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ بِذَلك.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ ﴿٣٦﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (سَرَباً) بفتحات: شِقٌّ في الأرض، والنفقُ السَّرَبُ النافذُ في الأرض، ومنه: النافِقاء أحدُ أبواب جِحَرة اليربوع، وذلك لأن اليربوعَ يحفرُ في الأرض سَرَباً ويجعلُ له بابين أو ثلاثة: النافِقاء والقاصِعاء والراهِطاء[1]، ثم يُدقق بالحفر ما يقاربُ وجهَ الأرض، فإذا نكبَهُ أمرٌ دفعَ تلك القشرةَ الدقيقة وخرجَ، والمعنى: إن شئتَ أن تتحيَّلَ على إتيان آية لقومك على طبق ما اقترحوا فافعَلْ، وهذا عتابٌ لرسول الله على التعلُّق بإيمانهم وترقٍّ له إلى المقام الأكمل الذي هو التسليم.

قوله: (﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ﴾) أي: من تحت الأرض، أو من فوقِ السماء.

قوله: (هِدايتهم) أي: جمعَهم على الهدى.

قوله: (ولكن لم يشأ ذلك) هذا استثناءُ نقيضِ المقدَّم، فينتجُ نقيضُ التالي إن كان بينهما تساوٍ كما هنا؛ نظير: لو كانت الشمسُ طالعةً كان النهارُ موجوداً، وقد أشارَ لمعنى النتيجة بقوله: (فلم يؤمنوا)، وإلا.. فالنتيجةُ: فلم يجمَعْهم على الهدى.

قوله: (﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾) أي: الذين لا تسليمَ لهم، فلا تتعبْ نفسك في طلب ما اقترحوه؛ فإنهم لا يؤمنون.

قوله: (﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَۘ﴾) هذا من جملة التسليةِ لرسول الله، والمعنى: لا تحزَنْ على عدم إيمانهم؛ فإنما يستجيبُ لك ويمتثلُ أمرك ويقبلُ المواعظَ الذين يَسمعون سماعَ قبول، والذين لا يسمعون يَبعثُهم الله فيجازيهم على ما صدر منهم، فللنار أهلٌ، ولِلجنة أهل، فمن خلقَ الله فيه الهدى انتفعَ بالمواعظ وآمن، ومَن خلق الله فيه الضلالَ فلا تزيده المواعظُ والآيات إلا ضلالاً، وهذه الآيةُ

(١) في النسخ: (والراميا)، والتصحيح من «الفتوحات» وكتب اللغة.

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ۝٣٦ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ﴾

دُعاءَكَ إلى الإيمانِ ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ﴾ سَماعَ تَفَهُّم واعتِبارٍ، ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ أي: الكُفَّارُ، شَبَّهَهُم بِهِم في عَدَمِ السَّماعِ ﴿يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في الآخِرةِ، ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾: يُرَدُّونَ فيُجازِيهِم بِأعمالِهِم.

﴿٣٧﴾ ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ: ﴿لَوۡلَا﴾: هلَّا ﴿نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ كالنَّاقةِ والعَصا والمائِدةِ، ﴿قُلۡ﴾ لَهُم: ....

حاشية الصاوي

في الحقيقة استدراكٌ على قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ﴾، فالمعنى: لم يشَأْ جمعَهم على الهدى، بل قسم الخلقَ قسمَين؛ قِسم للجنة، وقسم للنار.

قوله: (**دعاءَك إلى الإيمان**) هذا هو مفعولُ ﴿يَسۡتَجِيبُ﴾، والسين والتاء: لتأكيد الإجابة، والمرادُ بالذين يسمعون: مَنْ سبقت لهم السعادةُ في الأزل، فما يظهرُ منهم من الإيمان هو على طِبق ما سبق.

قوله: (**أي: الكفار**) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ مقابلُ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ﴾.

قوله: (﴿يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾) أي: يُحيِيهم، وقوله: (**في الآخرة**) إشارةٌ للحشر، وأن المرادَ بالبعث الإحياء بعد الموت، وهذا هو الأقرَب، وقيل: معنى ﴿يَبۡعَثُهُمُ﴾: يُحيي قلوبَهم بالإيمان، فهو بشارةٌ لرسول الله بأن أعداءَهُ يؤمنون، ولكن يردُّهُ الحصرُ المتقدِّم، وأيضاً: مَن آمن فهو داخلٌ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ﴾.

قوله: (**بأعمالهم**) الباء: إما سببية، أو بمعنى (على)، والمرادُ بالأعمال: الكفرُ والمعاصي، وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ أي: يُوقَفون للحساب والجزاء، وأما البعثُ فهو الإحياءُ بعد الموت، فتغايَرا.

قوله: (﴿وَقَالُواْ﴾) هذا إنكارٌ منهم لما جاء به من المعجزات الباهِرة، حيث جعلوا ما جاءَ به سحراً وكهانة وطلبوا غيرَهُ.

قوله: (**كالناقة والعصا**) أي: والنار لإبراهيم، وإلانة الحديد لِداوود، وغير ذلك من معجزات الأنبياء الظاهرة، فنزَّلوا معجزاتِهِ ﷺ منزلةَ العدم، حتى طلبوا معجزةً على صِدقه، ولكنهم مِنْ عمى قلوبهم لم يُفرقوا بين معجزاته ومعجزات غيره؛ فإنَّ معجزاتِهِ أعلى وأجلُّ، قال العارف البرعي: [الوافر]

إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ ....

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ﴾ ـ بِالتَّشْدِيدِ والتَّخْفِيف ـ ﴿ءَايَةً﴾ مِمَّا اقترَحُوا، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ نُزُولَها بَلاءٌ علَيهِم؛ لِوُجُوبِ هَلاكِهِم إن جَحَدُوها.

﴿٣٨﴾ ﴿وَمَا مِن﴾ ـ زائِدة ـ ﴿دَآبَّةٍ﴾ تَمشِي ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ﴾ في الهَواءِ ....

حاشية الصاوي

وَإِنْ قـابَـلْـتَ لَـفْـظَـةَ ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ بِـ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ فَـهِـمْـتَ مَـعْـنَـى

وقال أيضاً:

وَإِنْ يَـكُ خـاطَـبَ الأَمْـواتَ عِـيـسَـى فَـإِنَّ الـجِـذْعَ حَـنَّ لَـهُ وَأَنَّـا

إلى آخر ما قال[1].

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2]، قوله: (أنَّ نزولها... إلخ) هذه الجملةُ في محلِّ نصب مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾، قوله: (بلاء عليهم) أي: لِعدم إيمانهم وانتفاعِهم بها.

قوله: (لوجوب هلاكهم) أي: بحسَب جري عادة الله بأنَّ مَن اقترحَ آية وجاءته ولم يؤمِنْ بها أهلكَهُ اللهُ، فعدمُ إجابتهم لما اقترحوا رحمةٌ بالأمة المحمدية جميعاً؛ لأنَّ الله مَنَّ على نبيِّه ببَقائها إلى يوم القيامة، ولو أجابَ المتعنِّتين بعين ما طلبوا.. لانقَرضت الأمةُ كما انقرضَ من تعنَّتَ قبلَهم.

قوله: (﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ﴾) كلامٌ مستأنف مَسوقٌ لبيان كمال قدرته تعالى وسعةِ علمه وتدبيره.

قوله: (تمشي) قدَّرَهُ خاصًّا لدلالة مُقابله وهو قوله: ﴿يَطِيرُ﴾ عليه، قال العلماءُ: جميعُ ما خلق عزَّ وجل لا يخرجُ عن المشي والطيران، وألحقوا حيوانَ البحر بالطير؛ لأنه يَسبحُ في الماء كما أن الطيرَ يسبحُ في الهواء[3].

قوله: (﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾) خصَّها بالذكر؛ لأنَّ المشاهَدَ أقطعُ لحجَّة الخَصم، وإلا.. فسكَّانُ السماء كذلك.

---

(١) انظر «ديوانه» (ص٢٤٤).

(٢) قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١٢١).

(٣) «تفسير الخازن» (٢/ ١١٠).

﴿بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ . . . . . .

﴿بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ في تَدبِير خَلْقِها ورزقها وأحوالِها، ﴿مَّا فَرَّطۡنَا﴾: تركنا ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: اللَّوحِ المَحفُوظ ﴿مِن﴾ - زائِدة - ﴿شَيۡءٖۚ﴾ فلَم نكتُبْهُ، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِجَنَاحَيۡهِ﴾) صفةٌ كاشفةٌ، نظير قوله: نظرتُ بعَيني وسمعتُ بأذني[١].

قوله: (﴿إِلَّآ أُمَمٌ﴾) أي: طوائفُ وجماعات أمثالكم؛ أي: كلُّ نوع على صفة وطريقة وشكل كما أنكم كذلك، فمِن الدوابِّ العزيزُ والذليل، والمرزوقُ بسهولة وتعب، والقويُّ والضعيف، والكبيرُ والصغير، والمتحيِّلُ في الرزق وغيرُ المتحيِّل؛ كبني آدم.

قوله: (في تقدير خلقها) أي: وتَصريفه فيها في كلِّ لحظة بجلب المنافع لها، ودفع المضارِّ عنها، ولُطفه بها، فلا يشغلُهُ شأنٌ عن شأن، قال تعالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ﴾ [لقمان: ٢٨].

قوله: (وأحوالها) أي: من إحيائها وإماتَتها، وإعزازها وإذلالها، ونحو ذلك، وكذلك تعرفُ ربَّها وتوحِّدُه كما أنتم تَعرفون ربَّكم وتوحِّدونه[٢]، ولم يوجَدْ كافر إلا من الجنِّ والإنس، وإلا.. فجميعُ المخلوقات عُقلاءَ وغيرَهم مجبولون على التوحيد، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وإنما كَفر من كفرَ من الجنِّ والإنس عناداً.

قوله: (اللوح المحفوظ) أي: من الشيطان ومن التغيير والتبديل، وهو من دُرَّة بيضاءَ فوق السماء السابعة، طولُهُ ما بين السماء والأرض، وعرضُهُ ما بين المشرق والمغرب، فحيث أُريدَ بالكتاب اللوحُ المحفوظ فالعمومُ ظاهر؛ فإنَّ فيه تبيانَ كلِّ شيء، ما كان وما يكون وما هو كائن، وقيل: المرادُ بالكتاب القرآن، وعليه فالمرادُ بقوله: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ أي: يحتاجُ إليه الخلقُ في أُمورهم.

قوله: (﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾) أي: يُجمعون، وهذا بيانٌ لأحوالهم في الآخرة إثرَ بيان أحوالهم في الدنيا.

---

(١) والمراد التأكيد، ولكن ما مثَّلَ به المصنف هنا هو تأكيد لرفع احتمال المجاز، وفي الآية هو تأكيدٌ لإفادة التعميم.

(٢) نقل البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٢٢) في تفسير ﴿أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ عن عطاء قال: (أمم أمثالكم في التوحيد والمعرفة).

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ ....

فيَقضِي بَينَهم ويَقتَصُّ لِلجَمَّاءِ مِن القَرناء، ثُمَّ يقُول لَهُم: كُونُوا تُراباً.

(٣٩) ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿صُمٌّ﴾ عن سَماعِها سَماعَ قَبُولٍ، ﴿وَبُكْمٌ﴾ عن النُّطقِ بِالحَقِّ، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾: الكُفرِ، ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ﴾ إضلالَهُ ﴿يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ﴾ هِدايَتَه ﴿يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ﴾: طَرِيقٍ ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: دِينِ الإسلامِ.

حاشية الصاوي

قوله: (فيقضي بينهم) أي: الأُممِ عقلاءَ أو غيرهم.

قوله: (للجماء) أي: وهي معدومةُ القرون، وهذا كلُّه لإظهار العدل[1]، فحيث لم يَترُكْ غيرَ العقلاء فكيف بالعقلاء؟! فلا بدَّ من الحشر والحساب، والجزاء إما بِالعدل أو الفضل.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾) أي: أَعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها.

قوله: (﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾) هو معنى قوله في الآية الأخرى: ﴿عُمْيٌ﴾ [البقرة: ١٨][2]، فهم صُمُّ القلوب عُميُها بكمُها، فلا يتأتَّى منهم انتفاعٌ ولا اعتبار، ولا يصلُ إليهم نورٌ أبداً.

قوله: (الكفر) أي: فهو ظلماتٌ معنوية، فمثلُ الكافر كمثل رَجل أصمَّ أبكمَ أعمى، أو أصمَّ أبكمَ في الظلمات[3]، فلا يَهتدي إلى مقصوده كما أن الكافرَ كذلك.

قوله: (﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾) هذا دليلٌ لما قبله، ومفعول ﴿يَشَإِ﴾ محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (إضلالَه)، وبقوله: (هدايته)، والمعنى: أنَّ الإضلالَ والهدى بتقدير الله، فمن أرادَ الله هدايتَهُ سهَّلَ له أسبابَها، وجعله مُنهمكاً في طاعته، وإن وقعت منه معصيةٌ وُفِّقَ للتوبة منها، ومن أرادَ الله إضلالَهُ حجبَهُ عن نوره، وتعسَّرت عليه أسبابُ الطاعة، حتى لو وَقعت منه طاعةٌ تكون معلولةً غير مقبولة، وما في هذه الآية هو معنى قَوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ...﴾ [الأنعام: ١٢٥] الآية.

---

(١) لا لوجود التكليف، بل هو قِصاص مقابلة، والحديث رواه مسلم (٢٥٨٢).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾. «الفتوحات» (٢/ ٢٧).

(٣) التنويع للإشارة إلى الآيتين.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿٤٠﴾ ﴿قُلْ﴾ يا مُحمَّدُ لِأهلِ مَكَّة: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾: أخبِرُوني ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ في الدُّنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: القِيامةُ المُشتَمِلة عليهِ بَغتةً ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾؟ لا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنَّ الأصنامَ تَنفعُكم فادعُوها.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلْ﴾ يا محمد) أي: على سَبيل التخويف والتوبيخ على الكفر بالله.

قوله: (أخبروني) هكذا فُسِّرت الرؤيةُ في هذه الآية ونظائرِها بالإخبار، والأصل في الرؤية: العِلم أو الإبصار، فأُطلقَ العلمُ أو الإبصارُ وأُريدَ لازمُهُ وهو الإخبار؛ لأن الإنسان لا يخبرُ إلا بما علمَهُ أو أَبصره، واستعملت الهمزة التي هي في الأصل لِطلب العلم أو الإبصار في طلب الإخبار، ففيه مَجازان[١]، و(رأى): فعل ماض، والتاء: فاعل، والكاف: مفعول أول على حذف مضاف[٢]، والجملةُ الاستفهامية في محلِّ المفعول الثاني، والتقدير: أرأيتُم عبادتكم غيرَ الله هل تَنفعكم؟ والمعنى: أخبِروني يا أهلَ مكة؛ إن أتاكم عذابُ الله أو أَتتكم الساعةُ بسرعة[٣] أتدعون إلهاً غيرَ الله يكشفُ عنكم ما نزلَ بكم؟ وجوابُ الاستفهام: لا يَدعون غيرَ الله، فإذا كان كذلك فهو أحقُّ بأن يُفردَ بالعبادة.

قوله: (﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ﴾) جوابُ الشرط محذوف، تقديره: فمَن تَدعون؟!

قوله: (في الدُّنيا) أي: كالصَّاعقة والصيحة، قوله: (المشتملة عليه) أي: على العذاب؛ لأنَّ الكافرَ لا يشاهدُ من حين موته إلا العذاب الدائم، وأسهلُهُ خروجُ الروح[٤]، قوله: (بغتةً) أي: سُرعة.

قوله: (﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾) الهمزةُ للاستفهام الإنكاري، وغير: معمول لـ﴿تَدْعُونَ﴾، وهو صفةٌ لموصوف محذوف، والتقديرُ: أتدعون إلهاً غيرَ الله؟!، قوله: (فادعوها) قدَّره؛ إشارةً إلى أن جواب الشرط محذوف.

---

(١) استعمال (رأى) التي بمعنى: علم أو أبصر في الإخبار، واستعمال الهمزة التي هي لطلب الرؤية في طلب الإخبار. «الفتوحات» (٢/ ٢٧) نقلاً عن الشهاب.

(٢) والمضاف المحذوف هو العبادة، وبعضهم يجعل الكاف حرف خطاب، وانظر «الدر المصون» (٤/ ٦١٥).

(٣) في (أ): (القيامةُ سُرْعةً).

(٤) أي: أسهلُهُ على ما فيه من الشدة خروجُ الروح، فكيف بما هو بعده؟!

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ ......

﴿٤١﴾ ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشَّدائِد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أن يَكشِفَهُ عنكُم مِن الضُّرِّ ونحوِه، ﴿إِن شَآءَ﴾ كَشْفَه، ﴿وَتَنسَوْنَ﴾: تترُكونَ ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ معه مِن الأصنامِ فلا تدعُونَه.

﴿٤٢﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن﴾ ـ زائِدة ـ ﴿قَبْلِكَ﴾ رُسُلاً فكذَّبوهُم، ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: شِدَّةِ الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المَرَضِ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: يتذَلَّلُون فيُؤمِنُون.

﴿٤٣﴾ ﴿فَلَوْلَآ﴾: فهلَّا ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾: عَذابُنا ﴿تَضَرَّعُوا۟﴾ أي: لَم يَفعَلُوا ذلك مع قِيامِ المُقتَضِي لَه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾) إضرابٌ انتقالي عن النفي الذي عُلِمَ من الاستفهام، قوله: (في الشدائد) أي: كالمرض والفقر وغير ذلك.

قوله: (﴿إِن شَآءَ﴾) جوابُهُ محذوفٌ لفهمِ المعنى ودلالةِ ما قبلَهُ عليه؛ أي: إن شاءَ أن يكشفَهُ كشفَهُ، وإن لم يشأْ كشفَهُ فلا يَكشفه، فليست إجابةُ الدعاء وعداً لا يُخلَف، وهذا مخصوصٌ بدعاء الكفَّار، وأما دعاءُ المؤمنين فهو مجابٌ بالوعد الذي لا يخلف، لكن على ما يريدُ الله؛ إما بعين المطلوب أو بغيره، فلا مُنافاةَ بين ما هنا وبين قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠][1].

قوله: (﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾) أي: حين نُزول الشدائد بهم لا يَلتفتون إلى أصنامهم، بل لا يدعون إلا الله!، قوله: (﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾) هذا تَسليةٌ لرسول الله ﷺ.

قوله: (فكذَّبوهم) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ مرتَّبٌ على محذوف.

قوله: (﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾) من التضرُّع، وهو التذلُّل والخُضوع، قوله: (فهلَّا) أشارَ بذلك إلى أن (لولا) للتحضيض، قوله: (أي: لم يفعلوا ذلك) أي: التضرُّع، وأشارَ بذلك إلى أن التَّحضيض بمعنى النفي، قوله: (مع قيام المقتضي له) أي: وهو البأساءُ والضرَّاء.

---

(١) فظهر أنه لا يجب على الله تعالى إجابة الدعاء، بل الوجوب شرعي بالنظر إلى الوعد، ووعدُهُ تعالى لا يَتخلف، فالدعاء ينفعُ، وذَهبت المعتزلة إلى عدم نفعه، وتأوَّلوا قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ بالعبادة والجزاء، والجزاءُ على العبادة عندهم واجبٌ بناءً على أصلهم الفاسد في التحسين والتقبيح العقليَّين.

وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ....

﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلَم تَلِنْ لِلإيمانِ، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِن المَعاصِي فأصَرُّوا علَيها.

﴿٤٤﴾ ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تَرَكُوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾: وُعِظُوا وخُوِّفُوا ﴿بِهِ﴾ مِن البَأساءِ والضَّرَّاء فلَم يَتَّعِظُوا، ﴿فَتَحْنَا﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد - ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِن النِّعَم استِدراجاً لَهُم، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فَرَحَ بَطَرٍ ﴿أَخَذْنَاهُم﴾ بِالعَذابِ ﴿بَغْتَةً﴾: فَجأَةً، ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: آيِسُونَ مِن كُلِّ خَير.

﴿٤٥﴾ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: آخِرُهُم بِأَنِ استُؤصِلُوا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾) أي: لم يقَعْ منهم تضرُّع ولا خضوع، بل ظهرَ منهم خلافُ ذلك؛ بسبب قَسوة قلوبهم، قوله: (فلم تلنْ للإيمان) أشارَ بذلك إلى أن القسوةَ نشأ عنها الكفرُ، كما أن التضرُّعَ ينشأُ عنه الإيمان.

قوله: (﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾) أي: الذي كانوا يَعملونه، أو عملَهم.

قوله: (فأصرُّوا عليها) أي: على المعاصي، ولم يتعظوا بما نزلَ بهم من البأساء والضرَّاء.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهُما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا﴾) غايةٌ للفتح، والمعنى: أن من خالف أمرَ الله وطَغى يستدرجه الله بالنعم، ويمدُّهُ بالعطايا الدُّنيوية، فإذا فرحَ بذلك كان عاقبةُ أمره أخذَهُ أخذَ عزيز مقتدر.

قوله: (﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾) (إذا): فجائية؛ أي: فاجأهم الإبلاسُ، بمعنى: اليأس من كلِّ خير.

قوله: (﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾) الدابرُ: التابع من خلف، يُقال: دبرَ الولدُ والده، ودبرَ فلانٌ القومَ: تبعَهم، فمعنى دابِرهم: آخرهم، وهو كنايةٌ عن الاستئصال؛ ولذلك قال: (بأن استُؤصلوا) أي: فلم يبقَ منهم أحدٌ.

---

(١) قرأ الجمهور بالتخفيف، وابن عامر بالتشديد. «الدر المصون» (٤/ ٦٣٤).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ....

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نَصرِ الرُّسُل وإهلاكِ الكافِرين.

﴿٤٦﴾ ﴿قُلْ﴾ لِأهلِ مَكَّة: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبِروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾: أصَمَّكُم ﴿وَأَبْصَارَكُمْ﴾: أعماكُم ﴿وَخَتَمَ﴾: طَبَعَ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلا تَعرِفُونَ شَيئاً، ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾: بِما أخَذَهُ مِنكُم بِزَعمِكُم؟ ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾: نُبَيِّنُ ﴿الْآيَاتِ﴾: الدَّلالاتِ على وَحدانِيَّتِنا، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يُعرِضُونَ عنها فلا يُؤمِنُون.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾) هذا حمدٌ من الله لِنفسه على هلاك الكفَّار ونصر الرسل، وفيه تعليمٌ للمؤمنين أنهم يَشكرون الله على ذلك؛ إذ هو نعمةٌ عظيمة.

قوله: (﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾) هذا تنزُّلٌ من الله سبحانه وتعالى لكفَّار مكة لإقامة الحجَّةِ عليهم قبلَ أخذهم.

قوله: (أخبروني) تقدَّمَ أن استعمال (رأى) في الإخبار مجاز، وأصلُ استعمالها في العِلم أو الإبصار، وتقدَّمَ أنها تطلبُ مفعولين، الأول محذوف لِدلالة مفعول ﴿أَخَذَ﴾ - وهو ﴿سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ - عليه، فهو من باب التنازع، أعملَ الثاني وأضمرَ في الأول وحذف لأنه فَضلة، والمفعول الثاني هو قوله: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ... إلخ﴾.

قوله: (﴿سَمْعَكُمْ﴾) أفردَهُ وجمعَ ما بعده؛ لأنَّ السمعَ مَصدر لا يثنَّى ولا يجمع كما تقدَّم في (البقرة)[1].

قوله: (﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾) المرادُ بالقلوب: العُقول؛ أي: أذهبَ عقولَكم وصيَّرَكم كالبهائم فلا تعقلون شيئاً.

قوله: (بما أخذه) أشارَ بذلك إلى أنه أفردَ باعتبارَ ما ذُكر، والمعنى: مَنْ إلهٌ غير الله بزعمكم يأتيكم بأيِّ واحد ممَّا أخذَ منكم.

قوله: (بزعمكم) متعلق بقوله: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾، فالمناسبُ تقديمُهُ.

قوله: (﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾) هذا تعجيبٌ لرسول الله من عدم اعتبارهم بتلك الآيات

(١) انظر (١/ ٨٩).

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿٤٧﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ ليلاً أو نهاراً ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافِرُون؟ أي: ما يُهلَكُ إلَّا هُم.

﴿٤٨﴾ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ مَن آمَنَ بالجنَّةِ، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مَن كَفَرَ بِالنَّارِ، ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ بِهِم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عَمَلَه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخِرةِ.

حاشية الصاوي

الباهرة، و(كيفَ): منصوبٌ على التشبيه بالحال، والمعنى: انظر ـ يا محمدُ ـ تصريفَنا الآيات على أيِّ كيفيَّة.

قوله: (﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾) أي: أخبِروني، والمفعول الأول الكاف على حذف مضاف؛ أي: أنفسَكم، والمفعول الثاني جملةُ الاستفهام.

قوله: (﴿عَذَابُ ٱللَّهِ﴾) أي: كالصيحة والصواعق.

قوله: (ليلاً أو نهاراً) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، وهذا التفسير لابن عباس [1]، وقيل: البغتةُ الذي يأتي من غير سَبق علامة، والجهرُ الذي يأتي مع سَبق علامة، كان كلٌّ بالليل أو النهار.

قوله: (الكافرون) أشارَ بذلك إلى أن المراد هلاكُ سُخط وغضب، فاندفعُ ما يُقال: إن المصيبةَ إذا أتت لا تخصُّ الكافر بل تعمُّ الطائع، فالجواب: أن هلاكَ الكفار سخطٌ وغضب، وهلاكَ المؤمن إثابةٌ ورفعُ درجات، والاستثناءُ مفرَّغ، والاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي كما أشارَ له المفسِّر.

قوله: (﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾) هذا بيانٌ لوظائف المرسلين، والمعنى: أن المرسلين منصبُهم البشارة لمن آمَن، والنذارة لمن كفر، وليسوا قادرِين على إيجاد نفع أو ضرٍّ، وإنما جعلهم اللهُ سبباً لذلك.

قوله: (في الآخرة) احتراسٌ لبيان أنَّ عدم الخوف والحزن إنما هو في الآخرة فقط، وأما الدنيا فهي محلُّ الخوف والحزن؛ لأنها سجنُ المؤمن.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ١٢٥).

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۝٤٩ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ ....

﴿٤٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾: يَخرُجُونَ عن الطَّاعةِ.

﴿٥٠﴾ ﴿قُل﴾ لَهُم: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ الَّتي مِنها يَرزُق، ﴿وَلَآ﴾ إنِّي ﴿أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾: ما غابَ عَنِّي ولَم يُوحَ إلَيَّ، ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ مِن المَلائِكة، ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾: الكافِرُ ﴿وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾: المُؤمِنُ؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾) مقابل قوله: ﴿فَمَنۡ ءَامَنَ﴾، كأنه قال: فالذين آمنوا وأصلحوا. . . إلخ، وهذا يؤيِّدُ أن (مَنْ) موصولة.

قوله: (﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾) الباءُ: سببيَّة، و(ما): مصدرية؛ أي: بِسبب فسقهم، والفسقُ الخروجُ عن الطاعة كلًّا أو بعضاً، فالكافرُ فاسِق لخروجه عن طاعة الله بِالكلية.

قوله: (﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ﴾) هذا مرتَّب على قوله: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ﴾، كأنه قال: ليس على الرسول إلا البشارةُ والنذارة، وليس من وظيفته إجابتُهم عمَّا سألوه عنه، ولا فعلُ ما طلبوه منه؛ لأنه ليس عنده خزائنُ الله. . . إلخ.

قوله: (﴿خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾) أي: لا أدَّعي أن مقدوراتِ الله من أرزاق وغيرها مُفوَّضةٌ إليَّ حتى تطلبوا مني قَلْبَ الجبال ذهباً وغيرَ ذلك.

قوله: (﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾) أي: ما غابَ عني من أفعال الله حتى تَسألوني عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب.

قوله: (﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾) أي: حتى تكلِّفوني بِصفات الملائكة؛ كالصعود للسماء، وعدم المشي في الأسواق، وعدمِ الأكل والشرب، وهذه الآيةُ نزلت حين قالوا له: إن كنت رسولاً فاطلبْ منه أن يوسِّعَ علينا ويُغنيَ فقرنا، فأخبرَ أن ذلك بِيَد الله لا بيده بقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقالوا له أيضاً: أخبرنا بمصالحنا ومضارِّنا في المستقبل حتى نتهيَّأ لذلك، فنحصِّلَ المصالح وندفعَ المضارَّ، فقال لهم: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ فأخبركم بما تُريدون، وقالوا له: ما لهذا الرسول يأكلُ الطعامَ ويمشي في الأسواق ويتزوَّج النساء؟! فقال لهم: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾.

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٥١ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ ....

لا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فتؤمنون؟

۝٥١ ﴿وَأَنذِرْ﴾: خَوِّفْ ﴿بِهِ﴾ أي: بالقُرآنِ ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: غيرِه ﴿وَلِيٌّ﴾ ينصرُهُم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يَشفَعُ لَهُم، ـ وجُملةُ النَّفيِ حالٌ مِن ضَمِيرِ ﴿يُحْشَرُوٓاْ﴾، وهي مَحَلُّ الخَوفِ ـ، والمُرادُ بِهِم المُؤمِنُونَ العاصُونَ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ اللهَ بِإقلاعِهِم عَمَّا هُم فِيه وعَمَلِ الطَّاعات.

۝٥٢ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ بِعِبادَتِهِم ﴿وَجْهَهُۥ﴾ تعالى لا شَيئاً مِن أعراضِ الدُّنيا ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾) الهمزةُ داخلة على محذوف، والفاء عاطفةٌ على ذلك المحذوف، والتقديرُ: ألا تسمعون الحقَّ فلا تتفكرون؟!

قوله: (فتؤمنون) معطوفٌ على ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ وليس جواباً للنفي، وإلا.. لَنُصب[1].

قوله: (﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾) محطُّ الأمر قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، والمعنى: أن إنذارك لا ينفعُ إلا العاصيَ الخائف، وأما الكافرُ المعاند.. فلا ينفعُ فيه الإنذار، فلا ينافي أنه مأمورٌ بإنذار كلِّ مخالف، أفاد الإنذارُ أو لا، وإنما ذلك بيانٌ للذين ينفعُ فيهم الإنذار.

قوله: (والمراد بهم) أي: بالذين يَخافون.

قوله: (﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾) أي: لا تُبعدْهم عن مجلسك، ولا عن القرب منك، قوله: (﴿يَدْعُونَ﴾) أي: يَعبدون[2]، قوله: (﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾) خصَّ هذين الوقتين؛ لأنَّ في الأول صلاةَ الصبح، وفي الثاني صلاةَ العصر، وقد قيل: إن كلًّا هي الصلاة الوسطى.

قوله: (لا شيئاً) مفعول لمحذوف تقديره: لا يريدون شيئاً، قوله: (من أعراض الدنيا) يصحُّ ضبطُهُ بالعين المهملة، وبالغين المعجمة، والثاني أَولى؛ لِشموله للأموال وغيرها، ....

---

(١) قول الشارح: (فتؤمنون) يصح نصبه أيضاً إذا لُوحظ تسببه عما قبله، بل هو الأظهر من حيث المعنى كما لا يخفى، فلو نصبه الشارح لكان أولى. «الفتوحات» (٢/ ٣٣).

(٢) كذا روى تفسيره الطبريُّ في «تفسيره» (١١/ ٣٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ....

وهُمُ الفُقَراءُ، وكانَ المُشرِكُون طَعَنُوا فِيهِم وطَلَبُوا أن يَطرُدَهُم لِيُجالِسُوهُ، وأرادَ النَّبيُّ ﷺ ذلك طَمَعاً في إسلامِهِم، ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن﴾ ـ زائِدة ـ ﴿شَيْءٍ﴾ إن كانَ باطِنُهم

حاشية الصاوي

قوله: (وهم الفقراء) أي: كعمَّار بن ياسر وبلال وصهيب.

قوله: (وكان المشركون طعنوا فيهم) هذا إشارةٌ لسبب نزولها، وحاصِله كما قال الخازن: أنه جاءَ الأقرعُ بن حابس التيمي وعُتبة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وهم من المؤلَّفة قلوبهم[١]، فوجدوا النبيَّ ﷺ جالساً مع ناس من ضُعفاء المؤمنين كعمار بن ياسر وصهيب وبلال، فلمَّا رأوهم حولَهُ حَقَروهم، وقالوا: يا رسولَ الله؛ لو جلَست في صدر المسجد وأبعدت عنَّا هؤلاء ورائحة جِبابهم ـ وكانت عليهم جببٌ من صوف لها رائحةٌ كريهة لمداومة لُبْسِها لعدم غيرها ـ لجالسناك وأخذنا عنك، فقال النبيُّ: «ما أنا بطارد المؤمنين»، قالوا: فإنا نحبُّ أن تجعلَ لنا منك مجلساً تعرفُ به العرب فضلَنا، فإن وفودَ العرب تأتيك فنَستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعبُد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنَّا، فإذا نحن فرَغنا فاقعُدْ معهم إن شئت، قال: «نَعم»، قالوا: فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً، فأتى بالصحيفة ودعا عليًّا ليكتبَ، فنزل جبريلُ بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ...﴾ الآية، فألقى رسولُ الله ﷺ الصحيفة ثم دعانا وهو يقول: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾، فكنَّا نقعدُ معه، وإذا أرادَ أن يقومَ قام وتركنا، فأنزل الله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ...﴾ [الكهف: ٢٨] الآية، فكان يقعُدُ معنا بعد ذلك ونَدنو منه حتى كادت رُكَبُنا تمسُّ ركبته، فإذا بلغَ الساعة التي يريدُ أن يقوم فيها قُمنا وتركناه حتى يقومَ. اهـ[٢]

قوله: (﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾) كالتعليل لما قبله، والمعنى: لا تُؤاخذُ بذنوبهم ولا بما في قلوبهم إن أرادوا بصُحبتك غيرَ وجه الله، وهذا على فَرض تسليم ما قاله المشركون، وإلا.. فقد شهدَ الله أولاً لهم بالإخلاص. و﴿مَا﴾: نافيةٌ مهملة، و﴿عَلَيْكَ﴾: جار ومجرور خبر مقدَّم، و﴿شَيْءٍ﴾: مبتدأ مؤخَّر، و﴿مِّن﴾: صِلة، و﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾: متعلِّقٌ بمحذوف حال، وهذا نظيرُ قوله في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

---

(١) كذا في النسخ، والصواب كما في «الخازن» (٢/ ١١٤) وغيره: الأقرع بن حابس التميمي وعيينة...

(٢) «الخازن» (٢/ ١١٤)، ورواه ابن ماجه (٤١٢٧) عن خباب رضي الله عنه.

وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ....

غيرَ مَرضيٍّ، ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ - جوابُ النفي - ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إن فَعلتَ ذلك.

﴿٥٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾: ابتلَينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: الشَّريفَ بِالوَضيعِ والغَنيَّ بِالفَقيرِ؛ بِأن قَدَّمناهُ بِالسَّبقِ إلى الإيمانِ؛ ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ أي: الشُّرفاءُ والأغنياءُ مُنكِرينَ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الفُقَراءُ ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ بِالهِدايةِ؟ أي: لو كانَ ما هُم عَليهِ هُدًى ما سَبَقُونا إلَيه،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾) يُقال في إعرابها ما قيل فيما قبلها، إلا أن قوله: ﴿مِنْ حِسَابِكَ﴾ بيانٌ لقوله: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ وليس حالاً[1]، وفي هاتين الجملتين من أنواع البديع رَدُّ الصدر على العجز؛ كقولهم: عاداتُ الساداتِ ساداتُ العادات، والتتميمُ، وإلا.. فأصلُ التعليل قد حصلَ بالجملة الأُولى.

قوله: (جواب النفي) أي: المرتَّب على النهي، وقوله: ﴿فَتَكُونَ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾، قوله: (إن فعلت ذلك) أي: طردَهم.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) الكاف في محلِّ نصب نعت لمصدر محذوف، والتقديرُ: ومثلُ ذلك الفُتُون المتقدِّم من أخبار الأُمَم الماضية فتنَّا بعضَ هذه الأمة ببعض.

قوله: (والغني بالفقير) أي: ففتنةُ الغنيِّ بالفقير سبقُ الفقير إلى الإيمان، وفِتنةُ الفقير بالغني زينةُ الدنيا التي يتمتَّعُ فيها مع كفره.

قوله: (بأن قدَّمناه بالسبق إلى الإيمان) بيانٌ لِفتنة الأغنياء بالفقراء.

قوله: (﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾) اللامُ يصحُّ أن تكون لامَ (كي) أو لامَ الصيرورة والعاقِبة.

قوله: (منكرين) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي على سبيل التهكُّم.

---

(١) لأنه يلزم تقدمه على عامله المعنوي، وهو ممتنع أو ضَعيف. «الفتوحات» (٢/ ٣٤)، والعامل في الحال هناك إنما هو الاستقرار؛ إذ التقدير: ما استقرَّ عليك شيء من حِسابهم.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ﴾ ....

قال تَعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لَهُ فيهديَهُم؟ بَلى.

۝٥٤ ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ﴾ لَهُم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ﴾: قَضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ إِنَّهُۥ﴾ أي: الشَّأنَ، ـ وفي قِراءة بِالفَتحِ بَدَلٌ مِن ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾ ـ،

حاشية الصاوي

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا عليهم، قوله: (بلى) جوابُ الاستفهام التقريري.

قوله: (﴿وَإِذَا جَآءَكَ﴾) هذا من تتمَّة ما نزلَ في الفقراء.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾) وصفَهم أوَّلاً بالعبادة، وثانياً بالإيمان إظهاراً لمزاياهم.

قوله: (﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾... إلخ) أي: اذكرْ لهم هذه الآية إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في وقت مجيئهم إليك، وهذا السلامُ يحتملُ أنه سلامُ التحية، أُمِرَ أن يبدأهم به إذا قدموا عليه خصوصيةً لهم، وإلا.. فسنةُ السلام أن يكون أولاً من القادم، وعليه: فتكون الجملةُ إنشائيةً، ويحتملُ أنه سلامُ الله عليهم إكراماً لهم، أُمِرَ بتبليغه لهم، وعليه: فتكون الجملة خبريةً لفظاً ومعنًى، و﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ، و﴿عَلَيْكُمْ﴾: خبره، وسوَّغَ الابتداءَ بالنكرة كونُهُ دعاءً، والدعاءُ من المسوِّغات.

قوله: (﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ﴾) أي: ألزمَ نفسه تفضُّلاً منه وإحساناً.

قوله: (وفي قراءة بالفتح) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً، والحاصلُ أن القراءاتِ ثلاثٌ: فتحهما، وكسرهما، وفتحُ الأولى وكسرُ الثانية، وكلُّها سبعيَّة[1]، فأما الفتح فيهما فالأولى بدل من (الرحمة)، والثانية في محلِّ رفع مبتدأ، والخبر محذوف؛ أي: فغفرانه ورحمته حاصلان له، وأما الكسرُ فيهما فالأولى مستأنفةٌ جِيءَ بها كالتفسير لما قبلها، والثانية مستأنفةٌ أيضاً بمعنى أنها في صدر جملة وقعت خبراً لمن الموصولة، وأما فتحُ الأولى وكسرُ الثانية فالأولى بدلٌ والثانية استئناف، فتأمَّلْ؛ فإنه زبدةُ احتمالاتٍ كثيرة.

قوله: (بدل من ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾) أي: بدلُ شيء من شيء.

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم بفتحهما، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بكسرهما، وقرأ نافع بفتح الأولى وكسر الثانية، وقرأ الأعرج عكس قراءة نافع. انظر «الدر المصون» (٤/ ٦٥٠).

مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ . . . .

﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ مِنهُ حَيثُ ارتكَبَهُ ﴿ثُمَّ تَابَ﴾: رَجَعَ ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعدَ عَمَلِه عنهُ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عَمَلَه، ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ أي: الله ﴿غَفُورٌ﴾ لَهُ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِه، ـ وفي قِراءة بِالفَتحِ أي: فالمَغفِرةُ لَه ـ.

﴿٥٥﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بَيَّنَّا ما ذُكِرَ ﴿نُفَصِّلُ﴾: نُبَيِّنُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: القُرآنَ لِيَظهَرَ الحَقُّ فيُعمَلَ بِه، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾: تَظهَرَ ﴿سَبِيلُ﴾: طَرِيقُ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فتُجتَنَب، ـ وفي قِراءةٍ بِالتَّحتانِيَّة، وفي أُخرَى بِالفَوقانيَّة ونَصبِ ﴿سَبِيلَ﴾ . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾) الجار والمجرور متعلِّقٌ بمحذوف حال من فاعل ﴿عَمِلَ﴾، والتقديرُ: عملَ سوءاً حال كونه جاهلاً بما يترتَّبُ على مَعاصيه من العقاب غافلاً عن جلال الله، وفيه إشارةٌ إلى أن المؤمنَ لا يقعُ منه الذنب إلا في حال جهله وغَفلته، وهذه الآيةُ لا تخصُّ الفقراء الذين كانوا في زَمنه ﷺ، بل هي عامةٌ لكلِّ من تابَ إلى يوم القيامة، ولعموم بشارتها افتتحَ بها أبو الحسن الشاذليُّ حزبَهُ[1].

قوله: (﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾) معطوفٌ على محذوف قدَّره المفسرُ بقوله: ليظهر الحقُّ، فطريقُ الهدى واضحة، وطريقُ الضلال واضحة؛ لما في الحديث: «**تركتُكم على المحجَّة البيضاء، ليلُها كنهارها، ونهارُها كليلها، لا يضلُّ عنها إلا هالك**»[2].

قوله: (وفي قراءة بالتحتانية) أي: ورفع ﴿سَبِيلُ﴾، فالقراءاتُ ثَلاث وكلها سبعيَّة، ففي الفوقانية الرفعُ والنصبُ، وفي التحتانية الرفعُ لا غير[3].

---

(١) أي: الحزب الكبير المسمَّى بحزب البرِّ. وقيل: إنه وإن علم أن عاقبة ذلك السوء مَذمومة إلا أنه آثر اللذة العاجلة القليلة على الآجِلة الكثيرة، ومن فعل هذا فهو جاهل. «الفتوحات» (٢/ ٣٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٣) من حديث العِرباض بن سارية رضي الله عنه، ولكن ليس في الحديث: «ونهارها كليلها»، والرواية المقاربة: «ليلُها ونهارُها سواء».

(٣) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالتحتانية ورفع (سبيل)، ونافع بالتاء ونصب (سبيل)، والباقون بالتاء أيضاً ورفع (سبيل). «الدر المصون» (٤/ ٦٥٥).

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦) قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ ....

خِطابٌ لِلنَّبيِّ ﷺ -.

(٥٦) ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تَعبُدُونَ ﴿مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ في عِبادَتِها ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ إنِ اتَّبعتُها، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

(٥٧) ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بَيانٍ ﴿مِّن رَّبِّي وَ﴾ قَد ﴿كَذَّبْتُم بِهِ﴾: بِرَبِّي حَيثُ أشرَكتُم ..

حاشية الصاوي

قوله: (خطابٌ للنبي) أي: والمعنى: لتعلمَ سبيلَهم فتعاملَهم بما يَليقُ بهم.

قوله: (﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾) هذا أمرٌ من الله لنبيِّهِ أن يخاطبَ الكفَّارَ الذين طمعوا في دخول رسول الله ﷺ في دينهم ويردَّ عليهم بذلك.

قوله: (﴿نُهِيتُ﴾) أي: نهاني ربِّي بواسطة الدليل العقلي والسمعي؛ لِدلالة كلٍّ منهما على أن الله واحد لا شريكَ له، متَّصفٌ بكلِّ كمال، مستحيلٌ عليه كلُّ نقص.

قوله: (تعبدون) هذا أحدُ إطلاقات الدعاء، وبه فُسِّرَ في غالب القرآن؛ لأنه يشملُ الطلبَ وغيره.

قوله: (﴿قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾) جمع هوًى، سُمِّيَ بذلك لأنه يهوي بصاحبه إلى المهالك، وهذه الجملةُ تأكيدٌ لما قبلها.

قوله: (﴿إِذًا﴾) حرفُ جواب وجزاء، ولا عملَ لها لعدم وجود فعل تعملُ فيه.

قوله: (إن اتبعتها) أي: الأهواءَ، وهو بيانٌ لمعنى (إذاً).

قوله: (﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾) تأكيدٌ لما قبلها.

قوله: (﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾) هذا زيادةٌ في قطع طَمعهم الفاسد، والمعنى: لا تَطمعوا في دخولي دينكم؛ لأني على بينة من ربِّي ومَنْ كان كذلك كيف يُخدعُ ويتبعُ الضلال؟! وهذا نظيرُ قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣].

قوله: (بيان) أي: دليل واضح.

قوله: (﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾) أي: بِوحدانيته، والجملةُ حالية، ويشيرُ لذلك تقديرُ المفسِّر (قد).

مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ....

﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ مِن العَذابِ، ﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾ في ذلكَ وغيرِه ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِى﴾ القَضاءَ ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: الحاكِمِينَ، ـ وفي قِراءةٍ: ﴿يَقُصُّ﴾ أي: يَقُولُ ـ.

﴿٥٨﴾ ﴿قُل﴾ لَهُم: ﴿لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ بِأَن أُعَجِّلَهُ لَكُم وأَستَرِيحَ، ولَكِنَّهُ عِندَ اللهِ، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ متَى يُعاقِبُهُم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾) (ما) الأولى: نافية، والثانية موصولة، وقوله: ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ بيان لـ(ما) الثانية، وسببُ نزولها: أن رسولَ الله كان يخوِّفُهم بنزول العذاب عليهم، وكانوا يَستعجلون به استهزاءً كما في آية (الأنفال): ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ...﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية[١].

قوله: (﴿يَقْضِى﴾ [القضاءَ] ﴿ٱلْحَقَّ﴾) قدَّرَ المفسرُ القضاءَ؛ إشارةً إلى أنه منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف، ويحتملُ أنه ضمَّنه معنى (ينفذ)، فعدَّاه إلى المفعول، ويحتملُ أنه منصوب بنزع الخافض؛ أي: بِالحق.

قوله: (وفي قراءة: ﴿يَقُصُّ﴾) من: قَصَّ الأثرَ: تتبعَهُ، وقصَّ الحديثَ: قالَه[٢].

قوله: (﴿لَّوْ أَنَّ عِندِى﴾) أي: لو كان الأمرُ مفوَّضاً إليَّ.

قوله: (﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾) أي: من العذاب.

قوله: (بأن أعجله) بيانٌ لقوله: ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾، والضميرُ عائدٌ على ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

قوله: (متى يعاقبهم) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضافين، والتقديرُ: واللهُ أعلمُ بوقت عقوبة الظالمين، فلا تستعجلون ذلك؛ فإنه لاحقٌ بهم إن لم يتوبوا، وإنما تأخيرُهُ من حِلْم الله

---

(١) «زاد المسير» (٢/ ٣٦).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وعاصم: يقصُّ، والباقون: يقضِ، من غير ياء موافقة للرسم، وإثبات الياء قراءة شاذة. انظر «الدر المصون» (٤/ ٦٥٧)، وحُذفت الياء خطًّا كما حذفت لفظاً لالتقاء الساكنين، وكما حذفت في ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾، وحذفت الواو في ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾.

وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ....

(٥٩) ﴿وَعِندَهُۥ﴾ تعالى ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: خزائنه أو الطُّرُقُ المُوصِلةُ إلى عِلمِه،

حاشية الصاوي

عليهم، فلولا حلمُهُ ما بقيَ أحد، قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، فمن القبيح قولُ بعض العامة: حِلمُ الله يُفتت الكُبُود.

إن قلتَ: مقتضى هذه الآية أنه لو كان الأمرُ مُفوضاً له في تعذيبهم لَعجله واستراح، ومقتضى ما وردَ: من إتيان مَلَكِ الجبال يستشيرُهُ في أنه يطبقُ عليهم الأخشبَين أنه لم يرضَ، وقال: «**أرجو أنْ يخرجَ من ذريَّتهم من يؤمنُ بالله**»[1]، فحصل التنافي!

أجيبَ: بأن ما في الآية بالنظر لأصلِ البشرية؛ لأنَّ البشرَ يتأثَّرُ بالضرِّ والنفع، وما في الحديث إنما هو رحمةٌ من الله ألقاها عليه فرحمَهم بها، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فرجع الأمرُ لله، فتدبَّرْ.

قوله: (﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾) لما بيَّنَ سبحانه وتعالى أولاً أنه منفردٌ بإيجاد كلِّ شيء خيراً كان أو شرًّا بقوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ...﴾ الآية.. بيَّنَ ثانياً أنه منفردٌ بعِلم الغيب بقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾، فهو كالدليل لما قبلَه، كأنه قال: العذاب والرحمة بقدرة الله، ولا يعلمُ وقتَ مجيء ذلك إلا الله؛ لأنَّ عنده مفاتحَ الغيب لا يَعلمها إلا هو، و(عنده): خبرٌ مقدَّم، و﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: مبتدأ مؤخَّر، وتقديمُ الظرف يؤذنُ بالحَصر، وهو منصبٌّ على الجميع، فلا ينافي أن بعضَ الأنبياء والأولياء يُطلعُهُ الله على بعض المغيَّبات الحادثة، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، وأما مَنْ قال: إن نبيَّنا أو غيره أحاطَ بالمغيبات علماً كما أحاط عِلمُ الله بها.. فقد كفر.

قوله: (**خزائنه**) أشارَ بذلك إلى أن (مفاتِح) جمع مَفْتِح بفتح فكسر، كـ(مَخْزِن) وزناً ومعنًى[2]: العلوم المخزونة، وقوله: (**أو الطرق**) أي: فهو جمعُ مِفْتَح بكسر ففتح، بمعنى: الطرق التي تُوصلُ إلى تِلك العلوم المخزونة الغيبيَّة.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) كذا في «المصباح المنير» (خ ز ن) كمجلس ومجالس، وانظر «إرشاد الساري» (١١٧/٧)، وهذا الضبط يؤيده تفسير ابن عباس المفاتح بخزائن المطر كما في «الدر المصون» (٦٥٩/٤).

لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ ....

﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾، وهي الخمسةُ الَّتي في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ...﴾ [لقمان: ٣٤] الآيةَ كما رواهُ البُخاريُّ، ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾ يَحدُثُ ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾: القِفارِ، ﴿وَٱلْبَحْرِۚ﴾: القُرَى الَّتي على الأنهارِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يَعْلَمُهَآ﴾) أي: الخزائنَ أو الطرق تفصيلاً ﴿إِلَّا هُوَۚ﴾، وأما علمُنا فيها فهو على سبيل الإجمال، وهو تأكيدٌ لما عُلم من تقديم الظرف.

قوله: (﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾) أي: وَقت مجيئها وتفصيل ما يَحصل فيها.

قوله: (الآية) أي: وهي: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ أي: المطر؛ أي: لا يعلمُ وقتَ مجيئه وعددَ قطراته ونفعَ الناس به إلا الله، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ أي: من كونه ذكراً أو أنثى، شقيًّا أو سعيداً، يعيش أو يَموت، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ أي: لا تَعلمُ نفسٌ ما يعرضُ لها في المستقبل من خير أو شرٍّ، أو غير ذلك من الأحوال التي تَطرأ على الأنفس، قال الشاعر: [الطويل]

وأَعْـلَـمُ عِـلْـمَ الـيَـوْمِ والأَمْـسِ قَـبْـلَـهُ ... ولَـكِـنَّـنِـي عَـنْ عِـلْـمِ ما فِي غَـدٍ عَـمِـي[1]

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ﴾ أي: بأيِّ محلٍّ يكون قبضُ رُوحها فيه أو دفنها فيه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ بِبواطن الأشياء كظواهرها، وهذا التفسيرُ لابن عباس[2]، وقال الضحاك ومُقاتل: مفاتحُ الغيب: خزائنُهُ المخفيَّة في الأرض[3]، والأقرب والأتمُّ: أن المرادَ بمفاتح الغيب: الأمورُ المغيَّبة المخفية جميعُها، كانت الخَمس أو غيرها.

قوله: (﴿مَا﴾ يحدث ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾) أي: من خير وشرٍّ.

قوله: (القرى التي على الأنهار) أي: فيَعلم رزقَ أهلها وعددَهم وغيرَ ذلك، وقال جمهورُ المفسرين: المرادُ: البرُّ والبحرُ المعروفان؛ لأن جميعَ الأرض إما برٌّ أو بحرٌ، وفي كلٍّ عوالمُ وعجائبُ وسعَها عِلمه وقدرته.

---

(١) البيت لزهير بن أبي سُلمى من معلقته المشهورة.

(٢) كذا رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٠٢) عنه، وهو عند البخاري (٤٦٢٧) من حديث ابن عمر.

(٣) «تفسير البغوي» (٢/ ١٢٩).

وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ....

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن﴾ ـ زائدة ـ ﴿وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ ـ عَطفٌ على ﴿وَرَقَةٍ﴾ ـ ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ هو اللَّوح المَحفُوظ، ـ والاِستِثناء بَدَلُ اشتِمالٍ مِن الاستِثناء قبلَه ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾) أي: من الشجر إلا يعلمها؛ أي: يعلمُ وقتَ سقوطها والأرض التي تسقطُ عليها.

قوله: (﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾) أي: وهي التي يضعُها الزارعُ للنبات، فيعلمُ موضعَها وهل تنبتُ أو لا؟ وقيل: المرادُ بالحبة: التي في الصخرة التي في الأرض التي قال فيها الله: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ١٦]، وكلٌّ صحيح.

قوله: (﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾) عطفُ عامٍّ؛ لأنَّ جميعَ الأشياء إما رَطبة أو يابسة.

فإن قلتَ: إن جميعَ هذه الأشياءِ داخلٌ تحت قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾، فلم أفردَها بالذكر؟

أجيبَ: بأنه من التفصيل بعد الإجمال، وقدَّمَ ذكرَ البرِّ والبحر؛ لما فيهما من حُسن العجائب، ثم الورقة لأنه يراها كلُّ أحد لكن لا يعلمُ عددَها إلا الله، ثم ما هو أضعفُ من الورقة وهو الحبةُ، ثم ذكرَ مثالاً يجمعُ الكلَّ وهو الرطبُ واليابس.

قوله: (عطف على ﴿وَرَقَةٍ﴾) أي: الثلاثةُ معطوفةٌ على ورقة، لكن لا يناسبُ تسليطُ السقوط عليها، فيضمَّنُ السقوطُ بالنسبة للحَبة والرطب واليابس معنى الثبوت[١].

قوله: (بدل اشتمال من الاستثناء قبله) أي: وهو قوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾، وذلك لأنَّ دائرةَ العلم أوسعُ من دائرة اللوح، فذاتُ الله وصفاتُهُ أحاطَ بها العلمُ لا اللوحُ، والكائناتُ وما يتعلَّقُ بها أحاطَ بها اللوحُ والعلمُ، وهذا على أن المرادَ بالكتاب اللوحُ كما أفاده المفسِّر، وإن أُريدَ بالكتاب علمُ الله يكون بدلَ كلٍّ من كل؛ لِزيادة التأكيد والإيضاح[٢].

---

(١) فالمعنى: وما من حبة ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. «الفتوحات» (٢/ ٣٩).

(٢) «تفسير البيضاوي» (٢/ ١٦٥)، وتفسير الكتاب بعلم الله هو ما صوَّبه الرازي في «تفسيره» (١٣/ ١٢)، وبه أيضاً قال الزمخشري في «تفسيره» (٢/ ٣١).

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى

(٦٠) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾: يَقبِضُ أرواحَكُم عِند النَّوم، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم﴾: كَسَبتُم ﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ أي: النَّهارِ بِرَدِّ أرواحِكُم، ﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ هو أجَلُ

حاشية الصاوي

قوله: (يقبض أرواحكم) ما ذكره المفسِّرُ بناءً على أن الإنسانَ له روحان، روحٌ تقبضُ بالنوم، وتبقى روحُ الحياة، فإذا أرادَ اللهُ موتَهُ.. قبضَهما جميعاً، وعليه جملةٌ من المفسِّرين، ويشهدُ له آيةُ (الزمر) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا...﴾ [الزمر: ٤٢] الآيةَ، ويُقرِّب هذا أحوالُ الأولياءِ؛ لأنَّ لهم حالةً تسرحُ فيها أرواحُهم وترى العجائبَ كالنائم[١]، والمشهورُ: أنها روحٌ واحدة[٢]، ويكون معنى ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾: يُذهِبُ شعورَكم؛ لأنهم عرَّفوا النومَ بأنه فترةٌ طبيعية تهجمُ على الشخص قهراً عليه تمنعُ حواسَّهُ الحركةَ وعقلَهُ الإدراكَ.

قوله: (﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾) أي: لأنه الخالقُ للأفعال والحركات والسكنات، فهو المغيِّرُ للأشياء ولا يتغيَّرُ، قال العارف: [الطويل]

وَلِـي فِـي خَـيـالِ الـظِّـلِّ أَكْـبَـرُ عِـبْـرَةٍ ... لِـمَـنْ كـانَ فِـي بَـحْـرِ الـحَـقِـيـقَـةِ راقِـي
شُـخُـوصٌ وَأَشْـكـالٌ تَـمُـرُّ وَتَـنْـقَـضِـي ... فَـتَـفْـنَـى جَـمِـيـعـاً والـمُـحَـرِّكُ بـاقِـي[٣]

قوله: (﴿ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ﴾) (ثم) في كلٍّ: للترتيب الرُّتَبي؛ لأن بعد النوم البعثَ بالإيقاظ، ثم إلى انقضاء الأجل، ثم بعده البعثُ بالإحياء من القُبور، ثم الإخبارُ بما وقعَ من العباد.

قوله: (﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٌ﴾) الجمهورُ على بناء (يُقضى) للمجهول، و﴿أَجَلٌ﴾: نائب فاعل، والفاعل محذوفٌ إما عائدٌ على الله أو على الشخص، ومعنى قضاء الشخص أجلَه: استيفاؤُهُ إيَّاه، وقُرِئ بالبناء للفاعل، و(أجلاً): مفعوله، والفاعل مستترٌ عائد على الله[٤].

---

(١) قال الكفويُّ في «الكليات» (١/ ٨٩٨): (وليس في القول بتجرُّد النفوس الناطقة ما ينافي شيئاً من قواعد الإسلام).

(٢) وهو ما عليه الإمام الرازي كما في «تفسيره» (٢٦/ ٤٥٦) وغيره من الجلَّة، وإنما حالةَ النوم تبقى للروح بالجسد بعض صلة، فإن أراد الله الموت قطع تعلقها ألبتة، ومن قال بالروحين ـ وكلا القولين عند أهل السنة ـ جعل إحداها حيوانية وأخرى روحانية.

(٣) البيتان بنحوهما عند ابن الجوزي في «المدهش» (ص١٧٥)، وهما من أبدع ما قيل في تصوير وحدة الأفعال، وانظر «الإحياء» (٤/ ١١٨).

(٤) قرأ بها أبو رجاء وطلحة. «الفتوحات» (٢/ ٣٩).

ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ....

الحَياةِ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بِالبَعثِ، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيُجازِيكُم بِه.

﴿٦١﴾ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ مُستَعلِياً ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾: مَلائِكةً تُحصِي أعمالَكُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فيُجازيكم به) أي: إن خيراً فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾) أي: المستعلي الغالبُ على أمره، الحاكمُ فلا معقِّبَ لحكمه، يُعطي ويمنع، ويصلُ ويقطع، ويضرُّ وينفع، فلا رادَّ لما قضى، ولا ملجأَ منه إلا إليه، فهو المتصرِّفُ في خلقه بجميع أنواع التصرُّفات، من إيجاد وإعدام، وإعزازٍ وإذلال، وغيرِ ذلك.

قوله: (﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾) أي: فوقيةَ مكانة؛ أي: شَرف ورفعة وعُلو قَدْرٍ تليقُ به، لا فوقيةَ مكان؛ لاستحالة اتصافِهِ به.

قوله: (﴿وَيُرْسِلُ﴾) معطوف على صلة (أل)، كأنه قال: وهو الذي يقهرُ ويرسلُ، وهذا من جملة قهرِهِ سبحانه وتعالى.

قوله: (ملائكة تحصي أعمالكم) أي: من خير وشر؛ لما وردَ: أن كلَّ إنسان له ملكان، ملكٌ عن يمينه، وملكٌ عن شِماله، فإذا عملَ حسنةً كتبَها صاحبُ اليمين حالاً، وإذا عملَ سيئةً قال صاحبُ اليمين لصاحب الشمال: اصبرْ؛ لعلَّه يتوبُ منها، فإن لم يتُبْ منها كتبها صاحبُ الشمال[1]، قال العلماءُ: يؤخِّرُ ستَّ ساعات فلكية؛ فإن تابَ فيها لم تكتب، هكذا قال المفسِّر، وقيل: المرادُ بالحَفظة: الملائكةُ الموكلون بِحفظ ذوات العبيد من الحوادث والآفات، وهم عشرةٌ بالليل، وعشرةٌ بالنهار، وقيل: المرادُ ما هو أعمُّ، وهو الأتمُّ.

إن قلتَ: إن اللهَ هو الحافظُ، فلمَ وُكِّلت الملائكةُ بحفظ الشخص؟

أجيبَ: بأن ذلك تكرمةٌ لبني آدم وإظهارٌ لفضلهم. والحكمةُ في كون الملائكة تكتبُ على الشخص ما صدرَ منه: أنه إذا عَلمَ ذلك ربما كان ذلك داعياً للخوف والانزجار عن فِعل القبائح والمعاصي.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٩١) وفيه ذكر التأخير ستَّ ساعات.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ....

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ - وفي قِراءةٍ: ﴿تَوَفَّاهُ﴾ - ﴿رُسُلُنَا﴾: المَلائِكةُ المُوَكَّلُونَ بِقبضِ الأرواحِ ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: يُقَصِّرُونَ فِيما يُؤمَرُونَ بِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ﴾) ﴿حَتَّىٰٓ﴾: ابتدائية، والمعنى: ينتهي حفظُ الملائكة للأشخاص عند فَراغ الأجل، فالملائكةُ مأمورون بحفظ ابنِ آدمَ ما دام حيًّا، فإذا فرغَ أجله فقد انتهى حفظُهم له[1].

قوله: (﴿ٱلْمَوْتُ﴾) أي: أسبابُهُ.

قوله: (وفي قراءة: «تتوفاه») أي: بالإمالة المحضة، وهي ما كانت لِلكسر أقرب[2]، وهو إما ماضٍ وحذفت التاء لأنه مجازيُّ التأنيث، أو مضارعٌ ويكون فيه حَذف إحدى التاءين.

قوله: (﴿رُسُلُنَا﴾) أي: أعوانُ ملك الموت الموكلون بقَبض الأرواح.

إن قلتَ: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقال في الآية الأخرى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] فكيف الجمعُ بين هاتَين الآيتين وهذه الآية؟

أجيبَ: بأن اللهَ هو المتوفي حقيقةً، فإذا حضرَ أجلُ العبد اشتغلت أعوانُ ملك الموت بانتزاعها من الجسد، فإذا بلغت الحلقوم قبضَها ملكُ الموت بيده، فهو القابضُ لجميع الأرواح.

إن قلتَ: ورد في بعض الأحاديث: وتولَّ قبضَ أرواحنا عند الأجل بيدك[3]!

أجيبَ: بأن معناه شهودُ الربِّ واستيلاءُ محبَّته على قلبه حتى يغيبَ عن إحساسه، فلا يشاهدُ ملكَ الموت حين قبضِ الروح وإن كان هو القابضَ لها، وذلك في أهل محبة الله ومن يموتُ شهيدَ حرب أو غريقاً أو حريقاً أو نحوهم.

قوله: (﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾) هذه الجملةُ حالية من ﴿رُسُلُنَا﴾ أي: والحال أنهم لا يقصِّرون في ذلك، فقد وردَ: «ما من أهل بيتِ شَعَرٍ ولا مدرٍ إلا وملكُ الموت يطيفُ بهم مرَّتين»[4].

ووردَ: أن الدنيا كلَّها بين رُكبتي ملك الموت، وجميع الخلائق بين عينَيه، ويداه يبلغان المشرق

---

(١) فإن كان الله تعالى قد قدَّر على العبد بلاءً فإن الحفظة يسكنون إبراماً لقضائه سبحانه.

(٢) وهي قراءة حمزة. «الفتوحات» (٢/ ٤٠).

(٣) هذا الدعاء قطعة من «الورد الكبير» لأبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى.

(٤) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤٦٧) عن مجاهد.

ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ....

﴿٦٢﴾ ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ أي: الخلقُ ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ﴾: مالِكِهِم ﴿ٱلۡحَقِّۚ﴾: الثَّابِتِ العَدلِ لِيُجازِيَهُم، ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾: القَضاءُ النَّافِذ فِيهِم، ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ يُحاسِبُ الخَلقَ كُلَّهم في قَدرِ نِصفِ نَهار مِن أيَّام الدُّنيا لِحَدِيثٍ بِذلك.

﴿٦٣﴾ ﴿قُلۡ﴾ يا مُحمَّدُ لِأهلِ مَكَّة: ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾: أهوالِهِما

حاشية الصاوي

والمغرب، وكلُّ من نفدَ أجلُهُ يعرفه بسقوط صَحيفته من تحت العرش عليها اسمه، فعند ذلك يبعثُ أعوانه من الملائكة ويتصرَّفون بحسب ذلك.

وورد: أن ملكَ الموت يقبضُ الروح من الجسد ويُسلِّمُها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمناً، أو إلى ملائكة العذاب إن كان كافراً، ويُقال: معه سبعةٌ من ملائكة الرحمة وسبعةٌ من ملائكة العذاب، فإذا قبضَ نفساً مؤمنةً دفعَها إلى ملائكة الرحمة فيُبشرونها بالثواب، ويصعدون بها إلى السماء، وإذا قبضَ نفساً كافرةً دفعَها إلى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب ويُفزعونها، ثم يصعدون بها إلى السماء، ثم تُردُّ إلى سجين، وروحُ المؤمن إلى علِّيين[1].

قوله: (﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾) معطوف على ﴿تَوَفَّتۡهُ﴾، وأفردَ أولاً؛ لأنَّ التوفيَ يكون لكلِّ شخص على حدة، وجمعَ ثانياً؛ لأنَّ الردَّ يكون للجميع.

قوله: (مالكهم) دفعَ بذلك ما يُقال: إن بين هذه الآية وآية ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١١] تنافياً! فأجابَ: بأن المرادَ بالمولى هنا: المالكُ، وبه هناك: الناصرُ.

قوله: (﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾) أي: لا لغيره.

قوله: (لحديث بذلك) وفي رواية: أنه تعالى يحاسبُ الكلَّ في مقدار حَلب شاة[2].

قوله: (﴿قُلۡ﴾ يا محمد) أي: توبيخاً لهم وردعاً.

قوله: (أهوالهما) أي: فالظلماتُ كنايةٌ عن الأهوال والشدائد التي تحصلُ في البر والبحر،

---

(١) انظر «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي (ص١٩٩).

(٢) رواية المفسر رواها ابن المبارك في «الزهد» (١٣١٤) عن إبراهيم النخعي.

تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ ....

في أسفارِكُم حِين ﴿تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا﴾: عَلانِيَةً ﴿وَخُفۡيَةٗ﴾: سِرًّا تَقُولُونَ: ﴿لَّئِنۡ﴾ - لام قَسَم - ﴿أَنجَيۡتَنَا﴾ - وفي قِراءةٍ: ﴿أَنجَىٰنَا﴾ أي: اللهُ - ﴿مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الظُّلُماتِ والشَّدائِد ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: المُؤمِنِين.

﴿٦٤﴾ ﴿قُلِ﴾ لَهُم: ﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد - ﴿مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ﴾: غَمٍّ سِواها، ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ بِه.

﴿٦٥﴾ ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ مِن السَّماءِ كالحِجارةِ والصَّيحةِ، ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ ....

حاشية الصاوي

وما مشى عليه المفسِّر أتمُّ؛ لشمولها لِلحقيقة وغيرها، وقيل: المرادُ بالظلمات حقيقتُها، فظلماتُ البرِّ هي: ما اجتمعَ من ظلمة الليل وظلمة السحاب، وظلمةُ البحر: ما اجتَمعَ فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظُلمة الأمواج الهائلة والرياح العاصفة.

قوله: (﴿وَخُفۡيَةٗ﴾) الجمهورُ على ضم الخاء، وقرأ أبو بكر بكسرها، وقرأ الأعمش: (خِيفَة) كـ(الأعراف).

قوله: (﴿لَّئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾) الجملةُ في محلِّ نصب مقول القول كما قدَّره المفسِّر.

قوله: (والشدائد) عطف تفسير.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: وكل منهما مع قراءة ﴿أَنجَيۡتَنَا﴾ بالتاء، وأما من قرأ ﴿أَنجَىٰنَا﴾ فيقرأ بالتشديد هنا لا غير، فالقراءاتُ ثلاثٌ، وكلُّها سبعيَّةٌ[1].

قوله: (﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ﴾) هذا بيانٌ لكونه قادراً على الإهلاك إثْر بيان أنه المنجي من المهالك.

قوله: (كالحجارة) أي: التي نَزلت على أصحاب الفيل، وقوله: (والصيحة) أي: صرخةِ جبريل التي صرخَها على ثمود قومِ صالح.

---

(١) واختلاف الرسم لا يضرُّ؛ لأن كلًّا قرأ بما رسم في مصحفه، فقرأ أهل الكوفة: (أنجانا)، والباقون: (أنجيتنا)، وقرأ الكوفيون: (ينجِّيكم) مشددة. انظر «الدر المصون» (٤/ ٦٦٩).

أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ....

كالخَسفِ، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾: يَخلِطكُم ﴿شِيَعًا﴾: فِرَقاً مُختلِفةَ الأهواءِ، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بِالقِتالِ، قال ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ: «هذا أَهوَنُ أو أَيسَر»، ولَمَّا نَزل ما قبلَه: «أعُوذُ بِوَجهِك»، رَواهُ البُخارِيُّ، ورَوَى مُسلِمٌ حَدِيث: «سَألتُ رَبِّي ألَّا يَجعَلَ بَأسَ أُمَّتِي بَينَهم فمَنَعَنِيها»، وفي حَدِيث: لَمَّا نَزَلَت قال: «أمَا إنَّها كائِنَةٌ ....

حاشية الصاوي

قوله: (كالخسف) أي: الذي وقعَ لقارون.

قوله: (﴿شِيَعًا﴾) منصوبٌ على الحال، جمع شِيعة، وهي من يتقوَّى بهم الإنسان، ويُجمع على: أشياع.

قوله: (فرقاً) جمع فِرقة، وهي الجماعة.

قوله: (لما نزلت) أي: آية ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾.

قوله: (أهون وأيسَر) أي: ممَّا قبله، وهو رضاً بقضاء الله، وإلا.. فقد استعاذ منه أولاً فلم يُفِد[1].

قوله: (ولما نزل ما قبله) أي: قوله: على أن يبعث عليكم... إلخ.

قوله: (أعوذ بوجهك) أي: فقال مرتين، مرةً عند نزول قوله ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، ومرةً عند نزول قوله: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

قوله: (فمنعنيها) أي: منعني هذه المسألةَ؛ بمعنى: أنه لم يُجبني في هذه الدعوة؛ لما سبقَ في علمه من حُصولها[2]، فكان أولُ ابتداء إذاقة البعض بأسَ البعض بعد موته ﷺ بخمسٍ وعشرين سنة في واقعة علي ومعاوية، وما زالت الفتنُ تتزايدُ إلى يوم القيامة.

قوله: (لما نزلت) أي: هذه الآيةُ.

قوله: (قال: أما إنها) (أمَا): أداةُ استفتاح، و(إنها) بكسر الهمزة، والضمير عائدٌ على الأمور الأربعة، عذاباً من فوقكم، وعذاباً من تحت أرجلكم، وتفريقكم شيعاً، ونصب القتال بينكم، فهذه

---

(١) خبر أنها لما نزلت قال عليه الصلاة والسلام في الأخيرة: «هذا أهون أو أيسر» رواه البخاري (٤٦٢٨) من حديث جابر رضي الله عنه، وسؤاله الاستعاذة منها عند مسلم (٢٨٩٠).

(٢) ففي إحدى روايات الحديث: «فقال: يا محمدُ؛ إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يردُّ».

انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ....

ولَم يَأتِ تَأويلُها بَعدُ»، ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾: نُبيِّن لَهُم ﴿الْآيَاتِ﴾: الدَّلالاتِ على قُدرَتِنا، ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: يَعلَمُونَ أنَّ ما هُم علَيهِ باطِلٌ.

﴿٦٦﴾ ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾: بِالقُرآنِ ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾: الصِّدقُ، ﴿قُل﴾ لَهُم: ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ فأُجازِيَكُم، إنَّما أنا مُنذِرٌ وأمرُكُم إلى اللهِ، وهذا قَبلَ الأمرِ بِالقتالِ.

﴿٦٧﴾ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾: خَبَرٍ ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾: ....

حاشية الصاوي

الأربعةُ كائنةٌ قبل يوم القيامة، لكن الأخيران قد وَقعا من منذُ عَصر الصحابة، والأولان تَفضَّلَ اللهُ بتأخير وقوعهما إلى قُرب قيام الساعة، هكذا وَرد، ولكن قال العلماءُ: وإن كان الأخيران يقعان قربَ الساعة لكن العذاب بهما ليس عامًّا كما وقعَ في الأُمَم الماضية.

قوله: (ولم يأت تأويلها) الضميرُ يعودُ على الآية أو الأمور الأربعة؛ أي: صَرفها عن ظاهرها، بل هي باقيةٌ على ظاهرها لكن بالوجه الذي عَلمته.

قوله: (﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾) أي: أنكروه، حيث قالوا: إنه سِحر أو شعر أو كهانة أو غير ذلك، وما ذكره المفسر من أن الضمير عائدٌ على القرآن هو أحدُ أقوال وهو أقربُها، وقيل: الضميرُ على العذاب، وقيل: على الحَق، وقيل: على النبيِّ، وهو بعيد.

قوله: (الصدق) أي: لأنه منزَلٌ من عند الله، وما كان من عند الله فهو صِدقٌ لا محالة.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أشارَ بذلك إلى أنه منسوخٌ بآيات القتال، ولكن المناسب للمفسِّر أن يقول: (فأقاتلكم) بدل قوله: (فأجازيكم)، والحاصلُ: أن في الآية تفسيرَين؛ الأول: أن الآية محكمةٌ، والمعنى: لست مجازياً على أعمالكم في الآخرة[1]، والثاني: أنها منسوخة، والمعنى: لست مقاتلاً لكم إن حَصَلت منكم المخالفةُ، إذا علمتَ ذلك فالمفسر لَفَّقَ بين التفسيرين.

قوله: (﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾) نزلت ردًّا لاستعجالهم العذاب الذي كان يَعدهم به، والمعنى: لكلِّ خبر من الأخبار كان رحمة أو عذاباً زمنٌ يقع فيه إما في الدنيا أو الآخرة أو فيهما لا يَعلمه إلا الله.

---

(١) أي: لست مجازياً لكم على أعمالكم، بل الله هو المجازي لكم، وإنما كان المناسب أن يقول: (فأقاتلكم) لأن كون المجازاة ليست من تلقائه ﷺ أمر ثابت قبل الأمر بالقتال وبعده. انظر «الفتوحات» (٢/ ٤٣).

وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ....

وقتٌ يقَعُ فِيه ويَستَقِرُّ، ومِنهُ عذابُكُم، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تَهدِيدٌ لَهُم.

﴿٦٨﴾ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: القُرآنِ بالاستِهزاءِ، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تُجالِسْهُم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا﴾ ـ فِيه إدغامُ نُون (إنْ) الشَّرطِيَّة في (ما) المَزِيدةِ ـ ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾ ـ بِسُكُونِ النُّون والتَّخفِيف، وفَتحِها والتَّشدِيد ـ ﴿الشَّيْطَانُ﴾ فقعَدتَ مَعَهُم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾ أي: تَذكُّرِه ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وقت يقع فيه) أشارَ بذلك إلى أن ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ اسم زمان، ويصحُّ أن يكون مصدراً أو اسم مكان.

قوله: (﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾) (رأى): بصرية، و﴿الَّذِينَ﴾: مفعولها، ويَبعدُ كونُها علمية؛ لأنه يقتضي أن المفعول الثاني محذوفٌ، وحذفه إما شاذٌّ أو ممنوع.

قوله: (﴿يَخُوضُونَ﴾) الخوضُ في الأصل: الدخولُ في الماء، فيُستعارُ للشروع والدخول في الكلام، فشبَّه آياتِ الله بالبحر، وطوى ذكر المشبَّه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الخَوض، فإثباته تخييلٌ، والجامعُ بينهما التعرُّضُ للهلاك في كلٍّ؛ فإن الخائضَ لِلبحر الغريق متعرِّضٌ للهلاك[1]، فكذلك المتعرِّضُ للأباطيل في كلام الله.

قوله: (﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾) الخطابُ له ولأصحابه، فالنَّهيُ عامٌّ، وهو منسوخٌ بآية القتال.

قوله: (﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾) الضميرُ عائدٌ على الآيات، وذُكِّرَ باعتبار كونها حديثاً.

قوله: (﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ﴾) الخطابُ له والمرادُ غيره؛ لأن إنساءَ الشيطان له مُستحيلٌ عليه.

قوله: (بسكون النون والتخفيف) أي: للسين، من: أنساه: أوقعَهُ في النسيان، وقوله: (وفتحها) أي: النون، وقوله: (والتشديد) أي: لِلسين من: نسَّاهُ فيتعدى بالهمز والتضعيف، وهما قراءتان سبعيَّتان، ومفعول ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾ محذوف، تقديرُهُ: النهيَ أو ما أمرَكَ الله به[2].

---

(١) كذا في النسخ: (الغريق) بوزن فَعِيل أو فِعِّيل، على أنها صيغة مبالغة من اسم الفاعل فيهما، أو صفة مشبهة في الأولى، والله أعلم.

(٢) قرأ العامة بتخفيف السين، وقرأ ابن عامر بتشديدها. «الدر المصون» (٤/ ٦٧٥).

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ ....

ـ فِيهِ وضعُ الظَّاهِرِ مَوضِعَ المُضمَرِ ـ. وقال المسلِمُون: إنْ قُمنَا كُلَّما خاضُوا لَم نَستَطِعْ أن نَجلِسَ في المَسجِد وأن نَطُوفَ، فنزَلَ:

﴿٦٩﴾ ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ اللهَ ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ أي: الخائِضِينَ ﴿مِّن﴾ ـ زائِدة ـ ﴿شَيْءٍ﴾ إذا جالَسُوهُم، ﴿وَلَٰكِن﴾ علَيهِم ﴿ذِكْرَىٰ﴾: تَذكِرةٌ لَهُم ومَوعِظةٌ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخَوضَ.

﴿٧٠﴾ ﴿وَذَرِ﴾: اترُكِ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ﴾ الَّذي كُلِّفُوهُ ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ بِاستِهزائِهِم بِه، ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ فلا تَتَعَرَّضْ لَهُم، وهذا قبلَ الأمرِ بِالقِتالِ، ﴿وَذَكِّرْ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (فيه وضع الظاهر. . . إلخ) زيادةً في التشنيع عليهم، وأتى في جانب الرؤية بـ(إذا) المفيدة لِلتحقيق، وفي جانب الإنساء بـ(إنْ) المفيدة للشك؛ إشارةً إلى أن خَوضهم في الآيات محقّق، وإنساء الشيطان غيرُ محقَّق، بل قد يقعُ وقد لا يَقع.

قوله: (وقال المسلمون. . . إلخ) بيانٌ لسبب نزول الآية[1].

قوله: (﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾) الجار والمجرور خبرٌ مقدَّم، و﴿مِّن شَيْءٍ﴾: مبتدأٌ مؤخر[2].

قوله: (إذا جالسوهم) أي: فالجلوسُ مع الخائضين غيرُ ممنوع لكنْ بشرط عدم مُسايرتهم لما هم عليه، وبشرط وَعظِهم ونهيهم عن المنكر، فهو تخصيصٌ للنهي المتقدِّم.

قوله: (﴿وَلَٰكِن﴾ عليهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾) أشارَ بذلك إلى أن ﴿ذِكْرَىٰ﴾ مبتدأ خبرُهُ محذوف، ويصحُّ أن يكون مفعولاً لمحذوف تقديرُهُ: ولكن يذكرونهم ذكرى.

قوله: (الذي كُلفوه) أي: وهو دينُ الإسلام، ودفعَ بذلك ما يُقال: المشركون لا دينَ لهم من الأديان المشروعة، فكيف أضيفَ إليهم دينٌ وأخبر عنه أنهم اتخذُوه لعباً ولهواً؟!

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: فهو منسوخٌ بآياته، ويدخل في عُموم هذه الآية من اتخذ

(١) «زاد المسير» (٢/ ٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) على أن (ما) هنا غير عاملة؛ لأن خبرها قد وقع جارًّا ومجروراً، وعليه فقد زيدت (مِنْ) في المبتدإ.

بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ....

عِظْ ﴿بِهِۦٓ﴾: بِالقرآنِ الناسَ لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾: تُسلَمَ إلى الهَلاكَ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: عَمِلَت ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِىٌّ﴾: ناصِرٌ ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يَمنَعُ عنها العَذابَ، ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾: تَفدِ كُلَّ فِداء ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ ما تَفدِي بِه، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ماءٍ بالِغ نِهايةَ الحَرارةِ، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾: بِكُفرِهِم.

حاشية الصاوي

دينَ الإسلام لهواً ولعباً، وأحدثَ فيه ما ليس منه كالخوارج وبعضِ من يَدعي الانتساب إلى الصالحين، حيث جعلوا الطريقةَ الموصلةَ إلى الله طبلاً وزَمْراً، وأحدثوا أموراً لا تحلُّ في دين الله.

قوله: (﴿أَن تُبْسَلَ﴾) علةٌ لقوله: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ على حذف لام العلة، قدَّرها المفسِّر، و(لا) مقدرةٌ، والإبسالُ هو: تسليمُ النفس في الحرب للقتال، والباسلُ: الشجاعُ الذي يُلقي بنفسه للهلاك.

قوله: (﴿لَيْسَ لَهَا﴾) إما استئنافٌ، أو حالٌ من ﴿نَفْسٌ﴾، أو صفةٌ لها.

قوله: ﴿وَلِىٌّ﴾ اسم ﴿لَيْسَ﴾، و﴿لَهَا﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: حالٌ من ﴿وَلِىٌّ﴾.

قوله: (تفد كل فداء) أي: تفتدِ بكلِّ فداء.

قوله: (ما تفدي به) أشارَ بذلك إلى أن الضميرَ في ﴿لَّا يُؤْخَذْ﴾ عائدٌ على الفداء بمعنى المفدى به، فهو مصدرٌ أُريدَ به اسمُ المفعول.

قوله: (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾) اسمُ الإشارة مبتدأٌ خبرُهُ الاسمُ الموصول، و﴿لَهُمْ شَرَابٌ﴾: مبتدأٌ وخبر، والجملة إما خبرٌ ثانٍ، أو حالٌ من الضمير في ﴿أُبْسِلُوا۟﴾، أو مُستأنفٌ بيانٌ للإبسال.

قوله: (ماء بالغ نهاية الحرارة) أي: يقطعُ الأمعاءَ كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

قوله: (بكفرهم) أشارَ بذلك إلى أن (ما) مصدرية، والفعل في تأويل مصدر مجرور بالباء.

﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ....

(٧١) ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟﴾: أنعبُدُ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ بِعِبادَتِه، ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بِتَرْكِها وهو الأصنامُ، ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾: نَرجِع مُشرِكِينَ ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإسلامِ، ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ﴾: أضَلَّتهُ ﴿ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: مُتَحَيِّراً لا يَدرِي أينَ يَذهَبُ ـ حالٌ مِن الهاء ـ ﴿لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ﴾: رُفقَةٌ ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ أي: لِيَهدُوهُ الطَّرِيقَ، يَقُولُونَ لَه:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟﴾) قيل: سببُ نزولها: أن عبدَ الرحمن بن أبي بكر الصديق قبلَ إسلامه دعا والده إلى عبادة الأصنام، فنزلت الآية أمراً للنبيِّ ﷺ أن يردَّ على عبد الرحمن ومن يَقول بقوله[١]، وفيه اعتناءٌ بشأن الصِّدِّيق وإظهارٌ لفضله؛ حيث وُجِّهَ الأمرُ إلى رسول الله وفي الواقع الأمرُ لأبي بكر، والمعنى: لا يليقُ منَّا عبادةُ ما لا يَنفعنا إذا عبدناه ولا يضرُّنا إذا تركناه.

قوله: (﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾) معطوفٌ على (ندعو)، فهو داخلٌ في حيِّزِ الاستفهام.

قوله: (﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾) أي: بعدَ وقت هداية الله لنا.

قوله: (﴿كَٱلَّذِى﴾) صفةٌ لموصوف محذوف؛ أي: نردُّ ردًّا مثلَ ردِّ الذي استهوته، والاستهواءُ: من الهوى، وهو السقوطُ من عُلو إلى سفل، سُمِّيَ الإضلالُ بذلك؛ لأن من سقطَ من عُلو إلى سفل ولم يجِدْ محلًّا يستندُ عليه هلكَ، فكذلك من تركَ الدينَ القويم ولم يتبعه هلكَ ولا يجد ناصراً، وقد صُرِّح بالمراد من هذا التشبيه في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، والحاصلُ: أن المشركَ بالله مع وجود من يدلُّهُ على التوحيد مثلُهُ مثلُ من اختطفته الشياطينُ وسارت به في المفاوز والمهالك مع سَماعه مناداة مَنْ يأخذُ بيده ويخلِّصُهُ منهم، وهو مفرِّطٌ وراضٍ لنفسه بذلك، والمراد بالشياطين: ما يَشملُ شياطينَ الإنس.

قوله: (﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾) متعلِّقٌ بـ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾.

قوله: (حال من الهاء) أي: في ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾.

قوله: (﴿لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ﴾) جملةٌ في محلِّ نصب صفة لـ﴿حَيْرَانَ﴾[٢].

---

(١) «زاد المسير» (٢/ ٤٤).

(٢) أو حال من الضمير فيه، أو هي مستأنفة. «الفتوحات» (٢/ ٤٦).

ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ

﴿ٱئْتِنَا﴾ فلا يُجيبُهُم فيهلَك. ـ والاستِفهام لِلإنكارِ، وجُملةُ التَّشبيه حالٌ مِن ضَمِير (نُرَدّ) ـ، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الَّذي هو الإسلامُ ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عَداهُ ضَلال، ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ أي: بِأن نُسلِمَ ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿وَأَنْ﴾ أي: بِأن ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ تَعالَى، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تُجمَعُونَ يَومَ القِيامةِ لِلحِساب.

﴿٧٣﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: مُحِقًّا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (والاستفهام... إلخ) أي: وهو قوله: ﴿أَنَدْعُوا۟﴾ والمعنى: لا ينبغي أن نعبدَ غيرَ الله بعد هدايته لنا؛ لأنَّ مَنْ عبدَ غيرَ الله بعد إيمانه بالله كان كمَثل من أخذته الشياطينُ، فصار حيرانَ لا يدري أينَ يتوجَّهُ، مع كون أصحابه يَهدونه إلى الطريق المستقيم فلا يجيبُهم.

قوله: (﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾) أي: التوفيقُ والاستقامة، والجملةُ المعرَّفة الطرفين تفيدُ الحصر، فهو بمعنى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

قوله: (﴿وَأُمِرْنَا﴾) أي: أمرنا اللهُ بأن نسلمَ بمعنى: نوحِّدَ ونَنقادَ لربِّ العالمين.

قوله: (﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) قدَّرَ المفسِّر الباء؛ إشارةً إلى أنه معطوف على (أن نُسلِمَ)، فهو داخلٌ تحت الأمر أيضاً، وفيه التفاتٌ من التكلُّم للخطاب، وعَطف التقوى عليه من عطف العامِّ، وخصَّ الصلاة بعد الإسلام؛ لأنها أعظمُ أركانه.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾) هذا دليلٌ للأمر المتقدِّم ومُوجِبٌ لامتثاله، والمعنى: امتثلوا أوامره واجتَنبوا نواهيه؛ لأنكم تُجمعون إليه ويحاسبكم.

قوله: (أي: محقًّا) أشارَ بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلِّقٌ بمحذوف حال؛ أي: حال كونه محقًّا؛ أي: موصوفاً بالحقِّيَّة، وهو وجوبُ الوجود الذي لا يقبلُ الزوال، ويحتملُ أن يكون المعنى: محقًّا لا هازلاً ولا عابثاً، بل خلقَهما لحِكَمٍ ومصالحَ لعباده، ويؤيِّدُ هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨].

﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ ....

﴿وَ﴾ اذكُر ﴿يَوۡمَ يَقُولُ﴾ لِلشَّيءِ: ﴿كُن فَيَكُونُۚ﴾ هو يَومُ القِيامة يَقُول لِلخَلقِ: قُومُوا فيَقُومُون، ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾: الصِّدقُ الواقِع لا مَحالةَ، ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾: القَرنِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَوۡمَ﴾) معمولٌ لمحذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر)، والواو لِلاستئناف.

قوله: (﴿يَقُولُ كُن﴾) هذا كنايةٌ عن سُرعة الإيجاد، وهو تقريبٌ للعقول، وإلا.. فلا كافَ ولا نونَ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ [النحل: ٧٧].

قوله: (﴿فَيَكُونُۚ﴾) كلٌّ من: (كن) و(يكون) تامٌّ يكتفي بالمرفوع، وهو ضمير يعودُ على جميع ما يخلقُهُ الله.

قوله: (يقول للخلق) أي: جميعِهم من مبدإ الدنيا إلى منتهاها، من العالم العُلوي والسفلي.

قوله: (﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾) يصحُّ أن يكون مبتدأً وخبراً، أو مبتدأ و﴿ٱلۡحَقُّۚ﴾ نعتُهُ، وخبرُهُ قولُهُ: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ﴾.

قوله: (لا محالة) أي: لا بدَّ من وقوعه، وهو بفتح الميم مَصدر مِيمي، وأما بضم الميم فمعناه: الباطلُ، وليس مراداً هنا.

قوله: (﴿يَوۡمَ يُنفَخُ﴾) إما ظرفٌ لِقَوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾، وخُصَّ بذلك وإن كان الملكُ لله مطلقاً لأنه في ذلك الوقت لا يملكُ أحدٌ شيئاً ممَّا كان يَملكه في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام: ٩٤]، أو خبرٌ عن الملك، والتقديرُ: والملكُ يومَ يُنفخ في الصور له، أو بدلٌ من ﴿يَوۡمَ يَقُولُ﴾.

قوله: (﴿فِي ٱلصُّورِۚ﴾) هو نائبُ الفاعل.

قوله: (القرن) أي: المستطيل، قال مجاهدٌ: (الصورُ: قرنٌ كهيئة البُوق)[1]، وفيه جميعُ الأرواح، وفيه ثقبٌ بعددها، فإذا نفخَ خرجت كلُّ روح من ثقبة ووَصلت لجسدها، فتحلُّهُ الحياةُ، فالإحياءُ يحصلُ بإيجاد الله عند النَّفخ لا بالنفخ، فهو سببٌ عادي.

---

(١) رواه الطبري عنه في «تفسيره» (١٩/٥٠٢).

عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً ....

النَّفخةَ الثَّانية مِن إسرافِيلَ لا مُلكَ فِيه لِغَيرِه، ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ﴾ [غافر: ١٦]، ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾: ما غابَ وما شُوهِدَ، ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في خَلقِهِ، ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ بِباطِنِ الأشياءِ كظاهِرِها.

﴿٧٤﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو لَقَبُه، واسمُه: تارِخ: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾ تَعبُدُها؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (النفخة الثانية) أي: وأما الأولى فعندها يموت كلُّ ذي روح، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

قوله: (ما غاب وما شوهد) أي: بالنسبة لِلخلق، وإلا.. فالكلُّ عند الله شهادةٌ، ولا يغيبُ عليه شيءٌ، بل ما في تخوم الأرضين والسماوات بالنسبة له كما على ظهرها سواءٌ بسواء.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾) كالدليل لما قبله.

قوله: (﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ﴾) الظرفُ معمول لمحذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر)، والجملةُ معطوفة على جملة ﴿أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، والمعنى: قُل يا محمد لكفَّار مكة: أندعو من دون الله ما لا يَنفعنا ولا يضرنا؟ واحتجَّ عليهم بما وقعَ لإبراهيم مع قومه حيث شنَّعَ على عبادة الأصنام.

قوله: (واسمه تارخ) يقرأُ بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة، وقيل: إن آزرَ اسمُهُ، وتارخ لَقبه، وهو جمعٌ بين قولَين، وتارخ: بدل أو عطف بيان، وآزر: من الأزرِ وهو العيب؛ لأنه قامَ به العيبُ حيث عبدَ الأصنام، أو العوجُ، ولا شك أنه قامَ به الأمران العيبُ والعِوَجُ[1].

قوله: (﴿أَصۡنَامًا﴾) المرادُ بها: ما صُوِّرَ على هيئة الإنسان وعُبدَ من دون الله، كانت من خَشب أو حجر أو ذهب أو فضة أو غير ذلك، و﴿أَصۡنَامًا﴾: مفعول أول لـ(تتخذ)، و﴿ءَالِهَةً﴾: مفعول ثانٍ.

قوله: (تعبدها) أي: أنتَ وقومك الذين هم الكنعانيُّون.

---

(١) المعنيان ذكرهما الزجاج والفراء، وانظر «زاد المسير» (٢/٤٦).

إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ....

- استِفهامُ تَوبِيخ - ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ﴾ بِاتِّخاذِها ﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾ عن الحَقِّ ﴿مُّبِينٖ﴾: بَيِّن.

﴿٧٥﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما أَرَيناهُ إضلالَ أَبِيهِ وقَومِه ﴿نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ﴾: مُلْكَ

حاشية الصاوي

قوله: (استفهام توبيخ) أي: على سبيل الإنكار.

قوله: (﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ﴾) أي: أعلمك، فالكاف: مفعول أول، و﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: مفعول ثان، ومقتضى هذه الآية وآية (مريم) أن آزرَ أبا إبراهيم كان كافراً، وهو يشكلُ على ما قاله المحقِّقون أن نسبَ رسول الله ﷺ محفوظٌ عن الشرك، فلم يسجُدْ أحدٌ من آبائه مِنْ عبدِ الله إلى آدمَ لصنمٍ قطُّ، وبذلك قال المفسِّرون في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، وقال البوصيري في «الهمزية»: [الخفيف]

وَبَدا لِلوُجودِ مِنْكَ كَريمٌ ... مِنْ كَريمٍ آباؤُهُ كُرَماءُ[1]

وأجيبَ عن ذلك: بأن حفظَهم من الإشراك ما دام النورُ المحمديُّ في ظَهرهم، فإذا انتقل جازَ أن يكفروا بعد ذلك، كذا قال المفسِّرون هنا[2]، وهذا على تسليم أن آزر أبوه، وأجاب بعضُهم أيضاً: بمنع أن آزر أبوه، بل كان عمَّهُ، وكان كافراً، وتارخُ أبوه ماتَ في الفترة، ولم يثبُتْ سُجوده لصنم، وإنما سمَّاه أباً على عادة العرب من تسمية العمِّ أباً، وفي التوراة اسمُ أبي إبراهيم تارخُ.

قوله: (بيِّن) أي: ظاهرٍ لا شكَّ فيه.

قوله: (كما أريناه إضلال قومه) أي: بسبب تعليمه التوحيد، وكونه مجبولاً عليه؛ لما ورد: أنه حين نزلَ من بطن أمه قامَ واقفاً على قدمَيه وقال: لا إله إلا الله، وحدَهُ لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمد، يحيي ويميت، الحمدُ لله الذي هَدانا لهذا.

قوله: (ملك) أشارَ بهذا إلى أن المرادَ بالملكوت: الملكُ، والتاء فيه لِلمبالغة؛ كالرغبوت والرهبوت والرحموت؛ من: الرغبة والرهبة والرحمة، وعلى هذا: فالملكوتُ والملكُ واحدٌ، ولِلصوفيةِ فرقٌ بين الملك والملكوت، فالملكُ: ما ظهرَ لنا، والملَكوتُ: ما خفيَ عنا كالسماوات وما فيها[3].

---

(١) انظر «المنح المكية» (ص١٠٧).

(٢) كذا ذكر العلامة الجمل في «الفتوحات» (٢/ ٤٩).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ....

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لِيَستَدِلَّ بِه على وَحدانِيَّتِنا، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ بِها. - وجُملةُ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وما بعدَها اعتِراض -. وعُطف على ﴿قَالَ﴾:

﴿٧٦﴾ ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾: أظلَمَ ﴿عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ ....

حاشية الصاوي

إذا علمتَ ذلك فالأولى إبقاؤُهُ على ظاهره؛ لما وردَ: أنه أُقيمَ على صخرة وكُشفَ له عن السماوات حتى رأى العرش والكرسي وما في السماوات من العَجائب، وحتى رأى مكانه في الجنة، فذَلك قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٧]، وكُشفَ له عن الأرض حتى رأى أسفلَ الأرضِين، ورأى ما فيها من العجائب، وهذا يفيدُ أن الرؤية بصريةٌ لا عِلمية(١).

قوله: (ليستدل به على وحدانيتنا) أي: وليعلِّمَ قومَهُ كيفيةَ الاستدلال على ذلك، لا لتوحيد نفسه، فإنَّ توحيدَهُ بالمشاهدة لا بِالدليل.

قوله: (﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾) معطوفٌ على محذوف قدَّره المفسِّرُ بقوله: (ليستدل... إلخ).

قوله: (اعتراض) أي: بين قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ وبين الاستدلال عليهم.

قوله: (﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾) من الجُنَّةِ، وهي الستر، وحاصلُ ذلك: أن نمروذَ بن كنعان كان يدعو الناسَ إلى عبادته، وكان له كهَّان ومُنجِّمون، فقالوا له: إنه يولدُ في بَلدك هذه السنة غلامٌ يغيِّرُ دينَ الأرض، ويكون هلاكُكَ وزوال ملكك على يَديه، فأمر بذبح كلِّ غلام يولدُ في تلك السنة، وأمر بعزل النساء عن الرجال، وجعل على كلِّ عشرة رجلاً يحفظُهم، فإذا حاضت المرأةُ خلَّوا بينها وبين زوجها؛ لأنهم كانوا لا يجامِعون في الحيض، فإذا طَهرت من الحيض حالُوا بينهما، فخرج نمروذُ بالرجال في البرية وعزلهم عن النساء تخوفاً من ذلك المولود، فمكثَ بذلك ما شاءَ الله، ثم بدَت له حاجةٌ إلى المدينة، فلم يأمَنْ عليها أحداً من قومه إلا آزر، فبَعث إليه فأحضرَهُ عنده، وقال له: إن لي إليك حاجةً أحبُّ أن أوصيَكَ بها، ولم أبعثك فيها إلا لِثقتي بك، فأقسمت عليك ألا تدنُوَ من أهلك،

= إليه، فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرُّقها؛ فإن البهائم تشاركك في هذا النظر، فإن كان هذا هو المراد.. فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟ لا، بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبِّرُ عنه بالملك والشهادة، وما غاب عن الأبصار فيعبَّر عنه بالغيب والملكوت). ثم ذكر كلاماً في التأمل جديراً بالتأمل.

(١) انظر «زاد المسير» (٢/٤٦).

قَالَ هَٰذَا رَبِّى ....

قِيلَ: هو الزَّهرةُ، ﴿قَالَ﴾ لِقَومِهِ وكانُوا نَجَّامِينَ: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ في زَعمِكُم، ....

حاشية الصاوي

فقال آزر: أنا أشحُّ على ديني من ذلك، فأوصاه بِحاجته، فدخل المدينة وقضى حاجةَ الملك، ثم دخل على أهله فلم يَتمالك نفسه حتى واقع زوجتَهُ، فحملَتْ من ساعتها بإبراهيم، فلما دنَت ولادتُها خرجت هاربةً مخافةَ أن يطلعَ عليها فيَقتل ولدها، فلمَّا وضعته جعلته في نهر يابس، ثم لفَّته في خِرقة وتركته، قيل: أخبرت أباه به، وقيل: لا، وكانت تختلفُ إليه لتنظرَ ما فعلَ، فتجدُهُ حيًّا وهو يمصُّ من إصبع ماءً، ومن إصبع لبناً، ومن إصبع سمناً، ومن إصبع عسلاً، ومن إصبع تمراً، وكان إبراهيمُ يشبُّ في اليوم كالشهر، وفي الشهر كالسنة، فمكث خمسةَ عشر شهراً قالوا: فلمَّا شبَّ إبراهيمُ وهو في السرب قال لأمه: مَن ربي؟ قالت: أنا، قال: فمن ربُّكِ؟ قالت: أبوك، قال: فمَن ربُّ أبي؟ قالت: اسكت، ثم رجَعت إلى زوجها، فقالت: رأيتُ الغلام الذي كنا نحدِّثُ أنه يغيِّرُ دينَ أهل الأرض ثم أخبرَته بما قال، فأتاه أبوه آزر، فقال إبراهيم: يا أبتاه؛ من رَبي؟ قال: أمُّك، قال: فمن ربُّ أمي؟ قال: أنا، قال: فمن ربُّك؟ فقال: نمروذُ، قال: فمَن ربُّ نمروذ؟ فلطمَهُ وقال له: اسكُتْ، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا...﴾ [الأنعام: ٧٦] الآية[١].

واختُلفَ في وقت هذا القول؛ هل كان قبلَ البُلوغِ والرسالة أو بعدهما؟ والصحيحُ: أنه بعد البلوغ وإيتاء الرسالة، وما وقعَ من إبراهيم إنما هو مجاراةٌ لقومه واستدراجٌ لهم لأجل أن يُعلمَهم جهلَهم وخطأهم في عبادة غير الله، وليس إثباتُهُ الربوبيةَ لهذه الأجرام على حَقيقته، حاشاه من ذلك؛ لأنَّ الأنبياءَ معصومُون من الجهل قبل النُّبوة وبعدها؛ لأنَّ توحيدَهم بالشهود على طبق ما جُبِلت عليه أرواحُهم من يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٢].

قوله: (قيل: هو الزهرة) خصَّها لأنها أضوءُ الكواكب، وهي في السماء الثالثة.

قوله: (وكانوا نجَّامين) أي: عالمين بالنجوم، أو عابِدين لها.

قوله: (في زعمكم) أي: فالجملةُ خبريةٌ على حسَب زعمهم، لا على حسَبِ الواقع واعتقاد إبراهيم.

---

(١) «زاد المسير» (٢/ ٤٧)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٦٩٠).

(٢) وتأكيداً لهذا القول انظر ما كتبه الإمام الرازي في «تفسيره» (٣/ ٣٨).

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧﴾ ....

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾: غابَ ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أن أتَّخِذَهُم أرباباً؛ لِأنَّ الرَّبَّ لا يَجُوز عليهِ التَّغيُّر والانتِقال؛ لِأنَّهما مِن شَأن الحَوادِث. فلَم يَنجَعْ فِيهِم ذلك.

٧٧ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾: طالِعاً ﴿قَالَ﴾ لَهُم: ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي﴾: يُثَبِّتْنِي على الهُدَى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ تَعرِيضٌ لِقَومِهِ بِأنَّهُم على ضَلالٍ، فلَم يَنجَع فِيهِم ذلك.

حاشية الصاوي

قوله: (غاب) يقالُ: أفلَ الشيءُ أفولاً: غاب.

قوله: (التغيير والانتقال) أي: لأن الأفولَ حركةٌ، والحركةُ تقتضي حدوث المتحرِّكِ وإمكانِهِ، فيمتنعُ أن يكونَ إلهاً.

قوله: (فلم ينجع) أي: لم يؤثِّرْ ويُفِد، وهو من باب: خضع، يُقالُ: نجعَ نُجوعاً: ظهرَ أثره.

قوله: (﴿بَازِغٗا﴾) حالٌ من ﴿ٱلۡقَمَرَ﴾، والبزوغُ: الطلوع.

قوله: (﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾) أي: بزَعمكم كما تقدَّم.

قوله: (يثبتني على الهدى) إنما قال ذلك؛ لأن أصلَ الهدى حاصلٌ للأنبياء بحسَب الفطرة والخلقة، فلا يتصوَّرُ نَفيه.

قوله: (تعريض لقومه) إنما عرَّضَ بضلالهم في أمر القمر؛ لأنه أيسَ منهم في أمرِ الكوكب، ولو قاله في الأول لما أنصَفوه، ولهذا صرَّحَ في الثالثة بالبراءة منهم وأنهم على شرك؛ أي: فالتعريضُ هنا لاستدراج الخَصم إلى الإذعان والتسليم.

قوله: (فلم ينجع فيهم ذلك) أي: الدليلُ المذكور[1].

---

(١) معلوم أن قدماء الفلاسفة يرون الشمس والأجرام السماوية ذات طبيعة أثيرية (خامسة)، وهي عندهم غير قابلة للفناء والتغيُّر، وقد ردَّ إمامنا الغزالي في «تهافت الفلاسفة» على جالينوس المتزعم لهذا القول، والعلم اليوم يظهر سذاجة قول الفلاسفة القدماء ومن حذا حذوهم كابن رشد، وقد أعدَّ الباحث الفاضل محمد باسل الطائي بحثاً بيَّن فيه تأييد العلم لما ذهب إليه الحجة الغزالي رضي الله عنه. انظر «تهافت الفلاسفة» (ص١٢٦).

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ....

﴿٧٨﴾ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا﴾ ـ ذَكَّرَهُ لِتَذكيرِ خَبَرِه ـ ﴿رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ مِن الكوكَبِ والقمَرِ، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ وقَوِيَت عليهِم الحُجَّةُ ولَم يَرجِعُوا، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بِالله مِن الأصنامِ والأجرامِ المُحدَثة المُحتاجةِ إلى مُحدِثٍ، فقالُوا لَه: ما تَعبُد؟

﴿٧٩﴾ قالَ: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾: قَصَدتُ بِعِبادَتِي ﴿لِلَّذِى فَطَرَ﴾: خَلَقَ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: اللهِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (لتذكير خبره) أي: وهو رَبي، وهذا كالمتعيِّن؛ لأنَّ المبتدأ والخبر عبارةٌ عن شيء واحد، والربُّ سبحانه وتعالى مُصانٌ عن شبهة التأنيث، ألا تراهم قالُوا في صفته: (علَّام) ولم يقولوا: (علَّامة) وإن كان علَّامة أبلغَ؛ تباعداً عن علامة التأنيث.

قوله: (﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾) أي: جرماً وضوءاً، وسعةُ جرمِ الشمس مئةٌ وعشرون سنة كما قالَه الغزالي[1]، وفي رواية: أنها قدرُ الأرض مئةَ وستين مرة، والقمرُ قدرُها مِئة وعشرين.

قوله: (﴿مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾) (ما): مصدرية؛ أي: بَريء من إشراككم، أو موصولة؛ أي: من الذي تُشركونه مع الله، فحذف العائد.

قوله: (والأجرام) عطف عامٍّ؛ لأنها تشملُ الأصنام والنجوم.

قوله: (قصدت بعبادتي) أي: فليس المرادُ بالوجه الجسمَ المعروف، بل المرادُ به القلبُ، وإنما عبَّرَ المفسِّر بالقصد؛ لأنَّ القصدَ والنية محلُّهما القلبُ، وإنما انتفى الوجهُ الحسيُّ لاستحالة الجهةِ على الله.

قوله: (خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾) أي: وما فيهما، ومِن جملته معبوداتُكم العُلوية والسفلية، فقد أبطلَ السفليَّة بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، والعلويةَ بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ...﴾ إلخ.

---

(١) «الفتوحات» (٢/ ٥٤)، وهذه التقديرات بحسب معطيات عصرهم، وذكر الأستاذ الطائي في البحث المشار إليه أن الشمس أكبر من الأرض بمليون وثلاث مئة ألف مرَّة.

حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى ....

﴿حَنِيفًا﴾: مائِلاً إلى الدِّين القَيِّم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بِه.

﴿٨٠﴾ ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾: جادَلُوهُ في دِينِه وهَدَّدُوهُ بالأصنام أن تُصِيبَه بِسُوء إن تَرَكها، ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾ ـ بِتَشدِيدِ النُّون، وتَخفِيفِها بِحَذفِ إحدَى النُّونَين، وهي نُونُ الرَّفع عِند النُّحاةِ، ونُونُ الوِقاية عِند القُرَّاء ـ: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَنِيفًا﴾) حالٌ من التاء في ﴿وَجَّهْتُ﴾.

قوله: (﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾) رُوي: أنه لما شبَّ إبراهيم وكبرَ.. جعلَ آزرُ يصنعُ الأصنام ويُعطيها له لِيَبيعها، فيذهبُ بها وينادي: مَنْ يشتري ما يضرُّهُ ولا ينفعُهُ؟ فلا يشتريها أحدٌ، فإذا بارَت عليه ذهبَ بها إلى نهرٍ وضرب فيه رؤوسها وقال لها: اشربي؛ استهزاءً بقومه حتى إذا فَشا فيهم استهزاؤُهُ جادَلوه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ...﴾ إلخ[1].

قوله: (وهدَّدوه) عطفُ تفسير على (جادلوه)؛ أي: فمحاجَّتُهم كانت بالتهديد، لا بالبرهان؛ لعدمه عندهم، ومحاجَّةُ إبراهيم كانت بالبرهان، ففرقٌ بين المقامَين.

قوله: (أن تصيبه بسوء) أي: كخبل وجُنون.

قوله: (﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾... إلخ) استئنافٌ وقعَ جواباً لسؤال نشأ من حكاية محاجَّتِهم، كأنه قيل: فماذا قال حين حاجُّوه؟

قوله: (بتشديد النون) أي: لإدغام نون الرفع في نون الوقاية، وقوله: (وتخفيفها) أي: تخلصاً من اجتماع مشدَّدين في كلمة واحدة وهما الجيم والنون[2].

قوله: (عند النحاة) أي: كسيبويه وغيره من البصريين، مستدلِّين بأنها نائبةٌ عن الضمة، وهي قد تحذفُ تخفيفاً كما في قراءة أبي عمرو: (وينصُرْكم)، (ويَأمُرْكم) بالإسكان، فكذا ما نابَ عنها.

قوله: (عند الفرَّاء) أي: مستدلِّين بأن الثقلَ إنما حصلَ بها[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٨١) عن محمد بن إسحاق ضمن خبر طويل تقدَّم بعضه.

(٢) قرأ نافع وابن ذكوان وهشام بخلاف عنه بنون خفيفة، والباقون بنون ثقيلة، والتثقيل هو الأصل. انظر «الدر المصون» (٥/ ١٥) وفيه ذكر خلاف أي النونين حذف.

(٣) وهو مذهب الأخفش والمبرد وعامة المتأخرين.

فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ ....

أتُجادِلُونَني ﴿فِى﴾ وحدانيَّةِ ﴿ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ﴾ تعالى إليها؟ ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ه ﴿بِهِۦٓ﴾ مِن الأصنامِ أن تُصِيبَني بِسُوءٍ لِعَدَمِ قُدرَتِها على شيءٍ، ﴿إِلَّآ﴾: لَكِنْ ﴿أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ﴾ مِن المَكرُوهِ يُصِيبُنِي فيكُون، ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ﴾ أي: وَسِعَ عِلمُه كُلَّ شيءٍ، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمِنُون؟

﴿٨١﴾ ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ بِاللهِ وهي لا تَضرُّ ولا تَنفَعُ، ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتُم مِن اللهِ ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ في العِبادةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَدْ هَدَىٰنِۚ﴾) يرسمُ بلا ياء؛ لأنها من ياءات الزوائد، وفي النطق يجبُ حذفُها في الوقف، ويجوزُ إثباتُها وحذفُها في الوصل، وجملة ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِۚ﴾ في محلِّ نصب على الحال من الياء في ﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى﴾، والمعنى: أتجادِلونَني في الله حالَ كوني مهديًا من عنده، وحُجتكم لا تجدي شيئاً لأنها داحضةٌ؟!

قوله: (﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾) أشار إلى أن ﴿مَا﴾ موصولة، فالهاء في ﴿بِهِۦٓ﴾ تعودُ على (ما)، والمعنى: ولا أخافُ الذي تشركون اللهَ به، أو تعودُ على الله، والمحذوف هو العائد على (ما).

قوله: (لكن) أشارَ بذلك إلى أن الاستثناء مُنقطع؛ لأن المشيئةَ ليست ممَّا يشركون به.

قوله: (يُصيبني) صفة لـ﴿شَيْـًٔاۗ﴾، وهو إشارةٌ إلى تقدير مضاف؛ أي: إلا أن يشاء ربي إصابةَ شيء لي، وقوله: (فيكون) بالنصب عطفٌ على مدخول (أن)، أو بالرفع استئنافٌ؛ أي: فهو يكونُ.

قوله: (﴿عِلْمًاۗ﴾) تمييزٌ محوَّلٌ عن الفاعل كما يفيدُهُ المفسِّر، نحو: اشتعلَ الرأسُ شيباً، والجملةُ كالتعليل للاستثناء.

قوله: (﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾) الهمزةُ داخلةٌ على محذوف، والفاءُ عاطفة عليه؛ أي: أتُعرضون عن التأمُّلِ في أن آلهتكم جماداتٌ لا تضرُّ ولا تنفع فلا تَتذكرون بُطلانها؟!

قوله: (﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾) استئنافٌ مَسوقٌ لنفي الخوف عنه بالطريق الإلزامي بعد نَفيه عنه بحسَب الواقع في قوله سابقاً: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾، والاستفهامُ للتعجُّب.

مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ....

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾: بِعِبادَتِه ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّةً وبُرهاناً، وهو القادِرُ على كُلِّ شيءٍ؟ ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ مِن العذاب أنَحنُ أم أنتُم؟ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مَن الأحَقُّ بِه ـ أي: وهو نَحنُ ـ فاتَّبِعُوه. قال تَعالى:

﴿٨٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾: يَخلِطُوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: شِركٍ كما فُسِّرَ بِذلكَ في حَدِيثِ «الصَّحيحَين»، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ مِن العذابِ ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾) مفعولٌ لـ﴿أَشْرَكْتُم﴾.

قوله: (﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾) أي: من الموحِّد والمشرِك.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾) ﴿إِن﴾: شرطية، وجوابُها محذوف قدَّره المفسر بقوله: (فاتَّبعوه).

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... إلخ) يحتملُ أن يكونَ من كلام إبراهيم، أو من كلام قَومه، أو من كلام الله تعالى، أقوالٌ للعلماء، فإن قُلنا: إنها من كلام إبراهيم.. كان جواباً عن السؤال في قوله: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ...﴾ إلخ، وكذا إن قُلنا: إنها من كلام قومه، ويكونون أجابوا بما هو حجةٌ عليهم، وعلى هذين الاحتمالين فهو خبرٌ لمحذوف، وإن كان من كلام الله تعالى لمجرَّد الإخبار.. كان الموصول مبتدأً، و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: مبتدأٌ ثانٍ، و﴿ٱلْأَمْنُ﴾: مبتدأٌ ثالث، و﴿لَهُمُ﴾: خبره، والجملةُ خبرُ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾، و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ وخبرُهُ: خبرُ الأول.

قوله: (في حديث «الصحيحين») أي: ففيهما عن ابن مسعود قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ شَقَّ ذلك على المسلمين وقالوا: أينا لم يظلِمْ نفسَهُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تَسمعوا قولَ لُقمان لابنه:** ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»(١)، وهذا ما ذهبَ إليه أهلُ السنة، وذهب المعتزلةُ إلى أن المرادَ بالظلم في الآية: المعصيةُ لا الشركُ، بناءً على أن خَلط أحدِ الشيئين بالآخر يقتضي اجتماعَهما، ولا يُتصوَّرُ خلطُ الإيمان بالشرك؛ لأنهما ضِدان لا يجتمعان.

---

(١) رواه البخاري (٣٢، ٤٦٢٩)، ومسلم (١٢٤).

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ ....

(٨٣) ﴿وَتِلْكَ﴾ ـ مُبتَدأٌ، ويُبدَلُ مِنهُ ـ: ﴿حُجَّتُنَآ﴾ الَّتي احتَجَّ بِها إبراهِيمُ على وَحدانِيَّةِ اللهِ مِن أُفُولِ الكوكَبِ وما بَعدَه، ـ والخَبَرُ: ـ ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أرْشَدناهُ لَها حُجَّةً ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ ـ بِالإضافةِ والتَّنوِين ـ ....

حاشية الصاوي

وأجابَ أهلُ السنة: بأن الإيمانَ قد يجامعُ الشرك ويُرادُ بالإيمان مطلقُ التصديق، سواءٌ كان باللسان أو بغيره، وكذاك إن أُريدَ به تصديقُ القلب؛ لجواز أن يصدِّقَ المشركُ بوجود الصانع دون وَحدانيَّته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، أفادَهُ زاده على «البيضاوي»[١].

قوله: (﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾) أعرَب المفسِّرُ اسمَ الإشارة مبتدأ، و﴿حُجَّتُنَآ﴾: بدل منه، وجملة ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ﴾ خبرُ المبتدإ، وقوله: ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف حال من الهاء في ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ﴾، وهو أحسنُ الأعاريب، وقيل: إنَّ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾: مبتدأ وخبر، و﴿ءَاتَيْنَٰهَآ﴾: خبرٌ ثان، و﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: متعلِّق بـ﴿حُجَّتُنَآ﴾، واسم الإشارة عائدٌ على قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ إلى هنا، أو مِن قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إلى هنا.

قوله: (من أفول الكواكب) أي: التي هي الزُّهَرَةُ والقمرُ والشمس[٢].

قوله: (وما بعده) أي: وهو قوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾) أي: بوحي أو إلهام.

قوله: (حجة ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ﴾) قدَّره المفسِّرُ؛ إشارةً إلى أن الجار والمجرور متعلِّق بمحذوف حال من الهاء في ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ﴾.

قوله: (﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾) مفعولُ ﴿نَّشَآءُ﴾ محذوف، تقديرُهُ: رفعَها.

قوله: (بالإضافة والتنوين) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٣]، فعلى الإضافة: المفعولُ به

---

(١) وكذا ذكر العلامة الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (٤/ ٨٨)، وقول المعتزلة هو ما ذكره الزمخشري في «تفسيره» (٢/ ٤٣) أيضاً، وفارق العصاةُ الكفَّار بأن العصاة يخافون العذاب المؤقت، أما الكفار فخوفهم من الخلود فيه.

(٢) لغةً الكوكبُ: النجمُ، والتفريق اصطلاحي، ويمكن حمله على التغليب.

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بتنوين تاء (درجات)، والباقون بغير تنوين. انظر «السراج المنير» (١/ ٤٣٣).

إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن

في العِلم والحِكمةِ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلقِه.

﴿٨٤﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ﴾ ابنَه، ﴿كُلًّا﴾ مِنهُما ﴿هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن

حاشية الصاوي

هو ﴿دَرَجَٰتٍ﴾، وعلى التنوين هو ﴿مَّن نَّشَآءُ﴾، و﴿دَرَجَٰتٍ﴾: ظرفٌ للرفع، والتقديرُ: نرفعُ مَنْ نشاءُ في درجات.

قوله: (**في العلم والحكمة**) قيل: هي النبوّة، فالعطفُ مُغاير، وقيل: العلمُ النافع، فالعطف خاصٌّ على عام؛ اعتناءً بشرف العلم وإظهاراً لِفضله.

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾) أي: يصنعُ الشيءَ في محلِّه، وهو كالدليل لما قبله، والمعنى: أن الله يحكمُ لا معقِّبَ لحكمه، يرفعُ من يشاء ويضعُ من يشاء، لا اعتراضَ عليه، فإنه حكيم يضعُ الشيء في محلِّه، عليم لا يخفى عليه شيء.

قوله: (﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾... **إلخ**) لما أنعمَ الله على إبراهيم عليه السلام بِالنُّبوة والعلم ورفع دَرجاته حيث جاهدَ في الله حقَّ جهاده.. أتمَّ عليه النعمةَ بأن وهبَ له إسحاق ويعقوب وإسماعيل، وجعلَ في ذُريته النبوةَ إلى يوم القيامة، وإسحاقُ هو مِن سارة، وجملة (وَهبنا) معطوفةٌ على قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ عطفَ فعليةٍ على اسمية[1]، والمقصودُ من تِلاوة هذه النعم على محمد: تشريفُهُ؛ لأنَّ نشرَ شرف الوالد يَسري للولد.

قوله: (﴿كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾) أي: للشرع الذي أُوتيه[2].

قوله: (﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾) نوحٌ هو ابنُ لَمْكَ بفتح اللام وسكون الميم وبالكاف، وقيل: مَلْكان بفتح الميم وسكون اللام وبالنون بعد الكاف، ابنِ متوشلخ ـ بضم الميم وفتح التاء الفوقية والواو وسكون الشين المعجمة وكسر اللام وبالخاء المعجمة ـ ابنِ إدريس.

---

(١) قال أبو السعود في «تفسيره» (٣/ ١٥٧): (فإن عطف كلٍّ من الجملة الفعلية والاسمية على الأخرى ممَّا لا نزاع في جوازه)، والمراد: في أرجح الأقوال، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾، وقولهم في المثل: للباطل جولةٌ ثم يضمحلُّ، وعكسُ هذا عطفُ الخبرية على الإنشائية أو العكس، إذ الراجح منع هذا، والمانعُ والمجوِّز يؤوِّل ما يخالف مذهبه.

(٢) لا من الضلال، ومثله قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ أي: عن النبوة، فهداك للنبوة، وانظر «شرح الشفا» للقاري (٢/ ٢٠٦).

قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ....

﴿قَبْلُ﴾ أي: قبلَ إبراهيمَ، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ أي: نوح ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ ابنَه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ بنَ يعقوبَ ﴿وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جَزَيناهُم ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿٨٥﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ﴾ ابنَه ﴿وَعِيسَىٰ﴾ بنَ مَريَمَ، يُفِيدُ أنَّ الذُّرِّيَّة تَتَناوَلُ أولادَ البِنت، ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ ابنَ أخي هارُونَ أخِي موسَى، ﴿كُلٌّ﴾ مِنهُم ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾)[١] يحتملُ أن الضميرَ عائدٌ على نوح؛ لأنه أقربُ مذكور، واختاره المفسِّرُ، ويحتملُ أنه عائدٌ على إبراهيم؛ لأنه المحدَّثُ عنه، ويُبعدُهُ ذكرُ لوط في الذرية مع أنه ليس من ذُرية إبراهيم، بل هو ابنُ هاران وهو أخو إبراهيم.

قوله: (﴿وَأَيُّوبَ﴾) هو ابنُ أموصَ بنِ رازح بن عيص بن إسحاق.

قوله: (﴿وَمُوسَىٰ﴾) هو ابنُ عمرانَ بنِ يصهر بن لاوي بن يعقوب، وقوله: **(وهارون)** أي: وهو أخو موسى، وكان أسنَّ منه بِسنة.

قوله: (﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) أي: المؤمنين؛ أي: فمَن اتبعهم في الإيمان أُلحقَ بهم ورفعَ اللهُ درجاته.

قوله: **(ويُفيد أن الذرية... إلخ)** أي: لأنَّ عيسى لا أبَ له.

قوله: (﴿وَإِلْيَاسَ﴾ **بن أخي هارون**) وقيل: هو إدريسُ، فله اسمان، وهو خلافُ الصحيح؛ لأن إدريسَ أحدُ أجداد نوح وليس من الذرية، وإلياس بهمز أوله وتركه ابنُ ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران، وهذا هو الصحيحُ، فالصواب لِلمفسِّر حذف لفظة (أخي)[٢].

قوله: (﴿وَٱلْيَسَعَ﴾) الجمهورُ على أنه بلام واحدة ساكنة وفتح الياء، وقُرِئَ بلام مشدَّدة وياء ساكنة[٣]، وهو ابن أخطوب بن العجوز.

---

(١) الجار والمجرور في محل نصب حال؛ أي: حال كون هؤلاء الأنبياء منسوبين إليه، وما بعده الناصب له الفعل (هدينا) أي: وهدينا داوود... إلخ.

(٢) أي: الأولى؛ ليصير: (وإلياس بن هارون أخي موسى)، وسياق المصنف قريب مما ذكره البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٤١)، وذكر العلامة الجمل في «فتوحاته» (٢/ ٥٨) أن الإمام السيوطي قال بقول الجمهور في «تحبيره» (ص٤٨١).

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي، فهي سبعية أيضاً، وانظر «الفتوحات» (٢/ ٥٨).

وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ....

﴿٨٦﴾ ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ بنَ إبراهيمَ ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ ـ اللام زائِدةٌ ـ ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ﴾ ابنَ هارانَ أخِي إبراهِيمَ، ﴿وَكُلًّا﴾ مِنهُم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بِالنُّبوة.

﴿٨٧﴾ ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ﴾ ـ عَطفٌ على (كُلًّا) أو (نُوحاً)، و(مِن) لِلتَّبعِيضِ، لِأنَّ بعضَهم لَم يَكُن لَه وَلَد وبَعضَهم كان في وَلَدِه كافرٌ ـ، ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾: اختَرناهُم ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيُونُسَ﴾) هو ابنُ متَّى، وهي أمُّه.

قوله: (﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) أي: على سائر الأوَّلين والآخرين.

قوله: (عطف على «كلًّا») أي: والعاملُ فيه ﴿فَضَّلْنَا﴾، وقوله: (أو نوحاً) أي: والعاملُ فيه ﴿هَدَيْنَا﴾، والأقربُ الأول.

قوله: (ومِن للتبعيض) هذا ظاهرٌ في الآباء والأبناء، لا الإخوان، فإنهم كلَّهم مَهديُّون[١].

قوله: (لأن بعضهم لم يكن له ولد... إلخ) هذا تعليلٌ لكون (مِنْ) للتبعيض، وقد خصَّهُ المفسِّر بالذرية، ويُقالُ مِثله في الآباء.

والحاصلُ: أنه ذكر في هذه الآيات من الأنبياء الذين يجبُ الإيمان بهم تفصيلاً ثمانيةَ عشر، وبقيَ سبعةٌ، وهم محمدٌ ﷺ، وإدريسُ، وشعيبٌ، وصالحٌ، وهودٌ، وذو الكفل، وآدمُ، فتكون الجملةُ خمسةً وعشرين مذكورين في القرآن يجبُ الإيمان بهم تَفصيلاً[٢]، وبقي ثلاثةٌ مذكورون في القرآن واختُلف في نبوتهم: لقمانُ، وذو القرنين، والعُزيرُ، من أنكرَ وجودَهم كفر، ومن أنكر نبوَّتهم لا يكفر[٣].

---

(١) كما قرَّره العلامة الأجهوري. انظر «الفتوحات» (٢/٥٩).

(٢) ومعنى الوجوب: أن إنكار نبوَّة من تعيَّن له في القرآن النبوة موجب للكفر، وعليه: فمنكر نبوة ذي الكفل عليه السلام لا يكون كافراً؛ لعدم تعينه، بل نبوته هي قول جمهور أهل السنة.

(٣) ويدخل مع هؤلاء الثلاثة عليهم السلام: مريم، وآسية على ضعف، وخالد بن سنان، ولكن إنكار وجود الأخير لا يضرُّ.

ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ....

﴿٨٨﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدِّينُ الَّذي هُدُوا إِلَيهِ ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ فَرضاً ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿٨٩﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بِمَعنَى الكُتُب ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾: الحِكمةَ ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي: بِهذهِ الثَّلاثة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أهلُ مَكَّة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾: أرصَدنا لَها ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ هُم المُهاجِرُون والأنصارُ.

حاشية الصاوي

قوله: (الذي هُدوا إليه) أي: وهو التوحيد[1].

قوله: (﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ فرضاً) أشارَ بذلك إلى أن الشركَ مستحيلٌ عليهم[2] فـ(لو) غيرُ مُقتضية للوقوع، أو هو خطابٌ لهم والمرادُ غيرهم.

قوله: (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾) أي: الأنبياءُ المتقدمُون وهم الثمانيةَ عشرَ.

قوله: (الحكمة) أي: العلمَ النافع، أو المرادُ بالحُكْم: الفصلُ بين الناس والقضاءُ بينهم.

قوله: (﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا﴾) أي: وفَّقنا وأعددنا للقيام بِحقوقها، وهذا تعليلٌ لجواب الشرط المحذوف، تقديرُهُ: فلا ضررَ عليك؛ لأننا قد وكلنا... إلخ، وفي هذه وعدٌ من الله بنَصره وإظهار دينه.

قوله: (﴿لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾) أي: بل هم مستمرُّون على الإيمان بها، والمعنى: لا تحزَنْ يا محمد على كفر أهل مكة؛ فإنَّ مَنْ كفرَ منهم وبالُه على نفسه، وأما آياتُ الله فقد جعلَ لها أهلاً يؤمنون بها ويعملون بها إلى يوم القيامة.

---

(١) أي: فلم يتَّصفوا بغيره.

(٢) استحالة شرعية لا عقلية كما لا يخفى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ ....

﴿٩٠﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى﴾ هم ﴿ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ﴾: طريقِهم من التَّوحيد والصَّبر ﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ ـ بهاءِ السَّكت وقفاً ووَصلاً، وفي قِراءةٍ بِحَذفِها وصلاً ـ، ﴿قُل﴾ لِأهلِ مكَّة: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿أَجۡرًاۖ﴾ تُعطُونيهِ، ﴿إِنۡ هُوَ﴾: ما القُرآنُ ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ﴾: عِظَةٌ ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾: الإِنسِ والجِنِّ.

حاشية الصاوي

قوله: (من التوحيد... إلخ) دفعَ بذلك ما يُقالُ: إن هذه الآية تقتضي أن رسولَ الله تابعٌ لغيره من الأنبياء مع أن شَرعه ناسخٌ لجميع الشرائع، وأنَّ كلَّهم مُلتمسون منه، فأجابَ: بأن الاقتداءَ في التوحيد والصبر على الأذى، لا في فُروع الدين.

قوله: (وقفاً ووصلاً) أما الوقفُ فظاهر، وأما الوصلُ فإجراءً له مُجرى الوقف، قال ابن مالك: [الرجز]

وَرُبَّمَا أُعْطِيَ لَفْظُ الوَصْلِ مَا ... لِلْوَقْفِ نَثْراً وفَشَا مُنْتَظِمَا[1]

قوله: (الإنس والجن) أي: ففي الآية دليلٌ على عُموم رسالته للعالمين إلى يوم القيامة، وقد احتجَّ العلماءُ بهذه على أن رسولَ الله ﷺ أفضلُ من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبيانُهُ: أن جميعَ خِصال الكمال وصفاتِ الشرف كانت متفرقةً فيهم، فكان نوحٌ صاحبَ احتمالِ أذى على قومه، وإبراهيمُ صاحبَ كرم وبذل ومجاهدةٍ في الله عزَّ وجل، وإسحاقُ ويعقوبُ وأيوبُ أصحابَ الصبر على البلايا والمِحن، وداوودُ وسليمانُ أصحابَ شكر على النِّعم، ويوسفُ جمعَ بين الصبر والشكر، وموسى صاحبَ الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياسُ من أصحاب الزهد في الدنيا، وإسماعيلُ صاحبَ صِدق الوعد، ويونسُ صاحبَ تضرُّع وإخبات، ثم إنَّ الله أمرَ نبيَّهُ أن يقتديَ بهم في جميع تلك الخصال المحمودة المتفرِّقة فيهم، فثبتَ بهذا أنه أفضلُ الأنبياء؛ لما اجتمعَ فيه من هذه الخصال، والله أعلَم. اهـ من «الخازن[2]».

---

(١) «الخلاصة» (باب الوقف)، وقد قرأ حمزة والكسائي بحذف هذه الهاء وصلاً، والباقون أثبتوها وصلاً ووقفاً. انظر «الدر المصون» (٥/ ٣١).

(٢) «تفسير الخازن» (٢/ ١٣٣).

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ....

(٩١) ﴿وَمَا قَدَرُواْ﴾ أي: اليهودُ ﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عَظَّمُوهُ حقَّ عَظَمَتِه،

حاشية الصاوي

لكن قد يُقالُ: إن المزيةَ لا تقتضي الأفضَلية؛ ولِذا قال أشياخُنا المحقِّقون: إنه وإن كان جامعاً لجميع ما تفرَّقَ في غيره فتفضيلُهُ من الله، لا بتلك المزايا، فقد فاقَهم فضلاً ومزايا.

تتمة: بين آدمَ ونوحٍ ألفٌ ومئة سنة، وعاش آدمُ تسع مئة وستين سنة، وكان بين إدريسَ ونوح ألفُ سنة، وبُعث نوحٌ لأربعين سنة، ومكثَ في قومه ألفَ سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان ستينَ سنة، وقيل: بُعثَ نوحٌ وهو ابنُ ثلاثِ مئة وخمسين، وإبراهيمُ وُلدَ على رأس ألفي سنة من آدم، وبينه وبين نوح عشرةُ قرون، وعاش إبراهيمُ مئةً وخمساً وسبعين سنة، وولدُهُ إسماعيلُ عاش مئةً وثلاثين سنة، وكان له حين ماتَ أبوه تسعٌ وثمانون سنة، وأخوه إسحاقُ وُلدَ بعده بأربع عشرة سنة، وعاش مئةً وثمانين سنة، ويعقوبُ بن إسحاق عاش مئةً وعشرين سنة، وبينه وبين موسى أربعُ مئة سنة، وبين موسى وإبراهيم خمسُ مئة وخمس وستون سنة، وعاشَ موسى مئةً وعشرين سنة، وبين موسى وداوود خمسُ مئة وتسعٌ وتسعون سنة[١]، وعاش مئةَ سنة، وولدُهُ سليمانُ عاش نيفاً وخمسين سنة، وبينه وبين مولد النبيِّ ﷺ نحو ألف وسبع مئة سنة، وأيوبُ عاش ثلاثاً وستين سنة، وكانت مدةُ بلائه سبعَ سنين. اهـ من «التحبير في علم التفسير» لِلسيوطي[٢].

قوله: (﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾) استئنافٌ مَسُوق لِبيان أوصاف اليهود، وقَدَرَ من باب: نصر، يُقال: قَدَرَ الشيءَ: إذا سبرَهُ وحزرَهُ لِيعرفَ مقداره، والمعنى: لم يَعترفوا بقدر الله. وهذا الكلامُ إنما هو تنزُّلٌ مع اليهود، وإلا.. فالخلائقُ لم يعظِّموا اللهَ حقَّ تعظيمه، ولم يَعرفوه حقَّ معرفته.

واعلم: أن هنا معنيَين:

الأول: أن معنى ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عرَفوه المعرفةَ التي تليقُ به، وهذه لا يصلُ إليها أحدٌ أبداً، ففي الحديث: «**سبحانَكَ، ما عرَفناك حقَّ معرفتك، يا معروفُ؛ لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسِك**»[٣]، وهذا مُنتفٍ في حقِّ كلِّ مخلوق، فلا خصوصيةَ لليهود.

---

(١) كذا في النسخ، والذي في «التحبير» (ص٤٨٥)، و«الفتوحات» (٢/ ٥٧) نقلاً عنه: (وتسعٌ وستون سنة).

(٢) «التحبير» (ص٤٨٢) نقلاً عن ابن الأثير.

(٣) قوله: «لا أحصي ثناء..» عند مسلم (٤٨٦)، وهو يفيد المعنى المطلوب.

إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ ....

أو ما عَرَفُوهُ حَقَّ مَعرِفَتِه، ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ لِلنَّبِيِّ ﷺ وقَد خاصَمُوهُ في القُرآنِ: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ﴾ لَهُم: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ يَجْعَلُونَهُۥ﴾ - بِالياءِ والتَّاء في المَواضِعِ الثَّلاثةِ - ....

حاشية الصاوي

الثاني: أن معنى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: أنهم لم يعظِّموه ولم يَعرفوه على حسَبِ ما أُمروا به، وهذا لم يقَعْ من اليهود[1]، وإنما هو واقعٌ من المؤمنين، وهذا هو المراد.

قوله: (﴿إِذْ قَالُوا۟﴾) إما ظرفٌ لـ﴿قَدَرُوا۟﴾، أو تعليلٌ.

قوله: (وقد خاصَموه في القرآن) أي: كفنحاص بن عازرواء ومالك بن الصيف، فقد جاءَ يخاصمُ النبيَّ ﷺ، فقال له النبيُّ: «أنشُدُكَ اللهَ الذي أنزلَ التوراة على موسى؛ هل تجدُ فيها أن الله تعالى يبغضُ الحبرَ السمينَ؟» أي: العالمَ الجسيم، وكان مالكٌ المذكور كذلك، وكان فيها ما ذكر، فقال: نعم، وكان يحبُّ إخفاءَ ذلك، لكن أقرَّ لإقسام النبيِّ عليه، فقال له النبيُّ: «أنت حبرٌ سمين»، فغضبَ وقال: ما أنزلَ اللهُ على بشرٍ من شيء، فلما سَمعت اليهودُ تلك المقالةَ غَضبوا عليه، وقالوا: أليس اللهُ أنزلَ التوراةَ على موسى؟ فلم قُلتَ هذا؟! قال: أغضبني محمدٌ فقُلته، فقالوا: وأنت إذا غَضبت تقولُ على الله غير الحق، فعزَلوه من الحبرية وجعلوا مكانَهُ كعبَ بن الأشرف[2].

قوله: (﴿نُورًا﴾) حالٌ إما من (به) والعاملُ فيها (جاء)، أو من (الكتاب) والعاملُ فيه (أنزل)، ومعنى (نوراً): بيِّناً في نفسه، و(هدًى): مبيناً لغيره، و(للناس): مُتعلِّق بـ(هدًى).

قوله: (﴿يَجْعَلُونَهُۥ﴾) حالٌ ثانية، و(جعل) بمعنى: صيَّر، فالهاءُ مفعول أول، و﴿قَرَاطِيسَ﴾: مفعول ثانٍ على حذف مضاف؛ أي: ذَا قراطيس، أو في قراطيس، أو بُولغَ فيه.

قوله: (بالياء والتاء) فعلى التاء يكون خطاباً لليهود، وعلى الياء التفاتٌ من الخطاب لِلغيبة[3].

قوله: (في المواضع الثلاثة) أي: يجعلون، ويُبدون، ويخفون.

---

(١) أي: المعرفة على حسب ما أُمروا به وقعت من المؤمنين، وانتفت عن اليهود.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٢١) عن سعيد بن جبير.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء في المواضع الثلاثة، والباقون بالتاء. انظر «السراج المنير» (١/ ٤٣٥).

قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ ....

﴿قَرَاطِيسَ﴾ أي: يَكتُبُونَهُ في دَفاتِر مُقَطَّعةٍ ﴿تُبْدُونَهَا﴾ أي: ما يُحِبُّونَ إبداءَه مِنها ﴿وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ مِمَّا فِيها كنَعتِ مُحمَّد ﷺ، ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ أيُّها اليَهُودُ في القُرآن ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ مِنَ التَّوراةِ بِبَيانِ ما التَبَسَ علَيكُم واختَلَفتُم فِيه، ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أنزَلَهُ إن لَم يَقُولُوهُ لا جَوابَ غَيره، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾: باطِلِهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾.

﴿٩٢﴾ ﴿وَهَٰذَا﴾ القُرآنُ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (مقطوعة) أي: مفصولاً بعضها عن بعض؛ ليتمكَّنوا من إخفاء ما أرادوا إخفاءَهُ.

قوله: (﴿وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾) أي: لم يُظهروه، بمعنى: لم يكتبوه أصلاً، أو كتبوه وأخفوه عن ملوكهم وسَفِلَتهم، وجعلوا ذلك سرًّا بينهم.

قوله: (كنعت محمد) أي: وكآية الرجم، وآيةِ: إن الله يبغضُ الحبرَ السمين.

قوله: (﴿وَعُلِّمْتُم﴾) يحتملُ أن الخطابَ لليهود كما قال المفسِّرُ وتكون الجملةُ حاليةً، والمعنى: تبدونها وتخفون كثيراً والحالُ أن محمداً أعلمَكم في القرآن بأشياء في التوراة ما لم تكونوا تعلمونها أنتم ولا آباؤكم، ويحتمل أن الخطابَ لقريش وتكون الجملة مستأنفةً معترضةً بين السؤال والجواب.

قوله: (﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾) يحتملُ أنه مبتدأٌ خبره محذوف، تقديره: أنزله، وعليه درج المفسِّرُ، وهو الأولى؛ لأنَّ السؤالَ جملةٌ اسمية، فيكون الجوابُ كذلك، ويحتمل أنه فاعلٌ بفعل محذوف، تقديره: أنزله اللهُ، وقد صُرِّحَ بالفعل في قوله تعالى: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

قوله: (﴿فِى خَوْضِهِمْ﴾) إما متعلِّقٌ بـ﴿ذَرْهُمْ﴾، أو بـ﴿يَلْعَبُونَ﴾، ومعنى يلعبون: يَستهزؤون ويَسخرون.

قوله: (﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾) مبتدأٌ وخبر، و﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: صفةٌ أولى، و﴿مُبَارَكٌ﴾: صفةٌ ثانية، و﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: صفةٌ ثالثة.

قوله: (القرآن) لغةً من القَرْء، وهو الجمعُ، واصطلاحاً: اللفظُ المنزَّلُ على رسول الله ﷺ للإعجاز بأقصرِ سورة منه، المتعبَّدُ بتلاوته، وهذا ردٌّ عليهم حيث قالوا: ما أنزل الله على بَشر من شيء.

﴿مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾

﴿مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قَبلَه مِن الكُتُب، ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ ـ بِالتَّاءِ والياء عطف على مَعنى ما قَبلَه ـ، أي: أنزَلناهُ لِلبَرَكة والتَّصدِيقِ ولِتُنذِرَ بِه ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: أهل مَكَّة وسائِرَ النَّاس، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مُبَارَكٌ﴾) أي: كلُّهُ خيرٌ لمن آمَن به، وشرٌّ على مَن كفر به، ومن بركته بقاءُ الدنيا، وإنباتُ الأرض، وإمطارُ السماء؛ ولِذا إذا رُفِعَ القرآنُ تأتي ريحٌ لينةٌ فيموتُ بها كلُّ مؤمن[1]، ونبقى الكفار، فبقاءُ الخير في الأرض مدَّةَ بقاءِ القرآن فيها.

قوله: (﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾) أي: موافقٌ للكُتب التي قبله في التوحيد والتنزيه، والمعنى: أنه دالٌّ على صِدقها، وأنَّها من عند الله.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2]، فعلى التاء يكون خطاباً للنبيِّ، وعلى الياء يكون الضميرُ عائداً على القرآن.

قوله: (أي: أنزلناه للبركة) هذه العلَّةُ مأخوذةٌ من الوصف بالمشتقِّ؛ لأن تعليقَ الحكم به يُؤذِنُ بالعلِّيَّة.

قوله: (أي: أهل مكة) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف المضاف؛ أي: أهل أمِّ القرى وهي مكَّة.

قوله: (وسائر الناس) أشارَ بذلك إلى أنه ليس المرادُ بمن حولها ما قاربَها من البلاد، بل المرادُ: جميعُ البلاد؛ لأن مكَّةُ وسطُ البلاد، واقتصرَ على الإنذار؛ لأنه هو الموجودُ في صدر الإسلام؛ إذ ليس ثَمَّ مؤمنٌ يُبشَّر.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ﴾) مبتدأ، و﴿يُؤْمِنُونَ﴾: صلته، و﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾: متعلق بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ خبره، ولم يَتحد المبتدأ والخبر؛ لتغاير متعلَّقيهما، والمعنى: والذين يؤمنون بالآخرة إيماناً معتدًّا به محصورُون في الذي يؤمنُ بالقرآن، فخرجت اليهودُ، فلا يعتدُّ بإيمانهم بالآخرة؛ لِعدم إيمانهم بالقرآن.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٢) قرأ الجمهور بتاء الخطاب، و أبو بكر عن عاصم بياء الغيبة. «الدر المصون» (٥/ ٣٨).

وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ....

﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خوفاً مِن عِقابِها.

﴿٩٣﴾ ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحَدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بادّعاءِ النُّبُوَّةَ ولَم يُنَبَّأ، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نَزَلَت في مُسَيلِمَةَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾) جملةٌ حاليةٌ من فاعل ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، وخصَّ الصلاةَ بالذكر؛ لأنها أشرفُ العبادات.

قوله: (خوفاً من عِقابها) أي: الآخرة.

قوله: (﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾) (مَنْ): اسمُ استفهام مبتدأ، ﴿أَظْلَمُ﴾: خبره، و﴿كَذِبًا﴾: تمييز، وأشارَ بقوله: (أي: لا أحد) إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾) (أو): للتنويع، والعطفُ مُغاير، وليس من عطف الخاصِّ على العام، ولا من عطف التَّفسير؛ لأن ذلك لا يكون بـ(أو)[1].

قوله: (﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾) أي: من قِبل الله، بل استَهوته الشياطينُ وسلب اللهُ عقلَه، وختمَ على سمعه وبَصره، وجعلَ على قلبه غِشاوة، حيث قال لما نزلت سورة (الكوثر): (أنزلت عليَّ سورة مثلُها، وهي: إنا أعطيناكَ العقعق، فصلِّ لربك وازعق، إن شانئك هو الأبلَق)! وغير ذلك من الخرافات التي قالها مُسَيْلِمَةُ الكذاب؛ فإن الآيةَ نزلت فيه كما قال المفسِّر[2]، وقد وردَ: أنه أرسل لِرسول الله ﷺ كتاباً مع رسولَين يذكر فيه: (من عند مُسيلِمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد؛ فإن الأرض بيننا نِصفين)، فلمَّا وصله الكتاب قال لِلرسولين: «**أتَشهدان له بالرسالة؟**»، فقالا: نعم، فقال رسول الله: «**لولا أن الرسلَ لا تُقتل.. لَضربتُ أعناقكما**»، وكتب له: «**مِن عند محمد رسول الله إلى مُسيلمة الكذَّاب، أما بعدُ: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة لِلمتقين**»[3].

---

(١) وقول المصنف: (بادعاء النبوة ولم ينبأ) أي: مثلاً، وإلا.. فوجوه الكذب كثيرة. «الفتوحات» (٢/ ٦٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٣٣).

(٣) كذا في «سيرة ابن إسحاق»، وأصل الحديث رواه أبو داوود (٢٧٦١).

وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ ....

﴿وَ﴾ مِن ﴿مَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ وهُم المُستَهزِئُونَ قالُوا: لو نَشاء لَقُلنا مِثلَ هذا، ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المَذكُورُونَ ﴿فِي غَمَرَٰتِ﴾: سَكَراتِ ﴿ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ إلَيهِم بِالضَّربِ والتَّعذِيب ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَ﴾ مِن ﴿مَن قَالَ﴾) قدَّره المفسِّر؛ إشارةً إلى أنه معطوفٌ على المجرور بـ(مِن).

قوله: (وهم المُستهزؤون) أي: كعُقبة بن أبي معيط وأبي جهل وأضرابهما، وما ذكره المفسِّر هو المشهور، وقيل: نزلت في عبد الله بن أبي سَرح، كان من كتبة الوحي، ثم ارتدَّ وقال: سأُنزل مثل ما أنزل الله، ثم رجع للإسلام، فأسلَم قبل فتح مكة والنبيُّ ﷺ نازل بمرِّ الظهران[1]، وقد دخل في حكم هذه الآية كلُّ من افترى على الله كذباً في أيِّ زمان إلى يوم القيامة.

قوله: (﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾) (لو): حرف شرط، وجوابها محذوف، قدَّره المفسِّر فيما يأتي بقوله: (لرأيت أمراً فظيعاً)، و﴿تَرَىٰٓ﴾ بصرية، ومفعولها محذوف، تقديره: الظالمين، و﴿إِذِ﴾: ظرف لـ﴿تَرَىٰٓ﴾، والتقدير: لو ترى الظالمين وقتَ كونهم في غمَرات الموت.

قوله: (المذكورون) أي: مُسَيلِمة الكذاب والمستهزؤون، والأحسنُ: أن يُراد ما هو أعمُّ.

قوله: (﴿فِي غَمَرَٰتِ﴾) جمع غَمرة، من الغمر وهو الستر، يُقال: غمرَهُ الماء: إذا ستره، سُمِّيت السكرةُ بذلك؛ لأنها تسترُ العقل وتُدهشه.

قوله: (﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾) تقدَّمَ: أن الكافرَ موكَّلٌ به سبعٌ من الملائكة يُعذِّبونه عند خروج روحه؛ لأن الكافرَ يكرهُ لقاءَ الله، فتأبى روحُهُ الخروج، فيخرجونها كَرْهاً.

إن قلتَ: إن المؤمنَ يكرهُ الموتَ أيضاً! أجيبَ: بأن المؤمنَ وإن أحبَّ الحياةَ وكرهَ الموت لكن ذلك قبلَ احتضاره ومعاينة ما أعدَّ اللهُ له من النعيم الدائم، وأما إذا شاهدَ ذلك هانت عليه الدنيا وأحبَّ الموت ولقاءَ الله، وأما الكافرُ فعند خُروج روحِهِ حين يشاهدُ ما أعدَّ له من العذاب الدائم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٣٥).

﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ ....

يَقُولون لَهُم تَعنِيفاً: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ إلَينا لِنَقبِضَها، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: الهَوانِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ بِدَعوَى النُّبُوَّةِ والإيحاءِ كَذِباً، ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: تَتَكَبَّرُونَ عَنِ الإيمان بِها، وجَواب (لو): لَرَأَيتَ أمراً فَظِيعاً.

حاشية الصاوي

يزدادُ كراهةً في الموت، وعلى ذلك يحملُ ما ورد: «مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَهُ، ومن كرهَ لقاءَ الله كرهَ اللهُ لقاءَهُ»[1].

قوله: (يقولون لهم تعنيفاً) أي: لأن الإنسانَ لا يقدرُ على إخراج رُوحه، وإنما ذلك لأجل تعنيفهم، ويحتملُ أن معنى ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾: نجُوها من العذاب الذي حلَّ بكم؛ تهكُّماً بهم.

قوله: (﴿ٱلْيَوْمَ﴾) ظرفٌ لقوله: ﴿تُجْزَوْنَ﴾، فالوقفُ تمَّ على قوله: ﴿أَنفُسَكُمُ﴾، و(أل) في ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ للعهد؛ أي: اليوم المعهود، وهو يومُ خروج أرواحهم، ويحتملُ أن المرادَ باليوم: يومُ القيامة، والأحسنُ: أن يُرادَ ما هو أعمُّ.

قوله: (الهوان) أي: الذلّ والصَّغار، لا عذاب التطهير كما يقعُ لِبَعض عصاة المؤمنين؛ لأن كلَّ عذاب عقبَهُ عفوٌ فلا يُقالُ له: هون، وإنما يُقالُ لعذاب الكافر.

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمْ﴾) الباء: سببيَّة، و(ما): مصدرية؛ أي: بِسبب كونكم تقولون... إلخ.

قوله: (بدعوى النبوة... إلخ) هذا راجعٌ لقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾.

قوله: (﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾) أي: وبسبب كونكم تَستكبرون عن آياته، فالجارُّ والمجرور متعلِّقٌ بـ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾، وهو راجعٌ لقوله: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، ففيه لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، وهذا باعتبار سبب النزول، وإلا.. فكلُّ كافر يُقالُ له ذلك عند الموت.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣)، وشرح المصنف متضمِّن برواية البخاري، وفي الآية إشارة إلى أن المؤمن أخرجَ نفسَهُ من قبلُ، قال سيدي أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد» (ص١٤٢): (طوبى لمن انتبه؛ لأنه لا يستنبه إلا بموت هو إعراضُ النفس عن الاشتغال بالصور والأجسام، بالإقبال على الله تعالى)، وقال: (ومن أعرض عن نفسه فقد حصل عنده معنى الموت، وهو ترك التفات النفس إلى المحسوسات والصور، ونظرها إلى عالم الملكوت).

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ ....

(٩٤) ﴿وَ﴾ يُقال لَهُم إذا بُعِثُوا: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾: مُنفرِدِينَ عن الأهلِ والمالِ والوَلَد، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: حُفاةً عُراةً غُرْلاً، ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾: أعطيناكُم مِن الأموالِ ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ في الدُّنيا بِغَيرِ اختيارِكُم، ﴿وَ﴾ يُقال لَهُم تَوبِيخاً: ﴿مَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ الأصنامَ ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: في استِحقاقِ عِبادَتِكُم ﴿شُرَكَاءُ﴾ لِلَّهِ، ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: وَصْلُكُم أي: تَشَتَّتَ جَمعُكُم، ـ وفي قِراءَة بِالنَّصبِ ظَرفٌ،

حاشية الصاوي

قوله: (ويقال لهم) اختُلفَ في تعيين القائل، فقيل: الله سبحانه، وقيل: الملائكةُ ترجماناً عن الله، وهذا مرتَّبٌ على الخلاف: هل اللهُ يُكلِّمهم أو لا؟

قوله: (﴿فُرَادَىٰ﴾) جمع فَرد، أو فريد، أو فردان، بمعنى: مُنفردين خالين عن الدنيا ومتاعها.

قوله: (حُفاة عراة) أي: وذلك عند الحساب، فلا ينافي أنهم يخرجون من القبور بالأكفان، فإذا حُشِروا ودنت الشمسُ من الرؤوس.. تطايَرت الأكفانُ.

قوله: (غُرْلاً) بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة، جمع أَغْرَل، كحُمْر جمع أحمر؛ أي: غير مقطوعِين القُلْفَة.

قوله: (﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾) الجملةُ حاليةٌ من فاعل ﴿جِئْتُمُونَا﴾، وقوله: ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ متعلِّق بـ(تركتُم).

قوله: (أي: في استحقاق عبادتكم) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مُضافين.

قوله: (﴿بَيْنَكُمْ﴾) على قراءة الرفع هو فاعلُ ﴿تَقَطَّعَ﴾، والبينُ بمعنى: الوصل، وهو المرادُ هنا، ويطلق ويُرادُ منه البعدُ، من باب: تَسمية الأضداد.

قوله: (وفي قراءة بالنصب) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[1]، والفاعلُ على هذه القراءة ضميرٌ يعودُ على الوصل المفهوم من قوله: ﴿شُفَعَاءَكُمُ﴾ و﴿شُرَكَاءُ﴾؛ لأن بين الشفيع والمشفوع له اتصالاً[2]،

(١) قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية حفص عنه بالنصب، والباقون بالرفع. انظر «الدر المصون» (٥/٤٨).

(٢) في النسخ: (اتصال) بالرفع، وعليه اسم (أن) الشأن.

وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ....

أي: وَصلكُم بينكُم ـ، ﴿وَضَلَّ﴾: ذَهَبَ ﴿عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ في الدُّنيا مِن شَفاعَتِها.

﴿٩٥﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ﴾: شاقُّ ﴿ٱلْحَبِّ﴾ عن النَّباتِ ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ عن النَّخلِ، ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسانِ والطائرِ ....

حاشية الصاوي

و﴿بَيْنَكُمْ﴾: ظرفٌ له، والتقدير: تقطَّعَ الوصلُ فيما بينكم، فقول المفسِّر: (أي: وَصلكم) تفسيرٌ للضمير المستتر.

قوله: (﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾) ﴿مَّا﴾: اسمُ موصول فاعل (ضلَّ)، و﴿كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: صلته، والعائدُ محذوف، تقديره: وضلَّ عنكم الذي كنتُم تزعمونه شفيعاً ونافعاً.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾) لما تقدَّمَ ذكرُ التوحيد وما يتعلَّق به.. أتبَعه بذكر ما يدلُّ على ذلك، والمراد بالحبِّ: ما لا نوى له يُرمى؛ كالقمح والشعير، والفول، وبالنوى: ضدُّ الحب؛ كالرطب والمشمش والنبق، فانحصرَ ما يخرجُ من الأرض في هذين النوعين، وإضافة (فالق) لـ(الحبِّ) يحتملُ أنها محضة، ففالق بمعنى: فَلَقَ، فهو بمعنى الصفة المشبهة، وهو الأقرب، ويحتملُ أنها لفظية، والمرادُ: فالقٌ في الحال والاستقبال[1].

قوله: (شاق) فسَّرَ الفلْقَ بالشقِّ؛ لأنه المشهُور في اللغة، ولأنه أقربُ عبرةً وأكثر فائدة، وقال ابن عباس: إن فالِق بمعنى: خالق.[2]

قوله: (عن النخل) مرادُهُ به: كلُّ ما له نَوًى.

قوله: (﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾) يحتملُ أنه خبرٌ ثانٍ لـ﴿إِنَّ﴾، ويحتملُ أنه كلامٌ مستأنفٌ كالعلة لما قبله، والمرادُ بالحيِّ: كلُّ ما يَنمو، كان ذا روح أو لا؛ كالحيوان والنبات، وبالميت: ما لا ينمو، كان أصلُهُ ذا روح أم لا؛ كالنطفة والحبَّة، فتَسمية النبات حيًّا مجازٌ بجامع قبول الزيادة في كلٍّ.

---

(١) (يجوز أن تكون الإضافة محضة على أنه اسم فاعل بمعنى الماضي؛ لأن ذلك قد كان، ويدلُّ عليه قراءة عبد الله: «فلق» فعلاً ماضياً، ويجوز أن تكون الإضافة غير محضة على أنه بمعنى الحال أو الاستقبال، وذلك حكاية الحال، فيكون «الحب» مجرور اللفظ منصوب المحل)، فتأمل.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٥١).

وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ....

مِن النُّطْفةِ والبَيْضة ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾: النُّطفةِ والبَيضةِ ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ﴾ الفالِقُ المُخرِجُ ﴿ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: فكَيفَ تُصرَفُونَ عن الإيمانِ مع قِيامِ البُرهانِ؟

﴿٩٦﴾ ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: مَصدَرٌ بِمَعنَى الصُّبْح، أي: شاقُّ عَمُود الصُّبح ....

حاشية الصاوي

قوله: (من النطفة والبيضة) لفٌّ ونشر مرتَّب، وأدخلت الكافُ جميعَ ما يخرجُ من النطفة والبيضة، فجميعُ الحيوانات لا تخلُو عن هذين الشيئين(١).

قوله: (﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾) إنما عبَّرَ باسم الفاعل مع العطف؛ إشارة إلى أنه كلامٌ آخر معطوفٌ على ﴿فَالِقُ﴾ وليس بياناً له، وإلا.. لأتى بالفعل.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْحَيِّ﴾) أي: كالإنسان والطائر، وشملَ عمومُ هذه الآية المسلمَ والكافر، فيخرجُ الحيَّ كالمسلم من الميت كالكافر وبالعكس.

قوله: (﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾) أتى بذلك وإن عُلِمَ من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ﴾ لأجل الردِّ على مَنْ كفرَ بقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

قوله: (فكيف تُصرفون عن الإيمان) أي: لا وجهَ لِصرفكم عن الإيمان بالله مع اعترافكم بأنه الخالقُ لجميع الأشياء، فهو استفهامٌ إنكاري بمعنى النفي.

قوله: (مصدر) أي: لـ(أصبح) بمعنى: الدخول في الصباح، وليس مراداً، بل المرادُ: الصبحُ نفسُهُ؛ فلذا فسَّره به، حيث أطلقَ المصدرَ وهو الإصباح وأرادَ أثرَهُ وهو الصبح، والإصباح بكسر الهمزة، وقُرِئَ شذوذاً بفتحها(٢)، وعليه: يكون جمع صُبْح، نحو: قُفْل وأَقْفال، وبُرْد وأَبْراد.

وظاهرُ الآية مشكلٌ؛ لأن الانفلاقَ يكون للظلمة لا لِلصبح! وأجيبَ: بأن الكلامَ على حذف مضاف، والأصل: فالقُ ظُلمة الإصباح بمعنى: الصبح، أو يُرادُ: فالقُ الإصباح بمعنى: عَمود الصبح ـ وهو الفجرُ الكاذب ـ عن ظلمة الليل، ثم يعقبُهُ الفجرُ الصادق، فهو فالقُ الإصباح الأول

---

(١) في (ط٢) زيادة ضُرِبَ عليها في (أ): (فجميع الطيور من البيض، وما عداها من النطفة)، ولكن هذا غير مطرد، فلذا أعرض عنها.

(٢) وهي قراءة الحسن وأبو رجاء وعيسى بن عمر. «الفتوحات» (٢/ ٦٧).

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ ....

ـ وهو أوَّل ما يَبدُو مِن نُورِ النَّهار ـ عن ظُلمةِ اللَّيل، ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّيۡلِ سَكَنٗا﴾ تَسكُنُ فِيهِ الخَلقُ مِن التَّعَب، ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ ـ بِالنَّصبِ عَطفاً على مَحَلِّ ﴿ٱلَّيۡلِ﴾ ـ ﴿حُسۡبَانٗاۚ﴾: حِساباً لِلأوقاتِ، ـ أو الباء مَحذُوفةٌ وهو حالٌ مِن مُقَدَّر ـ أي: يَجرِيانِ بِحُسبانٍ كما في آيةِ (الرَّحمَنِ)،

حاشية الصاوي

عن ظلمة آخر الليل عن بياض النهار أيضاً، ويفيدُ هذا المفسِّر، أو يفسَّرُ (فالق) بـ: خالق، وسمَّاه فَلْقاً مشاكلةً لما قبله، وكلٌّ صحيح (١).

قوله: (وهو أول ما يبدُو من النهار) أي: وهو الفجرُ الكاذب.

قوله: (عن ظلمة الليل) متعلِّق بـ(شاق).

قوله: (﴿سَكَنٗا﴾) أي: محلَّ سكون واستراحة.

قوله: (تسكن فيه الخلق) أي: جميعُها حتى المياه والهَوام.

قوله: (عطفاً على محل ﴿ٱلَّيۡلِ﴾) أي: وهو النصب، و﴿حُسۡبَانٗاۚ﴾: معطوف على ﴿سَكَنٗا﴾، ففيه العطف على مَعمولي عامل واحد، وهو ﴿جَاعِلُ﴾، والتقديرُ: وجاعل الشمسَ والقمرَ حسباناً، وذلك جائزٌ باتفاق.

قوله: (﴿حُسۡبَانٗاۚ﴾) مصدر حَسَبَ، وكذا الحِسبان بكسر الحاء والحِساب، فلَه ثلاثُ مصادر.

قوله: (حساباً للأوقات) أي: ضبطاً لها؛ أي: علامةَ ضبط، لكن الشمس يتمُّ دورانها في سنة، والقمر في شهر، وذلك لِنفع العباد ديناً ودنيَا، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [يونس: ٥].

قوله: (أو الباء محذوفة) أي: فهو منصوبٌ بنزع الخافض.

قوله: (وهو حال من مقدر) لو قال: متعلِّق بمقدر.. لكان أحسَن؛ لأنك إذا تأمَّلت تجدُ

---

(١) قال الإمام الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٣٠٢): (ومعنى فالق الإصباح: مبديه وموضحه، وذلك أن الفلق في اللغة: الشقُّ، وذلك راجع إلى الإبداء والإيضاح)، وقال العلامة ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٧/ ٣٩٠): (وفلق الإصباح استعارةٌ لظهور الضياء في ظلمة الليل، فشبَّه ذلك بفلق الظلمة عن الضياء، كما استعير لذلك أيضاً السلخ في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾، فإضافة فالق إلى الإصباح حقيقية، وهي لأدنى ملابسة على سبيل المجاز).

ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ...

﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورُ ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلكِه، ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بِخَلْقِه.

﴿٩٧﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في الأسفارِ، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾: بيَّنَّا ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: الدَّلالاتِ على قُدرَتِنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يتدبَّرُون.

﴿٩٨﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم﴾: خَلَقَكُم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هي آدَمُ، ﴿فَمُسْتَقِرٌّ﴾ مِنكُم في الرَّحِم ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ مِنكُم في الصُّلبِ، ـ وفي قِراءةٍ: بِفَتحِ القاف أي: مَكانُ قَرارٍ لَكُم ـ،

حاشية الصاوي

المحذوفَ هو الحال على أن (جاعل) بمعنى خالق، وأما إن جعل بمعنى (مُصيِّر) فهو مفعول ثانٍ، وهو إشارةٌ لِتقدير ثانٍ في الآية.

قوله: (﴿ٱلْعَزِيزِ﴾) أي: الغالبِ على أمرِه[1].

قوله: (﴿ٱلْعَلِيمِ﴾) أي: ذو العلم التامِّ.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ﴾) أي: خَلق، و﴿لَكُمُ﴾: مُتعلق بـ﴿جَعَلَ﴾، و﴿لِتَهْتَدُوا۟﴾: بدل اشتمال، فلم يَلزم عليه تعلُّق حرفي جرٍّ متَّحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد، ونظيره قوله تعالى: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣]، فـ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ بدلٌ من ﴿لِمَن يَكْفُرُ﴾ بإعادة العامل.

قوله: (﴿أَنشَأَكُم﴾) إنما عبَّرَ به لموافقة ما يأتي من قَوله: ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾.

قوله: (هي آدم) أي: فكلُّ أفراد النوع الإنساني منه.

قوله: (﴿فَمُسْتَقِرٌّ﴾) بالكسر اسم فاعل وصف، والمعنى: منكم من استقرَّ في الرحم، وعبَّر في جانبه بالاستقرار؛ لأنَّ زمنَ بقاء النُّطفة في الرحم أكثرُ من زمن بَقائها في الصلب.

قوله: (وفي قراءة بفتح القاف) أي: وأما (مستودَع) فليس فيه إلا فتح الدال، لكن على قراءة

(١) أي: مقدوره تعالى ـ وهو أمره ـ واقعٌ لا منازعَ ومدافع له.

قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا ....

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ما يُقالُ لَهُم.

﴿٩٩﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ ـ فِيه التِفاتٌ عن الغَيبةِ ـ ﴿بِهِۦ﴾ بِالماءِ ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يَنبُتُ، ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي: النَّباتِ شَيئاً ﴿خَضِرًا﴾ بِمعنَى: أخضَرَ، ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ مِن الخَضِرِ ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾: يَركَبُ بَعضُه بَعضاً كسَنابِلِ الحِنطة ونَحوِها، ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ ـ خَبَر، ويُبدَلُ مِنه ـ: ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ ....

حاشية الصاوي

الكسر يكون معنى (مُستودع): شيء مَودوع[1]، وهو النطفةُ، وعلى الفتح: مكان استِيداع، وهو الصلب.

قوله: (﴿يَفْقَهُونَ﴾) أي: يَفهمون الأسرارَ والدقائق، وعبَّرَ هنا بـ(يفقهون)؛ إشارةً إلى أن أطوارَ الإنسان وما احتوى عليه الإنسان أمرٌ خفي تتحيَّرُ فيه الألباب، بخلاف النجوم، فأمرُهم ظاهرٌ مشاهدٌ، فعبَّرَ فيها بـ(يَعلمون).

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾) لمَّا امتنَّ سبحانه وتعالى على عباده أوَّلاً بالإيجاد حيث قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾.. امتنَّ ثانياً بإنزال الماء الذي به حياةُ كلِّ شيء ونفعه، وهو الرزقُ المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾.

قوله: (فيه التفات) أي: ونكتتُهُ الاعتناءُ بشأن ذلك المخرَج؛ إشارةً إلى أنَّ نِعَمه عظيمة.

قوله: ﴿بِهِۦ﴾ الباءُ: سببيَّة، قوله: (﴿فَأَخْرَجْنَا﴾) بيانٌ لما أُجملَ أولاً.

قوله: (﴿خَضِرًا﴾) يُقال: خَضِرَ الشيء، فهو خَضِر وأخضر، كعَوِرَ، فهو عَوِرٌ وأعورُ، وقدَّر المفسرُ (شيئاً)؛ إشارةً إلى أن ﴿خَضِرًا﴾ صفةٌ لموصوف محذوف.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾) شروع في تفصيل حالِ الشجر بعد ذكر عموم النبات؛ لمزيد الرغبة فيه.

قوله: (ويبدل منه) أي: بدلَ بعض من كل.

---

(١) كذا بالرفع على حكاية السياق، وهو كذلك في «الفتوحات» (٢/ ٦٨) نقلاً عن الخازن، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر القاف، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٥/ ٦٦).

قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا ....

أوَّل ما يَخرُج مِنها، ـ والمُبتَدأُ: ـ ﴿قِنۡوَانٞ﴾: عَراجِينُ ﴿دَانِيَةٞ﴾: قَرِيبٌ بَعضُها مِن بَعض، ﴿وَ﴾ أخرَجنا بِه ﴿جَنَّٰتٖ﴾: بَساتِينَ ﴿مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا﴾ ورَقُهما ـ حالٌ ـ،

حاشية الصاوي

قوله: (أول ما يخرج منها) أي: قبل انفلاق الكيزان عنه، فإذا انفلقَ عنه.. سُمِّيَ عِذْقاً.

قوله: (﴿قِنۡوَانٞ﴾) جمعُ قِنْو؛ كـ: صِنو وصِنوان، وهذا الجمعُ يلتبسُ بالمثنى حالة الوقف، ويتميَّزُ المثنى بكسرِ نونه والجمعُ بتوارد حركات الإعراب عليه، وبالإضافةِ؛ فتحذفُ نون المثنى دون الجمع، فتقول: هذان قِنواك، وفي الجمع: هذه قِنوانُك، وبالنسبِ؛ فإذا نسبت إلى المثنى رَدَدته إلى المفرد فقلتَ: قِنْوِي، وإذا نسبت إلى الجمع أبقيتَه على حاله فقلتَ: قِنواني[1].

قوله: (عراجين) جمع عُرْجُون، قيل: هي الشَّماريخُ، وقيل: السبائطُ، ولا شكَّ أن الشماريخ قريبٌ بعضُه من بعض، والسبائط كذلك.

واعلمْ: أن أطوارَ النخل سبعٌ كالإنسان، يجمعها قولك: (طاب زبرت)، فأولُها الطلع، ثم الإغريض، ثم البلح، ثم الزهو، ثم البُسْر، ثم الرُّطَب، ثم التمر، وفي الحديث: «**أكرموا عمَّتَكم النخلة**»[2]، ولهذه الأمور قُدِّمَ على ما بعده.

قوله: (﴿وَجَنَّٰتٖ﴾) معطوفٌ على ﴿نَبَاتَ﴾ من عطف الخاصِّ على العام، والنكتةُ مزيدُ الشرف؛ لكونها من أعظم النعم، وكذا قوله: ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ معطوفان على (النبات)، ويكون قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ..﴾ إلخ معترضاً بين المعطوف والمعطوف عليه؛ اعتناءً بشأن النخل لعظم مِنَّته، ويصحُّ عطفُ ﴿جَنَّٰتٖ﴾ على ﴿خَضِرٗا﴾، وهذا على قراءة الجمهور، وقُرئَ شذوذاً برفع (جنات والزيتون والرمان)، وخُرِّجَ على أنه مبتدأ والخبر محذوف، تقديره: ومن الكرم جناتٌ.. إلخ.

قوله: (﴿مُشۡتَبِهٗا﴾) يُقالُ: مُشتبه ومتشابه بمعنًى.

---

(١) كذا نقلاً عن العلامة الأجهوري كما في «الفتوحات» (٢/ ٦٩) والنسبة للجمع على أنه علمٌ نُسِبَ إليه، وإلا فالقياس النسبة إلى المفرد.

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٥٥) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً، وإكرامها العناية بها، وفي «الصحيحين» تشبيهها بالمؤمن.

وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ....

﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ ثَمَرُهما، ﴿ٱنظُرُوٓاْ﴾ يا مُخاطَبُون نَظَرَ اعتِبارٍ ﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ - بِفَتح الثَّاء والمِيم وبِضَمِّهِما -، وهو جَمعُ (ثَمَرة) كـ(شَجَرةٍ وشَجَر، وخَشَبةٍ وخُشُب)، ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أوَّل ما يَبدُو كَيفَ هو، ﴿وَ﴾ إلى ﴿يَنْعِهِۦٓ﴾: نُضجِه إذا أدرَكَ كَيفَ يَعُودُ، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ﴾: دَلالاتٍ على قُدرَتِه تَعالى على البَعثِ وغَيرِه، ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خُصُّوا بِالذِّكرِ لِأنَّهُم المُنتَفِعُون بِها في الإيمانِ بِخِلافِ الكافِرين.

﴿١٠٠﴾ ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾ - مَفعُول ثانٍ - ﴿شُرَكَآءَ﴾ - مَفعُولٌ أوَّل، ويُبدَلُ مِنه -: ....

حاشية الصاوي

قوله: (نظر اعتبار) أي: تفكُّر في مصنوعاته؛ لتعلموا أنَّ ربَّكم هو القادرُ المريد الخالق لما يشاء، فتفردُوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً.

قوله: (وهو جمع ثمرة) أي: المفتوح والمضموم، وقوله: (كشجرة وشجر) راجعٌ للمفتوح، وقوله: (وخشَبة وخشب) راجعٌ للمضموم، فهو لفٌّ ونشر مرتَّب[1].

قوله: (﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾) مصدر يَنِعَ بكسر النون يَيْنَعُ بفتحها كـ: تَعِبَ يَتْعَبُ، ويصحُّ العكس[2]، وقُرِئَ بضم الياء، والمعنى: تفكَّروا وتأمَّلوا ابتداءَ الثمر حيث يكون بعضُهُ مرًّا وبعضه مِلْحاً لا ينتفعُ بشيء منه، وانتهاءَهُ إذا نضجَ، فإنه يعودُ حلواً، تُسقى بماء واحد ونفضِّل بعضَها على بعض في الأُكُل.

قوله: (﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ﴾) الإشارةُ إلى جميع ما تقدَّم من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ إلى هنا.

قوله: (لأنهم المنتفعون بها) أشارَ بذلك إلى أن ظهورَ الأدلَّة لا تفيدُ ولا تنفعُ إلا إذا كان العبد مؤمناً، وأما مَنْ سبقَ له الكفرُ.. فلا تنفعُهُ الآياتُ ولا يَهتدي بها.

قوله: (﴿وَجَعَلُواْ﴾) الضميرُ لعَبدة الأصنام، وهذا إشارةٌ إلى أنهم قابلوا نِعَمَ الله العظيمة بالإشراك.

قوله: (مفعول ثان) هذه طريقةٌ في الإعراب، وهناك طَريقةٌ أخرى، وهي أن ﴿لِلَّهِ﴾ متعلق بمحذوف حال، و﴿ٱلْجِنَّ﴾: مفعول أول مؤخَّر، و﴿شُرَكَآءَ﴾: مفعول ثانٍ مقدَّم.

(١) قرأ حمزة والكسائي بضمتين، والباقون بفتحتين، وشذوذاً بضم الأول وسكون الثاني. انظر «الدر المصون» (٥/ ٨٠).

(٢) ويصح فتح العين ماضياً ومضارعاً، وهو قياسي كما لا يخفى.

ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ....

﴿ٱلْجِنَّ﴾ حَيثُ أطاعُوهُم في عِبادةِ الأوثانِ، ﴿وَ﴾ قد ﴿خَلَقَهُمْ﴾ فكيفَ يَكُونُون شُرَكاءَه؟ ﴿وَخَرَقُوا۟﴾ ـ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد ـ أي: اختَلَقُوا ﴿لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حَيثُ قالُوا: عُزَير بن الله والمَلائِكةُ بَناتُ الله، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزِيهاً له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأنَّ له ولداً.

﴿١٠١﴾ هو ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مُبدِعُهما مِن غَير مِثالٍ سَبَقَ، ﴿أَنَّىٰ﴾: كيفَ ﴿يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾: زَوجةٌ، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْجِنَّ﴾) قيل: المرادُ بهم: الشياطين، وإلى هذا يشيرُ المفسِّر بقوله: (حيث أطاعوهم... إلخ)، وقيل: المرادُ بهم نوعٌ من الملائكة كانوا يَعبدونهم لاعتقادهم أنهم بناتُ الله.

قوله: (﴿وَخَلَقَهُمْ﴾) الضميرُ يصحُّ أن يكونَ عائداً على الجن وعليه المفسِّر، ويصحُّ أن يعودَ على الجميع والجملةُ حالٌ من ﴿ٱلْجِنَّ﴾؛ ولذا قدَّرَ المفسِّر (قد).

قوله: (﴿وَخَرَقُوا۟﴾) الضميرُ عائدٌ على اليهود والنصارى ومُشركي العرب، فاليهودُ والنصارى نسبوا له البنين، ومشركو العرب نسبُوا له البنات، فالكلامُ على التوزيع[1].

قوله: (اختلقوا) يُقالُ: اختلقَ وخَلق وخرَق وافترى وافتعل وخَرص بمعنى: كذب[2]، وقُرِئَ شذوذاً بالحاءِ المهملة والفاءِ من التحريف، وهو التزوير؛ لأن المحرِّف مزوِّرٌ مغيِّرٌ للحق بالباطل.

قوله: (حيث قالوا: عزير ابن الله) كان عليه أن يقولَ: والمسيح ابن الله؛ ليكون قد جمعَ مقالة الفرق الثلاثة، فاليهودُ قالوا: عُزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله.

قوله: (﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾) خبرٌ لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (هو).

قوله: (﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾) ﴿أَنَّىٰ﴾: منصوبة على التشبيه بالحال[3]، و﴿لَهُۥ﴾: خبر ﴿يَكُونُ﴾

---

(١) قرأ الجمهور: وخرقوا بالتخفيف، ونافع بالتشديد. انظر «الدر المصون» (٥/ ٨٧).

(٢) القول للفراء كما في «الدر المصون» (٥/ ٨٧) وحكى القراءة الآتية ولم ينسبها.

(٣) أو على التشبيه بالظرف، ويجوز أن تكون خبر (كان) الناقصة، و(له): في محل نصب على الحال.

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ....

مِن شَأنِه أن يُخلَقَ، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿١٠٢﴾ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾: وَحِّـــدُوهُ، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: حَفِيظ.

﴿١٠٣﴾ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: لا تَراهُ، ....

حاشية الصاوي

مقدَّم، و﴿وَلَدٌ﴾: اسمها مؤخَّر، ويصحُّ أن تكون تامَّةً، و﴿وَلَدٌ﴾: فاعلها، والمعنى: كيف يوجدُ له ولدٌ والحالُ أنه لم تكُنْ له صاحبة مع كونه الخالقَ لكلِّ شيء؟!

قوله: (من شأنه أن يخلق) دفعَ بذلك ما يُقالُ: إن من جملة الشيء ذاتَهُ وصفاتِهِ، فيقتضي أنها مخلوقةٌ مع أن ذلك مُستحيل، فأجاب المفسِّر: بأن ذلك عامٌّ مخصوصٌ بما من شأنه أن يُخلقَ، وهو ما عدا ذاتَهُ وصفاتِهِ.

قوله: (﴿ذَٰلِكُمُ﴾) مبتدأ، و﴿ٱللَّهُ﴾: خبر أول، و﴿رَبُّكُمْ﴾: خبر ثانٍ، و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: خبرٌ ثالث، و﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: خبر رابع، وقوله: ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ مفرَّعٌ على ما ذُكِرَ من هذه الأوصاف، فالمعنى: أن المتصفَ بالألوهية الخالقَ لكلِّ شيء هو أحقُّ بالعبادة وحدَهُ، فقوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ توطئةٌ لقوله: ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾، وأما قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.. فهو ردٌّ لما زَعموه من الولد له سبحانه.

قوله: (﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾) أي: متصرِّفٌ في خَلقه، ومتولِّي أمورهم، فالواجبُ قصرُ العبادة عليه، وتَفويضُ الأمور إليه.

قوله: (﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾) جمع بَصر، وهو حاسةُ النظر؛ أي: القوةُ الباصِرة، ويطلقُ على العين نفسها؛ من إطلاق الحالِّ وإرادة المحلِّ[1].

---

(١) والمتأمِّلُ يرى بينه وبين أيِّ منظور مسافةً تمنعه من رؤية هذا المنظور على حقيقته الآنية، بل ما يراه هو المنظور قبل جزءٍ زماني في غاية الصغر، فلا يمكن دعوى الرؤية الحقيقية الآنية إلا إذا انعدمت هذه المسافة؛ كتوهُّم حلول المنظور بالعين أو اتحاده بها، فمدركاتُنا بحاسة البصر تسبقُنا على الدوام، هذا في مصنوعاته جلَّ وعلا، فكيف وهو الذي ذاتُهُ ما بانت عنّا ولا اتَّصلت بنا؟

وهذا مَخصُوصٌ لِرُؤية المُؤمِنِينَ لَه في الآخِرة؛ لِقَولِهِ تَعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وحَدِيثِ الشَّيخَينِ: «إنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم كما تَرَوْنَ القَمَرَ لَيلةَ البَدرِ»، وقِيل: المُرادُ: لا تُحِيطُ بِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهذا مخصوص) أي: نفيُ الرؤية عامٌّ مخصوصٌ برؤية المؤمنين ربَّهم في الآخرة؛ لأنَّ الفعلَ إذا دخلَ على النفي يكونُ من قَبيل العام.

قوله: (لرؤية المؤمنين) علةٌ لقوله: (مخصوص)، وقولُه: (لقوله تعالى) علَّةٌ للعلة.

قوله: (ناضرة) أي: قامت بها النضارة، وهي البهجة والحُسْنُ، وقوله: (ناظرة) أي: باصرةٌ للذات المقدَّسة.

قوله: (ليلة البدر) أي: ليلةَ أربعةَ عشرَ.

قوله: (وقيل: المراد... إلخ) أي: وعلى هذا فالنفي باقٍ على عمومه، فلا يحيطُ به بصرُ أحد أبداً، لا في الدنيا ولا في الآخرة، فلا يُنافي أن المؤمنين يرَونه في الآخرة، لكن بلا كيف ولا انحصار؛ لوجود أدلة عقلية ونَقلية، أما النقليةُ: فالكتابُ والسنة والإجماع، والعقليةُ منها: أن الله علَّقَ رؤيتَهُ على استقرار الجبل، وهو جائزٌ، والمعلَّق على الجائز جائزٌ، ومنها لو كانت الرؤيةُ ممتَنعةً.. لما سألَها موسى عليه السلام؛ إذ لا يجوزُ على النبيِّ سؤالُ المُحال إذ هو جهلٌ، ويَستحيلُ على النبيِّ الجهلُ[1].

ومنها: أن يُقال: اللهُ موجودٌ، وكلُّ موجود يصحُّ أن يُرى، فالله يصحُّ أن يُرى[2]، خلافاً للمعتزلة والمرجئة والخوارج[3]، حيث أحالُوا الرؤيةَ مستدلِّين بظاهر هذه الآية، وبقولهم: إن الرؤيةَ تستلزمُ المقابلةَ واتصالَ أشعة بصر الرائي بالمرئي، فيلزمُ أن يكونَ المرئيُّ جسماً، وتعالى الله عن الجِسمية، ورُدَّ كلامُهم بما علمتَ، وبأن هذا التلازمَ عاديٌّ لا عقلي، ويجوز تخلُّفُ العادة.

---

(١) بعضُ مقدمات هذه الأدلة العقلية نقليٌّ، والمركب من النقلي والعقلي يعدُّ دليلاً نقليًّا، فثبوت التعلق على الجائز واستحالة سؤال المحال في حق الأنبياء دليله شرعي لا عقلي، فتأمل.

(٢) هذا عمدة الأدلة العقلية عند أهل السنة؛ إذ المقابلة واتصال الأشعة ليستا علة الرؤية.

(٣) وعبارة الإمام الأشعري في «مقالات الإسلاميين» (١/ ١٧٢): (وقالت المعتزلة والخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الزيدية: إن الله لا يرى بالأبصار في الدنيا والآخرة، ولا يجوز ذلك عليه).

وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ ....

﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي: يَراها ولا تَراهُ، ولا يَجُوز في غَيرِه أن يُدرِكَ البَصَر وهو لا يُدرِكه أو يُحِيط بِه عِلماً، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ بِأوليائِه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بِهِم.

﴿١٠٤﴾ قُل يا مُحمَّدُ لَهُم: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (لا تحيط به) أي: لا تبلغُ كنهَ حقيقةِ ذاته وصفاته أبصارٌ ولا بصائر[1].

قوله: (﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾) فيه تفسيران أيضاً: الأول: يراها، الثاني: يحيطُ بها على أسلُوب ما تقدَّم.

قوله: (ولا يجوز في غيره... إلخ) أي: لأن رؤية كلٍّ منهما لصاحبه غيرُ مستحيلة، وما جازَ على أحد المثلَين يجوز على الآخر.

قوله: (أو يحيط بها علماً) هذا هو التفسيرُ الثاني.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾) من: لَطُفَ بمعنى: احتجبَ[2]، فلا يحيطُ به بصرٌ ولا بَصيرة، فهو راجعٌ لقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، وقوله: ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ راجعٌ لقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، فهو لفٌّ ونشر مُرتب، وهذا هو المناسبُ هنا، فقول المفسِّر: (بأوليائه) يقتضي أن معنى اللطيف: الرؤوفُ المحسِن، وهو وإن كان مناسباً في نفسه إلا أنه غيرُ مُلائم هنا.

فتحصَّل ممَّا تقدَّم: أن الرؤيةَ بالبصر في الآخرة لِلمؤمنين وقع فيها خِلاف بين المعتزلة وأهل السنة، وتقدَّمَ أن الحقَّ مذهبُ أهل السنة، وأما رؤيةُ قُلوب العارفين له في الدنيا بمعنى شُهود القلب له في كلِّ شيء.. فهو جائزٌ، بل هو مطلبُهم وغايةُ مَقصودهم ومُناهم، قال العارف: [الطويل]

أَنِـلْـنـا مَـعَ الأَحْـبـابِ رُؤْيَـتَـكَ الَّـتِـي ... إِلَـيْـهـا قُـلُـوبُ الأَوْلِـيـاءِ تُـسـارِعُ[3]

وكذا رُؤياهُ في المنام.

قوله: (﴿بَصَآئِرُ﴾) جمعُ بصيرة، وهي النورُ الباطني الذي ينشأُ عنه العلومُ والمعارف.

---

(١) لا كما توهَّم بعضهم فجعل استحالة الإحاطة راجعة لامتداد الذات! تعالى الله عن ذلك وجل.

(٢) ويعبِّر عنه اللغويون بالدقَّة والخفاء. انظر «تاج العروس» (ل ط ف).

(٣) نسبه المصنف في «حاشيته على الشرح الصغير» (٤/٧٩٨) لابن الفارض، وقبله:

فـيـا ربِّ بـالـخـلِّ الـحـبـيـبِ مـحـمـدٍ ... نـبـيِّـكَ وهـو الـسـيـدُ الـمـتـواضـعُ

مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ ....

حُجَجٌ ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ها فآمَنَ ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أبصَرَ؛ لِأنَّ ثَوابَ إبصارِه لَه، ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عنها فضَلَّ ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وَبالُ إضلالِه، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: رَقِيبٍ لِأعمالِكُم، إنَّما أنا نَذِير.

﴿١٠٥﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بَيَّنَّا ما ذُكِرَ ﴿نُصَرِّفُ﴾: نُبَيِّنُ ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ لِيعتَبِرُوا، ﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾

حاشية الصاوي

قوله: (حُجج) جمعُ حجة، وهي الأدلَّةُ، وسُمِّيت الحججُ بصائرَ؛ لأنها تنشأُ عنها من باب: تَسمية المسبَّبِ باسم السبب.

قوله: (﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾) قدَّرَ المفسِّر الضميرَ؛ إشارةً إلى أن المفعول محذوف.

قوله: (﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أبصر) قدَّر المفسِّر متعلَّقَ الجار والمجرور فعلاً ماضياً مؤخَّراً، وهو غيرُ مناسب؛ للزوم زِيادة الفاء، بل المناسبُ تقديره اسماً مبتدأ، والجار والمجرور خبرُهُ، والتقديرُ: فإبصارُهُ لِنفسه، وكذا يُقالُ في قوله: ﴿وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾.

قوله: (لأن ثواب إبصاره) أي: نفعَهُ له، فلا يعودُ على الله من الطاعة نفعٌ، ولا يَصلُ له من المعصية ضرٌّ.

قوله: (﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عنها) أي: عن البصائر بمعنى: الحُجَج.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾) الكافُ في محلِّ نصب نعت لمصدر محذوف، تقديره: نصرِّفُ الآيات في غير هذه السورةِ تصريفاً مثلَ التصريف في هذه السورة.

قوله: (كما بيَّنَّا ما ذكر) أي: الأحكامَ المذكورة.

قوله: (نبين ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾) هذا وعدٌ من الله بإكمال الدين وإظهارِه؛ فلذا كان نزولُ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ من مُبشرات الوفاة لرسول الله[1].

قوله: (ليعتبروا) أي: لتقومَ بهم العبرة؛ أي: الاتعاظ فيميِّزوا الحقَّ من الباطل، وقدَّره المفسِّر لعطف قوله: ﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ عليه.

---

(١) هي بشرى في حقِّه ﷺ؛ لأنه أعظم خلق الله شوقاً لله تعالى.

دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ....

أي: الكُفَّارُ في عاقِبةِ الأمرِ: ﴿دَارَسْتَ﴾: ذاكَرتَ أهلَ الكِتاب، وفي قِراءة: ﴿دَرَسْتَ﴾ أي: كُتُبَ الماضِينَ وجِئتَ بِهذا مِنها، ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿١٠٦﴾ ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القُرآنَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (في عاقبة الأمر) أشارَ بذلك إلى أن اللامَ في ﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ لامُ العاقبة والصيرورة، نظير قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، وقيل: إن اللامَ لِلعلة حقيقةً، والمعنى: نصرِّفُ الآيات ليعتبرَ الذين آمنوا ويزدادوا إيماناً، وليقولَ الذين كفروا: درستَ فيزدادوا كفراً، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

قوله: (﴿دَارَسْتَ﴾) كـ(قاتَلت)، من المدارسة، والمعنى: تذاكَرت مع أهل الكتاب فتعلَّمت منهم تلك القصصَ.

قوله: (وفي قراءة: ﴿دَرَسْتَ﴾) أي: قرأتَ الكتب، وبقيَ قراءةٌ ثالثة سبعيَّةٌ أيضاً، وهي دَرَسَتْ بفتح الدال والراء والسين؛ أي: عفَتْ وبَليت وتكرَّرت على الأسماع[١].

قوله: (وجئت بهذا منها) راجعٌ لكلٍّ من القراءتين.

قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ أي: الآيات، وذُكِّرَ باعتبار معناها وهو القرآن.

قوله: (﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾) لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائحَ المشركين وتكذيبَهم لرسول الله.. أخذَ يسلِّي رسوله بقوله: ﴿ٱتَّبِعْ﴾؛ أي: دُمْ على ذلك ولا تبالِ بكفرهم ولا تَلتفت لقولهم.

و﴿مَآ﴾: اسم موصول، والعائدُ محذوف، ونائبُ فاعل ﴿أُوحِىَ﴾ ضميرٌ مستتر عائدٌ على (ما)، و﴿إِلَيْكَ﴾: متعلِّقٌ بـ﴿أُوحِىَ﴾، و﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلِّقٌ بمحذوف حال، و﴿مِن﴾: لابتداء الغاية، والتقدير: اتبع الذي أوحي إليك هو ـ أي: القرآن ـ حالَ كونه ناشئاً وصادراً من ربك[٢]، ويصحُّ أن تكون مصدرية، ونائبُ الفاعل هو الجار والمجرور، والتقدير: اتَّبع الإيحاءَ الجائيَ إليك من ربك.

---

(١) قرأ ابن عامر: (دَرَسَتْ)، وابن كثير وأبو عمرو: (دارست)، والباقون: (دَرَسْتَ). انظر «الدر المصون» (٥/ ٩٦).

(٢) وفي (أ): (اتبع الذي أوحي هو أي القرآن الناشئ والصادر من ربك).

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ....

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿١٠٧﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رَقِيباً فتُجازِيَهُم بِأعمالِهِم، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ فتُجبِرَهُم على الإيمانِ، وهذا قبلَ الأمرِ بِالقِتالِ.

﴿١٠٨﴾ ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) جملةٌ معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه؛ لتأكيد التوحيد.

قوله: (﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) أي: لا تتعرَّضْ لهم ولا تقاتلهم، وهذا على أنها مَنسوخة كما يأتي للمفسِّر، وقيل: إن الآيةَ محكمةٌ، والمعنى: لا تلتفِتْ إلى رأيهم ولا تَغتظ من أقوالهم وإشراكهم؛ لأنَّ ذلك بمشيئة الله، ومثلُ ذلك يُقالُ إذا أجمعَ خلقٌ على ضلالة لا يُستطاعُ ردُّها، ففي الحديث: «إذا رأيتم الأمر لا تستطيعون ردَّهُ.. فاصبروا حتى يكونَ اللهُ هو الذي يغيِّرُهُ»[١].

قوله: (﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾) مفعول ﴿شَآءَ﴾ محذوف، تقديره: عدمَ إشراكهم.

قوله: (﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾) تأكيدٌ لما قبله؛ أي: لستَ حفيظاً مراقباً لهم فتجبرَهم على الإيمان.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أشارَ بذلك إلى أن الآيةَ منسوخةٌ، واسمُ الإشارة عائدٌ على قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾) سببُ نزولها: أنه لمَّا نزلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].. كَثُرَ سبُّ المسلمين للأصنام، فتحزَّبَ المشركون على كونهم يسبُّون اللهَ نظيرَ سبِّ المسلمين للأصنام، فنزَلت الآية، وقيل: إن أبا طالب حضرته الوفاةُ، فقالت قريشٌ: انطلِقوا بنا لندخلَ على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنَّا ابنَ أخيه، فإنا نَستحي أن نقتلَهُ بعد موته فتقولَ العربُ: كان عمُّهُ يمنَعُهُ، فلمَّا ماتَ قتلُوه، فانطلقَ أبو سفيان وأبو جهل والنضرُ بن الحارث وأميَّةُ وأُبَيُّ ابنا خلف وعُقبةُ بن أبي معيط وعمرُو بن

(١) رواه البيهقي في «الشعب» (٩٣٤٥)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٩٨) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، ومعنى (فاصبروا) أي: كارهين له بقلوبكم، طالبين من الله تعالى زواله، ولا إثم عليكم. انظر «فيض القدير» (١/ ٣٦٠).

﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ....﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾هم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنامَ ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا﴾: اعتِداءً وظُلماً ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ أي: جَهلاً مِنهُم باللهِ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما زَيَّنَّا لِهؤلاءِ ما هُم علَيهِ ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾ ....

حاشية الصاوي

العاص والأسودُ بن أبي البَخْتَري إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب؛ أنتَ كبيرُنا وسيِّدُنا، وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا، فنُحبُّ أن تدعوَهُ وتَنهاه عن ذكر آلهتنا وندعه وإلهَهُ، فدعاه، فجاء النبيُّ ﷺ، فقال له أبو طالب: إن هؤلاء قومُك وبنو عمِّك، فقال رسول الله: «وما يريدون؟»، قالوا: نريدُ أن تدعَنا وآلهتَنا وندعَك وإلهَكَ، فقال له أبو طالب: قد أنصفَك قومُك، فاقبَلْ منهم، فقال النبيُّ: «أرأيتُم إن أعطيتكم هذا فهل أنتُم معطيَّ كلمةً إن تكلمتم بها ملَكتم العربَ، ودانت لكم العجم، وأدَّت لكم الخَراجَ؟» قال أبو جهل: نَعم وأبيك لَنُعطينَّكها وعشرةَ أمثالها، فما هي؟ فقال: «قولُوا: لا إله إلا الله»، فأبوا ونفرُوا، فقال أبو طالب: قُلْ غيرَها يا ابنَ أخي، فقال: «يا عمِّ، ما أنا بالذي أقولُ غيرها، ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي.. ما قلتُ غيرها»، فقالوا: لَتكفَّنَّ عن شتمك آلهتنا أو لنسبنَّ مَنْ يأمرُك، فنزَلت[1].

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾) أي: يَعبدون، وقدَّر المفسِّرُ الضميرَ؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿يَدۡعُونَ﴾ محذوف.

قوله: (﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ﴾) أي: فيترتَّبُ على ذلك سبُّ الله، فسبُّ الأصنام وإن كان جائزاً إلا أنه عرضَ له النهيُ بسبب ما ترتَّبَ عليه من سبِّ الله، ففي الحقيقة النهيُ عن سبِّ الله.

قوله: (اعتداء) أشارَ بذلك إلى أن ﴿عَدۡوَۢا﴾ مصدرٌ، ويصحُّ أن يكون حالاً مؤكدة؛ لأن السبَّ لا يكون إلا عدواً.

قوله: (أي: جهلاً منهم بالله) أي: بما يجبُ في حقِّه.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا﴾) نعت لمصدر محذوف؛ أي: زيَّنَّا لهؤلاء أعمالهم تزييناً مثلَ تزييننا لكلِّ أمة عملهم.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ١٥٠) عن السدي، ورواه عنه أيضاً الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٤).

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ ....

مِن الخَيرِ والشَّرِّ فأَتَوهُ، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ في الآخِرةِ، ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيُجازِيهِم بِه.

﴿١٠٩﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: غايَةَ اجتِهادِهِم فِيها، ﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ مِمَّا اقتَرَحُوا ....

حاشية الصاوي

قوله: (من الخير والشر) أشارَ بذلك إلى أن الآيةَ ردٌّ على المعتزلة الزاعمين أن الله لا يريدُ الشرورَ والقَبائح.

قوله: (﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾) مرتَّب على محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (فأتوه).

قوله: (﴿وَأَقْسَمُوا﴾) أي: حَلفوا.

قوله: (أي: غاية اجتهادهم) أي: لأنهم كانوا يَحلفون بآبائهم وآلهتهم، فإذا أرادوا تغليظَ اليمين حلفوا بالله.

قوله: (﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾) حكايةٌ عنهم، وإلا.. فلفظهم: لئن جاءتنا آيةٌ.

قوله: (ممَّا اقترحوا) أي: طلبوا، وذلك أن قريشاً قالت: يا محمد؛ إنك تخبرُنا أن موسى كان له عصاً يضربُ بها الحجر فتتفجَّرُ منه اثنتا عشرةَ عيناً، وتخبرُنا أن عيسى كان يُحيي الموتى، فائتنا بآية حتى نصدقَكَ ونؤمنَ بك، فقال رسول الله: «أيَّ شيء تحبُّون؟» قالوا: تجعلُ لنا الصفا ذهباً، وابعَثْ لنا بعضَ مَوتانا نسأله عنك أحقٌّ ما تقول أم باطل، وأرِنا الملائكةَ يشهدون لك، فقال رسول الله: «إن فعلتُ ما تقولون تُصدقونني؟» قالوا: نعم، والله لَئن فعلتَ لنتبعنَّكَ أجمعين، وسأل المسلمون رسولَ الله أن ينزِّلَها عليهم حتى يرضَوا، فقام رسولُ الله يدعُو أن يجعلَ الصفا ذهباً، فجاءَ جبريلُ وقال: لك ما شئتَ، إن شئت يصبحْ ذهباً ولكن إن لم يُصدقوك لنعذبنَّهم، وإن شئتَ تركتهم حتى يتوبَ تائبُهم، فقال رسول الله: «بل يتوبُ تائبهم»، فنزَلت الآية[1].

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ١٥١) عن محمد بن كعب القرظي والكلبي، وبعضه عند النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ....

﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ﴾ لَهُم: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ يُنَزِّلها كما يَشاءُ وإنَّما أنا نَذِيرٌ، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: يُدرِيكُم بِإِيمانِهِم إذا جاءَت؟ أي: أنتُم لا تَدرُونَ ذلكَ؛ ﴿إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لِما سَبَقَ في عِلمِي. ـ وفي قِراءة بِالتَّاءِ خِطاباً لِلكُفَّارِ، وفي أُخرَى بِفَتحِ (أَنَّ) بِمعنَى (لَعَلَّ) أو مَعمُولة لِما قبلَها ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾) جوابُ القسم، وحُذفَ جوابُ الشرط لدلالة جواب القسم عليه.

قوله: (﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾) أي: لا عندي، فالقادرُ على إنزالها هو الله، وينزلُها على حسَبِ ما يريد.

قوله: (﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾) (ما): اسمُ استفهام مبتدأ، وجملة ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ خبرُها، والكاف: مفعول أول، والثاني محذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (بإيمانهم)، والخطابُ لِلمؤمنين؛ أي: وما يعلمُكم أيُّها المؤمنون بإيمانهم؟ وقوله: ﴿إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ﴾ بالكسر استئنافٌ مَسُوقٌ لقطعِ طمع المؤمنين من إيمان المشركين، وتكذيبٌ لِلمشركين في حَلفهم.

قوله: (أي: أنتم لا تَدرون) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (وفي قراءة بالتاء) ظاهرُهُ أن هذه القراءةَ مع كسر (إن)، وليس كذلك، بل هي مع الفتح، فالمناسبُ تأخيرُها عن قوله: (وفي أخرى بفتح «أن»)، فالقراءاتُ ثلاثٌ: الكسر مع الياء لا غير، والفتح إما مع الياء، أو التاء[1].

قوله: (بمعنى «لعل») أي: ومجيءُ (أن) بمعنى (لعل) كثيرٌ شائع في كلام العرب، والترجِّي في كلام الله مثلُ التحقيق، فهي مُساويةٌ لقراءة الكسر.

قوله: (أو معمولة لما قبلها) أي: على أنها المفعولُ الثاني، و(لا): إما صلة، أو داخِلةٌ على محذوف، والتقديرُ: إذا جاءت لا تَعلمون أنهم يؤمنون، أو المقابلُ محذوف، والتقديرُ: إذا جاءت لا يؤمنون أو يُؤمنون، وهو إخبارٌ عن الكفار على قراءة الياء، وخطابٌ لهم على قراءة التاء.

---

(١) قرأ العامة بفتح الهمزة، وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بخلاف عنه بكسرها، والجمهور بياء الغيبة، وابن عامر وحمزة بتاء الخطاب. انظر «الدر المصون» (٥/١٠١-١٠٧).

وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ....

﴿١١٠﴾ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾: نُحَوِّل قُلُوبَهم عن الحَقِّ فلا يَفهَمُونَه، ﴿وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ عنهُ فلا يُبصِرُونَه، فلا يُؤمِنُون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي: بِما أُنزِلَ مِن الآياتِ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ﴾: نترُكُهُم ﴿فِى طُغْيَـٰنِهِمْ﴾: ضَلالِهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يَترَدَّدُون مُتحيِّرِين.

﴿١١١﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما اقتَرَحُوا، ﴿وَحَشَرْنَا﴾: جَمَعْنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ - بِضَمَّتينِ - جَمع (قَبِيل) أي: فَوجاً فَوجاً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾) استئنافٌ مَسُوقٌ لبيان أنَّ خالق الهدى والضَّلال هو الله لا غير، فمن أرادَ اللهُ له الهدى.. حوَّلَ قلبه له، ومن أرادَ اللهُ شقاوتَهُ.. حوَّلَ قلبه لها.

قوله: (﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾) مرتبطٌ بمحذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (فلا يؤمنون)، والمعنى: نحوِّلُ قلوبَهم عن الإيمان ثانياً كما حوَّلناه أولاً عند نُزول الآيات لو نزلَت؛ أي: فهم لا يؤمنون على كلِّ حال.

قوله: (﴿وَنَذَرُهُمْ﴾) عطفٌ على ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله: (﴿يَعْمَهُونَ﴾) إما حالٌ، أو مفعولٌ ثانٍ؛ لأن الترك بمعنى التصيير، وعَمِهَ من باب: تَعب، إذا تردَّدَ متحيراً، مأخوذٌ من قولهم: أرضٌ عمهاء، إذا لم يكن فيها أَمارات تدلُّ على النجاة.

قوله: (﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ﴾) هذا زيادةٌ في الردِّ عليهم، وتفصيلٌ لما أجمل في قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله: (كما اقترحوا) أي: طلبوا بقولهم: لولا أنزل علينا الملائكة، وقولهم: فائتوا بآبائنا.

قوله: (﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾) أي: من أصناف المخلوقات؛ كالوُحوش والطيور.

قوله: (بضمتين جمع قَبيل) أي: ك: نَصِيب ونُصُب، وقَضِيب وقُضُب.

قوله: (أي: فوجاً فوجاً) تفسيرٌ لـ(قَبيل)، وأما ﴿قُبُلًا﴾ فمعناه: أفواجاً أفواجاً، وعلى هذه القراءة فنصب ﴿قُبُلًا﴾ على الحال.

﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا ....

ـ وبكسرِ القاف وفتحِ الباء ـ أي: مُعايَنةً، فشهِدُوا بِصِدقِك، ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لِما سَبَقَ في عِلمِ الله، ﴿إِلَّا﴾: لَكِن ﴿أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانَهم فيُؤمِنُون، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذَلك.

﴿١١٢﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا ....

حاشية الصاوي

قوله: (وبكسر القاف وفتح الباء) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[١].

قوله: (أي: معاينة) أي: فيُقالُ: فلانٌ قِبَلَ فلان؛ أي: مُواجِهه ومعاينه، وهو مصدر منصوب على الحال؛ أي: مُعاينين ومشافهين لكلِّ شيء، وصاحبُ الحال الهاءُ في ﴿عَلَيْهِمْ﴾.

قوله: (﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾) جوابُ (لو)، واللامُ في ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ لامُ الجحود، و(يُؤمنوا): منصوبٌ بـ(أنْ) مُضمرة وجوباً بعد لام الجحود، وخبرُ (كان) محذوف تقديرُهُ: ما كانوا أهلاً للإيمان[٢].

قوله: (﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾) قدَّرَ المفسرُ (لكنْ)؛ إشارةً إلى أن الاستثناءَ منقطعٌ كما هو عادتُه، وذلك لأن المشيئةَ ليست من جنس إرادتهم، وقال بعضُهم: إن الاستثناءَ متصلٌ، والمعنى: ما كانوا ليؤمنوا في حال من الأحوال إلا في حالِ مشيئةِ الله لهم بالإيمان[٣].

قوله: (﴿يَجْهَلُونَ﴾ ذلك) أي: يجهلون أن ظهورَ الآيات يُوجب الإيمانَ ولو لم تَصحبْهُ مشيئةُ الله، وهو توبيخٌ لهم حيث أقسموا بالله جهدَ أيمانهم أنه إذا جاءتهم الآيات يُؤمنون مع أنه سبقَ في علم الله شقاؤُهم، ومن هنا لا ينبغي تركُ المشيئة والاعتمادُ على الأسباب؛ فقد يُوجدُ السبب ولا يوجدُ المسبب.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا﴾) هذا تسليةٌ لرسول الله على ما وقعَ منهم من العداوة، والكاف داخلةٌ

---

(١) قرأ نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء، والكوفيون، وابن كثير وأبو عمرو ـ وهي قراءة المصنف ـ بضمهما، وقرأ الحسن وأبو حيوة وأبو الرجاء بالضم والسكون، وأُبَي والأعمش: قَبِيلاً بإثبات ياء بعد الباء، وطلحة بن مصرف بفتح القاف وسكون الباء. انظر «الدر المصون» (٥/ ١١٢).

(٢) أي: (أنْ) المحذوفة وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام، والجار والمجرور متعلقان بخبر كان، تقديره: أهلاً. أفاده العلامة الأجهوري، وانظر «الفتوحات» (٢/ ٧٨).

(٣) وممن جرى على أنه متصل أبو حيان والبيضاوي وكثير من المعربين كالسفاقسي. «الفتوحات» (٢/ ٧٨).

لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ....

﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ كما جَعَلنا هؤلاءِ أعداءَك، ـ ويُبدَلُ مِنهُ: ـ ﴿شَيَٰطِينَ﴾: مَرَدةَ ﴿ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي﴾: يُوَسوِسُ ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾: مُمَوَّهه ....

حاشية الصاوي

على المشيئة، وهي بمعنى: مثل، والمعنى: مثلُ ما جعلنا لك أعداءً من قومك جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوًّا... إلخ، فتسلَّ ولا تحزَنْ.

و(جعل) بمعنى: صيَّر، فتنصبُ مفعولين، الأولُ: ﴿عَدُوًّا﴾ مؤخَّر، والثاني: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ مقدَّم، و﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾: بدل، وهذا ما درَج عليه المفسِّر، وقيل: إن ﴿عَدُوًّا﴾: مفعول ثانٍ، و﴿شَيَٰطِينَ﴾: مفعول أول، و﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾: متعلِّقٌ بمحذوف حال من ﴿عَدُوًّا﴾.

قوله: (﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾) أي: وإن لم يكن رسولاً؛ لذا ورَدَ: أن الكفار قَتلوا في يوم واحد سبعين نبيًّا[١].

قوله: (مَرَدة) جمع مارِد، وهو المستعدُّ للشرِّ، وقدَّمَ شياطين الإنس؛ لأنهم أقوَى في الإيذاء، قال مالك بن دينار: (إن شياطين الإنس أشدُّ من شياطين الجن، وذلك إذا تعوَّذتُ بالله.. ذهبَ عني شياطين الجن، وشيطانُ الإنس يَجيئني فيجرُّني إلى المعاصي)[٢].

وقال الغزاليُّ: (كُنْ من شياطين الجن في أمان، واحذَرْ من شياطين الإنس؛ فإن شياطينَ الإنس أراحوا شياطِين الجن من التعب)[٣].

وهذا على أن المرادَ: شياطينُ من الإنس وشياطينُ من الجن، وقيل: إن الشياطين كلَّهم من إبليس، وذلك أنه فرَّقَ أولاده فرقتَين، ففرقة تُوسوسُ للإنس وتُسمَّى شياطين الإنس، وفرقةٌ توسوس لِصُلحاء الجن وتُسمَّى شياطين الجن، وكلٌّ صحيح[٤].

قوله: (﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ﴾) أي: وهو شيطانُ الجن، وقوله: (﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾) أي: وهو شيطان الإنس، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر: ١٦].

---

(١) كذا أورد الخطيب في «السراج المنير» (١/ ٦٥)، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٣٢)، وانظر «الدر المنثور» (١/ ١٧٨).

(٢) «تفسير البغوي» (٢/ ١٥٣).

(٣) «إحياء علوم الدين» (١/ ٤١).

(٤) القول الأول قول مجاهد وقتادة، وهو قول لابن عباس برواية عطاء، والقول الثاني هو قول عكرمة والضحاك والكلبي والسدي ورواية عن ابن عباس. انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١٥٢)، و«تفسير الخازن» (٢/ ١٤٨).

﴿غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ ....

مِن الباطِل ﴿غُرُورًا﴾ أي: لِيَغُرُّوهُم، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: الإيحاءَ المَذكُور، ﴿فَذَرْهُمْ﴾: دَعِ الكُفَّارَ ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ مِن الكُفرِ وغَيرِه مِمَّا زُيِّنَ لَهُم، وهذا قبلَ الأمرِ بالقِتال.

﴿١١٣﴾ ﴿وَلِتَصْغَىٰ﴾ ـ عطفٌ على ﴿غُرُورًا﴾ ـ أي: تَمِيلَ ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: الزُّخرُفِ ﴿أَفْئِدَةُ﴾: قُلُوبُ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا﴾: يَكتَسِبُوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ مِن الذُّنُوب فيُعاقَبُوا علَيه.

حاشية الصاوي

قوله: (من الباطل) بيانٌ لـ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾، وأشارَ به إلى أن المرادَ بالزخرف: المموَّهُ الظاهرُ، الفاسد الباطن.

قوله: (أي: لِيغروهم) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿غُرُورًا﴾ مفعولٌ لأجله.

قوله: (﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾) مفعولُ ﴿شَاءَ﴾ محذوفٌ، تقديره: عدمَ فِعلهم.

قوله: (﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾) (ما): اسمُ موصول، أو نكرة موصوفة[1]، وجملة ﴿يَفْتَرُونَ﴾ صلة أو صفة، والعائدُ محذوف، تقديرُهُ: فذَرهم والذي يفترونه، أو مصدرية، والتقديرُ: فذَرهم وافتراءهم.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: فهي منسوخةٌ.

قوله: (عطف على ﴿غُرُورًا﴾) أي: فاللامُ للتعليل، وما بين الجملتين اعتراضٌ، والتقديرُ: يوحي بعضُهم إلى بعض لِلغرور ولتصغى.

قوله: (﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾) أي: يحبُّوه لأنفسهم.

قوله: (من الذنوب) بيانٌ لـ(ما)، وقوله: (فيعاقبوا) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف، والتقدير: ولِيَقترفوا عقابَ ما هم مقترفون.

---

(١) وعليهما هي في محل نصب عطف نسق، أو مفعول معه ولكنه مرجوح.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ ....

﴿١١٤﴾ ونَزَلَ لَمَّا طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أن يَجعَلَ بَينه وبَينَهم حَكَماً: قُل: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى﴾: أطلُبُ ﴿حَكَمًا﴾: قاضِياً بَينِي وبَينَكُم، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿مُفَصَّلًا﴾: مُبَيَّناً فِيهِ الحَقُّ مِنَ الباطِلِ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ كعَبدِ الله ابن سَلامٍ وأصحابِهِ ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ﴾ - بِالتَّخفِيف والتَّشدِيد - ﴿مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّينَ فِيه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (لَمَّا طلبوا) أي: قريشٌ، قوله: (أن يجعل بينه وبينهم حكماً) أي: من أحبار اليهود أو أساقِفة النصارى؛ ليخبرَهم بما في كتابهم من أوصاف النبيِّ وأمره[1].

قوله: (﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾) الهمزةُ داخلة على محذوف، والفاءُ عاطفةٌ على ذلك المحذوف، والتقدير: أأميلُ لِزخارفكم التي زيَّنها الشيطان فغير الله أبتغي حكماً؟ و(غيرَ): مفعول لـ﴿أَبْتَغِى﴾، و﴿حَكَمًا﴾: حال أو تمييز، أو ﴿حَكَمًا﴾: مفعولٌ، و(غيرَ): حال، والحَكَمُ أبلغُ من الحاكم؛ لأن الحَكَم من تكرَّرَ منه الحُكْم، وأما الحاكم فيصدقُ ولو بمرة، أو لأن الحَكَم لا يجورُ أصلاً، والحاكمُ قد يَجور[2].

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾) الجملةُ حالية، كأنه قال: أفغَير الله أطلبُ حكماً، والحالُ أن الله هو الذي أنزلَ إليكم الكتابَ مفصَّلاً؟! فالذي يشهدُ لي هو القرآن، وأما الكتبُ القديمة فإنها وإن كانت تشهدُ له أيضاً لكن لمَّا غيَّروا وبدَّلوا صارت غيرَ معوَّلٍ عليها.

قوله: (وأصحابه) أي: ممَّن أسلمَ من عُلماء اليهود.

قوله: (﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ﴾) أي: الكتابَ.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[3].

قوله: (﴿بِٱلْحَقِّ﴾) متعلِّقٌ بمحذوف حال، والتقديرُ: إنه منزلٌ من ربِّك حال كونه مُلتبساً بالحقِّ[4].

---

(١) «تفسير الماوردي» (٢/ ١٦٠).

(٢) «الدر المصون» (٥/ ١٢٣).

(٣) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم بالتشديد، والباقون بالتخفيف. «الدر المصون» (٥/ ١٢٤).

(٤) وعبارة العلامة السمين: (حالٌ من الضمير المستكن في «منزل» أي: ملتبساً بالحق، فالباء للمصاحبة).

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ....

والمُرادُ بِذلك التَّقرِير لِلكُفَّارِ أَنَّهُ حقٌّ.

(١١٥) ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بِالأحكامِ والمَواعِيدِ ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ - تَمييز - ....

حاشية الصاوي

قوله: (والمراد بذلك التقرير... إلخ) دفعَ بذلك ما يُقالُ: إن الشكَّ مستحيلٌ على الأنبياء، فكيف ينهى عن ما يستحيل وصفُهُ به؟ فأجاب بما ذكر، وأُجيبَ أيضاً: بأنه من باب التعريض للكفار بأنهم هم الممترُون، فالخطابُ له والمرادُ غيرُهُ[١].

قوله: (﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾) أي: القرآن، وفيها قراءتان: الجمع والإفراد، فالجمعُ ظاهر، والإفراد على إرادة الجنس والماهية[٢]، وتُرسم بالتاء المجرورة على كلٍّ من القراءتين[٣]، وهكذا كلُّ ما قُرئ بالجمع والإفراد إلا موضعين: أحدهما في (يونس) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٩٦]، وثانيهما في (غافر) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [غافر: ٦]، فإنه اختلف فيها المصاحف، فبعضُهم بالتاء المجرورة وبعضُهم بالتاء المربُوطة.

قوله: (بالأحكام والمواعيد) راجعٌ لقوله: ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ على سبيل اللفِّ والنشر المشوَّش، ولو أخَّره لكان أحسَن، والمعنى: تمَّت كلماتُ ربِّك من جهة الصدق كالإخبار والمواعيد، والعدل كالأحكام، فلا جورَ فيها، وهذا إخبارٌ من الله بِحفظ القرآن من التغيير والتبديل كما وقعَ في الكتب المتقدمة، وذلك سرُّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

قوله: (تمييز) أي: على التوزيع؛ أي: صدقاً في مَواعيده، وعدلاً في أحكامه، ويصحُّ أن يكون حالاً من ﴿رَبِّكَ﴾، ويؤوَّلُ المصدر باسم الفاعل؛ أي: حال كونه صادقاً وعادلاً[٤].

---

(١) ذكرها الزمخشري في «كشافه» (٢/ ٦٠) وزاد: (من باب التهييج والإلهاب).

(٢) وقرأ الكوفيون هنا وفي (يونس) في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ موضعان، وفي (غافر): ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالإفراد، وافقهم ابن كثير وأبو عمرو على ما في (يونس) و(غافر) دون هذه السورة، والباقون بالجمع في المواضع الثلاثة. انظر «الدر المصون» (٥/ ١٢٤).

(٣) يُقال: التاء المجرورة أو المفتوحة أو المبسوطة، وهي ما قابلت المربوطة.

(٤) لأن التمييز إنما يكون تفسيراً للمبهم، ونصبه على الحال هو ما ارتضاه الزمخشري وابن عطية وغيرهما، وتأوُّلُ المصدر باسم الفاعل مرويٌّ عن قتادة ومقاتل، وتبع الإمام السيوطيُّ الطبريَّ وأبا البقاء، وقيل غير ذلك. انظر «الدر المصون» (٥/ ١٢٤).

لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ ....

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بِنَقصٍ أو خُلفٍ، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِما يُقالُ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِما يُفعَلُ.

﴿١١٦﴾ ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الكُفَّارَ ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِه، ﴿إِن﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في مُجادَلَتِهم لَكَ في أمرِ المَيتةِ، إذ قالُوا: ما قَتَلَ اللهُ أَحَقُّ أن تَأكُلُوهُ مِمَّا قَتَلتُم، ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يَكذِبُونَ في ذلكَ.

﴿١١٧﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالِمٌ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾) هذا كالتوكيد لِقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، وقوله: (بنقص أو خلف) راجعٌ لقوله: ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ على سبيل اللفِّ والنشر المرتَّب.

قوله: (أي: الكفار) تفسيرٌ للأكثر.

قوله: (﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾) قدَّرَ المفسِّر (ما)؛ إشارةً إلى أن (إنْ) نافية بمعنى (ما).

قوله: (إذ قالوا.... إلخ) إشارة لسبب نزول هذه الآية وما بعدها، وذلك أن المشركين قالوا للنبيِّ: أخبرنا عن الشاة إذا ماتَت مَنْ قتلها؟ فقال: «اللهُ قتلها»، قالوا: أنت تزعمُ أن ما قتلتَ أنت وأصحابُك حلالٌ، وما قتلها الكلبُ والصقرُ حلالٌ، وما قتَله الله حرام! فكيف تدَّعون أنكم تَعبدون الله ولا تأكلون ما قتل ربُّكم؟! فما قتلَهُ الله أحقُّ أن تأكلوه مما قتلتُم أنتم[1].

قوله: (﴿إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾) الخرصُ في الأصل: الحزر والتخمين، ومنه: خرصُ النخلة[2]، وقوله: (يكذبون) سُمِّيَ الخرصُ كذباً؛ لأنَّ فيه تتبُّعَ الظُّنون الكاذبة.

قوله: (في ذلك) أي: في قولهم: ما قتلَ اللهُ أحقُّ أن تأكلوه ممَّا قتلتُم.

قوله: (أي: عالم) دفعَ بذلك ما يُقالُ: إن أفعل التفضيل بعضُ ما يُضافُ إليه[3]! فأجاب: بأنَّ اسم التفضيل مؤوَّلٌ باسم الفاعل، وأُجيبَ أيضاً: بأن قولَه: ﴿مَن يَضِلُّ﴾ مفعولٌ لمحذوف تقديرُهُ:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٨٠).

(٢) أي: حزر تمرها، وهو معنى النهي الوارد في الآثار.

(٣) وذلك يقتضي فساد المعنى بأن الله تعالى بعض الضالين بتقدير: أعلم الضالين، جلَّ ربنا.

مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ....

﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فيُجازي كُلًّا مِنهم.

﴿١١٨﴾ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: ذُبح على اسمِه، ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿١١٩﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ أَ﴾نْ ﴿لَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ مِن الذَّبائِحِ ﴿وَقَدْ فُصِّلَ﴾ - بالبِناءِ لِلمفعُولِ ولِلفاعِلِ في الفِعلَينِ - ﴿لَكُم مَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في آيةِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ...﴾، ....

حاشية الصاوي

يَعلم مَنْ يضل، أو منصوبٌ بنزع الخافض، والتقديرُ: بمن يضلُّ، يدلُّ عليه قوله بعدُ: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

قوله: (﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾) هذا ردٌّ لِقولهم المتقدِّم؛ فإنَّ الميتةَ لم يذكرْ عليها اسمُ الله، والمرادُ بذكر اسم الله هنا: عدمُ ذكر اسم غيره كالأصنام؛ ليدخلَ ما إذا نسيَ التسميةَ، فإنها تُؤكلُ، وسيأتي إيضاحُ ذلك[1].

قوله: (﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟﴾) هذا تأكيدٌ لإباحة ما ذُبحَ على اسم الله، و(ما): اسم استفهام مبتدأ، و(لكم): خبره، والتقديرُ: أيُّ شيء ثبتَ لكم في عَدم أكلكم... إلخ.

قوله: (﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾) أي: بيَّنَ وميَّزَ، والواو للحال.

قوله: (بالبناء للمفعول وللفاعل) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، وبقي ثالثةٌ وهي بناءُ الأول للفاعل والثاني لِلمفعول[2].

قوله: (في الفعلين) أي: فصَّلَ وحرَّمَ.

قوله: (في آية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾) أي: التي ذُكرت في (المائدة)، وفي المقام إشكالٌ

---

(١) في (ط٢) زيادةٌ ضربَ عليها المصنفُ في (أ) لأنها كما قال ستأتي تفصيلاً قريباً.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ببنائهما للمفعول، ونافع وحفص عن عاصم ببنائهما للفاعل. «الدر المصون» (٥/١٢٩).

إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ ....

﴿إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ﴾ مِنهُ فهو أيضاً حَلالٌ لَكُم، المَعنَى: لا مانِعَ لَكُم مِن أكلِ ما ذُكِرَ وقد بُيِّنَ لَكُم المُحَرَّمُ أكلُه وهذا ليسَ مِنهُ، ....

حاشية الصاوي

أورده فخرُ الدين الرازي، وهو أن سورةَ (الأنعام) مكية، وسورة (المائدة) مدنيَّة من آخر القرآن نزولاً بالمدينة! وأُجيبَ: بأن الله علمَ أن سورة (المائدة) متقدِّمة على سورة (الأنعام) في الترتيب لا في النزول، فبهذا الاعتبار حَسُنت الحوالةُ عليها؛ لِسبقية علم الله بذلك، وقال بعضُهم[١]: الأولى أن يُقالَ: وقد فصَّل لكم. . . إلخ؛ أي: في قوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا. . .﴾ الآية، وهذه وإن كانت مذكورةً بعد إلا أنه لا يمنعُ الاستدلالُ بها؛ للاتحاد في وقتِ النزول.

قوله: (﴿إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ﴾) استثناءٌ منقطع؛ لأنَّ ما اضطُرَّ إليه ليس داخلاً في المحرَّم[٢].

قوله: (فهو أيضاً حلال لكم) أي: وهل يشبَعُ ويتزوَّدُ منها أو يقتصرُ على ما يَسدُّ الرمق؟ خلافٌ بين العلماء.

قوله: (المعنى: لا مانع. . . إلخ) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ.

قوله: (وهذا ليس منه) أي: من المحرَّم، وأما ما لم يُنَصَّ على حرمته ولا حِلِّه. . فهو من قبيل الحلِّ؛ لأنه ذكرَ الأشياءَ واستثنى الحرامَ منها، فالحرامُ معدودٌ معروف، فمثلُ القهوة والدُّخان غيرُ محرَّم إلا أن يطرأَ له ما يحرِّمُهُ كالإسراف وتَغييب العقل، وحاصلُ ذلك أن يُقال: إن اعتادَ ذلك وصارَ دواءً له. . فهو جائزٌ، لكن بقدر الضرورة، وإن كان يَضرُّ جسمَهُ أو يُسرفُ فيه. . فهو حرام، وإن اشتغلَ به عن عبادة مندوبة. . فهو مكروهٌ، فكثرتُهُ إما حرامٌ أو مَكروه[٣].

---

(١) وهو الإمام الرازي صاحب الإيراد، كما في «تفسيره» (١٣/ ١٢٩)، وقد أشكله أيضاً العلامة القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٧٣)، ولكنه جوَّز أن يكون (فصَّلَ) بمعنى (يفصِّل).

(٢) وهو استثناء متصل من حيث المعنى؛ لأنه وبَّخهم بترك الأكل مما سُمِّي عليه، وذلك يتضمن إباحة الأكل مطلقاً، وهو ما أشار إليه الإمام السيوطي بقوله: (فهو أيضاً حلال). انظر «الفتوحات» (٢/ ٨٣).

(٣) وقال رحمه الله تعالى في «حاشيته على الشرح الصغير» (٢/ ١٨٢): (وتجوز القهوة لذاتها، وفي الدخان خلاف، فالورع تركه، خصوصاً الآن، فقد كاد درء المفاسد أن يحرِّمه، وإن قال سيدي علي الأجهوري في رسالته «غاية البيان لحلِّ شرب ما لا يغيِّب العقل من الدخان» ما نصه: «لا يسع عاقلاً أن يقول: إنه حرام لذاته إلا إذا كان جاهلاً بكلام أهل المذهب أو مكابراً معانداً»، ويعرض لكل حكم ما يترتب عليه كما رأيته في فتوى مشايخ مصر)، فكأنه هنا لخَّص هذا العارض، ثم هذا مبني على معطيات زمنه رحمه الله تعالى، واليوم لم تعد تخفى مفاسده على أحد.

وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ ....

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيَضِلُّونَ﴾ ـ بِفَتحِ الياء وضَمِّها ـ ﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾: بِما تَهواهُ أنفُسُهم مِن تَحليلِ المَيتة وغَيرِها، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يَعتَمِدُونَه في ذلك، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: المُتَجاوِزين الحلالَ إلى الحرام.

﴿١٢٠﴾ ﴿وَذَرُوا﴾: اترُكُوا ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: عَلانيَتَه وسِرَّه، ﴿الْإِثْمَ﴾ قيل: الزِّنا، وقِيل: كُلُّ مَعْصِيَة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح الياء) أي: من: ضَلَّ اللازم بمعنى: قامَ به الضلال في نفسه، وقوله: (وضمها) من: أَضَلَّ الرباعي بمعنى: أوقع غيره في الضلال[1].

قوله: (﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾) الباء: سببيَّة، وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلق بمحذوف حال، والمعنى: يَضلُّون في أنفسهم أو يُوقعون غيرَهم في الضلال بسبب اتباعهم أهوائهم مُلتبسين بغير علم.

قوله: (وغيرها) أي: كالدم ولحمِ الخنزير إلى آخر ما ذُكِرَ في آية (المائدة).

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾) أي: فيُجازيهم على اعتدائهم.

قوله: (﴿وَذَرُوا﴾) الأمرُ للمكلَّفين من الإنس والجن، وهو للوجوب.

قوله: (علانيته وسرَّه) لفٌّ ونشر مرتَّب.

قوله: (قيل: الزنا) أي: وكان العرب يحبُّونه، وكان الشريفُ منهم يستحي من إظهاره فيفعلُهُ سرًّا، وغيرُ الشريف لا يَستحي من ذلك فيظهرُهُ، فأنزل الله تحريمَهُ ظاهراً وباطناً.

قوله: (وقيل: كل معصية) أي: فالظاهرُ منها كالزنا والسرقة وبقيةِ معاصي الجوارح الظاهرية، والباطنُ منها كالكِبْر والحقد والحسد والعجب والرياء وحبِّ الرئاسة وغيرِ ذلك من المعاصي القَلبية، وهذا التفسيرُ هو الأقربُ وإن كان الأوَّلُ موافقاً لسبب النزول[2]؛ لأن العبرةَ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) قرأ الكوفيون بضم الياء، والباقون بالفتح. انظر «الفتوحات» (٢/ ٨٣).

(٢) «تفسير البغوي» (٢/ ١٥٥).

سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ....

﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخِرةِ ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾: يكتسِبُون.

﴿١٢١﴾ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بِأنْ ماتَ أو ذُبِحَ على اسمِ غيرِه،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة) أي: بالعذاب الدائم إن كان مستحلًّا أو بالعذاب مدَّةً ويخرجُ إن لم يكن مستحلًّا ومات من غير توبة ولم يَعفُ الله عنه، فإن تاب الكافر قُبِلَ قطعاً، وإن تاب المسلم فقيل كذلك، وقيل: تقبلُ ظنًّا.

إن قلتَ: لأي شيءٍ اختُلف في توبة المسلم دُون الكافر؟

أجيبَ: بأن رحمةَ الله سبقت غضبه؛ فلو جازَ عدمُ القبول لتوبة الكافر.. لكان مخلَّداً في النار مع أن رحمتَهُ غَلبت غضبه، وأما المؤمن فهو مقطوعٌ له بالجنة، فلو لم يقبلْ توبتَهُ وعذَّبه.. فلا بدَّ له من الرحمة انتهاءً، غايةُ ما هناك عذابُهُ تطهيرٌ له.

قوله: (﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾) اختُلف في تفسير هذه الآية، فقال بعضُ المجتهدين غير الأربعة: الآيةُ عامَّةٌ في كلِّ شيء، فأيُّ شيءٍ لم يُذكر اسمُ الله عليه لا يجوزُ أكلُه[1]، وقال بعضُهم: الآيةُ مخصوصةٌ بالذبيحة، فمتى تُركت التسميةُ عمداً أو نسياناً لا تؤكلُ ذَبيحته، وقال بعضُهم: إن تركَها عمداً لا تؤكلُ، وإن تركَها نسياناً أو عجزاً لخرسٍ أُكِلت، وبه قال مالكٌ وأبو حنيفة، وقال بعضُهم: التسميةُ سنةٌ، فإن تركها عمداً أو نسياناً أُكلت وبه قال الإمامُ الشافعي، وعن الإمام أحمدَ روايتان: الأولى يوافقُ فيها مالكاً، والثانية يوافقُ فيها الشافعي.

إذا علمت ذلك فمحملُ الآية ما أُهلَّ به لغير الله فقط؛ لأنه المفسَّرُ به الفِسق فيما يأتي في قوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ﴾، وأما حكمُ الميتة فمَعلومٌ من غير هذا الموضع، وحملَها المفسِّرُ عليهما معاً، وهما طريقَتان.

قوله: (أو ذبح على اسم غيره) أي: وإن لم يذكر اسمَ غيرِ الله، وأما الكتابي إذا لم يذكر اسمَ الله ولم يُهلَّ به لغير الله فإنها تؤكلُ، فإن جمعَ الكتابيُّ بين اسم الله واسم غيره أُكلت ذبيحتُهُ عند مالك؛ لأن اسمَ الله يعلُو ولا يُعلى عليه، وأما المسلمُ إن جمع بينهما على وجه التشريك في العبودية فهو مرتدٌّ لا تُؤكلُ ذَبيحته.

---

(١) عملاً بعموم الآية، روي هذا عن عطاء بن أبي رباح. انظر «تفسير النيسابوري» (٣/١٥٣).

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

وإلَّا فما ذَبَحَهُ المُسلِمُ ولَم يُسَمِّ فِيه عَمداً أو نِسياناً فهو حَلالٌ، قالَه ابنُ عبَّاس وعلَيهِ الشَّافعِيُّ، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: الأكلَ مِنهُ ﴿لَفِسْقٌ﴾: خُروجٌ عمَّا يَحِلُّ، ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾: يُوَسوِسُونَ ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ الكُفَّارِ ﴿لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ في تَحلِيل المَيتةِ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيهِ ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

﴿١٢٢﴾ ونَزَلَ في أبِي جَهلٍ وغَيرِه: ....

حاشية الصاوي

قوله: (وعليه الشافعي) أي: فالتسميةُ عِنده سنة.

قوله: (أي: الأكل منه) أي: المفهومَ من (لا تأكلوا) على حدِّ: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] أي: العدلُ المفهوم من ﴿ٱعْدِلُوا۟﴾.

قوله: (﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ﴾) أي: إبليسَ وجنودَهُ من الجن.

قوله: (الكفار) أي: وهم شياطينُ الإنس.

قوله: (﴿لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾) تعليلٌ لـ(يُوحُون)، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمدُ؛ أخبرنا عن الشاةِ إذا ماتت مَنْ قتلها؟ فقال: «الله قتلها»، قالوا: تزعمُ أن ما قتلت أنتَ وأصحابُك حلالٌ وما قتَله الله حرام؟ فنزلَت[1].

قوله: (﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾) أي: لأن من أحلَّ شيئاً ممَّا حرَّمَ الله أو حرَّمَ شيئاً ممَّا أحلَّ الله فهو مشرك؛ لأنه أثبتَ حاكماً غير الله، ولا شكَّ أنه إشراك.

قوله: (وغيره) أي: كعمرَ بن الخطاب أو حَمزة أو عمار بن ياسر أو النبيِّ ﷺ، ولكن العبرة بعموم اللَّفظ، فهذا المثلُ للكافر والمسلم.

وسبب نزولها على القول بأنها في أبي جَهل وحمزة: أن أبا جهل رمى النبيَّ ﷺ بفَرْثٍ، فأُخبرَ حمزةُ بما فعلَ أبو جهل، وكان حمزةُ قد رجعَ من صيدٍ وبيده قوس، وحمزة لم يكن مؤمناً إذ ذاك، فأقبلَ حمزةُ غضبانَ حتى عَلا أبا جهل وجعلَ يضربه بالقوس، وجَعل أبو جهل يتضرَّع إلى حمزة ويقول: يا أبا يعلى؛ ألا ترى ما جاءَ به؟ سفَّهَ عقولَنا، وسبَّ آلهتنا، وخالَف آباءَنا! فقال حمزةُ:

(١) تقدم قريباً.

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ....

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بِالكُفرِ ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ بِالهُدَى، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يَتَبَصَّر بِهِ الحَقَّ مِن غَيرِه وهو الإيمانُ، ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ ـ (مَثَل) زائِدة ـ، أي: كمَن هو ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو الكافِرُ؟ لا ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما زُيِّنَ لِلمُؤمِنين الإيمانُ ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ مِن الكُفرِ والمَعاصِي.

حاشية الصاوي

ومن أسفهُ منكم عقولاً؟ تَعبدون الحجارةَ من دون الله! أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله، وأشهدُ أن محمداً رسولُ الله، فأسلمَ حمزةُ يومئذٍ، فنزَلت الآية[1].

قوله: (﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾) الهمزةُ داخلةٌ على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، تقديره: أيستويان ومَن كان ميتاً... إلخ، و(مَن): اسم شرط مبتدأ، و﴿كَانَ﴾: فعل الشرط، واسمها مستتر، و﴿مَيْتًا﴾: خبرها وقوله: (﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾) جوابُ الشرط، وقوله: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ خبرُ المبتدإ.

قوله: (بالهدى) أي: الإيمان.

قوله: («مثل» زائدة) أي: لأن المثلَ هو الصفة، والمستقرُّ في الظلمات ذواتُهم لا صفاتُهم.

قوله: (﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾) هذا إخبارٌ من الله بعدم إيمان أبي جهل رأساً، ولكن تقدَّمَ أن العبرةَ بعموم اللفظ.

قوله: (لا) أي: لا يَستويان، وأشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ.

قوله: (كما زين للمؤمنين الإيمان) أي: لِقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

قوله: (﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾) أي: والمزيِّنُ لهم حقيقةً هو الله، ويصحُّ نسبةُ التزيين إلى الشيطان من حيث الإغواءُ والوَسوسة.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ١٥٦)، و«زاد المسير» (٢/ ٧٣).

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ....

﴿١٢٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما جعَلنا فُسَّاقَ مَكةَ أكابِرَها ﴿جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) الكافُ: اسمٌ بمعنى مثل، والمعنى: ومثلُ ما جعلنا في مكة كبراءَها وعظماءَها المجرمين.. جَعلنا في كلِّ قرية كبراءَها وعظماءَها مجرميها، فذلك سنةُ الله أنه جعلَ أوَّلَ مَنْ يقتدي بالرسل الضعفاءَ، والمعارضين المنكرين الكبراءَ؛ ليكونَ عزُّ الرسل بربِّهم ظاهراً وباطناً، وكلُّ آية وردت في الكفار تجرُّ بذيلها على عُصاة الأمة، فإن المباشرَ للظلم والفجور أكابرُ كلِّ قرية ومدينة كما هو مُشاهد.

قوله: (فساق مكة) هو معنى ﴿مُجْرِمِيهَا﴾، وحلُّ المفسِّر يفيدُ أن ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ مفعولٌ أول مؤخَّر، و﴿أَكَٰبِرَ﴾: مفعولٌ ثانٍ مقدَّم، و﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾: ظرفٌ لغوٌ متعلِّق بـ﴿جَعَلْنَا﴾، وهو أحدُ أعاريبَ أربعة.

الثاني: أن قوله: ﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ مفعولٌ ثانٍ مقدَّم، و﴿أَكَٰبِرَ﴾: مفعولٌ أول وهو مضاف لـ﴿مُجْرِمِيهَا﴾، وأخِّرَ المفعولُ الأول؛ لأن فيه ضميراً يعودُ على المفعول الثاني، فلو قُدِّمَ لعاد الضميرُ على متأخِّرٍ لفظاً ورتبةً، وقد أشارَ ابن مالك لِذلك بقوله: [الرجز]

كَـذا إذا عَـادَ عَـلَـيْـهِ مُـضْـمَـرُ مِـمَّـا بِـهِ عَـنْـهُ مُـبِـيـنـاً يُـخْـبَـرُ[1]

فيصير المعنى: وكذلك جَعلنا عظماءَ المجرمين كائنينَ في كلِّ قرية.

الثالث: أن ﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ مفعولٌ ثانٍ، و﴿أَكَٰبِرَ﴾: مفعول أول، و﴿مُجْرِمِيهَا﴾: بدلٌ من ﴿أَكَٰبِرَ﴾، ولم يضفْ لئلا يلزمَ عليه إضافةُ الصفة للموصوف، وهو لا يجوزُ عند البَصريين.

الرابع: أن ﴿أَكَٰبِرَ﴾ مفعول أول مضاف لـ﴿مُجْرِمِيهَا﴾، و﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾: ظرفٌ لغوٌ متعلِّق بـ﴿جَعَلْنَا﴾، والمفعول الثاني محذوف تقديره: فُساقاً، ورُدَّ: بأن هذا التقديرَ لا فائدةَ فيه ولا مُحوجَ له، فالأحسنُ الثلاثةُ الأُوَل.

قوله: (﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾) اللامُ: إما لامُ العاقبة والصيرورة نظير: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، أو لامُ العلة، وأما قولهم: (تنزَّهَ الله عن العلة) فمعناه العلة

(١) «الخلاصة» (باب الابتداء).

وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ....

بِالصَّدِّ عن الإيمانِ، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لِأَنَّ وَبالَه عليهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

﴿١٢٤﴾ ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ أي: أهلَ مَكَّة ﴿ءَايَةٌ﴾ على صِدقِ النَّبيِّ ﷺ ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ﴾ به ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ مِن الرِّسالةِ والوَحيِ إلَينا؛ لأنَّا أكثرُ مالاً وأكبرُ سِنًّا،

حاشية الصاوي

الباعثة على الفعل ليتكمَّلَ به، وأما الحِكَمُ فلا تخلُو أفعالُ الله عنها[١]، سبحانَكَ ما خلقتَ هذا عبثاً!.

والمكرُ: الخديعة والحيلة والغَدر والفجور وترويجُ الباطل، وهذه الأشياءُ لا تقبلُ عادةً إلا من الكبراء.

قوله: (بالصد عن الإيمان) أي: لما وردَ: أن كلَّ طريق من طُرق مكة كان يجلسُ عليه أربعةٌ يصرفون الناسَ عن الإيمان بالنبيِّ ﷺ، ويقولون: هو كذَّاب ساحر كاهن[٢].

قوله: (لأن وباله عليهم) أي: وبال مكرهم لاحقٌ بهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال أيضاً: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ...﴾ [الأنعام: ١٢٤] الآية.

قوله: (﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك) أي: لم يعلموا بأن وبالَهُ عليهم.

قوله: (﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾) نزلت في الوليد بن المغيرة، حيث قال للنبيِّ: لو كانت النبوةُ حقًّا لكنتُ أنا أَولى بها منك؛ لأني أكبرُ منك سنًّا وأكثرُ منك مالاً، وقيل: في أبي جهل، حيث قال: زاحمَنا بنو عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كفَرَسَيْ رِهان، قالوا: منَّا نبيٌّ يُوحى إليه، واللهِ لا نؤمنُ به ولا نتبعُهُ أبداً إلا أن يأتيَنا وحيٌ كما يَأتيه[٣].

قوله: (﴿ءَايَةٌ﴾) أي: معجزة؛ كانشقاق القمرِ وحنينِ الجذع ونبعِ الماء.

قوله: (﴿لَن نُّؤْمِنَ﴾) أي: نُصدق برسالته.

قوله: (﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾) قال بعضُهم: يسنُّ الوقفُ عليه هنا، ويُستجابُ الدعاءُ بين

---

(١) قال الإمام الشعراني في «رسالة الأنوار» وهي في آداب الصحبة (ص١٥٧): (تقديراته تعالى على عباده عينُ الحكمة، لا بالحكمة؛ لأنها لو كانت بالحكمة لكانت أفعاله تعالى معلولة تحت حكْمِ الحكمة).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ٧٤)، و«تفسير الخازن» (٢/ ١٥٣).

(٣) أوردهما البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٥٧).

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤﴾ ....

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ - بالجمعِ والإفراد، و﴿حَيۡثُ﴾: مَفعُولٌ بِهِ لِفعلٍ دَلَّ عليهِ ﴿أَعۡلَمُ﴾ -، أي: يَعلَم المَوضِعَ الصَّالِح لِوَضعِها فِيه فيَضعُها، وهؤلاءِ لَيسُوا أهلاً لَها، ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ بِقَولِهِم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾: ذُلٌّ ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

هاتين الجلالتين، وذكرَ بعضُهم لهم دعاءً مخصوصاً وهو: اللهمَّ؛ مَن الذي دعاك فلم تُجبْهُ؟ ومَن الذي استجارَكَ فلم تجرْهُ؟ ومَن الذي سألَكَ فلم تُعطِهِ؟ ومَن الذي استعانَ بك فلم تعنْهُ؟ ومَن الذي توكَّلَ عليك فلم تكفِهِ؟ يا غوثاهُ يا غوثاهُ يا غوثاهُ؛ بك استغثتُ، أغثني يا مغيثُ، واهدني هدايةً من عندك، واقضِ حوائجَنا، واشفِ مرضانا، واقضِ ديونَنا، واغفِرْ لنا ولآبائنا ولأمَّهاتنا، بحقِّ القرآن العظيم والرسولِ الكريم، برحمتك يا أرحمَ الراحمين. انتهى[1].

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا عليهم.

قوله: (لفعل دلَّ عليه ﴿أَعۡلَمُ﴾) دفع بذلك ما يُقالُ: إن (حيث) مفعولٌ به وليست ظرفاً؛ لأنها كنايةٌ عن الذات التي قامت بها الرسالة، واسمُ التفضيل لا ينصبُ المفعولَ به! فأجاب بما ذكر، وأجيبَ أيضاً: بأن اسمَ التفضيل ليس على بابه، بل هو مؤوَّلٌ باسم الفاعل، وهذا أولى؛ لأن ما لا تقديرَ فيه خيرٌ مما فيه تقدير، وأيضاً: يدفعُ توهُّمَ المشاركة بين علم القديم والحادث. والحاصلُ: أن اسمَ التفضيل في أسماء الله وصفاته كـ(أكرمَ وأعلمَ وأعظمَ وأجلَّ).. ليس على بابه.

قوله: (الموضع الصالح لوضعها فيه) أي: الذاتَ التي تستحقُّ الرسالة، وهو محمدٌ ﷺ.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾) أي: وماتُوا على الكفر.

قوله: (﴿صَغَارٌ﴾) كـ(سَحاب)، مصدر: صَغِرَ كـ(تَعِبَ)، معناه: الذلُّ والهوانُ، وأما الصِّغَر ضد الكبر.. فيقال فيه: صَغُر بالضم، فهو صغير.

قوله: (﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾) إما ظرفٌ لـ(يُصيب)، أو لـ﴿صَغَارٌ﴾، والعنديةُ مجازيةٌ كنايةٌ عن الحشر والوقوف بين يدَيه والحساب والجزاء.

(١) «الفتوحات» (٢/ ٨٧)، وعبارته: (ووجدت بخط بعض الفضلاء...).

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا

أي: بِسَببِ مَكرِهِم.

﴿١٢٥﴾ ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ بِأن يَقذِفَ في قَلبِه نُوراً فيَنفَسِح لَهُ ويَقبَلُهُ كما ورَدَ في حَدِيثٍ، ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: بسبب مَكرهم) أشارَ بذلك إلى أن الباءَ سببيَّة، و(ما) مصدريةٌ.

قوله: (﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾) اعلَمْ أن اللهَ سبحانه وتعالى جعلَ خلقه في الأزل قسمين: شقي وسعيد، وجعل لكلٍّ علامةً تدلُّ عليه، فعلامةُ السعادة شرحُ الصدر للإسلام وقبولُهُ لما يردُ عليه من النور والأحكام، وعلامةُ الشقاوة ضيقُ الصدر وعدمُ قبوله لذلك، وجعل لكلٍّ قسم في الآخرة داراً يسكنونها، فلأهل السعادة الجنةُ ونَعيمها، ولأهل الشقاوة النارُ وعذابها؛ لما في الحديث: «**إن الله خلقَ خلقاً وقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي، وخلقَ خلقاً وقال: هؤلاء للنار ولا أبالي**»(١)، فذكرَ في هذه الآية علامةَ كلِّ قسْم، فإذا رزقَ اللهُ العبدَ شَرْحَ الصدر وأسكَنه حلاوةَ الإيمان.. فليعلَمْ أن الله أعظمَ عليه النعمة، وبضدِّها تتميَّزُ الأشياء. و(مَنْ): اسمُ شرط، و﴿يُرِدِ﴾: فعلُ الشرط، و﴿يَشْرَحْ﴾: جوابه.

قوله: (﴿أَن يَهْدِيَهُۥ﴾) أي: يوصلَهُ للمقصود، وليس المرادُ الدلالة؛ لأنها هي شَرْحُ الصدر.

قوله: (﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾) الشرحُ في الأصل التوسيعُ، والمرادُ هنا لازمُهُ، وهو أن يقذفَ الله في قلب الشخص النورَ حتى تكونَ أحوالُهُ مرضيةً لله؛ لأنه يلزم من الوسع قَبولُ ما يحلُّ فيه.

قوله: (كما ورد في حديث) أي: وهو أنه لمَّا نزلت هذه الآيةُ.. سُئلَ رسولُ الله ﷺ عن شرح الصدر، فقال: «هو نورٌ يقذفُهُ اللهُ في قلب المؤمن، فيَنشرحُ له وينفتح»، قيل: فهل لذلك أَمارة؟ فقال: «**نعم، الإنابةُ إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغُرور، والاستعدادُ للموت قبل نزول الموت**»، وفي رواية: «**قبل لُقي الموت**»(٢).

قوله: (﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾) أي: يمنعه عن الوصول، ويسكنه دارَ العقاب، ويَطرده

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٤٧) بلفظه هنا موقوفاً على أبي الدرداء رضي الله عنه، ورواه بنحوه أحمد في «المسند» (٤/٨٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣١٤)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٣٨٩).

حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ..........................

ـ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد ـ عن قَبُولِه ﴿حَرَجًا﴾: شَدِيدَ الضِّيق ـ بِكَسرِ الرَّاء صِفَةٌ، وفَتحِها مَصدَر وُصِفَ بِه مُبالَغة ـ، ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ ـ وفي قِراءة: (يَصَّاعَد)، وفِيهِما إدغامُ التَّاء في الأصل في الصَّاد، وفي أُخرَى بِسُكُونِها ـ ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ إذا كُلِّفَ الإيمانَ لِشِدَّتِه علَيهِ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾

حاشية الصاوي

عن رحمته، و(من): اسمُ شرط، و﴿يُرِدْ﴾: فعل الشرط، و﴿يَجْعَلْ﴾: جوابه، وجعل بمعنى: صيَّر، فـ﴿صَدْرَهُۥ﴾: مفعول أول، و﴿ضَيِّقًا﴾: مفعول ثانٍ، و﴿حَرَجًا﴾: صفته، والمعنى: أن من أرادَ اللهُ شقاوتَهُ وطردَه عن رحمته ضيَّقَ قلبه، فلا يقبلُ شيئاً من أصول الإسلام ولا من فُروعه ولو قُطِّع إِرْباً إِرْباً[1]، وعلامةُ ذلك إذا ذكر التوحيدُ نفرَ قلبُهُ واشمأزَّ وإن نَطق بلسانه لأجل النفاق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ...﴾ [الزمر: ٤٥] الآية.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: كمَيْت ومَيِّت، قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (شديد الضيق) أي: زائدهُ، فلا يقبلُ شيئاً من الهدى أصلاً.

قوله: (بكسر الراء صفة) أي: اسمُ فاعل؛ كـ(فَرِحَ فهو فَرِحٌ).

قوله: (وصف به مبالغة) أي: أو على حذف مضاف؛ أي: ذا حرَج؛ على حدِّ: زيدٌ عَدْل[3].

قوله: (﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾) أي: يتكلَّفُ الصعودَ فلا يَستطيعه.

قوله: (وفيهما إدغام التاء في الأصل) أي: بعد قلبها صاداً، فأصل الأولى: يَتَصَعَّدُ، وأصل الثانية: يَتَصاعد، وهاتان القراءتان مع تشديد (ضَيِّقاً) ومع كسر راء (حرجاً) وفتحها، وأما قوله: (وفي أخرى بسكونها) فهي قراءةُ مَنْ خفَّفَ (ضَيْقاً) ويفتحُ (حرجاً)، فالمخفَّفُ للمخفَّف، والمشدَّد للمشدَّد[4].

قوله: (لشدَّته عليه) أي: لتعسُّر الإيمان عليه، فإن القلبَ بيد الله يُسكِنُ فيه أيَّ الأمرين شاء،

---

(١) أي: عضواً عضواً، وجمع إرْب: آراب.

(٢) العامة على التشديد، وقرأ ابن كثير بالتخفيف. انظر «الدر المصون» (٥/ ١٤٠).

(٣) قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم بكسر الراء، والباقون بفتحها. «الدر المصون» (٥/ ١٤٤).

(٤) قرأ ابن كثير: (يَصْعَدُ)، ساكن الصاد مخفف العين، وأبو بكر عن عاصم: (يصَّاعد)، بتشديد الصاد بعدها ألف، والباقون: (يصَّعَّد)، بتشديد الصاد والعين. «الدر المصون» (٥/ ١٤٦).

يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ....

الجعلِ ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾: العذابَ أو الشَّيطانَ أي: يُسَلِّطُه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١٢٦﴾ ﴿وَهَٰذَا﴾ الَّذي أنتَ عليهِ يا مُحمَّدُ ﴿صِرَٰطُ﴾: طَرِيقُ ﴿رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ لا عِوَجَ فِيه، ـ ونَصبُه على الحال المُؤَكِّدِ لِلجُملةِ، والعامِلُ فِيها معنَى الإشارةِ ـ ....

حاشية الصاوي

وليس مملوكاً لصاحبه، وحينئذٍ فلا ينبغي له أن يأمنَ لما هو في قلبه من الإيمان ومحبةِ الله ورسوله، ومن هنا علَّمَنا اللهُ طلبَ الهداية على سبيل الدوام مع كونها حاصلةً بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وبقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...﴾ [آل عمران: ٨] الآية، وقال رسولُ الله ﷺ: «اللهمَّ، يا مقلِّبَ القلوبُ والأبصار؛ ثبِّتْ قلبي على دينك!»[١]، ولذا خافَ العارِفون ولم يسكنوا إلى علمٍ ولا عمل؛ لما علموا أن القلوبَ بيد الله يقلِّبُها كيف يشاء، ولا يأمنون حتى تقبضُ أرواحُهم على الإيمان، ولكنْ شأنُ الكريم إنْ مَنَّ تمَّم؛ لأنه وعدٌ منه، وهو لا يُخلَفُ.

قوله: (أي: يسلطه) أي: الشيطان، وهو تفسيرٌ للجعل على التفسير الثاني، وأما تفسيرُهُ على الأول فمعناه: يُلقي ويصيب.

قوله: (الذي أنت عليه) أي: وهو الإسلامُ.

قوله: (﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾) شبَّه دين الإسلام بالصراط المستقيم الذي لا اعوجاجَ فيه، واستعارَ اسمَ المشبَّه به لِلمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

قوله: (ونصبه على الحال المؤكدة للجملة) المناسبُ أن يقول: المؤكدةِ للصراط؛ لأن الحالَ المؤكِّدة للجملة عاملُها مُضمر، قال ابن مالك: [الرجز]

وَإِنْ تُؤَكِّدْ جُمْلَةً فَمُضْمَرُ عَامِلُهَا وَلَفْظُهَا يُؤَخَّرُ[٢]

فيُنافيه قوله: (والعاملُ فيها معنى الإشارة).

قوله: (معنى الإشارة) المناسبُ أن يقول: والعاملُ فيها اسمُ الإشارة باعتبار ما فيه من معنى الفعل، وهو (أشيرُ).

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٦٩٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤).

(٢) «الخلاصة» (باب الحال).

قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ....

﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾: بَيَّنَّا ﴿ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ ـ فيهِ إدغامُ التاء في الأصلِ في الذَّال ـ، أي: يَتَّعِظُونَ، وخُصُّوا بِالذِّكرِ لِأَنَّهُم المُنتَفِعُون.

﴿١٢٧﴾ ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: السَّلامةِ وهي الجَنَّةُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فيه إدغام التاء في الأصل) أي: بعد قلبها ذالاً.

قوله: (وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون) أي: المؤتمرون بأمره، المنتهُون بنهيه، وهم الصالحون المتَّقون، فبقاءُ القرآن دليلٌ على بقاء جماعة على قدم النبيِّ بدليل هذه الآية وآيةِ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، ولا عبرةَ بمن يقول: عُدمت الصالحون، وربما قال: أنا لم أرَ أحداً منهم؛ فقد قال ابنُ عطاء الله: (أولياءُ الله عرائسُ مخدَّرة، ولا يرى العرائسَ المجرمون)[١].

قوله: (﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾) الجار والمجرور خبرٌ مقدَّم، و﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والجملةُ يحتمل أن تكون مستأنفةً واقعةً في جواب سؤال مقدَّر، تقديرُهُ: وما جزاءُ من ينتفعُ بالذكرى؟ فأجاب بقوله: لهم دارُ السلام، ويحتملُ أن يكونَ حالاً من القوم أو صفة لهم، والتقدير: قد فصَّلنا الآياتِ لقوم يذَّكرون حالَ كونهم لهم دار السلام أو موصوفين بكونهم لهم دار السلام.

قوله: (أي: السلامة) أي: من جميع المخاوف والمكاره؛ لأنَّ بدخولها يحصلُ الأمنُ التامُّ من جميع المكاره حتى الموت، ويصحُّ أن المرادَ بالسلام التحيةُ الواقعةُ من الله والملائكة، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، وقال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، وقال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦].

قوله: (وهي الجنة) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ بدار السلام: ما يعمُّ باقي الجِنان، وليس المرادُ خصوصَ الدار المسمَّاة بدار السلام.

---

(١) ذكر هذا في مقدمة كتابه «التنوير في إسقاط التدبير».

عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ ....

﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٢٨﴾ ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ - بِالنُّونِ، والياءِ - أي: اللهُ الخَلقَ ﴿جَمِيعًا﴾ ويُقالُ لَهُم: ﴿يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾) العنديةُ عنديةُ شرف، بمعنى: أنها منسوبةٌ لله خاصَّةً وليس لأحد فيها مِنَّةٌ[1]، أو المعنى: أن مَنْ دخلَها كان في حَضرة ربِّه لا يشهدُ شيئاً سواه، ولا يحجبُ بِنعيمها عن مولاه، بل كُلَّما ازدادَ من الجنة نعيماً ازدادَ قرباً من الله وزالت الحُجُبُ عن قلبه، بخلاف الدنيا؛ إذا اشتغلَ بشيءٍ من زينتها بَعُدَ عن الله، فكُلَّما ازدادَ فيها شغلاً ازدادَ بُعْداً عن الله، فلا يخلصُ منها إلا من جاهدَ نفسَهُ وخرجَ عن هَواه.

قوله: (﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾) الجملةُ حالية، والمعنى: ناصرُهم ومُتولِّي أمورهم، وقوله: (﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾) الباءُ: سببيَّة، و(ما): مصدريةٌ، والتقديرُ: بسببِ عملهم السابق تولَّاهم وأدخلهم حضرةَ قُرْبه.

قوله: (﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾) (يومَ): ظرفٌ معمول لمحذوف، قدَّره المفسر بقوله: (اذكُر).

قوله: (بالنون والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (أي: الله) تفسيرٌ للضمير على قراءة الياء، ولِلنون على القراءة الأخرى.

قوله: (الخلق) أي: جميعَ الحيوانات عقلاءَ وغيرهم.

قوله: (جميعاً) توكيدٌ للضمير أو حالٌ منه.

قوله: (﴿يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ﴾) معمولٌ لمحذوف، قدَّره المفسرُ بقوله: (ويقال لهم)، وليس معمولاً لـ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾، بل هما جُملتان. وهذا الخطابُ بعد جَمْعِ الخلائق في الموقف وتصييرِ غير العاقل تراباً، وقوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ المعشرُ: الجماعةُ، والجمعُ معاشر، والمرادُ بالجنِّ: الشياطينُ.

---

(١) كقوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»، «أنا عند ظن عبدي بي». انظر «الفتوحات» (٢/ ٩٠).

(٢) قرأ حفص بالياء التحتية، والباقون بنون العظمة. انظر «السراج المنير» (١/ ٤٤٩).

قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ ....

﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ بإغوائِكُم، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم﴾ الَّذِينَ أطاعُوهُم ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: انتَفَعَ الإنسُ بِتَزيِينِ الجِنِّ لَهُم الشَّهَواتِ، والجِنُّ بِطاعةِ الإنسِ لَهُم، ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ وهو يَومُ القِيامة، وهذا تَحَسُّرٌ مِنهُم، ﴿قَالَ﴾ تَعالى لَهُم على لِسانِ المَلائِكة: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾: مَأواكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم﴾) السينُ والتاء لتأكيدِ الكثرة.

قوله: (بإغوائكم) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف، والتقديرُ: قد استكثرتم من إغواء الإنس.

قوله: (﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾) لعلَّ وجهَ الاقتصار على كلام الإنس الإشارةُ إلى أن الجنَّ بُهِتوا فلم يردُّوا جواباً[1]، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ في محلِّ نصب على الحال.

قوله: (﴿رَبَّنَا﴾) منادى حُذِفَ منه حرفُ النداء.

قوله: (انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات) أي: التي تنوَّعت فيها الإنس؛ مِن سحر وكهانة ودعوى ألوهية ودَعوى نُبوة وسائرِ الأديان والعقائدِ الباطلة، وذلك لأن الرجلَ في الجاهلية إذا سافرَ فنزل بأرض قَفراءَ خافَ على نفسه من الجن فقال: أعوذُ بسيِّد هذا الوادي من شرِّ سُفهاء قومه، فيَبيت في جوارهم.

قوله: (بطاعة الإنس لهم) أي: في هذه الأمور المزيَّنة، فاستمتاع الجنِّ بالإنس بسبب السلطنة التي تولَّوْها عليهم؛ حيث امتثلوا أوامرَهم، وكانوا من حِزبهم، ودخلوا في جاههم.

قوله: (﴿ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾) أي: الذي قدَّرته لنا.

قوله: (وهذا تحسُّرٌ منهم) أي: ما وقعَ منهم من تلك المقالة تحسُّرٌ وتحزُّنٌ على ما سلفَ منهم من طاعةِ الشيطان واتباعِ الهوى.

قوله: (على لسان الملائكة) مرورٌ على القول بأن الله لا يكلِّمُهم يومَ القيامة أصلاً.

---

(١) أي: أفحموا بالمرّة، فلم يقدروا على التكلم أصلاً. «الفتوحات» (٢/ ٩٠) نقلاً عن أبي السعود.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٢٨ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا ...﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ مِن الأوقاتِ الَّتي يَخرُجُونَ فِيها لِشُربِ الحَميم؛ فإنَّهُ خارِجها كما قال تَعالى، ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨]، وعن ابنِ عبَّاس أنَّهُ فِيمَن عَلِمَ الله أنَّهم يُؤمِنُون، فـ﴿مَا﴾ بِمعنَى (مَن)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخلقِه.

١٢٩ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما مَتَّعنا عُصاةَ الإنس والجِنِّ بَعضَهم بِبَعضٍ ﴿نُوَلِّي﴾ - مِن الوِلايةِ - ﴿بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: على بَعضٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾) حالٌ من الكاف في ﴿مَثْوَىٰكُمْ﴾.

قوله: (من الأوقات التي يخرجون فيها) تبعَ المفسِّرُ في ذلك شيخَهُ الجلالَ المحلِّي في تفسير سورة (الصافات)[1]، وهو مخالفٌ لِظاهر قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، والأحسنُ أن يُقالَ: إلا ما شاء الله من الأوقات التي يُنقلون فيها من النار إلى الزَّمهرير، فينقلون من عذاب النار ويَدخلون وادياً فيه الزمهرير، وهو شدَّةُ البرد ما يقطعُ بعضهم من بعض، فيطلبون الردَّ إلى الجَحيم كما ذكر في «حواشي البيضاوي»[2].

قوله: (لشرب الحميم) أي: وهو ماءٌ شديد الحرارة يقطعُ الأمعاءَ، وذلك حين يَستغيثون من شدة حرِّ النار يَطلبون الماءَ ليبردَ عنهم تلك الحرارة، قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

قوله: (وعن ابن عباس... إلخ) أي: فيحملُ على مَنْ مات مؤمناً وهو مُصِرٌّ على المعاصي ونفذَ به الوعيد، ويكون المرادُ من النار دارَ العذاب وإن لم تكن دارَ خلودٍ؛ كجَهنم لعُصاة المؤمنين.

قوله: (﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه) أي: يضعُ الشيءَ في محلِّه.

قوله: (﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه) أي: فيجازي كلًّا على عَمله.

قوله: (﴿نُوَلِّي﴾) أي: نسلِّطُ ونُؤمِّرُ.

---

(١) سيأتي (٥/ ٥٠٢)، وقد نبَّه عليه العلامة ملا علي القاري كما نقله عنه العلامة الجمل في «الفتوحات» (٢/ ٩١)، مع أنه في «الدر المنثور» مع الجمهور.

(٢) «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٤/ ١٢٤).

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ....

﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ مِن المَعاصِي.

﴿١٣٠﴾ ﴿يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: مِن مَجمُوعِكُم الصَّادِقِ بِالإنسِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾) الباءُ: سببيَّة، و(ما): مصدريةٌ، والمعنى: كما متَّعنا الجنَّ والإنس بعضَهم ببعض نُسلط بعضَ الظالمين على بعض بِسبب كسبهم من المعاصي، فيؤخذُ الظالم بالظالم؛ لما في الحديث: «ينتقمُ اللهُ من الظالم بالظالم، ثم ينتقمُ من كليهما»[1]، ولما في الحديث أيضاً: «كما تكونوا يُولَّى عليكم»[2]، ومن هذا المعنى قول الشاعر: [الطويل]

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا ... وَمَا ظَالِمٌ إِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ[3]

قوله: (﴿يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾) هذا زيادةٌ في التوبيخ عليهم؛ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أولاً وبَّخ الفريقين بتوجِيه الخطاب للجن، وثانياً خاطبَهم جميعاً ووبَّخهم.

قوله: (أي: من مجموعكم) دفعَ بذلك ما يُقالُ: إن ظاهرَ الآية يقتضي أنَّ من الجنِّ رسلاً، مع أن الرسالةَ مختصَّةٌ بالإنس، فليس من الجِن بل ولا من الملائكة رُسل! فأجابَ: بأن المرادَ من مجموعكم الصادق بالإنس، ونَظير ذلك قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]

---

(١) هو من كلام حسان بن عطية كما رواه عنه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٧٤).

(٢) رواه ابن جُمَيع في «معجمه» (ص١٤٩) بلفظه هنا، والبيهقي في «الشعب» (٧٠٠٦) بلفظ: «كما تكونوا كذلك يؤمَّر عليكم»، وحذف النون في (تكونوا) من غير موجب لغة معروفة، وبإثباتها رواه القُضاعي في «مسند الشهاب» (٥٧٧)، قال العلامة المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٤٧): (فإذا اتقيتم الله وخفتم عقابه ولَّى عليكم من يخافه فيكم، وعكسه، وفي بعض الكتب المنزلة: أنا الله ملك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، فإن العبادُ أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة، وإن هم عصَوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسبِّ الملوك، ولكن توبوا إليَّ أعطفهم عليكم. ومن دعاء المصطفى ﷺ: «اللهم؛ لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا»، وروى الطبراني عن كعب الأحبار أنه سمع رجلاً يدعو على الحجاج، فقال: لا تَفعل؛ إنكم من أنفسكم أُتيتم، فقد روي: «أعمالكم عمَّالكم»، و«كما تكونوا يولَّى عليكم»).

(٣) «التمثيل والمحاضرة» (ص٤٥٣)، ونحن قد أظلَّنا زمنٌ اسودَّت فيه الفتن، ورحاها تطحن البُرَءاء بجوار الظلمة ما تطحن، والناسُ يظنون أنها جولة بين الحق والباطل! فتحزَّبوا أحزاباً على ظنونهم، ولم يستوصوا بوصية سيِّدهم، فعميت عنهم طريق الحق، فسالوا في أودية الباطل، وفي ذلك لله حكم وأسرار، ولا نعلم ما تخفي لنا الأقدار.

يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ....

أو رُسُلُ الجنِّ نُذُرُهم الَّذِينَ يَستمِعُون كلامَ الرُّسل فيُبَلِّغُون قومَهم، ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ أن قد بلغنا، قال تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فلم يُؤمِنُوا، ....

حاشية الصاوي

أي: من أحدِهما وهو المِلْح، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦] أي: في إحداهن، وهي سماءُ الدنيا.

قوله: (أو رسل الجن نُذُرهم) أشارَ بذلك إلى جواب آخَر، وهو تسليمُ أن هناك رُسلاً من الجن، لكنهم رسلُ الرسلِ الذين يَسمعون من النبيِّ المواعظَ والأحكام ويُبلِّغون قومَهم ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ...﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية، وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ...﴾ [الجن: ١-٢] الآيات، فيكون المعنى على ذلك: ألم يأتِكم رسلٌ منكم ـ أي: من الإنس ـ يُبلغونكم عن الله، ومن الجن يبلغونكم عن الرسل؟! والمرادُ من الرُّسل: الصادقُ بالواحد، وهو سيدُنا محمد ﷺ؛ لأنه لم يرسَلْ لهم غيرُهُ، وأما حكمُ سليمان فيهم فحكمُ سلطنةٍ وملك، لا حكمُ رسالة، وأما قولُهُ تعالى حكاية عن الجِن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] فيلزمُ من عِلمهم بموسى وسماعهم لكتابه أن يكونُوا مكلَّفين به[1].

قوله: (﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾) القصُّ معناه: الحديث؛ أي: يُحَدثونكم بآياتي على وجه البيان.

قوله: (﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾) أي: يخوِّفونكم يومَ القيامة، والمعنى: يُحذرونكم من مخالفة الله التي توجبُ الخوفَ يومَ القيامة.

قوله: (أن قد بلغنا) يصحُّ بناؤه للفاعل والمفعول.

قوله: (﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾) عطفُ سبب على مسبَّب، أو علَّة على معلول.

(١) وكون الرسول مخصوصاً بالإنس قال فيه الإمام الرازي كما في «تفسيره» (١٣/ ١٥١): (وما رأيت في تقرير هذا القول حجةً إلا الإجماع)، ونُقل عن الضحاك أن الرسل من الإنس والجن، وهو قول مهجور.

وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ ....

﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿١٣١﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إرسالُ الرُّسُل ﴿أَن﴾ ـ اللَّامُ مُقدَّرةٌ، وهي مُخفَّفة ـ أي: لِأنَّهُ ﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ مِنها ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لَم يُرسَل إلَيهِم رَسُولٌ يُبَيِّن لَهُم.

﴿١٣٢﴾ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِن العالَمِين ﴿دَرَجَاتٌ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾) كرَّرَ شهادتهم على أنفسهم لاختلاف المشهود به، فأولاً: شهدوا بتَبليغ الرسل لهم، وثانياً: شهدوا بكفرهم؛ زيادةً في التقبيح عليهم، والمقصودُ من ذكر ذلك الاتعاظُ به، والتحذيرُ من فِعل مثل ذلك.

إن قلت: إن شهادتهم بكفرهم تدلُّ على أنهم أَقرُّوا به، وهو مُنافٍ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]!

أجيبَ: بأن مواقف القيامة مختلفةٌ، فأولاً حين يرون المؤمنين توزنُ أعمالُهم ويمشون على الصراط لدخول الجنة يُنكرون الإشراكَ طمعاً في دخولهم في زُمرة المؤمنين، فحينئذٍ يختمُ على أفواههم وتنطقُ أعضاؤهم قهراً عليهم وتقرُّ بالكفر.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن﴾) اسمُ الإشارة: مبتدأ، و﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾: خبره، واللام محذوفة، و(أنْ): مخففةٌ من الثقيلة واسمُها ضميرُ الشأن كما قال المفسِّر، والتقديرُ: ذلك ثابتٌ لأنه لم يكن... إلخ.

قوله: (﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾) أي: لِغلبة رحمته لا ينزلُ العذابَ على من خالفَ وعصى حتى يتكرَّرَ عليهم الإنذارُ والتخويف.

قوله: (﴿بِظُلْمٍ﴾ منها) الباءُ: سببيَّة، وقدَّر المفسِّر قوله: (منها)؛ إشارةً إلى أن الجار والمجرور متعلِّقٌ بمحذوف حال من ﴿الْقُرَىٰ﴾، والمعنى: لم يكُنْ مهلكَ أهلِ القرى بسبب وقوعِ ظلم منها والحالُ أن أهلَها لم يرسَلْ لهم رسول.

قوله: (من العالمين) أي: طائعين أو عاصين.

﴿مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ....

جزاءُ ﴿مِّمَّا عَمِلُوا﴾ مِن خيرٍ وشرٍّ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ - بالياء والتَّاء -.

﴿١٣٣﴾ ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن خَلقِه وعِبادَتِهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا أهلَ مَكَّة بِالإهلاكِ، ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ﴾ مِن الخَلقِ، ﴿كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أذهَبَهُم ولَكنَّه أبقاكُم رَحمةً لَكُم.

حاشية الصاوي

قوله: (جزاء) دفعَ بذلك ما يُقالُ: إن الدرجاتِ - بالجيم - للطائعين، فيُنافي العمومَ المتقدّم، فأجاب بأن المرادَ بالدرجات: الجزاءُ، وهو صادق بالدرجات والدركات، وأجيبَ أيضاً: بأن في الكلام اكتفاءً؛ أي: ودركات؛ على حدِّ: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبَرد.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾) هذا مرتَّبٌ على ما قبله، جوابٌ عمَّا يُقالُ: حيث كان لكلٍّ من الطائعين والعاصين جزاءٌ لا مفرَّ لهم منه، فما وجهُ إمهالِهم وعدم تعجيل ذلك لهم؟ فأجابَ بأنه الغنيُّ، فلا ينتفعُ بطاعة الطائع، ولا تَضرُّهُ معصيةُ العاصي.

و(ربك): مبتدأ، و﴿الْغَنِيُّ﴾: خبرُهُ، و﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾: خبر ثانٍ، ويصحُّ أن يكون ﴿الْغَنِيُّ﴾ و﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ صفتين له، وجملةُ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ خبرَهُ.

قوله: (﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾) أي: ومِن أجل ذلك بقاءُ الخَلق من غير استِئصال الهلاك لهم.

قوله: (بالإهلاك) أي: جملةً واحدة بحيث لم يُبقَ منهم أحدٌ كعاد وثمود.

قوله: (﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ﴾) أي: ينشئُ ويوجدُ بعد إذهابكم ما يشاء.

قوله: (﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾) أي: وهم أهلُ سفينة نوح وذُرِّيَّتُهم من بعدهم من القُرون إلى زمنكم.

قوله: (ولكنه أبقاكم رحمة لكم) أي: لِوجود نبيِّكم؛ لأنه بُعثَ رحمةً لا عذاباً.

---

(١) قرأ ابن عامر بالتاء الفوقية، والباقون بياء الغيبة. انظر «السراج المنير» (١/ ٤٥٠).

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ١٣٤ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ ....

(١٣٤) ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ مِن السَّاعة والعَذابِ ﴿لَآتٍ﴾ لا مَحالةَ، ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فائِتِينَ عَذابَنا.

(١٣٥) ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالَتِكُم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالَتِي، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ - موصُولة مَفعُول العِلمِ - ﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: العاقِبةُ المَحمُودةُ في الدَّار الآخِرةِ أنحنُ أم أنتُم؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (من الساعة) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿لَآتٍ﴾) خبر (إن) مرفوعٌ بضَمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين كـ: قاضٍ.

قوله: (﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾) أي: فارِّين من عذابنا، بل هو مُدرِكُكم لا محالةَ.

قوله: (﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾) هذا أمرُ تهديد وزَجر، نظير قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقولِهِ عليه الصلاة والسلام: «إذا لم تَستحِ فاصنَعْ ما شئتَ»[١].

والمكانةُ: إما من التمكُّن وهو الاستطاعة، فتكون الميم أصليَّة، أو من الكون بمعنى: الحالة، فتكون زائدة، والمفسِّر جعلَها بمعنى الحالة.

قوله: (﴿مَن﴾: موصولة مفعول العلم) أي: و﴿تَكُونُ﴾: صلتُها، و﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾: اسمها، و﴿لَهُ﴾: خبرها، و(عَلم) عرفانية متعدية لواحد، ويصحُّ أن تكونَ ﴿مَن﴾ استفهامية مبتدأ، وجملة ﴿تَكُونُ﴾ مع اسمها وخبرها خبرُ المبتدإ، والمبتدأُ والخبرُ في محلِّ نصب سدَّ مسدَّ مفعولي ﴿تَعْلَمُونَ﴾.

قوله: (أي: العاقبة المحمودة في الدار) أشارَ بذلك إلى أن الإضافة على معنى (في)، والمرادُ بالعاقبة المحمودة: الراحةُ التامَّةُ والسرورُ الكامِل.

قوله: (أنحن أم أنتم) هذا يناسبُ كون (مَن) استفهامية لا موصولة، وإلا.. لو جعلَها موصولة لقال: فسَوف تعلمون الفريقَ الذي له عاقبةُ الدار.

(١) رواه البخاري (٣٤٨٤) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ....﴾

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾: يَسعَدُ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرُونَ.

﴿١٣٦﴾ ﴿وَجَعَلُواْ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّة ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خَلَقَ ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾: الزَّرعِ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ يَصرِفُونَهُ إلى الضِّيفانِ والمَساكِين، ولِشُرَكائِهِم نَصِيباً يَصرِفُونَه إلى سَدَنَتِها، ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾) استئنافٌ كأنه واقعٌ في جواب سؤال مقدَّر، تَقديره: ما عاقبتُهم؟ فقال: إنه لا يفلح الظالمون.

قوله: (﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾) هذا من جملة قَبائحهم وخُسران عقولهم.

و(جعل): فعل ماض، والواو: فاعل، و﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلِّق بمحذوف مفعول ثانٍ مقدَّم، و﴿نَصِيبًا﴾: مفعول أول مؤخَّر، و﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾: متعلِّق بـ(جَعلوا).

قوله: (﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾) متعلق بمحذوف حال من (ما ذَرأ).

قوله: (الزرع) أي: ما يُزرعُ كان حبًّا أو غيره.

قوله: (﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾) أي: الإبل والبَقر والغنم.

قوله: (ولشركائهم) متعلق بمحذوف تقديره: وجَعلوا لشركائهم، وأشارَ المفسِّرُ بذلك إلى أن في الآية اكتفاءً؛ بدليل التفصيل بعد ذلك بقوله: ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾.

قوله: (أي: سَدنتها) أي: خدَمتها.

قوله: (﴿فَقَالُواْ﴾) هذا تفريعٌ على الشقِّ المذكور والشقِّ المطوي.

قوله: (﴿بِزَعْمِهِمْ﴾) الزعمُ: الكذبُ، ومصبُّهُ قولُهُ بعدُ: ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾، فمحطُّ الكذب التنصيفُ؛ حيث جعلوا نصفَ ما خلقَ اللهُ وأنشأهُ من الحرث والأنعام له، ونصفَهُ لشركائهم، وحقُّ الجميع أن يكونَ لله، ويحتملُ أن الزعمَ من حيث ادعاؤُهم الملك وإنشاءُ الجعل من عندهم، وحقُّهُ لله، والملكُ في الحقيقة لله[1].

---

(١) وفي (ط٢): (من عندهم، والملك في الحقيقة لله).

وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ ....

ـ بِالفتحِ والضَّمِّ ـ، ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾؛ فكانُوا إذا سَقَطَ في نَصِيبِ الله شَيء مِن نَصِيبِها التَقَطُوهُ، أو في نَصِيبِها شَيء مِن نَصِيبه تَرَكُوهُ وقالُوا: إنَّ الله غَنِيٌّ عن هذا كما قال تَعالى: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لِجِهَتِه، ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ﴾: بِئسَ ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حُكمُهم هذا.

﴿١٣٧﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما زُيِّنَ لَهُم ما ذُكِرَ ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالفتح والضم) أي: فهُما قراءتان سبعيَّتان، الأولى لغةُ أهل الحجاز، والثانية لغةُ بني أسد[1]، وفي لغةٍ بالكسر لكن لم يُقرأْ بها، والكلُّ بمعنًى واحد.

قوله: (فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه)[2] أي: وكانوا إذا رأوا ما عيَّنوه لله أزكى بدَّلوه بما لآلهتهم، وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه حُبًّا لها، وإذا هلك ما جعلوه لها أخذُوا بدله ممَّا جعلوه لله، ولا يفعلون ذلك فيما جَعلوه لله.

قوله: (أي: لجهته) أي: لجهة مَراضيه، وإلا.. فيستحيلُ على الله الوصولُ والجهة.

قوله: (﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾) ﴿سَآءَ﴾: فعلٌ ماض، و﴿مَا﴾: اسم موصول فاعل، و﴿يَحْكُمُونَ﴾: صِلته، والمخصوص بالذم محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (حُكمهم)، وقوله: (هذا) بدل من (حُكمهم)؛ لأن (حكمهم) مبتدأ، والجملة قبلَهُ خبرُهُ.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) الجملةُ معطوفة على الجُملة قبلها، والكاف بمعنى: مثل.

قوله: (﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) (زيَّنَ): بالبناء للفاعل، و(لكثير): متعلِّق بـ(زيَّن)، و(من المشركين): صفة لكثير، و(قتلَ): بالنصب مفعولٌ لـ(زيَّن)، وهو مضاف لـ(أولادِهم)،

(١) الجمهور على قراءة الفتح، والكسائي وحده قرأ بالضم. انظر «الفتوحات» (٢/ ٩٤).

(٢) أي: وردوه إلى نصيبها، وقالوا: هي فقيرة محتاجة. «الفتوحات» (٢/ ٩٥).

شُرَكَآؤُهُمْ ....

بِالوَأدِ ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ مِن الجِنِّ، - بِالرَّفعِ فاعِلُ ﴿زَيَّنَ﴾، وفي قِراءةٍ بِبِنائِه لِلمفعُولِ ورَفعِ ﴿قَتْلُ﴾ ونَصبِ (الأولاد) بِه وجَرِّ ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ بِإضافَتِه، وفِيه الفَصلُ بينَ المُضاف والمضافِ إلَيه بِالمفعولِ، ولا يَضُرُّ، - ....

حاشية الصاوي

و(شركاؤهم) بالرفع: فاعل (زيَّن)، وقرأ ابنُ عامر من السبعة: (زُيِّنَ) بالبناء للمفعول، و(قتلُ) بالرفع: نائب فاعل (زُيِّن)، و(أولادَهم) بالنصب: مفعول المصدر الذي هو (قتلُ)، و(قتل) مضاف، و(شركائِهم): مضاف إليه، ولا يَضرُّ الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمعمول المضاف؛ لأنه ليس أجنبيًّا، والمضرُّ الفصلُ بالأجنبي، وهذه القراءةُ متواترةٌ صحيحة موافقةٌ للنحو، خلافاً لمن شذَّ وعابَ على من قرأ بها[1]، كيف وهو أعلى القُرَّاء سنداً وأقدمُهم هجرةً؟! وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: (زُيِّن) مبنيًّا للمفعول، و(قتلُ): نائب الفاعل، و(أولادِهم) بالجر: مضاف لـ(قَتل)، و(شركاؤُهم) بالرفع: فاعل (قَتلُ)، قال ابن مالك: [الرجز]

وبَعْدَ جَرِّهِ الَّذِي أُضِيفَ لَهْ ... كَمِّلْ بِنَصْبٍ أَوْ بِرَفْعٍ عَمَلَهْ[2]

وقرأ أهلُ الشام كقِراءة ابن عامر، إلا أنهم خفضوا الأولاد أيضاً على أن (شركاءَهم) صفةٌ لهم، بمعنى: أنهم يشركونهم في المال والنسب، وقرأ فرقةٌ من أهل الشام: (زِيْنَ) بكسر الزاي بعدها ياء ساكنة مبني للمفعول كـ(قِيلَ وبِيعَ)، و(قتلُ): نائب الفاعل، و(أولادَهم) بالنصب، و(شركائِهم) بالجر، وتوجيهُها معلومٌ ممَّا تقدَّم، فجملةُ القراءات خمسٌ، اثنتانِ سبعيَّتان وهما اللَّتان مشى عليهما المفسِّر، وثلاثٌ شواذُّ.

قوله: (بالوأد) أي: هو دفنُ الإناث بالحياة مخافةَ الفَقر والعار، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩].

قوله: (من الجن) أي: الملابسين للأصنام.

قوله: (ولا يضر) ردٌّ على من منعَ ذلك وعابَ على ابن عامر.

---

(١) وهو العلامة الزمخشري كما في «كشافه» (٢/ ٧٠) حيث جعلها سمجة مردودة في الشعر، فكيف بها في القرآن، والقراءة حجة عليه. انظر «الدر المصون» (٥/ ١٦٦).

(٢) «الخلاصة» (باب إعمال المصدر).

﴿لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ ....﴾

وإضافةُ القَتلِ إلى الشُّركاءِ لِأمرِهم به، ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: يُهلِكُوهُم ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾: يَخلِطُوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿١٣٨﴾ ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: حَرامٌ ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ﴾ مِن خَدَمة

حاشية الصاوي

قوله: (وإضافة القتل) مبتدأ، وقوله: (لأمرهم به) خبرُهُ، ومباشرُ القتل هو كثير من المشرِكين.

قوله: (﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾) علَّةٌ للتزيين، وقوله: (وليلبسوا) معطوفٌ على (يُردوهم)، وهو من: لَبَسَ بفتح الباء يَلْبِسُ بكسرها لُبْساً، بمعنى: خَلط.

قوله: (﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾) مفعولُ ﴿شَاءَ﴾ محذوف، تقديرُهُ: عدمَ فعلهم، والمعنى: لو أرادَ اللهُ عدمَ التزيين والقتل ما فَعلوه؛ لأن اللهَ هو الموجِدُ للخير والشر، وإنما الخلقُ أسبابٌ ظاهرية في الخير والشر، وإلا.. فمَرجعُ الكلِّ إلى الله، ومن هنا قولُ سيدي إبراهيم الدَّسُوقي: (مَنْ نظرَ للخلق بعين الشريعة مقتَهم، ومَنْ نظرَ إليهم بعين الحقيقة عذَرَهم)[1]، وقال بعض العارفين: [البسيط]

الكُلُّ تَقْدِيرُ مَوْلانا وَتَأْسِيسُهْ	فَاشْكُرْ لِمَنْ قَدْ وَجَبْ حَمْدُهْ وَتَقْدِيسُه
وَقُلْ لِقَلْبِكَ إذا كَثُرَتْ وَساوِيسُهْ:	إِبْلِيسُ لَمَّا غَوَى مَنْ كانَ إِبْلِيسُه؟[2]

قوله: (﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾) أي: اترُكْهم وافتراءَهم.

قوله: (﴿وَقَالُوا﴾) هذا نوعٌ آخرُ من أنواع قبائحهم، وقوله: (هذه أنعام... إلخ) الإشارةُ إلى ما جَعلوه لآلهتهم.

قوله: (﴿حِجْرٌ﴾) بمعنى: محجور؛ كـ: ذِبْح بمعنى: مذبوح؛ أي: مَمنوعة.

قوله: (﴿لَا يَطْعَمُهَا﴾) أي: لا يأكلُها، والضميرُ عائدٌ على الأنعام والحرث.

---

(١) نقله في «إيقاظ الهمم» (ص٣٦) عن بعضهم، عند شرح قوله: (ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله فيه).

(٢) قوله: (إذا كثرت) كذا في (أ)، وفي (ط٢): (إذا زادت) ولو قال: (إذ زادت) لاستقام الوزن، ولا يخفى تسكين المتحرك للضرورة.

بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٌ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةً ....

الأوثانِ وغيرِهم ﴿بِزَعۡمِهِمۡ﴾ أي: لا حُجَّة لَهُم فِيه، ﴿وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا﴾ فلا تُركَب كالسَّوائِبِ والحَوامِي، ﴿وَأَنۡعَٰمٌ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ عِند ذَبحِها، بل يَذكُرُون اسمَ أصنامِهِم، ونَسَبُوا ذلك إلى اللهِ ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ عليهِ.

﴿١٣٩﴾ ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ المُحَرَّمة وهيَ السَّوائِبُ والبَحائِر ﴿خَالِصَةٌ﴾: حَلالٌ ﴿لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ﴾ أي: النِّساءِ، ﴿وَإِن يَكُن مَّيۡتَةً﴾ ـ بِالرَّفعِ والنَّصب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وغيرهم) أي: من الرجال دُون النساء.

قوله: (﴿بِزَعۡمِهِمۡ﴾) حالٌ من فاعل (قالوا).

قوله: (كالسوائب والحوامي) أي: والبحائر.

قوله: (ونسبوا ذلك) أي: التقسيمَ إلى الأقسام الثلاثة بأن قالوا: قسمٌ حِجْرٌ؛ أي: ممنوعٌ منه بالكلية، وقسمٌ لا يركبُ وإن كان يجوزُ أخذُ لَبنه وأولاده، وقسم لا يذكرُ اسمُ الله عليه عند الذبح وإنما يذكرُ اسمُ الصنم، وقوله: (افتراء) معمولٌ لمحذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (ونَسبوا ذلك).

قوله: (﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾) أي: بسبب افترائهم.

قوله: (﴿وَقَالُواْ﴾) هذا إشارةٌ لِنوع آخر من أنواع قبائحهم.

قوله: (﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾) أي: نتاجُ الأنعام السوائب والبحائر، فما ولدَ منها حيًّا فهو حلال للذكور خاصَّةً، وما ولدَ منها ميتاً فهو حلالٌ للذكور والإناث.

قوله: (﴿خَالِصَةٌ﴾) خبرٌ عن (ما) باعتبار معناها، وقوله: ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ خبرٌ عنها باعتبار لفظها.

﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ....﴾

مع تَأنيثِ الفِعل وتَذكِيرِه ـ ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصْفَهُمْ﴾ ذلك بِالتَّحلِيلِ والتَّحريم، أي: جَزاءَهُ، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلقِه.

﴿١٤٠﴾ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ ـ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد ـ ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بِالوَأْدِ ﴿سَفَهًا﴾: جَهْلاً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ مِمَّا ذُكِر ....

حاشية الصاوي

قوله: (مع تأنيث الفعل) أي: باعتبار معنى (ما) وهو الأجنة، وهذا على النصب، وأما على الرفع فباعتبار تأنيث الميتة، وقوله: (وتذكيره) أي: باعتبار لَفظها على قراءة النصب، وباعتبار أن تأنيثَ الميتة مجازيٌّ على قراءة الرفع، فالقراءاتُ أربعٌ، كلُّها سبعيَّة[1]، و(كان) ناقصةٌ في النصب، واسمُها ضميرٌ يعودُ على (ما)، وتامَّةٌ في الرفع، فاعلُها (ميتة).

قوله: (﴿فَهُمْ فِيهِ﴾) أي: ذكورُهم وإناثُهم يأكُلون منه جميعاً.

قوله: (﴿وَصْفَهُمْ﴾) أي: جزاءَ وصفهم، والمرادُ بوصفهم التحليلُ والتحريم الذي اختَرعوه، فالباء في قوله: (بالتحليل والتحريم) لِتصوير الوصف.

قوله: (﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾) تعليلٌ لمجازاته إيَّاهم؛ أي: فمِن أجل حكمته وعلمه لا يتركُ جزاءهم.

قوله: (﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾) أي: في الدنيا؛ باعتبار السعي في نَقص عددهم، وإزالةِ ما أنعمَ الله به عليهم، وفي الآخرة باستِحقاق العذاب الأليم.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (جهلاً) روى البخاريُّ عن ابن عباس قال: «إذا سرَّك أن تعلمَ جهلَ العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمئة من الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾»[3].

قوله: (﴿وَحَرَّمُوا﴾) معطوف على ﴿قَتَلُوا﴾، فهو صلةٌ ثانية.

---

(١) قرأ ابن كثير: (يكن ميتةٌ)، بياء الغيبة والرفع، وابن عامر: بتاء التأنيث والرفع، وعاصم في رواية أبي بكر بتاء التأنيث والنصب، والباقون بياء الغيبة والنصب. انظر «الدر المصون» (١٨٦/٥).

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر بالتشديد، والباقون بالتخفيف. «المصدر السابق» (١٨٧/٥).

(٣) رواه البخاري (باب جهل العرب).

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ۝١٤٠ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ ....﴾

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾.

١٤١ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾: خلَقَ ﴿جَنَّٰتٍ﴾: بَساتِينَ ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾: مَبسُوطاتٍ على الأرضِ كالبِطِّيخ، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ بِأن ارتَفَعت على ساقٍ كالنَّخلِ، ﴿وَ﴾ أنشأَ ﴿ٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱفْتِرَآءً﴾) معمولٌ لـ(حرَّموا).

قوله: (﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾) أي: عن الطريق المستقيم، وقوله: (﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾) فيه إعلامٌ بأن هؤلاء الذين فَعلوا هذا الفعل يموتون على الضلال، كأن اللهَ يقولُ لِنبيِّه: لا تعلِّقَ آمالك بهُداهم.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾) هذا امتِنانٌ من الله على عباده، وبيانٌ أن كلَّ نعمة منه.

قوله: (﴿جَنَّٰتٍ﴾) المرادُ بها جميعُ ما يَنبت، أعمُّ من أن يكون بساتين أو لا؛ بدليل ما بعده[١]؛ من باب: تسمية الكلِّ باسم جُزئه الأشرف، أو أطلق الخاصَّ وأرادَ العامَّ.

قوله: (كالبطيخ) أي: والعنب إذا لم يوضَعْ على عريش.

قوله: (كالنخل) أي: وغيرِهِ ممَّا له ساقٌ يرتفعُ به؛ كالجميز والنَّبَق والعنب إذا وُضعَ على عريش والحبوب، وقيل: المعروشاتُ: المرتفِعاتُ على ساق، وغيرُ المعروشات: ما لا ساقَ له، عكسُ ما ذكر المفسِّر[٢].

قوله: (﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾) قدَّرَ المفسِّر (أنشأ)؛ إشارةً إلى أنه معطوفٌ على ﴿جَنَّٰتٍ﴾ عطفَ خاصٍّ على عام، والنكتةُ: عمومُ النفع بالنخل والزرع؛ لإقامتهما بُنيةَ الآدمي، فهما يُغنيان عن غيرهما، وغيرُهما لا يغني عنهما، والمرادُ بالزرع جميعُ الحبوب التي يُقتاتُ بها.

قوله: (﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾) حالٌ مقدَّرة؛ لأن وقتَ الإنشاء ليس مختلفاً أكله، فالمعنى: أنشأهُ مقدراً في علمه سُبحانه أن أُكُلَهُ مختلفٌ، والأُكُل بالضم: المأكول؛ أي: مأكولُ كلٍّ منهما مختلفٌ في الصفة والطعم واللون والرائحة.

---

(١) وهو قوله: (معروشات) ومثَّله بالبطيخ، والبستان: ما كان فيه شجر أو نخل.

(٢) وما ذكره المصنف مروي عن ابن عباس كما في «تفسير البغوي» (٢/ ١٦٤).

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ﴾ ....

ثَمَرُه وحَبُّه في الهَيئةِ والطَّعْم، ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا﴾ ورقُهما، ـ حال ـ ﴿وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ﴾ طعمُهُما ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ قَبل النُّضجِ، ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ﴾: زَكاتَه ﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ثمره وحبُّه) لفٌّ ونشر مرتَّب.

قوله: (﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾) معطوفٌ أيضاً على ﴿جَنَّـٰتٍ﴾، وخصَّهما لأنهما أشرفُ الثمار بعد النخل.

قوله: (﴿مُتَشَـٰبِهًا﴾) هو بمعنى ﴿مُشْتَبِهًا﴾ المتقدِّم، إلا أن القراءةَ سنةٌ متَّبعة.

قوله: (طعمهما) أي: ولونهما وريحهما وجِرْمُهما.

قوله: (﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾) هذا أمرُ إباحة.

قوله: (قبل النضج) أي: استوائِهِ ووجوبِ الزكاة فيه، فلا تتوقَّفُ إباحةُ الأكل على الوصول إلى حدِّ وجوب الزكاة فيه وهو النضج أو التهيُّؤ له، ولا يُحسبُ عليه شيءٌ للفقراء، أما بعد النضج فكلُّ ما أكلَهُ حُسبت عليه زكاتُهُ.

قوله: (زكاته) هذا تفسيرُ ابن عباس وأنس بن مالك، واستُشكل: بأن السورةَ مَكية، وفرضُ الزكاة كان بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة! وأجيبَ: بأن الآيةَ مدنيةٌ، وقيل: المرادُ بالحقِّ: إطعامُ مَنْ حضرَ، وتركُ ما سقطَ من الزرع والثمر لِلفقراء، وهو قول الحسن وعطاء ومجاهد، وعلى هذا القول فقيل: الأمرُ للوجوب ويكون منسوخاً بآية الزكاة، وقيل: لِلندب ويكون محكَماً[1].

قوله: (﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾) أي: زمنَ تيسُّر الإخراج منه، وهو ظاهرٌ فيما لا يتوقَّف على تَصفية كالعنب والزيتون والنخل، وأما ما يحتاجُ إلى تصفية كالحبوب فيُقالُ: إن (يوم) ظرف متَّسع، فيشملُ مدَّةَ الحصاد والدراس، أو يُقالُ: إن (يوم) متعلق بمحذوف تقديره: وآتوا حقَّهُ الذي وجبَ يومَ حَصاده، وهو لا ينافي أن إخراجَ الحقِّ بعد التصفية إن توقَّف عليها.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ١٦٤)، و«تفسير الخازن» (٢/ ١٦٤).

وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ....

- بِالفَتحِ والكَسر - مِن العُشرِ أو نِصفِه، ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ بإعطاءِ كُلِّه فلا يَبقَى لِعيالِكُم شَيءٌ، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المُتَجاوِزين ما حُدَّ لَهُم.

﴿١٤٢﴾ ﴿وَ﴾ أنشَأَ ﴿مِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً﴾ صالِحةً لِلحَملِ علَيها كالإبِلِ الكِبار، ﴿وَفَرْشًا﴾ لا تَصلُح لَه كالإبِلِ الصِّغار والغَنَم، سُمِّيَت فَرْشاً لِأنَّها كالفَرْشِ لِلأرضِ لِدُنُوِّها

حاشية الصاوي

قوله: (بالفتح والكسر) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان بمعنًى واحد[١].

قوله: (من العشر) أي: فيما سُقيَ بالسيح، وقوله: (أو نصفه) أي: فيما سُقيَ بآلة.

قوله: (﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾) أي: تتجاوَزوا الحدَّ؛ بإخراجه كلِّه للفقراء، أو بعدم الإخراج من أصله، أو بإنفاقه في المعاصي، والأقرَبُ الأول الذي اقتصرَ عليه المفسِّر؛ لأنَّ سببَ نزولها: أن ثابتَ بن قيس صرمَ خمسَ مئة نَخلة يومَ أحد، ففرَّقَها ولم يترُكْ لأهله شيئاً[٢].

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾) أي: يعاقبُهم.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾) معطوفٌ على ﴿جَنَّٰتٍ﴾، وإليه يشيرُ المفسِّر حيث قدَّر (أنشأ)، وفي الحقيقة قوله: (من الأنعام) متعلِّق بمحذوف حال من ﴿حَمُولَةً﴾؛ لأنه نعتُ نكرةٍ تقدَّمَ عليها، و﴿حَمُولَةً﴾ هو المعطوفُ على ﴿جَنَّٰتٍ﴾.

قوله: (صالحة للحمل عليها) مشى المفسِّر على أن المرادَ بالحمولة: الصالحُ للحمل، والفرش: ما عدَاه، والأحسنُ: تفسيرُ الحمولة بالكبار، أعمُّ من أن تكون إبلاً أو بقراً أو غنماً، والفرش بالصغار منها[٣]، ويدلُّ عليه قوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾، وقيل: الحمولةُ: كلُّ ما حُمل عليه من إبلٍ وغيرها، والفرشُ: ما اتُّخذَ من الصوف والوبَر والشعر[٤].

قوله: (سُمِّيت) أي: الإبل الصغار والغنَم.

---

(١) قرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح الحاء، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (٥/ ١٨٩).

(٢) «تفسير البغوي» (٢/ ١٦٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) قال الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٩٨): (وأجمع أهل اللغة على أن الفرش صغارها).

(٤) كذا في النسخ، وعبارة العلامة السمين في «الدر المصون» (٥/ ١٩١) وعنه النقلُ: (والفرش هنا ما اتخذ من صوفه ووبَره وشعره ما يفترش).

كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ....

مِنها، ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: طَرائِقَه في التَّحرِيم والتَّحلِيلِ؛ ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بَيِّنُ العَداوةِ.

﴿١٤٣﴾ ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾: أصنافٍ، ـ بَدَل مِن ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ ـ: ﴿مِّنَ الضَّأْنِ﴾ زَوجَينِ ﴿اثْنَيْنِ﴾ ذَكَر وأُنثى، ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ﴾ ـ بِالفَتحِ والسُّكُون ـ ﴿اثْنَيْنِ قُلْ﴾ يا مُحمَّدُ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾) أي: من جميع الثِّمار والأنعام والحرث.

قوله: (في التحريم والتحليل) أي: في الحرث والأنعام؛ بأن تحلِّلوا شيئاً وتحرِّموا آخر كما يقول المشركون.

قوله: (﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾) تعليلٌ لما قبله.

قوله: (بيِّنُ العداوة) أي: ظاهرُها؛ لوجود عداوَته لأبينا آدمَ من قبلُ، واتصالها بأبنائه من بَعده، ولذلك قيل: إن المولودَ في حال ولادته يَنخسُهُ الشيطانُ فيصرخُ عند ذلك من شدَّة عَداوته له.

قوله: (﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾) يطلقُ الزوجُ على الشيئين المتلازمين اللَّذين يحصلُ بينهما التناسل، وعلى أحدهما وهو المرادُ هنا.

قوله: (بدل من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾) أي: بدلٌ مفصَّل من مجمل.

قوله: (﴿مِّنَ الضَّأْنِ﴾) بدلٌ من ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ على جواز الإبدال من البَدل[1].

قوله: (﴿اثْنَيْنِ﴾) أي: وهما الكبشُ والنعجة، وقوله: (﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾) أي: التيس والمعز.

قوله: (بالفتح والسكون) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

---

(١) قال الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (٤/ ١٣٠): (الظاهر أن «من الضأن» بدل من «الأنعام»، و«اثنين» من «حمولة وفرشاً» أو من «ثمانية أزواج» إن جوَّزنا أن يكون للبدل بدل، أو أعرب مفعولاً والبدل «اثنين»، ومن الضأن: حال من نكرة تقدمت عليها)، فتأمل.

(٢) الجمهور على تسكين الهمزة، وقرأ الحسن وطلحة بن مصرف وعيسى بن عمر بفتحها. «الدر المصون» (٥/ ١٩٣).

ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ ....

لِمَن حرَّم ذُكورَ الأنعام تارةً وإناثَها أُخرَى ونَسَبَ ذلك إلى اللهِ: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ مِن الضَّأن والمَعزِ ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكُم ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ مِنهُما، ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ ذَكَراً كانَ أو أُنثى؟ ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ عن كَيفِيَّة تَحريم ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فِيهِ، المَعنَى: مِن أينَ جاءَ التَّحرِيم؛ فإن كانَ مِن قِبَل الذُّكُورة فجَمِيع الذُّكُور حَرامٌ، أو الأُنوثةِ فجَمِيع الإناثِ، أو اشتِمالِ الرَّحِم فالزَّوجانِ، فمِن أينَ التَّخصِيص؟ والاستِفهامُ لِلإنكارِ.

حاشية الصاوي

قوله: (لمن حرم ذكور الأنعام) أي: بعضَ ذكورها، وقوله: (وإناثها) أي: بعضَ إناثها.

قوله: (﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾) بمدِّ الهمزة الثانية مدًّا لازماً قَدْرَ ثلاث ألفات، أو تسهيلها، وهو منصوبٌ بالعامل الذي بعده وهو ﴿حَرَّمَ﴾، قُدِّمَ لأن مدخولَ الاستفهام له الصدارة.

قوله: (﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾) (أم): عاطفة على ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾، وكذلك (أمْ) الثانيةُ عاطفةٌ (ما) الموصولة على ما قبلها، ومحلُّها نَصبٌ أيضاً، تقديرُهُ: أم الذي اشتملت عليه، و(أَمْ) في كلٍّ منهما متصلة مُقابلة لهمزة الاستفهام.

قوله: (﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾) أي: أخبِروني خبراً ملتبساً بعلم ناشئ عن إخبار من الله بأنه حرَّمَ ما ذُكر، وهي جملةٌ معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، قُصدَ بها إلزامُ الحجَّة لهم.

قوله: (عن كيفية تحريم ذلك) أي: جِهته وسببه.

قوله: (فإن كان من قبل الذكورة... إلخ) أي: فإن كان سببُ التحريم الذكورةَ لزمكم تحريمُ جميع الذكور، وإن كانت الأُنوثة لزمكم تحريمُ جميع الإناث، وإن كان ما اشتَملت عليه الأرحام لزمكم تحريمُ الجميع، فلأيِّ شيء خصَّصتم التحريمَ ببعض الذكور والإناث؟!

قوله: (فمن أين التخصيص) أي: تخصيصُ تحريم البَحائر والسوائب بالإبل دون بقيَّة النَّعَم من البقر والغنم.

قوله: (والاستفهام للإنكار) أي: في المواضع الثلاثة.

وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ . . .

﴿١٤٤﴾ ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ﴾: بَـل أَ﴿كُنتُمۡ شُهَدَآءَ﴾: حُـضُـوراً ﴿إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ التَّحرِيم فاعتَمَدتُم ذلكَ؟ لا بل أنتُم كاذِبُون فِيه، ﴿فَمَنۡ﴾ أي: لا أحَدَ ﴿أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ بِذلكَ ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿١٤٥﴾ ﴿قُل لَّآ أَجِدُ . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَمۡ كُنتُمۡ﴾) (أم): منقطعة؛ فلِذا فسَّرَها بـ(بل) والهمزة[1]، فمدخولها جملةٌ مستقلة، والمقصودُ بها التهكُّمُ بهم؛ حيث نسبَهم إلى الحُضور في وقت الإيصاء.

قوله: (حُضوراً) أي: حاضِرين وشاهِدين تحريمَ البعض وتحليلَ البعض.

قوله: (لا) أي: لم تكونوا حاضِرين، ولم يدلَّ دليلٌ على تحريم البعض وتحليل البعض.

قوله: (أي: لا أحد) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾) متعلِّق بـ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾، وقوله: ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ متعلِّق بمحذوف حال من فاعل ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾؛ أي: افترى حالَ كونه ملتبساً بغير عِلم، بل جاهلاً.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) تعليلٌ لما قبله، والمعنى: لا يرشدُ الذين تعدَّوا حدودَ الله بالتحليل والتحريم إلى الصراط المستقيم؛ لِسابِق الشقاوة لهم.

قوله: (﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾) لما ألزَمهم الله الحجةَ بأن التحريمَ من عند أنفسهم لا مِن عند الله.. أخبرهم بما ثبت تحريمه عن الله، فهو نتيجةُ ما قبله وثمرتُهُ، والمعنى: قُلْ يا محمدُ لِكفار مكة: لا أجدُ فيما أوحي إلي... إلخ.

---

(١) عبارة العلامة الجمل في «فتوحاته» (٢/ ١٠٢): (أم منقطعة، وهي التي بمعنى بل والهمزة).

فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ....

﴿فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ شَيئاً ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ ـ بِالياءِ والتَّاء ـ ﴿مَيْتَةً﴾ ـ بِالنَّصبِ، وفي قِراءة بِالرَّفعِ مع التَّحتانِيَّة ـ، ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾: سائِلاً بِخِلافِ غَيرِه ...

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾) ﴿مَآ﴾: اسم موصول، و﴿أُوحِىَ﴾: صلته، والعائدُ محذوفٌ، والتقديرُ: في الذي أوحاهُ اللهُ إليَّ وهو القرآن.

قوله: (شيئاً ﴿مُحَرَّمًا﴾) قدَّره المفسرُ؛ إشارةً إلى أن ﴿مُحَرَّمًا﴾ صفةٌ لموصوف محذوف.

قوله: (﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ﴾) متعلِّق بـ﴿مُحَرَّمًا﴾، وقوله: (﴿يَطْعَمُهُۥٓ﴾) من باب: فَهِمَ، ومعنى طاعم: آكِل، ويَطعمه: يأكلُهُ.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾) اسمُها ضميرٌ مستتر عائدٌ على الشيء المحرَّم، و﴿مَيْتَةً﴾ بالنصب: خبرُها، فذُكِّرَ باعتبار ما عادَ عليه الضمير، وهذا على قراءة الياء، وأما على التاء فالتأنيثُ باعتبار خبرِ (يكون) وهو (ميتة)، وهاتان قراءتان على نصب (ميتة)، وأما رفعها ففيه قراءةٌ واحدة، وهي بالفوقانية، فتكون تامَّة، و(ميتةٌ): فاعل[1]، إذا علمتَ ذلك فقول المفسر: (وفي قراءة بالرفع مع التحتانية) سَبقُ قلم، والصوابُ: الفوقانية. وهذا الاستثناءُ يصحُّ أن يكونَ متصلاً باعتبار عموم الأحوال، أو منقطعاً لأنه مستثنًى من ﴿مُحَرَّمًا﴾ وهو ذاتٌ، والمستثنى كونُهُ ميتةً، فهو معنًى وليس من جنس المستثنى منه، والأقربُ كونُهُ مُتصلاً.

قوله: (﴿أَوْ دَمًا﴾) بالنصب عطفٌ على ﴿مَيْتَةً﴾ في قراءة النصب، وعلى المستثنى في قراءة الرفع.

قوله: (﴿مَّسْفُوحًا﴾) من: السَّفح وهو السيلان أو الصبُّ، والدم المسفوح نجسٌ من سائر الحيوانات ولو من سمك وذباب، وعند أبي حنيفة: لا دمَ لِلسمك أصلاً؛ بدليل أنه إذا نَشِفَ صار أبيضَ.

---

(١) قرأ ابن عامر بالتاء في تكون ورفع (ميتة)، وقرأ ابن كثير وحمزة بالتاء ونصب (ميتة)، والباقون بالياء ونصب (ميتة). انظر «الدر المصون» (٥/ ١٩٧).

أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ....

كالكَبِدِ والطِّحالِ، ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾: حَرامٌ، ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي: ذُبِحَ على اسم غَيرِه، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى شيءٍ مِمَّا ذُكِرَ فأَكَلَهُ ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ لَه ما أكَلَ، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِه، ويُلحَق بِما ذُكِرَ بِالسُّنَّةِ كُلُّ ذِي نابٍ مِن السِّباع

حاشية الصاوي

قوله: (كالكبد والطحال) أي: فإنهما طاهِران؛ لما في الحديث «**أُحِلَّت لنا مَيتَتان ودمان، السمك والجراد، والكبد والطحال**»(١).

قوله: (﴿فَإِنَّهُۥ﴾) أي: لحمَ الخنزير، وخصَّ اللحم بالذكر وإن كان باقِيه كذلك لاعتِنائهم به أكثرَ من باقيه.

قوله: (حرام) الأوضحُ أن يقولَ: نجسٌ؛ لأن التحريمَ عُلِمَ من الاستثناء.

قوله: (﴿أَوْ فِسْقًا﴾) عطفٌ على ﴿مَيْتَةً﴾، وهو على حَذف مضاف؛ أي: ذا فِسق، أو جعل نفسَ الفسق مبالغةً على حدِّ: زيدٌ عَدْل، وقوله: (﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾) صفةٌ لـ﴿فِسْقًا﴾.

قوله: (أي: ذبح على اسم غيره) أي: قرباناً كما يتقرَّبُ إلى الله، كان ذلك الغير صنماً أو غيره.

قوله: (﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾) أي: أصابته الضرورةُ.

قوله: (ممَّا ذكر) أي: من الميتة وما بعدها.

قوله: (﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾) تقدَّمَ في سورة (البقرة) أنه فسَّرَ الباغي بالخارج على المسلمين، والعادي بقاطع الطريق؛ لأن مع كلٍّ مندوحة، وهي التوبة، فإذا تابَ كلٌّ جازَ له الأكل، وتقدَّمَ الخلافُ في المضطرِّ: هل له أن يشبعَ ويتزوَّدَ وهو مشهورُ مذهب مالك، أو يقتصرَ على سدِّ الرمَق وهو مشهورُ مذهب الشافعي؟

قوله: (﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾) تعليلٌ لجواب الشرط المحذوف، تقديره: فلا إثمَ عليه.

قوله: (ويلحق بما ذكر) كان المناسبُ تقديمَهُ على قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾.

قوله: (كل ذي ناب) أي: كالسَّبُع والضبع والثعلب والهرِّ والذئب، ....

(١) رواه ابن ماجه (٣٣١٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ....

ومِخلَبٍ مِن الطَّير.

(١٤٦) ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي: اليهودِ ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ﴾ وهو ما لَم تُفرَّق أصابِعُه كالإبِلِ والنَّعامِ، ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾: الثُّرُوبَ وشَحمَ الكُلَى، ....

حاشية الصاوي

وقوله: (ومخلب من الطير) كالصقر والنّسر والوطواط، وهذا مذهبُ الإمام الشافعي[١]، وأما عند مالك.. فلا، فجميعُ الطيور يجوزُ أكلُها ما عدا الوَطواط فيُكره أكلُهُ، وجميع السباع مكروهةٌ ما عدا الكلب الإنسيَّ والقرد، ففيهما قولان بالحُرمة والكراهة، وأما الخيلُ والبغال والحمير.. فمشهورُ مذهب مالك أنها محرَّمة، ومشهورُ مذهب الشافعي إباحةُ الخيل دُون البغال والحمير.

قوله: (﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾) الجار والمجرور متعلّق بـ﴿حَرَّمْنَا﴾، و﴿هَادُواْ﴾: صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾، سُمُّوا بذلك لأنهم هادُوا أي: رجعوا عن عِبادة العجل.

قوله: (﴿ظُفُرٍ﴾) القرَّاءُ السبعة على ضم الظاء والفاء، وقُرِئَ شاذًّا بسكون الفاء، وبكسر الظاء والفاء، وبسكون الفاء، وبقيَ في الظفر لغةٌ خامسة ولم يُقرأْ بها، وهي أُظْفُور، وجمع الأولى: أظفار، والأخيرةِ: أظافير قياساً، وأظافر سماعاً.

قوله: (كالإبل) أدخلت الكافُ الإوزَّ والبطَّ.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ﴾) متعلّق بـ﴿حَرَّمْنَا﴾.

قوله: (الثروب) جمع ثَرْب كـ(فَلْس): شحمٌ رقيق يغشى الكَرِشَ والأمعاء، ولكن المراد بها هنا الشحم الذي على الكَرِشَ فقط، وإلا.. ناقضَ ما بعده.

قوله: (وشحم الكلى) جمع كُلْوة أو كُلْية[٢].

---

(١) قال الإمام النووي في «المجموع» (٩/٩): (الضبع والثعلب مباحان عندنا وعند أحمد وداوود، وحرَّمهما أبو حنيفة، وقال مالك: يكرهان، وممن قال بإباحة الضبع علي بن أبي طالب وإسحاق بن راهويه وأبو ثور وخلائق من الصحابة والتابعين، وممن أباح الثعلب طاووس وقتادة وأبو ثور).

(٢) بالواو لغة لأهل اليمن. «المصباح المنير» (ك ل ا).

إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ....

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ أي: ما عَلِقَ بِها مِنهُ، ﴿أَوِ﴾ حَمَلَتهُ ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾: الأمعاءُ، جَمعُ (حاوِياء) أو (حاوِيَة)، ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ مِنهُ وهو شَحمُ الأَلْيَة فإنَّهُ أُحِلَّ لَهُم، ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّحريمُ ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ بِه ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾: بِسَبَبِ ظُلمِهم بِما سَبَقَ في سُورة النِّساءِ، ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في أخبارِنا ومَواعِيدِنا.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾) (ما): اسمُ موصول في محلِّ نصب على الاستثناء، أو نكرة موصوفة، وجملةُ ﴿حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ صلة أو صفة، والعائدُ محذوف.

قوله: (﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾) معطوفٌ على ﴿ظُهُورُهُمَآ﴾، وسميت بذلك؛ لأنها مُحتويةٌ على الفضَلات؛ لأنها تنحَلُّ في الكَرِشِ، ثم إذا صُفيت استقرَّت في الأمعاء، أو لأنها محتويةٌ بمعنى: ملتفَّة كالحلْقة، وقوله: (الأمعاء) أي: المصارِين، والمعنى: أن الشحمَ الذي تعلَّق بالظهور أو احتَوت عليه المصارين أو اختلطَ بعظم كلحمِ الأليةِ جائزٌ لهم.

قوله: (جمع حاوِياء) أي: ك: قاصِعاء وقَواصع، وقوله: (أو حاوية) أي: ك: زاوية وزَوايا، وقيل: جمعُ حَوِيَّة ك: هَدِيَّة.

قوله: (وهو شحم الأَلْية) بفتحِ الهمزة.

قوله: (بما سبق في سورة (النساء)) أي: في قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إلى أن قال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥-١٦٠].

قوله: (في أخبارنا ومواعيدنا) أي: بأن سببَ ذلك التحريمِ هو بغيُهم، لا كما قالوا: حرَّمَها إسرائيلُ على نفسه، فنحن مُقتدون به، فقد كذبوا في ذلك، بل لم يطرأ التحريمُ إلا بعد موسى، ولم يكن ذلك محرَّماً على أحد قبلهم، لا في شرع إبراهيمَ ولا غيرِهِ، وإنَّما حرَّمَ إسرائيلُ على نفسه بالخصوص الإبلَ من أجلِ شفائه من عرق النَّسا الذي كان به، وقد تقدَّمَ الردُّ عليهم أيضاً في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٩٣][1].

(١) تقدم (١/ ٥٥٢)، وقيل: إنما حرَّم إسرائيل عليه السلام ذلك مجاهدةً.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ....

﴿١٤٧﴾ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فِيما جِئتَ بِه ﴿فَقُل﴾ لَهُم: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ حَيثُ لَم يُعاجِلْكُم بِالعُقُوبةِ، وفِيه تَلَطُّف بِدُعائِهِم إلى الإيمانِ، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾: عَذابُه إذا جاءَ ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿١٤٨﴾ ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ نَــحــنُ ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾، فإشراكُنا وتَحرِيمُنا بِمَشِيئَتِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (حيث لم يُعاجلكم بالعقوبة) أي: فإمهالُهُ للكافر من سَعة رحمته، فإذا تابَ خلَّدَهُ في الرحمة.

قوله: (وفيه تَلطف... إلخ) دفعَ بذلك ما يُقالُ: إن مقتضى الظاهر: فقُلْ: ربُّكم ذو عقاب شديد! فأجابَ: بأنه تلطُّفٌ بدعائهم إلى الإيمان؛ ليطمع التائبُ ولا ييأس.

قوله: (﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾) هذا من جملة المقول أيضاً، والمعنى: ولا يردُّ عذابُهُ عمَّن لم يتُبْ وماتَ على الكفر، فأطمعَهم في الرحمة بالجملة الأولى، ونفى الاغترارَ بالجملة الثانية.

قوله: (﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾) هذا إخبارٌ من الله لنبيِّه بما يقعُ منهم في المستقبل، وقد وقعَ كما حكاهُ الله عنهم في سورة (النحل) بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النحل: ٣٥]، وإنما قالوهُ إظهاراً لكونهم على الحقِّ، لا اعتذاراً من ارتكاب القبائح، مدَّعين أن المشيئةَ لازمةٌ للرضا، فلا يشاءُ إلا ما يَرضاه، وقد وقعَ الكفرُ بمشيئته، فهو راضٍ به، فكيف تقولُ يا محمدُ: إنا نعذَّبُ على شيءٍ أرادَهُ الله منَّا ورضيهُ؟ وحاصلُ ردِّ تلك الشبهةِ أن تقولَ: لا يلزمُ من المشيئة الرضا، بل يشاءُ القبيحَ ولا يرضاه، ويشاء الحسنَ ويرضاه، فكلُّ شيءٍ بمشيئته تعالى.

قوله: (﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾) أي: عدمَ إشراكنا، فمفعول المشيئة محذوفٌ، وهذه المقدمةُ صادقةٌ، لكنهم توصَّلوا بها إلى مقدِّمة كاذبة، قدَّرها المفسِّر بقوله: (فهو راضٍ به).

قوله: (﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾) معطوفٌ على الضمير في ﴿أَشْرَكْنَا﴾، والفاصلُ موجودٌ، وهو (لا) النافية، وتقديرُ المفسر (نحن) بيانٌ للضمير في ﴿أَشْرَكْنَا﴾، لا لِصحةِ العطف؛ إذ يكفي أيُّ فاصلٍ، قال ابنُ مالك: [الرجز]

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ﴾

فهو راضٍ بِه، قال تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما كَذَّبَ هؤلاءِ ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ رُسُلَهم، ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾: عَذابَنا، ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾ بِأنَّ الله راضٍ بِذلك ﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾ أي: لا عِلمَ عِندَكُم، ﴿إِن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلكَ ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ﴾: ما ﴿أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾: تكذِبُونَ فِيه.

﴿١٤٩﴾ ﴿قُلۡ﴾: إنْ لم يكُن لكُم حُجَّة ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾: التَّامَّةُ، ﴿فَلَوۡ شَآءَ﴾ ......

حاشية الصاوي

وَإِنْ عَلَى ضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَّصِلْ عَطَفْتَ فَافْصِلْ بِالضَّمِيرِ المُنْفَصِلْ

أو فَاصِلٍ مَا...........[1]

قوله: (فهو راضٍ بِه) هذا هو نتيجةُ قولهم: لو شاءَ اللهُ ما أشركنا.

قوله: (قال تعالى) أي: تسليةٌ له عليه الصلاةُ والسلام.

قوله: (كما كذب هؤلاء) أي: مثلَ ما كذَّبوك ولم يُصدقوا بما جئت به كذَّبَ الأممُ السابقة أنبياءَهم.

قوله: (﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾) غايةٌ للتكذيب؛ أي: استمرُّوا على التكذيب حتى ذاقُوا... إلخ.

قوله: (﴿مِّنۡ عِلۡمٖ﴾) (مِن): زائدة، و(عِلم): مبتدأٌ مؤخَّر، و(عند): ظرفٌ خبر مقدَّم، والمعنى: هل عندكم من شيء تحتجُّون به على ما زَعمتم من أن اللهَ راضٍ بأفعالكم فتُظهِروه لنا؟

قوله: (أي: لا عِلم عندكم) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾) جوابُ شرط مقدَّر، قدَّره المفسِّر بقوله: (إن لم يكُنْ لكم حجةٌ).

قوله: (التامة) أي: وهي إرسالُ الرسل وإنزالُ الكتب، ومعنى التامَّة: الكاملة التي لا يَعتريها نقصٌ ولا خفاءٌ.

---

(١) «الخلاصة» (باب عطف النسق).

لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا۟ ....

هِدايَتَكم ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿١٥٠﴾ ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾: أحضِروا ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ﴾ الَّذي حَرَّمتُموهُ، ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يُشرِكُون.

﴿١٥١﴾ ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (هدايتكم) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿شَآءَ﴾ محذوف.

قوله: (﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾) أي: ولكنَّه لم يشَأْ ذلك، فلم يحصُلْ، ومحطُّ التعليق على هداية الجميع، وأما هدايةُ البعض فقد حصَلت.

قوله: (﴿قُلْ هَلُمَّ﴾) فيها لغتان، لغةُ أهل الحجاز عدمُ إلحاقها شيئاً من العلامات، فهي بِلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمثنى والمجموع، والقرآنُ جاءَ عليها، وعلى ذلك: فهي اسمُ فعل بمعنى: أحضِروا، ولغةُ تميم، وهي إلحاقُها العلامات، فتقول: هلمُّوا وهلمِّي وهلمَّا وهَلمُمْن، وعليها: فهي فعلُ أمر، وهذا الأمرُ لمزيد التبكيت لهم وإقامةِ الحجة عليهم.

قوله: (﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾) أي: بعد مجيئهم وحُضورهم.

قوله: (﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ﴾) أي: لا تُصدقْهم ولا تَمِل لقولهم، وهذا خطابٌ له والمرادُ غيرُهُ؛ لاستحالته عليه.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾) معطوفٌ على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾.

قوله: (﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾) الجملةُ حالية، ومعنى ﴿يَعْدِلُونَ﴾: يُسوُّون به غيرَهُ، والمعنى: لا تتبع الذين يَجمعون بين التكذيبِ بآيات الله وبين الكفرِ بالآخرة والإشراكِ بالله في أهوائهم.

قوله: (﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾) لما أقامَ الله سبحانه وتعالى الحجَّةَ على الكفار بأنه لا تحليلَ ولا تحريمَ إلا بما أحلَّه اللهُ أو حرَّمَهُ.. كأنَّ سائلاً قال: وما الذي حرَّمَهُ وأحلَّهُ؟ فقال سبحانه: ﴿قُلْ

أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ....

أَتْلُ﴾: أقرأْ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَ﴾نْ ـ مُفَسِّرة ـ ....

حاشية الصاوي

تَعَالَوْا...﴾ إلخ، وتعالَوا: فعلُ أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وهو في الأصل موضوع لِطلب الارتفاع من مكان سافِل إلى مكان عالٍ، ثم استُعملَ في الإقبال والحضور مطلقاً، وآثرها إشارةً إلى أنهم في أسفل الدَّركات وهو يطلبُهم للرفع والعُلو من أخسِّ الأوصاف إلى أكملها وأعلاها، كأنه قال: أقبلوا إلى المعالي؛ لأنَّ من سمعَ أحكامَ الله وقبلَها بنصحٍ كان في أعلى الرُّتب.

قوله: (﴿أَتْلُ﴾) جوابُ الأمر مجزوم بحذف الواو، والضمةُ دليل عليها، وقيل: جوابٌ لشرط محذوف تَقديره: إن تأتوا أتلُ؛ أي: أقرَأْ ما حرَّمَ الله عليكم.

قوله: (﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾) ﴿مَا﴾: اسم موصول، و﴿حَرَّمَ﴾: صلته، والعائدُ محذوف، و﴿رَبُّكُمْ﴾: فاعل ﴿حَرَّمَ﴾، وقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ تنازَعه كلٌّ من ﴿أَتْلُ﴾ و﴿حَرَّمَ﴾، أعمل الثاني وأضمرَ في الأول وحذف؛ لأنه فَضلة، وحاصلُ ما ذكر في هاتين الآيتين عشرةُ أشياء؛ خمسةٌ بصيغ النهي، وخمسةٌ بصيغ الأمر، وقدَّمَ المنهيَّ عنه؛ لأنَّ درءَ المفاسد مقدَّمٌ على جلب المصالح، ولأنَّ المنهيَ عنه مأمورٌ باجتنابه مطلقاً، والمأمور به على حسَبِ الاستطاعة؛ لما في الحديث: «**ما نهيتُكم عنه فاجتَنبوه، وما أمرتكم به فأتُوا منه ما استَطعتم**»[1]، ووسَّطَ بينهما الأمرَ ببرِّ الوالدين اعتناءً بشأنه؛ لِكونه أعظمَ الواجبات بعد التوحيد، وهذه العشرةُ لا تختلفُ باختلاف الأُمَم والأعصار، بل أجمعَ عليها جميعُ أهل الأديان، قال ابنُ عباس: (هذه آياتٌ محكَمات لم ينسخهنَّ شيءٌ في جميع الكتب، وهنَّ محرَّمات على بني آدم كلِّهم، وهنَّ أُمُّ الكتاب، من عملَ بهن دَخلَ الجنة، ومَن تركهُنَّ دخلَ النار)[2].

قوله: («أنْ» مفسرة) أي: وضابطُها موجودٌ، وهو أن يتقدَّمَها جملةٌ فيها معنى القول دُون حروفه، واستُشكلَ: بأن هذا يقتضي أن جميعَ ما يأتي محرَّمٌ مع أن بَعضه مأمورٌ بفِعله على سبيل الوجوب! أجيبَ بأجوبة؛ منها: أن التحريمَ في المنهي عنه ظاهرٌ، وفي المأمور به باعتِبار أضدادها،

---

(١) رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «تفسير البغوي» (٢/ ١٧١).

أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ....

﴿لَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ﴾ أحسِنُوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم﴾ بالوأدِ ﴿مِّنْ﴾ أجلِ ﴿إِمْلَاقٍ﴾: فقرٍ تخافونه، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾: الكبائِرَ كالزِّنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: علانيتَها وسِرَّها، ....

حاشية الصاوي

فالمعنى: حرَّمَ فعلاً وهي المنهيات، أو تركاً وهي المأمورات، ومنها: أن في الكلام حذفَ الواوِ مع ما عَطفت، والتقديرُ: ما حرَّمَ عليكم وما أمركم به، ثم فرَّعَ بعد ذلك على المذكور والمحذوف، والأقربُ الأول.

قوله: (﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾) أي: لا في الأقوال، ولا في الأفعال، ولا في الاعتقادات.

قوله: (﴿إِحْسَانًا﴾) مفعولٌ مطلق لفعل محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (أحسِنوا)، والمرادُ بالوالدين: الأبُ والأمُ وإن عَلَيا.

قوله: (بالوأد) تقدَّمَ أنه الدفنُ بالحياة.

قوله: (﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾) يُطلقُ بمعنى الفقر والإفلاس والإفساد، والمرادُ هنا الأول.

قوله: (﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾) هذا في معنى التعليل للنهي المتقدِّم، والمعنى: لا تَقتلوا أولادكم من أجل حُصول فقر؛ لأنَّ رزقَكم ورزقَهم علينا لا على غيرنا، وقال هنا: ﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾، وقال في (الإسراء): ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾؛ لأن ما هنا في الفقرِ الحاصل بالفعل، وما في (الإسراء) في الفقر المتوقَّع، فهو خطابٌ لِلأغنياء، وقدَّمَ هنا خطابَ الآباء وهناك ضميرَ الأولاد قيل: تفنُّناً، وقيل: قدَّمَ هنا خطابَ الآباء تعجيلاً لِبشارة الآباء الفقراء بأنهم في ضَمانة الله، وقدَّمَ هناك ضميرَ الأولاد لتطمئنَّ الآباءُ بضمان رزق الأولاد، فهذه الآيةُ تفيدُ النهيَ للآباء عن قتلِ الأولاد وإن كانوا متلبِّسين بالفقر، والأخرى عن قتلهم وإن كانوا مُوسِرين ولكن يَخافون وقوعَ الفقر.

قوله: (﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾) هذا أعمُّ ممَّا قبله؛ لأنَّ من جملة الفواحش قتلَ الأولاد.

قوله: (أي: علانيتها) أي: كالقتلِ والزنا والسرقة وجميعِ المعاصي الظاهِرية، وقوله: (وسرَّها) أي: : كالعُجْب والرياء والكبر والحسد وجميعِ المعاصي القلبيَّة.

وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ....

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ كالقَوَدِ وحَدِّ الرِّدَّة ورَجمِ المُحصَن، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المَذكُورُ ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تَتدبَّرون.

﴿١٥٢﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى﴾ أي: بِالخَصلةِ الَّتي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ وهيَ ما فِيهِ صَلاحُه، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ﴾) عطفُ خاصٍّ على عام، ونكتتُهُ الاستثناءُ بعده.

قوله: (﴿ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾) مفعولُ ﴿حَرَّمَ﴾ محذوف؛ أي: قتْلَها.

قوله: (﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾) في محلِّ نصب على الحال، أو صفة لمصدر محذوف، والتقديرُ: ولا تقتلوا النفسَ التي حرَّمَ اللهُ إلا مُلتبسين بالحقِّ، أو قتلاً ملتبساً بالحقِّ، وهو استثناءٌ مفرَّغٌ؛ أي: لا تَقتلوها في حال من الأحوال إلا في حال مُلابستكم بالحقِّ[1].

قوله: (كالقود) أي: القصاص، وقوله: (وحد الرِّدة) أي: لما في الحديث: «مَنْ بدَّلَ دينَهُ فاقتلوه»[2]، وقوله: (ورجم المحصن) أي: بشروطِهِ هو وما قبله المذكورةِ في الفروع.

قوله: (﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾) مبتدأٌ وخبر، وقوله: (المذكور) إشارةٌ إلى أن اسمَ الإشارة عائدٌ على ما تقدَّمَ من تلك الأمور.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾) خَتمَ هذه الآيةَ بذلك؛ لأنها اشتَملت على خمسة أشياءَ عِظام، والوصيةُ فيها أبلغُ منها في غيرها؛ لِعموم نفعها في الدين والدنيا، فختمَها بالعقل الذي هو مَناطُ التكليف.

قوله: (أي: بالخصلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾) أشارَ بذلك إلى أنه نعتٌ لمصدر محذوف، والمعنى: لا تقربوا مالَ اليتيم في حالةٍ من الحالات إلا في الحالة التي هي أحسَنُ لليتيم.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾) غايةٌ لما يفهمُ من النهي، كأنه قال: احفظوهُ إلى بلوغ أشدِّهِ، فسلِّموه له حينئذٍ.

---

(١) وهذا الاستثناء راجع لقوله: (لا تقتلوا)، لا لقوله: (حرَّم). «الفتوحات» (٢/ ١٠٩).

(٢) رواه البخاري (٣٠١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ ....

بِأنْ يحتلِمَ، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بِالعَدلِ وتَركِ البَخسِ، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طاقَتَها في ذلك، فإنْ أخطأ في الكَيل والوَزنِ والله يَعلَم صِحَّةَ نِيَّتِه، فلا مُؤاخَذةَ علَيهِ كما وَرَدَ في حَدِيث، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حُكمٍ أو غَيرِه ﴿فَاعْدِلُوا﴾ بِالصِّدقِ ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المَقُولُ لَه أو علَيهِ ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾: قَرابةٍ، ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ـ بِالتَّشدِيد ـ: تَتَّعِظُون، والسُّكونِ.

حاشية الصاوي

قوله: (بأن يحتلم) هذا تفسيرٌ لِبُلوغ الأشد باعتبار أول زمانه، وسيأتي في (الأحقاف) تفسيرُهُ باعتبار آخره، وهو ثلاثٌ وثلاثون سنة؛ لأن الأشدَّ هو قوةُ الإنسان وشدَّتُهُ، ومبدؤُهُ البلوغُ، وينتهي لثلاث وثلاثين سنة.

قوله: (﴿بِالْقِسْطِ﴾) متعلِّقٌ بمحذوف إما حال من فاعل (أوفوا) أو من مفعوله؛ أي: أوفوهما حالَ كونكم مُقسطين، أو حالَ كونهما تامَّين.

قوله: (وترك البخس) أي: النقصِ في الكيل أو الوزن.

قوله: (فلا مؤاخذةَ عليه) أي: لا إثمَ، ولكنه يضمنُ ما أخطأ فيه؛ لأن العمدَ والخطأَ في أموال الناس سَواء.

قوله: (﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾) المرادُ بالقول ما يعمُّ الفعل، وقوله: (﴿فَاعْدِلُوا﴾ بالصدق) أي: لا تتركوه في القول ولا في الفعل، وإنما خصَّ القولَ تنبيهاً بالأدنى على الأعلى.

قوله: (﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ﴾) إما مضاف لِفاعله؛ أي: ما عهدَهُ إليكم، أو لمفعوله؛ أي: ما عاهَدتم الله عليه.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾) ختمَها بذلك؛ لأنَّ هذه الأمورَ خفيَّةٌ غامضة لا بدَّ فيها من الاجتهاد والتذكُّر.

قوله: (والسكون) صوابُهُ: والتخفيف؛ إذ لم يُقرأْ بسكون الذال، فمن شدَّدَ قلبَ التاء ذالاً وأدغمها في الأخرى، ومن خفَّفَ حذفَ إحدى التاءَين (١).

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال، والباقون بالتشديد. «السراج المنير» (١/٤٥٨).

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ....

﴿١٥٣﴾ ﴿وَأَنَّ﴾ - بِالفتحِ على تَقدِير اللَّام، والكَسرِ استِئنافاً - ﴿هَٰذَا﴾ الَّذي وَصَّيتُكُم بِه ﴿صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ - حالٌ - ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالفتح) أي: مع التشديد أو التخفيف، وقوله: (والكسر) أي: مع التشديد لا غير، فالقراءاتُ ثلاثٌ، وكلُّها سبعيَّة[١].

قوله: (على تقدير اللام) أي: على كلٍّ من الوجهين، وحينئذٍ تكون الواو عاطفةً من عَطف العلة على المعلول، والتقديرُ: كلِّفتُم بهذا الذي وصَّاكم به - من أول الربعِ إلى هنا، أو من أول السورة إلى هنا - لأن هذا صراطي.

قوله: (استئنافاً) أي: واقعاً في جواب سؤال مقدَّر، ومع ذلك فيها معنى التَّعليل، كأن قائلاً قال: لأيِّ شيء كُلِّفنا بما تقدَّم؟ فقيل في الجواب: إن هذا صراطي مستقيماً.

ثم اعلَمْ: أنه على قراءة التشديد فاسمُ الإشارة: اسمُ (أنَّ)، و﴿صِرَٰطِى﴾: خبرُها، وعلى قراءة التخفيف فاسمُها ضميرُ الشأن، واسمُ الإشارة: مبتدأٌ، و﴿صِرَٰطِى﴾: خبرُهُ، والجملةُ خبرُ (أن)، و﴿مُسْتَقِيمًا﴾: حالٌ من ﴿صِرَٰطِى﴾ على كلِّ حال[٢].

قوله: (﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾) يصحُّ أن يرجعَ اسمُ الإشارة إلى ما تقدَّمَ من أول الربع أو مِن أول السورة.

قوله: (﴿صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾) أي: دِيني لا اعوجاجَ فيه، فشبَّهَ الدينَ القويم بالصراط بمعنى: الطريق بجامع أن كلًّا يوصلُ لِلمقصود، واستعارَ اسمَ المشبَّه به للمشبَّه على طريق الاستِعارة التصريحية الأصلية.

قوله: (﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾) أي: اسلكُوه ولا تَحودُوا عنه فتَقعوا في الهلاك[٣].

روى الدارقطنيُّ عن ابن مسعود قال: خطَّ لنا رسولُ الله ﷺ يوماً خطًّا ثم قال: «هذا سبيلُ الله»، ثم خطَّ خطوطاً عن يَمينه وخطوطاً عن شماله ثم قال: «هذه سُبُلٌ، على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو

---

(١) قرأ ابن عامر بتخفيف النون، والباقون بالتشديد، وكسرَ الهمزةَ حمزة والكسائي، وفتحها الباقون. «المصدر السابق».

(٢) حال مؤكدة، والعامل فيها اسم الإشارة. «الفتوحات» (٢/ ١١٠).

(٣) حاد يحود، ك: يَحيد. «القاموس المحيط» (ح و د).

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ....

الطُّرقَ المُخالِفةَ لَه، ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ - فِيه حَذفُ إحدَى التَّاءَينِ -: تَمِيل ﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾: دِينِه، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿١٥٤﴾ ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ، - و﴿ثُمَّ﴾ لِترتِيبِ الأخبارِ - ﴿تَمَامًا﴾ لِلنِّعمةِ ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ بِالقِيامِ بِه، ....

حاشية الصاوي

إليها»، ثم قرأ هذه الآية، وفي رواية: (أنه خطَّ خطًّا، وخطَّ خطَّين عن يمينه، وخطَّ خطَّين عن شماله، ثم وضعَ يدَهُ في الخطِّ الأوسط فقال: «هذا سبيلُ الله»، ثم تَلا هذه الآية)[1].

قوله: (الطرق المخالفة) أي: الأديانَ المباينة له، فشبَّه الأديان الباطلة بالطرق المعوجَّة بجامع أنَّ كلًّا يوصلُ صاحبَهُ إلى المهالِك، واستُعير اسمُ المشبَّه به لِلمشبه.

قوله: (﴿فَتَفَرَّقَ﴾) بالنصب بـ(أنْ) مُضمرة في جواب النهي.

قوله: (﴿ذَٰلِكُمْ﴾) أي: ما مرَّ من اتباع دينِهِ وتركِ غيره من الأديان.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾) أي: تمتثلون المأموراتِ وتجتنبون المنهياتِ، وأتى بالتقوى هنا؛ لأن الصراطَ المستقيم جامعٌ لِلتكاليف، وقد أمرَ باتباعه ونهى عن الطرق المعوجَّةِ، فناسبَ ذكرُ التقوى.

قوله: (و«ثم» لترتيب الأخبار) أي: الترتيبِ في الذكر لا في الزمان، وهو جوابٌ عمَّا يُقالُ: إن إيتاءَ موسى الكتابَ قبلَ نزولِ القرآن، فكيف يعطفُ بـ(ثمَّ) المفيدة للترتيب والتراخي؟ وأجيبَ أيضاً: بأن (ثم) لمجرَّدِ العطف كالواو، فلا ترتيبَ فيها ولا تراخيَ.

قوله: (﴿تَمَامًا﴾) مفعول لأجله؛ أي: آتيناه الكتابَ لأجل تمامِ النعمة... إلخ.

قوله: (للنعمة) أي: الدنيوية والأُخروية.

قوله: (﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾) متعلّق بـ﴿تَمَامًا﴾، ومعنى (أحسَن): قامَ به الحسنُ، وهو الصفاتُ

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ١٣٧)، والسياق عنده، وقول المصنف: (الدارقطني) تبع فيه شيخه العلامة الجمل، والصواب: (الدارمي) في «سننه» (٢٠٨)، والرواية الثانية عند ابن ماجه (١١).

وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ ....

﴿وَتَفْصِيلًا﴾: بَياناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يُحتاج إلَيهِ في الدِّين، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾ أي: بَني إسرائيلَ ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾: بِالبَعثِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١٥٥﴾ ﴿وَهَٰذَا﴾ القُرآنُ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ يا أهلَ مَكَّة بِالعَمَلِ بِما فِيه، ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ الكُفرَ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿١٥٦﴾ أَنْزَلْناهُ لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوٓاْ ....

حاشية الصاوي

الجميلة، وقوله: (بالقيام به) سببٌ لكونه قامَ به الحسن، والمعنى: تماماً على المحسِن منهم بسبب قيامه به؛ أي: اتباعِهِ له وامتثالِهِ مأموراته واجتنابِهِ منهيَّاته.

قوله: (﴿وَتَفْصِيلًا﴾) عطفٌ على ﴿تَمَامًا﴾.

قوله: (أي: بني إسرائيل) أي: المدلولَ عليهم بذكر موسى والكتاب.

قوله: (﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾) متعلِّق بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، قُدِّمَ عليه للفاصلة.

قوله: (﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾) مبتدأٌ وخبر، وجملةُ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ نعتُ أول لـ﴿كِتَٰبٌ﴾، و﴿مُبَارَكٌ﴾: نَعتٌ ثانٍ له؛ أي: كثير الخير والمنافع ديناً ودنيًا، والمعنى: وهذا القرآنُ العظيمُ كتابٌ أنزلناه من اللَّوح المحفوظ ليلةَ القدر إلى سماء الدنيا في بَيت العزة[1]، ثم نزلَ مفرَّقاً على حسَبِ الوقائع، مباركٌ كثيرُ الخير والمنافع في الدنيا بِالشفاء به والأمنِ من الخَسف والمسخِ والضلال، والآخرة بتَلقي السؤال عن صاحبه، وشهادتِهِ له، وكونِهِ ظُلَّةً على رأسه في حرِّ الموقف، والرقيِّ به إلى الدرجات العلى.

قوله: (يا أهل مكة) قصرَ الخطابَ عليهم؛ لأنهم المعانِدون في ذلك الوقت.

قوله: (بالعمل بما فيه) بيانٌ لاتباعه.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾) أي: تصيبُكم الرحمةُ في الدنيا والآخرة.

قوله: (﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾) مفعولٌ لأجله، والعاملُ محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (أنزلناه)، ولا يصحُّ أن يكونَ العاملُ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ المذكور؛ لأنه يلزمُ عليه الفصلُ بين العامل والمعمول بأجنبي وهو لفظُ

---

(١) تقدم الحديث عن هذا أول الكتاب. انظر (١/ ٥٥).

إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ

﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾ اليَهُودِ والنَّصارَى ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن﴾ ـ مُخفَّفة واسمُها مَحذُوف ـ أي: إنَّا ﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: قِراءتِهم ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ لِعَدَمِ مَعرِفَتِنا لَها؛ إذ لَيسَت بِلُغَتِنا.

﴿١٥٧﴾ ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لِجَودَةِ أذهانِنا، ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾: بَيانٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لِمَن اتَّبَعَهُ، ....

حاشية الصاوي

﴿مُبَارَكٌ﴾، وقدَّر المفسِّرُ (لا)؛ لأن الإنزالَ علَّةٌ لعدم القول لا لِلقول، وقال بعضُهم: إن الكلامَ على حذف مضاف؛ أي: كراهةَ أن تقولوا، وكلٌّ صحيح.

قوله: (﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ﴾) أي: جنسُهُ الصادقُ بالتوراة والإنجيل.

قوله: (﴿وَإِن﴾ مخففة) أي: من الثقيلة.

قوله: (واسمها محذوف... إلخ) فيه شيءٌ، وذلك لأن (إن) المكسورة إذا دَخلت على فعلٍ ناسخ مثلَ (كُنَّا) أهملت، فلا عملَ لها، ووجب اقترانُ الخبر باللام، وذلك كما في هذه الآية[1].

قوله: (قراءتهم) أي: لِكتبهم، والمعنى: لا تفهمُ معانيها؛ لأنها بالعبرانية أو السريانية، ونحن عربٌ لا نعرفُ إلا اللغةَ العربية.

قوله: (﴿لَغَٰفِلِينَ﴾) أي: لا نَعلمها، والمقصودُ: قطعُ حجَّتهم وعذرهم بإنزال القرآن بلُغتهم، والمعنى: أنزلنا القرآنَ بلغتهم لئلا يقولوا يومَ القيامة: إن التوراةَ والإنجيلَ أُنزلا على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم نفهمْ ما فيهما.

قوله: (﴿أَوْ تَقُولُوا۟﴾) عطفٌ على المنفي، وهو قطعٌ لِعذرهم أيضاً.

قوله: (﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾) أي: إلى الحقِّ والطريق المستقيم.

قوله: (﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾) أي: لا تَعتذروا بذلك؛ فقد جاءكم.

---

(١) فيه أن الإمام السيوطي ذكر معمولاً لها وهي لا عمل لها في مثل هذه الحال، وقد يقال: لما ذكر أنها مخففة من الثقيلة ذكر معمولاً لأصلها لا لها.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ....

﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحـد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ﴾: أعـرض ﴿عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: أشَدَّهُ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾.

﴿١٥٨﴾ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما يَنتَظِر المُكَذِّبون ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ - بِالتَّاءِ والياء - ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لِقَبضِ أرواحِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لا أحد) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾) أي: العذاب السيِّئ، بمعنى: الشديد.

قوله: (﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾) الباءُ: سببيَّة، و(ما): مصدرية؛ أي: بسببِ إعراضِهم وتكذيبهم بآيات الله.

قوله: (﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾) استفهامٌ إنكاريٌّ بمعنى النفي، وهو مزيدُ تخويفٍ وتحذير لمن بقيَ على الكُفر.

إن قلتَ: إن ظاهرَ الآية يقتضي أنهم مُصدِّقون بهذه الأشياء حتى أثبتَ لهم انتظارَ أحدها!

أجيبَ: بأن هذه الآية الأشياء لما كانت محتَّمةً عُومِلوا معاملةَ المنتظر ولم يُعوَّلْ على اعتقادهم، فالمعنى: لا مفرَّ لهم من ذلك.

قوله: (ما ينتظر المكذبون) أي: من أهل مكَّةَ وغيرهم.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]؛ لأن جمعَ التكسير يجوزُ تأنيثُهُ وتذكيره، تقول: قامَ الرجالُ، وقامَتِ الرجالُ.

قوله: (﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾) أي: عزرائيلُ وأعوانُهُ، أو ملائكةُ العذاب؛ لما تقدَّمَ أن الكافرَ موكَّلٌ بأخذ روحه سبعٌ من ملائكة العذاب[2].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بالياء التحتية، والباقون بالتاء. «السراج المنير» (١/ ٤٦٠).

(٢) انظر (٢/ ٣٨٤).

أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ....

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: أمرُه بِمَعنَى عَذابُه، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أي: عَلاماتِه الدَّالَّة على السَّاعةِ، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ وهيَ طُلُوع الشَّمسِ مِن مَغرِبها ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أمره) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف[1]، ودفعَ بذلك توهُّمَ حقيقةِ الإتيان؛ وهو الانتقالُ من مكان إلى آخر؛ إذ هو مستحيلٌ على الله تعالى[2].

قوله: (بمعنى عذابه) أي: المعجَّلِ لهم؛ إما بالسيف أو غيره.

قوله: (الدالة على الساعة) أي: على قربِها، والعلاماتُ الكبرى عشرةٌ، وهي: الدجَّالُ، والدابَّةُ، وخَسْفٌ بالمشرق، وخَسْفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ بجزيرة العرب، والدخانُ، وطلوعُ الشمس من مَغربها، ويأجوجُ ومأجوجُ، ونزولُ عيسى، ونارٌ تخرجُ من قعر عدن تسوقُ الناسَ إلى المحشر.

قوله: (﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾) ﴿يَوْمَ﴾: معمولٌ لـ﴿يَنفَعُ﴾ على الصحيح من أن ما بعد (لا) يعملُ فيما قبلها.

قوله: (وهو طلوع الشمس من مغربها) وردَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال يوماً: **«أتدرون أينَ تذهبُ هذه الشمس إذا غربت؟»**، قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلم، قال: **«إنها تذهبُ إلى مستقرِّها تحتَ العرش، فتخرُّ ساجدةً، فلا تزالُ كذلك حتى يُقالَ لها: ارتفعي فارجِعي من حيث جئتِ، فتصبحُ طالعةً من مطلعِها، وهكذا كلُّ يوم، فإذا أرادَ اللهُ أن يطلعَها من مغربها حبَسها، فتقول: يا ربِّ؛ إن مَسيري بعيد، فيقول لها: اطلعي من حيث غَربت»**، فقال الناسُ: يا رسولَ الله؛ هل لِذلك من آية؟ قال: **«آيةُ تلك الليلة أن تطولَ قدر ثلاثَ ليالٍ، فيستيقظُ الذين يخشون ربَّهم فيُصلُّون ثم يقضون صلاتَهم والليلُ مكانَهُ لم يَنقضِ، ثم يأتون مضاجعَهم فيَنامون حتى إذا استيقظوا والليلُ مكانَهُ خافوا أن يكونَ ذلك بين يدَي أمرٍ عظيم، فإذا أصبحوا طالَ عليهم طلوعُ الشمس، فبَينما هم ينتظرونها إذ طلَعت عليهم من قِبَلِ المغرب»**[3].

---

(١) وهو ما مشى عليه القاضي البيضاوي في «تفسيره» (٢/ ١٩٠) وجمهرة من المفسرين.

(٢) وناسب ذكر هذه الأشياء مقابلة لقولهم من قبل: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ ونحوها من الآيات. انظر «إرشاد العقل السليم» لأبي السعود (٣/ ٢٠٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٥٨)، وأصله عند مسلم (١٥٩).

لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ....

كما في حَدِيث «الصَّحِيحَين»، ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ ـ الجُملةُ صِفة (نفس) ـ، ﴿أَوْ﴾ نَفساً لَم تَكُن ﴿كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾: طاعةً، أي: لا تَنفعُها تَوبَتُها كما في الحَدِيثِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (كما في حديث «الصحيحين») أي: وهو كما في «البخاري» عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مَغربها»[1]، ورُوِيَ: أن أَوَّلَ الآيات ظهورُ الدجَّال، ثم نزولُ عيسى، ثم خروجُ يأجوجَ ومأجوج، ثم خروجُ الدابَّة، ثم طلوعُ الشمس من مَغربها وهو أَوَّلُ الآياتِ العظام المؤذنةِ بتغيُّرِ أحوال العالم العُلوي، وذلك أن الكفَّارَ يُسلمونَ في زمن عيسى، فإذا قُبضَ ومَن معه من المسلمين رجعَ أكثرُهم إلى الكفر، فعند ذلك تَطلعُ الشمسُ من مغربها[2].

قوله: (﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا﴾) أي: كافرة أو مؤمنةً عاصية، ويكون قوله: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ﴾ راجعاً للأولى، وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾ راجعاً للثانية، ويكون التقديرُ: لا ينفعُ نفساً كافرةً لم تكُنْ آمنت من قبل إيمانُها الآن، ولا ينفعُ نفساً مؤمنةً تَوبتُها من المعاصي، فقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾ معطوفٌ على ﴿ءَامَنَتْ﴾، وحينئذ فيكونُ في الكلام حذفٌ قد عَلمتَه.

قوله: (الجملة صفة «نفس») أي: جملةُ ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾، وجازَ الفصلُ بين الصفة والموصوف؛ لأنه بالفاعل وهو ليسَ بأجنبي.

قوله: (﴿أَوْ﴾ نفساً لم تكن ﴿كَسَبَتْ﴾) أشارَ بذلك إلى أن المعطوفَ في الحقيقة محذوفٌ، وهو معطوفٌ على المنفي.

قوله: (كما في الحديث) رُوي عن صفوان بن عسَّال المراديِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بابٌ من قِبل المغربِ مسيرةُ عرضِهِ أربعونَ سنةً، خلقَهُ اللهُ تعالى يومَ خلقَ السماواتِ والأرض مفتوحاً للتوبةِ لا يُغلقُ حتى تطلعُ الشمسُ منه»[3]، وورَدَ: أنَّ مِنَ الأشراطِ العظام طلوعَ الشمس من مَغربها

---

(١) رواه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

(٢) انظر «شرح القسطلاني على البخاري» (٢/٤٩٧).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٣٥).

. . . .

حاشية الصاوي

وخروجَ دابَّة الأرض، وهذان أيُّهما سبقَ الآخرَ فالآخر على أثرِه[١]، وورد: صبيحةَ تطلعُ الشمسُ من مغربها يصيرُ في هذه الأمة قِردةٌ وخنازيرُ، وتُطوى الدواوينُ، وتجفُّ الأقلامُ، لا يزادُ في حسنةٍ ولا ينقصُ من سيئة، ولا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكُنْ آمنت من قبل أو كسَبت في إيمانها خيراً[٢]، وورد: لا تزالُ الشمسُ تجري من مَطلعها إلى مغربها حتى يأتيَ الوقتُ الذي جعلَهُ الله غايةً لِتوبة عباده، فتستأذنُ الشمسُ من أينَ تطلع؟ ويستأذنُ القمرُ من أين يطلع؟ فلا يؤذنُ لهما، فيُحبَسان مقدار ثلاثَ ليالٍ للشمس وليلتين للقمر، فلا يعرفُ مقدارَ حبسهما إلا قليلٌ من الناس وهم أهلُ الأوراد وحمَلةُ القرآن، فينادي بعضُهم بعضاً، فيَجتمعون في مساجدهم بالتضرُّع والبكاء والصراخ بَقية تلك الليلة، ثم يرسلُ الله جبريلَ إلى الشمس والقمر فيقولُ: إن الربَّ تعالى يأمرُكما أن تَرجعا إلى مغاربكما، فتَطلعا منه لا ضوءَ لكما عندنا ولا نور، فتبكي الشمسُ والقمرُ من خوف يوم القيامة وخَوف الموت، فترجعُ الشمسُ والقمر فيَطلعان من مغربهما، فبينما الناسُ كذلك يتضرَّعون إلى الله والغافلون في غفَلاتهم إذْ نادى منادٍ ألا إن بابَ التوبة قد أُغلِق، والشمسُ والقمرُ قد طلعا من مغاربهما، فينظرُ الناسُ وإذا بهما أسودَين كالعِكْمَين؛ أيْ: الغرارتين العظيمتين لا ضوءَ لهما ولا نور[٣]، فذلِك قوله: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]، فيرتفعان مثلَ البعيرَين المقرنين ينازعُ كلٌّ منهما صاحبَهُ استباقاً، ويتصايحُ أهلُ الدنيا، وتذهلُ الأُمهاتُ عن أولادها، وتضعُ كلُّ ذات حملٍ حملَها، فأمَّا الصالحون والأبرار فإنهم ينفعُهم بكاؤُهم يومئذٍ، ويكتبُ لهم عبادةً، وأمَّا الفاسقون والفُجَّار فأخذ بقرونهما فردَّهما إلى المغرب فيغربُهما في باب التوبة، ثم يردُّ المصراعين فيلتئمُ ما بينهما، ويَصيران كأنهما لم يكنْ فيها صدعٌ ولا خَلل، فإذا أُغلق بابُ التوبة لم يُقبَلْ لعبد بعد ذلك توبةٌ، ولا تنفعُهُ حسنة يعملُها بعد ذلك إلا ما كان قبل ذلك، فإنه يُجرى لهم[٤].

وورد: أن الدنيا تمكثُ بعد طلوع الشمس من مغربها مئةً وعشرين سنة، يتمتَّعُ المؤمنون فيها أربعين سنةً لا يتمنَّون شيئاً إلا أُعطوه، ثم يعودُ فيهم الموتُ ويسرعُ فلا يبقى مؤمنٌ، ويبقى الكفارُ

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤١).

(٢) عزاه في «الدر المنثور» (٣/ ٣٩٤) لأبي الشيخ وابن مردويه عن أنس.

(٣) والعكمان أيضاً: العِدلان، شبه حقيبتين على جانبي البعير من الهودج.

(٤) رواه ابن مردويه بسند واهٍ عن ابن عباس. انظر «الدر المنثور» (٣/ ٣٩٦).

﴿قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٥٨ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝١٥٩﴾ ....

﴿قُلِ انتَظِرُوا﴾ أحدَ هذِه الأشياءِ ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلك.

﴿١٥٩﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ بِاختِلافِهم فِيه فأخَذُوا بَعضَه وتَرَكُوا بَعضَه ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: فِرَقاً في ذلك، وفي قِراءةٍ: (فارَقُوا) أي: تَرَكُوا دِينهم الَّذي أُمِرُوا بِه وهُم اليَهُودُ والنَّصارَى، ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: فلا تَتَعَرَّضْ لَهُم، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يَتولَّاهُ، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ في الآخِرةِ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

يَتهارجون في الطريق كالبهائم، حتى ينكح الرجلُ المرأة في وسَط الطريق يقومُ واحد عنها وينزلُ واحد، وأفضلُهم من يقول: لو تَنحَّيتم عن الطريق لكان أحسَن، فيكونون على مثل ذلك حتى لا يُولدُ لأحدٍ من نكاح، ثم يعقمُ الله النساءَ ثلاثين سنة، ويَكون كلهم أولاد زنا، شِرار الناس، عليهم تقومُ الساعة[(١)].

قوله: (﴿قُلِ انتَظِرُوا﴾) أمرُ تهديد؛ على حدِّ: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

قوله: (﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾) الأقرَبُ كما قال المفسِّر: أنها نزلت في اليهود والنصارى؛ لما وردَ: قامَ فينا رسولُ الله فقال: **«ألا إن مَن قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتَين وسبعين ملَّة، وإن هذه الأمةَ ستفترقُ على ثلاث وسبعين، ثِنتان وسبعون في النار، وواحدةٌ في الجنة، وهي الجماعةُ»**، وفي رواية: **«مَنْ كان على ما أنا عليه»**[(٢)].

قوله: (فأخذوا بعضه) أي: كما حكاه اللهُ عنهم بقوله في سورة (النساء): ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠].

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[(٣)].

قوله: (﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾) أي: لست مأموراً بقتالهم، وهذا ما مشى عليه المفسِّر من أنها مَنسوخة، وقيل: إنها محكمةٌ، والمعنى: أنت بريءٌ منهم ومن أفعالهم؛ لِقطع نسبِهم منك بكفرهم.

---

(١) هو تتمة الخبر السابق.

(٢) رواه أبو داوود (٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤١)، وابن ماجه (٣٩٩٣).

(٣) وقرأ حمزة بتخفيف الراء وألف قبلها، والباقون بتشديدها ولا ألف. «السراج المنير» (١/ ٤٦٠).

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ....

فيُجازِيهِم بِه، وهذا مَنسُوخٌ بِآيةِ السَّيف.

﴿١٦٠﴾ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: (لا إلَـهَ إلَّا الله) ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي: جَـزاءُ عَـشْرِ حَسَناتٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فيجازيهم به) أي: بفِعلهم، قوله: (وهذا) أي: قوله: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾.

قوله: (﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾) أي: يومَ القيامة.

قوله: (﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾) هذا إخبارٌ بأقلِّ المضاعفة، وإلا.. فقد جاءَ مضاعفةُ الحسنة بسبعين وسبع مئة أو بغير حساب.

واعلَمْ: أن المضاعفةَ تابعةٌ للإخلاص، فكلُّ من عظُمَ إخلاصُهُ كانت مضاعفةُ حسَناته أكثرَ، ومن هنا قولُهُ عليه الصلاة والسلام: «اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فوالذي نفسي بيَده؛ لو أنفقَ أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفه»[1].

وفسَّر (الحسنةَ) بـ(لا إلهَ إلا اللهُ)، وهو أحدُ تفسيرَين، والآخرُ: أن المرادَ بها كلُّ ما أمرَ اللهُ به، فيشملُ الذكرَ والصلاةَ والصدقةَ وغيرَ ذلك من أنواع البرِّ، وهو الأولى؛ لأنه إن أرادَ خصوص ما يُنجي من الشرك فذلك جزاؤُهُ دخولُ الجنة، وإن أرادَ الذكرَ بها فلا مفهومَ لها؛ لأن العبرةَ بعموم اللفظ، وأفردَ في الحسنة والسيئة؛ لأنه لو جمعَ لربما تُوهمَ أن الجزاءَ إجماليٌّ بحيث يُعطى في نظير حسَناته كلِّها عشرةَ أمثالها، بل الجزاءُ لكلِّ فرد من أفرادِ الحسنات والسيئات؛ لأن الحسَناتِ تتفاوتُ، فربما جُوزيَ على بعضها عشراً وعلى بَعضها أكثرَ.

قوله: (﴿أَمْثَالِهَا﴾) جمع (مِثْل)[2]، إن قلتَ: إنه مذكرٌ، فكان مُقتضاه تأنيثَ العدد، قال ابن مالك: [الرجز]

---

(١) جمع رحمه الله بين حديثين؛ فقد روى الترمذي (٣٨٦٢) عن عبد الله بن مغفل مرفوعاً: «اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبَّهم فبحبِّي أحبَّهم، ومن أبغضَهم فببغضي أبغضَهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى اللهَ فيوشكُ أن يأخذَهُ»، وروى البخاري (٣٦٧٣) عن أبي سعيد الخدري، ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفقَ مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه».

(٢) «المصباح المنير» (م ث ل)، وجمع مَثَل: أمثلة.

وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ . . . .

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: جَزاءَهُ، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: يُنقَصُون مِن جَزائِهِم شيئاً.

حاشية الصاوي

ثَلاثَةً بِالتَّاءِ قُلْ لِلْعَشَرَهْ فِي عَدِّ ما آحادُهُ مُذَكَّرَهْ
فِي الضِّدِّ جَرِّدْ. . . . . [1]

أجيبَ: بأنه جرَّدَ التاءَ مراعاةً لإضافة (مِثْل) لضمير الحسَنة، فكأنه اكتسبَ التأنيث من المضاف إليه، أو يُقالُ: إن (أمثال) صفةٌ لموصوف محذوف تَقديره: عشرُ حسناتٍ أمثالِها، فجرَّد العددَ من التاء مراعاةً لِلموصوف المحذوف، وإلى هذا الثاني أشارَ المفسر بقَوله: (أي: جزاءُ عشر حسنات).

قوله: (﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾) أي: الشركِ على ما قال المفسِّر؛ حيث فسَّرَ الحسنةَ بـ(لا إله إلا الله)، أو ما هو أعمُّ وهو الأولى.

قوله: (﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾) أي: إن مات غيرَ تائبٍ وجُوزي، وإلا.. فأمرُهُ مفوَّضٌ لِربه، فإن شاءَ عذَّبَهُ، وإن شاءَ عفا عنه، وأما إن مات تائباً فلا سيئةَ له؛ لأنه من المحبوبين لله، والمحبوبُ لا سيئةَ له، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال عليه الصلاةُ والسلام: «التائبُ من الذنب كمَن لا ذنبَ له»[2].

قوله: (﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾) أي: العاملون لِلحسنات والسيئات.

قوله: (ينقصون من جزائهم) هذا بالنظر لِجزاء الحسنات؛ أي: ولا يزادُ في سيئاتِ أهل العقاب، فالظلمُ نقصُ المحسِنِ والزيادةُ في المسيء، وتسميتُهُ ظلماً تنزُّلٌ منه سبحانه وتعالى، وإلا.. فالظلمُ: التصرُّفُ في مُلْكِ الغير، ولا ملكَ لأحد معه تبارك وتعالى، وأما الزيادةُ في الحسَنات فليس بِظلم، بل هو تفضُّلٌ منه وإحسان.

واعلَمْ: أن الحسنةَ تتفاوتُ والسيئةُ كذلك، فليس من تصدَّقَ بدرهم كمن تصدَّقَ بدينار وهكذا، وليس من فعلَ صغيرةً كمن فعلَ كبيرةً وهكذا، فعشرةُ أمثال الحسنة من شَكلها، ومثلُ السيئة من شَكلها.

---

(١) «الخلاصة» (باب العدد).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٥٠).

قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ ....

﴿١٦١﴾ ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ ـ ويُبدَلُ مِن محلِّه: ـ ﴿دِينٗا قِيَمٗا﴾: مُستقيماً، ﴿مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

﴿١٦٢﴾ ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: عِبادَتي مِن حَجٍّ وغيرِه، ﴿وَمَحۡيَايَ﴾: حَياتي،

حاشية الصاوي

واعلَمْ أيضاً: أن هذا الجزاءَ لمن فعلَ الحسنة والسيئة، وأما مَن همَّ بحسنة ولم يعمَلْها كُتبت له حسنةً واحدة، ومن همَّ بسيئة ولم يَعمَلْها فإن تركها خوفَ الله كُتِبت حسنةً، وإن تركها لا لِذلك لم تكتَبْ شيئاً؛ لما في الحديث، قال اللهُ تعالى: «**إذا تحدَّث عبدي بحسنة ولم يعمَلْها فأنا أكتُبها له حسنةً حتى يعملها، فإن عملَها فأنا أكتُبها له بعشر حسَنات، وإذا تحدَّثَ عبدي بسيئة ولم يعمَلْها فأنا أغفرُها له حتى يَعملها، فإن عملَها فأنا أكتُبها له بمثلِها**»[1].

قوله: (﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي﴾) (إنَّ): حرفُ توكيد ونصب، والياء: اسمها، وجملة ﴿هَدَىٰنِي رَبِّيٓ﴾ خبرُها، و(هدَى): فعلٌ ماضٍ، والياء: مفعول أول، و﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: مفعولٌ ثانٍ، و﴿رَبِّيٓ﴾: فاعل، والمعنى: قُلْ يا محمدُ لكفَّار مكة: إنني أرشدني ربِّي ووصَّلني إلى دينٍ مستقيم لا اعوجاجَ فيه.

قوله: (ويبدل من محله) أي: محلِّ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ وهو النصبُ؛ لأنه هو المفعولُ الثاني.

قوله: (﴿قِيَمٗا﴾) نعتٌ لـ﴿دِينٗا﴾ أي: لا اعوجاجَ فيه.

قوله: (﴿مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾) بدلٌ من ﴿دِينٗا﴾ أي: دِينه وشريعته وما أوحى به إليه.

قوله: (﴿حَنِيفٗاۚ﴾) حالٌ من ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: مائلاً عن الضلال إلى الاستقامة.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾) عطفُ حال على أخرَى، وفيه تعريضٌ بخروج جميع مَنْ خالفَ دينَ الإسلام عن مِلة إبراهيم.

قوله: (عبادتي) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿وَنُسُكِي﴾ عطفُ عامٍّ على خاصٍّ.

قوله: (﴿وَمَحۡيَايَ ....

---

(١) رواه مسلم (١٢٩).

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ ....

﴿وَمَمَاتِي﴾: موتي، ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿١٦٣﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في ذلك، ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ أي: التوحيد ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأُمَّة.

﴿١٦٤﴾ ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾: إلَهاً أي: لا أطلُبُ غيرَه، ﴿وَهُوَ رَبُّ﴾: مالِكُ ﴿كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ذَنباً ﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾ ....

حاشية الصاوي

وَمَمَاتِي﴾) قرأ نافعٌ بسكونِ ياء (محياي) وفتحِ ياء (مماتي)، والباقون بالعكس.

قوله: (﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) الجارُّ والمجرور متعلِّق بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾، ولكن يُقدر بالنسبة للعبادة: خالصة، وبالنسبة لِلحياة والموت: مخلوقة.

قوله: (في ذلك) أي: الصلاةِ والنسك والمحيا والممات.

قوله: (﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾) أي: المنقادِين لله، واستُشكل: بأنه تقدَّمَهُ الأنبياءُ وأُمَمُهم! وأجاب المفسِّر: بأن الأوَّلية بِالنسبة لأُمته[1]، وأُجيبَ أيضاً: بأن الأوَّلية بالنسبة لعالم الذرِّ، فهي حقيقيةٌ.

قوله: (﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾) نزلت لما قالَ الكفَّارُ: يا محمدُ؛ ارجع إلى دِيننا[2]، و(غير) منصوب بـ﴿أَبْغِى﴾، و﴿رَبًّا﴾: تمييزٌ، وقوله: (إلهاً) تفسيرٌ لـ﴿رَبًّا﴾.

قوله: (أي: لا أطلب) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾) الجملةُ حاليَّة، والمعنى: لا يَليقُ أن أتخذَ إلهاً غيرَ الله والحالُ أنه مالكُ كلِّ شيء.

قوله: (﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾) ردٌّ لِقولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ أي: يكتبُ علينا ما عَمِلتم من الخطايا.

قوله: (﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾) أي: إلا في حال كونِه مكتوباً عليها، لا على غيرها.

---

(١) روي عن قتادة كما في «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٨٥).

(٢) «تفسير البغوي» (٢/ ١١٣).

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ ....﴾

﴿وَلَا تَزِرُ﴾: تَحمِلُ نَفسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾: آثِمةٌ ﴿وِزْرَ﴾ نَفسٍ ﴿أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿١٦٥﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ جمع (خَلِيفةٍ)، أي: يَخلُف بَعضُكُم بَعضاً فِيها، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بِالمالِ والجاهِ وغيرِ ذلك؛ ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: لِيَختَبِرَكم

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾) أي: ولا غيرُ وازرة، وإنما قيَّدَ بالوازرة مُوافقةً لسبب النزول، وهو أن الوليدَ بن المغيرة كان يقولُ للمؤمنين: اتبعوا سَبيلي أحملْ عنكم أوزاركم، وهو وازِر[1].

قوله: (﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾) **إن قلتَ**: كيف هذا مع قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، وقولِهِ عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ سنَّ سنة سَيئة فعليه وزرُها ووزرُ من عملَ بها إلى يوم القيامة**»[2]؟

أجيبَ: بأنَّ ما هنا محمولٌ على من لم يتسبَّبْ فيه بوجهٍ، وفي الآية الأخرى والحديث محمولٌ على من تسبَّبَ فيه، فعليه وِزْرُ المباشرة ووزرُ التسبُّبِ، ووزرُ الفاعل لا يفارقُهُ.

قوله: (﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾) أي: يُخبركم ويعلمكم.

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾) أي: من الأديان والمِلل.

قوله: (**أي: يخلف بعضكم بعضاً فيها**) أشارَ بذلك إلى أن إضافةَ ﴿خَلَائِفَ﴾ لـ﴿الْأَرْضِ﴾ على معنى (في).

قوله: (﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾) أي: خالفَ بين أحوالكم؛ حيث جعلَ مِنكم الحسنَ والقبيح، والغنيَّ والفقير، والعالمَ والجاهل، والقويَّ والضعيف؛ لِيَبلوكم فيما آتاكم، وليس عجزاً عن مساواتكم؛ فإنه منزَّهٌ عنه سبحانه.

قوله: (**ليختبركم**) أي: يعاملكم معاملةَ المختبر، وإلا.. فلا يخفى عليه شيءٌ.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ١٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم (١٠١٧).

﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ١٦٥﴾

﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾: أعطاكم؛ لِيَظهَرَ المُطِيع مِنكُم والعاصِي، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لِمَن عَصاهُ، ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ﴾ لِلمُؤمِنِين ﴿رَّحِيمُۢ﴾ بِهِم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أعطاكم إياه) أي: مِن الغنى والفقر ليتبيَّنَ الصابرُ والشاكرُ من غيرهما.

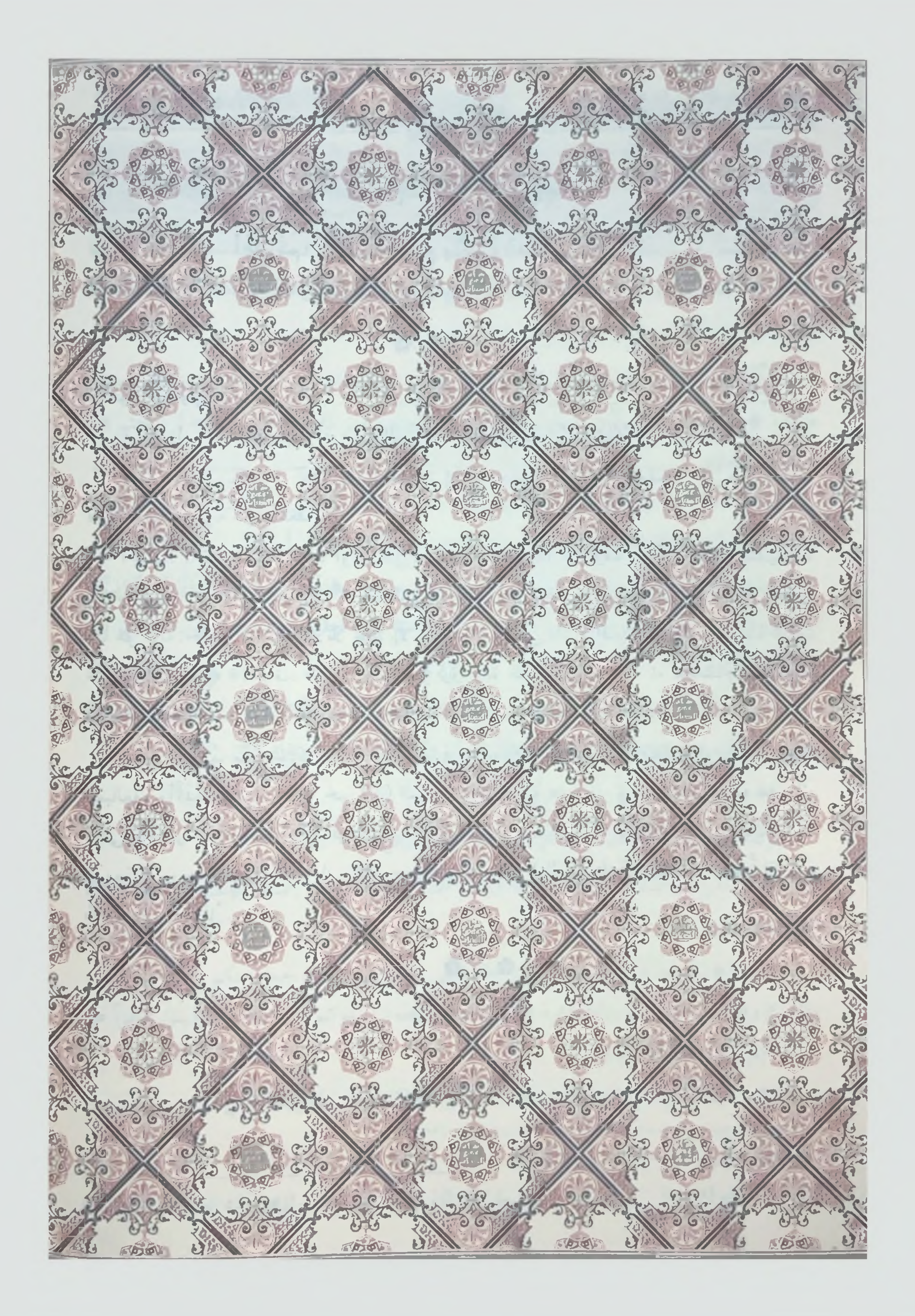
قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾) إن قلتَ: إن اللهَ حليمٌ لا يعجلُ بالعقوبة على مَن عصاه، فكيف وُصِفَ بكونه سريعَ العقاب؟

أجيبَ: بأن كلَّ آتٍ قريب، أو المعنى: سريع العقاب إذا جاء وَقته. وأكَّدَ الجملة الثانية هنا باللام وفي (الأعراف) الجملتين[1]؛ لأن الوعيدَ المتقدِّمَ هنا أخفُّ من الوعيد المتقدِّم هناك، فالوعيدُ هنا هو قوله: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾، وأما في (الأعراف) فهو قوله: ﴿وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، وقوله: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، فالمقامُ هنا لِغَلبة الرحمة؛ فلذلك أُكِّدت دون العقاب، وأما هناك فالمقامُ لهما؛ فلِذلك أُكِّدا معاً.

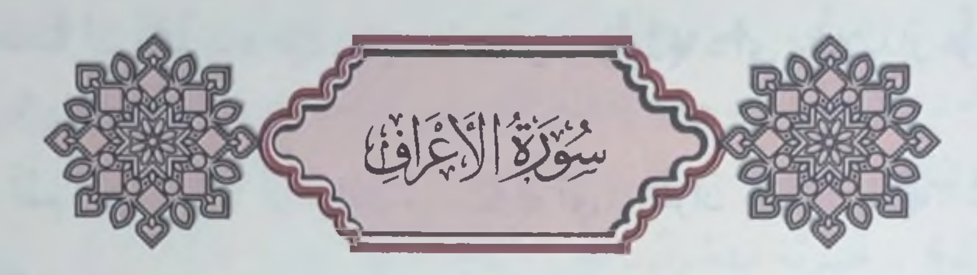
قوله: (﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾) جعل خبرَ (إنَّ) في هذه الآية من الصفات الذاتية الوارِدة على بناء المبالغة، وأكَّدَهُ باللام، وجعل خبرَ (إن) السابقة صفةً جاريةً على غير مَنْ هي له؛ للتنبيهِ على أنه تعالى غفورٌ رحيم بالذات مبالغٌ فيهما، ومعاقبٌ بالعرض مسامِحٌ في العقوبة، ومعنى (بالذات): أن مغفرتَهُ ورحمتَهُ لا تتوقَّفُ على تأهُّلٍ من العبد، ومعنى (بِالعرض): أن عقابَهُ لا يكونُ إلا بعد صُدور ذنبٍ، فتأمَّلْ.

✿ ✿ ✿

(١) أي: في قوله جل شأنه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.



﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ....



مَكيَّة، إلَّا ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ...﴾ الثمانَ أو الخمسَ آيات، مِائتان وخمس أو ست آياتٍ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿الٓمٓصٓ﴾ الله أعلَم بِمُرادِه بِذلك.

﴿٢﴾ هذا ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ خِطاب لِلنَّبيِّ ﷺ، ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ﴾: ضِيقٌ ﴿مِّنۡهُ﴾ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الأَعْرَافِ

سُمِّيت بذلك؛ لذكر أهل الأعراف فيها؛ من باب: تَسمية الشيء بجزئه.

قوله: (مكية) تقدَّمَ أن المكِّيَّ: ما نزلَ قبل الهجرة وإنْ بأرضِ المدينة.

قوله: (الثمان) أي: ومُنتهاها: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾، وقوله: (أو الخمس) أي: ومنتهاها: ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) هذا أحدُ أقوال وتقدَّمَ جملةٌ منها، وقد ذكرَ هذا القول الخازنُ بقوله: (هي حروفٌ مقطَّعة استأثرَ اللهُ بِعلمها، وهي سِرُّهُ في كتابه العزيز)[1].

قوله: (هذا ﴿كِتَٰبٌ﴾) قدَّره؛ إشارةً إلى أن ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر لمحذوف، واسمُ الإشارة عائدٌ على القرآن بمعنى القَدْرِ الذي نزلَ منه، وجملة ﴿أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ نعتٌ لـ﴿كِتَٰبٌ﴾ قُصدَ به تشريفُ النازل والمنزل عليه.

قوله: (﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾) (لا): ناهية، و﴿يَكُن﴾: مجزوم بها، و﴿فِي صَدۡرِكَ﴾:

---

(١) «تفسير الخازن» (٢/ ١٨٠) دون نسبة.

لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ....

أن تُبَلِّغَهُ مَخافةَ أن تُكَذَّب؛ ﴿لِتُنذِرَ﴾ ـ مُتعلّق بـ﴿أُنزِلَ﴾ ـ أي: لِلإنذارِ ﴿بِهِۦ وَذِكْرَىٰ﴾: تذكِرةً ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِه.

﴿٣﴾ قُل لَهُم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: القُرآنَ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟﴾: تتَّخذُوا ....

حاشية الصاوي

خبرها مقدَّم، و﴿حَرَجٌ﴾: اسمها مؤخَّر، و﴿مِّنْهُ﴾: صفةٌ لـ﴿حَرَجٌ﴾، وهو نهيٌ عن المسبَّب وفي الحقيقة النهيُ عن أسباب الحرج، والمعنى: لا تَتعاطَ أسباباً تُوجبُ الحرجَ.

قوله: (أن تبلِّغه) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف؛ أي: مِن تبليغه، ويصحُّ أن الضمير عائدٌ على المنزَّل أو الإنزال أو الإنذار[1].

قوله: (﴿لِتُنذِرَ﴾) من الإنذار، وهو التخويفُ مِن عذاب الله بسبب مُخالفته.

قوله: (متعلق بـ﴿أُنزِلَ﴾) أي: واللامُ للتعليل، فهو مفعولٌ لأجله، وإنما جُرَّ باللام لِفَقد بعض الشروط، ولأنه اختلفَ مع عامِله في الزمان والفاعل؛ لأن زمنَ الإنزال غيرُ زمن الإنذار، وفاعل الإنزال الله تعالى، وفاعل الإنذار النبيُّ ﷺ.

قوله: (﴿وَذِكْرَىٰ﴾) إما في محلٍّ نصب عطف على (تُنذر)، أو في محلٍّ رفع خبر لمحذوف، تقديرُهُ: هو ذكرى، أو في محلٍّ جر عطف على المصدرِ المنسبك من (أنْ) المقدرة بعد اللام والفعل، والتقدير: أنزل للإنذار والتذكير، ولما كان النبيُّ مكلَّفاً بالتبليغ للكفار وإن لم يتَّعظوا به.. أسند الإنذار له، ولما كانت الموعظةُ والتذكير قائمةً بالمؤمنين عند سَماعه.. أُسندت لهم، فالواعظُ للكفار من غيرهم، والواعظُ للمؤمنين من أنفسهم، وحيث كان القرآنُ منزلاً لإنذار الكفار واتِّعاظ المؤمنين به.. فلا يحلُّ إخراجه عمَّا أنزل له، كأن يَقرأه الشخصُ في الطرقات لطلب الدنيا أو ليتغنَّى به حيث يكونُ المقصودُ من القرآن الدنيا أو التلذُّذَ بالصوت الحسن كما يتلذَّذُ بالغناء؛ فإن ذَلك من الضلال المبين الموجِب للعقوبة.

قوله: (﴿ٱتَّبِعُوا۟﴾) أمرٌ لجميع المكلَّفين أو للكافرين.

قوله: (﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾) إما متعلِّق بـ﴿أُنزِلَ﴾، أو بمحذوف حال من الموصول.

---

(١) وكلٌّ من التبليغ والإنذار يستفادان من السياق.

مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا ....

﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: اللهِ أي: غيرَه ﴿أَوۡلِيَآءَۗ﴾ تُطِيعُونَهُم في مَعصِيَتِه تعالى، ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ - بِالتَّاءِ والياء -: تَتَّعِظُونَ، - وفِيه إدغامُ التَّاء في الأصل في الذَّال، وفي قِراءة بِسُكُونِها - و﴿مَّا﴾ زائِدة لِتَأكيدِ القِلَّة -.

﴿٤﴾ ﴿وَكَم﴾ - خَبرِيَّة مَفعُولٌ - ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أُرِيدَ أهلُها ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾: أرَدنا إهلاكَها

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾) إما متعلّقٌ بقوله: ﴿لَا تَتَّبِعُواْ﴾، والمعنى: لا تَعدلوا عنه إلى غيره من الشياطين أو الكُهان، أو حالٌ من ﴿أَوۡلِيَآءَۗ﴾؛ لأنه نعت نكرة قُدِّمَ عليها، والمعنى: لا تتولَّوا من دونه أحداً من شياطين الإنس والجن لِيَحملوكم على الأهواء والبدع.

قوله: (بالتاء) أي: مع تشديد الذال بعدها، وقوله: (والياء) أي: قبل التاء مع تخفيف الذال، وقوله: (وفيه إدغام التاء) راجعٌ إلى القراءة الأولى، وقوله: (وفي قراءة بسكونها) صوابُهُ: بتخفيفها، وفيه حذفُ إحدى التاءين، فالقراءاتُ ثلاثٌ وكلُّها سبعيَّة[(١)].

قوله: (و﴿مَّا﴾ زائدة لتأكيد القلة) أي: و﴿قَلِيلٗا﴾: نعت مصدر محذوف؛ أي: تذكراً قليلاً، أو نعت ظرفِ زمان محذوف؛ أي: زماناً قليلاً، والمصدر أو الظرف مَنصوب بالفعل بعده.

قوله: (﴿وَكَم﴾ خبرية) أي: بمعنى: كثيراً، ولم تَرِدْ في القرآن إلا هكذا، ويجبُ لها الصدارة؛ لكونها على صورة (كم) الاستفهاميَّة.

قوله: (مفعول) أي: لفعل محذوف يُفسِّره قوله: ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾، من باب الاشتغال، والتقدير: وكم من قرية أهلَكنا أهلكناها، ويصحُّ أن يكون (كم) مبتدأ، وجملة ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ خبر، و﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾: تمييز لـ(كم) على كلِّ حال.

قوله: (أريد أهلها) أي: فأُطلق المحلُّ وأُريدَ الحالُّ فيه، فهو مجازٌ مرسل.

قوله: (أردنا إهلاكها) جوابٌ عمَّا يُقالُ: إن الإهلاك مسبَّبٌ عن البأس الذي هو العذاب، وظاهرُ الآية يقتضي أن العذابَ مسبَّب عن الإهلاك! فأجاب بأن الكلامَ فيه حذفٌ.

---

(١) قرأ ابن عامر بياء قبل التاء وتخفيف الذال، وقرأ حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال ولا ياء قبل التاء، والباقون بتشديد الذال ولا ياء قبل التاء. «السراج المنير» (١/٤٦٣).

فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ....

﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾: عذابُنا ﴿بَيَٰتًا﴾: ليلاً، ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾: نائِمون بِالظَّهيرة، والقَيلُولةُ: استِراحةُ نِصف النَّهار وإن لَم يَكُن مَعها نَومٌ، أي: مَرَّةً جاءَها لَيلاً ومَرَّةً جاءَها نهاراً.

﴿٥﴾ ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾: قَولَهُم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿٦﴾ ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: الأُمَمَ عن إجابَتِهم الرُّسُل وعَمَلِهم فِيما بَلَغهُم، ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عن الإبلاغِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَيَٰتًا﴾) يحتملُ أنه حالٌ، والتقديرُ: جاءها بأسُنا حال كونه بياتاً؛ أي: في البيات بمعنى الليل، أو ظرفٌ وهو المتبادرُ من عبارة المفسِّر.

قوله: (﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾) (أو): للتنويع، والجملة حالِية معطوفةٌ على ما قبلها، والواو مُقدرة، وإنما حُذفت لدفع الثقل باجتماع حرفي عَطف في الصورة، و﴿قَآئِلُونَ﴾: مِن (قال يَقيلُ) كـ: باع يَبيع، فألفُهُ منقلبةٌ عن ياء، بخلاف (قال) من القَول، فهي منقلبةٌ عن واو.

قوله: (والقيلولة) هذا قولٌ ثانٍ في تفسيرها، فتحصَّل أن القيلولة فيها قولان: النومُ وقتَ الظهر، أو الاستراحةُ في وسَط النهار وإن لم يكن معها نَوم.

قوله: (أي: مرةً جاءها ليلاً... إلخ) هذا تفسير مُراد للآية، وقوله: (جاءها) أي: جاءَ بعضَها ليلاً كقوم لوط، وقوله: (ومرة نهاراً) أي: كقَوم شعيب.

قوله: (﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾) أي: استغاثتهم وتضرُّعهم، أو المراد: قولُهم على سَبيل التحسُّر والتندُّم.

قوله: (﴿إِذْ جَآءَهُم﴾) ظرفٌ لقوله: ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾) أي: إلا قَولهم: إنا كنا ظالمين، والمعنى: أنهم لم يَقدروا على دفع العذاب عنهم، وإنما ذلك تحسُّرٌ ونَدامة طمعاً في الخلاص.

قوله: (﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾) اللام: مُوطئة لقسم محذوف، والتقدير: والله لَنسألن، وهذا إشارةٌ لعذابهم في الآخرة إثرَ بيان عذابهم في الدنيا، والمقصودُ من سؤال الأمم: زيادةُ الافتضاح لهم، ومِن سؤال الرسل: رفْعُ قدرهم وزيادةُ شرفهم وتَبكيتُ الأمم حيث كذَّبوهم.

فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ....

﴿٧﴾ ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ لَنُخبِرَنَّهُم عن عِلمٍ بِما فَعلُوه، ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عن إبلاغِ الرُّسُلِ والأُمَمِ الخالِيَةِ فِيما عَمِلُوا.

﴿٨﴾ ﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ لِلأعمالِ أو لِصَحائِفِها بِمِيزانٍ لَه لِسان وكِفَّتانِ كما ورَد في حَدِيث، كائِنٌ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يَومَ السُّؤال المَذكُور وهو يَومُ القِيامة ﴿ٱلْحَقُّ﴾: العَدلُ ـ صِفة (الوَزن) ـ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِعِلْمٍ﴾) متعلِّق بمحذوف حال من فاعل (نقصُّ)، والتقدير: ولَنقصَّنَّ عليهم حال كوننا مصحوبين بعِلم، وهذا حيث سَكتت الرسل عن الجواب وقالوا: لا علمَ لنا، إنك أنت علَّام الغيوب.

قوله: (﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾) توكيدٌ لما قبله.

قوله: (فيما عملوا) (في): بمعنى عن؛ أي: عمَّا عَملوا.

قوله: (﴿وَٱلْوَزْنُ﴾) مبتدأ، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خبره، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ نعته، وهذا هو إعراب المفسِّر، ويصحُّ أن يكون ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبر المبتدإ، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف منصوب على الظرفية، وهذا الوزنُ بعد أخْذِ الصحف والحساب، ثم بعد الوزن يكون المرورُ على الصراط، وهو مختلِفٌ باختلاف أحوال العباد.

قوله: (للأعمال أو لصحائفها) هذا إشارةٌ لقولَين، فعلى الأول: تُصوَّرُ الأعمال الصالحة بصورة نيِّرة حسَنة وتُوضعُ في كفَّةِ الحسنات، وتُصوَّرُ الأعمال السيئة بصورة مُظلمة قبيحة وتوضعُ في كفَّة السيئات، وبقي قولٌ ثالث، وهو أن الوزنَ لِلذوات؛ لما في الحديث: «**إنه لَيأتي الرجلُ العظيمُ السمين يومَ القيامة لا يزنُ عند الله جناحَ بَعوضة**»[1].

قوله: (وكفتان) بكسر الكاف وفتحها في المثنى والمفرد، والجمعُ: كِفَفٌ بالكسر لا غير.

قوله: (﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾... إلخ) اعلَمْ: أن الناسَ في القيامة ثلاث فِرَق: مُتَّقون لا كبائر لهم، ومخلِّطون، وكُفار؛ فأما المتقون فإن حسناتِهم توضعُ في الكفة النيِّرة، وصغائرهم إن كانت لهم في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لِتلك الصغائر وزناً، وتكفَّرُ صغائرُهم باجتنابهم الكبائر، ويُؤمرُ بهم إلى الجنة، وينعَّمُ كلٌّ حسَبَ أعماله.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ ....

بِالحَسناتِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: الفائِزُون.

﴿٩﴾ ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بِالسَّيِّئاتِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ بِتَصيِيرِها إلى النَّار، ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾: يَجحَدُون.

﴿١٠﴾ ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ﴾ يا بَنِي آدَمَ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ﴾ - بِالياءِ: - .....

حاشية الصاوي

وأما الكفَّار فإنهم يوضعُ كفرُهم في الكفة المظلمة، ولا توجدُ لهم حسنةٌ توضعُ في الكفة الأخرى، فتبقى فارغةً، فيأمرُ اللهُ بهم إلى النار.

وهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن صراحةً في آيات الوزن.

وأما الذين خلَّطوا فقد ثبت في السُّنة أنَّ حسناتِهم توضعُ في الكفة النيِّرة، وسيئاتهم في الكفَّة المظلمة، فإن كانت الحسَناتُ أثقلَ ولو بأقلِّ قليل أو ساوت أُدخلوا الجنة، وإن كانت السيئات أثقلَ ولو بأقلِّ قليل أُدخلوا النار إلا أن يَعفُوَ اللهُ. هذا إن كانت كبائرُهم فيما بينَهم وبين الله، وأما إن كانت عليهم تبعاتٌ وكانت لهم حسَناتٌ كثيرة فإنه يُؤخذُ من حسَناتهم فيردُّ على المظلوم، وإن لم تكُن لهم حسنات أُخذت سيئاتُ المظلوم فيُحمَلُ على الظالم من أوزار مَنْ ظَلَمه ثم يُعذَّب إلا أن يُرضِيَ اللهُ عنه خصماءَهُ.

قوله: (بالحسنات) أي: بسبب ثِقلها في الميزان ورجحانها على السيئات.

قوله: (بالسيئات) أي: بِسَبب رجحانها على الحسنات.

قوله: (﴿بِمَا كَانُواْ﴾) متعلق بـ﴿خَسِرُوٓاْ﴾، و(ما): مصدرية، و﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلق بـ﴿يَظۡلِمُونَ﴾، قُدِّمَ عليه للفاصلة، وقوله: (يَجحدون) أشارَ بذلك إلى أنه ضمَّنَ الظلمَ معنى الجحد، فعدَّاه بالباء.

قوله: (﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ﴾... إلخ) لمَّا بيَّنَ سبحانه وتعالى عاقبةَ من استمرَّ على الكفر ومن استمرَّ على الإيمان.. ذكرَ ما أفاضَ عليهم من النِّعَم الموجبة للشكر.

قوله: (﴿مَعَٰيِشَۗ﴾ بالياء) أي: باتفاق السبعة؛ لأن الياءَ أصلية؛ إذ هي جمع مَعيشة، وأصلها: مَعْيِشة بسكون العين وكسر الياء أو ضمها، نُقلت كسرةُ العين إلى الساكن قبلها، أو قلبت ضمة الياء كسرة ثم نُقلت إلى ما قبلها، وحيث كانت الياء في المفرد أصلية فإنها تبقى في الجمع، وقُرِئَ شذوذاً

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ

أسباباً تَعِيشُون بِها، جمع (مَعِيشَة)، ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ - لِتأكِيدِ القِلَّة - ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على ذَلك.

﴿١١﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: أباكُمْ آدَمَ ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي: صَوَّرناهُ وأنتُم في ظَهرِه، ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سُجُودَ تَحِيَّة بِالانحِناءِ، ....

حاشية الصاوي

بالهمز تخريجاً على زيادة الباء وأصالة الميم، وأمَّا إن كانت الياء في المفرد زائدة فإنها تكون في الجمع همزةً؛ ك: صحائف وصَحيفة، قال ابن مالك: [الرجز]

وَالمَدُّ زِيدَ ثالِثاً فِي الواحِدِ ... هَمْزاً يُرَى فِي مِثْلِ كَالقَلائِدِ[1]

قوله: (أسباباً تعيشون فيها) أي: تحيَون فيها؛ كالمأكَل والمشرب وما به تكونُ الحياة.

قوله: (لتأكيد القلة) أي: زائدة لِتأكيد القلة، والمعنى: أن الشاكر قليل، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

قوله: (﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾... إلخ) تذكيرٌ لِنعمةٍ عظيمة على آدم ساريةٍ إلى ذُرِّيته موجبة لشكرها.

قوله: (أي: أباكم آدم) أي: حين كان طيناً غيرَ مُصوَّر.

قوله: (أي: صورناه) أي: حين كان بشراً؛ بِتَخطيطه وشقِّ حواسِّه، وإنما جعلَ المفسِّر الكلامَ على حذف مضاف؛ لأجل أن يصحَّ الترتيبُ بـ(ثم)، وإنما يُنسبُ الخلقُ والتصوير للمخاطبين إعطاءً لمقام الامتنان حقَّه، وتأكيداً لوجوب الشكر عليهم بالرَّمز إلى أن لهم حظًّا من خلق أبيهم وتَصويره؛ لأنهما من الأُمور السارية في الذرية جميعاً.

قوله: (أو أنتم في ظهره) هكذا في نُسخة بـ(أو)، وفي أخرى بالواو، فعلى الأولى: يكون جواباً ثانياً، والحاصلُ: أن الناسَ اختلفوا في (ثم) في هذَين الموضعين، فمنهم مَنْ لم يلتزِمْ فيهما ترتيباً، وجعلَها بمنزلة الواو، وأبقى الآيةَ على ظاهرها، ومنهم مَن قال: هي للترتيب الزماني، وجعلَ الكلامَ على حذف مضاف في الخَلق والتصوير.

قوله: (سجود تحية بالانحناء) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ السجودُ اللغوي وهو الانحناء؛ كسجود إخوة يوسف وأبوَيه له، وقد كان تحيةً للملوك في الأُمم السابقة، وعليه: فلا إشكالَ، وقال بعضهم:

---

(١) «الخلاصة» (باب الإبدال).

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ﴾

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ أبَا الجنِّ كان بينَ المَلائكة، ﴿لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

١٢ ﴿قَالَ﴾ تعالَى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَ﴾نْ ﴿لَّا﴾ - زائِدة - ﴿تَسۡجُدَ إِذۡ﴾: حينَ ﴿أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠

حاشية الصاوي

إن السجودَ شرعيٌّ بوضع الجبهة على الأرض لله وآدمُ قبلةٌ كالكعبة، ويحتمل أن السجودَ على ظاهِره لآدم، وقولهم: (إن السجود لغير الله كفرٌ). . محلُّهُ: إن كان من هوَى النفس لا بأمر الله، ونظيرُ ذلك تعظيمُنا مشاعرَ الحجِّ، فتأمَّلْ[١].

قوله: (﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾) أي: قبلَ دخول الجنة، وأول مَنْ سجدَ جبريلُ، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم عزرائيل، ثم الملائكة المقرَّبون، واختُلف في مُدة السجود: فقيل: مئةُ سنة، وقيل: خمسُ مئة سنة، وقيل غيرُ ذلك.

قوله: (أبا الجن) هذا أحدُ قولين، والثاني: هو أبو الشياطين، فرقةٌ من الجنِّ لم يؤمِنْ منهم أحد.

قوله: (كان بين الملائكة) أشارَ بذلك إلى أن الاستثناءَ منقطع، وأنه ليس من الملائكة، قال في «الكشاف»: لما اتَّصفَ بصفات الملائكة جُمعَ معهم في الآية، واحتيجَ إلى استِثنائه[٢]، ويدلُّ على ذلك قولُهُ تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]، وقال بعضُهم: إنه من الملائكة، فالاستثناء مُتصل، وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ أي: في الفعل، والمعوَّلُ عليه الأول.

قوله: (﴿مَا مَنَعَكَ﴾) ﴿مَا﴾: استفهامية للتوبيخ[٣] في محلِّ رفع بالابتداء، والجملةُ بعدها خبر، و(أنْ): في محلِّ نصب أو جرٍّ؛ لأنها على حذف حرف الجر، و﴿إِذۡ﴾: منصوب بـ﴿تَسۡجُدَ﴾، والتقدير: أيُّ شيء منعك من السجود حينَ أمرتُك؟

قوله: (زائدة) أي: لتأكيد معنى النفي في ﴿مَنَعَكَ﴾، فهو كما في ﷺ بحذفها[٤]، وهو الأصلُ؛ لأن القرآنَ يفسِّرُ بعضُه بعضاً.

---

(١) السجود لا يكون عبادة لعينه، ولكن لموافقة أمره سبحانه، فكان سجودهم لآدم عبادة لله لأنه كان بأمره، وتعظيماً لآدم لأنه أمرهم به تشريفاً لشأنه، فكأن ذلك النوع خضوع له ولكن لا يسمَّى عبادة؛ لأن حقيقة العبادة نهاية الخضوع، وذلك لا يصح لغيره سبحانه. «لطائف الإشارات» (١/ ٧٩).

(٢) بعبارة مقاربة في «الكشاف» (١/ ١٢٧).

(٣) أي: لإظهار عناده وتكبره، وإلا . . فالمولى عليم بما منَعه.

(٤) الآية في سورة «ص»: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾.

مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ....

خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: مِن الجَنَّة، وقِيل: مِن السَّماواتِ؛ ﴿فَمَا يَكُونُ﴾: يَنبَغِي ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ﴾ مِنها، ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الذَّلِيلين.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾) هذه الجملةُ لا محلَّ لها من الإعراب؛ لأنها كالتفسير والبيان لما قبلها من دَعوى الخيرية.

فائدة: قال هنا: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾، وفي سورة (الحجر): ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢]، وفي سورة ﷺ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ...﴾ [ص: ٧٥] الآية، اختلافُ العبارات عند الحكاية دلَّ على أن اللعينَ قد أدرجَ في معصية واحدة ثلاثَ معاصٍ: مخالفة الأمر، ومُفارقة الجماعة، والاستكبار مع تحقير آدم، وشبهةُ الخيرية: أن النارَ جسمٌ لطيف نورانيٌّ، والطين جسم كثيفٌ ظلماني، وما كان لطيفاً نورانيًّا خيرٌ ممَّا كان كثيفاً ظلمانيًّا، ولما كان ما احتجَّ به على ربِّه باطلاً؛ لِكون الطين فيه منافعُ كثيرة وفوائدُ جمَّة، ويتوقَّفُ عليه نظامُ العالم؛ لاحتياجه إليه، ولما ينشأُ عنه من النبات والماء اللَّذين هما غذاءُ العالم السفلي، والنارُ منافعُها قليلة، ولا يتوقَّفُ عليها نظامُ العالم؛ لوجود كثير منه غيرِ محتاج إليها ولا لما يسوَّى بها.. ردَّ عليه المولى بأشنَع ردٍّ، وأجابه بجواب السائل المتعنِّت المتكبِّر بقوله: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا...﴾ [الأعراف: ١٣] الآية.

قوله: (﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾) الفاءُ لترتيب الأمر على ما ظهرَ من مُخالفة اللعين.

قوله: (أي: من الجنة) أي: وعليه فبقيَ في السموات خارجَ الجنة.

قوله: (وقيل: من السماوات) أي: فلم يبقَ له استقرارٌ في العالم العُلويِّ أصلاً.

قوله: (﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾) أي: ولا في غيرها، ففي الكلام اكتفاءٌ؛ لأنَّ الكبرَ مذموم مطلقاً.

قوله: (الذليلين) تفسيرٌ لِلصاغرين، من الصَّغار، وهو بالفتح الذلُّ والضيم.

﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ ....

(١٤) ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ﴾: أَخِّرْني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناسُ.

(١٥) ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ وفي آية أُخرَى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨] أي: وقتِ النَّفخة الأُولى.

(١٦) ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: بِإغوائِك لِي، ـ والباء لِلقَسَم، وجَوابُه: ـ ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي: لِبَني آدَمَ ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: على الطَّريق المُوصِل إليك.

(١٧) ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أي: مِن كُلِّ جِهة

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ﴾) لما كرهَ اللعينُ إذاقةَ الموت طلبَ البقاء والخُلود إلى يوم البعث، ومن المعلوم أنه لا موتَ بعده، فقصدَ استمرارَ الحياة في الدنيا والآخرة، فأجابه اللهُ لا على مُراده، بل أمهلَهُ إلى النفخة الأولى، ولا نجاةَ له من الموت ولا من العذاب.

قوله: (أي: وقت النفخة الأولى) أي: لا وقتَ النفخة الثانية التي طلبَها اللعين.

قوله: (﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾... إلخ) غرضُهُ بهذا أخذُ ثأره منهم؛ لأنه لما طُردَ ومُقتَ بِسببهم أحبَّ أن ينتقمَ منهم أخذاً بالثأر.

قوله: (والباء للقسم) أي: و(ما): مصدرية، وما بعدها مَسبوكٌ بها، يشيرُ له قول المفسِّر: (أي: بإغوائكم لي)، ويصحُّ أن تكون لِلسببية[1].

قوله: (أي: على الطريق... إلخ) أشارَ به إلى أن (صراطَ) منصوب على نزع الخافض.

قوله: (﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾) أي: من الجهات التي يُعتادُ الهجوم منها، وهي الجهاتُ الأربع، ولِذلك لم يذكر الفوقَ والتحتَ، أما الفوق لكونه لا يمكنه أن يحولَ بين العبد ورحمة ربِّه كما قال ابن عباس[2]، وأما التحتُ فلِكبره لا يرضى أن يأتيَ من ذلك، ويكثرُ إتيانُهُ من أمام وخلف، ويضعفُ في اليمين واليسار لحفظِ الملائكة.

---

(١) كونها للسببية ظاهر، وكونها للقسم تحقيقه أنه أقسم بصفة من صفاته تعالى، جاء في «الوسيط» للإمام الواحدي (٢/ ٣٥٤): (أي: بإغوائك إياي، والمعنى: بقدرتك عليَّ ونفاذ سلطانك فيَّ لأقعدن...).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٤٢) وعبارته: (لأن رحمة الله تنزل من فوقهم).

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ١٧ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾

فأمنَعَهم عن سُلُوكه، قال ابنُ عبَّاس: ولا يَستَطِيع أن يَأتِيَ مِن فَوقهم؛ لِئَلَّا يَحُول بَين العَبد وبينَ رَحمةِ الله تعالى، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾: مُؤمِنين.

﴿١٨﴾ ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ بِالهمزةِ: مَعِيباً أو مَمقُوتاً، ﴿مَّدْحُورًا﴾: مُبعَداً عن الرَّحمةِ، ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ مِن النَّاس، ـ واللَّامُ لِلابتِداءِ أو مُوطِّئة لِلقَسَمِ، وهو ـ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ

حاشية الصاوي

وذكر بعضُهم حكمةً أخرى لِعدم مجيئه من تحت: لكون الآتي من تحت إنما يريدُ الإزعاجَ، وهو يريدُ التأليفَ لِلغواية، والأولُ أقرب.

وإنما عدَّى الفعل في الأولين بـ(مِن) الابتدائية؛ لأن شأنَ التوجُّه منهما بخلاف الأخيرَين، فالآتي منهما كالمنحرف المارِّ.

قوله: (﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾) يحتملُ أنه من الوِجدان بمعنى: اللقاء، فيتعدَّى لواحد، و﴿شَٰكِرِينَ﴾: حال، ويحتملُ أنه بمعنى العِلم، فيتعدَّى لاثنين.

قوله: (﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾) تأكيدٌ لما تقدَّم، والمذؤومُ ـ بالهمز ـ من: ذأَمَهُ يذأَمُهُ ذأماً: إذا عابَهُ ومَقَته؛ أي: اخرُجْ ممقوتاً معاباً عليك.

قوله: (مُبعداً عن الرحمة) أي: لأن الدحرَ الطردُ والإبعاد، يُقالُ: دحَرَهُ يدحَرُهُ دحراً ودُحوراً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ٨ دُحُورًا﴾ [الصافات: ٨-٩]، وهما حالان من فاعل ﴿ٱخْرُجْ﴾.

قوله: (واللام للابتداء) أي: داخلةٌ على المبتدإ، فـ(مَنْ): اسم موصول مبتدأ، و﴿تَبِعَكَ﴾: صِلته، و﴿مِنْهُمْ﴾: متعلِّق بـ﴿تَبِعَكَ﴾، وقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جوابُ قَسم محذوف بعد قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾، والقَسمُ وجوابه في محلِّ رفع خبر المبتدإ.

قوله: (أو موطئة للقسم) والتقديرُ: واللهِ، لـمن تبعك[1]، و(مَن): اسم شرط مبتدأ، و﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾: جوابُ القسم المدلول عليه بلام التوطئة، وجوابُ الشرط محذوف لِسدِّ جواب القسم مَسدَّهُ.

---

(١) لأن الموطئة للقسم يكون جواب القسم بعدها مَبني على قسم قبلها كما نقل العلامة الجمل في «فتوحاته» (٢/ ١٢٧) عن الكرخي في «إثمد العينين»، وإذا قدرنا اللام ابتدائية كان القسم بعدها، والقسمُ وجوابه خبر للمبتدإ.

أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ....

﴿أَجْمَعِينَ﴾ أي: مِنك بِذُرِّيَّتِك ومِن النَّاس، ـ وفِيه تَغلِيبُ الحاضِر على الغائِب، وفي الجُملة معنَى جَزاء (مَن) الشَّرطِيَّة ـ أي: مَن تَبِعَك أُعَذِّبُه.

﴿١٩﴾ ﴿وَ﴾ قال: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ ـ تَأكِيدٌ لِلضَّمِيرِ في ﴿ٱسْكُنْ﴾ لِيُعطَفَ علَيه ـ: ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حَوَّاءُ ـ بِالمَدِّ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفيه تغليب الحاضر) وهو إبليسُ، وقوله: (على الغائب) أي: وهو الناسُ.

قوله: (وفي الجملة) أي: وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾، وقوله: (معنى جزاء «من») أي: على كونها شرطيَّة، وتقديره: أُعذبه.

قوله: (﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ﴾) تقدير المفسِّر (قال) يفيدُ أنه معطوف على ﴿ٱخْرُجْ﴾ مسلَّطٌ عليه عاملُهُ عطفَ قصَّة على قصة، ويصحُّ عطفُه على قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾، فيكون مسلَّطاً عليه (قُلنا)، وربما كان هذا أقربَ من حيث المناسبة، والأول أقرَب من حيث قربُ المعطوف من المعطوف عليه، وهذا القولُ يحتملُ أنه واقعٌ من الله مُباشرةً أو على لسان مَلَكٍ.

قوله: (تأكيد للضمير في ﴿ٱسْكُنْ﴾) أي: وليس هو الفاعل؛ لأن فاعلَ فعل الأمر واجبُ الاستِتار، وقوله: (ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾) جوابٌ عمَّا يُقالُ: لِمَ أُتِيَ بالضمير المنفصل؟

قوله: (حواء) سُمِّيت بذلك؛ لأنها خُلِقت من حيٍّ وهو آدم، وذلك أن آدم لما أُسكنَ الجنةَ مشى فيها مُستوحشاً، فلما نامَ خُلقت من ضِلَعِهِ القصير من شقِّهِ الأيسر ليسكنَ إليها ويأنس بها، فلمَّا استيقظَ ورآها مالَ إليها، فقالت له الملائكة: مَهْ يا آدمُ حتى تؤدِّيَ مَهرَها، فقال: وما مهرُها؟ فقالوا: ثلاثُ صلوات أو عِشرون صلاةً على النبيِّ ﷺ[1].

إن قلتَ: إن شرطَ المهر أن يكون متموَّلاً، وهذا ليس بمتموَّل!

أجيبَ: بأن هذا الشرطَ في شرع محمَّد، ولم يكُنْ في شرع آدم، وأيضاً: الآمرُ هو اللهُ، وهو يحكمُ لا معقِّبَ لحكمه، وأيضاً: من خَصائص رسول الله ﷺ أنه يزوِّجُ بلا مهر أصلاً، فلمَّا كان هو الواسطةَ في ذلك عُدَّ كأنه هو العاقدُ لهما، وإنما كان خصوص الصلاة على النبيِّ إشارةً إلى أنه ﷺ هو الواسطةُ العظمى في كلِّ نعمة وَصلت لكلِّ أحد حتى أبيه آدم.

(١) أورده الحافظ القسطلاني في «المواهب اللدنية» (١/ ٥٠)، ونحوه ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص٣٠٧).

ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ

﴿ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ بِالأكلِ مِنها وهيَ الحِنطةُ، ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: ....

حاشية الصاوي

وأمرُ الله آدمَ بالسكون في الجنة قيل: قبلَ دخول الجنة، فتَوجيهُ الخطاب لحواء باعتبار تعلُّق علم الله بها، فإنها لم تكن خُلقت إذ ذاك، وقيل: بعد الدخول وهو المعتمَدُ، وعليه: فيكون المرادُ من الأمر بالسكون الاستمرارَ.

قوله: (﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾) أي: في أيِّ مكان، وترك (رغداً) من هنا؛ اكتفاءً بذكره في (البقرة)، وأتى بالفاء هنا، وفي (البقرة) بالواو؛ تفنُّناً وإشارةً إلى أن كلًّا من الحرفين بمعنى الآخر، وقيل: إن الواو تفيدُ الجمعَ المطلَق، والفاء تفيدُ الجمع على سبيل التعقيب، فالمفهومُ من الفاء نوعٌ داخلٌ تحت المفهوم من الواو، فلا منافاةَ، وما ذكَره شيخ الإسلام من الجواب بعيدٌ كما تقدم لنا في (البقرة) فانظره[1].

وبقيَ شيءٌ آخر، وهو أنه وجَّهَ الخطابَ أوَّلاً لآدم، وثانياً لهما، وحكمةُ ذلك: أن حوَّاءَ في السكنى تابعةٌ لآدم، فوجَّه الخطاب في السكنى لآدم، وأما في الأكلِ من حيث شاءَا والنهيِ عن قربان الشجرة.. فقد اشتركا فيه، فلِذا وجَّهَ الخطابَ لهما معاً.

قوله: (﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾) يُقالُ: قَرِبتُ الأمرَ أقرَبُهُ من باب: تَعِب، وفي لغة من باب: قَتَل[2]، قِرباناً بالكسر: فعَلته أو دانيته، وحينئذٍ يكون النهيُ عن القربان أبلغَ من النهي عن الأكل بالفعل.

قوله: (وهي الحنطة) وقيل: الكَرْم، وقيل: التين، وقيل: البَلح، وقيل: الأترجُّ، والمشهور ما قاله المفسِّر.

قوله: (﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) أي: لأنفسكما.

قوله: (﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾) الوَسوسةُ: الحديثُ الخفيُّ الذي يُلقيه الشيطانُ في قلب الإنسان على سبيل التكرار.

---

(١) انظر (١/ ١٣٠).

(٢) وهو متعدٍّ، أما اللازم فمضموم الراء.

لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا ....

إبليسُ ﴿لِيُبْدِيَ﴾: يُظهِرَ ﴿لَهُمَا مَا وُۥرِيَ﴾ ـ (فُوعِلَ) مِن المُوارَاةِ ـ ﴿عَنْهُمَا﴾ ....

حاشية الصاوي

إن قلتَ: إن الأنبياءَ معصومون من وَسوسة الشيطان، وظاهرُ الآية يقتضي أن الشيطانَ وسوس لآدم!

أجيبَ: بأنه لم يُباشِرْ آدمَ بالوسوسة، وإنما باشرَ حوَّاء، وهي باشرت آدمَ بذلك.

قال محمد بن قيس: ناداه ربُّهُ: يا آدمُ؛ لِمَ أكَلت منها وقد نهيتُك؟ قال: أطعمَتني حواء، قال لحواء: لم أطعمتيه؟ قالت: كما أمرَتني الحية، قال للحية: لِمَ أمرتيها؟ قالت: أمرني إبليس، قال الله: أما أنت يا حواء فلأدمينَّكِ كلَّ شهر كما أدمَيت الشجرة، وأما أنت يا حية فأقطعُ رجليك فتَمشين على وجهك ولَيشدخنَّ رأسَكِ كلُّ مَنْ لَقيك، وأما أنت يا إبليس فمَلعون[1].

إن قلتَ: كيف وسوسَ لهما وهو خارجَ الجنة؟

أجيبَ: بأن وسوستَهُ وإن كانت خارجةً إلا أنها وَصلت لهما بقوةٍ جعلها الله له على ذلك، أو أنه تحيَّلَ على دخول الجنة بدخوله في جَوف الحية ووسوس لهما.

وقوله: (﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾) من: شاطَ بمعنى: احترق، أو من: شَطَنَ بمعنى: بَعُدَ.

قوله: (إبليس) من: أبلس إبلاساً بمعنى: يائس[2]؛ لأنه آيسٌ من رحمة الله، وقد تقدَّم في (البقرة) جملةُ أسمائه[3].

قوله: (﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾) هذا من جملة أغراضه في الوسوسة، فتكون اللامُ للتعليل، ويحتملُ أنها للعاقبة، وإنما غرضُهُ في الوسوسة خُصوصُ غضب الله عليهما وطَردهما من الجنة.

قوله: (﴿مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا﴾) أي: غُطِّيَ وسُتر عنهما، واختُلف في ذلك اللباس، فقيل: غطاء على الجسَد من جنس الأظفار، فنُزِعَ عنهما وبقيت الأظفار في اليَدين والرجلين تذكرة وزينة وانتفاعاً؛ ولذلك قالوا: إن النظرَ للأظفار في حال الضحك يَقطعُهُ، وقيل: كان نوراً، وقيل: كان من ثياب الجنة[4].

قوله: (فُوعل) أشارَ بذلك إلى أن الواوَ الثانية زائدةٌ، وحينئذٍ فلا يجبُ قلبُ الأولى همزة، وإنما يجبُ لو كانت الثانيةُ أصليةً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٥٥).

(٢) في (أ): (بمعنى يئس).

(٣) انظر (١/ ١٢٧-١٢٨).

(٤) أنها كانت من جنس الظفر هو قول السدي، وأنها كانت من نور هو قول وهب بن منبه. انظر «الدر المنثور» (٣/ ٤٣٠).

مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ....

﴿مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ﴾ كَراهةَ ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾، وقُرِئ بِكسرِ اللَّام، ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ أي: وذلك لازِمٌ عن الأكلِ مِنها كما في آيةٍ أُخرى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

﴿٢١﴾ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي: أقسَمَ لَهُما بِالله ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ في ذلكَ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾) أي: عوراتهما، سُمِّيت بذلك لأن كشفَها يسيءُ صاحبَها.

قوله: (﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا﴾) معطوفٌ على (وسوس) بيانٌ له.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾) بفتح اللام؛ أي: لم يَنهكما عن الأكل منها إلا كراهةَ أن تكونا من الملائكة، ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ في الجنة، فالمعنى الذي ادعاه لهما: أن الأكل منها سببٌ لأن يكونا من الملائكة، وسببٌ للخلود فيها.

قوله: (كراهة) أفاد المفسِّرُ أن الاستثناءَ مُفرغ، وهو مفعول من أجله، قدَّره البصريون: إلا كراهة أن تكونا. . . إلخ، وقدَّره الكوفيون: أن لا تكونا، وتقديرُ البصريين أولى؛ لأن إضمار الاسم أحسَن من إضمار الحرف.

قوله: (وقرئ بكسر اللام) أي: شذوذاً، ويؤيِّدُهُ قوله تعالى في موضع آخر: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، فالمُلك بالضم يناسبُ المِلْك بالكسر.

قوله: (أي: وذلك) أي: أحدُ الأمرين، وقوله: (لازم) أي: ناشئٌ عن الأكل منها، وقضيةُ هذه الآية على قراءة الكسر: عدمُ اجتماع الأمرَين، وقضيةُ الآية الأخرى وهي ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] اجتماعُهما! وأجيبُ: بأن (أو) بمعنى الواو، وحكمةُ ترغيبهما في الملكيَّةِ: أن الملائكةَ خُصُّوا بالقرب من العرش ولهم المنزلةُ عند الله.

قوله: (﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾) معطوفٌ على ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، وإنما أقسمَ لهما لأجل تأكيد إضلاله، فهو أوَّلُ من حلفَ كاذباً، وهو أوَّلُ مَنْ عصى الله مطلقاً.

قوله: (أي: أقسم لهما بالله) أي: وقَبلا منه القسم، فالمفاعلةُ باعتبار ذلك، وإلا . . فالواقعُ ليس على بابها؛ لأن الحالفَ هو فقط.

قوله: (في ذلك) أي: ما ذُكِرَ من كونهما يلحقان بالملائكة ويكونان من الخالدين.

فَدَلَّـٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ . . . .

﴿٢٢﴾ ﴿فَدَلَّـٰهُمَا﴾: حَطَّهُما عن مَنزِلَتِهما ﴿بِغُرُورٍۚ﴾ مِنه، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي: أكَلا مِنها ﴿بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ أي: ظَهَرَ لِكُلٍّ مِنهُما قُبُلُه وقُبُل الآخر ودُبُرُه، وسُمِّيَ كُلٌّ مِنها سَوأةً لِأنَّ انكِشافَه يَسُوءُ صاحِبَه، ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ﴾: أخَذا يُلزِقانِ ﴿عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ لِيَستَتِرا بِه، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَدَلَّـٰهُمَا﴾) التدلِّي: النزولُ من أعلى لأسفل.

قوله: (حطَّهما عن منزلتهما) أي: الحسية؛ لأن غرورَهُ تسبَّبَ عنه نزولُهما من الجنة إلى الأرض، لا المعنوية، بل رتبتُها عند الله لم تَنقُصْ بل ازدادت.

قوله: (﴿بِغُرُورٍۚ﴾) الباءُ: سببيَّة، والغرورُ: تصويرُ الباطل بصورة الحق.

قوله: (﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾) من الذَّواق، وهو تناولُ الشيء ليعرف طَعمه، وفيه إشارةٌ إلى أنهما لم يتناولا منها كثيراً؛ لأن شأن مَنْ ذاقَ الشيءَ أن يقتصرَ على ما قلَّ منه.

قوله: (﴿بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾) أي: سقطَ عنهما لباسُهما فبدت. . . إلخ.

قوله: (ودُبره) أي: الآخر، وأما دبرُ نفسه فلا يظهرُ له إلا إنِ التفت له وتَعاناه.

قوله: (يسوء صاحبه) أي: يوقعُهُ في السوء.

قوله: (﴿وَطَفِقَا﴾) من باب: طَرِب؛ أي: شَرَعا وأَخَذا.

قوله: (﴿يَخۡصِفَانِ﴾) من: خَصَفَ النعلَ: خرزَهُ، والمرادُ: يلزقان بعضَهُ على بعض لأجل الستر.

قوله: (﴿عَلَيۡهِمَا﴾) أي: القُبُل والدبر.

قوله: (﴿مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾) قيل: ورق التين، وقيل: وَرق الموز.

قوله: (﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾) يحتمل على لسان مَلَك أو مباشرةً.

قوله: (﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا﴾) إما تفسير للنداء فلا محلَّ له من الإعراب، أو مَقول لقول لمحذوف، والتقدير: قائلاً: ألم أنهكما. . . إلخ.

قوله: (﴿وَأَقُل لَّكُمَآ﴾) أي: كما في آية (طه): ﴿فَقُلۡنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ. . .﴾ [طه: ١١٧] الآية.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ

بيْنُ العَداوةِ، - والاستِفهامُ لِلتَّقرير -.

﴿٢٣﴾ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ بِمَعصيَتِنا، ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ﴾ أي: آدَمُ وحَوَّاءُ بِما اشتَمَلتُما علَيه مِن ذُرِّيَّتِكُما، ﴿بَعْضُكُمْ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (بيْنُ العداوة) أي: حيث امتنعَ من السجود له ورضيَ بالطرد والبُعد.

قوله: (استفهام تقرير) أي: وهو حملُ المخاطب على الإقرار، والمعنى: أقرَّ بذلك؛ على حدِّ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

قوله: (﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾) هذا إخبارٌ من الله عن آدم وحواء باعترافهما وندمهما على ما وقعَ منهما، وإنما عاقبَهما الله على ذلك وإن كان ليس بمعصيةٍ حقيقة؛ لأن حسناتِ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين، وليس ذلك بقادح في عصمة آدم؛ لأن المستحيلَ على الأنبياء تعمُّدُ المخالفة، وأما الخطأُ والنسيان الرحمانيُّ فهو جائزٌ عليهم، ونظيرُ ذلك: ما وقعَ في قِصة ذي اليدين حيث سلَّمَ رسولُ الله من ركعتين، فقال له ذو اليدَين: أقصرت الصلاة أم نسيتَ يا رسولَ الله؟ فقال: «كلُّ ذلك لم يكُنْ»، فقال: بل بعضُ ذلك قد كان... الحديث[1]، وقال رسولُ الله ﷺ: «لم أنْسَ، ولكن أنسى لأسنَّ»[2].

وحِكمةُ الأكل من الشجرة: ما ترتَّبَ على ذلك من وجود الخلق وعِمارة الدنيا، فأنساه اللهُ لأجل حصول تلك الحكمة البالغة، فمَن نسبَ التعمُّدَ والتجرُّؤَ لآدم.. فقد كفر، كما أن مَن نفى عنه اسمَ العصيان فقد كفر؛ لمصادرة آية: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾، فالمخلَصُ من ذلك أن يُقالَ: إن مَعصيته ليست كالمعاصي، وتقدَّمَ تحقيقُ هذا المقام في سورة (البقرة) فانظُره[3].

قوله: (﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾) شرطٌ حذف جوابه اكتفاءً بجواب القَسم.

قوله: (بما اشتَملتما عليه من ذُريتكما) أي: فهذا هو وجهُ الجمع في الآية، وقيل: إن الجمعَ باعتبار آدم وحَواء والحية وإبليس، ويكون قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ باقٍ على ظاهِره؛ لأن إبليسَ والحيةَ عدوٌّ لآدم وحواء.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٢)، ومسلم (٥٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ١٠٠) بلاغاً، وهو من الأحاديث التي لم توصل.

(٣) انظر (١/ ١٣٣).

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ....

بَعضُ الذُّرِّيَّة ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ مِن ظُلمِ بَعضِهِم بَعضاً، ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ مَكانُ استِقرارٍ ﴿وَمَتَـٰعٌ﴾: تَمَتُّعٌ ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ تنقَضِي فِيه آجالُكُم.

﴿٢٥﴾ ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي: الأرضِ ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ بِالبَعثِ، ـ بِالبِناءِ لِلفاعِلِ والمَفعُول ـ.

﴿٢٦﴾ ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أي: خَلَقناهُ لَكُم، ﴿يُوَٰرِى﴾: يَستُرُ ﴿سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ هو ما يُتَجَمَّل بِهِ مِن الثِّياب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (مكان استقرار) أي: وهو المكانُ الذي يعيشُ فيه الإنسان والمكان الذي يدفنُ فيه.

قوله: (﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾) أصلُهُ: تَحْيَيُون ك: تَرْضَيُون، تحرَّكَت الياءُ الثانية وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، ثم حُذفت لالتقاء الساكنين.

قوله: (بالبناء للفاعل... إلخ) أي: في ﴿تُخْرَجُونَ﴾[1]، وأمَّا ﴿تَحْيَوْنَ﴾ و﴿تَمُوتُونَ﴾.. فللفاعل لا غير.

قوله: (﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾) لما قدَّمَ قصةَ آدم وحواء وما أنعمَ به عليهما وفتنةَ الشيطان لهما.. خاطبَ أولاد آدم عموماً بتذكير نِعمه عليهم، وحذَّرهم من اتباع الشيطان؛ لأنه عَدوٌّ لأبيهم، والعداوةُ للآباء متصلةٌ للأبناء.

قوله: (﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾) أي: أنزلنا أسبابَهُ من السماء وهو المطرُ، فيَنشأُ عنه النبات الذي يكون منه اللباس؛ كالقطن والكتَّان، وتعيشُ به الحيوانات التي يكونُ منها الصوفُ والشَّعَر والوَبر والحرير.

قوله: (﴿سَوْءَٰتِكُمْ﴾) أي: عَوراتكم؛ أي: فهو نعمة.

قوله: (﴿وَرِيشًا﴾) معطوف على ﴿لِبَاسًا﴾، وعبَّرَ عنها بالريش؛ لأن الريشَ زينةُ الطائر كما أن اللباسَ زينةٌ للآدميِّين، والمعنى: أن الله تعالى منَّ على بني آدمَ بلباسين: لباساً يُواري

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالبناء للفاعل، والباقون بالبناء للمفعول. انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١٨٥).

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ ....

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: العَمَلُ الصَّالِح والسَّمتُ الحَسَن ـ بِالنَّصبِ عطف على ﴿لِبَاسًا﴾، والرَّفعِ مُبتدأ خَبَرُه جُملةُ ـ: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

سوءاتهم، ولباساً ريشاً[1]؛ أي: زينةً، ويصحُّ أن يكونَ معطوفاً على ﴿يُوَٰرِى﴾، فيكون وصف اللباس بشيئَين: كونه يواري سوءاتكم، وكونه زينةً لكم، ويُؤخذُ من الآية: أن لُبْسَ لباس الزينة غيرُ مذموم، والمرادُ: الزينةُ التي لم تخالف الشرع، وهذا إن صحَّ القصدُ بأن لم يقصد الفخرَ ولا العُجْب بها، كما أن التقشُّفَ في اللباس غيرُ مذموم إن كان خالياً من الأغراض الفاسدة؛ بأن لم يقصِدْ به دعوى الولاية أو إظهارَ الفقر لأجل أن يُتصدَّقَ عليه.

وبالجملة: فالمدارُ على حُسْنِ القصد تجمُّلَ بالثياب أو تخشُّنَ فيها، وفي هذا المعنى قال بعضُهم: [البسيط]

لَيْسَ التَّصَوُّفُ لُبْسَ الصُّوفِ والخَلَقِ ... بَلِ التَّصَوُّفُ حُسْنُ السَّمْتِ وَالخُلُقِ

فَالْبَسْ مِنَ اللُّبْسِ ما تَخْتارُ أَنْتَ وَقُمْ ... جُنْحَ الظَّلامِ وَأَجْرِ الدَّمْعَ فِي الغَسَقِ

فَرُبَّ لابِسِ الدِّيباجَ مَشْغَلُهُ ... حُبُّ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقِ

وكَمْ فَتًى لابِسٍ لِلْخَيْشِ تَحْسِبُهُ ... ناجٍ وَذَلِكَ عِنْدَ العارِفِينَ شَقِي

فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَحْجُبْهُ مَلْبَسُهُ ... وَذا مَعَ اللُّبْسِ مَأْسُورٌ فَلَمْ يُفِقِ

قوله: (﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾) أي: الناشئُ عنها أو الناشئةُ عنه.

قوله: (العمل الصالح) أي: المُنجي من العذاب؛ لأن الإنسانَ يُكسى من عمله يومَ القيامة.

قوله: (خبره جملة ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾) أي: فاسمُ الإشارة مبتدأ ثانٍ، و﴿خَيْرٌ﴾: خبره، والجملةُ من المبتدإ الثاني وخبره خبرُ الأول، واسمُ الإشارة عائدٌ على قوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، وإنما كان خيراً؛ لأنه يسترُ من فضائح الآخرة، وفي الحديث: «**إن الله لا ينظرُ إلى صُوَركم، وإنما ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالكم**»[2]، فإذا كان كذلك فينبغي للإنسان أن يشتغلَ بتحسين ظاهرِهِ بالأعمال الصالحة، وباطِنه

---

(١) كذا في النسخ، بنصب (لباساً) في الموضعين، وعند العلامة الجمل في «فتوحاته» (٢/ ١٣٢) نقلاً عن الزمخشري: (أنزلنا عليكم لباسين: لباساً...).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ....

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: دلائلِ قُدرتِه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيؤمِنون، ـ فيه التِفاتٌ عن الخِطاب إلى الغَيبة ـ.

﴿٢٧﴾ ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾: يُضِلَّنكم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: لا تَتَّبِعُوهُ فتُفتَنُوا ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾ بِفِتنَتِه ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ﴾ ـ حالٌ ـ ﴿عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ ....

حاشية الصاوي

بالإخلاص؛ فإنه محلُّ نظر الله منه، ولذلك قال العارفُ البكريُّ: (إلهي؛ زيِّنْ ظاهري بامتثالِ ما أمَرتني به ونهيتَني عنه، وزيِّنْ سرِّي بالأسرار وعن الأغيارِ فصُنْهُ)(١).

قوله: (﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾) اسمُ الإشارة عائدٌ على اللباس المنزَّل بأقسامه.

قوله: (فيه التفاتٌ عن الخطاب) أي: وكان مقتضى الظاهر: لعلَّكم تذكرون، ونكتتُهُ: دفعُ الثقل في الكلام.

قوله: (﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾) لما ذكَّرهم نعمةَ اللباس نبَّههم على أن الشيطانَ حسودٌ وعدوٌّ لهم كما أنه حسودٌ وعدوٌّ لأبيهم.

قوله: (﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾) هو نهيٌ له صورةً وفي الحقيقة نهيٌ لبني آدم عن الإصغاء لِفتنته واتباعه، فليس المرادُ النهيَ عن تسلطه؛ إذ لا قدرةَ لمخلوق على مَنع ذلك؛ لأنه قضاءٌ مبرم، بل المرادُ النهيُ عن الميل إليه، وإلى ذلك أشار المفسِّرُ بقوله: (أي: لا تتبعوه فتَفتتنوا).

قوله: (﴿كَمَآ أَخْرَجَ﴾) الكافُ: بمعنى: مثل، صفةٌ لمصدر محذوف، و(ما): مصدرية تسبكُ مع ما بعدها بمصدر، والتقديرُ: فتنةً مثلَ فتنة إخراجِ أبوَيكم، والجامعُ بينهما زوالُ النعم في كلٍّ.

قوله: (﴿أَبَوَيْكُم﴾) أي: آدمَ وحواء، قوله: (بفتنته) الباءُ: سببيَّة.

قوله: (حال) أي: من ﴿أَبَوَيْكُم﴾، أو من ضمير ﴿أَخْرَجَ﴾، وكلٌّ صحيح، فإن الجملةَ مشتملة على ضمير الأبوَين وعلى ضمير الشيطان، وإسنادُ النزع إليه باعتبار كونه سبباً فيه، والنزعُ: أخذُ الشيء بسرعة وقوَّة، ومنه قولُه تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]، وفيه إشارةٌ

---

(١) من ورده المشهور بورد السَّحَر ﷺ.

إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ....

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشَّيطانَ ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾: جُنُودُه ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ لِلَطافةِ أجسادِهم أو عَدَمِ ألوانِهم، ....

حاشية الصاوي

إلى أن مَن اتبعَ الشيطان تزول نعمُهُ بسرعة وقُوة، وأتى بالمضارع حكايةً للحال الماضية استحضاراً للصورة العجيبة.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ﴾) تعليلٌ للتحرُّزِ من الشيطان اللازم للنهي؛ كأنه قيل: فاحذَروه لأنه يراكم... إلخ.

قوله: (﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾) معطوفٌ على الضمير المتصل في ﴿يَرَىٰكُمْ﴾، وأتى بالضمير المنفصل وإن كان قد حَصل الفصل بالكاف؛ زيادةً في الفصاحة، والقَبيلُ: اسمٌ لما اجتمعَ من شَتات الخلق، ولذلك فسَّره بالجنود، والقبيلةُ: الجماعةُ من أب واحد.

قوله: (﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾) ﴿مِنْ﴾: ابتدائية، و﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكان، والتقديرُ: إنه يراكم رُؤيةً مبتدأةً من مكان لا تَرونهم فيه.

قوله: (للطافة أجسادهم) أي: فأجسامُهم كالهواء، نعلمُهُ ونتحقَّقُهُ ولا نراه لِلطافته وعدم تلونه، هذا وجهُ عدم رؤيتنا لهم، وأما وجهُ رؤيتهم لنا فكثافةُ أجسادنا وتَلوننا، وأما رؤيةُ بعضهم لِبعض فحاصلةٌ لقوة في أجسادِهم، وهذا حيث كانوا بصورتهم الأصلية، وأما إذا تصوَّروا بغيرها.. فنراهم؛ لأن اللهَ جعلَ لهم قُدرة على التشكُّل بالصور الجميلة أو الخسيسة، وتحكمُ عليهم الصورةُ كما في الأحاديث الصحيحة، فالآيةُ ليست على عُمومها.

والفرقُ بينهم وبين الملائكة: أن الملائكةَ لا يتشكَّلون إلا في الصُّوَر الجميلة ولا تحكمُ عليهم، بخلاف الجن، وقد وردَ: أن الشيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدم[1]، وجُعلت صدورُ بني آدم مساكنَ لهم إلا مَنْ عصَمه الله، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥]، فهم يرَون بني آدمَ وبنو آدمَ لا يرونهم، قال مجاهد: (قال إبليسُ: جُعل لنا أربعٌ: نرى ولا نُرى، ونخرج من تحت الثرى، ويعودُ شيخُنا شابًا)، وقال مالكُ بن دينار: (إن عدوًا يراك ولا تراه لَشديد المجاهدة إلا مَنْ عصمَهُ الله)[2].

---

(١) رواه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥) من حديث صفية رضي الله عنها.

(٢) القول عند الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٢٦).

إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ....

﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾: أعواناً وقُرَناءَ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً﴾ كالشِّركِ وطَوافِهم بِالبَيتِ عُراةً قائِلِين: لا نَطُوف في ثِيابٍ عَصَينا الله فِيها، فنُهُوا عَنها ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ فاقتَدَيْنا بِهِم، ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضاً، ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنَّهُ قالَه؟ استِفهامُ إنكارٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾) أي: صيَّرناهم أعواناً لغير المؤمنين، ومَكنَّاهم من إغوائهم، فتحرَّزوا منهم.

قوله: (﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً﴾) هذه الآيةُ نزلت في كفَّار مكةَ، كانوا يَطوفون عراةً رجالُهم بالنهار ونساؤُهم بالليل، فكان أحدُهُم إذا قدم حاجًّا أو معتمراً يقول: لا ينبغي أن أطوفَ في ثوب قد عصيت فيه رَبي، فيقول: مَنْ يُعيرني إزاراً؟ فإن وجدَ، وإلا.. طافَ عُرياناً، وإذا فُرضَ وطاف في ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافَهُ وحرَّمَها على نَفسه[١].

قوله: (﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا﴾) أي: محتجِّين بهذين الأمرين: تَقليدِ الآباء، والافتراء على الله.

قوله: (﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾) أي: ردًّا لمقالتهم الثانية، وتركَ ردَّ الأولى لِوضوح فسادها.

قوله: (﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾) أي: لأنكم لم تَسمعوه مشافهةً ولم تأخُذوه عن الأنبياء الذين هم وسائطُ بين الله وخَلقه.

قوله: (استفهام إنكار) أي: وتوبيخٍ، وفيه معنى النهي.

---

(١) «زاد المسير» (٢/ ١١٣) عن الزهري، ونحوه عند البخاري (١٦٦٥)، ومسلم (١٢١٩).

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن

﴿٢٩﴾ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾: العَدلِ ﴿وَأَقِيمُوا﴾ مَعطُوف على مَعنَى ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: قال: أقسِطُوا وأقِيمُوا، أو قَبله (فأَقبِلُوا) مُقَدَّراً، ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ لِلَّه ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: أخلِصُوا لَه سُجُودَكُم ﴿وَادْعُوهُ﴾: اعبُدُوهُ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ مِن الشِّركِ، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾: خَلَقَكُم ولَم تَكُونُوا شَيئاً ﴿تَعُودُونَ﴾ أي: يُعِيدكُم أحياءً يَومَ القِيامة.

﴿٣٠﴾ ﴿فَرِيقًا﴾ مِنكُم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن ...

حاشية الصاوي

قوله: (معطوفٌ على معنى بالقسط) دفعَ بذلك ما يُقال: إن قوله: ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ خبرٌ، وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا﴾ إنشاء، ولا يصحُّ عطفُ الإنشاء على الخبر! فأجابَ بجوابَين: الأول: أن (أقيموا) معطوفٌ على المعنى[1]، والتقديرُ: قال: أقسِطوا وأقيموا، الثاني: أن الكلامَ فيه حذف، والتقديرُ: قُلْ أمرَ ربي بالقسط فاقبَلوا وأقيموا.

قوله: (أي: أخلِصوا له سجودكم) أي: صلاتكم، ففيه تسميةُ الكلِّ باسم أشرَف أجزائه؛ لأن أقربَ ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد[2].

قوله: (﴿وَادْعُوهُ﴾) عطفٌ عام.

قوله: (﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾) كلامٌ مستأنف مَسُوق للردِّ على مُنكري البعث.

قوله: (أي: يعيدكم أحياء) أي: بالأرواح والأجسام بِعَينها.

قوله: (﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾) ﴿فَرِيقًا﴾: معمولٌ لـ﴿هَدَىٰ﴾، و(فريقاً) الثاني: معمولٌ لمقدَّر من قَبيل الاشتغال موافق في المعنى[3]، والتقديرُ: وأضلَّ فريقاً حقَّ عليهم الضلالة؛ أي: ثَبت في الأزل ضلالُهم.

قوله: (﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا﴾) علَّة لقوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ﴾.

---

(١) ويسمَّى في غير القرآن العطف على التوهم.

(٢) رواه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) على حدِّ: زيداً مررت به. «الفتوحات» (٢/ ١٣٥).

دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ....

﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾: ما يَستُر عورَتَكُم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عِند الصَّلاة والطَّوافِ، ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ ما شِئتُم، ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾) أي: يَظنون أنهم على هدى والحالُ أنهم ليسوا كذلك.

قوله: (﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾) سببُ نزولها ـ كما قال ابن عباس ـ: أن العربَ كانوا يَطوفون بالبيت عراةً، الرجالُ بالنهار، والنساءُ بالليل، يقولون: لا نَطوفُ في ثياب عصينا الله فيها، وكانوا لا يأكلون في أيام حَجِّهم إلا قوتاً، ولا يأكلون لحماً ولا دسماً، يُعظِّمون بذلك حجَّهم، فنُهِيَ المسلمون أن يفعلوا كفِعلهم[1].

قوله: (أي: ما يَستر عورتكم) راعى في هذا المحلِّ سببَ النزول، وأصلُ الواجب وعمومُ اللفظ يفيدُ أن المطلوبَ في الصلاة والطواف ومَشاهد الخير جميلُ الثياب كما هو المندوبُ شرعاً، تأمَّلْ.

قوله: (﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾) والمسجِدُ في الأصل: موضعُ السجود، ثم أُطلقَ وأُريدَ منه نفسُ الصلاة والطواف؛ مِن باب: تسمية الحالِّ باسم المحل.

قوله: (﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾) أي: من الحَلال؛ فإنه رأسُ التقوى.

قوله: (﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾) أي: بأن تحرِّموا الحلال كما كانوا يَفعلون من امتناعهم من اللحم والدسم، أو تحلُّوا الحرامَ، أو تتجاوزوا الحدَّ في الأكل والشرب؛ كالتعمُّق في ذلك أو الإكثار منه؛ لما في الحديث: «ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شرًّا من بَطنه»[2]، ولأن ما زاد على ثلث البطن لا يعودُ على الشخص إلا بالضرر؛ لما في الحديث: «أصلُ كلِّ داء البَرَدَةُ»[3]، وهي إدخالُ الطعام

---

(١) تقدم قريباً.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٠)، والنسائي في «الكبرى» (٦٧٣٧)، وابن ماجه (٣٣٤٩).

(٣) رواه أبو نعيم في «الطب النبوي» (١٣٠) وابن عساكر في «تاريخه» (٥٥/ ١٩٥)، والبَرَدة بفتح الراء: التخمة؛ لأنها تبرد حرارة شهوة الطعام.

إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً ....

إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿قُلْ﴾ إنكاراً عليهم: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ مِن اللِّباسِ ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ المُستَلَذَّاتِ ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالاستحقاقِ وإنْ شارَكَهُم فِيها غَيرُهم ﴿خَالِصَةً﴾: ....

حاشية الصاوي

على الطعام، فالمناسبُ ألا يأكلَ حتى يجوع، وأن يقومَ ونفسُهُ تشتهي الطعام، فإن مِلْكَ النفس عن الإسراف في المباح أكبرُ دليل على مِلْكِها عن الحرام.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾) أي: يعاقبهُم على ذلك ولا يرضى فعلَهم.

قوله: (إنكاراً عليهم) أي: وتوبيخاً لهم، وحيث كان إنكاريًّا فلا جوابَ له[1].

قوله: (﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾) أي: التي خلقها لهم من النبات كالقُطن والكتان، ومن الحيوان كالحرير والصوف، ومن المعادن كالدروع، وكلُّها جائزة للرجال والنساء ما عدا الحريرَ الخالصَ للرجال؛ فإنه محرَّمٌ عليهم إجماعاً، وأما ما اختلطَ بالحرير وغيرِه.. ففيه خلافٌ بين العلماء بالكراهة والحُرمة والجواز، والمعتمَدُ: عدمُ الحرمة.

قوله: (﴿قُلْ هِىَ﴾) أي: الزينةُ من الثياب والطيباتُ من الرِّزق.

قوله: (بالاستحقاق) أي: الأصلي، وأما مشاركةُ غيرهم لهم فهو بِطريق التبع، وهذا جوابٌ عمَّا يُقالُ: إن المُشاهدَ أن الكافر يَستمتع بالزينة والمستلَذات أكثرَ من المسلم، فكيف يُقالُ: إنها للذين آمنوا في الحياة الدنيا؟ فأجاب بما ذُكِرَ، ويؤيِّدُ هذا المعنى قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا...﴾ [البقرة: ١٢٦] الآية، ولِذا لا يعاقبون عليها؛ لأن اللهَ خلقَها لهم بطريق الأصالة لِيَستعينوا بها على طاعاته؛ ولذا إذا عُدمت المؤمنون في آخر الزمان تقومُ القيامة؛ إذ لم يبقَ مُستحقٌّ للنعم.

---

(١) إذ لا يُراد به استعلام، ولذلك نُسب مكي إلى الوهم في زعمه أن قوله: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ جوابه. «الفتوحات» (٢/ ١٣٦).

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ ....

خاصَّة بِهِم، - بِالرَّفعِ، والنَّصب حالٌ - ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾: نُبَيِّنُها مِثْلَ ذلك التَّفصِيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يَتَدَبَّرُون؛ فإنَّهُم المُنتَفِعُونَ بِها.

﴿٣٣﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: الكَبائِرَ كالزِّنا، ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: جَهْرَها وسِرَّها، ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾: المَعصِيَةَ ﴿وَٱلْبَغْىَ﴾ على النَّاس ....

حاشية الصاوي

قوله: (خاصة بهم) أي: لا يشاركُهم فيها غيرُهم.

قوله: (بالرفع) أي: خبر ثانٍ.

قوله: (والنصب حال) أي: من الضمير في الخبر المحذوف، والتقدير: هي كائنة للذين آمنوا في الحياة الدنيا حالَ كونها خالصةً لهم يوم القيامة[1]، وإنما كانت خالصةً للمؤمنين يومَ القيامة؛ لأن رحمةَ الله تنفردُ بالمؤمنين، وغضبَه ينفرد بالكافرين، قال تعالى: ﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾) أي: نبيِّنُها أو نوضِّحُها في غير هذا الموضع مثلَ ذلك التفصيل والتَّوضيح في هذا الموضع.

قوله: (﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾) أي: أنه مستحقٌّ للعبادة.

قوله: (فإنهم المُنتفعون بها) أي: وغيرُهم لا يعبأُ به ولا يُخاطبه.

قوله: (كالزنا) أي: والقتلِ وسَلْبِ الأموال وسائرِ أنواع الفِسق بالجارحة.

قوله: (أي: جَهرها وسرها) المرادُ بالجهر: المعاصي الظاهرية؛ كالقتل وشُرب الخمر، وبالسرِّ: المعاصي القلبية؛ كالعُجْب والكبر والرياء.

قوله: (﴿وَٱلْإِثْمَ﴾) عطفُ عامٍّ على خاص، وما بعده عطفُ خاصٍّ على عام؛ لمزيد الاعتناء بشأنه.

---

(١) قرأ نافع برفع التاء، والباقون بالفتح. «السراج المنير» (١/ ٤٧٢).

بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا ....

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ هو الظُّلمُ، ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾: بِإشراكِه ﴿سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّةً، ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن تَحريمِ ما لَم يُحَرَّم وغَيرِه.

﴿٣٤﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: مُدَّةٌ، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنهُ ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ علَيهِ.

﴿٣٥﴾ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا﴾ ـ فِيهِ إدغامُ نُونِ (إنْ) الشَّرطِيَّة ....

حاشية الصاوي

قوله: (هو الظلم) أي: للناس؛ إما بالقتل، أو سَلب الأموال، أو التكلُّم في أعراضهم، أو غير ذلك، وقوله: (﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾) إيضاحٌ لمعنى البغي، فهو صفةٌ كاشفة.

قوله: (﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾) (ما): نكرة بمعنى: شيء؛ أي: شيئاً برأَهُ تعالى[1].

قوله: (حُجة) أي: دليلاً؛ لأن دليلَ الوحدانية لله أبطلَ الشركَ لغيره.

قوله: (وغيره) أي: كتحليل الحرام، ويدخلُ في ذلك المفتي بالكذب.

قوله: (﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾) أي: لكلِّ فردٍ من أفراد الأمة.

قوله: (مُدة) أي: وقتٌ معين.

قوله: (﴿سَاعَةً﴾) أي: شيئاً قليلاً من الزمن، فالمرادُ بالساعة: الساعةُ الزمانية[2]، وقوله: ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ جواب (إذا)، وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ مُستأنفٌ أو معطوف على الجملة الشرطية، ولا يصحُّ عطفُهُ على قوله: ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ لأن المعطوفَ على الجواب جوابٌ، وجوابُ (إذا) يُشترطُ أن يكون مستقبلاً، والاستقدام بالنسبة لمجيء الأجل ماضٍ، فلا يصحُّ ترتُّبُهُ على الشرط.

قوله: (﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾) هذا خطابٌ عامٌّ لكلِّ مَنْ لآدم عليه وِلادة، من أول الزمان لآخره، ولكن المقصودُ مَنْ كان في زَمنه ﷺ، وفي هذه الآية دليلٌ على عموم رسالته؛ لأن اللهَ خاطبَ مِن أجله عمومَ بني آدم.

---

(١) في (ط٢): (سواه) بدل (برأه).

(٢) وهي أصغر وحدة زمانية عند العرب، فلذا عبَّر بها، أما الدقيقة والثانية فمُحدثة.

﴿يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾

في (ما) المَزِيدة ـ ﴿يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشِّرك ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ عَمَلَه، ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ في الآخِرة.

حاشية الصاوي

قوله: (في «ما» الزائدة) أي: لِلتأكيد.

قوله: (﴿يَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾) فعلُ الشرط مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محلِّ جزم، وجملةُ ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ إلى ﴿خَٰلِدُونَ﴾: جوابُ الشرط، والرابط مَحذوف، تقديرُهُ: فمن اتقى منكم، و(مَنْ): يحتمل أن تكون شرطيةً، و﴿ٱتَّقَىٰ﴾: فِعل الشرط، وجملة ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: جوابه، ويحتملُ أنها موصولة، و﴿ٱتَّقَىٰ﴾: صِلتها، وجملة ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: خبرها، وقُرِنَ بالفاء لِما في المبتدإ من معنى العُموم.

قوله: (﴿مِّنكُمۡ﴾) أي: من جِنسكم يا بني آدم، وإنما كان من جنسهم لأنه أقطَعُ لِعذرهم وحجَّتهم.

قوله: (﴿يَقُصُّونَ﴾) أي: يَقرؤون ويتلُون.

قوله: (﴿ءَايَٰتِي﴾) أي: القرآنية وغيرها.

قوله: (﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشرك) أشارَ بذلك إلى أن المراد بالتقوى هنا: التقوى العامة، وهي اتقاءُ الشرك بالإيمان؛ لِقرينة قوله: ﴿وَأَصۡلَحَ﴾، وأعلى منها تقوى الخواصِّ، وهي تركُ المعاصي، وأعلى منها تركُ الأغيار وكلِّ شُغل عن الله، ولهذه المرتبة أشارَ العارف بقوله: [الطويل]

وَلَوْ خَطَرَتْ لِي فِي سِواكَ إرادَةٌ   عَلَى خاطِرِي يَوْماً حَكَمْتُ بِرِدَّتِي[1]

قوله: (﴿وَأَصۡلَحَ﴾ عمله) أي: بأن ترك المعاصيَ أو كلَّ مُشغِل عن الله، فهو صادقٌ بتقوى الخواصِّ وخواصِّ الخواص.

قوله: (في الآخرة) أي: وأما في الدنيا فلا يفارقهم الخوفُ ولا الحزن؛ لِتذكُّرهم الموت وأحوالَ الآخرة ولو جاءتهم البشرى من الله، فالحزنُ دأبُ الصالحين في الدنيا لِزيادة رفع درجاتهم.

---

(١) تقدم أنه للعارف بالله عمر بن الفارض من تائيته المشهورة.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ....

﴿٣٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾: تكبَّروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يُؤمِنُوا بِها، ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنسبةِ الشَّريك والوَلَد إليه، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: القُرآنِ ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ﴾: يُصيبُهُم ﴿نَصِيبُهُم﴾: حَظُّهم ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ مِمَّا كُتِبَ لَهُم في اللَّوح المَحفُوظ مِن الرِّزقِ والأَجَلِ وغَيرِ ذلك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فلم يُؤمنوا بها) أشار بِذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف؛ أي: تكبَّروا عن الإيمان بها.

قوله: (أي: لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (بنسبة الشريك) الباء: سببيَّة، والمعنى: لا أحدَ أظلم ممن افترى على الله كذباً بسبب نسبة الشريك لله؛ ككفَّار مكة حيث أشركوا مع الله الأصنامَ، والنصارى واليهود حيث نسبُوا لله الولدَ.

قوله: (﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾) أي: وإن لم يَنسب الشريك له؛ لأنه لا يلزمُ من التكذيب بالآيات نسبةُ الشريك له، وأما نسبةُ الشريك له فيَلزم منها التكذيبُ بالآيات.

قوله: (﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ﴾) أي: في الدنيا.

قوله: (﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾) ﴿مِّنَ﴾: ابتدائية متعلقةٌ بمحذوف حال من ﴿نَصِيبُهُم﴾، وقوله: (مما كتب لهم) بَيانٌ للنصيب.

قوله: (من الرزق) أي: على حسَبه من سَعة وضيق، وكونه من حلال أو حَرام، وقوله: (والأجل) أي: من قِصر أو طول، وقوله: (وغير ذلك) أي: كالعمل، وكما أن ذلك مَكتوب في اللوح المحفوظ مكتوبٌ في صُحف الملائكة وهو في بطن أمِّه، فتحصَّلَ أن ما قُسمَ له في الحَياة الدنيا لا يُغيِّره كفرٌ ولا إسلام.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم ....﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي: الـمَـلائِـكـةُ ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ﴾ لَـهُـم تَـبـكِـيتـاً: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾: تَـعـبُـدُونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ﴾: غـابُـوا ﴿عَنَّا﴾ فـلَـم نَـرَهُـم، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ عِند الموتِ ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى لَهُم يَومَ القِيامة: ﴿ٱدْخُلُواْ فِىٓ﴾ جُملةِ ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم ...

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾) (حتى): إما ابتدائية، أو جارَّة.

قوله: (الملائكة) قيل: إنهم عزرائيلُ وأعوانُه لقبض أرواحهم، وقيل: إنهم ملائكةُ العذاب، وتقدَّم أنهم سبعٌ مُوكلون بأخذ روح الكافر بعد قَبضها للعذاب[1].

قوله: (تبكيتاً) أي: توبيخاً وتقريعاً.

قوله: (﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾) أي: الآلهة التي كنتم تَعبدونها في الدنيا فتمنعكم الآن من العذاب؟!

قوله: (فلم نرَهم) أي: مع شدَّةِ احتياجنا إليهم في هذا الوقت.

قوله: (﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾) كلامٌ مُستأنف إخبارٌ من الله بإقرارهم على أنفُسِهم بالكفر، ولا تعارُضَ بين هذا وبين قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؛ لأن مواقفَ القيامة مُختلفة.

قوله: (﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ﴾) أي: لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب وكذَّبوا بآياته.

قوله: (﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾) (في): بمعنى (مع) أي: ادخُلوا مصاحبين لأُمم، وهو حال من فاعل ﴿ٱدْخُلُواْ﴾، وتُسمَّى منتظرةً؛ لأنهم عند الدخول لم يكونوا مصاحبين للأمم.

وقوله: (﴿قَدْ خَلَتْ﴾) صفةٌ أولى لـ﴿أُمَمٍ﴾، وقوله: ﴿مِن قَبْلِكُم﴾ صفةٌ ثانية، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ صفةٌ ثالثة، وقوله: ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: (في): للظرفية، فاندَفع ما يُقالُ: يلزم عليه تعلُّقُ حرفي جرٍّ متَّحدَي اللفظ والمعنى بعامل واحد.

قوله: (﴿قَدْ خَلَتْ﴾) أي: سبقت ومَضت.

---

(١) انظر (٢/ ٣٨٤).

مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ....

﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ ـ مُتعلِّق بـ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾ ـ، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النَّار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ الَّتي قبلها لِضَلالِها بِها، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟﴾: تَلاحَقُوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ وهُم الأتباعُ ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ أي: لِأَجلِهِم وهُم المَتبُوعُون: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾: مُضعَّفاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ﴾ تَعالى: ﴿لِكُلٍّ﴾ مِنكُم ومِنهُم ﴿ضِعْفٌ﴾: عَذابٌ مُضَعَّفٌ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِى ٱلنَّارِ﴾) المرادُ بها: دارُ العقاب بجميع طِباقها.

قوله: (﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾) أي: في الدين.

قوله: (التي قبلها) أي: في التلبُّس بذلك الدين، فالنصارى تَلعنُ النصارى، واليهودُ تلعنُ اليهود، والمجوسُ تلعنُ المجوس، وهكذا كلٌّ من اقتدى بغيره في دين باطل.

قوله: (﴿ٱدَّارَكُوا۟﴾) أصله: تَدارکوا، قلبت التاء دالاً، وأدغمت في الدال، وأُتي بهمزة الوصل توصُّلاً للنطق بالساكن.

قوله: (﴿أُخْرَىٰهُمْ﴾) أي: المتأخِّرون عنهم في الزمن، فـ(أُخرى) تأنيثُ (آخِر) مقابل أوَّل، لا تأنيثُ آخَرَ الذي بمعنى غير.

قوله: (وهم الأتباع) أي: كانوا في زمنهم أو تأخَّروا بعدهم.

قوله: (أي: لأجلهم) أشار بذلك إلى أن اللامَ في ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ للتعليل وليست لِلتبليغ[1]؛ لأن الخطابَ مع الله لا معهم.

قوله: (وهم المُتبعون) أي: الرؤساء.

قوله: (﴿ضِعْفًا﴾) ضعفُ الشيء في الأصل: أقلُّ ما يتحقَّقُ فيه مثلُ ذلك الشيء، والمراد هنا الزيادةُ إلى غير نهاية؛ بدليل قول المفسِّر: (مضعَّفاً).

قوله: (﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾) أما المتقدمون فلِضلالهم وإضلالهم، وأما المتأخرون فلِكفرهم وتقليدهم.

---

(١) التي للتبليغ كالتي في قولك: (قلت لزيد: افعل). «الفتوحات» (٢/ ١٤٠).

وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ....

﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ - بالياءِ والتَّاء - ما لِكُلٍّ فريق.

﴿٣٩﴾ ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ لِأنَّكم لَم تكفُروا بِسَبَبِنا، فنَحنُ وأنتُم سواءٌ، قال تعالى لَهم: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: تكَبَّرُوا ﴿عَنْهَا﴾ فلَم يُؤمِنُوا بِها، ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١]، فعلى التاء يكون خطاباً للأُخرى أو للأحياء الذين في الدنيا، وعلى الياء يكون إخباراً عن المتأخرين والمتقدِّمين.

قوله: (ما لكل فريق) أشارَ بذلك إلى أن مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

قوله: (﴿لِأُخْرَىٰهُمْ﴾) اللام هنا للتبليغ؛ لأن الخطابَ معهم.

قوله: (لأنكم لم تكفروا بِسببنا) أي: بل كفرتم اختياراً، لا أنا حمَلناكم على الكفر وأكرهناكم عليه؛ لأنه لا يمكنُ الجبر على الكفر؛ لتعلُّقه بالقلب.

قوله: (قال تعالى لهم) هذه إحدى طريقتين، والأخرى أنه من كلام الرؤساء للأتباع.

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾) أي: بسبب كَسبكم من الكفر والمخالفة.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾) أي: وماتُوا على ذلك.

قوله: (فلم يؤمنوا بها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذفٍ[٢]، والتقديرُ: تكبَّروا عن الإيمان بها.

قوله: (﴿لَا تُفَتَّحُ﴾) بالبناء للمفعول إمَّا بالتاء أو الياء مع التخفيف أو التشديد، وكلُّها سبعيةٌ[٣].

---

(١) قرأ أبو بكر عن عاصم بياء الغيبة، والعامة بالتاء. انظر «الدر المصون» (٥/ ٣١٦).

(٢) في (ط٢): (على حذف مضاف)، وضُرِبَ على كلمة (مضاف) في (أ).

(٣) قرأ أبو عمرو بضم التاء والتخفيف، وحمزة والكسائي بالياء والتخفيف، والباقون بالتأنيث والتشديد. انظر «الفتوحات» (٢/ ١٤١).

وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ....

إذا عُرِجَ بِأرواحِهِم إِلَيها بَعد المَوتِ، فيُهبَطُ بِها إلى سِجِّين، بِخِلافِ المُؤمِن فيُفْتَح لَه ويُصعَد بِرُوحِه إلى السَّماء السَّابِعة كما ورَد في حَديثٍ، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ﴾: يَدخُلَ ﴿ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾: ثُقْبِ الإبرةِ، وهو غَيرُ مُمكِن فكَذا دُخُولُهم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (إذا عُرجَ بأرواحهم) ومثلُها دعاؤهم وأعمالهم.

قوله: (إلى سجين) هو وادٍ في جهنم أسفلَ الأرض السابعة، تُسجنُ به أرواح الكفار، وقيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفَرة، وأما (عِليون) فقيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلَين، وقيل: هو مكان في الجنة في السماء السابعة تحت العرش.

قوله: (ويُصعدُ بروحه إلى السماء السابعة) أي: وترى مقعدَها في الجنة، وترجع مَسرورة، فعند ذلك يُرى البِشْرُ والنور على جسمها.

قوله: (كما ورد في حديث) أي: وهو كما قالَ رسول الله ﷺ في قبض روح الكافر: **«ويخرجُ معها ريحٌ كأنتنِ جيفةٍ وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرُّون على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروحُ الخبيثة؟ فيَقولون: فلان بن فلان بأقبحِ أسمائه التي يُسمَّى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيَستفتحون فلا يُفتحُ لهم، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠]»**[1].

قوله: (﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾) أي: بعد الموت.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾) الوُلوج: الدخولُ بشدة، والجمل: الذكرُ من الإبل، وخصَّهُ بذلك لأنه أعظَم جسم عند العرب، فجسمُ الجمَل من أعظم الأجسام، وثقبُ الإبرة من أضيَق المنافذ، وهو تعليق جائز على مستحيل، والمعلَّقُ على المستحيل مستحيلٌ، فاستُفيدَ من ذلك أن دخول الكفار الجنة مستحِيل.

قوله: (﴿فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾) السَّم مثلَّث السين، لكن القراء السبعة على الفتح، وقُرئ شذوذاً

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٧).

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ ....

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الجزاءِ ﴿نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بالكُفر.

﴿٤١﴾ ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾: فِراشٌ، ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾: أغطِيَةٌ مِن النَّار، جَمعُ (غاشِية)، ـ وتَنوينُه عِوَض من الياءِ المَحذُوفة ـ، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ....

حاشية الصاوي

بالكسر والضم، وجمعه سِمام، وأما ما يقتلُ فهو مُثلث أيضاً إلا أن جمعه سُموم[1]، والخِياطُ هو: الآلة التي يُخاطُ بها، ويُقالُ لها: مِخيَط أيضاً.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ **الجزاء**) أي: المتقدم، وهو عدمُ فتح أبواب السماء لهم وعدمُ دخولهم الجنة.

قوله: (﴿نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾) أي: كما جزَينا هؤلاء نجزي كلَّ من اتصف بالإجرام من مبدإ الزمان إلى مُنتهاه.

قوله: (﴿لَهُم﴾) أي: للذين كذبوا واستكبروا.

قوله: (﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾) الجار والمجرور: خبر مقدَّم، و﴿غَوَاشٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، منع من ظُهورها الثقل، والمعنى: أن النار محيطةٌ بهم من كل جانب، وقد وَرد: أن سقف النار من نحاس، وأرضها من رَصاص، وحِيطانها من كبريت، ووقودها الناسُ والحجارة.

قوله: (**وتنوينُه عوض من الياء المحذوفة**) هذا بناء على الصحيح من أن الإعلال مقدَّم على منع الصرف، فأصله: غَواشيٌ بالتنوين، استُثقلت الضمة على الياء فحذفت، فاجتمع ساكنان الياء والتنوين، فحُذفت لالتقائهما، ثم لُوحظ أن الكلمة ممنوعة من الصرف، فحُذف تنوين الصرف، فخِيف من رجوع الياء، فأُتي بالتنوين عوضاً عنها.

وأما تصريفُها على أن منع الصرف مقدَّم على الإعلال فأصلُها: غَواشيُ بترك التنوين، استُثقلت الضمة على الياء فحذفت، ثم أُتيَ بالتنوين عوضاً عن الحركة التي هي الضمة، فالتقى ساكنان الياء والتنوينُ، حذفت الياء لالتقائهما.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) أي: مثلُ الجزاء المتقدم.

---

(١) وسِمام أيضاً كما في «المصباح المنير» (س م م).

﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٤٢﴾ ....

نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿٤٢﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ـ مُبتَدأ ـ، وقولُه: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾: طاقَتَها مِن العمَل ـ اعتِراضٌ بَينه وبينَ خَبَرِه، وهو: ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) عبَّرَ عنهم أوّلاً بالمجرمين، وهُنا بالظالمين؛ إشارةً إلى أنهم اتَّصفوا بالأمرين معاً.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) لما ذكرَ وعيد الكافرين أتبعه بِذكر وعد المؤمنين على حكم عادته سبحانه في كتابِه، والاسم الموصول: مبتدأ، و﴿ءَامَنُواْ﴾: صلته، و(عملوا الصالحات): معطوف عليه، وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾ اعتراضٌ بين المبتدإ والخبر، وهو قولُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾، وهذا ما مشى عليه المفسِّر تبعاً لأكثر عُلماء المعاني، وقال بعضهم: إن قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾ خبر، والرابطُ محذوف، تقديره: لا نكلِّفُ منهم.

قوله: (﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾) أي: ما يَسعُها من الأعمال وما يَسهل عليها ودخل في طَوقها وقدرتها، وكلُّ هذا تفضُّل منه سبحانه وتعالى[(١)].

قوله: (اعتراض) وحكمتُهُ: تبكيتُ الكفار وتَنبيههم على أنَّ الجنة مع عِظَم قدرها يتوصَّل إليها بالعمل السهل من غير كُلفة ولا مَشقَّة.

إن قلتَ: وردَ: أن الجنة حُفَّت بالمكاره[(٢)]، فكيف تقولُون: إن الجنة يتوصَّل إليها بالعمل السهل؟

أجيبَ: بأن المراد بالمكاره: مُخالفةُ شهوات النفس، وهي في طاقة العبد، فالمراد بالعمل السهل: ما كان في طاقة العبد، كان فعلاً أو تركاً.

---

(١) بل من رحمته سبحانه أن كلَّف عباده ما هو دون الوُسْع، حيث افترض عليهم ما هو داخل في وسعهم، ثم فسح لهم ميدان التسابق بالخيرات سنة ونفلاً، قال الإمام القشيري في «لطائفه» (١/٢١٦): (لكمال رحمته بهم وقفهم على حدِّ وسعهم ودون ذلك بكثير، كل ذلك رفق منه وفضل).

(٢) رواه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢).

وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ ....

﴿٤٣﴾ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: حِقدٍ كان بَينهم في الدُّنيا، ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ﴾: تَحتَ قُصُورِهم ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟﴾ عِندَ الاستِقرار في مَنازِلِهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ العَمَل الَّذي هذا جَزاؤُه، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾) أي: خلقناهم في الجنة مُطهَّرين منه، لا أنهم دخلوا الجنة به ثم نُزِع، وحكمةُ نزع الغلِّ من صُدور أهل الجنة: أن كلَّ أحد منهم أُعطي فوق أمانيِّهِ أضعافاً مُضاعفة.

قوله: (حِقد كان بينهم في الدنيا) الحقدُ: هو ضِيق الصدر من الغير، وهو أُسُّ الحسد، وهو معصية قلبيَّة تجبُ التوبة منه، ومجاهدة النفس للتخلُّص منه، ومِن هنا افترق كبار الصالحين من صغارهم.

واعلَم: أن الناس ثلاثة أقسام: قسم خلُصَت قلوبُهم من الأمراض الباطنية، فهم في الدنيا كأهل الجنة في الجنة، يحبُّون للناس ما يحبُّون لأنفسهم، وهم الأنبياءُ ومن كان على قَدمهم، وقسم لم تخلُصْ قلوبهم، غير أنهم لم يرضَوا لأنفسهم بذلك، ويَلومون أنفسهم على ما وقعَ في قلوبهم، وهؤلاء المجاهِدون لأنفسهم، ولا يُؤاخذون بذلك حينئذٍ، وقِسم لم تخلُصْ قلوبُهم وهم راضون لأنفسهم بذلك، وهؤلاء فسَّاق يجب عليهم مُجاهدة نفوسهم في تخليصهم من تلك الآفات.

قوله: (تحت قُصورهم) أي: بجانب جِدارها، وليس المراد: أنها تجري من تحت الجدار.

قوله: (﴿ٱلَّذِى هَدَىٰنَا﴾) أي: أرشَدنا ووفَّقنا.

قوله: (العُموم الذي هنا جزاؤه) كذا في نُسخة، وفي نسخة أخرى: (لعمل هذا جزاؤه)، وفي أخرى: (لهذا العمل هذا جزاؤه).

قوله: (﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ﴾) بالواو ودُونها، قراءتان سبعيَّتان[1]، والجملة إما مُستأنفة أو حالية على كلٍّ.

---

(١) قرأ ابن عامر ـ وكذا رسمت في مصاحف الشام ـ بغير واو. «الفتوحات» (٢/ ١٤٣).

لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ....

ـ حُذِفَ جَواب ﴿لَوْلَآ﴾ لِدَلالة ما قَبله علَيه ـ، ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن﴾ ـ مُخفَّفة أي: أنَّه، أو مُفسِّرةٌ في المواضِع الخمسةِ ـ، ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (لِدلالة ما قبله عليه) أي: وهو قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ﴾، والتقدير: ولولا هدايةُ الله لنا موجودةٌ ما اهتَدينا.

قوله: (﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾) هذا إقسام من أهل الجنة شكراً لنعم الله وتحدُّثاً بها، والمعنى: أن ما أخبَرونا به في الدنيا من الثواب حقٌّ وصدق؛ لمشاهدتِنا له عِياناً.

قوله: (﴿وَنُودُوٓا۟﴾) يحتمل أن المناديَ هو الله، ويحتمل أنه الملائكة.

قوله: (مخففة) أي: واسمها ضمير الشأن، وخبرها الجملةُ بعدها.

قوله: (أو مفسِّرة) أي: لأنه تقدَّمها جملة فيها معنى القول دُون حروفه، وهو قوله: ﴿وَنُودُوٓا۟﴾.

قوله: (في المواضع الخمسة) أي: من هنا إلى قوله: ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾.

قوله: (﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾) اسم الإشارة: مبتدأ، و﴿ٱلْجَنَّةُ﴾: خبر، وقوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ حالٌ من ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾، أو ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾: نعت لاسم الإشارة، و﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾: خبره، وأتى باسم الإشارة البعيد؛ إشارةً لعظم رُتبتها ومكانتها؛ على حدِّ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢].

قوله: (﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾) أي: من الكُفار؛ لأن الله خلق في الجنة منازل للكفار بتقدير إيمانهم، فمَن لم يؤمن منهم جعل مَنزله لأهل الجنة، فكلُّ واحد من أهل الجنة يأخذ منازلَ تسع مئة وتسعةٍ وتسعين من أهل النار يضمُّ لمنزله[١]، فيجتمع له ألفُ منزل، فلمَّا كان الغالبُ منها ميراثاً أُطلق على جميعها اسمُ الميراث، وحِكمةُ إطلاق اسم الإرث عليها: أن الكفار سمَّاهم الله أمواتاً بقوله: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل: ٢١]، والمؤمنين أحياءٌ، ومن المعلوم أن الحيَّ يرث الميت.

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) الباء: سببيَّة، و(ما): مصدريَّة؛ أي: بسبب عملكم.

إن قلتَ: ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «**لن يدخل الجنةَ أحدٌ بعمله**»، قيل: ولا أنتَ يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يَتغمدني الله برحمته**»[٢].

---

(١) لحديث بعث النار المشهور، وتقدمت الإشارة لهذا.

(٢) رواه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥﴾ ....

٤٤ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ تقريراً وتبكيتاً: ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ مِن الثواب ﴿حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ﴾كُم ﴿رَبُّكُمۡ﴾ مِن العذاب ﴿حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ﴾ نادى مُنادٍ ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾: بينَ الفريقَينِ أسمَعهُم: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٤٥ ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ النَّاسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِه ﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾ أي: يَطلُبُون السَّبِيلَ ﴿عِوَجٗا﴾: مُعوَجَّةً ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾.

حاشية الصاوي

أجيبَ: بأن الآيةَ محمولة على العمل المصحوب بالفضل، والحديث محمولٌ على العمل المجرَّد عنه.

قوله: (﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾) إن قلتَ: إذا كانت الجنة في السماء والنار في الأرض.. فكيف يَسمعون النداء؟

أجيبَ: بأن القيامةَ خارقة لِلعادة، فلا مانعَ من وصول النداء لهم، وهذا النداء من كلِّ فرد من أفراد أهل الجنة لكلِّ فرد من أفراد أهل النار؛ لأن مُقابلة الجمع بالجمع تقتضي القِسمة على الآحاد.

قوله: (﴿مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗا﴾) تسميتُهُ وعداً مشاكلة، وإلا.. فالإخبار بالشرِّ إيعادٌ لا وَعد، وقدَّر المفسِّر الكاف؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿وَعَدَ﴾ محذوف، وقوله: (من العقاب) بيان لـ(ما).

قوله: (نادى مناد) قيل: هو إسرافيل، وقيل: غَيره من الملائكة.

قوله: (أسمعهم) تفسير لقوله: ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾) نعتٌ لـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قوله: (مُعوجة) أي: مائلةً عن الحق، والمعنى: أنهم يغيِّرون دين الله وطريقَته التي شرعَ لعباده.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ....

﴿٤٦﴾ ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ أي: أصحابِ الجَنَّة والنَّار ﴿حِجَابٌ﴾: حاجِزٌ، قِيل: هو سُورُ الأعراف، ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ وهو سُورُ الجَنَّة ﴿رِجَالٌ﴾ استَوَتْ حَسَناتُهم وسَيِّئاتهم كما في الحَدِيث، ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ مِن أهلِ الجَنَّة والنَّار ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾: بِعَلامَتِهم، وهي بَياضُ الوُجُوه لِلمُؤمِنِينَ وسَوادُها لِلكافِرِين لِرُؤيَتِهِم لَهُم؛ إذ مَوضِعُهم عالٍ، ﴿وَنَادَوْا أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾، قال تَعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي: أصحابُ الأعرافِ الجَنَّةَ، ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ في دُخُولها، قال الحَسَنُ: لَم يُطمِعهُم إلَّا لِكَرامةٍ يُرِيدها بِهم، ورَوَى الحاكِمُ عن حُذَيفة قال: بَينَما هُم كَذلك ....

حاشية الصاوي

قوله: (حاجز) أي: يمنعُ وصولَ كلٍّ منهما للآخر.

قوله: (استوت حسناتهم وسيئاتهم) هذا قولٌ من ثلاثةَ عشرَ قولاً[1]، وقيل: أولاد المشركين الذين ماتوا صغاراً، وقيل: ناسٌ خرجوا لِلغزو في سبيل الله من غير إذن آبائهم ثم قُتلوا، وقيل: ناسٌ برُّوا آباءَهم دون أمهاتهم، وبالعكس، وقيل: إنهم عدولُ القيامة يشهدون على الناس بأعمالهم، وهم في كلِّ أمة.

قوله: (كما في الحديث) أي: وهو أن الله يُحاسبُ الناسَ يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثرَ بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثرَ بواحدةٍ دخل النار، ومَن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوَقفوا على الأعراف، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادَوهم: سلامٌ عليكم، وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا: ربَّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين[2]، فهناك يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، فكان الطمع دخولاً.

قوله: (﴿وَنَادَوْا﴾) أي: أصحابُ الأعراف.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أن الوقفَ على قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ كلامٌ

---

(١) ذكر الخازن منها ثمانية، وزاد عليه القرطبي خمسة. «الفتوحات» (٢/ ١٤٥).

(٢) رواه أبو حنيفة في «مسنده» (ص٢٠٣) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً.

وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَبُ ٱلْأَعْرَافِ ....

إذ طَلَعَ علَيهِم رَبُّك فقال: قُومُوا ادخُلُوا الجَنَّة فقد غَفَرتُ لَكم.

﴿٤٧﴾ ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ﴾ أي: أصحابِ الأعرافِ ﴿تِلْقَاءَ﴾: جِهةَ ﴿أَصْحَبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾ في النارِ ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّلِمِينَ﴾.

﴿٤٨﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَبُ ٱلْأَعْرَافِ ....

حاشية الصاوي

مستأنف جواب عن سؤال مقدَّر، كأن قائلاً قال: وما صَنع بأهل الأعراف؟ فأجيب بأنهم لم يدخلوها.

قوله: (إذ طلع عليهم ربك) أي: أزالَ عنهم الحجبَ حتى رأوه وسمعوا كلامه.

قوله: (فقال: قوموا ادخلوا الجنة) أي: فينطلق بهم إلى نهر يُقالُ له: نهر الحياة، حافَتاه قضب الذهب، مكلَّلٌ باللؤلؤ، ترابه المسك، فيلقوا فيه، فتصلح ألوانهم وتبدُو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، يُسمَّون مساكينَ أهل الجنة[١].

قوله: (﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ﴾) عبَّرَ بالصرف دون النظر؛ إشارةً إلى أن نظرهم إلى أهل النار غيرُ مقصود؛ لأن رؤية العذاب وأهله تُسيء الناظر، بخلاف النظر للنعيم وأهله ففيه مسرَّةٌ للناظر؛ فلذا لم يُعبِّرْ في جانبه بالصرف، بل قال: ﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾.

قوله: (﴿تِلْقَاءَ﴾) بالمد والقصر قراءتان سبعيَّتان[٢]، وهي ظرف مكان بمعنى جهة، ويُستعمل مصدراً كـ(التبيان)، ولم يجِئْ من المصادر على تِفعال بالكسر غير التِّلقاء والتبيان والزلزال، وبعضهم ألحَق التكرار بذلك[٣].

وقوله: (في النار) أي: لا ابتداءً مع العصاة، ولا دَواماً مع الكفار.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٦٨).

(٢) قرأ قالون وأبو عمرو البزي بإسقاط الهمزة الأولى، وأبدلها ورش وقنبل حرف مد وسهلاها، والباقون بالتحقيق. «السراج المنير» (١/ ٤٧٧).

(٣) ذكر (الزلزال) معها مشكلٌ؛ لأن الزاي أصلية، ووزنه: (فِعلال)، ويجوز فيه (فَعلال) بالفتح تشبيهاً بالتَّفعال. انظر «شرح الأشموني على الألفية» (٢/ ٢٣٧).

رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ....

﴿رِجَالًا﴾ مِن أصحابِ النَّار ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ﴾ مِن النَّارِ ﴿جَمْعُكُمْ﴾ المالَ أو كَثرَتكُم، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: واستِكبارُكم عن الإيمانِ، ويقُولُون لَهُم مُشِيرِين إلى ضُعَفاء المُسلِمِين:

﴿٤٩﴾ ﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿رِجَالًا﴾) أي: كانوا عظماءَ في الدنيا؛ كأبي جهل والوليدِ بن المغيرة وعُقبةَ بن أبي معيط وأضرابهم.

قوله: (﴿بِسِيمَاهُمْ﴾) أي: علامتِهم، وتقدَّم أنها سوادُ الوجه للكفار.

قوله: (﴿مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ﴾) يحتمل أن ﴿مَا﴾ استفهامية؛ أي: أيُّ شيء أغنى عنكم جمعُكم؟ ويحتمل أنها نافية؛ أي: لم يُغنِ عنكم جمعُكم ولا استكباركم شيئاً من عذاب الله، وقوله: (المال) أشار بذلك إلى أن (جمع) مصدر مضاف لفاعله، ومفعوله محذوف قدَّره بقوله: (المال)، وقوله: (أو كثرتكم) إشارة لتفسير ثانٍ لـ﴿جَمْعُكُمْ﴾، فيكون معناه: جماعتكم.

قوله: (أي: واستكباركم) سبكَ المصدرَ ممَّا بعد (كان) جرياً على قول مَن يقول: إن (كان) تجرَّدت عن معنى الحدث وصارت لمجرد الرَّبط، ولو مشى على مقابله المشهور لقال: (وكونكم مستكبرين)، وإنما حمل المفسِّرَ على ذلك الاختصارُ.

قوله: (مشيرين) أي: أهل الأعراف.

قوله: (إلى ضعفاء المسلمين) أي: الذين كانوا يُعذَّبون في الدنيا، وكان المشركون يَسخرون بهم؛ كصُهيب وبلال وسلمان وخبَّاب ونحوِهم.

قوله: (﴿أَهَٰؤُلَاءِ﴾) استفهامُ تقرير وتوبيخ.

قوله: (﴿أَقْسَمْتُمْ﴾) أي: باللات والعزى، وقوله: (﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾) هذا هو المقسم عليه، ويُؤخذُ من الآية: أن أهل الأعراف ناظِرون لأهل الجنة وأهل النار، وأن أهل النار ناظرُون لأهل الأعراف وأهل الجنة، وهذا لمزيد الحسرة لهم، فهم يعذَّبون بالنار، والتبكيت من أهل الأعراف.

ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ....

قد قِيل لَهُم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، وقُرِئ: (أُدخِلُوا) بِالبِناء لِلمفعُولِ، و(دَخَلُوا)، فجُملة النَّفي حالٌ أي: مَقُولاً لهم ذلك.

﴿٥٠﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ مِن الطَّعام ....

حاشية الصاوي

قوله: (قد قيل لهم) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ مَقول لذلك القول المحذوف؛ ليصحَّ جعلها خبراً ثانياً؛ لأن الجملة الطلبية لا يصحُّ وقوعها خبراً إلا إذا أُوِّلت بخبر.

قوله: (وقُرئ «أدخِلوا. . . إلخ») هاتان القراءتان شاذَّتان على عادَته، حيث يعبِّرُ عن الشاذ بـ(قُرِئ)، وعن السبعيِّ بـ(وفي قراءة)، وعلى هاتين القراءتين فلا يُحتاجُ لتقدير القول؛ لأن الجملة خَبرية.

قوله: (فجملة النفي) أي: جِنسها الصادق بالجملتين، وهما ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

قوله: (حال) أي: معمول لحال محذوفة، ففي كلامه تسمُّحٌ، وهذا على القراءتين الشاذتَين، وأما على القراءة السبعيَّة فلا يُحتاجُ لذلك.

قوله: (﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾) قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: لما صار أصحابُ الأعراف إلى الجنة طَمعَ أهل النار في الفرج عنهم، فقالوا: يا ربُّ؛ إن لنا قَرابات من أهل الجنة، فائذَنْ لنا حتى نراهم ونُكلِّمهم، فيأذن لهم، فيَنظرون إلى قَراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيَعرفونهم، وينظر أهلُ الجنة إلى قراباتهم من أهل النار فلم يَعرفوهم لسواد وجوههم، فيُنادي أصحابُ النار أصحابَ الجنة بأسمائهم، فينادي الرجلُ أباه وأخاه فيقول: قد احترَقتُ، أَفِضْ عليَّ من الماء، فيُقالُ لهم: أجيبوهم، فيقولون: إن الله حرَّمَهما على الكافِرين[1].

قوله: (من الطعام) أي: الشامل لِلمشروب والمأكول، وحينئذٍ فيضمَّنُ ﴿أَفِيضُوا۟﴾ معنى (ألقوا) نظير: [الكامل]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٣).

قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا ....

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾: مَنَعَهُما ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿٥١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾: نَترُكُهُم في النَّار ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ ....

حاشية الصاوي

عَلَفْتُهَا تِبْناً وَماءً بارِداً[1]

و (أو) بمعنى الواو بدليل قوله: ﴿حَرَّمَهُمَا﴾، وإلا.. لو بقيت على بابها من التخيير لأُعيد الضميرُ مفرداً.

قوله: (منعهما) أي: فالتعبير بالتحريم مجازٌ؛ لانقطاع التكليف بالموت، ويُعلم من هذا أنه لا يتأثَّرُ أهل الجنة بعذاب أهل النار؛ لِتقطُّع الأنساب بينهم، ونزعُ الرحمة من قلوب أهل الجنة لأهل النار لاستحقاقهم ما هم فيه من العذاب.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾) هذا وصف للكافرين.

قوله: (﴿لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾) اللهوُ: صرفُ الهمِّ بما لا يَحسن أن يصرف به، واللعبُ: طلبُ الفرح بما لا يحسن أن يُطلب به.

قوله: (﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾) أي: شَغَلتهم بالطمع في طول العمر وحُسن العيش.

قوله: (﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾) ليس من كلام أهل الجنة، وإنما هو قول الربِّ جل جلاله، فالفاء واقعة في جواب شرط مقدَّر، تقديره: فإذا كان هذا حالُ الكافرين فاليومَ ننساهم.

قوله: (نتركهم في النار) أشار بذلك إلى أن النسيان مستعملٌ في لازمِه وهو الترك؛ لأنَّ حقيقته مستحيلةٌ على الله، فالمعنى: نُعاملهم معاملة الناسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار.

قوله: (﴿كَمَا نَسُواْ﴾) الكاف: تعليليَّة، و(ما): مصدريَّة؛ أي: لأجل نِسيانهم.

---

(١) أورد لَهُ العَلامَة الشِّيرَازِيّ والفاضل اليمني صَدراً وَجعلا المَذكُور عَجزاً هَكَذَا:

لما حَطَطتُ الرحلَ عَنْهَا وارِدَا ... عَلَفتُهَا تِبناً وَمَاءً بَارِدَا

وَجعله غَيرهمَا صَدراً وَأورد عَجزاً:

حَتَّى شَتَت هَمَّالةً عَيناهَا

انظر «خزانة الأدب» (٣/ ١٤)، والتقدير: وسقَيتها ماء بارداً.

وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ ....

بِتَرْكِهِم العَمَلَ لَه، ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أي: وكما جَحَدُوا.

﴿٥٢﴾ ﴿وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم﴾ أي: أهلَ مَكَّة ﴿بِكِتَـٰبٍ﴾: قُرآنٍ ﴿فَصَّلْنَـٰهُ﴾: بَيَّنَّاهُ بِالأخبارِ والوَعدِ والوَعِيد ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ـ حالٌ ـ، أي: عالِمِين بِما فُصِّلَ فِيه، ﴿هُدًى﴾ ـ حالٌ مِن الهاء ـ ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بِه.

﴿٥٣﴾ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما يَنتَظِرُون ....

حاشية الصاوي

قوله: (بتركهم العمل له) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، تقديره: كما نسُوا العملَ للقاء يومهم هذا.

قوله: (أي: وكما جَحدوا) أشار بذلك إلى أن (ما) معطوف على (ما) الأولى مسلَّطٌ عليه كافُ التعليل، والمعنى: نَتركهم في النار لتركهم العمل ولِجحدهم آياتِنا.

قوله: (﴿فَصَّلْنَـٰهُ﴾) القراءة السبعيَّةُ بالصاد، وقُرِئَ شذوذاً بالضاد المعجمة؛ أي: فضَّلناه على غيره من الكُتب السماوية.

قوله: (بالأخبار والوعد) أي: وكذا بقيةُ الأنواع التسعة التي جمَعها بعضهم في قوله: [الطويل]

حَـلالٌ حَـرامٌ مُـحْـكَـمٌ مُـتَـشـابِـهٌ بَـشِـيـرٌ نَـذِيـرٌ قِـصَّـةٌ عِـظَـةٌ مَـثَـلْ[1]

قوله: (حال) أي: من الفاعل، ويصحُّ كونه حالاً من المفعول، والمعنى: فصَّلناه حال كونه مشتملاً على عِلم.

قوله: (حال من الهاء) أي: أو مِن كتاب، وجاز ذلك لِتَخصيصه بالوصف[2].

قوله: (﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾) أي: أهلُ مكة[3].

---

(١) كذا في «الفتوحات» (٢/ ١٤٨).

(٢) فجملة (فصلناه) صفةٌ لـ(كتاب)، فنأى عن التنكير بالتخصيص، ويجوز أن تكون (هدى ورحمة) مفعولاً من أجله كما نبَّه العلامة السمين في «الدر المصون» (٥/ ٣٣٦).

(٣) فإن قيل: كيف يتوقعون وينتظرون ذلك مع جُحودهم له؟ أجيب: بأنهم مع جحودهم إياه جُعلوا بمنزلة المنتظرين له من حيث إنه يأتيهم لا محالة. «الفتوحات» (٢/ ١٤٨).

إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ....

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾: عاقِبةَ ما فيه، ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ هو يَومُ القِيامةِ ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾: تَرَكُوا الإيمانَ به: ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدُّنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾: نُوَحِّدَ اللهَ ونَتْرُكَ الشِّركَ؟ فيُقالُ لهم: لا، قال تَعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ إذ صارُوا إلى الهَلاكِ، ﴿وَضَلَّ﴾: ذَهَبَ ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ مِن دَعوَى الشَّريكِ.

﴿٥٤﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (عاقبة ما فيه) أي: فهذا هو المراد بتأويله، بمعنى: ما يؤولُ إليه وَعيدُ القرآن لهم.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾) أي: التأويلَ.

قوله: (﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾) أي: قد تبيَّن صِدقهم فيما جاؤوا به، واعترفوا بذلك لمعاينةِ العذاب.

قوله: (﴿فَيَشْفَعُوا۟﴾) منصوب بـ(أن) مُضمرة في جواب الاستفهام، فهو عطفُ اسم مؤوَّل على اسم صريح[1].

قوله: (﴿أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾) أشار بذلك إلى أن جملة ﴿نُرَدُّ﴾ معطوفة على التي قبلها، والاستفهام مسلَّطٌ عليهما.

قوله: (﴿فَنَعْمَلَ﴾) منصوب بـ(أن) مضمرة في جواب الاستفهام الثاني، والمعنى: نَطلب أحد أمرين: إما الشفاعة لنا فيما سَبق منا، أو نرجع إلى الدنيا ونُحسن العمل فيها.

قوله: (من دعوى الشريك) أي: من دعوى نفع الشريك؛ لأنهم كانوا يَدَّعون أن الأصنام تنفعهم.

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾) أي: لا غيره.

---

(١) أي: فهل لنا شفعاءُ فشفاعةٌ منهم لنا. «الدر المصون» (٥/ ٣٣٧).

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ....

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مِن أيَّامِ الدُّنيا، أي: في قَدرِها لِأَنَّهُ لَم يَكُن ثَمَّ شَمسٌ، ولَو شاء خَلَقَهُنَّ في لَمحةٍ، والعُدُولُ عنهُ لِتَعلِيمِ خَلقِهِ التَّثَبُّتَ، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللُّغة سَرِيرُ المُلك

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾) أي: وأولها الأحد وآخرها الجمعة؛ كما ورد: أنه ابتدأ الخلق في يوم الأحد، وأنه خلق الأرضَ في يومين الأحد والاثنين، والسماوات في يومَين الخميس والجمعة، وأنه خلق الجبال والوحوش والأشجار والزُّروع والحيوانات في الثلاثاء والأربعاء.

وروى مسلم والحاكم عن ابن عباس أن الله خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخَلق الجبال وما فيهنَّ من منافع يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الصخر والماء والطين والعمران والخَراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بَقِين منه، فخلق الله في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال، وفي الثانية ألقى الله الألفةَ على كلِّ شيء مما ينتفع به الناس، وخَلق في الثالثة آدم وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له وأخرَجه منها في آخر ساعة[١].

واستشكل ذلك: بأنه لم يكن ثَمَّ شمس[٢]! والجوابُ: بأن المراد: في قَدرها. . لا يجدي نفعاً إلا أن يُقالَ: إن ذلك التقديرَ في عِلم الله؛ بحيث لو كانت الأيام مَوجودة لكانت كذلك.

ثم اعلم: أنَّ ما هنا من الأحاديث موافق لما يَأتي في سورة (فصلت) من أنَّ خلق الأرض مقدَّم على السماء، ولا تَنافيَ بينه وبين ما يأتي في سورة (النازعات) في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] المقتضي تقديمَ السماء على الأرض؛ لأن الدحيَ غيرُ الخلق؛ فإن الأرض خُلقت أولاً كُرة ثم بعد خلْقِ السماء بُسطتِ الأرضُ.

قوله: (أي: في قَدرها) جواب عن سؤال مقدَّر أفاده المفسر بقوله: (لأنه لم يكن ثَمَّ شمس).

قوله: (التثبُّت) أي: التمهُّلَ في الأمور وعدمَ العجلة.

قوله: (هو في اللغة سَرير الملك) أي: وتَسميته عرشاً إنما هو بالنسبة لما عدَا الراكب عليه لِعُلوه عليهم، وأما المراد به هنا فهو الجسمُ النورانيُّ المرتفع على كلِّ الأجسام المحيط بكلِّها[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٤٣)، وفيهما ابتداء الخلق يوم السبت والأحد.

(٢) يعني: كيف نقول: هناك أيام تجري ولا شمس؟

(٣) كذا في «الفتوحات» (٢/ ١٤٩) نقلاً عن العلامة الأجهوري.

يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ ....

استِواءً يَلِيق بِه، ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ ـ مُخَفَّفاً ومُشَدَّداً ـ أي: يُغَطِّي كُلًّا مِنهُما بِالآخَرِ، ﴿يَطۡلُبُهُۥ﴾: يَطلُب كُلٌّ مِنهُما الآخَرَ طَلَباً ﴿حَثِيثٗا﴾: سَرِيعاً، ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (استواء يَليق به) هذه طريقةُ السلف الذين يُفوِّضون علمَ المتشابه لله تعالى، وهذا نظير ما وقع لمالك بن أنس أنه سأله رجلٌ عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال: (الاستواءُ معلوم، والكيفُ مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أخرجوا عني هذا المبتدع)[١]، وأما طريقة الخلف فيؤوِّلون الاستواء بالاستيلاء بمعنى: الملك والتصرُّف؛ فالاستواء يُطلق حقيقة على الركوب وهو مُستحيلٌ على الله، وعلى الاستيلاء والتصرف وهو المراد، قال الشاعر: [الرجز]

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ[٢]

وقد أشار صاحبُ «الجوهرة» لِلطريقتين بقوله: [الرجز]

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا ... أَوِّلْهُ أَوْ فَوِّضْ وَرُمْ تَنْزِيهَا[٣]

قوله: (مخفَّفاً ومشدَّداً) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٤]، وعليها: فـ(الليل) فاعل معنًى و(النهار) مفعول لفظاً ومعنًى، ووجب تقديمُ ما هو فاعل معنًى؛ لئلا يلتبسَ نحو: أعطيتُ زيداً عمراً.

قوله: (أي: يغطي كلًّا منهما بالآخر) يشير إلى أنَّ في الآية حذفاً، تقديرُه: ويُغشي النهار الليل، ويؤيِّده أنه يكوِّرُ الليل على النهار، ويُكوِّرُ النهارَ على الليل.

قوله: (﴿يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾) أي: ليس بينهما فاصل، والحثُّ والحضُّ بمعنًى واحد، وهو الطَّلب بسرعة، و﴿حَثِيثٗا﴾ نعتُ مصدر محذوف؛ أي: طلباً حثيثاً.

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٧) ولفظه: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول...)، وروي هذا الأثر عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وربيعة بن عبد الرحمن شيخ مالك، وانظر مجمل الروايات في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٣)، وفي «تفسير الطبري» (١/ ٢٣٨)، وفيها: (هو كما وصف نفسه، ولا يقال له: كيف، وكيف عنه مرفوع).

(٢) هو للبعيث كما قاله ابن عباد، أو للأخطل كما قاله الجوهري. انظر «إتحاف السادة المتقين» (٣/ ١٠٦).

(٣) انظر «حاشية المصنف على الجوهرة» (ص٢١٥).

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر «الدر المصون» (٥/ ٣٤١).

مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا ......

ـ بِالنَّصبِ عَطفاً على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والرَّفع: مُبتَدأٌ خَبَرُه ـ: ﴿مُسَخَّرَٰتِۭ﴾: مُذَلَّلات ﴿بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾: بِقُدرَتِه، ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ﴾ جَمِيعاً ﴿وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ كُلُّه، ﴿تَبَارَكَ﴾: تَعاظَمَ ﴿ٱللَّهُ رَبُّ﴾: مالِكُ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا﴾ ﴿٥٥﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالنصب عطفاً على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾) أي: ونصب ﴿مُسَخَّرَٰتِۭ﴾ على الحال من الشمس والقمر والنجوم.

قوله: (والرفع) أي: فهما قِراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (مذلَّلات) مسيَّرات، فحيث سيَّرها سارت، وفي هذا ردٌّ على الفلاسفة القائلِين بتأثير الكواكب في العالم السفلي، فهي أسبابٌ عادية توجدُ الأشياءُ عندها لا بها[2].

قوله: (﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾) (ألا): للاستفتاح، يُؤتى بها في مبدإ الكلام البليغ الذي يقصدُ به الردُّ على المنكر، والمراد بالخلق: الإيجاد، وبالأمر: التصرُّف، فهو مُنفردٌ بالإيجاد والتصرُّف، فلا شريكَ له فيهما، وتصرُّف الحادث إنما هو بتَصريف الله له، وليس لمخلوق استقلالٌ بتصريف أبداً، وإنما العبيد مظاهرُ التصريف[3]، فمَن أكرمَهُ أجرى جلب الخير ودفع الضرِّ على يَده؛ كمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، ومَن أهانه أجرى الشرورَ على يده.

قوله: (﴿تَبَارَكَ﴾) فعل ماضٍ جامد لا يتصرَّف، ومعناه: تمجَّد وتنزَّه عن صِفات الحدوث[4].

قوله: (﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾) أمر لجميع العباد بالتوجُّه في الدعاء لله سبحانه وتعالى؛ أي: فحيث عَلمتم أن الله هو المتصرِّف في خَلقه إيجاداً وإعداماً، وإعطاءً ومنعاً، فوجِّهوا إليه قُلوبكم، واسألوه بألسِنَتكم، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى للدعاء أربعةَ شروط: التضرُّع، والخُفْية، والخَوف، والطمع.

---

(١) قرأ ابن عامر برفع الأربعة على الابتداء والخبر، والباقون بالنصب عطفاً على (السماوات). «السراج المنير» (١/ ٤٨٠).

(٢) وللإمام الرازي رسالة في الرد عليهم، اسمها: «السر المكتوم».

(٣) قال أبو عثمان المغربي رحمه الله تعالى وقد سُئل عن الخلْق: (قوالبُ وأشباح تجري عليهم أحكام القدرة). «الرسالة القشيرية» (ص٢٥).

(٤) في «الدر المصون» (٣/ ٣١٦): (وتبارك: لا يتصرف ولا يستعمل إلا مسنداً لله تعالى).

وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ....

ـ حال ـ: تَذَلُّلاً ﴿وَخُفْيَةً﴾: سِرًّا؛ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ في الدُّعاء بِالتَّشَدُّقِ ورَفعِ الصَّوت.

﴿٥٦﴾ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِالشِّركِ والمَعاصِي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ بِبَعثِ الرُّسُل، ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ مِن عِقابِه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رَحمَتِه، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (حال) أي: من الفاعل في ﴿ٱدْعُوا۟﴾ أي: ادعوا حالَ كونكم مُتضرِّعين ومتذلِّلين؛ لأنَّ الدعاء إذا كان مع التذلُّل كان للإجابة أقربَ.

قوله: (سرًّا) أي: بإسماع نَفسه؛ لأنَّ الله تعبَّدنا بالدعاء كما تَعبَّدنا بالقراءة، فلا يكفي مُرورُ الدعاء على قلبه.

واعلَم: أن الإنسان إذا كان وحدَه.. فالسرُّ أفضلُ له إن كان يَنشطُ في ذلك، وإلا.. فالجهرُ أفضل له كالجماعة.

قوله: (بالتشدق) هو كثرةُ الكلام من غير حُضورٍ في القلب، فهو راجع لقوله: ﴿تَضَرُّعًا﴾، وقوله: (ورفع الصوت) راجعٌ لقوله: ﴿وَخُفْيَةً﴾[1].

قوله: (﴿خَوْفًا﴾) الخوفُ: غَمٌّ يحصل من أمر مَكروه يقعُ في المستقبل.

قوله: (﴿وَطَمَعًا﴾) الطمعُ: توقُّعُ أمر محبوب يَحصل في المستقبل، ومنه رجاءُ التوبة، ففي الحديث: «ادعُوا الله وأنتم مُوقنون بالإجابة»[2]، وفي الحديث أيضاً: «ما مِن عبد يرفعُ يديه ويقول: يا رب.. إلا ويَستحي الله أن يَرُدَّهما صفرَين»[3]، فاستُفيد من هذا أنه ينبغي للداعي الخوفُ والرجاء، فيَجعلهما كجناحي الطائر، إن مال أحدهما سَقط.

---

(١) ومن غاية ما تقرر لديك نعت كرمه به أنه جعل إمساكك عن دعائه ـ الذي لا بدَّ منه ـ اعتداءً منك. «لطائف الإشارات» (١/٥٤١).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داوود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦) من حديث سلمان رضي الله عنه بنحوه.

وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ....

المُطِيعِينَ، وتَذكِيرُ ﴿قَرِيبٌ﴾ المُخبَر بِهِ عن ﴿رَحْمَتَ﴾ لإضافَتِها إلى ﴿ٱللَّهِ﴾.

٥٧ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ نُشُرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: مُتَفَرِّقَةً قُدَّامَ المَطَر،

حاشية الصاوي

قوله: (المطيعين) أي: ولو بالتوبة، فالمطلوب تقديم التوبة على الدعاء ليقعَ الدعاء من قلب طاهِر، فيكونَ أقرب للإجابة.

قوله: (وتذكير ﴿قَرِيبٌ﴾) جواب عمَّا يُقالُ: إن (قريب) في الأصل وصفٌ في المعنى لـ(رحمة)، وهي مؤنثة، فكان حقُّه التأنيثَ! فأجاب: بأنه اكتسب التذكير من المضاف إليه وهو لفظ الجلالة، أو يُقال: إن (رحمة) مجازيُّ التأنيث، فيوصف بالمذكر، أو يُقال: إن معنى الرحمة الثواب وهو مذكَّر، فوصفه بالمذكر من حيث المعنى.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾) معطوفٌ على قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ...﴾ الآية، والرياحُ: جمع ريح، وهي أربعة: الصَّبا، والدَّبور، والجنوب، والشمال، فالصبا تثيرُ السحاب وهي من مطلع الشمس، والشمال تجمعه وهي من تحت القطب، والجنوب تدره وهي من جهة القبلة، والدبور تفرِّقه وهي من مغرب الشمس، وفي رواية: الرياحُ ثمانية؛ أربعة عذاب: العاصف والقاصف والصرصر والعقيم، وأربعة رحمة: الناشرات والمرسلات والنازعات والمبشرات[(١)].

قوله: (متفرقة) هذا التفسيرُ لم يوافقه عليه أحد[(٢)]، بل بعض المفسرين قال: إن معنى نُشُراً: منتشرة متَّسعة، أو ناشرة للسحاب.

قوله: (قدام المطر) في الكلام استعارة مكنيَّة، حيث شُبهت الرحمةُ ـ بمعنى: المطر ـ بسلطان يقدمُ وله مبشرات، وطُويَ ذكر المشبه به ورُمز له بشيء من لوازمه وهو قوله: ﴿بَيْنَ يَدَىْ﴾، فإثباته تخييل.

---

(١) «تفسير الخازن» (٢/ ٢١٢).

(٢) كذا نقل العلامة الجمل في «فتوحاته» (٢/ ١٥١) عن العلامة الأجهوري، ولكن ذكر الواحدي في «الوجيز» (ص٣٩٨)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٠٠) أنها بمعنى متفرقة، فهي الفارقات، وتبعه الخطيب في «السراج المنير» (١/ ٤٨٢)، فالنشر: الرياح التي تهب من كل ناحية.

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ....

ـ وفي قِراءة بِسُكُونِ الشِّين تَخفِيفاً، وفي أُخرَى بِسُكُونِها وفَتح النُّون مَصدَراً، وفي أُخرَى بِسُكُونِها وضَمِّ المُوَحَّدة بَدَل النُّون، أي: مُبَشِّرات، ومُفرَدُ الأُولَى: نَشُورٌ كـ(رَسُولٍ)، والأَخِيرةِ: بَشِير ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ﴾: حَمَلَت الرِّياحُ ﴿سَحَابٗا ثِقَالٗا﴾ بِالمَطَرِ ﴿سُقۡنَٰهُ﴾ أي: السَّحابَ، ـ وفِيه التِفاتٌ عن الغَيبة ـ ﴿لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾: لا نَباتَ به، أي: لِإحيائِه، ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ﴾: بِالبَلَد ﴿ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ﴾: بِالماءِ ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ﴾ الإخراجِ ﴿نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (تخفيفاً) أي: بحذف ضمة الشين، وهي سبعيَّة أيضاً كاللتين بعدها[1].

قوله: (بسكونها وفتح النون) أي: وإفراد الريح.

قوله: (مصدر) أي: إما بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول؛ أي: ناشرة للسحاب أو منشورة.

قوله: (ومفرد الأولى) أي: ضم الشين ومثلها سكونها، فمُفرد الاثنين واحد.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ﴾) غاية لإرسال الرياح.

قوله: (﴿سَحَابٗا﴾) هو ثمر شجرة في الجنة[2].

قوله: (بالمطر) متعلق بـ﴿ثِقَالٗا﴾، والباء للسببيَّة.

قوله: (عن الغيبة) أي: إلى التكلم؛ إذ كان مقتضى الظاهر: فساقَهُ.

قوله: (لا نبات به) أي: فموت الأرض كنايةٌ عن عدم النبات بها.

قوله: (بالبلد) أشار بذلك إلى أن الضمير في (به) عائد على البلد، والباء بمعنى في، وقوله: (بالماء) يشير إلى أنَّ الضمير عائد على الماء، والباء سببيَّة، ويصحُّ عَوده على البلد، وتكون الباء بمعنى (في).

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإخراج) أي: فالتشبيه في مُطلق الإخراج من العدم؛ فمن كان قادراً

---

(١) قرأ عاصم بالباء الموحدة وسكون الشين؛ أي: مُبَشِّراً، وابن عامر بالنون المضمومة وسكون الشين، وحمزة والكسائي بالنون المفتوحة وسكون الشين، والباقون بضم النون والشين. انظر «السراج المنير» (١/ ٤٨٢).

(٢) تقدم الحديث عن هذا (١/ ٢٨٠).

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ....

مِن قُبُورِهم بِالإِحياءِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمِنُون.

﴿٥٨﴾ ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾: العَذب التُّراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ حَسَناً ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ هذا مَثَل لِلمُؤمِنِ يَسمَع المَوعِظَةَ فيَنتَفِع بِها، ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ تُرابُه ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نَباتُه ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾: عَسِراً بِمَشَقَّةٍ، وهذا مَثَل لِلكافِرِ، ﴿كَذَلِكَ﴾: كما بَيَّنَّا ما ذُكِرَ ﴿نُصَرِّفُ﴾: نُبَيِّنُ ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ اللهَ فيُؤمِنُون.

حاشية الصاوي

على إخراج الثمار من الأرض سيما أرض الجبال التي شأنُها عدم إنبات شيء من الثمار.. قادرٌ على إحياء الموتى من قبورهم، فهو ردٌّ على مُنكري البعث.

قوله: (﴿وَالْبَلَدُ﴾) أي: والأرض.

قوله: (حسناً) أخذه من قوله: ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾.

قوله: (﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾) أي: بإرادته، ولم يذكر ذلك في المقابل وإن كان بإذنه أيضاً تعليماً لعباده الأدبَ، حيث أَسند لنفسه الخيرَ دون الشرِّ وإن كان منه أيضاً؛ لما ورد: «**إن الله جميلٌ يحبُّ الجمال**»[1]، ولقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ ولم يقُل: وبيدك الشر، فلا يجوز أن يُقال: سبحان من خلق القرد، ولا: سبحان من دبَّبَ الشوك[2].

قوله: (هذا مثلٌ للمؤمن) أي: ولِعمله، فمَثل المؤمن كمثل الأرض الطيبة، ومثل المواعظ والقرآن كمثل الماء، فكما أن الماء إذا أُنزلَ على الأرض الطيبة أنبتت طيباً، كذلك المواعظُ والقرآن إذا نزَلت على قلب المؤمن أَنبتت الطاعات والصفات الحميدة.

قوله: (﴿إِلَّا نَكِدًا﴾) أي: إلا نباتاً نكداً عديمَ النفع، ونصب ﴿نَكِدًا﴾ على الحال، أو نعت مصدر محذوف؛ أي: إلا خروجاً نكداً، وهو من باب: تَعِبَ.

---

(١) رواه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) مطلقاً، ولو أنه تفكَّر في عجائب هذا الحيوان وتدبيب الشوك.. لم يبعد.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾

(٥٩) ﴿لَقَدْ﴾ ـ جوابُ قَسَم مَحذُوفٍ ـ ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ ـ بِالجَرِّ صِفة لـ﴿إِلَٰهٍ﴾، والرَّفع بَدَل مِن مَحلِّه ـ ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾) المقصودُ من ذِكر تلك القصص: تسليةُ النبيِّ ﷺ، وترك الواو هنا وذكرت في سورة (هود) و(المؤمنون)؛ لعدم تقدُّمُ ما يُعطَفُ عليه هنا، بخلاف ما يأتي.

ونوح: اسمه عبدُ الغفار بن لمك ـ بفتح الميم وسكونها ـ ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس، بُعثَ على رأس أربعينَ سنة على الصحيح، وقيل: على رأس خمسين، وقيل: مِئتين وخمسين، وقيل: مئة سنة، ومَكث في قومه تسعَ مئةٍ وخمسين، وعاش بعد الطوفان مئتَين وخمسين، فجُملة عمره ألف ومئتان وأربعون بناءً على الصحيح مِن أنه بعث على رأس الأربعين، وكان نجاراً، وصَنع السفينة في عامين، ولُقب بنوح لكثرة نَوحه على نفسه حيث دعا على قومه فهَلكوا، وقيل: لمراجعته ربَّهُ في شأن ولده كنعان، وقيل: لأنه مرَّ على كلب مَجذوم فقال له: اخسَأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: أعِبتني أم أعِبت الكلب؟[1] وقدَّم قصة نوح؛ لأنَّ قومه أوَّل مَنْ كفرَ واستحقَّ العذاب.

قوله: (جواب قَسَم محذوف) إنما أتى بالقسم هنا للردِّ على المنكِرين، وهو مما يجب التأكيد فيه.

قوله: (﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾) القومُ في الأصل: قبيلةُ الرجل وأقاربُه الذين اجتمعوا معه في جدٍّ واحد، ويُطلق القوم مجازاً على مَنْ عاشرهم الرجلُ وسَكن عندهم وإن لم يَكونوا أقاربَ له.

قوله: (﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أي: وَحِّدوه.

قوله: (﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾) استئنافٌ مَسوقٌ لبيان وجه إفرادِه بالعبادة.

قوله: (صفة لـ﴿إِلَٰهٍ﴾) أي: مُراعاة للفظه.

قوله: (بدل من مَحله) أي: لأن محلَّه رفع بالابتداء، و﴿مِّنْ﴾: زائدة[2].

قوله: (﴿إِنِّىٓ أَخَافُ﴾) عِلة ثانية للأمر بالعبادة، والمعنى: اعبدوا الله؛ لأنَّه ليس لكم إلهٌ غيره، ولأني أتحقَّقُ نزول عذاب الآخرة بِكم إن خالَفتم ذلك.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٢٠١)، و«زاد المسير» (١/ ٢٧٤).

(٢) قرأ الكسائي بالجرِّ، والباقون بالرفع. «السراج المنبر» (١/ ٤٨٤).

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى ....

إن عَبَدتُم غيرَه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يومُ القِيامةِ.

﴿٦٠﴾ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: الأشرافُ ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّن.

﴿٦١﴾ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ هي أعَمُّ مِن الضَّلالِ، فنَفيُها أبلَغُ مِن نَفيِه، ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿٦٢﴾ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ - بِالتَّخفيفِ والتَّشديد - ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾) بالهمز والقصر، سُمُّوا بذلك؛ لأنهم يَملؤون المجالس بأجسامهم، والقلوب بهَيبتهم، والعيون بأُبَّهتهم.

قوله: (﴿مِن قَوْمِهِۦٓ﴾) لم يقل: (الذين كفروا) مثلَ ما قيل في قوم هود؛ لأنَّ ذلك كان في مبدإ رسالته ولم يكن ثَمَّ مؤمن، هكذا قيل، والأحسنُ أن يُقالَ: حذَفه منه لعلمه مما يأتي في الآية الأخرى.

قوله: (﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾) أي: حيث عدلَ عن عِبادة آلهتهم المجمِعين عليها، المذكورين في سورة (نوح) في قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ...﴾ الآية.

قوله: (هي أعم من الضلال) أي: لأنَّ الضلال هو الخُروج عن الحقِّ ولو بوجهٍ.

قوله: (فنفيها أبلغ) أي: لأنها نكرةٌ في سِياق النفي فتَعُمُّ.

قوله: (﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ﴾) قد وَقع الاستدراك أحسَنَ موقع؛ لكونه وقعَ بين ضِدَّين[1]: نفيِ الضلالة المتوهم ثبوتها، وثبوتِ الرسالة المتوهَّم نَفيُها.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾) الجمع باعتبار تعدُّد الأزمنة، أو المرادُ بالرسالات: المرسَل بها التي هي الأحكام.

---

(١) وعبارة العلامة السمين في «الدر المصون» (٥/ ٣٥٥): (بين نقيضين).

(٢) قرأ أبو عمرو بالتخفيف، والباقون بالتشديد. «الدر المصون» (٥/ ٣٥٦).

وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ

﴿وَأَنصَحُ﴾: أُرِيدُ الخيرَ ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿٦٣﴾ ﴿أَ﴾كَذَّبتُم ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾: مَوعِظةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لِسانِ ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ العَذابَ إن لَم تُؤمِنُوا، ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ اللهَ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بِها.

﴿٦٤﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ مِن الغَرَق ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾) النصح يتعدَّى بنَفسه وباللام، وهو إرادة الخير للغير كما يُرِيدُهُ لنفسه.

قوله: (﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾) أي: من الأحكام التي تَأتيه عن الله، أو من العذاب الذي يَحلُّ بهم إن لم يؤمنوا.

قوله: (﴿أَ﴾كذبتم) أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلةٌ على مَحذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف.

قوله: (موعظة) أي: تخوُّفكم من عذاب الله إن لم تُؤمنوا.

قوله: (﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾) علَّة للمجيء، وقوله: (﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾) مرتَّبٌ على الإنذار، وقوله: (﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾) مرتَّبٌ على التقوى، فهذا الترتيب في أحسَن البلاغة. وعبَّرَ في جانب الرحمة بالترجِّي؛ إشارةً إلى أن الرحمة أمرُها عَزيز، لا تُنال بالعمل بل بفضل الله.

قوله: (العذاب) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مَفعول (ينذر) محذوف.

قوله: (﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ الله) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعولَ (تتقوا) محذوف أيضاً.

قوله: (﴿فَكَذَّبُوهُ﴾) أي: استَمرُّوا على تكذيبه.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾) قيل: كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة، وقيل: تِسعة؛ أولاده الثلاثة: سام وهو أبو العرب، وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك، وستةٌ من غَيرهم[1].

قوله: (﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾) يُطلق على المفرد والجمع، والمذكر والمؤنث، ووزن المفرد: قُفْل، والجمع: أُسْد.

(١) «الفتوحات الإلهية» (٢/ ١٥٥) نقلاً عن العلامة الأجهوري.

وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ ....

السَّفِينَةِ، ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ﴾: بِالطُّوفَانِ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الحَقِّ.

﴿٦٥﴾ ﴿وَ﴾ أرسَلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ﴾ الأُولَى ﴿أَخَاهُمْ هُودًاۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (السفينة) وكان طولها ثلاثَ مئة ذراع، وسَمْكها ثلاثين ذراعاً، وعَرضها خمسين، وطبقاتها ثلاث: السفلى لِلوحوش والدواب، والوُسطى للإنس، والعُليا للطيور[1]، وركبها في عاشر رجب، واستَوت على الجودي في عاشر المحرَّم.

قوله: (﴿بِـَٔايَٰتِنَآۚ﴾) أي: الدالة على التوحيد، وهي مُعجِزات نوح.

قوله: (﴿عَمِينَ﴾) أصله: عَمِيِيْن، حذفت الياء الأولى تخفيفاً، وهو جمع عَمٍ، يُقالُ لأعمى البصيرة، وأما عُميان فجمع أعمى، يُقالُ لأعمى البَصر[2].

قوله: (﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾) جرَت عادةُ الله في كتابه أنه إذا كان للمرسل إليهم اسمٌ ذكَرهم به، وإلا.. عبَّرَ بقوله: (قومه)، وقدَّر المفسِّر (أرسَلنا)؛ إشارةً إلى أن ﴿أَخَاهُمْ﴾ معطوف على ﴿نُوحًا﴾، والعامل فيه ﴿أَرْسَلْنَا﴾ المتقدِّم، والجار والمجرور معطوفٌ على قوله: (إلى قومه)، فتكونُ الواو عاطفة عطفَ قصة على قِصة، وهكذا يُقالُ في باقي القصص.

قوله: (الأولى) يحترز به عن عاد الثانية؛ فإنها قومُ صالح.

قوله: (﴿أَخَاهُمْ هُودًاۚ﴾) سُمِّي أخاهُم؛ لأنه من جنسهم، واجتَمع معهم في جد؛ لأنَّ عاداً ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح، فسُمِّيت القبيلة باسم جَدِّهم، وهود ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح، وقيل: هو ابن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، فعلى الأول: قد اجتمعَ معهم في عاد، وعلى الثاني: لا، وإنما اجتمع معهم في سام ونوح، وكان بين هود ونوح ثمانُ مئة سنة، وبين القبيلتَين مئة سنة، وعاش أربع مئة وأربعاً وستين سنة. و(عاد) يجوز صرفه باعتبار كونه اسماً للحيِّ، ومنعه باعتبار كونه اسماً للقبيلة، وهذا من حيث العربية، وأما في القرآن فلم يُقرَأْ بمنع الصرف.

(١) «تفسير القرطبي» (٩/ ٣١).

(٢) وقيل: عمٍ وأعمى بمعنًى، فالجمع صالح لهما.

قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى

قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وحِّدوه، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: تخافونه فتؤمنون.

﴿٦٦﴾ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾: جهالةٍ، ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في رِسالتِك.

﴿٦٧﴾ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾) أتى في قصة نوح بالفاء؛ لأنه كان مسارعاً في دعوتهم إلى الله غير مُتوانٍ كما حكى في سورة (نوح)، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا...﴾ [نوح: ٥] الآيات، بخلاف هود[1].

قوله: (﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾) أي: لأنه الخالقُ للعالم المتصرِّفُ فيه.

قوله: (﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾) الهمزة داخلةٌ على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أتركتم التفكُّرَ في مصنوعات الله فلا تَتقون؟!

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) صفة لـ﴿ٱلْمَلَأُ﴾ كاشفة؛ لأنَّ هذه المقالةَ لا تقعُ من مُؤمن؛ ولذا تركت من قصة نوح لِعلمها ممَّا هنا.

قوله: (﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾) (رأى) هنا علميَّة، فمفعولها الأولُ الكاف، والثاني متعلِّق الجار والمجرور.

قوله: (﴿فِى سَفَاهَةٍ﴾) الحكمةُ في تعبير قوم هُود بالسفاهة وقوم نوح بالضلال: أن نوحاً لما خوَّفَ قومه بالطوفان وجعل يَصنع الفلك.. نسَبوه للضلال؛ حيث أتعب نفسه في عمل سفينة في أرض لا ماءَ بها ولا طين، وهود لما نهاهم عن عبادة الأصنام ـ التي سَمَّوها صموداً وصمداً وهباء[2] ـ ونسبَ مَنْ يعبدُها للسَّفه.. خاطَبوه بمثل ما خاطبهم به.

(١) فكان عليه السلام دون نوح عليه السلام في المبالغة في الدعاء. انظر «الفتوحات» (٢/١٥٦).

(٢) في «تاريخ الطبري» (١/٢١٦) ضمن حديثه عن عاد: (وكان أهل أوثان ثلاثة يعبدونها، يقال لإحداها: صداء، وللآخر: صمود، وللثالث: الهباء)، وانظر «الفتوحات» (٢/١٥٧).

سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ....

سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿٦٨﴾ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾: مَأمونٌ على الرِّسالةِ.

﴿٦٩﴾ ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لِسانِ ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرضِ ﴿مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾: قُوَّةً وطُولاً، وكان طَوِيلُهم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ﴾) تقدَّم أنَّ مثل هذا الاستدراك وقع أحسَنَ موقع؛ لكونه وقع بين ضِدَّين.

قوله: (﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾) بالتخفيف والتشديد، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾) الحكمة في تعبير هود بالجملة الاسمية ونوح بالجملة الفعلية: أنَّ هوداً كان نصوحاً مع التراخي، ومَعلوم أن ذلك يُدلُّ عليه بالجملة الاسمية، ونوح كان مُكرراً للنصح، وذلك يُدلُّ عليه بالجملة الفعلية؛ لأنَّ الفعل لِلتجدد.

قوله: (مأمون على الرسالة) أي: فلا أزيد ولا أنقص.

قوله: (﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾) الهمزة داخلةٌ على محذوف، وتقديره: أكذَّبتموني وعَجبتم؟

قوله: (﴿ذِكْرٌ﴾) أي: موعظةٌ تخوِّفكم من عذاب الله.

قوله: (﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾) ﴿إِذْ﴾: ظرف معمول لـ(اذكروا) أي: اذكروا وقتَ جعلكم، والمقصود: ذكر النعمة لا ذكرُ وقتها، وقوله: (﴿بَصْۜطَةً﴾) بالسين والصاد، قراءتان سبعيَّتان، ومعناهما واحد[2].

قوله: (قوة وطولاً) أي: ومالاً.

---

(١) تقدم قريباً.

(٢) قرأ نافع والبزي وشعبة والكسائي بالصاد، وأبو عمرو وهشام وقنبل وحفص وخلف بالسين، وأما ابن ذكوان وخلاد فقرأ بالسين والصاد. انظر «السراج المنير» (١/٤٨٦).

﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٦٩ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا ...﴾

مِائةَ ذِراع وقَصِيرُهم سِتِّينَ، ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: نِعَمَه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَفُوزُون.

﴿٧٠﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾: نَترُكَ ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ بِه مِن العَذابِ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قَولِك.

﴿٧١﴾ ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾: وجَبَ ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾: عَذابٌ ﴿وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي: سَمَّيتُم بها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصناماً تَعبُدُونَها ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: بِعِبادَتِها ....

حاشية الصاوي

قوله: (مئة ذراع... إلخ) الذي قاله المحلِّيُّ في سورة (الفجر): أن طولَهم كان أربع مئة ذراع بذراع نفسِه، وفي رواية: خمس مئة ذراع، وقَصيرهم ثلاث مئة ذراع، وكان رأس الواحد منهم قَدر القُبة العظيمة، وكانت عينه بعد موته تُفرِّخُ فيها الضباع(١).

قوله: (﴿ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾) جمع (إِلْي) بكسر الهمزة وضمِّها؛ كـ(حِمْل) و(قُفْل)، أو بكسر ففتح كـ(ضِلَع)، أو بفتحتين كـ(قَفاً)(٢).

قوله: (تَفوزون) أي: برضا الله وزِيادة النعم؛ لأنَّ شكرَ النعم ممَّا يُديمها ويزيدها.

قوله: (﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا﴾) أي: جواباً لِنصحه لهم.

قوله: (وجب) أي: حقَّ وثبت، والتعبير بالماضي إشارة إلى أنه واقعٌ لا مَحالة.

قوله: (﴿وَغَضَبٌ﴾) عطف سَبب على مسبَّب.

قوله: (﴿فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾) أي: مُسمَّيات.

قوله: (أصناماً) قدَّره؛ إشارةً إلى مفعول ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ الثاني.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/٢٠٣) عن وهب.

(٢) فعلى الأولين خاتمته ياء، وعلى الأخيرين خاتمته ألف، ويقال أيضاً: أَلْوٌ بواو عوض الياء.

مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ....

﴿مِن سُلْطَٰنٍۚ﴾: حُجَّةٍ وبُرهان؟ ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ العَذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ ذلِكُم بِتكذِيبِكُم لِي، فأُرسِلَت علَيهِم الرِّيحُ العَقِيم.

﴿٧٢﴾ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: هُوداً ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ مِن المُؤمِنِين ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ القَومِ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾ أي: استَأصَلناهُم، ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ ـ عَطفٌ على ﴿كَذَّبُواْ﴾ ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (فأرسلت عليهم الريح العقيم) وكانت بارِدة، ذات صوت شديد، لا مطرَ فيها، وكان وقت مجيئها في عَجز الشتاء، وابتدأتهم صبيحةَ الأربعاء لِثمان بقين من شوال، وسُخرت عليهم سبعَ ليال وثمانية أيام، فأهلكت رجالهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم؛ بأن رَفعت ذلك في الجوِّ فمزَّقته، وفي رواية: بعث الله عزَّ وجلَّ الريحَ العقيم، فلما دنَت منهم.. نظروا إلى الإبل والرجال تطيرُ بهم الريح بين السماء والأرض، فلمَّا رأوها.. بادروا إلى البيوت، فدخلوها وأغلَقوا الأبواب، فجاءت الريح فقَلعت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فلمَّا أهلكتهم.. أرسلَ الله عليهم طيراً أسودَ فنَقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه.

وقيل: إن الله تعالى أمر الريحَ فأمالت عليهم الرمالَ، فكانوا تحت الرمال سبعَ ليال وثمانية أيام يُسمَعُ لهم أنينٌ تحت الرمال، ثم أمر الريح فكشَفت عنهم الرمل، ثم احتملتهم فرمَت بهم في البحر[١].

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾) أي: وكانوا شِرذمةً قليلة يكتمون إيمانهم، وسببُ نجاتهم: أنهم دخلوا في حظيرة، فصار يدخل عليهم من الريح ما يَلتذُّون به، ثم بعد ذلك أتوا مكةَ مع هود فعبَدوا الله فيها حتى ماتوا[٢].

قوله: (أي: استأصلناهم) أي: لم نُبقِ منهم أحداً.

قوله: (عطف على ﴿كَذَّبُواْ﴾) أي: وفائدتُه وإن عُلم منه[٣]: الإشارةُ إلى أن الله عَلم عدم إيمانهم، وأنهم لو بقُوا ما آمنوا؛ أي: فلا تحزَنْ عليهم أيها السامع.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٢٠٦)، «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٠٦).

(٢) «الفتوحات» (٢/ ١٥٧) نقلاً عن الكرخي.

(٣) يعني: قوله: (كذبوا) دلَّ على عدم إيمانهم، فلِمَ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾؟

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ ....

﴿٧٣﴾ ﴿وَ﴾ أرسَلْنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بِتَركِ الصَّرف مُراداً به القَبِيلة ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾: مُعجِزةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على صِدقِي، ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ ـ حالٌ عامِلها مَعنَى الإشارة ـ، وكانُوا سَأَلُوهُ أن يُخرِجَها لَهُم مِن صَخرةٍ عَيَّنُوها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾) تقدَّم أنه معطوف على قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ عطفَ قِصة على قصة، وثمود قبيلةٌ سُمُّوا باسم جدِّهم ثمود بن غابر بن سام بن نوح.

قوله: (بترك الصرف) أي: لِلعلمية والتأنيث، ولو أُريد به الحيُّ لصُرف.

قوله: (﴿أَخَاهُمْ﴾) أي: في النسب؛ لأنه ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود المتقدِّم، وكان بين صالح وهود مئةُ سنة، وعاش صالح مئتين وثمانين سنة.

قوله: (﴿صَٰلِحًا﴾) بدل من ﴿أَخَاهُمْ﴾ أو عطفُ بيان عليه.

قوله: (﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾) علَّة لِقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وقوله: (﴿قَدْ جَآءَتْكُم﴾) علَّة لمحذوف، والتقدير: امتثِلوا ما أمرتكم به؛ لأنه قد جاءتكم بينةٌ على صدقي.

قوله: (﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾) كلامٌ مستأنفٌ بيانٌ للمعجزة، والإضافةُ للتشريف، واسم الإشارة: مبتدأ، و﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾: خبر ومضاف إليه، و﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿ءَايَةً﴾؛ لأنه نعت نكرة تقدَّم عليها، أو خبر ثانٍ، و﴿ءَايَةً﴾: حال، والعامل فيها محذوف تقديره: أُشيرُ، وقد أشار له المفسِّر بقوله: (حالٌ عاملُها معنى الإشارة)، وهذا القول وقع من صالح بعد نُصحهم؛ كما قال تعالى في سورة (هود): ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

قوله: (من صخرة عيَّنوها) وكان يُقال لها: الكاثبة، وكانت منفردة في ناحية الجبل، فقالوا: أخرِجْ لنا من هذه الصخرة ناقةً تكون على شكل البُخْت، وتكون عُشراءَ جوفاء وبراء؛ أي: ذات جوف واسع ووبَر وصوف؛ فدعا الله تعالى، فتمخَّضت الصخرة تمخُّضَ النتوج بولدها، فانصَدعت عن ناقة عشراء جوفاء وَبراء كما وصفوا، لا يعلَم ما بين جنبيها إلا الله تعالى، فعند خروجها ولدت ولداً مثلها في العظم، فمَكثت الناقة مع ولدها ترعى وتَشرب إلى أن عقروها[1].

(١) «تفسير البغوي» (٢٠٨/٢) عن ابن إسحاق ووهب وغيرهما.

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتٗاۖ ....

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾: بِعَقرٍ أو ضربٍ، ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿٧٤﴾ ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرضِ ﴿مِنۢ بَعْدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمْ﴾: أسكَنَكُم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا﴾ تَسكُنُونَها في الصَّيف، ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتٗاۖ﴾ تَسكُنُونَها في الشِّتاء، ونَصْبُهُ على الحال المُقدَّرةِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَذَرُوهَا﴾) مُرتَّب على كونها آية من الله.

قوله: (﴿تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ﴾) أي: وتشرب.

قوله: (﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾) بالنصب في جواب النهي، والتعقيبُ ظاهر؛ لأنهم لم يَلبثوا إلا ثلاثة أيام رأوا فيها أماراتِ العذاب كما يأتي في سورة (هود)[1].

قوله: (﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾) أي: مُؤلِم.

قوله: (﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾) تذكيرٌ لهم بنِعم الله التي أنعمها عليهم.

قوله: (في الأرض) قدَّره المفسِّر؛ إشارةً إلى أن في الآية الحذفَ من الأول لدلالة الثاني عليه.

قوله: (﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾) أي: أرض الحِجْر بكسر الحاء، مكان بين الحجاز والشام.

قوله: (﴿تَتَّخِذُونَ﴾) أي: تَعملون وتصنعون، و(اتخذ) يصحُّ أن يكون متعدياً لواحد؛ فـ﴿مِن سُهُولِهَا﴾: متعلق بـ(اتخذ)، أو لاثنين؛ فـ﴿مِن سُهُولِهَا﴾: مُتعلق بمحذوف مفعول ثانٍ.

قوله: (﴿مِن سُهُولِهَا﴾) جمع سَهل، وهو المكان المتَّسع الذي لا جبل به، و(مِن) بمعنى: في؛ أي: تَصنعون في الأرض السهلة القصورَ، ويصحُّ أن تكون (مِن) للابتداء؛ أي: تتخذون من السهول؛ أي: الأراضي اللينة القصورَ؛ أي: طُوبها وطِينها، والأقرب الأول، وسُمِّيت القصور بذلك؛ لِقِصر أيدي الفقراء عن تحصيلها.

قوله: (﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتٗاۖ﴾) يصحُّ أن يكون المعنى على إسقاط الخافض؛ أي: من الجبال،

---

(١) انظر (٣/٢٩٩).

﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٧٤ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ ....

﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

(٧٥) ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾: تَكَبَّرُوا عن الإيمان به ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: مِن قومِه، ـ بَدَلٌ مِمَّا قبله بإعادةِ الجار ـ: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ إليكم؟ ﴿قَالُوٓاْ﴾: نعم، ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

(٧٦) ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ ....

حاشية الصاوي

و﴿بُيُوتًا﴾: مفعول (تَنحتون)، ويصحُّ أن يكون ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ مفعولاً به، و﴿بُيُوتًا﴾: حال مقدَّرة كما قال المفسِّر؛ لأنَّ الجبال لا تصيرُ بيوتاً إلا بعد نحتها، وهو وإن كان جامداً إلا أنه مؤوَّل بالمشتق؛ أي: مَسَاكن.

قوله: (﴿مُفْسِدِينَ﴾) حال مؤكِّدة لِعاملها؛ لأن العُثُوَّ هو الفساد.

قوله: (تكبروا) أشار بذلك إلى أن السين زائدة.

قوله: (عن الإيمان به) أي: بصالح.

قوله: (**بدل مما قبله بإعادة الجار**) أي: بدل كلٍّ من كلٍّ إن كان الضمير في (منهم) عائداً على القَوم، ويكون جميع المستضعفين آمنُوا، وبدل بعض من كلٍّ إن كان الضمير عائداً على المستضعفين، ويكون بعض المستضعفين آمنُوا، والله أعلَم بحقيقة الحال.

قوله: (﴿أَتَعْلَمُونَ﴾) مقولُ قولِ المستكبِرين.

قوله: (﴿قَالُوٓاْ﴾ نعم) قدَّره المفسِّر؛ إشارةً إلى أن هذا حقُّ الجواب، وإنما عدلُوا عنه مسارعةً إلى تحقيق الحق وإظهار إيمانهم، وتنبيهاً على أن رسالتَه واضحة لا تخفى فلا ينبغي السؤال عنها، فهذا الجواب تَبكيتٌ لهم.

قوله: (﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾) إظهارٌ في محلِّ الإضمار تبكيتاً لهم.

إِنَّا بِالَّذِيَ ءَامَنتُم بِهِۦ كَفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ ....

إِنَّا بِالَّذِيَ ءَامَنتُم بِهِۦ كَفِرُونَ﴾.

﴿٧٧﴾ وكانَت النَّاقةُ لَها يَوم في الماء ولَهُم يَوم، فمَلُّوا ذلك، ﴿فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ﴾ عَقَرَها قُدَار بِأَمرِهِم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّا بِالَّذِيَ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾) لم يقولوا: إنا بما أرسل به؛ إظهاراً لمخالفتهم إياهم وتعنُّتاً وعناداً.

قوله: (وكانت الناقة لها يوم في الماء) أي: فإذا كان يومها وَضعت رأسَها في البئر فما ترفعه حتى تشربَ جميعَ ما فيها، ثم تتفَحَّجُ، فيحلبون ما شاؤوا حتى يملؤُوا أوانيهم، فيَشربون ويدَّخرون[1].

قوله: (﴿فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ﴾) أي: في يوم الأربعاء، فقال لهم صالح: تصبحون غداً وجوهكم مُصفرة، ثم تصبحون في يوم الجمعة وجوهكم مُحمرة، ثم تصبحون يوم السبت وجوهكم مُسودَّة، فأصبحوا يوم الخميس قد اصفرَّت وجوههم، فأيقَنوا بالعذاب، ثم احمرت في يوم الجمعة فازداد خوفهم، ثم اسودَّت يوم السبت فتجهَّزوا للهلاك، فأصبَحوا يوم الأحد وقت الضحى فكفَّنوا أنفسهم وتحنَّطوا كما يُفعل بالميت وألقوا بأنفسهم إلى الأرض، فلمَّا اشتد الضحى أتتهم صيحةٌ عظيمةٌ من السماء فيها صوتُ كلِّ صاعِقة، وصوَّتَ في ذلك الوقت كلُّ شيء له صوت بما في الأرض، ثم تَزلزلت بهم الأرض حتى هلَكوا جميعاً[2].

وأما ولد الناقة فقيل: إنه فرَّ هارباً، فانفَتحت له الصخرةُ التي خرجت منها أمُّهُ، فدخلها وانطبَقت عليه، قال بعض المفسرين: إنه الدابة التي تخرج قُربَ يوم القيامة وقيل: إنهم أدركوه وذَبحوه.

قوله: (عقرها قُدَار) أي: ابنُ سالِفٍ، وكان رجلاً أحمر أزرق العينين قصيراً، أو كان ابن زانية ولم يكن لِسالف، وهو أشقى الأولين كما وردَ في الحديث[3].

---

(١) يقال: تفحَّجت الناقة وتفشَّجت؛ أي: باعدت بين ساقيها وفرَّجت لتحلب.

(٢) الخبر بطوله رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/٥٢٩).

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٤٨٥) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ....

بِأن قَتَلَها بِالسَّيفِ، ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ بِه مِن العذابِ على قَتلِها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿٧٨﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزَّلْزَلةُ الشَّدِيدة مِن الأرضِ والصَّيحةُ مِن السَّماء، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: بارِكِينَ على الرُّكَب مَيِّتِين.

﴿٧٩﴾ ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرَضَ صالحٌ ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بأن قتلها بالسيف) أي: فالمراد بالعقر النَّحر، ففيه إطلاق السبب على المسبَّب؛ لأن العقر ضربُ قوائم البعير أو الناقة لتقعَ فتُنحر.

قوله: (﴿وَقَالُوا يَٰصَٰلِحُ﴾) أي: على سبيل التهكُّم والاستهزاء.

قوله: (﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به) قدَّره؛ إشارةً إلى أن العائد محذوف، وكان الأولى أن يقدِّر ضميرَ نصب بأن يقولَ: تَعدناه؛ لئلا يلزم حذف العائد المجرور بالحرف من غير اتحاد مُتعلَّقهما.

قوله: (﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾) أي: بعد مُضي ثلاثة أيام، والتعقيبُ ظاهر؛ لأن الثلاثة أيام مقدِّماتُ الهلاك.

قوله: (والصيحة من السماء) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاءً؛ لأنَّ عذابهم كان بهما معاً.

قوله: (﴿فِي دَارِهِمْ﴾) أي: أرضهم، فالمراد بها الجنس.

قوله: (﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾) أي: بعد أن هلكُوا وماتوا توبيخاً؛ كما خاطب النبيُّ ﷺ الكفَّارَ من قتلى بَدر حين أُلقوا في القَلِيب، فقال عمر: يا رسولَ الله؛ كيف تكلِّمُ أقواماً قد جيَّفُوا؟ فقال ﷺ: «ما أنتَ بأسمعَ لما أقول منهم، ولكن لا يُجيبون»[1]، وقيل: خاطبَهم قبل موتهم وقتَ ظهور العلامات فيهم، وعليه: يكون في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: فتَولى عنهم وقال: يا قوم؛ لقد أبلغتُكم رسالة ربي ونَصحت لكم ولكن لا تحبُّون الناصحين، فأخذتهم الرجفةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ ....

﴿٨٠﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿لُوطًا﴾ - ويُبْدَلُ مِنهُ: - ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: أدبارَ الرِّجال، ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الإنسِ والجنِّ.

﴿٨١﴾ ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزتَينِ، وتَسهِيل الثَّانِيَة، وإدخالِ الألِف بَينَهما على الوَجهَينِ -، ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (واذكر) خطابٌ لسيدنا محمد ﷺ، وقدَّره ولم يقدِّر (أرسلنا) مع أنه يكون موافقاً لما قبله وما بعده؛ لأنه يُوهم أن وقتَ الإرسال قال لِقومه ما ذكر، مع أنه ليس كذلك، بل أمرَهم أولاً بالتوحيد، ثم بيَّنَ لهم فروعَ شريعته.

ولوط هو ابنُ هاران أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، وكان بِبابل بالعراق، فهاجر إبراهيم ولوط إلى الشام، فنزل إبراهيم بأرض فلسطين، ونزل لُوط بالأردن وهي قرية بالشام، فأرسله الله إلى أهل سَذُوم بالذال المعجمة على وزن: رَسُول، وهي بَلد بحمص.

قوله: (﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾) استفهام توبيخ وتقريع؛ لأنها من أعظم الفواحش؛ ولذا كان حدُّها عند أبي حنيفة الرمي بِشاهق جبل[1]، وعند مالك الرجم مطلقاً فاعلاً أو مفعولاً، أُحصِنا أو لم يُحصنا.

قوله: (﴿مَا سَبَقَكُم﴾ . . . إلخ) تأكيدٌ للإنكار عليهم؛ لأنَّ مباشرة القبيح قَبيحة، واختراعه أقبح.

قوله: (الإنس والجن) أي: وجميع البهائم، بل هذه الفَعلة لم توجَدْ في أمة إلا في قوم لوط وفسَّاق هذه الأُمة المحمدية، وكان قوم لوط يتباهون بالضُّراط في المجالس أيضاً[2]؛ كما قال تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ وهو فاحشةٌ عظيمة أيضاً.

قوله: (بتخفيف الهمزتين) حاصلُ ما أفاده المفسِّر أن القراءات أربع: تخفيف الهمزتين،

(١) وجهٌ يذكر في كتب الحنفية، وإلا . . فالإمام أبو حنيفة قال بالتعزير، وزادوا الحبس إلى أن يتوب أو يموت، وعند الصاحبين - وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى - أنه كالزنا، فالمحصن يرجم، وغير المحصن يجلد ويغرَّب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٩) عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم ....

شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: مُتَجاوِزُونَ الحَلال إلى الحَرام.

﴿٨٢﴾ ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم﴾ أي: لُوطاً وأتباعَه ....

حاشية الصاوي

وتسهيل الثانية من غير إدخال ألف بين الهمزتين، أو بإدخالها، وبقي قراءة سبعيَّة وهي همزة واحدة على الخبر المستأنَف بَيان لتلك الفاحشة، وهي لنافع وحفص عن عاصم[١].

قوله: (﴿شَهْوَةً﴾) أي: لأجل الشهوة.

قوله: (﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾) إما حالٌ من ﴿ٱلرِّجَالَ﴾، أو مِن الواو في (تأتُون)، وحكمةُ التوبيخ على هذا الفعل القَبيح: أن الله تعالى خلق الإنسانَ وركَّبَ فيه شَهوة النكاح لِبقاء النسل وعمران الدنيا، وجعل النساءَ محلًّا لِلشهوة والنسل، فإذا تركهنَّ الإنسان فقد عدلَ عما أُحلَّ له وتجاوز الحدَّ لوضعه الشيء في غير محلِّه؛ لأن الأدبار ليست محلًّا لِلولادة التي هي المقصودةُ بالذات.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾) القُرَّاء على نصب ﴿جَوَابَ﴾ خبراً لـ﴿كَانَ﴾، واسمها (أنْ) وما دخلت عليه، وقرأ الحسن بالرفع اسم ﴿كَانَ﴾، و(أنْ) وما دخلت عليه خبرها، وما مشَى عليه الجماعة أفصحُ عربيةً؛ لأنَّ الأعرفَ وقعَ اسماً. والواو هنا لِلتعقيب؛ لِحلولها محلَّ الفاء في (النمل) و(العنكبوت)؛ لأن جوابهم لم يتأخَّر عن نَصيحته، والحصر نسبيٌّ، والمراد: أنه لم يقع منهم جوابٌ عن نُصح وموعظة، فلا ينافي أنهم زادُوا في الجواب من الكلام القبيح[٢].

---

(١) في (ط٢) وضُربَ عليها في (أ) زيادة: (أو بإدخالها، ولكن الحق أن إدخال الألف بين الهمزتين المحققتين غير سبعية، وإنما هي لهشام...، فتحصَّل أن القراءات خمس، أربع سبعية، وواحدة غير سبعية)، وفي «السراج المنير» (١/ ٤٩١): (قرأ نافع وحفص بكسر الهمزة ولا ياء بينها وبين النون على الخبر، وقرأ ابن كثير بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة مسهلة ولا مد بينهما، وأبو عمرو كذلك إلا أنه يمد بين الهمزتين، وهشام بتحقيق الهمزتين بينهما مد، والباقون بتحقيقهما من غير مد بينهما).

(٢) أي: ليس المراد أنه لم يصدر منهم جواب عن نصح وموعظة لوط لهم إلا هذه المقالة كما هو المتبادر إلى الأفهام، بل المراد أنهم لم يصدر منهم في المرة الأخيرة من مرات المحاورة بينه وبينهم إلا هذه المقالة، وإلا.. فقد صدر منهم قبل ذلك كثير من القبائح. «الفتوحات» (٢/ ١٦٢) نقلاً عن أبي السعود.

مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ....

﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ مِن أدبارِ الرِّجال.

﴿٨٣﴾ ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: الباقِينَ في العَذابِ.

﴿٨٤﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ هو حِجارةُ السِّجِّيل فأهلَكَتهُم، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾) أي: سَذُوم.

قوله: (﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾) قالوا ذلك استهزاءً.

قوله: (﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾) أي: ابنتَيه؛ لأنه لم ينجُ من العذاب إلا هو وبنتاه؛ لإيمانهم به، فخرج لوط من أرضه، وطوى الله له الأرضَ في وقته حتى نجا، ووصل إلى إبراهيم، وسيأتي تمام القصة في سورة (هود)، وإنما ذُكرت هنا اختصاراً.

قوله: (الباقين في العذاب) أي: لأن الغبورَ من باب: قَعَد يستعمل بمعنى: البقاء في الزمان المستقبل، وبمعنى: المكث في الزمان الماضي، والمراد الأول.

قوله: (﴿وَأَمْطَرْنَا﴾) يُقال غالباً في الرحمة: مَطَرَ، وفي العذاب: أمطَر[1]، وعلى كلٍّ هو متعدٍّ ينصب المفعول.

قوله: (هو حجارة السجيل) أي: وكانت مَعجونة بالكبريت والنار[2]، وهلكوا أيضاً بالخسف، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود: ٨٢]، ورَد: أن جبريل رفع مدائنهم إلى السماء وكانت خمسة، وأسقطها مقلوبةً إلى الأرض، وأمطرَ عليهم الحجارة متتابعة في النزول، عليها اسمُ كلٍّ من يُرمى بها، وقيل: إن الحجارة لمن كان مسافراً منهم، والخسفَ لمن كان في المدائن.

قوله: (﴿فَانظُرْ﴾) الخطاب لكلِّ سامع يتأتّى منه النظر والتأمل؛ لِيَحصل الاعتبار بما وقع لهؤلاء القوم.

---

(١) وناسٌ يقولون: مَطَرَت السماء وأمطرت بمعنًى. «الصحاح» (م ط ر).

(٢) كما ذكر الخازن في «تفسيره» (٢/ ٢٢٦).

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ....

﴿٨٥﴾ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾: مُعجِزةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على صِدقِي، ﴿فَأَوْفُوا۟﴾: أتِمُّوا ﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟﴾: تَنقُصُوا ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِالكُفرِ والمَعاصِي ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾) معطوفٌ على قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ عطفَ قِصة على قصة؛ ولذا قدَّر المفسِّر: (أرسلنا)، ومَدين: اسمُ قبيلة شعيب، واسم لِقريته أيضاً، بينها وبين مصر ثمانية مراحل، سُمِّيت باسم أبيهم مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وشعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل، فشعيبٌ أخوهم في النسب وليس من أنبياء بني إسرائيل، وقوله: (شعيباً) بدل من ﴿أَخَاهُمْ﴾، أو عطف بيان عليه، وأُرسل شعيب أيضاً إلى أصحاب الأيكة، وهي شجر مُلتفٌّ بعضه ببعض بالقرب من مَدين، قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦].

قوله: (مُعجزة) لم تُذكر تلك المعجزة في القرآن[١]، وقيل: المراد بها نفسه بمعنى: أن أوصافه لا يمكن مُعارضتها[٢]، وقيل: المراد بها قوله: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ...﴾ [الأعراف: ٨٥] إلخ بمعنى ما يترتَّب عليها من العزِّ للمطيع، والذُّل والعقاب للمُخالف.

قوله: (﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾) أي: وكان عادتهم نَقص الكيل والميزان.

قوله: (﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾) هذا لازمٌ لقوله: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾؛ لأن الشخص إذا لم يُوفِ الكيل والميزان لغيره فقد نقَصه من الثمن، وكذلك إذا استوفى الكيل والميزان لنفسه فقد نَقص الغير من الثمن.

---

(١) كأكثر معجزات نبينا ﷺ «الفتوحات» (٢/ ١٦٣).

(٢) وهذا المنهج في إثبات النبوة نزع إليه إمامنا الغزالي أرضاه الله كما ذكر في «المنقذ».

بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ ....

﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾ بِبَعثِ الرُّسل، ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ المَذكُورُ ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ مُرِيدِي الإيمان فبادِرُوا إِلَيهِ.

(٨٦) ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ﴾: طَرِيقٍ ﴿تُوعِدُونَ﴾: تُخوِّفُونَ النَّاس بِأَخذِ ثِيابِهم أو المَكسِ مِنهُم، ﴿وَتَصُدُّونَ﴾: تَصرِفُونَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِه ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بِتَوَعُّدِكُم إِيَّاهُ بِالقَتلِ، ﴿وَتَبۡغُونَهَا﴾: تَطلُبُونَ الطَّرِيقَ ﴿عِوَجٗاۚ﴾: مُعوَجَّةً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾) ورَد: أنه قبل بعث شعيب لهم كانوا يفعلون المعاصي ويستحلُّون المحارم ويَسفكون الدماء، فلما بُعث شعيبٌ أصلح الله به الأرض، وهكذا كلُّ نبي بُعث إلى قَومه[1].

قوله: (مُريدي الإيمان) جواب عمَّا يُقال: إنهم لم يكونوا مُؤمنين إذ ذاك.

قوله: (فبادِروا إليه) جواب الشرط، وما قبله دليلُ الجواب.

قول: (﴿بِكُلِّ صِرَٰطٖ﴾) أي: محسوس؛ بدليل ما بعده.

قوله: (تخوفون الناس) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعولَ ﴿تُوعِدُونَ﴾ محذوفٌ.

قوله: (بأخذ ثيابهم) ورد: أنهم كانوا يجلسون على الطريق ويقولون لمن يريدُ شعيباً: إنه كذاب، ارجع لا يَفتنك عن دينك، فإن آمنتَ به قَتلناك[2].

قوله: (﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾) هذا مفعول ﴿تَصُدُّونَ﴾.

قوله: (تطلبون الطريق) أي: المعبر عنه بالسبيل، وهو الطريق المعنويُّ الذي هو الدين، والمعنى: تعدلُوا عن الطريق المستقيم إلى الاعوجاج.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٤٨) نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «الفتوحات» (٢/ ١٦٣) نقلاً عن العلامة الأجهوري.

﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ﴾ ....

﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ قبلكم بتكذيبِهم رُسُلِهم، أي: آخِرِ أمرِهم مِن الهَلاك.

﴿٨٧﴾ ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ بِهِ، ﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾: انتظِرُوا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ﴾ وبَينكُم بإنجاءِ المُحِقِّ وإهلاكِ المُبطِل، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾) ﴿إِذْ﴾: ظرف معمول لِقوله: (اذكروا) أي: اذكروا وقتَ كونكم قليلاً... إلخ، والمراد: اذكُروا تلك النعمةَ العظيمة.

قوله: (﴿قَلِيلًا﴾) أي: في العُدَّة والعدد والضعف، وقوله: (﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾) أي: فزاد عدَدَكم وقوَّتَكم، فكانوا أغنياء وأقوياء ذا عَدد كبير بوجود شُعيب بينهم؛ ولذا لما فرَّ موسى هارباً من فرعونَ نزل عند شعيب، فطمَّنه وأمَّنَ روعَه، قال تعالى حكاية عن شعيب: ﴿قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

قوله: (﴿عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾) أي: وأقربهم إليكم قوم لوط، فانظروا ما نزَل بهم.

قوله: (﴿وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾) في الكلام الحذفُ من الثاني لِدلالة الأول عليه، والتقدير: وطائفة منكم لم يؤمنوا بالذي أُرسلت به.

قوله: (﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾) يجوز أن يكون الضمير للمؤمنين من قومه، وأن يكونَ للكافرين منهم، وأن يكون للفريقين، وهذا هو الظاهر، فأمرَ المؤمنين بالصبر ليحصلَ لهم الظفر والغلَبة، والكافرين بالصبر لسوء عاقبة أمرهم، وهو نظيرُ قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

قوله: (وبينكم) لا حاجةَ له؛ لأن الضمير عائد على شُعيب وعليهم[1]، والمعنى: حتى يقضيَ الله بين الفريقين المؤمنين والكفار.

---

(١) وصنيع الشارح يقتضي أن هذا الضمير واقع على شعيب فقط. «الفتوحات» (٢/ ١٦٤).

وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ ....

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أعدلُهم.

﴿٨٨﴾ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ عنِ الإيمانِ: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: تَرجِعُنَّ ﴿فِى مِلَّتِنَا ۚ﴾: دِينِنا، وغَلَّبُوا في الخِطاب الجَمعَ على الواحِدِ لِأَنَّ شُعَيباً لَم يَكُن في مِلَّتِهم قَطُّ، وعلى نَحوِه أجابَ ﴿قَالَ أَ﴾نَعُود فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ لَها؟ استِفهامُ إنكارٍ.

﴿٨٩﴾ ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾) التعبير باسم التفضيل باعتبار أنه الحاكمُ حقيقة وغيره حاكم مجازاً، ومن كان له الحكم بالأصالة والحقيقة خيرٌ ممن كان له الحكم مجازاً.

قوله: (﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾) أي: جواباً لما قاله لهم.

قوله: (﴿يَٰشُعَيْبُ﴾) إنما وسَّطوا اسمه بين المعطوف والمعطوف عليه؛ زيادةً في القَباحة والشناعة منهم.

قوله: (وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد... إلخ) جوابٌ عمَّا يُقال: إن شعيباً لم يسبق له الدخول في ملَّتهم، وإنما حمل المفسِّر على هذا الجواب تفسيره العودَ بالرجوع، وقال بعضهم: إن (عادَ) تأتي بمعنى صار، وعلى هذا: فلا إشكال ولا جواب.

قوله: (وعلى نحوه) أي: التغليب.

قوله: (﴿أَ﴾نعود فيها) أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف.

قوله: (﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾) الهمزةُ لإنكار الوقوع، وكلمة (لو) في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه، بل هي لمجرد الربط والمبالغة في انتفاء العود، والمعنى: لا تطمَعوا في عَودنا مختارين ولا مكرهين، فتأمَّلْ.

قوله: (﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾) شرطٌ حُذف جوابه لدلالة قوله: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا﴾ عليه.

وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾

﴿وَمَا يَكُونُ﴾: يَنبَغِي ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾ ذلك فيَخذُلَنا، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾ أي: وَسِعَ عِلمُه كُلَّ شَيء، ومِنهُ حالِي وحالُكُم، ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ﴾: احكُم ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾: الحاكِمِينَ.

﴿٩٠﴾ ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ أي: قال بَعضُهُم لِبَعضٍ: ﴿لَئِنِ﴾ - لامُ قَسَم - ﴿ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

﴿٩١﴾ ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾: الزَّلزَلةُ الشَّدِيدة ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾: بارِكِينَ على الرُّكَب مَيِّتِينَ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ﴾) أي: لا يصحُّ ولا يَليق لنا أن نعودَ فيها في حال من الأحوال إلا في حال مشيئة الله لنا.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾) يصحُّ أن يكون متصلاً والمستثنى منه عموم الأحوال، أو منقطعاً، وهذا الاستثناء مَحضُ رجوع إلى الله وتفويضُ الأمر إليه، وقد جازاهم الله بأن كفَاهم شرَّ أعدائهم وأخذَهم أخذَ عزيز مُقتدر.

قوله: (أي: وَسع علمه) أشار بذلك إلى أن ﴿عِلۡمًاۚ﴾ تمييزٌ محوَّلٌ عن الفاعل.

قوله: (﴿وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا﴾) أي: الكفار، وإنما أعرضَ عن مكالمتهم ورجع لله متضرعاً لما ظهرَ له من شِدة عنادهم وتعنُّتهم في كفرهم.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ... إلخ) إنما قال بعضهم لِبَعض هذه؛ خوفاً على بعضهم من الميل لِشعيب؛ حيث توعَّدوه بما تقدَّم فلم يُبالِ بهم.

قوله: (﴿إِنَّكُمۡ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾) أي: في الدنيا بفوات ما يحصلُ لكم بالبخس والتطفيف، وجملةُ ﴿إِنَّكُمۡ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ جواب القَسم، وحذف جواب الشرط لِدلالة جواب القسم عليه.

قوله: (﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾) ذكر هنا وفي (العنكبوت): الرجفة، وذكر في سورة (هود): ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ أي: صيحةُ جبريل عليهم من السماء، وجُمع بينهما: بأن الرجفة في المبدإ،

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ ....

﴿٩٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ ـ مُبتدأٌ خبرُه ـ: ﴿كَأَن﴾ ـ مُخفَّفة واسمها مَحذُوف ـ، أي: كَأَنَّهُم ﴿لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ﴾: يُقِيمُوا ﴿فِيهَاۚ﴾: في دِيارِهم، ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، التَّأكِيدُ بِإعادة المَوصُول وغَيره لِلرَّدِّ عَلَيهِم في قَولهم السَّابِق.

﴿٩٣﴾ ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرَضَ ﴿عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ﴾ فلَم تُؤمِنُوا، ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ﴾: أحزَنُ ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾؟ استِفهامٌ بِمَعنَى النَّفي.

﴿٩٤﴾ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكَذَّبُوهُ ﴿إِلَّآ أَخَذۡنَآ﴾: عاقَبْنا ﴿أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾: بِشِدَّة الفَقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المَرَضِ، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾: يَتَذَلَّلُونَ فيُؤمِنُون.

حاشية الصاوي

والصيحة في الأثناء[1]، تأمَّلْ، وأما أهل الأيكة فأُهلكوا بالظُّلة كما سيأتي في سورة (الشعراء).

قوله: (﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ﴾) أي: كأنهم لم يَلبثوا في ديارهم أصلاً؛ لأنهم استُؤصلوا بالمرة.

قوله: (وغيره) أي: وهو ضميرُ الفصل.

قوله: (﴿وَقَالَ يَٰقَوۡمِ﴾) ما تقدَّم من كون القول بعد هَلاكهم أو قبله في قصة صالح يجري هنا.

قوله: (﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ﴾) أصله: أَأْسى بهمزتين، قلبت الثانية ألفاً.

قوله: (﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ﴾) جملة مستأنفة قُصد بها التعميم بعد ذكر بعض الأمم بالخصوص، وإنما خُصَّ ما تقدَّم بالذكر لمزيد تعنُّتهم وكُفرهم.

قوله: (فكذَّبوه) قدَّره؛ إشارةً إلى أن الكلام فيه حذف؛ لأن قوله: ﴿إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا﴾ لا يترتَّب على الإرسال، وإنما يترتَّب على التكذيب.

قوله: (﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾) أصله: يَتَضَرَّعون، قُلبت التاء ضاداً وأدغمت في الضاد، وإنما قُرِئَ بالفكِّ في (الأنعام) لأجل مناسبة الماضي في قوله: ﴿تَضَرَّعُواْ﴾ بخلاف ما هنا، فجِيءَ به على الأصل.

---

(١) كذا في النسخ، والمعنى: والصيحة كانت في أثناء زلزلة الرجفة.

ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا ....

﴿٩٥﴾ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾: أعطيناهُم ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾: العَذابِ ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾: الغِنَى والصِّحَّة، ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾: كَثُرُوا ﴿وَّقَالُوا۟﴾ كُفراً لِلنِّعمةِ: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ كَما مَسَّنا، وهذه عادةُ الدَّهر، ولَيسَت بِعُقُوبَةٍ مِن الله، فكُونُوا على ما أنتُم علَيهِ، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بِالعَذابِ ﴿بَغْتَةً﴾: فَجاةً، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِوَقتِ مَجِيئِه قَبلَه.

﴿٩٦﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المُكَذِّبِينَ ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بِاللهِ ورُسُلِهِم ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الكُفرَ والمَعاصِيَ، ﴿لَفَتَحْنَا﴾ ـ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾) أي: استدراجاً لهم، قوله: (العذاب) أي: الفقر والمرض.

قوله: (الغنى والصِّحة) لفٌّ ونشر مرتَّب[1].

قوله: (كُفراً للنعمة) أي: وتكذيباً لأنبيائهم.

قوله: (وهذه عادة الدهر) هذا من جُملة مقولهم.

قوله: (فكونوا على ما أنتُم عليه) هذا من جملة قول بَعضهم لبعض.

قوله: (﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾) مرتَّب على قوله: ﴿وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا...﴾ إلخ.

قوله: (﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾) أي: لعدم تقدُّم أسبابه لهم، وهذه الآية بمعنى آية (الأنعام)، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ...﴾ [الأنعام: ٤٤] الآية.

قوله: (﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾) جمع قرية، والمراد: جميع القرى المتقدِّم ذكرهم وغيرهم.

قوله: (ورُسلهم) أي: أهل القرى، وفي نُسخة: (ورسله) أي: الله.

قوله: (﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾) عطف على ﴿ءَامَنُوا۟﴾، عطف عامٍّ على خاص؛ لأن التقوى امتثالُ المأمُورات، ومن جملتها الإيمان.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

---

(١) وقوله: (عفوا: كثروا) من: عفا الشيء: إذا كثر، وعفا النباتُ: إذا كثر وتكاثف.

(٢) قرأ ابن عامر بالتشديد، والباقون بالتخفيف. «السراج المنير» (١/ ٤٩٦).

عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ....

﴿عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بِالمَطَرِ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بِالنَّباتِ، ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ الرُّسُلَ ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾: عاقَبناهُم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿٩٧﴾ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المُكَذِّبونَ ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾: عَذابُنا ﴿بَيَٰتًا﴾: لَيلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾: غافِلُونَ عَنهُ؟

﴿٩٨﴾ ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾: نَهاراً ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾؟.

﴿٩٩﴾ ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾: استِدراجَه إيَّاهُم بِالنِّعمة وأَخذَهُم بَغتةً؟ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَرَكَٰتٍ﴾) جمع بركة، وهي زيادةُ الخير في الشيء.

قوله: (﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾) أي: لم يُؤمنوا ولم يتقوا.

قوله: (﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾) أي: بسبب كَسبهم من الكفر والمعاصي.

قوله: (﴿أَفَأَمِنَ﴾) الهمزةُ مقدَّمة من تأخير، والفاء عاطفة على قوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾، وما بينهما اعتراض، وهذه طريقة الجمهور، وعند الزمخشري: أن الهمزةَ داخلة على محذوف، وما بعدها معطوفٌ على ذلك المحذوف، ولكنْ في هذا الموضع وافقَ الجمهور في «كشّافه»[1].

قوله: (﴿بَيَٰتًا﴾) حال من ﴿بَأْسُنَا﴾، وجملة ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ حال من ضمير ﴿يَأْتِيَهُمْ﴾.

قوله: (﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾) أي: يَشتغلون بما لا يعنيهم.

قوله: (﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾) المكر في الأصل: الخديعةُ والحيلة، وذلك مُستحيل على الله، وحينئذٍ: فالمرادُ بالمكر أن يفعل بهم فعلَ الماكر؛ بأن يستدرجَهم بالنعم أولاً، ثم يأخذَهم أخذَ عزيزٍ مُقتدر.

---

(١) «تفسير الزمخشري» (٢/ ١٣٤)، قال العلامة السمين في «الدر المصون» (٥/ ٣٩٠): (وهذا الذي ذكره رجوع عن مذهبه في مثل ذلك إلى مذهب الجماعة).

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ....﴾

﴿١٠٠﴾ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾: يَتَبَيَّنْ ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ بِالسُّكنى ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ هَلاكِ ﴿أَهْلِهَآ أَن﴾ - فاعِل مُخفَّفة واسمها مَحذُوف - أي: أنَّهُ ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ بِالعَذابِ ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كَما أصَبنا مَن قَبلَهُم، - والهَمزةُ في المَواضِعِ الأربَعة لِلتَّوبِيخ، والفاءُ والواو الدَّاخِلة عَلَيهِما لِلعَطفِ، وفي قِراءة بِسُكُونِ الواو في المَوضِعِ الأوَّل عَطفاً بـ(أو) - ﴿وَ﴾ نحنُ ﴿نَطْبَعُ﴾: نَختِم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ المَوعِظَةَ سَماعَ تَدبُّرٍ.

﴿١٠١﴾ ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ الَّتِي مَرَّ ذِكرُها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾: أخبارِ أهلِها، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المُعجِزاتِ الظَّاهِرات ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾) أي: وهم كلُّ قوم جاؤوا بعد هلاك مَنْ قبلهم؛ كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مَدين والأُمة المحمدية؛ فإن كلَّ فرقة من هؤلاء تبيَّنَ لها الإصابة بذنوبهم حيث شاء الله ذلك.

قوله: (فاعل) أي: المصدر المأخوذ منها ومن جواب (لو) هو الفاعل، والتقدير: أولَم يتبين إصابتُنا بالعذاب لو شِئنا الإصابة؟

قوله: (﴿لَّوْ نَشَآءُ﴾) أي: إصابتَهم، فمَفعول ﴿نَشَآءُ﴾ محذوف.

قوله: (في المواضع الأربعة) أي: وأولها: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾، وآخرُها: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾، فاثنان بالفاء، واثنان بالواو.

قوله: (الداخلة) أي: الهمزة: وقوله: (عليهما) أي: الفاء والواو.

قوله: (في الموضع الأول) أي: من مَوضعَي الواو.

قوله: (﴿وَنَطْبَعُ﴾) قدَّر المفسِّر (نحن)؛ إشارةً إلى أنه مُستأنف منقطع عمَّا قبله.

قوله: (﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ﴾) اسم الإشارة: مبتدأ، و﴿ٱلْقُرَىٰ﴾: بدل أو عطف بيان، و﴿نَقُصُّ﴾: خبره.

قوله: (التي مرَّ ذكرها) أي: وهي قومُ نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب.

قوله: (﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾) أي: بعض أخبارها، وما وَقع لها.

فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ....

﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ عِند مَجِيئِهِم ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟﴾: كَفَرُوا بِه ﴿مِن قَبْلُ﴾: قَبل مَجِيئِهِم، بَل استَمَرُّوا على الكُفرِ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الطَّبعِ ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿١٠٢﴾ ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ أي: النَّاسِ ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي: وفاءٍ بِعَهدِهِم يَومَ أَخْذِ المِيثاقِ، ﴿وَإِن﴾ ـ مُخففة ـ ﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾.

﴿١٠٣﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي: الرُّسُلِ المَذكُورِينَ ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التِّسعِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِيُؤْمِنُوا۟﴾) اللام زائدة لتوكيد النفي، قوله: (عند مجيئهم) أي: الرسل، قوله: (قبل مجيئهم) أي: بالمعجزات بعد إرسالهم لِلخلق.

قوله: (الناس) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة غير مُرتبطة بما قبلها، ويصحُّ أن الضمير عائد على الأمم، فيكون بينهما ارتباط.

قوله: (﴿وَإِن وَجَدْنَآ﴾) أي: عَلمنا، فـ(أكثرَ): مفعول أول، و(فاسقين): مفعول ثانٍ، واللام فارِقة[1]، والمراد: ليظهر متعلَّقُ عِلمنا للخلق؛ على حدِّ: ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ [الكهف: ١٢].

قوله: (﴿لَفَٰسِقِينَ﴾) أي: خارجين عن طاعتِنا بترك الوفاء بالعهد.

قوله: (أي: الرسل المذكورين) أي: وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب.

قوله: (﴿مُّوسَىٰ﴾) وعاش مئة وعِشرين سنة، وبينه وبين يوسف أربع مئة سنة، وبين موسى وإبراهيم سبعُ مئة سنة.

قوله: (التسع) أي: وهي العصا، واليد البيضاء، والسِّنون المجدبة، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، والطمس، وكلُّها مذكورة في هذه السورة إلا الطَّمس ففي سورة (يونس) قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨].

---

(١) يعني: الفارقة بين النافية والمخففة، فـ(إنْ) هنا مخففة.

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ......

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: قومِه، ﴿فَظَلَمُواْ﴾: كفروا ﴿بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بالكُفرِ مِن إهلاكِهم.

﴿١٠٤﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إليكَ، فكذَّبه، فقال:

﴿١٠٥﴾ أنا ﴿حَقِيقٌ﴾: جَدِير أي: بِأن ﴿لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾) هذا لقبُه، واسمه الوليد بن مصعب بن الريان، وفِرعون في الأصل عَلَم شخص، ثم صار لقباً لكلِّ مَن ملك مصر في الجاهلية، وعاش من العمر تسع مئة وعشرين سنة، ومُدَّة ملكه أربع مئة سنة، لم يرَ مكروهاً قط، وكُنيته أبو مرة، وقيل: أبو العباس، وهو فرعون الثاني، وفرعون الأول أخوه، واسمه قابُوس بن مصعب، مَلك العمالقة، وفرعون إبراهيم النمروذ، وفِرعون هذه الأمة أبو جهل.

قوله: (﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾) ضمَّنَ (ظلموا) معنى (كفرُوا) فعدَّاه بالباء، ويصحُّ أن تكون الباء سببية والمفعول محذوف، تقديره: ظلموا أنفُسَهم بسببها؛ أي: بسبب تكذيبهم بها.

قوله: (﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾) ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام خبر ﴿كَانَ﴾ مقدَّم عليها، و﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسمها، وإنما قُدِّم لأنَّ الاستفهامَ له الصَّدارة.

قوله: (﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾) تفصيل لما أُجمل أولاً؛ لأن التفصيل بعد الإجمال أوقَعُ في النفس، وهذا القول وما بعده إنما وقعَ بعد كلام طويل قد حكاه الله في سورة (الشعراء) بقوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ...﴾ [الشعراء: ١٦] الآيات، وفي (طه) أيضاً.

قوله: (فكذبه) قدَّره؛ إشارةً إلى أن جملة ﴿حَقِيقٌ﴾ مرتَّبة على محذوف.

قوله: (﴿حَقِيقٌ﴾) خبر لمحذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (أنا).

قوله: (أي: بأن) أشار بذلك إلى أن (على) بمعنى: الباء.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾) مَقول القول، وهو مفرد في معنى الجملة، ويصحُّ أن يكون صفة لمصدر محذوف مفعول مُطلق، تقديره: إلا القولَ الحق.

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ....

وفي قِراءة بِتَشدِيدِ الياء، فـ﴿حَقِيقٌ﴾ مُبتَدأ خَبَرُه ﴿أَن﴾ وما بَعدَه، ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ﴾ إلى الشَّام ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وكانَ استعبَدَهُم.

﴿١٠٦﴾ ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ لَهُ: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ على دَعواكَ ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيها.

﴿١٠٧﴾ ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: حَيَّةٌ عَظيمةٌ.

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (مبتدأ) أي: وسوَّغ الابتداءَ به العملُ في الجار والمجرور، فإن ﴿عَلَىٰٓ﴾ متعلق بـ﴿حَقِيقٌ﴾.

قوله: (وأرسل معي إلى الشام) أي: وسببُ سُكناهم بمصر مع أن أَصلهم من الشام: أن الأسباط أولاد يَعقوب جاؤوا مصر لأخيهم يوسف، فمكثُوا وتناسلوا في مصر، فلما ظهرَ فرعون استعبدَهم واستعملهم في الأعمال الشاقة، فأحبَّ موسى أن يُخلصَهم من ذلك الأسر.

قوله: (استعبدهم) أي: جعلهم عبيداً أرقَّاء بسبب استخدامه إياهم.

قوله: (﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾) شرطٌ حذف جوابُه لدلالة ما قبله عليه.

قوله: (﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾) الثعبان: ذكَر الحيات، وصفت هنا بكونها ثعباناً، وفي آية أخرى: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠]، والجان: الحيَّة الصغيرة، ووجهُ الجمع: أنها كانت في العِظم كالثعبان العظيم، وفي خِفة الحركة كالحية الصغيرة. وَرد: أنه لما ألقى العصا صارت حيَّةً عظيمة صفراء شقراء فاتحة فمَها، بين لحييها ثمانون ذراعاً، وارتَفعت من الأرض قدر ميل، وقامت على ذنبها واضعة لحيَها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر، وتوجَّهت نحو فِرعون لتأخذه، فوثب هارباً، وأحدث - أي: تغوَّط في ثيابه - بِحضرة قومه في ذلك اليوم أربع مئة مرة، واستمرَّ معه هذا المرض وهو الإسهال إلى أن غَرق، مع كونه كان لا يتغوَّط إلا في كل أربعين يوماً مَرة، وقيل: إنها أدخلت قُبة

---

(١) قرأ نافع: (عليَّ)، والباقون: (على). انظر «الدر المصون» (٥/ ٤٠١).

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ۝١٠٨ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ۝١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ۝١١٠ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ ....

(١٠٨) ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: أخرَجَها مِن جَيبِه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ﴾ ذاتُ شُعاعٍ ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ خِلافُ ما كانَت عَلَيه مِن الأُدْمة.

(١٠٩) ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ﴾: فائِق في عِلم السِّحر، وفي (الشُّعَراء) أنَّهُ مِن قَول فِرعَونَ نَفسِه، فكَأنَّهُم قالُوه معه على سَبِيل التَّشاوُر.

(١١٠) ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾؟

(١١١) ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾: أخِّر أمرَهُما، ....

حاشية الصاوي

القصر بين أنيابها، وحملت على الناس فانهزَموا، ومات منهم خمسة وعشرين ألفاً، ودخل فِرعون البيت وصاح: يا موسى؛ أَنشدك بالذي أرسلك أن تأخذَها وأنا أؤمن بك وأُرسل معك بني إسرائيل، فأمسكها بِيَده فعادت كما كانت[١].

قوله: (﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾) أي: اليمنى، قوله: (ذات شعاع) أي: نور يغلبُ على ضَوء الشمس، قوله: (من الأُدْمة) أي: السمرة، قوله: (وفي «الشعراء») أي: هذا القول، قوله: (فكأنهم قالوه معه) هذا بيانٌ لوجه الجمع بين ما هنا وبين ما يأتي في (الشعراء).

قوله: (﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾) يصحُّ أن يكونَ من كلام فرعون ويكون معناه: تشيرون، ويصحُّ أن يكون من كلام الملإ له، والجمع لِلتعظيم على عادة خِطاب الملوك، والأول أقرب.

قوله: (﴿أَرجِئْه﴾) فيه ستُّ قراءات سبعية؛ ثلاث مع الهمزة: وهي كسر الهاء من غير إشباع، وضمها مع الإشباع، وعَدمه، وثلاث من غير همزة: وهي إسكان الهاء، وكسرها بإشباع، وبِدونه[٢].

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/٢١٨).

(٢) قرأ ابن كثير وهشام عن ابن عامر: (أرجئْهو)، وأبو عمرو: (أرجئْهُ) وهي قراءة المصنف، وابن ذكوان عن ابن عامر: (أرجئْهِ)، وعاصم وحمزة: (أرجِهْ) بسكون الهاء وصلاً ووقفاً، والكسائي: (أرجِهِي)، وقالون: (أرجِهِ) دون ياء. انظر «الدر المصون» (٥/٤١٠).

﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَى﴾

﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾: جامِعِينَ.

﴿١١٢﴾ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾ وفي قِراءةٍ: ﴿سَحَّارٍ﴾، ﴿عَلِيمٍ﴾ يَفضُل مُوسَى في عِلم السِّحرِ، فجمَعُوا.

﴿١١٣﴾ ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا أَإِنَّ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وتَسهِيل الثَّانِية، وإدخالِ ألِفٍ بَينَهما على الوجهَينِ -، ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾؟

﴿١١٤﴾ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿١١٥﴾ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ﴾) أي: مدائنِ صعيد مصر، وكان رؤساء السحرة بأقصى صعيد مصر.

قوله: (وفي قراءة: ﴿سَحَّارٍ﴾) أي: بالإمالة وتركها، فتكون القراءات ثلاثاً، وكلُّها سبعية[١].

قوله: (فجمَعوا) أي: وكانوا اثنين وسبعين، وقيل: اثني عشر ألفاً، وقيل: خمسة عشر ألفاً، وقيل: سبعين ألفاً، وقيل: ثمانين ألفاً، وقيل: بضعاً وثمانين ألفاً.

قوله: (بتحقيق الهمزتين... إلخ) كلامه يفيدُ أن هنا قراءتين فقط مع أنها أربع، فكان عليه أن يقول: وإدخال ألف بينهما وتركه، وبقِيَت خامسة؛ وهي (إن) بهمزة واحدة[٢].

قوله: (﴿قَالَ نَعَمْ﴾) أي: لكم الأجر.

قوله: (﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾) أي: في المنزلة عندي؛ بحيث تكونُون أول مَن يدخل عندي وآخر من يخرج.

قوله: (﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾... إلخ) إما أن يكون ذلك تأدُّباً من السحرة مع موسى وقد جوَّزوا عليه

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: (سَحَّار)، والباقون: (ساحر). «السراج المنير» (١/ ٥٠٠).

(٢) قرأ ابن كثير وحفص: (إِنَّ) على الخبر، والباقون بهمزتين، وسهَّل الثانية أبو عمرو وأدخل ألفاً بينهما، والباقون بتحقيقهما، وأدخل بينهما ألفاً هشام، والباقون بغير ألف بينهما. «السراج المنير» (١/ ٥٠٠).

إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ....

﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ عصاكَ، ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ ما مَعَنا.

﴿١١٦﴾ ﴿قَالَ أَلْقُواْ﴾ أمرٌ لِلإذنِ بِتقديمِ إلقائِهم تَوَصُّلاً به إلى إظهارِ الحَقِّ، ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ﴾ حِبالَهم وعِصِيَّهم ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾: صَرَفُوها عن حَقِيقةِ إدراكِها، ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: خَوَّفُوهُم حَيثُ خَيَّلُوها حَيَّاتٍ تَسعَى، ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾.

حاشية الصاوي

بالإيمان والنجاة من النار، وإما أن يكونَ ذلك على عادة أهل الصنائع، أو عدم مُبالاة بموسى لاعتمادهم على غلَبتهم.

قوله: (﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾... إلخ) أنْ وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مفعول لمحذوف، وتقديره: اختَر إما إلقاءنا أو إلقاءك.

قوله: (أمر للإذن) جواب عمَّا يُقال: كيف أمرهم بالسحر وأقرَّهم عليه؟ فأجاب: بأن ذلك للتوصل إلى إظهارِ الحق.

قوله: (عن حقيقة إدراكها) أي: عن إدراك حَقيقتها.

قوله: (﴿بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾) أي: عند السحرة وفي باب السحر وإن كان حقيراً في نفسِه، وذلك أنهم ألقوا حبالاً غِلاظاً وأخشاباً طوالاً وطَلَوا تلك الحبال بالزئبق، وجعلُوا داخل تلك الأخشاب الزئبق أيضاً، فلمَّا أثَّر فيها حرُّ الشمس تحركت والتَوى بعضها على بعض، حتى إنها تُخيَّلُ للناس أنها حيَّات، وكانت سَعة الأرض ميلاً في ميل، وكانت الواقعة في سكندرية، فلما ألقى موسى عصاه بلغ ذنبُها وراء البحر، ثم فتَحت فاها ثمانين ذراعاً، فكانت تَبتلع حبالهم وعصيَّهم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكلَّ، وقصدت القوم الذين حضرُوا ذلك المجمع ففزعوا، ووقع الزحام فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً، ثم أخذها موسى فصارت في يَده عصاً كما كانت، فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه أمرٌ من السماء وليس بسحرٍ، فخرُّوا لله ساجدين، وقالوا: لو كان ما صنع موسى سحراً لَبقيت حبالنا وعصينا وكانت حِمْلَ ثلاث مئة بعير، فعدمت بقدرة الله تعالى[1].

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٠)، ولو كان السحرة قادرين على قلب الأعيان لما طلبوا الأجر.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ....﴾

﴿١١٧﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ ـ بحذفِ إحدَى التاءَينِ في الأصل ـ: تبتَلِع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: يَقْلِبُون بِتَمويهِهِم.

﴿١١٨﴾ ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾: ثَبَتَ وظَهَرَ، ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ مِن السِّحرِ.

﴿١١٩﴾ ﴿فَغُلِبُوا۟﴾ أي: فِرعَونُ وقَومُه ﴿هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾: صارُوا ذَليلِين.

﴿١٢٠﴾ ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾) أي: بعد أن ألقى السحرة حِبالهم وعصيَّهم أوحى الله إلى موسى على لسان جبريل؛ حيث قال كما في سورة (طه): ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ...﴾ [طه: ٦٨] الآية.

قوله: (﴿تَلْقَفُ﴾) أي: تأخذ وتَبتلع بسرعة.

قوله: (من الأصل) أي: وأصلها: تتلقف، حُذفت إحدى التاءَين تخفيفاً، وهذه قراءة الجمهور، وفي قراءة بإدغام التاء في التاء، وفي قراءة: (تَلْقَفُ) من: لَقِفَ كـ(عَلِمَ)، فتكون القراءات ثلاثاً، وكلها سبعيَّة[1].

قوله: (﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾) أي: يكذبون، فالإفكُ الكذبُ.

قوله: (بتَمويههم) أي: تَزيينهم الباطل بصورة الحق.

قوله: (﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾) أي: ظهرَ بُطلانه.

قوله: (﴿هُنَالِكَ﴾) أي: في ذلك المكان وهو سكندرية.

قوله: (﴿وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾) أي: فرعون وقومُه غير السحرة، فإنهم لم يُصِبهم صغار، بل أصابهم العزُّ الأبدي بإيمانهم بالله وحده.

قوله: (﴿سَٰجِدِينَ﴾) حال من ﴿ٱلسَّحَرَةُ﴾، ....

---

(١) قرأ العامة بتشديد القاف، وحفص بتخفيفها، والبزي على أصله أدغم التاء بالتاء على الأصل وقرأ بتشديدها: (اتَّلقَّف). انظر «الدر المصون» (٥/٤١٦).

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣﴾ ....

(١٢١) ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

(١٢٢) ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ لِعِلمِهِم بأنَّ ما شاهَدُوهُ مِن العَصا لا يَتَأتَّى بِالسِّحرِ.

(١٢٣) ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم﴾ ـ بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإبدالِ الثَّانِية ألِفاً ـ ﴿بِهِۦ﴾: بِمُوسَى ﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذِي صَنَعتُمُوه ﴿لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

وقوله: (﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾) في موضع الحال من الضمير في ﴿سَٰجِدِينَ﴾، والتقدير: قائلين في حال سجودهم: آمنَّا... إلخ.

قوله: (﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾) بدلٌ من ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، أو عطف بيان، أو نعت؛ جِيء به لدفع إيهام فرعون الناسَ أنه هو رب العالمين، حيث قال للسحرة: إياي تَعنون؟ فدفعوا ذلك بقولهم: رب موسى وهارون.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: همزة الاستفهام والهمزةِ الزائدة في الفعل، وقوله: (وإبدال الثانية) أي: في الفعل وإن كانت ثالثةً، فهي فاء الكلمة، وفي قراءة سبعيَّة أيضاً بحذف همزة الاستفهام، وفي قراءةٍ بتحقيق الأُولى وتسهيل الثانية وإبدال الثالثة ألفاً، وفي قراءة بقلب الأولى واواً في الوصل وتسهيل الثانية وقلبِ الثالثة ألفاً، فالقراءات أربع، وكلُّها سبعيَّة[(١)].

قوله: (﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ﴾) أصله: أأْذنَ، أبدلت الثانية ألفاً على القاعدة المشهورة، والمعنى: أحصلَ منكم الإيمان قبل حُصول الإذن مني؟! لا يليق منكم ذلك! والفعل المضارع منصوب بـ(أنْ).

قوله: (﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ﴾) أي: حِيلة وخديعة.

قوله: (﴿مَّكَرۡتُمُوهُ﴾) أي: تواطأتُم عليه قبل مجيئكم إلينا، وقَصد بذلك اللعين تثبيتَ القبط بهاتين الشبهتين اللتين ألقاهما عليهم، وهما قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ﴾، وقوله: ﴿لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ﴾.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بتحقيق الهمزتين، وحفص بهمزة واحدة (آمنتم)، ونافع وأبو عمرو وابن عامر والبزي عن ابن كثير بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين، وقنبل عن ابن كثير بهمزتين أولاهما مخففة والثانية مسهلة بين بين وألف بعدها حال الابتداء، وقرأ حال الوصل بإبدال الأولى واواً وتسهيل الثانية بين بين وألف بعدها. انظر «الدر المصون» (٥/ ٤٢٠).

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

ما يَنالكُم مِنِّي.

﴿١٢٤﴾ ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ أي: يَدَ كُلِّ واحدٍ اليُمنَى ورِجلَه اليُسرَى، ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿١٢٥﴾ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بَعد مَوتِنا بِأيِّ وجهٍ كانَ ﴿مُنقَلِبُونَ﴾: راجِعُونَ في الآخِرة.

﴿١٢٦﴾ ﴿وَمَا تَنقِمُ﴾: تُنكِرُ ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عِند فِعلِ ما تَوَعَّده بِنا لِئَلَّا نَرجِعَ كُفَّاراً، ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (ما ينالكم مني) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

قوله: (﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾) هذا بيان لِوعيده الذي توعَّدهم به، وهل فعل ما توعَّدهم به أو لا؟ خلافٌ، بل قال بعضهم: إنه لم يَفعل بدليل قوله تعالى: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥].

قوله: (﴿خِلَافٍ﴾) الجار والمجرور في محلِّ نصب على الحال؛ أي: مُختلفة.

قوله: (بأيِّ وجه كان) أي: سواءٌ كان بقتلك أو لا، وفي آية (طه): ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢].

قوله: (﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾) أي: تَكره منَّا، فقوله: ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾ (أنْ) وما دَخلت عليه: في تأويل مصدر مفعول به لـ﴿تَنقِمُ﴾، والمعنى: وما تكره منَّا إلا إيماننا، ويصحُّ أن يكون المعنى: وما تُعذبنا بشيء من الأشياء إلا لأجل إيماننا، فيكون مفعولاً لأجله.

قوله: (﴿لَمَّا جَآءَتْنَا﴾) أي: حين أتَتنا من عنده.

قوله: (عند فعل ما توعَّده بنا) أي: ما توعَّدنا به، وهو القطعُ من خلاف والتصليبُ، ففي العبارة قَلْبٌ.

قوله: (لئلا نرجع كفاراً) عِلة لقوله: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وقوله: (﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾) أي: ثابتِين على الدين الحق، غيرَ مغيِّرين ولا مبدِّلين.

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ....

﴿١٢٧﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لَهُ: ﴿أَتَذَرُ﴾: تَترُكُ ﴿مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالدُّعاءِ إلى مُخالَفَتِك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ وكان صَنَعَ لَهُم أصناماً صِغاراً يَعبُدُونَها، وقال: أنا رَبُّكُم ورَبُّها، ولِذا قال: أنا رَبُّكُم الأعلَى، ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾ - بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيف - ﴿أَبْنَآءَهُمْ﴾ المَولُودِينَ ﴿وَنَسْتَحْىِۦ﴾: نَستَبقِي ﴿نِسَآءَهُمْ﴾ كَفِعلِنا بِهِم مِن قَبلُ، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾: قادِرُونَ، ففَعَلُوا بِهِم ذلك فشَكا بَنُو إسرائِيلَ.

﴿١٢٨﴾ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾) أي: المصرُّون على الكفر، فإنه حين آمنَت السحرة آمن مِنْ بني إسرائيل ستُّ مئة ألف[١].

قوله: (﴿وَيَذَرَكَ﴾) معطوف على ﴿لِيُفْسِدُوا۟﴾، والمعنى: أتترك موسى وقومَه ليفسدوا في الأرض ولِيَتركك وآلهتك؟! والاستفهام إنكاري، والمعنى: لا يَليق ذلك.

قوله: (﴿وَءَالِهَتَكَ﴾) الجمع في قراءة الجمهور؛ لأنه جعل آلهة يعبدُها قومُهُ وجعل نفسه هو الإله الأعلى، قال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣-٢٤]، وقُرِئَ شذوذاً: وإلهتَكَ بتاء التأنيث؛ لأنه كان يَعبد الشمس[٢].

قوله: (أصناماً صغاراً) أي: على صورة الكواكب.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٣].

قوله: (المولودين) أي: الصغار، وقوله: (﴿وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾) أي: لِلخدمة.

قوله: (من قبل) أي: قبل مَولد موسى.

قوله: (﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾) أي: تسليةً لهم.

---

(١) «تفسير البغوي» عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) على قول، وعند العلامة الجمل في «الفتوحات» (٢/١٧٩): (والأقرب أن يقال: إن فرعون كان دَهريًّا منكراً لوجود الصانع).

(٣) قرأ نافع وابن كثير بالتخفيف، والباقون بالتشديد مع ضم النون. «السراج المنير» (١/٥٠٤).

﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ ....

﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾: يُعطيها ﴿مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ المَحمُودةُ ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾ الله.

﴿١٢٩﴾ ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ فِيها.

﴿١٣٠﴾ ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ﴾) أي: اطلبُوا الإعانةَ منه سبحانه.

قوله: (﴿يُورِثُهَا﴾) الجملة حاليَّة من لفظ الجلالة، وقوله: (﴿مَن يَشَآءُ﴾) مفعول ثانٍ، والمفعول الأول الهاء.

قوله: (﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾ الله) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعول (المتقين) محذوف.

قوله: (﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا﴾) أي: بِالقتل للأولاد واستِبقاء النساء للخدمة.

قوله: (﴿مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا﴾) أي: بالرسالة، وكان فرعونُ يستعملهم في الأعمال الشاقة نصف النهار، فلمَّا بُعث موسى وجرى بينهم ما جرى استعملهم جميعَ النهار وأعادَ القتل فيهم.

قوله: (﴿كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ فيها) أي: من الإصلاح والفساد.

قوله: (﴿وَلَقَدۡ﴾) اللام: مُوطئة لقسم محذوف[١]، تقديره: والله لقد أُخذنا؛ أي: ابتُلينا، وهذا شروعٌ في تفصيل مبادئ هلاك فرعون وقومه لتكذيبهم بالآيات البيِّنات.

قوله: (﴿بِٱلسِّنِينَ﴾) جمع سنة، ومن المعلوم أنه يجري مثل جمع المذكر السالم في إعرابه بالواو رفعاً وبالياء نصباً وجرًّا، وتُحذف نونه للإضافة، ففي الحديث: «اللهمَّ؛ اجعَلها عليهم سنينَ كسني يوسف»[٢]، ويقلُّ إعرابه كـ(حِين).

---

(١) بل هي لام قسم محذوف، وتقدمت الإشارة لهذا أول الكتاب.

(٢) رواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾

بِالقَحطِ ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُونَ فيُؤمِنُون.

﴿١٣١﴾ ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾: الخِصبُ والغِنَى ﴿قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ﴾ أي: نَستَحِقُّها، ولَم يَشكُرُوا عَلَيها، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جَدْبٌ وبَلاءٌ ﴿يَطَّيَّرُوا﴾: يَتَشاءَمُوا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ مِن المُؤمِنِين، ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾: شُؤمُهُم ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ يَأتِيهِم بِه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ما يُصِيبُهُم مِن عِندِه.

حاشية الصاوي

قوله: (بالقحط) أي: احتباسِ المطر.

وقوله: (﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾) أي: إتلافِها بالآفات.

قوله: (﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾) أشار بذلك إلى أنهم باقُون في غيِّهم وضلالهم، ولم يتَّعظوا ولم ينزجروا عمَّا هم عليه.

قوله: (أي: نَستحقها) أي: بحَولنا وقوتنا.

قوله: (﴿يَطَّيَّرُوا﴾) أصله: يتطيَّروا، أدغمت التاء في الطاء، والتطيُّرُ في الأصل: أن يفرِّق الشيء بين القوم ويطير لكلٍّ واحد ما يخصُّه، يشمل النصيب الحسن والسيِّئ، ثم غلب على الحظِّ والنصيب السيئ. والحكمةُ في التعبير في جانب الحسنة بـ(إذا) المفيدة للتحقيق وتعريفها، وفي جانب السيئة بـ(إن) المفيدة للشكِّ وتنكيرها: الإشارةُ إلى أن رحمة الله تغلبُ غضبه، وأنها صادرةٌ منه سبحانه وتعالى وإن لم يتأهَّل لها العبد، بخلاف السيئة، فصُدورُها منه نادر لِيُذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يَرجعون.

قوله: (﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾) ﴿أَلَا﴾: أداة استفتاح يُؤتى بها؛ اعتناءً بما بعدها للردِّ عليهم.

قوله: (شُؤمهم) أي: عذابهم الذي تشاءمُوا به.

قوله: (﴿عِندَ اللَّهِ﴾) أي: لا عند موسى، فليس له مَدخل في إيجاد ذلك.

قوله: (يأتيهم به) أي: جزاء لأعمالهم السيئة.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾) يفيدُ أن الأقلَّ يَعلم أن فرعون كاذبٌ وموسى صادقٌ، وإنما كفرهم محضُ عناد.

وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ

﴿١٣٢﴾ ﴿وَقَالُواْ﴾ لِـمُـوسـى: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، فدَعا علَيهم.

﴿١٣٣﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دَخَلَ بُيُوتَهم ووَصَلَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَالُواْ﴾) أي: فرعون وقَومه.

قوله: (﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ﴾) ﴿مَهْمَا﴾: اسم شرط جازم، و(تأتِ): فعل الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها، و(نا): مفعول، و﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾: بيان لـ﴿مَهْمَا﴾، و﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ(تأتِ)، وضميرها راجع لـ﴿مَهْمَا﴾، و﴿لِّتَسْحَرَنَا﴾: متعلق بـ﴿تَأْتِنَا﴾، و﴿بِهَا﴾: متعلق بـ(تسحرَنا).

وقوله: (﴿فَمَا﴾) الفاء واقعة في جواب الشرط، و(ما): نافية، و﴿نَحْنُ﴾: مبتدأ، و﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: خبر مرفوع بواو مقدرة منع من ظهورها اشتغالُ المحل بالياء التي جلبها حرف الجر الزائد، والجملة في محلٍّ جزم جواب الشرط.

قوله: (فدعا عليهم) قال سعيد بن جبير: لما آمنَت السحرة ورجع فرعون مغلوباً.. أبى هو وقومه إلا الإقامةَ على الكفر والتمادي بالشرِّ، فتابع الله عليهم الآيات، فأخذهم الله أوّلاً بالسنين وهو القحط ونقصُ الثمرات، وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليدَ والعصا فلم يؤمنوا، فدعا عليهم موسى وقال: يا ربِّ؛ إن عبدك فرعونَ علا في الأرض، وبغى وعتا، وإن قومه قد نقضُوا العهد فخُذْهم بعقوبة تجعلها عليهم نِقمة، ولقومي عِظة، ولمن بعدهم آيةً وعبرة[1]، ففعل الله بهم ما سيذكر.

قوله: (﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾) أي: ماء من السماء، والحال أن بيوتَ القبط مشتبكة ببيوت بني إسرائيل، فامتلأت بيوتُ القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، ومَن جلس منهم غرق، ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني إسرائيل شيء، وركب ذلك الماء على أرضهم فلم يَقدروا على الحرث، ودام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فاستغاثوا بموسى، فأزال الله عنهم المطرَ، وأرسل عليهم الريح فجففت الأرض، وخرج من النبات ما لم يُرَ مثله قطُّ، فقالوا: هذا الذي جَزعنا منه خير لنا لكنا لم نَشعر، فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل، فأقاموا شهراً في عافية.

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٣) عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن إسحاق مجموعاً.

وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ ....

إلى حُلوقِ الجالِسِينَ سَبعةَ أيَّام، ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأكَلَ زَرعَهُم وثمارَهم كَذلكَ، ﴿وَالْقُمَّلَ﴾: السُّوسُ أو نَوعٌ مِن القُرَاد، فتَتَبَّعَ ما تَرَكَهُ الجَراد، ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فمَلَأت بُيُوتَهم وطَعامَهُم،

حاشية الصاوي

قوله: (إلى حُلوق الجالسين) في كلام غيره: (إلى حلوق القائمين)، ومَن جلس غرق كما علمتَ.

قوله: (﴿وَالْجَرَادَ﴾) أي: واستمرَّ من السبت إلى السبت يأكلُ زَرعهم وثمارهم وأوراقهم وأشجارهم، وابتلي الجراد بالجوع فكانت لا تَشبع، ولم تصب بني إسرائيل، فعظُمَ الأمرُ عليهم، فضجُّوا من ذلك، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، فأشار موسى بِعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءَت، فأقاموا شهراً في عافية، ثم رَجعوا إلى أعمالهم الخبيثة.

قوله: (﴿وَالْقُمَّلَ﴾) مشى المفسِّر على أنه السُّوس أو نوع من القُراد، وقيل: إنه القَمْلُ المعروف بدليل قراءة الحسن: (والقَمْل) بفتح القاف وسكون الميم، وقيل: هو البراغيث، فأكل ما أبقاه الجرادُ، وكان يدخل بين ثوبِ أحدهم وجِلده فيَمصُّه، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلئ قملاً، فاستمرَّ ذلك سبعةَ أيام من السبت إلى السبت، فضَجُّوا واستغاثوا، فرُفع عنهم، ثم أقاموا شهراً في عافية، ثم رَجعوا لأخبث ما كانوا عليه.

قوله: (﴿وَالضَّفَادِعَ﴾) جمع ضِفدع؛ ك: دِرْهَم وزِبْرِج[(١)].

قوله: (فملأت بيوتهم وطعامهم) أي: وكان الواحد منهم يَجلس في الضفادع إلى رقبته، ويهمُّ أن يتكلم فيَثب الضفدع في فيه، وكان يملأ قدورهم، ويطفئ نيرانهم، وكان أحدهم يضجعُ فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاماً حتى لا يستطيعَ أن يَنقلب إلى شقِّه الآخر، ورد: أن الضفادعَ كانت برِّيَّةً، فلمَّا أرسلها الله سمعت وأطاعت، فجَعلت تلقي نفسها في القُدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تَفور، فأثابها الله بحسن طاعتها بردَ الماء[(٢)]، فصارت من حينها تَسكن الماء، ثم ضجُّوا وشكَوا لموسى وقالوا: ارحمنا هذه المرة، فما بقي لنا إلا أن نتوبَ ولا نعود، بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فدعا الله موسى، فكشف عنهم ذلك، واستمرُّوا شهراً في عافية، ثم عادُوا.

(١) وكجَعْفَر وجُنْدَب، والجمع ضفادع وضفادي. «الفتوحات» (٢/ ١٨٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ ....

﴿وَٱلدَّمَ﴾ في مِياهِهِم، ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: مُبَيِّناتٍ، ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عنِ الإيمانِ بِها، ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿١٣٤﴾ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾: العَذابُ ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ مِن كَشفِ العَذاب عَنَّا إنْ آمَنَّا، ﴿لَئِن﴾ - لام قَسَم - ﴿كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿١٣٥﴾ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بِدُعاءِ مُوسَى ﴿عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلدَّمَ﴾) أي: وكان أحمر خالصاً، فصارت مياههم كلها دماً، فما يسقون من بئر ولا نهر إلا وجدُوه دماً، فأجهدهم العطش جدًّا، حتى إن القبطية تأتي لِلمرأة من بني إسرائيل فتقول لها: اسقِني من مائك، فتصبُّ لها من قربتها، فيعودُ في الإناء دماً، حتى كانت القبطية تقول للإسرائيلية: اجعَليه في فيك ثم مُجِّيه في فيَّ، فتأخذه في فيها ماءً، وإذا مجَّته في فيها صار دماً، واعترى فرعون العطش، حتى إنه لَيضطرُّ إلى مضغ الأحجار الرطبة، فإذا مَضغها صار دماً، فمكثوا على ذلك سبعة أيام من السبت إلى السبت، فشكَوا لموسى ذلك، فكشفَهُ الله عنهم.

قوله: (﴿ءَايَٰتٍ﴾) حالٌ من الخمسة المذكورة.

قوله: (﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾) أي: مفرَّقات، فكانت كلُّ واحدة تمكُث سبعة أيام، وبين كلِّ واحدة وأخرى شهر.

قوله: (﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾) هذا مُوزَّعٌ على الخمسة، فكانوا كلما ضجُّوا قالوا هذه المقالة.

قوله: (من كشف العذاب) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾) أي: في كل واحدة من الخمس.

قوله: (﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾) أي: وهو وقت إغراقهم.

إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ....

﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: يَنقُضُونَ عَهْدَهُم ويُصِرُّونَ على كُفرِهِم.

﴿١٣٦﴾ ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾: البَحرِ المِلحِ؛ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بِسَبَبِ أَنَّهُم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يَتدبَّرُونَها.

﴿١٣٧﴾ ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بِالاستِعبادِ وهُم بَنُو إسرائِيلَ ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بِالماءِ والشَّجَر، صِفةٌ لِلأرضِ وهِيَ الشَّام، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾ وهيَ قَولُه تَعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ [القصص: ٥] إلخ، ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على أذى عَدُوِّهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾) أي: أَرَدنا الانتقام منهم؛ لأن الانتقام هو الإغراق، فلا يَحسن دخول الفاء بينهما.

قوله: (﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾) أي: نَواحيها وجميع جهاتها.

قوله: (صفة للأرض) فيه أنه يَلزم عليه الفصلُ بين الصفة والموصوف بالمعطوف وهو أجنبي، والأَولى أن يكون صفة للمشارق والمغارب.

قوله: (وهي الشام) الحاملُ له على هذا التفسير قولُهُ تعالى: ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، وهذا الوصف لا يُعيِّن هذا المعنى، بل يمكن تفسير الأرض بأرض مِصر كما هو السياق، وقد بارك الله فيها بالنيل وغيره، ويؤيدُهُ قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ إلى أن قال: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

وكذلك آية (الشعراء)، وقد اختارَ ما قُلناه جملةٌ من المفسرين، وقال بعضهم: المرادُ بمشارق الأرض ومغاربها: مصرُ؛ فإنهم وَرِثوا العمالقة في الشام، ووَرِثوا الفراعنة في مصر.

قوله: (﴿كَلِمَتُ﴾) تُرسم هذه بالتاء المجرورة لا غير، وما عداها في القرآن بالهاء على الأصل.

قوله: (﴿بِمَا صَبَرُوا﴾) أي: بِسبب صبرهم.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا ....﴾

﴿وَدَمَّرْنَا﴾: أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ مِن العِمارةِ، ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ ـ بِكَسرِ الرَّاء وضَمِّها ـ: يَرفَعُونَ مِن البُنْيانِ.

﴿١٣٨﴾ ﴿وَجَٰوَزْنَا﴾: عَبَرْنا ﴿بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟﴾: فمَرُّوا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ ـ بِضَمِّ الكافِ وكَسرِها ـ ﴿عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ يُقِيمُونَ على عِبادَتِها، ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾: صَنَماً نَعبُدُهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾) أي: أهلكنا وخرَّبنا الذي كان يَصنعه فرعون وقومه.

قوله: (﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾) هذا آخر قِصة فرعون وقومه.

قوله: (بكسر الراء وضمها) قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (من البُنيان) أي: كصرح هامان وغيره من جميع ما أسَّسوه بأرض مِصر.

قوله: (﴿وَجَٰوَزْنَا﴾) شروعٌ في قصة بني إسرائيل وما وقع منهم من كُفر النعمة والقبائح، والمقصود من ذلك: تسليةُ النبيِّ ﷺ وتخويفُ أمَّته من أن يَفعلوا مثل فعلهم.

قوله: (عبرنا) العَبْرُ: هو الانتقال من جانب لآخر؛ لانتقالهم من الجانب الشرقي للغربي.

قوله: (بضم الكاف وكسرها) أي: من بابَي: نصَر وضرَب، وهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى﴾) القائل بعضهم لا جميعُهم.

قوله: (﴿عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾) قيل: هي حجارة على صُورة البقر، وقيل: بقر حقيقة، وكان هؤلاء القومُ العاكفون من الكَنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم بعد ذلك.

قوله: (﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾) قيل: إنهم مُرتدُّون بهذه المقالة؛ لِقصدهم بذلك عبادة الصنم حقيقةً، وقيل: ليسوا مرتدِّين، بل هم جاهلون جهلاً مركباً؛ لاعتقادهم أنَّ عبادةَ الصنم بقصد التقرُّب إلى الله

(١) قرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء، والباقون بكسرها. «السراج المنير» (١/ ٥١٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف، والباقون بالضم. «المصدر السابق».

كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم ....

﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ حيثُ قابَلتُم نِعمةَ الله عَلَيكم بِما قُلتُموهُ.

﴿١٣٩﴾ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ﴾: هالِكٌ ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٤٠﴾ ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾: مَعبُوداً وأصلُه: أبغِي لَكُم، ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في زَمانِكُم بِما ذَكَرَهُ في قولِه:

﴿١٤١﴾ ﴿وَ﴾ اذكُرُوا ﴿إِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾ ....

حاشية الصاوي

تعالى لا تضرُّهم في الدين، وعلى كلٍّ فهذه المقالة في شَرعنا ردَّةٌ. والجار والمجرور: مفعول ثانٍ، و(إلهاً): مفعول أول.

وقوله: (﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾) صفة لـ﴿إِلَٰهًا﴾، و(ما): اسم موصول، و﴿لَهُمْ﴾: صِلتها، و﴿ءَالِهَةٌ﴾: بدل مِن الضمير المستتر في ﴿لَهُمْ﴾، والتقدير: اجعَل إلهاً لنا كالذي استقرَّ لهم الذي هو آلهة.

قوله: (﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾) جملة مُستأنفة قصد بها توبيخهم وزَجرهم.

قوله: (﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾) أي: من الدين الباطل، وهو عِبادة الأصنام.

قوله: (﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾) الاستفهام للإنكار والتوبيخ.

قوله: (﴿أَبْغِيكُمْ﴾) أي: أطلبُ وأقصِدُ لكم.

قوله: (وأصله: أبغي لكم) أي: فحذف الجار فاتَّصل الضمير.

قوله: (﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ﴾) الجُملة حالية من لفظ الجلالة.

قوله: (في زَمانكم) أي: بإنجائكم، وإغراقِ عَدوكم، وإنزال المنِّ والسلوى عليكم، وليس تَفضيلهم على جميع العالمين؛ فإن أمةَ محمد ﷺ أفضلُ من جميع الأُمَم.

قوله: (﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾) هذا كلامُ موسى، فإسناد الإنجاء إليه مجازٌ؛ لِكونه على يده وسبباً فيه؛ حيث ضرب بعصاه البحر فانفلق.

مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً ....

- وفي قِراءةٍ: ﴿أَنجَىٰكُم﴾ - ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يُكلِّفونَكم ويُذيقونَكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: أشَدَّه، وهُم ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يَستَبْقُونَ ﴿نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الإنجاءِ أو العَذابِ ﴿بَلَآءٌ﴾: إنعامٌ أو ابتِلاءٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، أفَلا تَتَّعِظُونَ فتَنتَهُون عَمَّا قُلتُم؟

﴿١٤٢﴾ ﴿وَوَٰعَدْنَا﴾ - بِألِفٍ ودُونَها - ﴿مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ نُكَلِّمُهُ عِند انتِهائِها بِأن يَصُومَها،

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة: ﴿أَنجَىٰكُم﴾) أي: وهي ظاهرة، فإن الفاعل ضمير عائد على الله، وهما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (﴿يَسُومُونَكُمْ﴾) مِن السَّوم، وهو الإذاقة.

قوله: (﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾) قدَّر المفسِّر (هُم)؛ إشارةً إلى أن ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ بيانٌ لـ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾.

قوله: (﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾) أي: لِخدمتهم.

قوله: (الإنجاء أو العذاب) أشار بذلك إلى أن اسم الإشارة يصحُّ عَوده على الإنجاء، ومعنى كونه بلاءً: أنه يخيِّرهم: هل يشكرون فيُؤجروا، أو يكفرون فيُعاقَبوا؟ وعوده على العذاب ظاهر، فالابتلاء كما يكون في الشَّر يكون في الخير، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فالشكر على النِّعمة مُوجبٌ لزيادتها، كما أنَّ الصبر على البَلايا موجبٌ لرضا الله، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

قوله: (بألف ودونها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٢]، فعلى الألف من المواعدة، وهي مُفاعَلة من الجانبين، فمن الله الأمر، ومِن العبد القبول، وعلى حذف الألف فالوعدُ من الله لا غير، وهو ظاهر.

قوله: (﴿ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾) إنما عبَّر بالليالي دون الأيام مع أن الصيامَ في الأيام؛ لأن موسى كان

---

(١) قرأ العامة: (أنجيناكم)، وابن عامر: (أنجاكم). «السراج المنير» (١/ ٥١١).

(٢) قرأ أبو عمرو بغير ألف، والباقون بألف. «السراج المنير» (١/ ٥١١).

﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ ....

وهي ذُو القَعدةِ، فصامَها فلمَّا تَمَّت أنكرَ خُلُوفَ فَمه فاستاكَ، فأمَرَهُ الله بِعَشْرة أُخرَى لِيُكَلِّمَهُ بِخُلُوفِ فَمِهِ كما قال تعالى: ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ مِن ذِي الحِجَّة، ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾: وقتُ وَعدِه بِكَلامِه إيَّاهُ ﴿أَرْبَعِينَ﴾ - حالٌ - ﴿لَيْلَةً﴾ - تَمييز -، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عِندَ ذَهابه إلى الجَبَل لِلمُناجاةِ: ﴿اخْلُفْنِي﴾: كُن خَلِيفَتِي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أمرَهُم، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بِمُوافَقَتِهم على المَعاصِي.

حاشية الصاوي

صائماً تلك المدة ليلاً ونهاراً مواصلاً، وحُرمةُ الوصال على غير الأنبياء، فعبَّرَ بالليالي؛ لِدَفع توهُّم اقتصاره على صوم النهار فقَط.

قال المفسرُون: إن موسى عليه الصلاة والسلام وعدَ بني إسرائيل إذا أهلَك الله تعالى عدوَّهم فرعونَ أن يأتيَهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يَأتون وما يذرُون، فلما أهلك الله فرعونَ سأل موسى ربَّهُ أن ينزل عليه الكتابَ الذي وعد به بني إسرائيل، فأمره أن يصومَ ثلاثين يوماً، فصامها، فلما تمَّتْ أنكرَ خُلُوف فمه، فاستاك بعود خرْنوب[1]، وقيل: أكل من ورق الشجر، فقالَت الملائكة: كنا نَشَمُّ من فيك رائحةَ المسك، فأفسدتَه بالسواك، فأمره الله أن يصومَ عشر ذي الحجة، فكانت فِتنة بني إسرائيل في تلك العشر[2].

قوله: (أنكر خُلُوف فمه) أي: كرهَ رائحةَ فَمه من أثر الصوم، وهو بضم الخاء واللام معناه: الرائحة.

قوله: (﴿وَأَتْمَمْنَاهَا﴾) أي: المواعدة المأخُوذة من قوله: ﴿وَوَاعَدْنَا﴾.

قوله: (﴿أَرْبَعِينَ﴾ حال) أي: من ﴿مِيقَاتُ﴾.

قوله: (﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾) الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً؛ لأنَّ تلك الوصيةَ كانت قبل ذَهابه وصِيامه.

قوله: (﴿وَأَصْلِحْ﴾ أمرهم) أي: أمْرَ بني إسرائيل، ولا تغفُلْ عنهم.

---

(١) نبت ذو شوك منه البَشع ومنه الحلو. انظر «لسان العرب» (خ ر ب).

(٢) «تفسير البغوي» (٢/٢٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ....﴾

(١٤٣) ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي: لِلوَقتِ الَّذِي وَعَدناهُ بِالكَلامِ فِيه، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بِلا واسِطةٍ كَلاماً سَمِعَهُ مِن كُلِّ جِهةٍ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ﴾ نَفسَك ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ أي: لا تَقدِرُ على رُؤيَتي، والتَّعبِيرُ بِه دُون (لَن أُرَى) يُفِيدُ إمكانَ رُؤيَتِه تَعالَى، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾) قال أهل التفسير: لما جاء موسى لميقات ربِّه.. تطهَّرَ وطهَّرَ ثيابه وصام، ثم أتى طور سَيْناء، فأنزل الله ظُلَّة غشيت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحِية، وطرد عنه الشيطان وهوامَّ الأرض، ونحَّى عنه الملكين، وكشَط السماء له فرأى الملائكة قياماً في الهواء، ورأى العرش بارزاً، وأدناه ربُّه حتى سمع صريفَ الأقلام على الألواح، وكلَّمَه، وكان جبريل معه فلم يَسمع ذلك الكلام، فاستحلى موسى كلامَ ربِّه، فاشتاق إلى رُؤيته فقال: رب أرني... إلخ.

قوله: (أي: للوقت) أي: وكان يومَ الخميس يومَ عرفة، فكلَّمه الله فيه، وأعطاه التوراة صبيحةَ يوم الجمعة يومَ النَّحر.

قوله: (﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾) أي: أزال الحجابَ عنه حتى سمع كلامَهُ بجميع أجزائه من جميع جِهاته، لا أن الله أنشأ له الكلام؛ لأن الله سبحانه وتعالى دائماً متكلِّم يَستحيل عليه السكوت والآفة، ولم يَصِلْ لنا معنى ما فَهمه موسى في تلك المكالمة[1].

قوله: (﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ﴾) لما سمع الكلام هام واشتاقَ إلى رؤية الذات، فسأل الله أن يزيلَ عنه حِجاب البصر كما أزال عنه حجاب السمع؛ إذ لا فرقَ بين الحاسَّتين، فقد سأل جائزاً؛ لأن كلَّ مَنْ جاز سماع كلامِه جازت رؤيةُ ذاته.

قوله: (نفسك) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿أَرِنِيٓ﴾ محذوف.

قوله: (﴿أَنظُرْ إِلَيْكَۚ﴾) جواب الشرط، ولا يُقالُ: إن الشرط قد اتَّحد مع الجواب؛ لأن المعنى: هيِّئني لرؤيتك ومكِّنِّي منها؛ فإن تفعَلْ بي ذلك أنظُرْ إليك.

قوله: (﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾) أي: لا طاقةَ لك على رُؤيتي في الدنيا، وهذا لا يقتضي أنها مُستحيلة عقلاً، وإلا.. لما عُلِّقت على جائز وهو استقرارُ الجبل.

(١) «الفتوحات» (٢/ ١٨٧) نقلاً عن العلامة الأجهوري.

وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ....

﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ الَّذي هو أقوى مِنك ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ﴾: ثَبَتَ ﴿مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ أي: تَثبتُ لِرُؤيَتي، وإلّا فَلا طاقةَ لَك، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ أي: ظَهَرَ مِن نُورِه قَدرُ نِصف أُنمُلة الخِنصَر كَما في حَديثٍ صَحَّحَهُ الحاكِمُ ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ - بِالقَصرِ والمَدِّ -، أي: مَدكُوكاً مُستَوِياً بِالأرضِ، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: مَغشِيًّا عَلَيه لِهَولِ ما رَأى، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ تَنزِيهاً لَك، ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾) هذا من تنزُّلات الحقِّ لموسى، وتسليةٌ له على ما فاته من الرؤية، وهذا الجبل كان أعظمَ الجبال، واسمه زَبِير.

قوله: (الذي هو أقوى منك) أي: فحجَبه عن الرؤية رحمةً به؛ لعدم طاقة الجبل على ذلك فضلاً عن موسى.

قوله: (أي: ظهر من نوره) أي: من نور جَلال عرشه، وفي رواية: أمر الله ملائكة السماوات السَّبع بحمل عرشه، فلما بدَا نورُ عرشه.. انصَدع الجبل من عظمة الربِّ سبحانه وتعالى.

قوله: (نصف أَنْمُلَةِ الخنصر) وفي رواية: قدر مِنخر الثور، وفي رواية: قدر سمِّ الخياط، وفي رواية: قدر الدرهم[1].

قوله: (بالقصر والمد) أي: فهُما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (مستوياً بالأرض) أي: بعد أن كان عالياً مرتفعاً، وقيل: تفرَّق ستة أجبُل؛ ثلاثة بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى، وثلاثة بمكة ثَبير وثور وحراء.

قوله: (﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾) أي: سقط مغشيًّا عليه ذاهباً عن حواسِّه؛ ولذا لا يصعقُ عند النَّفخة.

قوله: (﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾) أي: بردِّ حواسِّه له.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٥)، وبقية الروايات عند البغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٣٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالمدِّ، والباقون بالقصر مع التنوين. «السراج المنير» (١/ ٥١٤).

وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ ....

مِن سُؤالِ ما لَم أُومَر بِه، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ في زَماني.

﴿١٤٤﴾ ﴿قَالَ﴾ تَعالى لَه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾: اختَرتُك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: أهلِ زَمانِك ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ ـ بِالجَمعِ والإفرادِ ـ، ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ أي: تكلِيمِي إيَّاكَ، ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ مِن الفَضل ....

حاشية الصاوي

قوله: (من سؤال ما لم أومر به) أي: وليس المراد أن طلبَ الرؤية معصية، وإنما هو من باب: حسناتُ الأبرار سيِّئاتُ المقربين.

قوله: (في زماني) دفع بذلك ما يُقالُ: إن قبله من المؤمنين كثيرٌ من الأنبياء والأُمم، وفي القصة: أن موسى عليه الصلاة والسلام كان بعدما رجعَ من المكالمة لا يستطيعُ أحدٌ أن ينظر إليه لما غشيَ وجهه من النور، ولم يزل على وجهه بُرْقُعٌ حتى مات، وقالت له زَوجته: أنا لم أرك منذ كلَّمك ربك، فكشف لها عن وجهه، فأخذها مثلُ شعاع الشمس، فوَضعت يدها على وجهها وخرَّت ساجدة وقالت: ادعُ الله أن يجعلني زَوجتك في الجنة، قال: ذلك لك إن لم تتزوَّجي بعدي؛ فإن المرأة لآخر أزواجها[1]، وورد أيضاً: أنه مكث زمناً طويلاً كلَّما سمع كلامَ الناس يَتقايأ.

قوله: (﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾) هذا تسليةٌ له على ما فاته من الرؤية.

قوله: (أهل زمانك) دفع بذلك ما يُقال: إن من جملة الناس سيِّدَنا محمد ﷺ وإبراهيم الخليل، فيقتضي أنه مختار عليهما! فأجابَ: بأن المراد بالناس: أهل زَمانه أنبياء أو غيرهم؛ ولذلك كانت أنبياء بني إسرائيل يتعبَّدون بالتوراة.

قوله: (بالجمع) أي: باعتبار تعدُّد الأحكام الموحى بها.

قوله: (والإفراد) أي: مراداً بها المعنى المصدري؛ أي: إرسالي، وهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿وَبِكَلَٰمِي﴾) اسم مصدر بمعنى: التكليم؛ أي: تكليمي إياك مُباشرة بلا واسطة، ويصحُّ

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٢).

(٢) قرأ نافع وابن كثير بالإفراد، والباقون بالجمع. «الفتوحات» (٢/ ١٨٩).

وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ....

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لِأنعُمِي.

﴿١٤٥﴾ ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ أي: ألواحِ التَّوراة، وكانَت مِن سِدْرِ الجَنَّة أو زَبَرجَد أو زُمُرُّدٍ سَبعةً أو عَشَرة، ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يُحتاج إلَيه في الدِّينِ ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾: تَبيِيناً ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ ـ بَدَل مِن الجار والمَجرُور قَبلَه ـ، ﴿فَخُذْهَا﴾ ـ قَبلَه (قُلنا) مُقَدَّراً ـ ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بِجِدٍّ واجتِهادٍ، ....

حاشية الصاوي

أن يُراد بالكلام التوراة، كما يُقال للقرآن: كلام الله يُقال للتوراة أيضاً: كلامُ الله؛ لأنها أفضل كتاب أُنزل من السماء بعد القرآن.

قوله: (لأنعمي) جمع نعمة، وتجمع أيضاً على: نِعَم.

قوله: (﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾) أي: وكان طول اللوح منها اثني عشر ذراعاً، وقيل: عشرة على طول موسى، والكاتب لها هو الله بلا واسِطة.

قوله: (أو زمرُّد) وقيل: من ياقوتة حمراء.

قوله: (سبعة أو عشرة) وقيل: تسعة، وقيل: اثنان ويكون المراد بالجمع: ما فوق الواحد، قال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي وِقْر سبعين بعيراً[١]، يقرأ الجزء منها في سنة، ولم يحفظها إلا أربع: موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام[٢]، وقال الحسن: هذه الآية في التوراة بألف آية[٣].

قوله: (بدل) أي: قوله: ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ بدل من محلِّ قوله: ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ وهو النصب، وقوله: ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ متعلق بـ(تفصيلاً).

قوله: (قبله «قلنا» مقدَّراً) أشار بذلك إلى أن هذا المحذوف معطوفٌ على (كتبنا).

قوله: (بجد واجتهاد) أي: لا بتراخٍ وكسلٍ؛ فإنَّ العلم لا يأتي إلا للمُجدِّ المشتاق، كان كسبيًّا أو وهبيًّا، فلا بدَّ لمتعاطي العلم من الكدِّ والتعب ومخالفة النفس، قال بعضهم: [الوافر]

(١) الوِقْر بكسر الواو: الحمل الثقيل.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٢٦).

(٣) «تفسير الخازن» (٢/ ٢٤٨).

وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ....

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ فِرعَونَ وأتباعِه، وهي مِصر؛ لِتَعتَبِرُوا بِهِم.

حاشية الصاوي

بِقَدْرِ الكَدِّ تُكْتَسَبُ المَعَالِي ... وَمَنْ طَلَبَ العُلَى سَهِرَ اللَّيَالِي

تَرُومُ العِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلاً ... يَغُوصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللآلِي[1]

وقال بعض العارفين: [الوافر]

فَجُدْ بِالرُّوحِ وَالدُّنْيَا خَلِيلِي ... كَذَا الأَوْطَانُ كَيْ تُدْرِكَ سَنَاهُ

وهذا الخطاب لموسى والمراد غيره؛ لأنه هو آخذٌ لها بقوَّة واجتهاد.

قوله: (﴿بِأَحْسَنِهَا﴾) أي: بالأحوَط منها؛ لأنَّ فيها عزائمَ ورخصاً وفاضلاً ومفضولاً وجائزاً ومندوباً، فاؤمُرْ قومك يأخذوا بأحوطها؛ بأن يتَّبعوا العزائم ويتركوا الرُّخص، وذلك كالقوَد والعفو، والانتصار والصبر، فالأخذ بالعفو أحسنُ من القوَد، والصبر أحسن من الانتصار، أو يُقال: إن اسم التفضيل ليس على بابه، أي: بِحسنها، والإضافة بيانية، والمعنى: يعملون بجميع ما فيها.

قوله: (﴿سَأُورِيكُمْ﴾) الخطابُ لموسى ومن تبعه، فالكاف: مفعول أول، و﴿دَارَ﴾: مفعول ثانٍ، والمعنى: أُملككم إياها، بدليل قراءة من قرأ: (سأُورثكم) بالثاء المثلثة[2].

قوله: (وهي مصر) هذا الأقرب، وقيل: المراد بدار الفاسقين: ديارُ عاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح.

قوله: (ليعتبروا بهم) أي: ففي الآية إشارةٌ إلى أنهم إن خالَفوا فعل بهم كما فعل بفِرعون وقومه، وهكذا كلُّ ظالم فاجر ولو مِن المسلمين؛ إذا بغى واعتدى وتكبَّر وتجبَّر يُمهل مدة ثم تصير دياره بلاقعَ، فالعبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويُؤيده قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

---

(١) هما في «فاكهة الخلفاء» (ص٣٦٣) دون نسبة.

(٢) وهي شاذة، قال الزمخشري في «كشافه» (٢/١٥٨): (وهي قراءة حسنة يصححها قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ﴾ ....

(١٤٦) ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾: دَلائِلِ قُدرَتِي مِن المَصنُوعات وغَيرِها ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بِأن أخْذُلَهم فلا يَتَكَبَّرُونَ فِيها، ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ﴾: طَرِيقَ ﴿ٱلرُّشْدِ﴾: الهُدَى الَّذِي جاء مِن عِند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يَسلُكُوه، ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾: الضَّلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ﴾ الصَّرفُ ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ تقدَّم مِثْله.

(١٤٧) ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: البَعثِ وغَيرِه، ﴿حَبِطَتْ﴾: بَطَلَت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: ما عَمِلُوهُ في الدُّنيا مِن خَيرٍ، كصِلَةِ رَحِم وصَدَقةٍ، فلا ثَوابَ لَهُم لِعَدَمِ شَرطِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾) أي: أقسِّي قلوبهم وأطمسها عن فهم آياتي، فلا يتفكَّرون ولا يتدبَّرون.

قوله: (﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾) حال من ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ أي: حال كونهم متلبِّسين بالدين الغير الحق.

قوله: (﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾) أي: لوجود الطبع على قُلوبهم، وفي الآية إشارةٌ إلى أن المتكبِّر المعترض لا يستفيدُ نوراً ولا خيراً من الذي اعترضَ وتكبَّرَ عليه.

قوله: (﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟﴾) أي: بِسبب تكذيبهم.

قوله: (تقدم مِثله) أي: في قوله: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾) مبتدأ، وجملة ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ خبره.

قوله: (لعدم شرطه) أي: الثواب، وهو الإيمان، فالإيمان شرطٌ في الثواب؛ لأنه مِقدار من الجزاء، يُعطى لِلمؤمنين في مقابلة أعمالهم الحسنة، فأعمال الكفار الحسنة التي لا تتوقف

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا

﴿هَلْ﴾: ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاءَ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِن التَّكذِيب والمَعاصِي.

﴿١٤٨﴾ ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بَعد ذَهابِه إلى المُناجاةِ ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الَّذِي استَعارُوهُ مِن قَومِ فِرعَونَ بِعِلَّةِ عُرسٍ فبَقِيَ عِندَهم ﴿عِجْلًا﴾ صاغَهُ لَهُم مِنهُ السَّامِرِيُّ

حاشية الصاوي

على نية يجازون عليها في الدنيا أو يخفف عنهم من عذاب غير الكفر، لكن لا يُقال له: ثواب؛ كذا قرَّرَ الأشياخ[١].

قوله: (﴿هَلْ يُجْزَوْنَ﴾) استفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي؛ ولِذا أشار له المفسِّر بقوله: (ما).

قوله: (﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾) عطف قِصة على قصة، والواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً؛ لأنَّ عبادتهم العجل كانت زمنَ المكالمة في مُدة العشرة الأيام الزائدة فوق الثلاثين.

قوله: (﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾) جمع (حَلْي) بفتح فسكون، وأصله: حُلُوْي[٢]، اجتمعت الواو والياء وسَبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وقُلبت ضمة اللام كسرة لتصحَّ الياء.

قوله: (الذي استعاروه من قوم فرعون) أي: قبل غَرقهم.

قوله: (فبقي عندهم) أي: ملكاً لبني إسرائيل كما مَلكوا غيره من أموالهم وديارهم؛ ولذا أضافه الله لهم، وأما قول المفسِّر: (استعاروه) فهو باعتبار ما كان.

قوله: (﴿عِجْلًا﴾) وهذا العجل قد حَرقه موسى عليه السلام ونَسَفه في البحر كما قصه الله تعالى في سورة (طه).

قوله: (صاغه لهم منه السامري) واسمه موسى، وكان ابن زناً، وضعته أمُّه في جبل، فأرسل الله إليه جبريل، فصار يُرضعه من إصبعه، فكان يَعرفه إذا نزل إلى الأرض، فلما نزل جبريلُ يومَ غرق فرعون وكان راكباً فرساً، فكان كلُّ شيء وطئته بحافرها يخضرُّ ويُثمر؛ ففطن موسى السامري لذلك، وعَلم أن هذا الترابَ له أثرٌ، فأخذ شيئاً منه وادَّخره، فلمَّا توجَّه موسى للمناجاة.. صنعَ لهم العجل، ووضع التراب في فمه، فصار له خُوار، فقال لهم: ﴿هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨] كما في سورة (طه).

(١) قاله العلامة الأجهوري. انظر «الفتوحات» (٢/ ١٩١).

(٢) أي: الجمع. انظر «الدر المصون» (٥/ ٤٥٩).

جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ ....

﴿جَسَدًا﴾ - بدلٌ -: لَحماً ودَماً ﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ أي: صَوتٌ يُسمَع، انقلَبَ كَذلك بِوَضعِ التُّراب الَّذِي أخَذَهُ مِن حافِرِ فَرَس جِبرِيلَ في فَمِه، فإنَّ أثَره الحَياة فِيما يُوضَع فِيه، ومَفعُول (اتَّخَذَ) الثَّانِي مَحذُوف أي: إلَهاً، ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ فكيفَ يُتَّخَذ إلَهاً؟! ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلَهاً ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ بِاتِّخاذِه.

﴿١٤٩﴾ ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: نَدِمُوا على عِبادَتِه، ....

حاشية الصاوي

وكان موسى السامريُّ منافقاً، وانظر إلى مَنْ ربَّاه جبريلُ حيث كان منافقاً، وإلى من ربَّاه فرعون حيث كان مرسَلاً؛ فإن هذا دليل على أن السعادة والشقاوة بِيَد الله، وقد قال بعضهم: [الطويل]

إذا المَرْءُ لَمْ يُخْلَقْ سَعِيداً مِنَ الأَزَلْ ... فَقَدْ خابَ مَنْ رَبَّى وَخابَ المُؤَمَّلُ
فَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ جِبْرِيلُ كافِرٌ ... وَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ فِرْعَونُ مُرْسَلُ

قوله: (بدل) أي: من ﴿عِجۡلًا﴾، أو عطف بيان.

قوله: (لحماً ودماً) تفسيرٌ لـ﴿جَسَدًا﴾.

قوله: (﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾) هذه قِراءة العامة، وقُرئ شذوذاً: (له جُؤَارٌ) بجيم فهمزة، وهو الصوتُ الشديد.

قوله: (فإن أثره الحياة) أي: بتأثير الله له.

قوله: (﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾) استفهام توبيخ وتقريع.

قوله: (﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾) كرَّره لمزيد التشنيع عليهم.

قوله: (﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾) أي: أنفسهم أشدَّ الظلم؛ حيث عبَدوا غير الله.

قوله: (﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾) فعل مبني للمجهول، والجار والمجرور: نائب الفاعل، وقُرئ شذوذاً بالبناء للفاعل، فالفاعل ضمير يعود على الندم، وقُرئ شذوذاً أيضاً: (أُسقط) بضم الهمزة، والضمير عائد على الندم، والأصل على القراءة السبعيَّة: سقطت أفواههم على أيدِيهم، فـ(في) بمعنى (على)، وذلك من شِدة الندم؛ فإن العادة أن الإنسان إذا ندم على شيء عضَّ بفمه على يَده،

وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ....

﴿وَرَأَوْا﴾: عَلِمُوا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ بِها، وذلك بَعد رُجُوعِ مُوسى، ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ ـ بالياءِ والتَّاء فِيهِما ـ ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿١٥٠﴾ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ مِن جِهَتِهِم ﴿أَسِفًا﴾: شَدِيدَ الحُزن ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿بِئْسَمَا﴾ أي: بِئسَ خِلافةً ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ها ﴿مِن بَعْدِي﴾ خِلافَتُكُم هذه حَيثُ أشرَكتُم،

حاشية الصاوي

فسقوط الفم على اليد لازم لِلندم، فأُطلق اللازم وأُريد الملزوم على سبيل الكناية، ولم تُعرف هذه الكناية في لغة العرب إلا في القرآن[(١)].

قوله: (﴿وَرَأَوْا﴾) الجملة حاليَّة، قوله: (وذلك) أي: الندم، قوله: (بعد رجوع موسى) أي: وإنما قدِّم ليتصل ما قالُوه بما فعلوه.

قوله: (﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾... إلخ) فيها قراءتان سبعيَّتان، بالياء والتاء، فعلى قراءة الياء يكون ﴿رَبُّنَا﴾ مرفوعاً على الفاعلية، وعلى قراءة التاء يكون منصوباً على النداء[(٢)].

قوله: (﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ﴾) أي: من المناجاة.

قوله: (﴿غَضْبَانَ﴾) أي: لما فعلُوه من عبادة العجل، وقد أخبره بذلك المولى؛ حيث قال له كما في (طه): ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ...﴾ [طه: ٨٥] الآية.

قوله: (﴿أَسِفًا﴾) حال، وكذا ﴿غَضْبَانَ﴾، فتكون حالاً مُتداخلة[(٣)].

قوله: (﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾) (بئس): فعل ماض لإنشاء الذم، و(ما): تمييز، وقيل: فاعل، وجملة ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ صفة لـ(ما)، والمخصوصُ بالذم محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (خلافتكم هذه)، والمعنى: بئس خلافة خَلفتُمونيها خلافتكم هذه.

قوله: (﴿مِن بَعْدِي﴾) متعلق بـ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾.

---

(١) وهو قول الزجاجي، نقله العلامة السمين في «الدر المصون» (٥/ ٤٦٢).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بتاء الخطاب ونصب (ربنا)، وباقي السبعة بياء الغيبة ورفع (ربنا). انظر «الدر المصون» (٥/ ٤٦٥).

(٣) وهي الداخل صاحبها في حال أخرى؛ بأن يكون ضميراً، وهذا عند من لا يجيز تعدد الحال، أمَّا من أجازه فـ(غضبان أسفاً) حالان من (موسى). وانظر «الدر المصون» (٥/ ٤٦٥).

أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ ....

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾: ألواحَ التَّوراة غَضَباً لِرَبِّه فتكَسَّرَت، ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بِشَعرِه بِيَمِينِه ولِحيَته بِشِمالِه ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ غضَباً، ﴿قَالَ﴾: يا ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ ـ بِكَسرِ المِيم وفَتحِها ـ، أرادَ: أُمِّي، وذِكرها أعطَفُ لِقَلبِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾) أي: تركتموه غير تامٍّ؛ على تضمين (عَجِل) معنى (سبق)، أو المعنى: أعجِلتم وعد ربكم الذي وعَدنيه من الأربعين وقدَّرتم موتي وغيَّرتم بعدي كما غيَّرت الأُمم بعد أنبيائِهم؟!

قوله: (﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾) أي: وكان حاملاً لها.

قوله: (فتكسرت) هذا أحدُ أقوال، وقيل: إنه تكسَّر البعض وبقي البعض، وقيل: المراد بإلقائها: وضعها ليتفرَّغ لمكالمة أخِيه، فلما فرغ أخذها بعينها ولم يذهب منها شيء؛ كما حقَّقه زاده على «البيضاوي»[1].

قوله: (أي: بشعره بيمينه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: (﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾) حال من فاعل (أخذ).

قوله: (بكسر الميم وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، فأما قراءة الفتح فعند البصريين مبني على الفتح لتركُّبه تركيب خمسةَ عشرَ، وعند الكوفيين (ابن): مُنادى منصوب بفتحة ظاهرة وهو مضاف لـ(أم) مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً المحذوفة للتخفيف، وبقيت الفتحة لتدلَّ عليها، وأما على قراءة الكسر.. فعند البَصريين هو منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة تخفيفاً، فهو كسرُ بناء، وعند الكوفيين كسرة إعراب، وحُذفت الياء اكتفاءً بالكسرة[2].

قوله: (وذكرُها أعطفُ) جواب عمَّا يُقال: إن هارون شَقيق موسى، فلم اقتَصر في خطابه على الأم؟ وكان هارون كثيرَ الحلم، محبَّباً في بني إسرائيل، وهو أكبر من موسى بثلاث سنين.

---

(١) نقله عنه العلامة الجمل في «الفتوحات» (٢/١٩٣).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وابن عامر بكسر الميم، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٥/٤٦٧)، وفيه توجيه القراءتين عند البصريين والكوفيين.

إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ....

﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ﴾: قاربوا ﴿يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ﴾: تُفرِح ﴿بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ بإهانتِك إيَّاي، ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بعبادةِ العِجل في المُؤاخَذةِ.

﴿١٥١﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ ما صَنعتُ بأخِي، ﴿وَلِأَخِي﴾ أشركَهُ في الدُّعاء إرضاءً لَهُ، ودَفعاً لِلشَّماتةِ بِه، ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

﴿١٥٢﴾ قال تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾: عذابٌ ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، فعُذِّبوا بالأمرِ بِقَتلِ أنفُسِهم، وضُرِبَت عَلَيهم الذِّلَّة إلى يَوم القِيامةِ، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كَما جَزَيناهم ﴿نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ على اللهِ بِالإشراكِ وغَيرِه.

﴿١٥٣﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ﴾: رَجَعُوا عَنها ﴿مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾ بِاللهِ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي: التَّوبةِ ﴿لَغَفُورٌ﴾ لَهُم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾) أي: بذلت وسعي في نصيحتهم حتى قهروني وقاربوا قتلي.

قوله: (﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾) الشماتة: فرحُ العدو بما ينال الشخصَ من المكروه.

قوله: (﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾) أي: لمَّا تبيَّنَ له عُذر أخيه جمَعه معه في الدعاء استعطافاً له وإرضاءً له.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾) أي: كانوا ستَّ مئة ألف وثمانية آلاف، وبقي اثنا عشر ألفاً لم يَعبدوه؛ لأن جملة من عبر البحر مع موسى ستُّ مئة ألف وعشرون ألفاً.

قوله: (إلهاً) قدّره؛ إشارة إلى أن مفعول ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ محذوف.

قوله: (﴿سَيَنَالُهُمْ﴾) الاستقبال بالنسبة لِخطاب موسى به، وأما بالنسبة لنزوله على نبيِّنا فهو ماضٍ.

قوله: (رجعوا عنها) أي: عن السيئات التي منها عبادةُ العجل.

وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ....

﴿١٥٤﴾ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾: سَكَنَ ﴿عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ الَّتِي ألقاها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي: ما نُسِخَ فيها أي: كُتِبَ ﴿هُدًى﴾ مِن الضَّلالةِ ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾: يَخافُونَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾) أي: بمراجعة هارونَ له؛ حيث ألان له الكلام، واعتذر له، وفي الكلام استعارةٌ بالكناية، حيث شُبِّهَ الغضبُ بأمير قام على موسى، فأمره بإلقاء الألواح والأخذ برأس أخِيه، وطُوي ذكر المشبه به، ورُمز له بشيء من لوازمه وهو السكوت، فإثباته تخييل، وفي السكوت استعارةٌ تبعية؛ حيث شُبِّه السكون بالسكوت، واستُعير اسم المشبه به للمشبه، واشتُقَّ من السكوت سَكت بمعنى سكن على طريق الاستعارة التصريحية التَّبعية.

وما وقع من موسى عليه السلام من الغضب ليس ناشئاً عن سُوء خُلق وعدم حِلم، وإنما هو غضب لانتهاك حُرمات الله، ولا يُنافي الحلم، قال بعضهم: [الطويل]

إذا قِيلَ: حِلْمٌ قُلْ: فلِلحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ[(١)]

وما قيل: إن موسى لمَّا كان قليل الحِلْم أمره الله بإلانة الكلام لِفرعون؛ حيث قال له: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]، ومحمد عليه السلام لما كان كامل الحِلم أمره الله بالإغلاظ على الكفار؛ حيث قال: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].. فهو باطلٌ لا أصل له، وإنما يُقال: إن كلًّا كاملٌ في الحِلم، وكلًّا مأمورٌ بالإلانة أولاً، فإذا تقرَّرَ الدين وثبَت وأُمروا بالجهاد أُمروا بالإغلاظ، هذا هو الحق، ومَن نفى عن أحد منهما الحلم.. فقد كَفر.

قوله: (﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾) أي: كتابتها، وتسميتُها نسخةً باعتبار كِتابتها من اللوح المحفوظ، وهذا على ما قاله زاده من أن الألواحَ لم تتكسَّر[(٢)]، وأما على ما قاله ابن عباس من أنها تكسَّرت، فصام موسى أربعين يوماً، فرُدَّت عليه في لَوحين.. فمعنى قوله: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي: ما نُسخ من الألواح التي كُسرت في ألواح أُخر، فتَسميتُها نسخة ظاهر؛ لأن نَسْخَ الشيء نقلُهُ.

قوله: (﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾) أي: وأما لغيرهم فليست فيه هدًى ورحمة، وإنما هو وبال

---

(١) البيت للمتنبي بنحوه، انظر «شرح ديوانه» للواحدي (ص٣٦).

(٢) انظر «حواشي زاده على البيضاوي» (٢/ ٣٧١).

وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا ....

وأُدخِلَ اللَّام على المَفعُول لِتقدُّمِه.

﴿١٥٥﴾ ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ أي: مِن قَومِه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ مِمَّن لَم يَعبُدُوا العِجلَ بِأمرِه

حاشية الصاوي

وخُسران، فهي نظير القرآن مع المؤمن والمنافق، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

قوله: (وأدخل اللام على المفعول؛ لتقدمه) أي: فضَعف عن العمل، فقويَ باللام[١]، والمعنى: للذين هم يخافون ربهم؛ أي: يخافون عِقابه.

قوله: (أي: من قومه) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿قَوْمَهُۥ﴾ مفعول ثان مقدَّم مَنصوب بنزع الخافض، والمفعول الأول قوله: ﴿سَبْعِينَ﴾.

قوله: (﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾) أي: من شيوخهم، ورُوي: أنه لم يجد إلا ستين شيخاً، فأوحى الله إليه أن يختار من الشباب عشرة، فاختارهم فأصبحوا شيوخاً، فأمرَهم موسى عليه السلام أن يَصوموا ويتطهَّروا ويطهِّروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى الميقات وهو طورُ سيناء، فلما دَنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغَمام حتى أحاط بالجبل، ودخل موسى فيه، وقال للقوم: ادنُوا، فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجداً، وسَمعوا الله وهو يكلِّم موسى يَأمره وينهاه[٢]، فلمَّا انكشفَ الغمام أقبلوا على موسى وقالوا: لن نُؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة، وهي المرادة بالرجفة هنا، وماتوا يوماً وليلة، وسبب أخذ الصاعقة لهم سؤالُهم الرؤية، وهذا قول غير ابن عباس، وقال ابن عباس: إن السبعينَ الذين سألوا الرؤية غيرُ السبعين الذين ذهَبوا للشفاعة، فالأولى أخذتهم الصاعقة بسبب سُؤالهم الرؤية، والثانية أخذتهم الرجفة بسبب مُعاشرتهم لمن عبدوا العجل وسكوتهم عليهم، وإلى هذا القول يُشير المفسر بقوله: (قال: وهم غير الذين سألوا الرؤية... إلخ).

---

(١) وهي لام التقوية؛ كالتي في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾.

(٢) هذا قول الربيع وابن إسحاق، قال الإمام القرطبي في «تفسيره» (٢/٢): (وفي هذا القول ضعف، ومن قال: إن السبعين سمعوا ما سمع موسى.. فقد أخطأ، وأذهب بفضيلة موسى واختصاصه بالتكليم)، وهو ما جرى عليه أهل الكلام من أئمة أهل السنة، وسماعهم لكلام الله قد يكون بالواسطة كما مرَّ تحريره في «سورة البقرة».

لِمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ ....

تَعالَى ﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي: لِلوَقتِ الَّذي وَعَدناهُ بِإتيانِهِم فِيه؛ لِيَعتَذِرُوا مِن عِبادةِ أصحابِهِم العِجلَ، فخَرَجَ بِهِم، ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزَّلزَلةُ الشَّديدةُ، قال ابن عبَّاس: لِأَنَّهُم لَم يُزايِلُوا قَومَهم حِين عَبَدُوا العِجلَ، قال: وهُم غَيرُ الَّذِينَ سَأَلُوا الرُّؤيةَ وأخَذَتهُم الصَّاعِقةُ، ﴿قَالَ﴾ مُوسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبلَ خُرُوجي بِهِم لِيُعايِنَ بنُو إسرائيلَ ذلك ولا يَتَّهِمُوني ﴿وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ - استِفهامُ استِعطافٍ -، أي: لا تُعَذِّبنا بِذَنبِ غَيرِنا، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هِىَ﴾ أي: الفِتنةُ الَّتِي وقَعَ فِيها السُّفَهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتِلاؤُك، ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ إضلالَهُ، ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ هِدايَتَه، ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ مُتَوَلِّي أُمُورِنا، ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

﴿١٥٦﴾ ﴿وَٱكْتُبْ﴾: أوجِبْ ....

حاشية الصاوي

قوله: (لم يُزايلوا) أي: لم يفارقوا قومهم.

قوله: (وهم غير الذين سألوا الرؤية) أي: لأنهم لم يَكونوا في ذلك الميعاد، بل كانوا مع موسى حين أخذ التوراة، فلمَّا سمعوا كلام الله لموسى أقبلوا عليه وقالوا: أرِنا الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة.

قوله: (﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم﴾) مفعول المشيئة محذوف، تقديره: إهلاكهم.

قوله: (استفهام استعطاف) أي: طلبُ العطف والرحمة من الله.

قوله: (ابتلاؤك) أي: اختبارُك ليتبيَّنَ المطيع من العاصي.

قوله: (﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾) اسم التفضيل ليس على بابه، أو على بابه باعتبار أن الغَفْرَ يُنسب لغيره تعالى لكونه سبباً وهو الغافرُ الحقيقي.

قوله: (﴿وَٱكْتُبْ﴾) أي: حقِّق وأثبِت، وهذا من جملة دعاء موسى، فأوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾، وآخره: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، وحينئذٍ فلا ينبغي جعل قوله: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا﴾ أوّل الربع.

لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ....

﴿لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ حَسَنَةً، ﴿إِنَّا هُدْنَآ﴾ تُبْنا ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ تعذيبَه، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾: عَمَّتْ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدُّنيا، ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ في الآخِرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾) أي: ما تُحمد عاقبته؛ كالعافية والإيمان والمعرفة، وقوله: (﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ حسنة) أي: وهي الجنة وما احتوَت عليه من اللقاء والمشاهدة.

قوله: (﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾) استئنافٌ مَسُوق لتعليل الدعاء؛ أي: لأننا هُدنا إليك؛ أي: رجَعنا؛ من: هاد يهُود: إذا رجع؛ ولذلك سُمِّيت اليهود بذلك، وكان اسمَ مدح قبل نَسخ شريعتهم، وبعد ذلك صار ذمًّا.

قوله: (﴿قَالَ عَذَابِيٓ﴾) جواب من الله لموسى.

قوله: (﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾) أي: في الدنيا؛ كقَتل الذين عبدوا العجل أنفسهم، وفي الآخرة بالنار لِمن كفر.

قوله: (﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾) ورَد: أنه لما نزلت هذه الآية فرحَ إبليس وقال: دَخلت في رحمة الله، فلما نزل ﴿فَسَأَكْتُبُهَا...﴾ إلخ.. أيسَ من ذلك، وفَرحت اليهود وقالوا: نحن من المتَّقين الذين يؤتون الزكاة والمؤمنين، فأخرجهم الله منها وأثبتها لهذه الأمة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ...﴾ إلخ.

قوله: (في الدنيا) أي: فما مِن مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاصٍ إلا وهو متقلِّبٌ في الرحمة.

قوله: (﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾) أي: أُثبتها.

قوله: (﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾) أي: يَمتثلون الأوامرَ ويجتنبون النواهيَ.

قوله: (﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾) خصَّها بالذكر؛ لمشقَّتها على النفوس من حيث إن المال محبُوب.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾

(١٥٧) ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ محمداً ﷺ ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ باسمِهِ وصِفتِهِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾) أي: بالإيمان به بعد بعثته والعمل بشريعته، وَرد: أن الله قال لموسى: أجعل لكم الأرض مسجداً وطهوراً تصلُّون حيث أدركتكم الصلاة، وأجعَلكم تقرؤون التوراة عن ظهر قلب يَحفظها الرجل والمرأة والحرُّ والعبد والصغير والكبير، فقال موسى ذلك لِقَومه، فقالوا: لا نريدُ أن نصليَ إلا في الكنائس، ولا نستطيع أن نَقرأ التوراة عن ظهر قلب ولا نَقرؤها إلا نظراً، قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، فجَعل هذه الأمور لهذه الأُمَّة.

قوله: (﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾) أي: الذي لا يقرأُ ولا يكتب، نسبٌ إمَّا للأم لأنه باقٍ على حالته التي وُلد عليها، أو لأُمِّ القرى وهي مكَّة لِكونه وُلد بها.

قوله: (باسمه وصفته) من كونه محمداً، وُلد بمكة، وهاجر إلى المدينة، يَقبل الهدية، ويردُّ الصدقة، وهكذا من أوصافه وأخلاقه العظيمة.

قال الخميس في «تاريخه»: إن محمداً مذكور في التَّوراة باللغة السريانية: المُنْحَمِنَّا؛ بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء وكسر الميم الثانية وبعدها نون مشددة بعد ألف، ومعناه محمد، وذكر الحسن[١] عن كعب الأحبار: أن اسمَ النبي ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم، وعند أهل النار عبد الجبار، وعند أهل العرش عبد المجيد، وعند سائر الملائكة عبد الحميد، وعند الأنبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القاهر[٢]، وعند الجن عبد الرحيم، وفي الجبال عبد الخالق، وفي البر عبد القادر، وفي البحر عبد المهيمن، وعند الهوامِّ عبد الغياث، وعند الوُحوش عبد الرزاق، وفي التوراة موذ موذ، وفي الإنجيل طاب طاب، وفي الصُّحف عاقب، وفي الزبور

---

(١) في «تاريخ الخميس» (١/ ٢٠٦) للعلامة الديار بكري: (الحسين بن محمد الدامغاني في كتاب «شوق العروس وأنس النفوس» نقلاً عن كعب...).

(٢) في المصدر المشار إليه: (القهار) بدل (القاهر)، وفي السياق بعض الخلاف.

يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ ....

﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مِمَّا حُرِّمَ في شَرعِهِم، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ مِن المَيتةِ ونَحوِها، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾: ثِقَلَهم ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ﴾: الشَّدائدَ ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كقتلِ النَّفس في التَّوبةِ وقَطعِ أثَرِ النَّجاسةِ، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾ مِنهُم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: وَقَّرُوه ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: القرآنَ ....

حاشية الصاوي

فاروق، وعند الله طه ومحمد ﷺ[١]. اهـ بحروفه[٢].

قوله: (﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾... إلخ) هذا وما بعده إلى ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ من جملة أوصافِه المكتوبة في التوراة والإنجيل.

قوله: (مِما حرم في شرعهم) أي: وهو لحوم الإبل وشَحم الغنم والمعز والبقر.

قوله: (من الميتة ونحوها) أي: كالدم ولحم الخنزير.

قوله: (كقتل النفس) أي: وتَعيين القصاص في القتل، وتحريم أخذ الدِّية، وتركِ العمل يوم السبت، وكون صلاتهم لا تَجوز إلا في الكنائس، ونحو ذلك من الأُمور الشاقَّة التي كُلِّفوا بها، وتسميتها أغلالاً مجاز؛ لأنَّ التحريم يمنعُ من الفعل كما أن الأغلال تَمنع منه.

قوله: (وَقَّروه) أي: عظَّموه، قوله: (﴿وَنَصَرُوهُ﴾) أي: أيَّدوه.

قوله: (﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾) أي: مقارناً لزمانه ومَصحوباً به.

قوله: (أي: القرآن) تفسير للنور، سُمِّيَ القرآن بذلك؛ لأنه ظاهر في نفسه مُظهر لغيره، يهدي من الضلال المعنوي كما أن النور يَهدي من الضلال الحسِّي.

---

(١) عنده: (وعند الله طه ويس، وعند المؤمنين محمد ﷺ) ثم قال: (ذكر هذا كله القسطلاني في «المواهب اللدنية»، وذكر فيه من الأسماء والألقاب والكنى ما يزيد على أربع مئة، قال ابن دحية: أسماؤه تقرب من الثلاث مئة، وانتهى بها بعض الصوفية إلى ألف، كذا في «سيرة مغلطاي»).

(٢) نقلاً عن «الفتوحات» (٢/ ١٩٨).

أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ....

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿١٥٨﴾ ﴿قُلْ﴾ خِطابٌ لِلنَّبيِّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: القُرآنِ، ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾) أي: الموصوفون بهذه الصفات فائزون ظافرون بالنجاة من الأهوال دُنيا وأخرى.

قوله: (﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾) أتى بهذه الآية دفعاً لما يُتوهَّم أن الفوز مخصوصٌ بمن تبعه من أهل الكتابَين، فأفاد هنا أن الفوز ليس قاصراً عليهم، بل كلُّ من تبعه حَصل له الفوز كان من أهل الكتابين أو لا، و(الناس): اسمُ جنس، واحدُهُ إنسان.

قوله: (﴿جَمِيعًا﴾) حال من ضمير ﴿إِلَيْكُمْ﴾.

قوله: (﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾) يصحُّ رفع ﴿ٱلَّذِى﴾ ونصبه على أنه نعت مقطوع، وجرُّه على أنه نعت متَّصل، وقوله: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ صِلة الموصول لا محلَّ لها من الإعراب، وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بيانٌ للصلة، وقوله: ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ بيان لقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، فكُل واحدة من هذه الجُمَل كالدليل لما قبلها، ولا محلَّ لها من الإعراب؛ لأن الصلة لا محلَّ لها، فكذا ما يُبيِّنها.

قوله: (﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾) تفريع على ما تقدَّم؛ أي: فحيث عَلمتم أن محمداً مرسل لجميع الناس، وأن الله له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت.. وَجب عليكم الإيمانُ بالله ورسوله، وفيه التفاتٌ من التكلم لِلغيبة، ونكتتُهُ: التوطئةُ للاتصاف بقوله: ﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ... إلخ﴾.

قوله: (﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾) أي: لأنه مرسلٌ لِنفسه.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾) أي: تُفلحون، والترجِّي في القرآن بمنزلة التحقيق، فهو بمعنى قوله فيما سبق: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ ....

تَرشُدُونَ.

﴿١٥٩﴾ ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾: جَماعةٌ ﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ ﴿بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ في الحُكمِ.

﴿١٦٠﴾ ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾: فرَّقنا بَني إسرائيلَ ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ حالٌ ﴿أَسْبَاطًا﴾ - بَدَل مِنهُ -، أي: قَبائِلَ ﴿أُمَمًا﴾ - بَدَل مِمَّا قَبلَه -، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ في التِّيهِ

حاشية الصاوي

قوله: (ترشدون) من باب: تَعِب ونَصَر.

قوله: (﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾) استئناف مَسُوق لدفع توهُّم أن قوم موسى لم يَحصل لهم هدى بل استَمروا على ضلالهم، فدفع ذلك بأن بعضهم آمن بالنبيِّ ﷺ وهم شِرذمةٌ قليلة؛ كعبد الله بن سلام وأضرابِه.

قوله: (﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾) الهاء مفعوله، و﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾: حال، و﴿أَسْبَاطًا﴾: بدلٌ كما قال المفسِّر، وتمييز العدد محذوف، تقديره: فِرقة، ويصحُّ أن (قطع) بمعنى (صيَّر)، فالهاء: مفعول أول، و﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾: مفعول ثانٍ و﴿أَسْبَاطًا﴾: بدل. وسببُ تَفريقهم كذلك: أن أولادَ يعقوب كانوا كذلك، فكلُّ سبط يَنتمي لواحد منهم، والأسباطُ: جمع سبط؛ وهو ولد الولد مُرادف للحفيد، هكذا في كتب اللغة، وتفرقةُ بعض العلماء بين السبط والحَفيد: بأن السبط وَلد البنت، والحفيد ولد الولد.. اصطِلاحٌ.

قوله: (أي: قبائل) أي: كالقبائل في التفريق والتعدُّد.

قوله: (بدل مما قبله) أي: فهو بدلٌ من البدل.

قوله: (﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾) أي: حيث أُمر بقتال الجبَّارين هو ومَنْ معه مِنْ بني إسرائيل، ونقَّبَ عليهم اثني عشر نقيباً، وأرسلهم يأتون له بأخبار الجبَّارين، فاطَّلعوا على أوصاف مَهُولَة لهم[1]، فرجعوا وأخبروا موسى عليه السلام، فأمرهم بالكتم عن قومهم، فخانُوا إلا اثنين منهم

(١) مهولة: فيها هَوْل لهم؛ أي: هائلة مخيفة.

أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ....

﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ﴾ فضربَهُ ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾: انفجَرَت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ بِعَدَدِ الأسباطِ، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: سِبطٍ مِنهُم ﴿مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ في التِّيهِ مِن حَرِّ الشَّمس، ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ﴾ هُما التُّرَنجبِين والطَّير السُّمانَى، ـ بِتَخفِيفِ المِيم والقَصرِ ـ، وقُلنا لهُم: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

حاشية الصاوي

يُوشع وكالِب، فجَبُنوا، فحرَّم الله عليهم دخولَ القرية أربَعين سنة يَتيهون في الأرض، فلمَّا طالت عليهم المدَّة في التِّيه عطشوا، فطلبوا منه السُّقْيا، فدعا اللهَ موسى، فأمرَه بضرب الحجر بعصاه، وهذا الحجرُ هو الذي فرَّ بثوبه حين اتَّهموه بالأُدْرة، خفيفٌ مربَّعٌ كراس الرجل.

قوله: (﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾) أي: انفجرت.

قوله: (﴿مَّشْرَبَهُمْ ۚ﴾) أي: عينَهم الخاصَّةَ بهم.

قوله: (﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾) أي: السحابَ يسير بسَيرهم، ويضيء لهم بالليل يَسيرون بضوئه.

قوله: (التُّرَنْجَبين) هو شيءٌ حلو كان ينزلُ عليهم مثل الثلج من الفَجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كلُّ إنسان صاعاً.

قوله: (والطير السُّمانى) أي: فكانت ريح الجنوب تسوقُهُ إليهم، فيأخذ كلٌّ منهم ما يَكفيه.

قوله: (﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ﴾) أي: وهو المنُّ والسلوى.

قوله: (﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾) أي: لم يَصِلْ لنا منهم ظلمٌ بفعلهم ذلك؛ فإنَّ ذلك مستحيل.

وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ....

﴿١٦١﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: بَيتَ المَقدِس، ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا﴾: أمرُنا ﴿حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ أي: بابَ القَريةِ ﴿سُجَّدًا﴾ سُجُودَ انحِناء، ﴿نَغْفِرْ﴾ - بِالنُّونِ، وبالتَّاء مَبنِيًّا لِلمَفعُولِ - ﴿لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِالطَّاعة ثَواباً.

﴿١٦٢﴾ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالُوا: حَبَّة في شَعرة،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَ﴾ اذكر) خطابٌ للنبيِّ ﷺ.

قوله: (﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾) أي: بعد خروجهم من التِّيه.

قوله: (بيت المقدس) وقيل: أريحا، وقد ذكر القولين في (البقرة)، فعلى الأول يكون القائلُ الله على لسان موسى وهم في التيه، وعلى الثاني يكون على لسان يُوشع، وهو المعتمَد كما تقدَّم في (البقرة)[1].

قوله: (﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾) قدَّر المفسِّر (أمرُنا)؛ إشارةً إلى أن ﴿حِطَّةٌ﴾ خبرٌ لمحذوف، ومعنى (أمرُنا حطةٌ) أي: طلبُنا حطَّةُ الذنوب ومغفرتُها.

قوله: (سجود انحناء) أي: فالمرادُ السجودُ اللغوي بأن يكونُوا على هيئة الراكعين.

قوله: (بالنون والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، ولكن على النون يقرأ: (خطايَا) و(خَطيئات)، وعلى التاء يُقرأ: (خطيئاتُكم) و(خَطيئتُكم) بالجمع والإفراد، فالقراءاتُ أربع[2].

قوله: (﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾) أي: وفعلاً غير ما أمرُوا به.

قوله: (فقالوا: حبة... إلخ) يحتمل أنه مجرَّد هذيان قصدوا به إغاظةَ موسى، ويحتمل أن يكون

---

(١) انظر ما تقدم (١/ ١٥٤).

(٢) قرأ نافع وابن عامر: (تُغْفَر)، والباقون: (نَغْفِر)، وقرأ نافع: (خطيئاتُكم) بالجمع، وابن عامر: (خطيئتُكم) بالإفراد، وأبو عمرو: (خطاياكم)، والباقون: (خطيئاتِكم). انظر «السراج المنير» (١/ ٥٢٨).

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ ....

ودَخلُوا يَزحَفُونَ على أستاهِهِم، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾: عَذاباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿١٦٣﴾ ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ يا مُحمَّد تَوبيخاً ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾: مُجاوِرةَ بَحرِ القُلزُم وهيَ أيلَةُ: ما وَقَعَ بِأهلِها؟ ....

حاشية الصاوي

له معنًى صحيح؛ كأنهم قالوا: مطلوبُنا حَبة، يعني: قمح في زكائبَ من شَعَر، وقد تقدَّم بسطه في (البقرة)[1].

قوله: (على أَستاههم) جمع سَته، وهو الدبر.

قوله: (عذاباً) أي: وهو الطاعون، ومات منهم في وقت واحد سبعون ألفاً.

قوله: (﴿بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾) أي: بسبب ظُلمهم، وقد غايرت هذه القصة ما في (البقرة) من عشرة أوجُه قد تقدَّمت مفصَّلة، فراجِعه إن شئت[2].

قوله: (﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾) أي: اليهودَ الذين في المدينة، وسبب نزولها: أن رسول الله ﷺ كان يوبِّخ اليهود على كُفرهم ويقول لهم: «أنتُم قد تبعتم أصولَكم في الكفر بأنبيائهم»، فكانوا يقولون: إن أصولنا لم تقع مِنهم مخالفة لربِّهم ولا كفر بأنبيائهم، وكانوا يَعرفون ما وقع لهذه القرية ويُخفونه ويعتقدون أنه لا علمَ لأحد غيرهم به، فنَزلت الآية، فقصَّها رسول الله عليهم، فبُهتوا[3].

إن قلتَ: إن السورة مكية، وهذا خطاب لأهل المدينة! فالجواب: أنها مكية ما عدا تلك الآيات الثمانية التي أولها: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ...﴾ إلخ؛ فإنها مدنيَّة كما تقدَّم.

قوله: (توبيخاً) أي: وتقريعاً وتبكيتاً، قوله: (﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾) أي: أهلِها.

قوله: (مجاورة لبحر القُلْزُم) أي: عند العقبة بجانِب القلعة[4].

---

(١) تقدم (١/ ١٥٧-١٥٨)، وأن الزكائب: جمع زكيبة، وعاء كبير كالجوالق.

(٢) تقدم (١/ ١٥٨-١٥٩).

(٣) «تفسير الخازن» (٢/ ٢٦١)، والسياق في «الفتوحات» (٢/ ٢٠٢).

(٤) وبحر القلزم هو المعروف اليوم بالبحر الأحمر.

إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ....

﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾: يعتدُونَ ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ بِصَيدِ السَّمَك المَأْمُورِينَ بِتركِه فِيه، ﴿إِذْ﴾ - ظَرف لِـ﴿يَعْدُونَ﴾ - ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾: ظاهِرةً على الماءِ ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾: لا يُعَظِّمُونَ السَّبت أي: سائِرَ الأيَّام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتِلاءً مِن الله، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾) أي: يَتعدَّون الحدود، وكانوا في زمن داوود عليه السلام، وسبب نهيهم عن الصيد يومَ السبت: أن الله أمرَهم على لسان داوود أن يتخذوا يومَ الجمعة عيداً يَنقطعون فيه لعبادة الله، فكرهوا ذلك واختارُوا السبت. ومعناه في اللغة: القطع، فهو إشارةٌ إلى أنهم مُنقطعون عن كلِّ خير، فلما شدَّدوا امتَحنهم الله بأن حرَّمَ عليهم صيدَ السمك يومَ السبت وأحلَّهُ لهم باقي الأسبوع، فكانوا يومَ السبت يَجدون السمك متراكماً، وباقي الجمعة لم يجدوا منه شيئاً، ثم إن إبليس علَّمَهم أن يصنعوا جداولَ حول البحر يومَ السبت، فإذا جاء العصرُ ومُلئت الجداول بالسمك سَدُّوا عليه، وأخذوه يوم الأحد، فافترقت القريةُ ثلاثَ فِرق وكانوا سبعين ألفاً؛ ففرقة اصطادت، وفرقة نهَتهم وضربوا بينهم وبينهم سوراً، وفرقة لم تَصدَّ ولم تنهَ، فبعد أيام قلائل مُسخ مَن اصطاد قردةً وخنازير، ومكثوا ثلاثة أيام وماتُوا، وأنجى الله الفرقة الناهية، والفرقة الثالثة وقعَ فيها خلاف بالإنجاء والإهلاك، والصحيحُ: نَجاتهم[1].

قوله: (﴿حِيتَانُهُمْ﴾) جمع حُوت، وأصل حيتان: حِوْتان، وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء.

قوله: (﴿شُرَّعًا﴾) حال من فاعل ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ أي: قريبة من الساحل.

قوله: (﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾) أي: لا يكون يوم سبت، والمعنى: تأتيهم حيتانهم يومَ السبت ظاهرةً، وغير يوم السبت لا تأتيهم، ولما كانت العبارةُ موهمة قال المفسِّر: (أي: سائر الأيام) أي: باقيها.

قوله: (ابتلاء من الله) عِلة لقوله: ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ وقوله: ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾.

---

(١) لقوله تعالى في حقِّ الهالكين: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾، والثالثة لم تدخل في النهي، ثم إن النهي عن المنكر إنما يجب على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ....

﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، ولَمَّا صادُوا السَّمَك افترَقَتِ القَرية أثلاثاً: ثُلُثٌ صادُوا مَعَهُم، وثُلُث نَهوهُم، وثُلُث أمسَكُوا عن الصَّيد والنَّهي.

﴿١٦٤﴾ ﴿وَإِذْ﴾ - عَطفٌ على ﴿إِذْ﴾ قَبلَه - ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ لَم تَصِدْ ولَم تَنْهَ لِمَن نَهَى: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾: مَوعِظَتُنا ﴿مَعْذِرَةً﴾ نَعتَذِرُ بِها ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لِئَلَّا نُنسَبَ إلى تَقصِير في تَركِ النَّهي، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الصَّيدَ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾) أي: الابتلاء المتقدِّم.

قوله: (﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾) أي: يتجاوزون الحدَّ.

قوله: (ثلث صادوا معهم) المناسبُ حذف قوله: (معهم).

قوله: (عطف على ﴿إِذْ﴾ قبله) أي: وهو ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾.

قوله: (﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾) إنما قصدوا بذلك اللومَ على الناهين حيث وعظوهم فلم يقبلُوا منهم.

قوله: (﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾) أو: مانعةُ خلو تجوِّزُ الجمعَ[1].

قوله: (﴿قَالُوا مَعْذِرَةً﴾) قدَّر المفسِّر (موعظتنا)؛ إشارةً إلى أن ﴿مَعْذِرَةٌ﴾ خبرٌ لمحذوف، وفي قراءة بالنصب على المفعول من أجلِه[2]؛ أي: وعظناهم لأجل المعذرة.

قوله: (لئلا نُنسب إلى تقصير) أشار بذلك إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ عليهم؛ ولذا وَرد: أنه مجمعٌ عليه في جميع الشرائع.

قوله: (﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾) إشارة إلى أنهم ظانُّون إفادة الموعظة، وهو عطف على المعنى؛ إذ التقدير: موعظتنا للاعتذار ولعلهم يتقون.

---

(١) في (أ) زيادة ضُرب عليها لكن بعضها في (ط٢): (والمعنى: مهلكهم في الدنيا، ومعذبهم في الآخرة، أو جامع لهم بين العذابين).

(٢) قرأ العامة بالرفع، وقرأ حفص عن عاصم بالنصب. انظر «الفتوحات» (٢/ ٢٠٣).

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ ......

﴿١٦٥﴾ ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾: تَرَكُوا ﴿مَا ذُكِّرُوا۟﴾: ما وُعِظُوا ﴿بِهِۦٓ﴾ فلَم يَرجِعُوا، ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بِالاعتِداءِ ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾: شَدِيدٍ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

﴿١٦٦﴾ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟﴾: تَكَبَّرُوا ﴿عَن﴾ تَركِ ﴿مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾: صاغِرِينَ فكانُوها، وهذَا تَفصِيلٌ لِما قبلَه، قال ابن عبَّاس: ما أدرِي ما فُعِلَ بِالفِرقة السَّاكِتة، وقال عِكرِمةُ: لَم تُهلَك لِأنَّها كَرِهَت ما فَعَلُوهُ وقالَت: لِمَ تَعِظُون... إلخ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾) في الكلام حذف دلَّ عليه قوله: (أنجينا الذين ينهون... إلخ)، والتقدير: فلما ذُكِّر من تذكَّر ونسي من نسي أنجينا... إلخ.

قوله: (﴿بَـِٔيسٍۭ﴾) فعيل من: بَؤُسَ إذا اشتدَّ، وقُرِئ: (بَيْئَس) على وزن (ضَيغم)، و(بِئْس) بكسر الباء وسكون الهمزة أو قلبها ياء، و(بَيِّس) بفتح الباء وتشديد الياء مكسورة، و(بَيْس) بفتح الباء وسكون الياء، و(بائس) على وزن فاعل، هكذا في «البيضاوي»[1] وليست كلُّها سبعيَّة.

قوله: (﴿كُونُوا۟﴾) أمر تكوين لا قَول، فهو كناية عن سرعة التصيير؛ إذ لا يُكلَّفُ الشخص إلا بما يقدر عليه، وكونهم قردةً ليس في طاقتِهم.

قوله: (فكانوها) أي: قِردة، وقيل: إن شَبابهم مسخوا قردة، وشيوخهم خنازير، وقيل: إن الذين مُسخوا خنازير هم أصحاب المائدة.

قوله: (وهذا) أي: قوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟﴾ تفصيلٌ لما قبله وهو قوله: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟...﴾ إلخ.

قوله: (لأنها كرهت ما فعلوه) أي: فهي داخلةٌ تحت قوله: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾، فهي وإن لم تنه صريحاً لكنها نهَتْ ضمناً.

(١) «تفسير البيضاوي» (٣/ ٤٠)، وانظر «الدر المصون» (٥/ ٤٩٦).

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

ورَوَى الحاكِم عن ابن عبَّاس أنَّهُ رَجَعَ إلَيه وأعجَبَهُ.

﴿١٦٧﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أعلَمَ ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليَهُودِ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بِالذُّلِّ وأخذِ الجزيةِ، فبَعَثَ عَلَيهم سُلَيمانَ، وبَعده بُختَنصَّرَ، فقَتَلَهُم وسَباهُم وضَرَبَ عَلَيهم الجِزيَةَ، فكانُوا يُؤَدُّونَها إلى المَجُوس إلى أن بُعِثَ نَبِيُّنا ﷺ فضَرَبَها علَيهِم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لِمَن عَصاهُ، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لِأهلِ طاعَتِه، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

حاشية الصاوي

قوله: (أنه رجع إليه) أي: قول عكرمة[1].

قوله: (﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾) (إذ): ظرف لمحذوف، تقديره: اذكر وقتَ إذ تأذن.

قوله: (أعلَم) مفعوله محذوف، والتقدير: أعلمَ ربُّك أسلافَهم.

قوله: (﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾) أي: ليسلِّطنَّ عليهم.

قوله: (﴿مَن يَسُومُهُمْ﴾) أي: يُذيقهم.

قوله: (بُخْتَ نَصَّر) علم مركَّب تركيباً مزجيًّا كـ: بعلبكَّ، فإعرابه على الجزء الثاني[2]، والأول ملازم للفتح، وهو غير مُنصرف للعلمية والتركيب المزجي، وبخت في الأصل معناه: ابن، ونصَّر: اسم صنم، سُمِّي بذلك لأنه وُجد وهو صغير مطروحاً عند ذلك الصَّنم.

قوله: (وسباهم) أي: سَبى نساءهم وصغارهم.

قوله: (وضرب عليهم الجزية) أي: على مَن لم يقاتل منهم.

قوله: (فضربها عليهم) أي: ولا تزال كذلك إلى نزول عيسى، فلا يقبلُ منهم إلا الإسلام.

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾) أي: إذا تعلَّقت إرادته به، وإلا.. فهو واسعُ الحلم.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٩٢) عن عكرمة أنه قال في حق ابن عباس رضي الله عنهما: (فما زلت أُبصِّرُه حتى عرف أنهم نجوا، وكساني حُلَّة).

(٢) تقدَّم أنه رُسِم بالمخطوطة بالفك، وأن كلا الرسمين جائز، والفكُّ اختيار المصنف.

وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ....

﴿١٦٨﴾ ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ﴾: فَرَّقناهُم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾: فِرَقاً ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ﴾ ناسٌ ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾: الكُفَّارُ والفاسِقُون، ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾: بِالنِّعَمِ ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: النِّقَمِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن فِسقِهِم.

﴿١٦٩﴾ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ عن آبائِهِم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي: حُطامَ هذا الشَّيءِ الدَّنِيءِ أي: الدُّنيا مِن حَلالٍ وحَرام، ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ﴾) أي: بني إسرائيل الكائنين قبل زمن النبيِّ ﷺ.

قوله: (﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾) قدّر المفسر (ناس) إشارةً إلى أن ﴿دُونَ﴾ نعت لمنعوت محذوف، وهو كثير إذا كان التفصيل بـ(مِنْ) كقولهم: منَّا ظعنَ ومنا أقام؛ أي: مِنا فريق ظعن ومِنا فريق أقام[1].

قوله: (﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾) أي: اختبرناهم بالعطايا كالنعم والعافية، والبلايا كالنقم والأسقام والشدائد؛ لعلهم يَرجعون عمَّا هم عليه من الكفر والمعاصي إلى طاعة ربِّهم، فلم يرجعوا.

قوله: (﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾) بسكون اللام للشّر، وبفتحها للخير، فيُقال: خَلْف سوء، وخَلَف صالح، وهذه صفة من كان في زمن النبيِّ ﷺ إثرَ بيان صفات أسلافهم.

قوله: (التوراة) أشار بذلك إلى أن (أل) في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ للعهد.

قوله: (عن آبائهم) أي: أسلافِهم، سواء كانوا صلحاء أو لا.

قوله: (﴿عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾) سُمّي عرضاً لِتعرضه للزوال، ففي الكلام استعارة تصريحية؛ حيث شبه متاع الدنيا بالعرض الذي لا يقُوم بنفسه بجامع الزوال في كلٍّ، واستُعير اسم المشبه به للمشبه.

قوله: (﴿وَيَقُولُونَ﴾) أي: زيادةً على طمعهم في الدنيا.

قوله: (﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾) أي: لأنا أبناءُ الله وأحباؤه، وشأن الحبيب ألَّا يُعذب حبيبه.

---

(١) وقد تُجرى (مِنْ) موضع الاسم، فتكون بمعنى بعض كما لا يخفى.

وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ

ما فَعَلناه، ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ - الجُملةُ حالٌ -، أي: يَرجُونَ المَغفِرةَ وهُم عائِدُون إلى ما فَعَلُوهُ مُصِرُّونَ علَيه، وليسَ في التَّوراةِ وعدُ المَغفِرةِ مع الإصرارِ، ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ - استِفهامُ تَقرِير - ﴿عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ - الإضافةُ بِمَعنَى (في) - ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟﴾ - عطفٌ على ﴿يُؤْخَذْ﴾ -: قَرَؤُوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلِمَ كَذَبُوا علَيه بِنِسبةِ المَغفِرة إلَيهِ مع الإصرارِ؟ ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحَرامَ، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ - بِالياءِ والتَّاء - أنَّها خَير فيُؤثِرُونَها على الدُّنيا؟

﴿١٧٠﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ - بِالتَّشدِيدِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (مُصِرُّون عليه) أي: لم يُقلعوا عنه، فقد طمعوا في المغفرة مع فقد شروطها؛ إذ مِن أكبر شروطها الندمُ والإقلاع.

قوله: (﴿مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾) أي: التوراة، والمعنى: أُخذ عليهم الميثاق في التوراة أنهم لا يكذبون على الله ولا يقولوا إلا الحق.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾) صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله: ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟﴾، والتقدير: ألا يقولوا على الله إلا القول الحق.

قوله: (فلِمَ كذبوا عليه) أي: الله.

قوله: (﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾) الهمزة داخلةٌ على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أتركوا التدبُّرَ والتفكر فلا يعقِلون؟!

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، فعلى الياء يكون إخباراً عنهم، وعلى التاء يكون خطاباً لهم[1].

قوله: (بالتشديد) أي: يمسِّكون غيرَهم بالكتاب ويدلُّونه على طريق الهدى.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وحفص بتاء الخطاب، والباقون بياء الغيبة. «السراج المنير» (١/٥٣٣).

بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ ....

والتَّخفيف ـ ﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾ مِنهُم ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كعَبدِ الله بن سَلامٍ وأصحابِه، ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ ـ الجُملة خَبَر (الَّذِينَ)، وفِيه وَضْعُ الظَّاهِرِ مَوضِعَ المُضمَرِ، أي: أجرَهُم ـ.

﴿١٧١﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾: رَفَعناهُ مِن أصلِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (والتخفيف) أي: يمسِكون بالكتاب، بمعنى: يَهتدون في أنفسهم[١].

قوله: (منهم) أي: من بني إسرائيل.

قوله: (﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) خصَّها بالذكر؛ لأنها أعظَمُ أركان الدين بعد التوحيد.

قوله: (وفيه وضع الظاهر موضع المضمر) أشار بذلك إلى أن الرابط هو لفظ ﴿ٱلْمُصْلِحِينَ﴾؛ لِقيامه مقامَ الضمير على حدِّ قول الشاعر: [الطويل]

سُعادُ الَّتِي أَضْناكَ حُبُّ سُعادَا[٢]

ونكتة ذلك: الإشارةُ إلى شَرفهم والاعتناء بهم.

قوله: (﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾) (إذ): ظرف معمول لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر)، والمقصود من ذلك: الردُّ على اليهود والتَّقبيح عليهم؛ حيث قالوا: إن بني إسرائيل لم تَصدر منهم مخالفةٌ لله.

قوله: (﴿ٱلْجَبَلَ﴾) قيل: هو الطور، وقيل: جبلٌ من جبال فلسطين، وقيل: من جبال بيت المقدس، وفي آية (النساء) التصريحُ بالطور، وسببُ رفع الجبل فوقهم: أنَّ موسى لما جاءهم بالتوراة وقرأها عليهم فلمَّا سمعوا ما فيها من التغليظ أبَوا أن يَقبلوا ذلك، فأمر الله الجبل فانقلعَ من أصله حتى قامَ على رؤوسهم مقدارَ عَسكرهم، وكان فرسخاً في فرسخ، وكان ارتفاعه على قَدر قامتهم محاذياً لرؤوسهم كالسقيفة، فلمَّا نظروا إلى الجبل فوق رُؤوسهم خرُّوا سُجَّداً، فسجد كلُّ واحد على خَده وحاجبه الأيسر، وجعل يَنظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوف أن يسقطَ عليه؛ ولذلك لا تسجدُ اليهود إلا على شقِّ وجوههم الأيسَر[٣].

---

(١) قرأ شعبة بالتخفيف، والباقون بالتشديد. «المصدر السابق».

(٢) صدر بيت عجزه: (وإعراضها عنك استمرَّ وزادا). انظر «شرح الشذور» (ص١٨٤).

(٣) «تفسير الخازن» (٢/ ٢٦٦).

فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ....

﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ﴾: أيقنُوا ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾: ساقِطٌ عليهم بِوَعدِ الله إيَّاهُم بِوُقُوعِهِ إن لَم يَقبَلُوا أحكامَ التَّوراة، وكانُوا أَبَوها لِثِقَلِها فقَبِلُوا، وقُلنا لَهُم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾: بِجِدٍّ واجتِهادٍ، ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ بِالعملِ بِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿١٧٢﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ﴾: حِين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ـ بَدَل اشتِمال مِمَّا قبلَه بِإعادة الجارِّ ـ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بِأن أخرَجَ بَعضَهم مِن صُلبِ بَعض مِن صُلبِ آدمَ نَسلاً

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَوْقَهُمْ﴾) إما حال منتظرة[1]، أو ظرف لـ﴿نَتَقْنَا﴾.

قوله: (﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾) حال من ﴿ٱلْجَبَلَ﴾.

قوله: (﴿وَظَنُّوٓاْ﴾) الجملة حالية من ﴿ٱلْجَبَلَ﴾، والتقدير: رَفعناه فوقهم والحال أنه مظنون وقوعُهُ عليهم، ومعنى الظن: اليقينُ كما قال المفسِّر.

قوله: (وقلنا) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿خُذُواْ﴾ معمول لمحذوف، وهو معطوف على ﴿نَتَقْنَا﴾.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾) أي: تَتصفون بالتقوى، وهي امتثالُ المأمورات واجتناب المنهيَّات، أو تجعلون بينكم وبين النار وقايةً تحفظكم منها.

قوله: (﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾) عطف على قوله: ﴿وَإِذ نَتَقْنَا﴾ عطفَ قصة على قصة، وقدَّر المفسِّر (اذكرْ) إشارةً إلى أن (إذ) ظرف معمول لمحذوف. والحكمةُ في تخصيص بني إسرائيل بهذه القصة: الزيادةُ في إقامة الحجة عليهم؛ حيث أعلمهم الله بأنه أعلَم نبيَّهُ ببدء[2] العالم فضلاً عن وقائعهم.

قوله: (بدل اشتمال) أي: من قوله: ﴿بَنِىٓ ءَادَمَ﴾، والأوضح أنه بدلُ بعض من كلٍّ؛ لأن الظهور بعضُ بني آدم؛ كـ(ضربت زيداً يدَهُ).

قوله: (بأن أخرج بعضهم من صلب بعض) أي: فأخرج أولاد آدم لِصلبه من ظهره، ثم أخرج

---

(١) أي: مقدَّرة؛ لأن حالةَ النَّتق لم تكن فوقَهم، لكنه بالنَّتق صار فوقهم.

(٢) في (ط٢): (بمبدإ) بدل (ببدء).

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ....

بَعد نَسلٍ، كنَحوِ ما يَتوالَدُونَ كالذَّرِّ بِنعمانَ يَوم عَرَفَة، ونَصَبَ لَهُم دَلائِل على رُبُوبِيَّته وركَّبَ فِيهِم عَقلاً، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أنتَ رَبُّنا،

حاشية الصاوي

من ظهر أولاده لصلبه أولادهم وهكذا على حسَب الظهور الجسماني إلى يوم القيامة، وميَّزَ المسلم من الكافر بأن جعل ذرَّ المسلم أبيضَ، وذرَّ الكافر أسودَ.

روي: أنهم لما اجتمعوا قال لهم: اعلَموا أنه لا إلهَ غيري، وأنا ربُّكم لا ربَّ لكم غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، فإني سأنتقم ممَّن أشرك بي ولم يؤمن، وإني مرسلٌ إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي، ومنزلٌ عليكم كتاباً، فتكلَّموا جميعاً وقالوا: شَهدنا أنك ربُّنا لا ربَّ غيرك، فأخذ بذلك مواثيقهم، ثمَّ كتب الله آجالهم وأرزاقهم ومَصائبهم، فنظر إليهم آدمُ عليه السلام، فرأى منهم الغنيَّ والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: ربِّ هلَّا سوَّيت بينهم، فقال: إني أحبُّ أن أُشكر، فلمَّا قرَّرهم بتوحيده وأشهد بعضَهم على بعض.. أعادهم إلى صُلبه، فلا تقومُ الساعة حتى يُولد كلُّ من أُخذ منه الميثاق[1].

قوله: (كالذر) قيل: هو صغار النَّمل، وقيل: هو الهباءُ الذي يَطير في الشمس، وقيل غير ذلك.

قوله: (بنعمانَ) مكانٌ بجنب عرفة.

قوله: (وركَّب فيهم عقلاً) أي: وسمعاً وروحاً.

قوله: (﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾) أي: قرَّرهم، فإن الشهادة على النفس مَعناها الإقرار.

قوله: (﴿بَلَىٰ﴾) هي جواب النفي، ولكنها تفيدُ إثباته كان مجرداً أو مقروناً بالاستفهام التقريري كما هنا؛ ولذلك قال ابن عباس: (لو قالوا: نعم لكفروا)[2]؛ لأنَّ (نعم) لتقرير ما قبلها مثبتاً أو منفيًّا، فكأنهم أقروا بأنه ليس بربهم، وإلى ذلك أشار العارف الأجهوري رضي الله عنه بقوله: [السريع]

(بَلَى) جَوابُ النَّفْيِ لَكِنَّهُ يَصِيرُ إِثْبَاتاً، كَذا قَرَّرُوا
(نَعَمْ) لِتَقْرِيرِ الَّذِي قَبْلَها إِثْباتاً اوْ نَفْياً، كَذا حَرَّرُوا[3]

(١) «تفسير البغوي» (٢/٢٤٧)، وانظر روايات الخبر في «الدر المنثور» (٣/٦٠٠).

(٢) كذا في «الدر المصون» (٥/٣٢٦).

(٣) نقله الخرشي في «شرحه للمختصر» (٣/٢٩٧).

شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ....

﴿شَهِدْنَآ﴾ بِذَلك، والإشهاد لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿يَقُولُوا﴾ - بِالياءِ والتَّاء في المَوضِعَينِ - أي: الكُفَّارُ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ التَّوحيدِ ﴿غَٰفِلِينَ﴾ لا نَعرِفُه.

﴿١٧٣﴾ ﴿أَوْ يَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبلَنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتَدَينا بِهِم، ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾: تُعَذِّبُنا ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ مِن آبائِنا بِتَأسِيسِ الشِّرك؟ المَعنَى: لا يُمكِنُهُم الاحتِجاجُ بِذلك مع إشهادِهِم على أنفُسِهم بِالتَّوحِيدِ، والتَّذكِيرُ بِه على لِسانِ صاحِبِ المُعجِزة قائِمٌ مَقامَ ذِكره في النُّفُوس.

﴿١٧٤﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نُبَيِّنُها مِثلَ ما بَيَّنَّا المِيثاق لِيَتدبَّرُوها، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كُفرِهِم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿شَهِدْنَآ﴾) يحتمل أن يكون من كلام الملائكة الذين استَشهدهم الله على ذلك، فيكون الوقف على قوله: ﴿بَلَىٰ﴾، ويحتمل أن يكون من كلام الذرية، ويكون المعنى: أقررنا بذلك، وحينئذٍ فلا يصحُّ الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾.

قوله: (في الموضعين) أي: قوله: ﴿أَن يَقُولُوا﴾، ﴿أَوْ يَقُولُوٓا﴾، والمناسب تأخيرُ قوله: (في الموضعين)، فعلى الياء يكون إخباراً عنهم، وعلى التاء يكون خطاباً لهم[1].

قوله: (فاقتدينا بهم) أي: فهم مُؤاخذون بذلك ونحن مَعذورون.

قوله: (المعنى: لا يمكنهم) أي: معنى الجملتين.

قوله: (مع إشهادهم على أنفسهم) أي: إقرارهم عليها.

قوله: (على لسان صاحب المعجزة) أي: وهم المرسَلون، وهو جواب عمَّا يُقال: إن العهد لا يذكره أحدٌ اليوم!

قوله: (﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾) عطف على ما قدَّره المفسِّر.

---

(١) قرأ أبو عمرو بياء الغيبة، والباقون بتاء الخطاب. انظر «السراج المنير» (١/ ٥٣٥).

. . . .

حاشية الصاوي

فائدة حسنة:

ذكر القطب الشعراني في رسالة سمَّاها «القواعد الكشفيَّة في الصفات الإلهية»: (قد ذكر العلماءُ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ الآية اثني عشرَ سؤالاً، ونحن نُوردها عليك مع الجواب عنها بما فتح الله به:

الأول: أين موضعُ أخْذِ الله تعالى هذا العهد؟

والجواب: الله أخذ ذلك عليهم ببَطن نعمانَ، وهو وادٍ بجانب عرفة، قاله ابن عباس[1] وغيره، وقال بعضهم: أخذه بسَرَنْدِيب من أرض الهند، وهو الموضع الذي هبطَ آدم فيه من الجنة، قال الكلبي: كان أخذ العهد بين مكة والطائف، وقال الإمامُ علي بن أبي طالب: كان أخذ العهد في الجَنة، وكلُّ هذه الأمور محتملة، ولا يَضرُّنا الجهل بالمكان بعد صِحة الاعتقاد بأخذ العهد.

الثاني: كيف استخرجهم من ظُهورهم؟

والجواب: ورد في «الصحيح»: أنه تعالى مسحَ ظهر آدم وأخرج ذُريته منه كلهم كهيئة الذرِّ[2]، ثم اختلف الناس: هل شقَّ ظهرَهُ واستَخرجهم منه، أو استخرجهم من بعض ثُقوب رأسه؟ وكلا الوجهين بعيدٌ، والأقربُ كما قيل: إنه استَخرجهم من مسامِّ شَعَرِ ظهره؛ إذ تحت كلِّ شعرة ثقبة دقيقة يُقال لها: سَمٌّ؛ مثل سَمِّ الخِياط في النفوذ لا في السَّعة، فتخرج الذرةُ الضعيفة منها كما يخرج الصِّيبان من العرق السائل، وهذا غير بعيد في العقل، فيجب اعتقادُ إخراجها من ظَهر آدم كما شاء الله، ولا يجوزُ اعتقاد أن الله تعالى مسح ظهر آدم على وجه المماسَّة؛ إذ لا اتصال بين الحادث والقديم.

الثالث: كيف أجابوه تعالى بـ(بلى)؟ هل كانوا أحياء عقلاءَ، أم أجابوه بلسان الحال؟

والجواب: أنهم أجابوه بالنطق وهم أحياء عقلاء؛ إذ لا يستحيلُ في العقل أن الله تعالى يُعطيهم الحياة والعقل والنطق مع صِغَرهم؛ فإنَّ بِحار قدرته واسعة، وغاية وسعنا في كلِّ مسألة أن نُثبت الجواز، ونكِلُ علم كيفيتها إلى الله تعالى.

---

(١) رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ. انظر «الدر المنثور» (٣/ ٥٩٩)، ورواه مرفوعاً الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢٢).

(٢) رواه أبو داوود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٢٦).

. . . .

حاشية الصاوي

الرابع: فإذا قال الجميع: بلى؛ فلمَ قبلَ قوماً وردَّ آخرين؟

والجواب كما قاله الحكيمُ الترمذي: أن الله تعالى تجلَّى للكفار بالهيبة فقالوا: بلى مخافةً [منه]، فلم يكُ يَنفعهم إيمانهم، فكان إيمانهم كإيمان المنافقين، وتجلَّى للمؤمنين بالرحمة فقالوا: بلى مُطيعين مختارين، فنَفعهم إيمانهم(١).

الخامس: إذا سبق لنا عهد وميثاق مثلُ هذا فلأيِّ شيء لا نذكره اليوم؟

والجواب: أنا لم نتذكَّر هذا العهد؛ لأنَّ تلك البنية قد انقَضت وتغيَّرت أحوالها بمرور الزمان عليها في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، واستَحال تصوُّرها في الأطوار الواردة عليها من العلقة والمضغة واللحم والعَظم، وهذا كلُّه ممَّا يوجب النسيان، وكان عليٌّ ﷺ يقول: إني لأذكرُ العهد الذي عهد إليَّ ربي، وكان سهل التُّسْتَري يقول: إني لأعرِف تَلامذتي من ذلك اليوم، ولم أزَلْ أربِّيهم في الأصلاب حتى وصلوا إليَّ.

السادس: هل كانت تلك الذوات مُصوَّرة بصورة الإنسان أم لا؟

والجواب: لم يَبلغنا في ذلك دليل، إلا أنَّ الأقرب للعقول عدمُ الاحتياج إلى كونها بصورة الإنسان؛ إذ السمع والنطق لا يَفتقران إلى الصورة، بل يقتضيان محلًّا حيًّا لا غير.

السابع: متى تعلقت الأرواح بالذرات التي هي الذرية؟ هل قبل خُروجها من ظهره أم بعد خروجها منه؟

والجواب: قال بعضهم: إن الظاهر أنه تعالى استخرجهم أحياء؛ لأنه سمَّاهم ذُرية، والذرية هم الأحياء؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]، فيحتمل أن الله تعالى أدخل فيهم الأرواح وهم في ظُلمات ظهر أبيهم، ثم أدخلها مَرة أخرى وهم في ظلمات بُطون أمهاتهم، ثم أدخلها مرة ثالثة وهم في ظلمات بُطون الأرض، هكذا جرَت سنةُ الله، فسمَّى ذلك خلقاً.

الثامن: ما الحِكمة في أخذ الميثاق منهم؟

---

(١) في «القواعد الكشفية» (ص١٧٩) زيادة لهذا الجواب تنظر فيه، وكذا هناك بعض الزيادات اختصرها المصنف رحمه الله تعالى في بعض الأجوبة.

. . . .

حاشية الصاوي

والجواب: أن الحكمة في ذلك إقامةُ الحجة على من لم يُوفِ بذلك.

التاسع: هل أعادهم إلى ظهر آدم أحياء، أم استَرد أرواحهم ثم أعادهم إليه أمواتاً؟

والجواب: أن الظاهر أنه لما ردَّهم إلى ظهره قبض أرواحهم قياساً على ما يَفعله بهم إذا ردَّهم إلى الأرض بعد الموت؛ فإنه يقبضُ أرواحهم ويُعيدُهم فيها.

العاشر: أين رَجعت الأرواح بعد ردِّ الذرات إلى ظهره؟

والجواب: أن هذه مسألة غامضة لا يتطرَّقُ إليها النظر العقلي عندي بأكثرَ من أن يُقال: رجعت لما كانت عليه قبل حُلولها في الذرات، فمن رأى في ذلك شيئاً فليُلحقه بهذا الموضع[(١)].

الحادي عشر: قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ والناس يَقولون: إن الذرية أُخذت من ظهر آدم؟

والجواب: أنه تعالى أخرج من ظهر آدم بَنيهِ لصلبه، ثم أخرج بني بَنيه مِن ظهور بَنِيه، فاستغنى عن ذكر إخراج بني آدم من آدم بقوله: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾؛ إذ من المعلوم أن بَني بنيه لا يخرجون إلا من بَنيه، ومثال ذلك: من أودع جوهرةً في صدفة، ثم أودع الصدفةَ في خِرقة، ثم أودع الخرقةَ مع الجوهرة في حَقيبة، ثم أودع الحقيبةَ في درج، ثم أودع الدرجَ في صُندوق، فأخرج منه تلك الأشياء بعضها من بعض، ثم أخرج الجميع من الصندوق، فهذا لا تناقضَ فيه.

الثاني عشر: في أيِّ مكان أودع كتاب العهد والميثاق؟

والجواب: قد جاء في الحديث: أنه مودَعٌ في باطن الحجر الأسود، وأن للحجر الأسود عينين وفماً ولساناً، فإن قال قائل: هذا غير مُتصوَّر في العقل؛ فالجواب: أن كلَّ ما عسُرَ على العقل تصوُّره يكفينا فيه الإيمانُ به وردُّ معناه إلى الله تعالى). اهـ ملخصاً[(٢)].

---

(١) اتفق أهل السنة على حدوث الروح خلافاً للفلاسفة، ثم ذهب فريق منهم كإمامنا الغزالي والرازي والراغب الأصفهاني إلى كونها جوهراً روحانيًا لا زمان ولا مكان له، وعليه: فلا يتوجَّه أصل السؤال؛ إذ الجوهر لا يُزاحم الجوهر، والعرض لا يقوم بنفسه.

(٢) «القواعد الكشفية» (ص١٧٧ ـ ١٨١) ردَّ بذلك السياق على شبه المعتزلة.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ ....

(١٧٥) ﴿وَٱتْلُ﴾ يا محمَّد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهودِ ﴿نَبَأَ﴾: خبرَ ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾: خرَجَ بكُفرِه كما تَخرُجُ الحَيَّة مِن جِلدِها، وهو بَلعَمُ بن باعُوراءَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾) عطف على ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ عطفَ قصة على قصة.

قوله: (﴿ءَايَٰتِنَا﴾) أي: وهي علومُ الكتب القديمة ومعرفةُ الاسم الأعظم، فكان يدعُو به حيث شاء، فيَحصل بعينه، وكان يرى العرشَ وهو جالس مكانه، وكان في مجلسه اثني عشرَ ألف محبرة للمُتعلمين الذين يكتبون عنه.

وحاصل قصته على ما ذكره ابن عباس وغيره: أنَّ موسى عليه السلام لما قصد قتالَ الجبَّارين ونزل أرضَ الكنعانيين من أرض الشام.. أتى قومُ بَلْعَمَ إليه وكان عنده الاسم الأعظم، فقالوا: إن موسى رجل حديد، ومعه جُند كثير، وإنه جاء يخرجنا من بلادنا ويَقتلنا ويُخليها لبني إسرائيل، وأنت رجلٌ مجابُ الدعوة، فاخرج فادعُ الله أن يردَّهم عنَّا، فقال: ويلَكم! نبيُّ الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف أدعو عليهم وأنا أعلمُ من الله ما لا تعلمون؟! وإني إن فعلتُ ذلك أذهبت دنياي وآخرتي، فراجَعوه وألحُّوا عليه، فقال: حتى أُؤَامرَ ربي، وكان لا يدعو حتى ينظرُ ما يُؤمَر به في المنام، فآمرَ ربَّه في الدعاء عليهم، فقيل له في المنام: لا تدعُ عليهم، فقال لِقومه: إني قد آمرتُ ربي، وإني نُهيتُ أن أدعوَ عليهم، فأهدَوا إليه هديةً فقبلها، وراجَعوه فقال: حتى أُؤَامرَ ربي، فآمر فلم يُؤمر بشيء، فقال: قد آمرتُ ربي فلم يأمرني بشيء، فقالوا له: لو كرهَ ربُّك أن تدعوَ عليهم لَنهاك كما نهاك في المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرَّعون له حتى فتَنوه، فافتُتِنَ، فركب أَتاناً له متوجِّهاً إلى جبل يطلعُهُ على عسكر بني إسرائيل يُقال له: حُسبان، فلمَّا سار على أتانه غيرَ بعيد ربَضت، فنزل عنها وضربها، فقامت، فركبها، فلم تسِرْ به كثيراً حتى ربضت، فضربها، وهكذا مِراراً، فأذن اللهُ تعالى لها في الكلام فأنطقَها له، فكلَّمته حجةً عليه فقالت: ويحك يا بَلْعَمُ؛ أين تذهَب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردُّني عن وجهي؟ ويحَك! تذهبُ إلى نبيِّ الله والمؤمنين فتدعو عليهم؟ فلم يَنزجر، فخلَّى الله سبيلَ الأتان، فانطلقت حتى أشرف على جبل حُسبان فجعل يدعو عليهم، فلا يدعُو بشرٍّ إلا صرفَ الله به لسانَه إلى قومه، ولا يدعو بخير لقومه إلا صرفَ الله به لسانه إلى بني إسرائيل، فقال له قومُه: يا بَلْعَمُ؛ أتدري ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وتدعُو علينا! فقال: هذا ما لا أملِكه، هذا شيء قد غلب اللهُ عليه، فاندلع لسانه فوقَع على صدره، فقال لهم: الآن قد ذهب منِّي

فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ

مِن عُلَماءِ بَنِي إسرائِيلَ، سُئِلَ أن يَدعُوَ على مُوسى وأُهدِيَ إلَيه شَيءٌ فدَعا، فانقَلَبَ علَيه واندَلَعَ لِسانُه على صَدرِه، ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فأدرَكَه فصار قَرِينَه، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾.

﴿١٧٦﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ إلى مَنازِلِ العُلَماء ﴿بِهَا﴾ بِأن نُوَفِّقَهُ لِلعَمَلِ، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾: سَكَنَ ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الدُّنيا ومالَ إلَيها، ....

حاشية الصاوي

الدنيا والآخرة، ولم يبقَ إلا المكر والخديعة، فسأمكُر لكم وأحتال؛ احملوا النساءَ وزينوهنَّ وأعطوهنَّ السلعَ ثم أرسلوهنَّ إلى عسكر بني إسرائيل يَبعنَها فيه، ومروهنَّ ألا تمنعَ امرأة نفسها من رجل راودَها، فإنه إن زنى رجل بواحدة كُفِيتموهم، ففعلوا، فلمَّا دخل النساءُ العسكر مرَّت امرأة من الكنعانِيين على رجل من عظماء بني إسرائيل وكان رأسَ سبط شَمعون بن يعقوب، فقام إلى المرأة وأخذ بيَدها حين أعجبه جمالُها، ثم أقبل بها حتى وقف على موسى وقال: إني أظنُّك أن تقول: هذه حرام عليك؟ قال: أجَلْ هي حرام عليك لا تَقربها، قال: فوالله لا نُطيعك، ثم دخل بها قبَّته فوقعَ عليها، فأرسل الله عليهم الطاعونَ في الوقت، فهلك منهم سَبعون ألفاً في ساعة من النهار[١].

قوله: (من علماء بني إسرائيل) أي: بل قيل بِنُبوته، والحقُّ خلافه؛ لأن الأنبياء معصومون من كلِّ ما يُغضب الله تعالى.

قوله: (وأهدي إليه شيء) أي: في نظير الدعاء عليهم، وتُسمَّى تلك الهدية رشوةً، وهي محرَّمة في شرعنا لِذي الجاه والمنصب[٢].

قوله: (واندلع لسانه) أي: تدلَّى.

قوله: (﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾) هذا مبالغةٌ في ذمِّه، حيث كان عالماً عظيماً ثم صار الشيطانُ من أتباعه.

قوله: (﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾) مفعول المشيئة محذوف، تقديره: (رِفْعَتَهُ).

قوله: (﴿بِهَا﴾) أي: بسبب تلك الآيات.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾) أي: مالَ واطمأنَّ.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٢٤٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٦٢).

(٢) يعني: الهدية التي لها حكم الرشوة كما لا يخفى.

وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ....

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في دُعائِه إلَيها فوَضَعناهُ، ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾: صِفتُه ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بِالطَّردِ والزَّجر ﴿يَلْهَثْ﴾: يَدلَع لِسانَه، ﴿أَوْ﴾ إنْ ﴿تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ﴾، ولَيس غَيرُه مِن الحَيَوان كَذلك، ـ وجُملَتا الشَّرط حال ـ أي: لاهِثاً ذَلِيلاً بِكُلِّ حال، والقَصدُ التَّشبِيه في الوَضع والخِسَّة، بِقَرِينةِ الفاء المُشعِرة بِتَرتِيبِ ما بَعدها على ما قَبلها مِن المَيل إلى الدُّنيا واتِّباعِ الهَوَى، وبِقَرِينة قَولِه: ﴿ذَّٰلِكَ﴾ المَثَل ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ على اليَهُودِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: يَتدبَّرُونَ فِيها فيُؤمِنُون.

﴿١٧٧﴾ ﴿سَآءَ﴾: بِئسَ ﴿مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ أي: مَثَلُ القَوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ بِالتَّكذِيبِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾) أي: الذي هو أخسُّ الحيوانات.

قوله: (﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾) أي: تشدِّد عليه وتُجهده ﴿يَلْهَثْ﴾ أي: يُخرج لسانه.

قوله: (﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾) أي: من غير تشديد عليه.

قوله: (وليس غيره من الحيوانات كذلك) أي: بل غيره يلهثُ في حال التعب فقط.

قوله: (ما بعدها) أي: وهو الانسلاخُ، وقوله: (من الميل... إلخ) بيانٌ لما قبلها.

قوله: (﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾) أي: اليهود الذين أُوتوا التوراة وفيها صفاتُ النبيِّ ﷺ وأخلاقه وشمائله، فغيَّروا وبدَّلوا.

قوله: (﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾) أي: الذي أُوحي إليك؛ لِيَعلموا أنك علمته من الوحي فيُؤمنون.

قوله: (على اليهود) لا مفهومَ له، بل المراد: اقصُص القصصَ على أُمتك ليتَّعظوا بذلك.

قوله: (﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾) ﴿سَآءَ﴾: فعل ماض لإنشاء الذم، و﴿مَثَلًا﴾: تمييز، و﴿ٱلْقَوْمُ﴾: فاعل على حذف مضاف، تقديره: مثل القوم، والمخصوص بالذمِّ محذوف، تقديره: مثلُهم.

مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ....

﴿١٧٨﴾ ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾.

﴿١٧٩﴾ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خَلَقْنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحَقَّ ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دَلائِلَ قُدرةِ الله بَصَرَ اعتِبار، ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ الآياتِ والمَواعِظ سَماعَ تَدَبُّر واتِّعاظٍ، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ في عَدَمِ الفِقه والبَصَرِ والاستِماع، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ مِن الأنعام؛ لِأَنَّها تَطلُب مَنافِعَها وتَهرُب مِن مَضارِّها، وهَؤلاءِ يُقدِمُون على النَّار مُعانَدةً، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾) هذا رجوع للحقيقة، وتَسليةٌ له ﷺ.

قوله: (﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً باتفاق القرَّاء هنا.

قوله: (﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا﴾) أي: بحكم القبضة الإلهيَّة؛ حيث قبضَ قبضةً وقال: **«هذه للجنة ولا أبالي، وقبض قبضةً وقال: هذه للنار ولا أبالي»**[1]، وقوله: ﴿كَثِيرًا﴾ يؤخذُ منه: أنَّ أهل النار أكثَرُ من أهل الجنة، وهو كذلك؛ لما تقدَّم من أنه من كلِّ ألف واحدٌ للجنة، والباقي للنار[2].

قوله: (الحقَّ) قدَّره هو ونظيره في ﴿يُبْصِرُونَ﴾ و﴿يَسْمَعُونَ﴾؛ إشارةً إلى أن مفعول كلٍّ محذوف.

قوله: (﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾) إضراب انتقالي، ونكتة الإضراب: أنَّ الأنعامَ لا تدري العواقب والعقلاء تعرفُها، فقدُومُهم على المضارِّ مع علمهم بعواقبها أضلُّ من قُدوم الأنعام على مضارِّها.

قوله: (﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾) أي: قلباً وسمعاً وبصراً، وهذه علامةُ أهل النار المخلَّدين فيها.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٤٧) بلفظه هنا موقوفاً على أبي الدرداء رضي الله عنه، ورواه بنحوه أحمد في «المسند» (٨٦/٤).

(٢) تقدم (٢/ ٤٥٠)، وهو عند البخاري (٦٥٢٩).

وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ ....

١٨٠ ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ التِّسعةُ والتِّسعُونَ الوارِدُ بِها الحَدِيث، و(الحُسنَى) مُؤنَّث الأحسَنِ، ﴿فَٱدۡعُوهُ﴾: سَمُّوهُ ﴿بِهَاۖ وَذَرُواْ﴾: اترُكُوا ﴿ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾ مِن (ألحَدَ) و(لَحَدَ):

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾) ذكرت في أربعة مواضع من القرآن، هنا، وفي أواخر (الإسراء)، وفي أول (طه)، وفي آخر (الحشر).

قوله: (الواردة بها الحديث) أي: وقد وردَ بطرق مُختلفة؛ منها: قوله ﷺ: «**إن لله تسعةً وتسعين اسماً مئةً غيرَ واحد، إنه وترٌ يحبُّ الوتر، وما من عبد يدعُو بها إلا وجبت له الجنة**»[١]، ومنها: «**إن لله تسعةً وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة**»[٢]، ومنها: «**إن الله عزَّ وجلَّ تسعةً وتسعين اسماً مئةً غير واحد، إن الله وتر يحبُّ الوتر، من حفظها دخل الجنة**»[٣]، ومنها: «**إن لله مئةَ اسم غيرَ اسم، من دعا بها استجابَ الله له**»[٤]، وكلها مذكورةٌ في «الجامع الصغير» عن علي وعن أبي هريرة.

والأسماء: جمع اسم، وهو اللفظ الدالُّ على المسمَّى إمَّا على الذات فقط، أو على الذات والصفات، والإخبارُ بأنها تسعٌ وتسعون ليس حصراً، وإنما ذلك إخبارٌ عن دخول الجنة بإحصائها، أو استجابةِ الدعاء بها، وإلا.. فأسماءُ الله كثيرة، قال بعضهم: إن لله ألفَ اسم[٥]، وقال بعضهم: إن أسماءَه على عدد أنبيائه، فكلُّ نبيٍّ يَستمدُّ من اسم، ونبيُّنا يستمدُّ من الجميع.

قوله: (والحسنى مؤنث الأحسن) أي: ك: كُبرى وصغرى مؤنث الأكبر والأصغر، وإنما كانت حسنى؛ لأن الدالَّ يشرُفُ بشرف مَدلوله.

قوله: (سمُّوه بها) أي: وقتَ دعائكم وندائكم وأذكاركم.

قوله: (﴿وَذَرُواْ﴾) أمرٌ للمكلَّفين.

قوله: (من: ألحد ولَحد) أي: رباعيًّا وثلاثيًّا، وهما قراءتان سبعيَّتان[٦].

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٣/ ٣٨٠).

(٢) رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٨٦١).

(٤) انظر «فيض القدير» (٢/ ٤٨٣).

(٥) «الفتوحات» (٢/ ٢١٣) عن أبي بكر بن العربي عن بعضهم.

(٦) قرأ حمزة: (يَلْحَدون) من الثلاثي، والباقون: (يُلْحِدون) من الرباعي. انظر «الدر المصون» (٥/ ٥٢٢).

﴿فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٨٠ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ۝١٨١﴾ ....

يَميلُونَ عن الحَقِّ ﴿فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ حَيثُ اشتَقُّوا منها أسماءَ لِآلِهَتِهِم كاللَّات مِن الله، والعُزَّى مِن العَزِيز، ومَناةَ مِن المَنَّان، ﴿سَيُجۡزَوۡنَ﴾ في الآخِرة جَزاءَ ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، وهذا قَبلَ الأمر بِالقِتالِ.

﴿١٨١﴾ ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ هُم أُمَّة مُحمَّد ﷺ كَما في حَدِيثٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (يَميلون عن الحق) تفسير لكلٍّ من القراءتين، ومنه: لَحد الميت؛ لأنه يُمال بحفره إلى جنب القبر، بخلاف الضريح؛ فإنه الحفرُ في الوسط.

قوله: (حيث اشتقوا) أي: اقتطعوا، وهذا الإلحاد كفرٌ، ويُطلق الإلحادُ على التسمية بما لم يَرد، وهو بهذا المعنى حرام؛ لأن أسماءَهُ توقيفيَّة، فيجوزُ أن يُقالَ: يا جواد، ولا يجوزُ أن يُقال: يا سخي، ويُقال: يا عالم دون عاقل، وحَكيم دون طبيب، وهكذا[1].

قوله: (جزاءَ ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مُضاف، وقدَّر ليصح الكلام؛ إذ لا معنى لكونهم يُجزون الذي كانوا يعملونه من الإلحاد، بل المراد جزاؤه.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) اسم الإشارة راجع لقوله: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾، فهذه الآية منسوخةٌ بآية القتال.

قوله: (﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ﴾) الجار والمجرور خبر مقدَّم، و﴿أُمَّةٞ﴾: مبتدأ مؤخَّر.

قوله: (﴿بِٱلۡحَقِّ﴾) الباء للملابسة؛ أي: يَهدون الناس ويرشدونهم ملتبسين بالحق.

قوله: (﴿وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾) أي: بالحق يجعلون الأمور متعادلة مُستوية، لا إفراطَ فيها ولا تفريط.

قوله: (كما في الحديث) أي: وهو قوله ﷺ: «لا تزالُ من أمتي طائفةٌ على الحق إلى أن يأتي أمرُ الله»[2]، وعن معاوية قال وهو يخطب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزالُ من أمتي أمَّة قائمةً

---

(١) بخلاف إطلاق الصفات، ففيه خلاف عند أهل السنة، وإلى منع إطلاق الأسماء وتجويز الصفات مال كل من إمامنا الغزالي والرازي، وانظر «لوامع البينات» للعلامة الرازي.

(٢) رواه بنحوه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢٠).

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ....

﴿١٨٢﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ مِن أهل مَكَّة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: نَأخُذُهم قليلاً قليلاً، ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿١٨٣﴾ ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾: أُمهِلُهم، ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾: شَدِيدٌ لا يُطاقُ.

﴿١٨٤﴾ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾ فيَعلَموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ مُحمَّد ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: جُنونٍ، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإنذارِ.

حاشية الصاوي

بأمر الله، لا يضرُّهم من خذَلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيَ أمرُ الله وهم على ذلك»[1]، وهذه الطائفة لا تختصُّ بزمان دُون زمان، ولا مكان دون مكان، بل هم في كلِّ مكان وفي كل زمان، فالإسلامُ دائماً يَعلو ولا يُعلى عليه، وإن كثر الفسَّاق وأهل الشرِّ فلا عبرة بهم ولا صَولة لهم، وفي هذا بشارةٌ لهذه الأمة المحمدية بأنَّ الإسلام في علوٍّ وشرف، وأهلُه كذلك إلى قرب يوم القيامة، حتى تموت حمَلة القرآن والعلماء، وينزع القرآن من المصاحف، وتأتي الريح اللينة فيَموت كلُّ من كان فيه مثقال ذرة من إيمان، ولا يكون هذا الأمر إلا بعد وفاة عيسى عليه الصلاة والسلام.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾) مبتدأ خبره الجملةُ الاستِقبالية بعده.

قوله: (﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾) الاستدراج: هو الاستصعادُ درجةً فدَرجة، أو الاستنزال درجةً بعد درجة.

قوله: (نأخذهم قليلاً قليلاً) أي: نمدُّهم بالعطايا شيئاً فشيئاً وهم مُقيمون على المعاصي حتى ينتهيَ بهم الأمر إلى الهلاك، فهم يَظنون أنهم في نِعَم وهم في نِقَم؛ ولذا قيل: إذا رأيتَ الله أنعم على عبده وهو مقيمٌ على مَعصيته.. فاعلم أنه مستدرَجٌ.

قوله: (﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾) الكيدُ في الأصل: المكر والخديعة، وذلك مُستحيل على الله، بل المراد الاستدراجُ، وكان شديداً لأنَّ ظاهره إحسانٌ، وباطِنه خذلان.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أعمُوا ولم يتفكروا؟

قوله: (﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾) سببُ نزولها: ما رُوي أنه ﷺ صعد على الصفا، فدعاهم فخذاً

(١) رواه مسلم (١٠٣٧)، وعند أحمد في «المسند» (٤/ ١٠١) عن معاذ أنهم أهل الشام.

أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ ....

﴿١٨٥﴾ ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ﴾: مُلكِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ﴾ في ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ ـ بَيانٌ لِـ(ما) ـ، فيَستَدِلُّوا بِه على قُدرةِ صانِعه ووَحدانِيَّتِه، ﴿وَ﴾ في ﴿أَنْ﴾ أي: أنَّهُ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ﴾: قَرُبَ ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيَمُوتُوا كُفَّاراً فيَصِيرُوا إلى النَّار، فيُبادِرُوا إلى الإيمانِ، ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ أي: القرآنِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؟

﴿١٨٦﴾ ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ﴾ ـ بِالياءِ والنُّون مع الرَّفع استِئنافاً، والجَزمِ

حاشية الصاوي

فخذاً: يا بني فلان؛ يا بني فلان؛ يحذِّرهم بأسَ الله، فقال بعضهم: إن صاحبَكم لمجنون، بات يُهَوِّتُ إلى الصباح، ومعنى (يهوت): يصوِّتُ[١]، وإنما نسَبوه إلى الجنون لمخالفته لهم في الأقوال والأفعال؛ فإنه كان موحِّداً، مقبلاً على الله بكلِّيَّته، مُعرضاً عن الدنيا وشهواتها، وهم ليسوا كذلك.

قوله: (ملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) إنما فسَّر الملكوت بالمُلْك؛ لأن الملكوت ما غاب عنَّا؛ كالملائكة والعرش والكرسي، والمأمور بالنظر فيه عالمُ الملك، وهو ما ظهَر لنا.

قوله: (﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾) قدَّر المفسِّر (في)؛ إشارةً إلى أنه معطوف على ﴿مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

قوله: (﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ﴾) قدَّر المفسِّر (في)؛ إشارة إلى أن الجملة في محلِّ جر عطفاً على ما قبلها، و(أنْ) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ خبرُها.

قوله: (﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ﴾... إلخ) متعلِّق بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، وهو استفهام تَعجُّبي، والمعنى: إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن الذي هو أعظَمُ المعجزات فبأيِّ آية ومعجزة يُؤمنون بها؟!

قوله: (﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾) تذييلٌ لما قبله خارجٌ مخرج المثل.

قوله: (بالياء والنون) أي: مع الرفع، وبالياء لا غيرُ مع الجزم، فالقراءاتُ ثلاث، وكلها سبعيَّة، فعلى النون يكون التفات من الغيبة للتكلُّم؛ لأن الاسم الظاهرَ من قَبيل الغيبة[٢].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٨٩) عن قتادة.

(٢) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بالنون، والباقون بالياء، وجزم حمزة والكسائي الراء، قال سيبويه: إنه عطف على محل الفاء وما بعدها. انظر «السراج المنير» (١/ ٥٤٢).

فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا ....

عَطفاً على مَحَلِّ ما بَعد الفاء ـ ﴿فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يَتردَّدُون تَحيُّراً.

﴿١٨٧﴾ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: أهلُ مَكَّة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: القِيامةِ ﴿أَيَّانَ﴾: متَى ﴿مُرْسَىٰهَا قُلْ﴾ لَهُم: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (على محل ما بعد الفاء) أي: وهو الجزم؛ لأن جملة ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ جواب الشرط في محل جزم.

قوله: (﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾) الضمير عائد على أهل مكة كما قال المفسِّر؛ لأن السورةَ مكية إلا ما تقدَّم من الثمان آيات، وهذا استِئنافٌ مَسوقٌ لبيان تعنُّتهم في كفرهم؛ لأنه ﷺ كان يُخوِّفهم من الساعة وأهوالها.

قوله: (القيامة) سُمِّيت ساعة إما لِسرعة مجيئها؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، أو لسرعة حِسابها؛ لأن الخلق جميعاً يُحاسبون في قدر نصف من نهار، أو لأنها ساعة عند الله لخفَّتها وإن كانت في نَفسها طويلة؛ لأنَّ الأزمان عنده مستوية.

ولها أسماءُ كثيرة: منها: القيامة؛ لِقيام الناس لربِّ العالمين فيها، والقارعة؛ لأنها تَقرعُ القلوب بأهوالها، والحاقة؛ لأنها ثابتة، والخافضة والرافعة؛ لأنها تخفض أقواماً وترفع آخرين، والطامَّة؛ لأنه لا يمكن ردُّها، والصامة؛ لأنها تصمُّ الآذان، والزلزلة؛ لِتزلزل الأرض والقلوب، ويوم الفرقة؛ لتفرُّقهم في الجنة والنار، واليوم الموعود؛ لأن الله وعد فيه أقواماً بالجنة وأوعد أقواماً بالنار، ويوم العرض؛ لعرض الناس على ربهم، ويَوم المفرِّ؛ لقول الإنسان الكافر يومئذ: أين المفَر؟ واليوم العسير؛ لشدة الحساب فيه وزَحمة الناس بعضهم على بعض؛ حتى يكون على القدم ألف قدم، وفي رواية: سبعون ألف قدم على قدم، وتَدنو الشمس من الرؤوس حتى يكون بينها وبين الرؤوس قدر المِروَد؛ إلى غير ذلك من أسمائها.

قوله: (﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾) في الكلام استعارة بالكناية؛ حيث شبَّه الساعة بسَفينة في البحر، وطوى ذكر المشبه به، ورَمز له بشيء من لوازمه وهو الإرساء، فذكره تخييل، وهذه الجملة من المبتدإ والخبر بدل من الجار والمجرور قبله، والمعنى: يَسألونك عن وقت مجيء الساعة، وهو في محل نصب؛ لأن الجار والمجرور في محلِّ نصب معمول لـ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾.

عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ....

متى تكونُ ﴿عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا﴾: يُظهِرُها ﴿لِوَقْتِهَآ﴾ ـ اللّام بِمَعنَى (في) ـ ﴿إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ﴾: عَظُمَتْ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ على أهلِهِما لِهَولِها، ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: فَجأةً. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾: مُبالِغٌ في السُّؤال ﴿عَنْهَا﴾ حتَّى عَلِمتَها، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ ـ تأكِيدٌ ـ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ عِلمَها عِندَه تعالى.

حاشية الصاوي

قوله: (متى تكون) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه حذف مُضاف، والتقدير: إنما علم وقتها عند الله.

قوله: (على أهلهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، و(في) بمعنى (على)، ويصحُّ أن تبقى الآية على ظاهِرها؛ لأنه لا يُطيقها شيء من السماوات لطيِّها، ولا الأرض لتبدُّلها، فهي شاقَّة مُفزعة لكلٍّ ما سوى الله.

قوله: (﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾) أي: على حين غفلة، والحكمة في إخفائها: ليتأهَّب لها كل أحَد؛ كما أُخفِيَت ساعةُ الإجابة يومَ الجمعة؛ ليُعتنى باليوم كلِّه، وليلةُ القدر في سائر الليالي؛ ليُعتنى بجميع الليالي، والرجلُ الصالح في جميع الخَلق؛ ليُعتقد الجميعُ، والصلاةُ الوسطى في جميع الصلوات؛ للمحافظة على الجميع.

قوله: (﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾) عن بمعنى: الباء، والمعنى: كأنك عالمٌ بها ومتقنٌ لها[١].

قوله: (تأكيد) أي: لما قبله لِبيان أنها من الأمر المكتوم الذي استأثره الله بِعلمه فلم يُطلع عليه أحداً إلا من ارتَضاه من الرسل، والذي يجب الإيمان به أن رسول الله لم يَنتقل من الدنيا حتى أعلمَهُ الله بجميع المغيَّبات التي تَحصل في الدنيا والآخرة، فهو يعلمها كما هي عين يَقين؛ لما ورد: «رُفعت لي الدنيا، فأنا أنظرُ فيها كما أنظرُ إلى كفِّي هذه»[٢]، وورد: أنه اطَّلع على الجنة وما فيها، والنار وما فيها، وغير ذلك مما تواترت به الأخبار، ولكن أُمِر بكتمان البعض[٣].

---

(١) في (ط٢): (متيقن) بدل (متقن).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣/٣١٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٣) وللعلامة المحدث محمد بن جعفر الكتاني كتاب بعنوان «جلاء القلوب من الأصداء الغينية ببيان إحاطته صلى الله =

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ ....

﴿١٨٨﴾ ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا﴾ أجلُبُهُ ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أدفعُه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾: ما غابَ عَنِّي ﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ مِن فَقرٍ وغَيرِه؛ لِاحتِرازِي عَنهُ بِاجتِنابِ المَضارِّ، ﴿إِنۡ﴾: ما ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِنَفۡسِي﴾) معمول ﴿لَّآ أَمۡلِكُ﴾.

قوله: (﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾) أي: تمليكَه لي فأنا أملكه.

قوله: (﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾... إلخ) إن قلتَ: إن هذا يشكل على ما تقدَّم لنا أنه اطَّلع على جميع مُغيبات الدنيا والآخرة!

والجواب: أنه قال ذلك تواضعاً، أو أن عِلمه بالغيب كلا عِلم من حيث إنه لا قدرةَ له على تغيير ما قدَّر الله وُقوعه، فيكون المعنى حينئذٍ: لو كان لي علم حقيقي بأن أقدر على ما أريدُ وقوعه لاستكثرت... إلخ.

إن قلتَ: إن دعاءه مُستجاب لا يردُّ؟

أجيبَ: بأنه لا يشاءُ إلا ما يشاؤه الله، فلو اطلع على أن هذا الشيء مثلاً لا يكون كذا لا يوفَّقُ للدعاء له؛ إذ لا يشفعُ ولا يدعو إلا بما فيه إذنٌ من الله واطلاعٌ منه على أنه يَحصل ما دعا به، وهو سرُّ قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي ذلك المعنى قال العارف: [الوافر]

وَخَصَّكَ بِالهُدَى فِي كُلِّ أَمْرٍ ... فَلَسْتَ تَشَاءُ إِلَّا مَا يَشَاءُ[1]

= عليه وسلم وآله بالعلوم الكونية»، وكذا كتاب «الدولة المكية» للعلامة أحمد رضا خان، وقول المصنف رحمه الله: (والذي يجب الإيمان به...) لا يُراد الوجوب الاصطلاحي عند المتكلمين، بل هو على سبيل الندب للاستبصار في هذا الباب.

(١) للعارف بالله عبد الله الشبراوي (ت ١١٧١هـ) من قصيدة في ديوانه «منائح الألطاف بمدائح الأشراف» (ص٣٩) مطلعها:

رسول الله ضاق بي الفضاءُ ... وجَلَّ الخطبُ وانقطع الرجاءُ

أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ....

﴿أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنَّارِ لِلكافِرينَ ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنَّةِ ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١٨٩﴾ ﴿هُوَ﴾ أي: اللهُ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي: آدم ﴿وَجَعَلَ﴾: خَلَقَ ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حَوَّاءَ ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ويألفها، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾: جامَعَها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ هو النُّطفةُ، ....

حاشية الصاوي

وللخواصِّ من أُمته حظٌّ من هذا المقام؛ ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي: (إذا أرادَ الله أمراً أمسكَ ألسنة أوليائه عن الدعاء ستراً عليهم؛ لئلا يدعُوا فلا يستجابُ لهم فيَفتضحوا).

قوله: (للكافرين) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاءً.

قوله: (﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾) خُصُّوا بذلك لأنهم المنتفعون بذلك.

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾) الخطاب لأهل مكة المعارضين المعانِدين.

قوله: (﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾) أي: لأنه المالك المتصرِّف، وهذا أعظَم دليل على انفراده بالوحدانية.

قوله: (أي: آدم) أي: وهو مَخلوق من الماء والطين، والماء والطين موجودان من عدم، فآل الأمر إلى أن آدم وأولاده مَوجودون من عَدم.

قوله: (﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾) أي: من الضلع الأيسر، فنبَتت منه كما تنبت النخلةُ من النواة.

قوله: (حواء) تقدَّم أنها سُمِّيَت حواء؛ لأنها خُلِقت من حيٍّ وهو آدم.

قوله: (﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾) هذا هو حكمة كون حواء من آدم؛ أي: فالحكمة في كونها منه: كونُهُ يسكن إليها ويَألفها؛ لأنها جزء منه.

قوله: (ويألفها) عطف تفسير.

قوله: (﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾) التغشِّي: كناية عن الجماع، وعبَّرَ به تعليماً لعباده الأدب.

قوله: (هو النطفة) إن قلتَ: إن الجنة لا حملَ فيها ولا ولادة؟

أجيبَ: بأن ذلك بعد هبُوطهما إلى الأرض، وأما جماعه لها في الجنة فبغير نطفة ولا حمل منها ولا ولادة.

فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ....

﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾: ذَهَبَت، وجاءَت لِخِفَّتِه، ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ بِكِبَرِ الوَلَد في بَطنها وأشفَقَا أن يَكُونَ بَهِيمةً، ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾ ولَداً ﴿صَٰلِحًا﴾: سَوِيًّا ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لَك علَيه.

﴿١٩٠﴾ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ وَلَداً ﴿صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ - وفي قِراءة بِكَسرِ الشِّين والتَّنوِين - أي: شَرِيكاً ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾) أي: تردَّدت بذلك الحمل لعدم المشقَّة الحاصلة منه.

قوله: (﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾) أي: صارت ذاتَ ثقل، أو دخَلت في الثقل؛ كـ(أصبَح): إذا دخل في الصباح.

قوله: (وأشفقا) أي: خافا، وَرد: أنه جاءها إبليس وقال لها: ما هذا الذي في بطنك؟ فقالت: لا أدري، فقال لها: يحتمل أن يكون كلباً أو حماراً أو غير ذلك، ويحتمل أن يخرج من جَنبك أو فمك أو نَشقُّ بطنك لإخراجه، فخوَّفها بهذا كلِّه، فعرضت الأمر على آدم، فدعوَا ربَّهما إلى آخر الدعاء المذكور[1].

قوله: (﴿لَئِنْ﴾) اللام موطئة لقسم محذوف، تقديره: والله.

قوله: (ولداً) قدَّره؛ إشارة إلى أن ﴿صَٰلِحًا﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول ثانٍ لـ﴿ءَاتَيْتَنَا﴾؛ لأنه بمعنى: أعطيتَنا.

قوله: (﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾) أي: نزيد في الشكر؛ لأن الشكرَ يزيد ويعظم بزيادة النعم.

قوله: (﴿شُرَكَآءَ﴾) جميع شريك، والمراد بالجمع المفردُ؛ بدليل القراءة الثانية.

قوله: (أي: شريكاً) تفسير لكلٍّ من القراءتين.

---

(١) أصل الخبر عند الترمذي (٣٠٧٧)، وانظر مرويات الخبر في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٣)، والأحسن أن تكون الآية على سبيل ضرب المثل كما قال القفَّال، أو أن يكون الخطاب لقريش باعتبار جَدهم قصي، أو أن (جعلا) عائد على أولادهما لا عليهما كما قال الزمخشري، وفي هذا صيانة للأصول، وانظر «تفسير الرازي» (١٥/ ٤٢٧).

فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ....

بِتَسمِيَتِه عَبدَ الحارِث، ولا يَنبَغِي أن يَكُونَ عَبداً إلَّا لِلَّهِ، ولَيسَ بِإشراكٍ في العُبُودِيَّة لِعِصمةِ آدَم، ورَوَى سَمُرةُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لَمَّا وَلَدَت حَوَّاء طافَ بِها إبلِيس، وكان لا يَعِيشُ لَها ولَد، فَقال: سَمِّيه عَبدَ الحارِث؛ فإنَّهُ يَعِيشُ، فسَمَّتهُ فعاشَ، فكان ذلك مِن وَحيِ الشَّيطان وأَمرِه»، رَواهُ الحاكِم وقال: صَحِيح، والتِّرمِذِيُّ وقال: حَسَن غَرِيبٌ. ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: أهلُ مَكَّة بِه مِن الأصنامِ، ـ والجُملة مُسَبَّبة عَطفٌ على ﴿خَلَقَكُم﴾، وما بَينَهما اعتراضٌ ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (بتسميته عبد الحارث) أي: والحارثُ كان اسماً لإبليس، فقصد اللعين بذلك انتِسابه له وأنه عبدُهُ.

قوله: (وليس بإشراك في العبودية) المناسبُ أن يقول: (في العبادة، أو في المعبودية)، وإنما هو إشراكٌ في التسمية، وهو ليس بكفر، بل تَعمُّده حرام؛ لعدم تعظيمه شرعاً، وأما النسبةُ للمعظَّم شرعاً كعبد النبي وعبد الرسول.. فقيل بالكراهة[١]، والحاصل: أن النسبة للمعظَّم شرعاً لا حرمةَ فيها، ولغيره حرام إن لم يعتقد المعبوديةَ، وإلا.. كان كفراً في الجميع.

قوله: (وروى سمرة) الحكمةُ في ذكر هذه الرواية: أنَّ هذا المقامَ زلَّت فيه أقدام العلماء، فمنهم من أصاب، ومِنهم من أخطأ، فذكر هذه الرواية؛ لِيَتضحَ المقام، ويُظْهِرَ الغثَّ من السَّمين.

قوله: (وكان لا يعيش لها ولد) وذلك أنها وَلدت قبلَ ذلك عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن، فأصابهم الموت، وكان يُلِحُّ عليها كلَّ مرة، فألحَّ عليها في الأخير، فسمَّته عبدَ الحارث كما أفادته روايةُ المفسِّر.

قوله: (والجملة) أي: قوله: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قوله: (مسبَّبة عطف على قوله: ﴿خَلَقَكُم﴾) أي: وليس لها تعلُّقٌ بقصة آدم وحواءَ أصلاً، ويؤيد

---

(١) لأنه يكون كما قال القائل:

وإنِّي لعبدُ الضيفِ من غيرِ ذلَّةٍ ... وما فيَّ إلا تلكَ من شِيمةِ العبدِ

فيكون اسم (عبد النبي) ونحوه طلباً لنسبة الشرف، وعكسها نسبة الدناءة في (عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة)، واللقب اسمٌ، والأكثرون على التحريم.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ ....﴾

﴿١٩١﴾ ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ بِه في العبادةِ ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾؟.

﴿١٩٢﴾ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي: لِعابِدِيهِم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ بِمَنعِها مِمَّن أرادَ بِهِم سُوءاً مِن كَسرٍ أو غَيرِه، ـ والاستِفهامُ لِلتَّوبيخ ـ.

﴿١٩٣﴾ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنامَ ﴿إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ ـ بِالتَّخفيفِ والتَّشدِيد ـ؛ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ إلَيهِ ﴿أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ عن دُعائِهِم لا يَتَّبِعُوهُ لِعَدمِ سَماعِهِم.

﴿١٩٤﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تَعبُدُون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ﴾ مَملُوكةٌ ....

حاشية الصاوي

ذلك الجمعُ بعد التثنية، ولو كان راجعاً لها لثنَّى الضمير وقال: يشركان. وفي قوله: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة[١].

قوله: (﴿أَيُشْرِكُونَ﴾) شروعٌ في توبيخ أهل مكة على الإشراك.

قوله: (﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾) هذا بيان لِعجز الأصنام عمَّا هو أدنى من النصر المنفي عنها، والخطاب للمشركين بطريق الالتفات؛ اعتِناءً بمزيد التوبيخ، وقوله: (﴿إِلَى الْهُدَىٰ﴾) أي: لكم؛ أي: إن تدعُوهم إلى أن يَهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم[٢]، ولا يُجيبوكم كما يجيبكم الله.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٣].

قوله: (﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾) استئناف مقرِّرٌ لمضمون ما قبله؛ أي: سواء عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسُكوتهم عنهم، فإنه لا يتغيَّرُ حالكم في الحالَين كما لا يتغيَّر حالهم عن حكم الجمادية.

قوله: (مملوكة) دفع بذلك ما يُقال: إن الأصنام جماداتٌ لا تعقل، فكيف تُوصف بأنها مثلكم؟

---

(١) قد يقال: طريقة المصنف فيها صونٌ للأصول وعمل بالأثر، وتحسُنُ عند قوة الآثار.

(٢) في (أ): (أن يهدوكم إلى مرادكم.. لا يتبعوكم إلى مرادكم).

(٣) قرأ نافع بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر «السراج المنير» (١/ ٥٤٦).

أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ....

﴿أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دُعاءَكُم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنَّها آلِهةٌ. ثُمَّ بيَّن غايةَ عَجزِهم وفضلَ عابِدِيهم علَيهِم فقال:

﴿١٩٥﴾ ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بَل أ﴿لَهُمْ أَيْدٍ﴾: جمعُ يَدٍ ﴿يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بَل أ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ﴾ بَل أ﴿لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ - استِفهامُ إنكارٍ -، أي: لَيسَ لَهُم شَيءٌ مِن ذلك مِمَّا هو لَكُم، فكيفَ تَعبُدُونَهُم وأنتُم أتَمُّ حالاً مِنهُم؟! ﴿قُلِ﴾ لَهُم يا مُحمَّدُ: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ إلى هَلاكِي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾: تُمهِلُون؛ فإنِّي لا أُبالي بِكُم.

حاشية الصاوي

وأجيب: بأن المراد بكونهم أمثالكم: أنهم مملوكون مَقهورون لا يملكون ضرًّا ولا نفعاً، فالتشبيه من هذه الحيثية، لا من كلِّ وجه.

قوله: (وفضل عابديهم) إما بتشديد الضاد عطف على (بيَّنَ)، أو بسكون الضاد عطف على (غاية)، ومعنى فَضلهم: زيادتهم عليهم بهذه المنافع المذكورة.

قوله: (﴿أَمْ لَهُمْ﴾) أشار المفسِّر إلى أن (أم) منقطعة تفسَّرُ بـ(بل) والهمزة، والإضراب انتقاليٌّ من توبيخ لِتَوبيخ آخر.

قوله: (﴿يَبْطِشُونَ﴾) من باب: ضرَب، وبها قرأ السبعة، وقُرِئَ شذوذاً من باب: قتل، والبطشُ: هو الأخذ بعُنف.

قوله: (استِفهام إنكاري) أي: في المواضع الأربعة؛ أي ليس لهم شيء من المنافع المذكورة.

قوله: (﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾) أي: واستعينوا بهم في عَداوتي.

قوله: (﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾) قُرِئ بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً، وبإثباتها في الحالين، وبحذفها في الحالين، ....

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ ....

﴿١٩٦﴾ ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾: مُـتَـوَلِّـي أُمُـورِي، ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: الـقُـرآنَ ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ بِحِفظِه.

﴿١٩٧﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ فكيفَ أُبالِي بِهِم؟

﴿١٩٨﴾ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصـنـامَ ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ﴾ أي: الأصـنـامَ يا مُحمَّدُ ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يُقابِلُونَك كالناظِر ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿١٩٩﴾ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾: ....

حاشية الصاوي

وكلها سبعيَّة[1]، وفي القرآن ﴿كِيدُونِ﴾ في ثلاثة مواضع: هنا وفي (هود) بإثبات الياء عند السبع في الحالَين، وفي (المرسلات) بحذفها عند السبع في الحالين.

قوله: (﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ﴾) العامة على تشديد الولي مضافاً لياء المتكلم المفتوحة، وفي بعض الطرق بياء واحدة مشددة مفتوحة[2].

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾) من تمام التعليل؛ لعدم مُبالاته بهما.

قوله: (﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾) أي: أيُّها المشركون إن تدعُوا أصنامكم إلى أن يَهدوكم لا يسمعوا دعاءكم فضلاً عن المساعدة والإمداد، وهذا أبلغُ من نفي الاتباع، وقوله: (﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ﴾... إلخ) بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بَيان عجزهم عن السمع، وبه يتمُّ التعليل، و(رأى): بصريَّة.

قوله: (﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾) هذا أمر من الله لنبيِّهِ ﷺ بمكارم الأخلاق وحسن معاملة الكفار إثرَ بيان زَجرهم وإفحامهم بالخطاب، وردَ: لمَّا نزلت هذه الآية سأل النبيُّ ﷺ جبريلَ عن معناها، فقال:

---

(١) قرأ أبو عمرو بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، وهشام له فيها وجهان: الإثبات والحذف وصلاً ووقفاً، والباقون يحذفونها وصلاً ووقفاً. «السراج المنير» (١/ ٥٤٧).

(٢) قرأ أبو عمرو بياء واحدة مشددة مفتوحة، والباقون بياءَين على الإضافة. «الدر المصون» (٥/ ٥٤٣).

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۝١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ...﴾

اليُسرَ مِن أخلاق النَّاس ولا تَبحَثْ عَنها، ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: المَعرُوفِ، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فلا تُقابِلْهُم بِسَفَهِهِم.

۝٢٠٠ ﴿وَإِمَّا﴾ - فِيه إدغام نُون (إنْ) الشَّرطِيَّة في (ما) المَزِيدةِ - ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ أي: إن يَصرِفْك عَمَّا أُمِرْتَ بِه صارِفٌ، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ....

حاشية الصاوي

حتى أسأل ربي، فذهب ثم رَجع فقال: يا محمد؛ ربُّك يأمرك أن تَصلَ مَنْ قطعك، وتعطي مَنْ حرمك، وتعفُوَ عمَّن ظلمك[١]، قال جعفر الصادق: ليس في القرآن آيةٌ أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

قوله: (أي: اليسر من أخلاق الناس) أي: ما سهُلَ منها.

قوله: (ولا تبحث عنها) أي: ولا تُفتش عن الأخلاق، بل اقبل ما ظهرَ ودَعْ ما بطن لله.

قوله: (﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾) أي: ما عُرف حسنُهُ في الشرع.

قوله: (﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾) إن كان المراد بالجاهلين الكفَّار وبالإعراضِ عدمَ مُقاتلتهم.. فالآية منسوخة بآية القتال، وإن كان المراد بالجاهلين ضعفاءَ الإسلام وأجلافَ العرب وبالإعراضِ عدمَ تعنيفهم والإغلاظِ عليهم.. فالآية محكَمة، وكلام المفسِّر يشهدُ للثاني، ومن معنى ذلك قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]. وهو الذي لا عتابَ بعده، وفي هذه الآية تعليمُ مكارم الأخلاق، فليس هذا الأمر من خصوصيَّاته ﷺ.

قوله: (﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾... إلخ) سببُ نزولها: أنه ﷺ لما أُمر بأخذ العَفو والأمر بالعرف والإعراض عن الجاهلين.. قال: «وكيف بالغضب؟»، فنزلت هذه الآية[٢]، والنزغُ: هو النَّخس، وهو في الأصل: حثُّ السائق للدابة على السير، والمراد منه: الوسوسةُ، فشبهت الوسوسة بالنزغ بمعنى الحثِّ على السير، واستُعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من النزغ ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ بمعنى: يوسوس لك، والخطاب للنبيِّ والمرادُ غيره؛ لأنَّ الشيطان لا تسلُّط له عليه.

قوله: (﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾) أي: اطلب الاستعاذة بالله؛ بأن تقول: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٢٥).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ١٨١) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ ....

ـ جَوابُ الشَّرط، وجَوابُ الأمرِ مَحذُوفٌ ـ، أي: يَدفَعُهُ عَنك؛ ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لِلقَولِ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِالفِعلِ.

﴿٢٠١﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ﴾: أصابَهُم ﴿طَيْفٌ﴾ ـ وفي قِراءة: ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ ـ أي: شَيءٌ أَلَمَّ بِهِم ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ عِقابَ الله وثَوابَه، ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ الحَقَّ مِن غَيرِه فيَرجِعُون.

﴿٢٠٢﴾ ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ أي: إخوانُ الشَّياطِين مِن الكُفَّار ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ أي: الشَّياطِينَ ﴿فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ﴾ هُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (جواب الشرط) أي: وقُرن بالفاء لأنه جملة طلبيَّة.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾) أي: فيُجيبك لما طلبت.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾) أي: الذين اتَّصفوا بامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

قوله: (أي: شيءٌ ألمَّ بهم) تفسير للقراءتين[1]؛ أي: خاطر قليل من الشيطان، فإذا وسوس الشيطان لهم بفعل المعاصي أو ترك الطاعات.. تذكَّروا عقابَ الله وثوابه، فرَجعوا لما أمر الله به ونهى عنه.

قوله: (عقاب الله) أي: في متابعة الشيطان، وقوله: (وثوابه) أي: في مخالفته.

قوله: (﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾) مبتدأ، وجملة ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ خبرٌ.

قوله: (أي: إخوان الشياطين من الكفار) أي: والفُساق، أشار بذلك إلى أن المراد بالإخوان الكفَّارُ والفسَّاق، والضمير عائد على الشياطين.

قوله: (﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾) الواو عائدة على الشياطين، والهاء عائدة على الكفار والفسَّاق، فقد عاد ضمير الخبر على غير المبتدإ في المعنى.

قوله: (﴿ثُمَّ﴾ هُمْ) أي: الإخوان.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: (طيف)، والباقون: (طائف). «السراج المنير» (١/٥٤٨).

لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ....

﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾: يَكُفُّونَ عَنهُ بِالتَّبَصُّرِ كَما تَبَصَّرَ المُتَّقُونَ.

﴿٢٠٣﴾ ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم﴾ أي: أهلَ مَكَّة ﴿بِآيَةٍ﴾ مِمَّا اقتَرَحُوا، ﴿قَالُوا لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾: أنشَأتَها مِن قِبَلِ نَفسِك، ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ ولَيس لِي أن آتِيَ مِن عِند نَفسِي بِشَيءٍ، ﴿هَٰذَا﴾ القرآنُ ﴿بَصَائِرُ﴾: حُجَجٌ ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٢٠٤﴾ ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ عن الكَلام ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ نَزَلَت في تَركِ الكَلام في الخُطبَة، وعُبِّرَ عَنها بِالقُرآنِ لِاشتِمالِها عَلَيهِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾) أي: لا يَبعدون عن الغيِّ.

قوله: (بالتبصُّر) أي: التأمُّل والتفكُّر، والمعنى: أن الشياطين يمدُّون الكفار والفسَّاق في الغيِّ حتى لا يكفون عنه ولا يتركونه، فجَعل الله في هذه الآية للمتقين علامة، ولغيرهم علامة.

قوله: (﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم﴾) رجوعٌ لخطاب كفَّار مكة.

قوله: (مما اقترحوا) أي: طلبوا.

قوله: (﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾) أشار المفسر إلى أن ﴿لَوْلَا﴾ تحضيضية حيث قال: (هلَّا).

قوله: (أنشأتها) أي: اخترعتها واختلَقتها.

قوله: (وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء) أي: لا يمكنني ذلك.

قوله: (﴿بَصَائِرُ﴾) أي: سببٌ فيها، فسمَّى المسبَّبَ وهو القرآن باسم السبب وهو الحُجَج.

قوله: (﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾) خُصُّوا بذلك؛ لأنهم المنتفِعون به.

قوله: (﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾) أي: للقرآن.

قوله: (نزلت في ترك الكلام في الخطبة) أي: وهو واجبٌ عند مالك والشافعي في القديم، ومذهبُ الشافعي في الجديد: الإنصاتُ سنة، والكلامُ مكروه.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥﴾

وقِيلَ: في قِراءة القُرآنِ مُطلَقاً.

٢٠٥ ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ أي: سِرًّا ﴿تَضَرُّعًا﴾: تَذَلُّلاً ﴿وَخِيفَةً﴾: خَوفاً مِنهُ، ﴿وَ﴾ فَوق السِّرِّ ﴿دُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: قَصداً بينَهما، ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾: أوائِلِ النَّهار وأواخِرِه، ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عن ذِكرِ الله.

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل: في قراءة القرآن مطلقاً) أي: فيحرمُ الكلام في مجلس القرآن لِلتخليط على القارئ، بل يجب الإنصات والاستماع، فإن أُمن التخليط فلا حرمةَ، وما ذكره المفسر قولان من أربع، وثالثها: نزلت في تحريم الكلام في الصلاة؛ لأنهم كانوا يتكلَّمون في الصلاة، رابعها: أنها نزلت في ترك الجَهر بالقراءة خلف الإمام[1].

قوله: (﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾) أي: بأيِّ نوع من أنواع الذكر؛ كالتسبيح والتهليل والدعاء والقرآن وغير ذلك، وقوله: (سرًّا) أي: إن لم يَلزم عليه الكسل، وإلا.. جهرَ.

قوله: (﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾) مفعولان لأجله، أو حالان؛ أي: متضرِّعين خائفين.

قوله: (﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾) معطوفٌ على قوله: ﴿فِى نَفْسِكَ﴾.

قوله: (﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾) جمع غُدوة، وهي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والآصال: جمع أَصيل، وهو من العصر إلى الغروب، وإنما خصَّ هذين الوقتين بالذكر؛ لأنَّ الإنسان يقومُ من النوم عند الغَداة فطلب أن يكون أولَ صحيفته ذكرُ الله، وأما وقت الآصال فإن الإنسان يستقبلُ النوم وهو أخُو الموت، فينبغي له أن يَشغله بالذكر خيفةَ أن يموت في نومه، فيبعثَ على ما مات عليه، وقيل: لأن الأعمال تصعدُ في هذين الوقتين، وقيل: لِكراهة النفل في هذين الوقتين، فطلب بالذكر لئلا يَضيعَ على الإنسان وقته.

قوله: (﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾) خطاب للنبيِّ والمرادُ غيره.

(١) «زاد المسير» (٢/ ١٨٣) وزاد خامساً: (أن فتًى من الأنصار كان كلما قرأ النبي ﷺ قرأ هو، فنزلت هذه الآية، قاله الزهري).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿٢٠٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: المَلائكةَ ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يَتكبَّرُون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ يُنَزِّهُونَه عمَّا لا يَلِيقُ بِه، ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يَخُصُّونَهُ بالخُضُوع والعِبادةِ، فكُونُوا مِثلَهم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عِندَ رَبِّكَ﴾) العنديَّةُ عنديَّةُ مكانة لا مكان، أو المراد: عند عرش ربِّك، وهذا كالدليل لما قبله؛ أي: فإذا كان دوامُ الذكر دأبَ مَنْ لم يُجعَلْ لهم على أعمالهم جنةٌ ولا نار.. فلتكونوا كذلك بالأَولى.

قوله: (يُنزِّهونه) أي: يعتقدون تنزيهه.

قوله: (أي: يَخصُّونه) أخذ هذا الحصرَ من تقديم المعمول.

قوله: (بالخضوع) تفسير للسجود؛ أي: فالمراد بالسجود مطلقُ العبادة، لا خُصوص السجود المعروف، وإنما خُصَّ السجود؛ لأن أقربَ ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد. وهذه أولُ سجدات القرآن المأمور بها عند التلاوة، والله أعلم.

✿ ✿ ✿



فهرس السور

